طبقات الصوفية

الكواكب الدرية

في تراجم السادة الصوفية

الطبقات الكبرى

تأليف

زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي

(٩٥٢ - ١٠٣١)

تحقيق

محمد أديب الجادر

الجزء الثاني

دار صادر

بيروت

الطبقة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذي جعلَ المُريدَ الصَّادقَ ذا بَصرٍ وبصيرةٍ في سُلوكِ الطَّريق، حافِظاً لأوقاتِه، ضابِطاً لما يتوصَّلُ به في مدارِجِ العِزِّ والتحقيق، عمَّت نعمُهُ[1] تعالى على عِباده فخصَّ مَنْ شاءَ بمزيدِ الإنعام، وشملَتْ مواهبُهُ أهلَ وِدادِه فقرَّبَهُم وأقرَّ بهم أعيُنَ مَنْ شاءَ من خاصٍّ وعام، أدَّبَهم[2]، فدخلوا في حزبِ المُفلحين في الجِنان[3]، مُطمئنين بغيرِ إزعاج، هبَّ عليهم نسيمُ القُربِ، في روضةِ الأُنسِ والحُبِّ، فسرحَتْ نُفوسُهم لنَيلِ المَطالبِ والابتهاج، وساقَ إليهم هَدايا الهِدايةِ تُحفاً مُوصِلَةً للمآرِبِ والرَّواج، وأشهَدُ أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسولُهُ صاحِبَ المِعراج، وآله وصَحبه والتَّابعين ما اضطربَ البحرُ العجاج بالأمواج.

أمَّا بعد: فهذه الطَّبقةُ الرَّابعةُ من الكواكبِ الدُّرِّيةِ، فيمَنْ ماتَ في القرنِ الرَّابعِ إلى آخِرِ الخمس مئة وهم خمسةٌ[4] وتسعون.

حرف الألف: إبراهيم بن أحمد المولد. إبراهيم القِرميسيني. إبراهيم أبو إسحاق السبئي. إبراهيم بن محمد النَّصراباذي. إبراهيم الجبنياني. إبراهيم الآجري. أحمد بن حَمدان. أحمد بن أبي سعدان البغدادي. أحمد أبو علي

---

(١) في المطبوع: نعمته.

(٢) في المطبوع: أدناهم وهذبهم.

(٣) في (أ) و (ف): فالحين مطمئنين.

(٤) في (أ) و (ب): اثنان وتسعون، وفي (ف): ثلاثة وتسعون، وفي المطبوع: خمسة وتسعون، وهم ستة وتسعون.

الرُّوذباري. أحمد بن محمد الجريري. أحمد أبو سعيد بن الأعرابي. أحمد بن محمد الدِّينوري. أحمد أبو الطيب بن بنت الشافعي. أحمد أبو علي المُسوحي. أحمد بن جعفر بن هانىء. [علي بن] أحمد بن سهل البُوشنجي. أحمد الخياط الدَّيبلي. أحمد المغربي. أحمد السبتي المقرىء. أحمد بن محمد الأدمي. أحمد بن يحيى الجلاّء. أحمد بن عطاء الرُّوذباري. أبو سعيد بن أبي هاشم. أبو بكر بن الأبيض. أبو بكر الفارسي الطمستاني. أبو بكر الزقاق. أبو الخير التيناتي. أبو عمرو الدمشقي. أبو الحسين بن بُنان الحمال. أبو علي المعتوه المجذوب. أبو العباس القاسم السياري. أبو القاسم بن أحمد المقرىء. أبو عبد الله البَرائي. أبو الفتح يوسف القواس. أبو أحمد القلانسي. إسماعيل بن نُجيد السلمي. إسحاق أبو يعقوب النَّهرجُوري.

حرف الباء: بُنان الحمال الواسطي. بُندار بن الحسين الشيرازي. بشر بن بشار المُجاشعي.

حرف الجيم: جعفر الخُلدي البغدادي.

حرف الحاء: الحسين الحلاّج البيضاوي. حسن أبو الحسين الكانشي. الحسن الصُّبيحي البصري. الحسن بن أحمد الكاتب المصري. الحسين بن علي بن يزدانيار. الحسين بن علي الجوزجاني.

حرف الدال: دُلف أبو بكر الشبلي. دينار العابد.

حرف الراء: رُويم بن أحمد.

حرف الزاي: زُهير بن نعيم البابي. زكريا بن الصَّلت.

حرف السين: سعيد أبو عثمان المغربي.

حرف الشين: شاه الكرماني.

حرف الطاء: طاهر المقدسي. طاهر بن بابشاذ النحوي.

حرف العين: عبد الله الشعراني. عبد الله الراسبي البغدادي. عبد الله المُرتعش النيسابوري. عبد الله بن طاهر الأبهري. علي بن إبراهيم الحُصْري البغدادي. علي بن بُندار الصوفي. علي أبو الحسن الدينوري. علي أبو الحسن

الأصبهاني. علي المزين البغدادي. علي أبو الحسن بن بشار الزاهد. علي بن هند القرشي الفارسي. عائشة بنت أبي عثمان الحيري.

حرف الميم: محمد الوراق البلخي. محمد الزجاجي النيسابوري. محمد بن أحمد النيسابوري. محمد بن حمدون الفراء. محمد بن أحمد المقرىء. محمد أبو بكر الدّقي الدينوري. محمد بن عبد الخالق الدينوري. محمد بن علي الترمذي. محمد أبو سهل الصعلوكي. محمد بن سمعون البغدادي. محمد بن إسحاق. محمد بن الحسين الخشوعي. محمد بن يعقوب الفَرَجي. محمد الضبي الشيرازي. محمد أبو بكر الكتاني البغدادي. محمد بن عَليان النسوي. محمد بن الفضل البلخي. محمد بن الحسن التُّروغَبْذي. محمد بن سعد الوراق. محمد بن عبد الجبار النفري. محمد بن عبد الوهاب الثقفي. محمد بن منازل النيسابوري. محمد أبو بكر المعلم التميمي. محمد أبو بكر الواسطي. محمد بن معدان البناء. محمد بن يوسف الرازي. محفوظ بن محمود النيسابوري. مظفر القرميسيني.

* * *

(حرف الهمزة)

(٢٨٨) إبراهيم بن أحمد المُوَلَّد[*]

كان صوفيًا عالِماً مُتفنِّناً، ذا فضائلَ ومعارِفَ وعِبادةٍ وصَلاحٍ وحُسنِ أخلاق، من كِبارِ مشايخِ الرَّقَّة.

صَحِبَ القصَّار، وابنَ الجلاَّء، وغيرهما.

ومن كلامه:

مَنْ تولَّتْهُ رِعايَةُ الحَقِّ أَجَلُّ مِمَّنْ تولَّتْهُ رِعايةُ العِلمِ[1].

وقال: خُلِقَتِ الأرواحُ في الأفراح، فهي تَعلو أبداً إلى محلِّ الفرحِ من المُشاهدةِ، وخُلِقَتِ الأجسادُ[2] من الأكماد، فلا تزالُ ترجِعُ إلى كَمَدِها من طلبِ الشَّهواتِ الفانية، والاهتمامِ بها.

ومَنْ قامَ إلى أوامِرِ اللهِ باللهِ كان مَقبولاً قَطعاً، ومَنْ قامَ بنفسه كان بينَ قبولٍ ورَدٍّ.

والفترةُ بعدَ المُجاهدَةِ من فسادِ الابتداء، والحَجْبُ بعدَ الكَشْفِ من السُّكونِ إلى الأحوال.

(*) طبقات الصوفية ٤١٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٤، مناقب الأبرار ١٩٠/ب، المختار من مناقب الأخيار ٤٠/ب، مختصر تاريخ دمشق ٤/١٣، العبر ٢/ ٢٥٩، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٨٧، مرآة الجنان ٢/ ٣٣٤، البداية والنهاية ١١/ ١٢٠، طبقات الأولياء ٨٣، طبقات الشعراني ١/ ١١٥، شذرات الذهب ٢/ ٣٦٢.

(١) في طبقات الصوفية ٤١١، والمختار ٤٠/ب: من تولاه رعاية أجلُّ ممن تؤدبه سياسة العلم.

(٢) في المطبوع: الأجسام، والمثبت من طبقات الصوفية ٤١٢، والمختار ٤٠/ب.

وقال: نَفسُكَ سائرَةٌ بكَ، وقلبُكَ طائِرٌ بِكَ، فكُنْ مع أسرَعِهما.

وقال: السِّياحَةُ بالنَّفسِ لآدابِ[1] الظَّواهِرِ عِلماً وشَرعاً وخلقاً، والسِّياحَةُ بالقلبِ لآدابِ[1] البواطِنِ حالاً ووَجْداً وكَشفاً.

* * *

(٢٨٩) إبراهيم بن شَيبان القِرْميسِينيُّ[*]

شَيخُ الجَبَلِ في زمانه، وإمامُ أهلِ الحقائقِ في أوانه، كان من رِجالِ الزَّمانِ هَيبةً وإقداماً، ومِمَّنْ يُتعِبُ الشَّيطانَ إرغاماً، لا يَهابُ الأُسودَ إذا فغَرَتْ فاها، ولا الأيَّامَ إذا أدبرَتْ وأولَتْهُ جَفاها.

صَحِبَ الخَوَّاص، والمغربي.

وكان شديداً على المُدَّعين، مُتمسِّكاً بالكتابِ والسُّنَّةِ، مُلازِماً لطريقِ الأئمة.

ومن كلامه:

مَنْ أرادَ أن يتعطَّلَ عن السَّيرِ فليلزَمِ الرُّخَصَ.

وقال: ما قطع الطَّريقَ على الفقراءِ وأهلَكَهُم إلاَّ مَيلُهم لما عليه أهلُ الدُّنيا.

وقال: عِلمُ البَقاءِ والفناءِ يَدورُ على إخلاصِ الوحدانيَّة، وصحَّةِ العبوديَّة، وما عدا ذلك مَغاليطُ وزَندقَة[2].

---

(١) في الأصل: لأرباب، والمثبت من طبقات الصوفية ٤١٣، والمختار ٤٠/ب.

(*) طبقات الصوفية ٤٠٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦١، الرسالة القشيرية ١/ ١٧٤، مناقب الأبرار ١٨٧/أ، الأنساب ١٠/ ١١٠، المنتظم ٦/ ٣٩٠، المختار من مناقب الأخيار ٥٠/أ، مختصر تاريخ دمشق ٤/ ٦٢، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٩٢، الوافي بالوفيات ٦/ ٢٠، مرآة الجنان ٢/ ٣٢٥، البداية والنهاية ١١/ ٢٣٤، طبقات الأولياء ٢١، طبقات الشعراني ١/ ١١٣، شذرات الذهب ٢/ ٣٤٤.

(٢) انظر إلى ما قاله الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٩٣ معلقاً على قوله هذا فإنه نفيس.

وقال: مَنْ تكلَّمَ في الإخلاصِ ولم يُطالِبْ نَفسَهُ به ابتلاهُ اللهُ بهَتكِ سِرِّه عندَ الأقرانِ والإخوان.

وقال: بينا أنا أدورُ في جبلِ لبنان إذ خرجَ شابٌّ أحرقَتْهُ السَّمومُ والرِّياضة، فلمّا رآني ولّى هارِباً، فتبِعْتُهُ وقلتُ: عِظني بكلمةٍ، فقال: احذَرْهُ؛ فإنَّه غَيورٌ، ولا يُحِبُّ أن يَرى في قلبِ عبده سِواه.

وسُئِلَ عن وصفِ العارِفِ، فقال: كنتُ على جبلِ الطُّورِ مع شيخنا أبي عبد الله المغربي، فبينا نحنُ ذاتَ يَومٍ قُعودٌ تحت شجرةٍ بمكانٍ فيه عشبٌ، فتكلَّمَ الشيخُ في علومِ المعارفِ، فرأيتُ شابًّا يتنفَّسُ، فاحترقَ ما بين يَديه من العشبِ الأخضرِ، ثم غابَ فلم نَرَهُ، فقال الشيخُ: هذا هو العارِفُ.

وقال: إذا سَكَنَ الخَوفُ القلبَ أحرَقَ مَواضِعَ الشَّهواتِ فيه، وطرَدَ رَغبةَ الدُّنيا عنه.

وقال: مَنْ تَرَكَ حُرمةَ المشايخِ ابتُلِيَ بالدَّعاوى الكاذبة، وافتُضِحَ بها.

وقال: لا تصحَبْ مَنْ يقولُ: نَعلي أو قصعتي.

وقال: إيَّاكَ أن يَشغَلَكَ عنِ اللهِ شاغِلٌ؛ فقَلَّ مَنْ أعرَضَ عنه فأقبَلَ عليه.

وقال: الشَّرَفُ في التَّواضع، والعِزُّ في التَّقوى، والحرمةُ في القناعة.

وقال: ما بِتُّ تحت سقفٍ، ولا بمحلٍّ عليه غلقٌ أربعينَ سنةً، وكنتُ أشتهي شبعةً من عدسٍ فلم يتَّفق، فدخلتُ الشَّامَ فحُمِلَ إليَّ غَضَارةٌ[1] فيها عَدسٌ، فتناوَلْتُ منه، وخرجتُ فرأيتُ قواريرَ معلَّقةً فيها خَمرٌ، فكسرتُها، فحُمِلْتُ إلى السَّلطان فأمَرَ بضَربي مئةً، وسُجِنْتُ، فبقيتُ مُدَّةً، حتى دخَلَ أبو عبد الله المغربي أُستاذي البلدةَ، فشفَعَ فيَّ، فلمَّا وقَعَ بصَرُهُ عليَّ قال: أيش فعلتَ؟ فقلتُ: شبعةُ عَدسٍ بمئةِ خشبةٍ والسِّجن، قال: نَجوتَ مَجّاناً.

وقال: كُنَّا مُجتمعينَ على جبلٍ مع أُستاذِنا المغربي، وكانوا يتحاورون[2]

---

(١) الغضارة: الصَّحفةُ المتخذة من الطين اللاَّزب الأخضر. اللسان (غضر).

(٢) في (ب): يتحارون.

في العلمِ، فوقعَتْ عَيني[1] على شابٍّ قد انتفَخَ بَطنُهُ، وعَيناهُ قد خرجتا، فقلتُ في نفسي: هذا الشَّابُّ يَنشقُّ السَّاعةَ، فتنفَّسَ فأحرقَ كلَّ حشيشٍ حولَهُ.

ماتَ سنةَ ثلاثين وثلاثِ مئة.

* * *

(٢٩٠) إبراهيم بن أحمد الجِبْنيانيُّ(*)

إبراهيم بن أحمد بن علي بن أسلم[2] أبو إسحاق الجِبْنِياني، البَكريُّ من بكر بن وائل، كان من الأبدالِ، وأحَدَ الأئمَّةِ المُقتدى بهم في الأفعال، حتى أفردَ أبو القاسم اللَّبيدي، وأبو بكر المالكي أخبارَهُ وسيَرَهُ بالتأليف، وكان سَلَفُهُ من أهلُ الخُططِ بالقيروان، وله الحظُّ الوافرُ في التَّعبير[3]، واختلافِ العلماء، واللغة، والعربية، والتَّفسير، وناسِخِه ومَنسوخه.

وقال القابسيُّ: هو إمامٌ يُقتدى به.

وابن أبي زيد: طريقُ أبي إسحاق خاليةٌ لا يَسلُكُها أحَدٌ.

وكان ما يتغيَّرُ على أحدٍ فيُفلِحُ.

وإذا رُئيَ ذُكِرَ اللهُ من هَيبته.

وكان من كثرةِ العِبادةِ قد جَفَّ جِلدُهُ على عَظمه، واسوَدَّ لَونُهُ، وكَثُرَ صَمتُه، وقَلَّ كلامُهُ، وإذا تكلَّمَ نَطَقَ بالحِكمة.

---

(١) في (أ) و (ب): فوقع بصري.

(*) الديباج المذهب ٨٦، توضيح المشتبه ٣/ ٢٣٠، شجرة النور ١/ ٩٥، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٣٥، وانظر إلى ما قاله الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني في هامش الأنساب ٣/ ١٨٥.

والجِبْنياني: نسبة إلى جِبْنيانة بكسر الجيم، ثم موحدة ساكنة، ثم نون مكسورة، تليها مثناة تحت، ثم ألف، ثم نون مفتوحة، ثم هاء، من بلاد المغرب. توضيح المشتبه، وفي الأصول: الحسباني، وفي المطبوع: الحساني.

(٢) في توضيح المشتبه: سالم.

(٣) تعبير الرؤيا.

ومن كلامه:

اتَّبعْ لا تَبتدِعْ، اتَّضِعْ[1] لا تَرتفع، من ورع لا يتَّسع.

ماتَ بقَيروان سنةَ تسعٍ وستِّين[2]، وثلاث مئة، عن تسعين سنة.

* * *

(٢٩١) إبراهيم بن أحمد[*]

أبو إسحاق السَّبئي ثم القَيروانيّ، أحَدُ العلماءِ الذين يَنزلُ بدعائهم القَطرُ، وتَظهرُ لهم البراهين، وأنفاسهم كالقَطر.

صَحِبَ: ابنَ نصر، وابن بشّار، والقصري، وغيرهم.

وأخذَ عنه الجَمُّ الكثير، وأخذَ من علمِ الظَّاهرِ والباطنِ الحظَّ الوافرَ الغزير.

وكان إذا وقفَ أهلُ عصره كابن أبي زيد[3]، والقابسي في المشكلات، وحضروا لديه انحلَّتْ إليهم تلك المُهمات.

وكانت أكابرُ قيروان إذا نزلَتْ بهم الحوادثُ اقتدوا به في أفعاله، فإنْ أغلقَ بابَه أغلَقوه، وإن فتحَهُ فتحوه، تأسِّياً به فيه.

قال ابنُ نصر: لو وُزِنَ إيمانُ أبي إسحاق بأهلِ المغربِ لرجحهم.

وكان كثيرَ الورعِ والاجتهادِ في العبادة، وقَّافاً عنِ الشُّبهات، حَسَنَ الأخلاقِ، غزيرَ الدَّمعةِ، مُجابَ الدَّعوةِ، وكان خُبزُه السَّميد، فقيل له في ذلك، فقال: لو علمتُ أنَّ الجَوهرَ يَزيدُ في عَقلي لسحقتُهُ وأكلتُهُ؛ فإنَّ نَفسي لا تَصلحُ إلاَّ إذا أكَلَتْ طَيِّباً.

---

(١) في (أ) و (ب): ولا تبتدع، اتضع ولا...

(٢) في (أ) و (ب): وتسعين خطأ.

(*) الديباج المذهب ٨٥، معالم الإيمان ٣/ ٧٧، شجرة النور ١/ ٩٤.

(٣) في (ب) و (ف) والمطبوع: يزيد، وهو محمد بن أبي زيد، انظر مصادر هذه الترجمة.

وقال: اتَّجِرْ بالعلمِ، والبَس بالورع[1].

وقال بعضُهم: كُنَّا إذا دَخلنا عليه عقدنا التَّوبةَ ببابه؛ مخافَةَ أن ينطِقَ فينا بشيءٍ.

ماتَ سنةَ سِتٍّ وخمسين وثلاث مئة، عن سِتٍّ وثمانين سنة.

* * *

(٢٩٢) إبراهيم بن محمد أبو القاسم النَّصْرَابَاذِيُّ(*)

شَيخُ خُراسان عِلماً وحالاً، كان في عِلمِ التَّصوُّفِ إماماً، وفي فَنِّ التعرُّفِ لمَنْ تقدَّمَ خِتاماً، مُحالِفاً للزُّهد والورع، مُخالِفاً لمَنْ زاغَ عنِ الطَّريقِ وابتَدَع، كاشِفَ الهَمِّ[2]، هاطِلَ الغَمامِ، حَسَنَ الأخلاقِ، لَطيفَ الكلام، فَصيحَ اللِّسانِ، عَذْبَ العِبارةِ لا يُلهيه عن ذكرِ الله بَيعٌ ولا تجارة.

أخَذَ الحديثَ عن: ابنِ خُزَيمةَ، وابنِ أبي حاتم، والطَّحاويِّ، وغيرهم.

وعنه: الحاكم، وغيره.

وصَحِبَ الشِّبلي، والمُرتعش، والطَّبقة.

وكان فيه نَفعٌ للنَّاسِ في الشَّفاعةِ في قضاءِ أشغالِهم، ومُبادَرةٌ إلى تلَقِّي مصالحهم، وتمشيةِ أحوالِهم، لا يتوقَّفُ في خيرٍ يُقصَدُ فيه، ولا يُبالي إن كان فيه تلفه أم تلافيه.

---

(١) في الديباج المذهب: اتجر بالعلم وكل، والبس الورع.

(*) طبقات الصوفية ٤٨٤، تاريخ بغداد ٦/ ١٦٩، الرسالة القشيرية ١/ ١٩٣، مناقب الأبرار ٢٠٨/ب، الأنساب ١٢/ ٨٩، المنتظم ٧/ ٨٩، المختار من مناقب الأخيار ٥٣/أ، مختصر تاريخ دمشق ٤/ ١٠٥، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٦٣، دول الإسلام ١/ ٢٢٧، العبر ٢/ ٣٤٣، الوافي بالوفيات ٦/ ١١٧، مرآة الجنان ٢/ ٣٨٧، طبقات الأولياء ٢٦، العقد الثمين ٣/ ٢٣٧، النجوم الزاهرة ٤/ ١٢٩، طبقات الشعراني ١/ ١٢٢، شذرات الذهب ٣/ ٥٨.

(٢) في (أ): الغم.

ومن كلامه:

إذا أعطاكَ حَبَاكَ، وإذا لم يُعْطِكَ حَمَاكَ، وشَتَّانَ ما بين الحَباءِ والحِماء، فإذا حَبَاكَ شَغَلَكَ، وإذا حَمَاكَ حملَكَ.

وقال: [في معنى قوله تعالى][1]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [التوبة: ١١١] قال: بعِلمي اشتريتُهم، وبحكمي بعتُهم[2]، فلا يُنقِصُ عِلمي حُكمي، ولا حُكمي عِلمي.

وقال: مَنْ أرادَ أن يَبلُغَ محلَّ الرِّضا فليلزَمْ ما جعَلَ اللهُ رِضاهُ فيه.

وقال: سِجنُكَ نفسُكَ، فإذا خرجتَ منها وقعتَ في راحة الأبد[3]، والخروجُ عنها بمخالفتها.

وقال: من أدَبِ العارِفِ أن يُعظِّمَ ما عظَّمَهُ اللهُ من أمورِ الكَون.

وقال: مَنْ عَمِلَ على رؤيةِ الجزاءِ فأعمالُهُ بالعدِّ والإحصاء، ومَنْ عَمِلَ على المُشاهدَةِ أذهلَتْهُ عن العدَدِ، وكان أجرُهُ بلا عَدد.

وقال: دِماءُ المُحبِّينَ تجيشُ[4] وتَغلي، وهم واقِفونَ مع الحقِّ في مقامٍ، إن تقدَّموا غَرِقوا، وإن تأخَّروا حُجِبوا.

وقال: الحقُّ غَيورٌ، وإذا بدا لكَ شيءٌ من بَوادي الحقِّ فلا تَلتفِتْ معه لجنَّةٍ ولا لنارٍ، فإذا رجعتَ عن تلكَ الحالِ فعظِّمْ ما عظَّمَهُ الله.

وقال: نهاياتُ الأولياءِ بداياتُ الأنبياء.

وقال: المحبَّةُ[5] مُجانبَةُ السلوِّ على كلِّ حالٍ، ثمَّ أنشدَ:

ومن كان في طولِ الهَوى ذاقَ سَلْوَةً ... فإنّي من ليلى لها غيرُ ذائِقِ

---

(١) ما بين معقوفين من مختصر تاريخ دمشق ٤/ ١٠٦.

(٢) في مختصر تاريخ دمشق ٤/ ١٠٦: وبحكمي أعتقتهم.

(٣) في الأصول: الأدب، والمثبت من تاريخ بغداد ٦/ ١٧٠، والمختار ٥٣/ أ.

(٤) في المطبوع: تحبس.

(٥) في المطبوع: وجمال المحبة.

وأكبرُ شيءٍ نِلتُهُ مِنْ وِصالِها أمانِيُّ لم تصدُقْ كلمحةِ بارِقِ

ومن نظمه أيضاً، وكان كثيراً ما يُنشدُه:

خَرَجوا لِيَسْتَسْقُوا فقلتُ لهم قِفوا دَمعـي يَنـوبُ لكـم عـنِ الأنـواءِ

قالوا صدقتَ ففي دموعِكَ مَقْنَعٌ لو لم تَكُنْ مَمزوجةً بدماءِ

وقال: للنَّفسِ قُوتٌ إذا أحرزت[1] اطمأنَّتْ، وللقلبِ قُوتٌ وهو الطُّمأنينةُ، وللسرِّ قُوتٌ وهو الفِكرُ، وللرُّوحِ قُوتٌ وهو السَّماعُ، والقُوتُ في الحقيقةِ هو الله، لأنَّ منه[2] الكفايات، ثم أنشد:

إذا كنتَ قوتَ النَّفسِ ثم تركتَها فكم[3] تلبثُ النَّفسُ التي أنتَ قُوتُها

ستبقى بقاءَ الضَّبِّ[4] في الماءِ أو كما يعيـشُ ببيـداءِ المهـامه حـوتُهـا[5]

وقال: الجَذبُ أسرَعُ في الوصولِ من السُّلوك، فإنَّ كلَّ جَذبةٍ من الحقِّ تُغني العبدَ عن أعمالِ الثَّقلَين.

وقال: أصلُ التَّصوُّفِ لُزومُ الكِتابِ والسُّنَّةِ، وتَركُ الأهواءِ والبِدَع، وتَعظيمُ حُرماتِ المشايخِ، ورؤيةُ أهذارِ الخَلْقِ ـ أي قَبولُها منهم ـ ودوامُ الأورادِ، وتجنُّبُ الرُّخَصِ والتأويلات.

وقال: الزَّاهِدُ غَريبٌ في الدُّنيا، والعارِفُ غَريبٌ في الآخرة.

وقال: إنَّما سمَّى اللهُ أهلَ الكهف ﴿فِتيةٌ﴾ لأنَّهم آمنوا بلا واسطةٍ.

وقال: مرضتُ بالباديةِ فأيستُ من نفسي، فوقعَ بَصري على القمرِ نهاراً، فرأيتُ مَكتوباً عليه: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧] فاستقللتُ، وفُتِحَ عليَّ من ذلك الوقت.

---

(١) في مناقب الأبرار: أحرزته.

(٢) في المطبوع: فيه. والمثبت من مناقب الأبرار، والمختار من مناقب الأخيار، ومختصر تاريخ دمشق ٤/١٠٦.

(٣) في المطبوع: فلم. والمثبت من مصادر الخبر.

(٤) في المطبوع: العشب. والمثبت من مصادر الخبر.

(٥) الخبر من المطبوع فقط.

وسُئِلَ: لِمَ لم يتكلَّم المصطفى ﷺ في المعرفةِ؟ قال: لأنَّه كَمُلَ في معرفته، وكلُّ مَنْ كَمُلِ في شيءٍ أَقَلَّ الكلامَ فيه.

ولم يَزَلْ على حالِهِ حتّى ضَمَّه تُرابُه، وفارَقَهُ أحبابُهُ وأترابُه، في سنةِ سبعٍ وستِّينَ وثلاثِ مئة.

ورُئيَ في المنام، فقيل له: ما فعلَ اللهُ بكَ؟ قال: عُوتِبتُ عِتابَ الأشرافِ، ثمّ نوديتُ: يا أبا القاسم، أبعدَ الاتِّصالِ انفصال؟! فقلتُ: لا، يا ذا الجلال.

* * *

(٢٩٣) إبراهيم الآجُرِّيُّ(*)

إبراهيم الآجُرِّي، بَغداديٌّ له الآياتُ العجيبة، والكراماتُ اللَّطيفة، منها:

أنَّه جاءَهُ يَهوديٌّ يقتضيه دَيناً، فقال له: أرِني شيئاً أعرِفُ به شَرَفَ الإسلامِ على ديني فأُسْلِمُ، فأخَذَ رِداءَهُ، وجعلَهُ في رِداءِ نَفْسه، ولَفَّ رداءَهُ عليه، ورماه في نارِ أتُّونِ[1] الآجرِّ، ودَخَلَ في أثره، فأخَذَ الرِّداءَ وخرجَ من الباب، ففتحَ رداءَ نَفسه وهو صحيح، وأخرَجَ رِداءَ اليهوديِّ مُحترِقاً كالفحمِ، فأسْلَمَ.

* * *

(٢٩٤) أحمد بن حَمدان(**)

أحمد بن حمدان بن علي بن سنان، من أكابرِ الأعيان، صَحِبَ الحدَّاد،

(*) حلية الأولياء ١٠/ ٢٢٣، تاريخ بغداد ٦/ ٢١١، صفة الصفوة ٢/ ٤٣٤، روض الرياحين ٢٦٥ (حكاية ٢٠١)، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٣٥.

(١) في المطبوع: كانون.

(**) طبقات الصوفية ٣٣٢، تاريخ بغداد ٤/ ١١٥، مناقب الأبرار ١٦٠/ب، المنتظم ٦/ ١٧٦، المختار من مناقب الأخيار ٥٥/ أ، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٩٩، العبر ٢/ ١٤٧، تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٦١، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة ٧٣٠، الوافي بالوفيات ٦/ ٣٦٠، مرآة الجنان ٢/ ٢٦٤، طبقات الأولياء ٤٨، طبقات الحفاظ ٣٢٠، الطبقات الكبرى ١/ ١٠٣، شذرات الذهب ٢/ ٢٦١.

وأبا عثمان، وكان صَدراً مُبجَّلاً، وإماماً مُفَخَّماً، ومُحِبًّا للأبرار، مُجانِباً للأغيار، له تسرُّعٌ إلى الخير، وهِمَّةٌ تُسابِقُ البَرقَ فَضلاً عنِ الطَّير.

ومن فوائده:

تكبُّرُ المُطيعِ على العاصي بطاعته شَرٌّ من معصيةِ العُصاةِ، وأضرُّ عليه منها، كما أنَّ التَّهاوُنَ عنِ التَّوبةِ من الذَّنبِ شَرٌّ منه.

وقال: كيفَ يبغضُ أحدكُم أخاهُ لذنبٍ واحِدٍ ولا يُبغضُ نفسَهُ لذُنوبٍ كَثيرةٍ؟.

وقال: مَنْ سَكَنَتْ عظمةُ اللهِ قلبَهُ عَظَّمَ كُلَّ مَنِ انتسَبَ إليه بالعبوديَّةِ.

وقال: علامَةُ صِدقِ مَنِ انقَطَعَ إلى اللهِ أن لا يَشغلَهُ عنه شيءٌ من الكونين.

وقال: جمالُ الرَّجلِ في حُسنِ مَقاله، وكمالُهُ في صِدقِ فِعاله.

وقال: مَنْ لَزِمَ العزلةَ والخلوَةَ كان أقَلَّ لفضيحته في الدُّنيا إلى أن يبلُغَ إلى فضيحةِ الآخرة.

وقال: مَنْ عَرَفَ اللهَ خَضَعَ له وانقادَ في خُضوعه المتولِّدِ من تعظيمه لربِّه، ومَنْ عَرَفَ رَبَّهُ صَغُرَ في عَينَيه كلُّ ما سِواه.

ماتَ سنةَ إحدى عشرة وثلاث مئة.

* * *

(٢٩٥) أحمد بن محمد بن أبي سعدان البغداديُّ (*)

كان في وقته شَيخَ الإفادة، المُنفرد في التَّربيةِ بفنونِ الإجادة.

صَحِبَ الجُنَيد وطبقَتَهُ، وكان عالِماً بمذهبِ الشَّافعيِّ، ذا لِسانٍ وبيان، وجاهٍ ووجاهةٍ عند أكابرِ الأعيان، ومعرفةٍ بعلومٍ شَتَّى، ورُبَّما درَّسَ في بعضِ

(*) طبقات الصوفية ٤٢٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٧، تاريخ بغداد ٤/ ٣٦١، مناقب الأبرار ١٩٢/أ، المختار من مناقب الأخيار ٦٣/ب، طبقات الأولياء ١٥٠، طبقات الشعراني ١/ ١١٧.

الأحيان وأفتى، وطَلَبَ الخليفةُ مَنْ يُرسلُهُ إلى الرُّومِ، فلم يجِدْ أعلمَ منه ولا أفصَحَ، ولا أجودَ عِبارةً ولا أوضح، فوجَّهَهُ، فما واجهَهُ أحدٌ من عُلماءِ الرُّومِ إلاَّ وغلَبَهُ، وبَهَتَ[1] عقلَهُ وسَلَبَهُ.

ومن كلامه:

لا يَكملُ حالُ فقيرٍ حتى يعلمَ عِلمَ الدِّرايةِ والرِّواية، وهناكَ يَهتدي إلى سبيل الحقِّ.

وقال: إذا بَدتْ عُلومُ الحقائقِ طُمِسَتْ آثارُ الفهومِ والعلوم.

وقال: الصُّوفيُّ لا يقِفُ مع النُّعوتِ ولا الرُّسوم.

* * *

(٢٩٦) أحمد بن محمد الرُّوذَباري(*)

العارِفُ أبو عليّ الرُّوذباري، بضمٍّ الرَّاء، وسكون الواو، وذالٌ معجمة[2]، وموحّدة مفتوحة وآخره راء.

كان من أئمَّةِ الصُّوفيَّة، وعُلماءِ الشَّافعيَّة، سادَ أهلَ ذلك المذهبِ في زمانه، حتّى صارَ أمثَلُهم طَوعَ مَرامه، وقَوساً في يَده يَرمي بها إلى غَرضه بسهامه، وهو بغداديُّ الأصل من أبناء الوزراء والرُّؤساء، ونَسَبُهُ مُتَّصِلٌ بكِسرى.

---

(١) في (أ): ونهب.

(*) طبقات الصوفية ٣٥٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٦، تاريخ بغداد ١/ ٣٢٩، الرسالة القشيرية ١/ ١٦٢، مناقب الأبرار ١٧١/أ، الأنساب ٦/ ١٨٠، صفة الصفوة ٢/ ٤٥٤، المنتظم ٦/ ٢٧٢، المختار من مناقب الأخيار ٦٩/أ، اللباب ١/ ٤٨٠، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٣٥، العبر ٢/ ١٩٥، دول الإسلام: ١/ ١٩٨، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٤٨، طبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٥٧٦، مرآة الجنان ٢/ ٢٨٦، البداية والنهاية ١١/ ١٨٠، طبقات الأولياء ٥٠، حسن المحاضرة ١/ ٢٢٥، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٤٧، طبقات الشعراني ١/ ١٠٦، شذرات الذهب ٢/ ٢٩٦.

(٢) في الأصول: ودال مهملة. والمثبت من الأنساب ٦/ ١٨٠.

وكان عالِماً مُحدِّثاً صُوفيًا، صَحِبَ في التَّصوُّفِ الجُنَيد، والفقهِ ابن سُرَيج، والحديثِ إبراهيم الحَربي، والنَّحو جماعةً منهم ثعلب، وكان يَفتخِرُ بذلك.

أقامَ بمصرَ وصارَ فقيهها ومُحدِّثَها وصوفيَّها، يُقصَدُ الأخذُ عنه من جميع الآفاق.

أتاهُ جَمعٌ من الفقراءِ فاعتلَّ منهم واحِدٌ، فأمَرَ أصحابَهُ بخدمته، فمَلُّوا، فحَلَفَ أن لا يخدِمَهُ غيرُه، فخدَمَهُ بنفسه حتّى ماتَ، فدفنَهُ، فلمّا أرادَ فتحَ رأسِ كفنه ليُضجِعَهُ مُستوياً فَتَحَ عَينَيه، وقال: يا أبا علي لأنصُرَنَّكَ بجاهي يومَ القيامةِ كما نصَرْتَني بمُخالفَةِ نفسِكَ.

وقال: دخلتُ مِصرَ[1] فرأيتُ النَّاسَ مُجتمعينَ، فقالوا: كُنَّا في جنازةِ فتًى سمعَ قائلاً يقولُ:

كَبُـــرَتْ هِمَّـــةُ عَيـــنٍ[2] طَمِعَـــتْ فـــي أنْ تَـــراكـــا

فشهقَ فمات.

وقال: اتَّخَذَ رجُلٌ ضِيافةً، فأوقدَ فيها ألفَ سِراجٍ، فقال له رجلٌ: أسرَفْتَ، قال: ادخُلْ، فكُلُّ ما أوقدتُهُ لغيرِ اللهِ فأطفئه، فدخَلَ فلم يَقدِرْ على إطفاءِ واحِدٍ منها، فانقطع.

ومَرَّ يَوماً على الفُراتِ وقد عرضَتْ لنفسه شَهوةُ السَّمَكِ، فقذَفَ الماءُ سمكةً نحوَهُ، وإذا برجلٍ يَعدو ويقولُ: أشويها لكَ؟ فشواها له، وأكلَها.

ومن فوائده:

الإشارَةُ الإبانَةُ عمَّا تضمَّنَهُ الوَجْدُ من المشارِ إليه، وفي الحقيقةِ الإشارةُ تصحبُها العِلَلُ، والعِلَلُ بَعيدةٌ من الحقائق.

وقال: لو تكلَّمَ أهلُ التَّوحيدِ بلِسانِ التَّجريد لم يبقَ مُحِبٌّ[3] إلاَّ ماتَ حالاً.

---

(١) في روض الرياحين ٣٢٥ (حكاية ٢٧٣): قصر.

(٢) في روض الرياحين: عبد.

(٣) كذا في الأصول، وفي طبقات الصوفية ٣٥٧، والمختار: لم يبق محقٌّ.

وقال: والاهم قبلَ أفعالهم، وعاداهم قبل أفعالهم، ثم جازاهم بأفعالهم.

وقال: المُريدُ مَنْ لا يريدُ لنفسه إلاَّ ما أرادَ اللهُ له، والمُرادُ لا يُريدُ من الكونين شيئاً غيرَه.

وقال: المُشتاقونَ إلى اللهِ يَجِدون حلاوةَ الوقتِ حين وروده، لِمَا كُشِفَ لهم من روحِ الوصولِ إلى قُربه أحلى من الشَّهد.

وقال: إذا قال الصُّوفيُّ بعدَ خمسةِ أيَّام: أنا جائِعٌ، فألزموه السُّوقَ، وأمُروه بالكسب.

وقال: دخلَتِ الآفةُ في القومِ من ثَلاثٍ: سقمِ الطبيعة، ومُلازمةِ العادَةِ، وفَسادِ الصُّحبة(١).

وقال: اكتسابُ الدُّنيا مَذَلَّةٌ، واكتسابُ الآخرةِ عِزٌّ، فواعجباً لمَنْ يَختارُ الذُّلَّ على العِزِّ.

وقال: سبحانَ مَنْ لا يَشهدُهُ شيءٌ، ولا يَغيبُ عنه شيءٌ.

وقال: لمّا تشوقَّتِ القلوبُ إلى مُشاهدَةِ ذاتِ الحقِّ ألقى إليها الأسماءَ كلَّها فسكنَتْ وركَنَتْ إليها، والذَّاتُ مُسْتَترَةٌ(٢) إلى التجلِّي الأخروي.

وقال: المُشاهدَةُ للقلوبِ، والمُكاشفَةُ للأسرارِ، والمُعاينَةُ للبصائرِ، والمَرئياتُ للأبصار(٣).

وقال: مَنْ نَظَرَ إلى كمالِ نَفسه مرَّةً عَمِيَ قَلبُهُ عنِ النَّظرِ إلى شيءٍ من الأكوانِ على وجهِ الاعتبار.

وقال: ما ادّعى أحدٌ قَطُّ دَعوى إلاَّ لخُلُوِّهِ عنِ الحقائق؛ إذ لو تحقَّقَ بشيءٍ نطقَتْ عنه الحقيقةُ، وأغنَتْهُ عنِ الدَّعاوى.

---

(١) تتمة الخبر في المختار: فقيل له: ما سُقم الطبيعة؟ قال: أكلُ الحرام، فقيل: ما مُلازمة العادة؟ قال: النظر والاستماع إلى الحرام والغيبة. فقيل: فما فساد الصحبة؟ قال: كلما هاج في النفس شهوة يتبعها.

(٢) في (ب): مستقرة.

(٣) في طبقات الصوفية ٣٥٨: والمراعاة للأبصار.

وقال: التَّصوُّفُ الإناخَةُ على بابِ الحقِّ، وإنْ طَرَدوه.

وقال: من علامَةِ مَقتِ اللهِ للعبدِ أن يَضجرَ من طولِ مَجالِسِ الذِّكرِ؛ لأنَّه لو أحَبَّ الحقَّ تعالى كانت مُجالستُهُ له ألفَ سنةٍ كلمحةٍ.

وقال: لا ينبغي أن يتصدَّى لتربية الأحداث إلاَّ الكُمَّلُ، لعِظَمِ سياستهم[1]؛ لأنَّ الشَّبابَ شُعبةٌ من الجُنون.

وسُئِلَ عمَّن يسمعُ[2]، ويقولُ: لا تُؤَثِّرُ فِيَّ؛ لأنِّي وصلتُ إلى مقامٍ لا يُؤثِّرُ فيَّ الاختلافُ، فقال: قد وَصَلَ، ولكن إلى سَقَر.

وقال السُّبكيُّ[3]: قد يتوصَّلُ بهذا إلى زعمِ أنَّه كان لا يرى السَّماعَ، والذي يَظهرُ من كلامه أنَّه إنَّما أنكرَ من هذا القائل إظهارَه الوصولَ إلى هذه الدَّرجة، فإنَّ الواصِلَ إليها لا يَتظاهرُ بذلك إلاَّ بأدَبٍ[4]، وليس مُرادُه تَحريمَ السَّماعِ، ولا إنكارَ أنَّ بعضَ النَّاسِ لا يُؤثِّرُ فيه اختلافُ الأحوالِ، كيف ومن كلامه أيضاً: السَّماعُ مُكاشفَةُ الأسرارِ إلى مُشاهدَةِ المَحبوبِ.

وقال: أعظَمُ اليقينِ ما عظَّمَ الحقَّ في عينِكَ وصَغَّرَ ما دونَهُ عندَكَ، وأثبَتَ الرَّجاءَ والخَوفَ في قلبِكَ.

وقال: من الاغترارِ أن تُسيءَ فيُحسِنَ إليكَ، فتَترُكُ الإنابَةَ تَوهُّماً أنَّكَ تُسامَحُ في الهَفواتِ، وترى أنَّ ذلك من بَسطِ الحقِّ لكَ.

وقال: الصَّولُ على مَنْ دونكَ ضَعفٌ، وعلى مَنْ فوقَكَ قِحَةٌ.

ومن نظمه:

رُوحي إليك بكُلِّها قد أجمعَتْ ... لو أنَّ فيك هلاكَها ما أقلعَتْ

تَبكي إليك بكُلِّها عن كُلِّها ... حتّى يُقالَ من البُكاءِ تقطَّعتْ

---

(١) في (أ): لعظم سيئاتهم.
(٢) في المطبوع و (ب): وسمع عمن يسمع من الملاهي. وانظر طبقات الصوفية ٣٥٦.
(٣) طبقات الشافعية ٣/ ٤٩.
(٤) في طبقات الشافعية: إلا بإذن.

فانظُرْ إليها نظرةً فلطالما متَّعَتها من نعمةٍ فتمتَّعَتْ[1]

وقال: كيف تشهدُهُ الأشياءُ وبه فَنِيَتْ ذَواتُها[2] ؟! أم كيف غابَتِ الأشياءُ عنه وبه ظهرَتْ بصفاته ؟! فسُبحانَ مَنْ لا يَشهدُهُ شيءٌ، ولا يَغيبُ عنه شيءٌ.

إنَّ الحقيقةَ غيرُ ما تتوهَّمُ فانظُرْ لنفسِكَ أيَّ حالٍ تَعزِمُ
أتكونُ في القومِ الذين تأخَّروا عن حقِّهم أو في الذينَ تقدَّموا
لا تُخْدَعَنْ فتلومَ نفسَكَ حين لا يُجدي إليكَ تأسُّفٌ وتندُّمُ

وقال:

ولو مضى الكلُّ مِنِّي لم يكُنْ عَجَباً وإنَّما عَجَبي للبعضِ كيفَ بَقِي
أدرِكْ بقيَّةَ روحٍ فيكَ قد تَلِفَتْ قبلَ الفِراقِ فهذا آخِرُ الرَّمقِ

وقال: التَّفكُّرُ على أربعةِ أوجهٍ: فِكرةٌ في آياتِ الله وعلامتُها تَوَلُّدُ المحبَّةِ، وفِكرةٌ في وَعده بالثَّواب وعلامَتُها تَوَلُّدُ الرَّغبةِ، وفِكرةٌ في وَعيده بالعذاب وعلامَتُها تَوَلُّدُ الرَّهبة، وفِكرةٌ في جَفاءِ النَّفسِ مع إحسانِ اللهِ وعلامَتُها تَوَلُّدُ الحَياءِ من الله.

وكان ببغدادَ عشرةُ فِتيانٍ معهم عشرةُ أحداثٍ، واجتمعوا بمحلٍّ فوجَّهوا واحِداً من أحداثهم لحاجةٍ، فأبطأَ، فغضبوا، ثم أقْبَلَ وهو يَضحَكُ، وبيده بطِّيخَةٌ يُقلِّبُها[3] ويَشمُّها، فقالوا: ما شأنُكَ ؟ قال: جئتُ بفائدةٍ، رأيتُ بِشرَ الحافي وضعَ يدَهُ على هذه البطِّيخةِ، فلم أزَلْ واقِفاً، حتّى اشتريتُها بعشرين دِرهماً، أتبرَّكُ بموضعِ يَده، فأخذَ كلٌّ منهم البطِّيخةَ، فقبَّلَها ووضعَها على عينيه، فقال أحدُهم: بما بلغَ بِشرٌ هذا ؟ قالوا: التَّقوى، والعملُ الصَّالحُ، قال: إنِّي تُبتُ، وأنا على طريقةِ بِشرٍ، وقال كلٌّ منهم مثله، وخَرجوا، فغزوا طَرَسوسَ، فاستُشهِدوا، فقال فيهم أبو علي صاحِبُ التَّرجمة:

---

(1) في طبقات الصوفية ٣٥٨:
فانظر إليها نظرة بتعطف فلطالما متَّعتها فتمتَّعت

(2) في طبقات السبكي ٣/ ٥١: وبه فنيت ذواتها عن ذواتها.

(3) في (أ): يقبِّلُها.

فلاذوا به من بعدِ كلِّ نهايةٍ ... لِياذَ مُقرٍّ بالخُضوعِ مع الحدِّ[1]
لعجزٍ وتقصيرٍ عن الواجبِ الذي ... بـه عَـرَفـوه للـودود[2] مـع الـودِّ
فكان لهم بالغزوِ[3] في غايةِ المُنى ... شكوراً لما أَوْلاهُ من رُتَبِ الحمدِ

مات سنة [اثنتين][4] وعشرين وثلاث مئة، ودُفنَ بالقرافة، بقُربِ قبرِ ذي النُّون المصري.

* * *

(٢٩٧) أحمد بن محمد الجَريري(*)

أحمد بن محمد بن الحسين الجَريري، بالجيم أبو محمد، وقيل: بل اسمُه محمد.

---

(١) في الأصل: الجد. والمثبت من طبقات الشافعية ٣/ ٥٣.
(٢) في المطبوع: للورود.
(٣) في طبقات الشافعية: بالعزّ.
(٤) في (أ) و (ب) و (ف): مات سنة وعشرين، وفي المطبوع: سنة عشرين وثلاث مئة، وما بين معقوفين مستدرك من طبقات الصوفية ٣٥٥، وتاريخ بغداد ١/ ٢٣٣.

(*) طبقات الصوفية ٢٥٩، حلية الأولياء ١٠/٣٤٧، تاريخ بغداد ٤/ ٤٣٠، الرسالة القشيرية ١/ ١٤٤، مناقب الأبرار ١٣١/ب، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٧، المنتظم ٦/ ١٧٤، المختار من مناقب الأخيار ٦٠/ب، الكامل لابن الأثير ٨/ ١٤٥، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٦٧، الوافي بالوفيات ٧/ ٣٧٨، البداية والنهاية ١١/ ١٤٨، طبقات الأولياء ٧١، طبقات الشعراني ١/ ٩٤.

قال أخي الأستاذ أبو خالد مأمون الصاغرجي في المختار معلقاً: ضُبط في الكامل لابن الأثير ٨/ ١٤٥ بين قوسين (الجُريري بضم الجيم) وتبعه ابن الملقن في الطبقات ٧١، وزاد: «نسبة إلى جُرير بن عُبَاد أخي الحارث بن عباد، من بني بكر بن وائل» غير أن السمعاني في الأنساب لم يذكره في (الجَريري) ولا في (الجُريري) وأما الذهبي في مشتبه النسبة ١/ ١٥٠ أدرجه فيمن نُسب إلى جَرير بن عبد الله، وقال: وأبو محمد الجَريري شكّله مرات في تاريخ الخطيب بخطِّ ابن مرزوق، وما ذكره ابن ماكولا، ولا ابن نقطة، ولا الفرضي... نقله ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه ٢/ ٢٨١، وقال: وضبطه أبو القاسم القشيري بفتح الجيم، وكذا نقله ابن حجر في تبصير المنتبه ١/ ٣٢٠، وهو الأشبه بالصواب، والله أعلم.

وهو من كِبار أصحابِ الجُنيد، وأُقعِدَ بعده في مَجلسه بوصيةٍ منه.

وكان غزيرَ العلمِ، صحيحَ الطَّريقِ، عَظيمَ الشَّأنِ، بلغَ من الطَّريقِ ما لم يبلغْهُ أهلُ عصرهِ على التَّحقيق، ونظمَ في التَّصوُّفِ ونثَرَ، ورقى دَرَجَ مِنبَرِ الوعظِ فكان كأنَّه في أعلاه حمام هدر[1].

ومنَ كلامه:

أجمعَ أهلُ المعرفةِ على أن للدِّين رأسُ مالٍ وهو عشرُ صِفاتٍ، خَمسةٌ في الظَّاهر، وخمسةٌ في الباطن، فصفاتُ الباطن: حُبُّ اللهِ، وخَوفُ الفِراق منه ـ أي من شُهوده ـ ورجاءُ الوصول إليه[2]، وصفاتُ الظَّاهر: صِدقُ اللِّسانِ، والسَّخاءُ في المال، والتَّواضعُ في البَدَن، وكَفُّ الأذى، واحتمالُهُ بطيبةِ نَفسٍ[3].

وقال: ذِكرُكَ مَنوطٌ بِكَ إلى أن يتَّصِلَ ذِكرُكَ بذِكره، إذ ذاك تخلُصُ من العِلَلِ[4] فما قَرَنَ حَدَثٌ بقِدَمٍ إلاَّ تلاشى، يبقى الأصلُ، وتتلاشى الفروع.

وقال: مَنْ رَضي بدون قَدْره رفعَهُ اللهُ فوقَ غايته.

وقال: إنَّ اللهَ لا يَعبأُ بصاحبِ حكايةٍ، إنَّما يعبأُ بصاحبِ قَلبٍ ودرايةٍ.

وسُئِلَ ما العبادةُ؟ فقال: حِفظُ ما كُلِّفْتَ، وتَركُ ما كُفيتَ.

وقال: مَنْ لم يُحكِّم بينَه وبينَ اللهِ التَّقوى والمُراقبةِ لم يَصل إلى الكشفِ والمُشاهدة.

واعتكَفَ بمكَّةَ شَهراً، لا يأكُلُ، ولا يَنامُ ولا يَمُدُّ رِجله، ولا يَستنِدُ لحائِطٍ، فقيل له: كيفَ قَدرتَ؟ قال: عَلِمَ صِدقَ باطِني فأعانَني على ظاهري.

وقال: لي نحو عشرين سنةً ما مَدَدْتُ رِجلي وقتَ جُلوسي في الخلوةِ أدباً مع الله تعالى.

---

(١) في (أ): هدد.

(٢) كذا هي في المطبوع ثلاث صفات فقط، ولم أجد الخبر في المصادر التي بين يدي.

(٣) الخبر من المطبوع فقط.

(٤) في طبقات الصوفية ٢٦٣: إذ ذاك يرفع، ويخلص من العلل...

وقال: كان بين أصحابنا رجلٌ يُكثرُ أن يقولَ: الله، الله، فوقعَ يَوماً على رأسه جِذعٌ فشجَّهُ، وسقَطَ دَمُه، فكتبَ على الأرضِ الله الله؛ وذلك أنَّ كلَّ إناءٍ يَنضحُ بما فيه.

وقال: قدمتُ من مكَّةَ، فبدأتُ بالجُنَيد لئلاّ يَبغني[1]، فسلَّمتُ، ثمَّ مَضيتُ لمنزلي، فلمَّا صَلَّيتُ الصُّبحَ إذا به خَلفي، فقلتُ: أنا جِئتُكَ أمس لئلاّ تَبغني[2]. قال: ذاكَ فضلُكَ، وهذا حَقُّكَ.

وكان لا يَلبَسُ إلاَّ ثَوباً واحداً، فسُئِلَ عنه، فقال: كان في جامع بغداد فقيرٌ لم يجتمع له ثوبانِ قطُّ في شتاء ولا صيف[3]، فسُئِلَ عن حاله فقال: كنتُ مُولَعاً بكثرةِ لبسِ الثِّيابِ، فرأيتُ كأنِّي أُدخِلْتُ الجنَّةَ، وجماعةٌ فقراءُ على مائدةٍ، فأردتُ الجلوسَ معهم، فأقامَني الملائكةُ، وقالوا: هؤلاءِ أصحابُ ثَوبٍ واحدٍ، وأنتَ صاحِبُ ثَوبَيْن، فانتبهتُ ونذَرتُ أن لا ألبَسَ إلاَّ واحِداً.

وقال: مَنْ توهَّمَ أنَّ عَملاً من أعماله يُوصلُهُ إلى مأمولِه الأعلى أو الأدنى فقد ضَلَّ عنِ الطَّريق؛ لأنَّ المُصطفى يقولُ: «لن يُنجي أحدَكم عمَلُهُ»[4] فما لا يُنجِّي من المخوفِ فكيف يبلغُ إلى المأمول؟ ومَنْ صَحَّ اعتمادُهُ على فَضلِهِ فذاكَ الذي يُرجى له الوصول.

وقال: أمرُنا هذا كلُّه مَجموعٌ على فضلٍ واحدٍ، وهو أن تُلزِمَ نفسَكَ المُراقبةَ، ويكونَ العلمُ على ظاهرِكَ قائماً.

وكان عندَهُ جماعةٌ، فقال: هل فيكم من إذا أرادَ اللهُ أن يُحدِثَ في المملكةِ حَدَثاً أعلمَهُ به قبل إبدائه؟ قالوا: لا، فقال: مُرُّوا، وابكوا على قلوبٍ لم تجِدْ من الله شيئاً من هذا.

---

(١) في مناقب الأبرار ١٣٢/ب، والمختار ٦٠/ب: لكي لا يتعنّى إليَّ.

(٢) في مناقب الأبرار ١٣٢/ب، والمختار ٦٠/ب: لكي لا تتعنّى إليَّ.

(٣) في الأصول: كان ببغداد فقير لا يرى في السنة إلا مرة في الشتاء ومرة في الصيف. والمثبت من مناقب الأبرار ١٣٤/أ، وطبقات الأولياء ٧٣، ٧٤.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٤٨٢، ٤٨٨، ٥٠٣ عن أبي هريرة، ورجاله رجال الصحيح، وانظر إلى روايات الحديث في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٥٦.

وقال: مَنِ استولتْ عليه النَّفسُ صارَ أسيراً في حُكمِ الشَّهواتِ، مَحصوراً في سجنِ الهَوى، يُحرِّمُ اللهُ على قلبه الفوائِدَ، فلا يستلِذُّ بكلامه، ولا يَستحليه، وإنْ كَثُرَ تَردادُهُ على لسانه[1].

وجاءَهُ رجلٌ فقال: كنتُ على بِساطِ الأُنسِ، ففُتِحَ عليَّ من بساطِ[2] البَسْطِ فزللتُ زلَّةً، فحُجِبْتُ عن مكاني[3]، فكيفَ السَّبيلُ إليه، فدُلَّني على الوصولِ إلى ما كنتُ عليه؟ فبَكى وأبكى، ثم قال: الكلُّ في قهرِ هذه الخطيئة[4]، لكن أُنشِدُكَ أبياتاً فيها جوابُكَ:

قِفْ بالدِّيارِ فهذه آثارُهُم ... تَبكي الأحِبَّةَ حَسرةً وتشَوُّقاً

كم قد وقفتُ بربعِها مُستخبِراً ... عن أهلِها أو حائراً أو مُشفقا[5]

فأجابَني داعي الهوى لي مُسرعاً[6] ... فارقتَ مَنْ تَهوى فعزَّ المُلتقى

ومَنْ فارَقَهُ الأحبابُ، هجَرَ الأسبابَ، ولَزِمَ الاكتئاب، والشَّجوَ والانتحاب، وواصَلَ اللَّيلَ والنَّهار، واتَّبعَ المنازِلَ والآثار.

ماتَ سنةَ أربعٍ، أو إحدى عشرة وثلاث مئة.

قال ابنُ عطاء: جِزتُ بقبره بعد سنةٍ من موته فرأيتُهُ جالِساً، وهو يُشيرُ إلى اللهِ بأُصبعه.

* * *

---

(١) انظر تتمة قوله في طبقات الصوفية ٣٦٢.
(٢) في طبقات الصوفية ٢٦٤، والمختار ٦٠/ب: ففتح لي طريق إلى البسط.
(٣) في طبقات الصوفية ٢٦٤، والمختار ٦٠/ب: مقامي.
(٤) في طبقات الصوفية ٢٦٤، والمختار ٦٠/ب: الخطة.
(٥) في طبقات الصوفية ٢٦٤، والمختار ٦٠/ب:
كم قد وقفت بها أُسائِلُ مخبراً ... عن أهلها أو صادقاً أو مشفقا
(٦) في طبقات الصوفية، والمختار: فأجابني داعي الهوى في رسمها.

(٢٩٨) أحمد الأعرابي البَصري (*)

أحمد بن محمد، أبو سعيد الأعرابي البصري، إمامٌ عامِلٌ، ورعٌ للواءِ الزُّهدِ حامِل، تعلَّقَ بأطواقِ الأخلاقِ الجميلة، وجاوَرَ بالحرَمِ المكِّيّ مُدَّةً طَويلة، وتركَ الدُّنيا مع القُدرة عليها، وعزبَتْ نَفسُهُ عنها، فما اشتغلَ بها، ولا نَظَرَ إليها.

صَحِبَ الجُنَيد وطبقَته.

وصنَّفَ كُتباً في الطَّريق، وكان له دربةٌ[1] تامَّةٌ بسياسة المُريدينَ ومصالحهم، وقودهم إلى الرِّياضة بعد تقاعُسهم، وكان مع ذلك من كبارِ المُحدِّثين.

وصفَهُ الذَّهبي[2] وغيرُه بالإمام الحافظِ الثِّقةِ الزَّاهد.

سمعَ من الذِّماري[3]، الزَّعفراني وتلك الطبقة.

وروى عنه الطَّبراني، والخطَّابي، وخَلقٌ، وذكَرَ ابنُ مَندة أنَّه كتبَ عنه ألفَ جزء[4].

(*) طبقات الصوفية ٤٢٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٥، الرسالة القشيرية ١/ ١٧٦، تاريخ ابن عساكر ٧/ ٣٠٥، المنتظم ٦/ ٣٧١، المختار من مناقب الأخيار ٦٣/ أ، مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٢٦١، العبر ٢/ ٢٥٢، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٠٧، تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٥٢، مرآة الجنان ٢/ ٣٣١، البداية والنهاية ١١/ ٢٢٦، طبقات الأولياء ٧٧، لسان الميزان ١/ ٣٠٨، العقد الثمين ٣/ ١٣٧، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٠٦، طبقات الشعراني ١/ ١١٧، شذرات الذهب ٢/ ٣٥٤، معجم المؤلفين ٢/ ١٠٣.

(١) في (ب): رؤية.

(٢) العبر ٢/ ٢٥٢، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٠٧.

(٣) كذا في الأصول، ولعلها تصحيف عن الدُّوري، أو المنادي. فلم أجد في المصادر التي بين يدي أحداً روى عنه بهذا الاسم، وفي (أ): البرماوي.

(٤) في (ب): ألف حديث.

ومن كلامه:

قَلَّ مَنِ ادَّعى القُوَّةَ في أمرٍ إلاَّ وخُذِلَ ووُكِّلَ إلى نَفسه.

وقال: لو قيلَ للعارِفِ أنتَ تَبقى في الدُّنيا، ماتَ كَمَداً، فما طابت الدُّنيا لهم إلاَّ مع ذكرهم الخُروجَ منها.

وقال: مَدارجُ العلومِ بالوسائط، ومَدارِجُ الحقائقِ لا تكونُ إلاَّ بالمُكاشفَةِ.

وقال: أفضَلُ أوقاتِكَ وَقتٌ يكونُ الحقُّ فيه عنكَ راضياً.

وقال: من أخلاقِ الفُقراءِ السُّكونُ عندَ الفَقدِ، والاضطرابُ عند الوجودِ، والأُنسُ بالهُمومِ، والوَحْشَةُ عندَ فرَحِ النَّاسِ بالدُّنيا.

وقال: أخسَرُ الخاسرينَ مَنْ أبدى للنَّاسِ صالِحَ عَمَله، وبارَزَ بالقَبيحِ مَنْ هو أقرَبُ إليه من حبلِ الوَريد.

وقال: الوَجْدُ رَفعُ الحِجابِ، ومُشاهدَةُ الرَّقيبِ، وحضورُ الفَهم، ومُلاحظةُ الغَيب، ومُحادثَةُ السرِّ، وإيناس المَفقود، وهو فَناؤكَ أنتَ من حيثُ أنتَ.

وقال: أوَّلُ دَرجاتِ الخُصوصِ ميراثُ التَّصديقِ بالغَيب، فلمَّا ذاقوه وسطَعَ في قُلوبهم نُورُهُ زالَ كلُّ شَكٍّ وريبَةٍ.

وقال: الوَجْدُ ما يكونُ إلا عند[1] ذِكرٍ مُزعجٍ، أو خَوفٍ مُقلقٍ، أو تَوبيخٍ على زَلَّةٍ، أو مُحادثةٍ بلطيفةٍ، أو إشارَةٍ إلى فائدةٍ، أو شَوقٍ إلى غائِبٍ، أو أسَفٍ على فائِتٍ، أو ندَمٍ على ماضٍ، أو استجلابٍ إلى حالٍ، أو داعٍ إلى واجِبٍ، أو مُناجاةٍ بسِرٍّ.

ماتَ سنةَ إحدى وأربعين وثلاث مئة عن أربعٍ وتسعين سنة.

قال الخَليلي: كان ثقةً، يُثني عليه كلُّ مَنْ لَقيَه.

* * *

---

(١) في (أ) والمطبوع: ما يكون عند...

(٢٩٩) أحمد بن محمد الدِّينوري(*)

كانَ من أحسَنِ المشايخِ طَريقةً، وأمثَلِهم سَيراً في علمِ الحَقيقةِ، أطاعَتْهُ الصُّوفيَّةُ وساعدَتْه، وتأخَّرَتِ الخُطوبُ وباعدَتْه.

أخَذَ عنَ الخرَّازِ، وغيره.

ومن كلامه:

أدنى الذِّكرِ أن تَنسى ما دونَه، ونهايَتُهُ أن يَغيبَ الذَّاكِرُ في الذِّكرِ عنِ الذِّكرِ بغرَقِهِ في مَذكوره، بحيثُ لا يرجِعُ له مَقامُ الذِّكرِ، وهذا حالُ الفَناءِ.

وقال: لِسانُ الظَّاهرِ(١) لا يغيِّرُ ـ أي يُنافي ـ حكمَ الباطِنِ. يعني ما يقعُ في القلبِ من المواهبِ وخَوارقِ العاداتِ بل يَعضُدُه.

وقال: العالَمُ مُتفاوتون في ترتيب مشاهداتِ(٢) الأشياء، فقومٌ رجعوا من الأشياءِ إلى الله، فشاهَدوا الأشياءَ حيثُ الأشياء.

ماتَ بسمرقند بعد الأربعين وثلاث مئة.

* * *

(٣٠٠) أحمد بن محمد بن أحمد العباسي الهاشمي(**)

الشَّيخ أبو الطَّيب، المعروف بابن بنتِ الشَّافعي، كانَ من العُلماءِ الأمجاد،

(*) طبقات الصوفية ٤٧٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٣، الرسالة القشيرية ١/ ١٨٩. مناقب الأبرار ٢٠٦/أ، المختار من مناقب الأخيار ٧٠/أ، طبقات الأولياء ٧٩، طبقات الشعراني ١/ ١٢٢.

(١) في طبقات الصوفية ٤٧٧، ومناقب الأبرار ٢٠٦/ب: لباس الظاهر، وما في الأصل موافق لإحدى روايات الرسالة القشيرية ١/ ١٨٩.

(٢) في الأصل: العلماء مترتبون في مشاهدات. والمثبت من طبقات الصوفية ٤٧٦، ومناقب الأبرار ٢٠٦/ب، والمختار من مناقب الأبرار ٧٠/أ، وانظر تتمة الخبر فيها.

(**) تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٩٦، طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ١٨٦، طبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٧٨، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٩، حسن المحاضرة ١/ ٣٠٦، ٣٩٨، تحفة الأحباب للسخاوي الحنفي ٢٦٠.

والعُبَّادِ الزُّهَّاد، كارِعاً من بحرِ الزُّهد، مُكتحلاً في ليلِ الطَّاعةِ بميلِ السُّهد، مُتصدِّياً للتربية والإفادة، مُتصدِّراً في مجالس العبادة.

أخَذَ التَّصوُّفَ عنِ الدقَّاقِ وغيره، وسمعَ الحديثَ على جماعةٍ.

ومن كلامه:

الصَّلاةُ تُبلِّغُكَ نِصفَ الطَّريق، والصَّومُ يُبلِّغُكَ بابَ الملك، والصَّدَقةُ تُدخِلُكَ[1] عليه.

ماتَ سنةَ ثلاثٍ وسبعين وثلاث مئة، ودُفِنَ بالقَرَافة.

* * *

(٣٠١) أحمد المُسُوحيُّ[*]

أحمد بن إبراهيم، أبو علي المُسُوحي، وقيل: الحسنُ بن علي[2]، من كبار مشايخ[3] الصوفية، قَدرُهُ خَطير، وبَنانُ الزَّمانِ إليه بالرِّفعَةِ يُشير.

قال الخطيب[4]: كانَ من أفاضِلِ النَّاسِ، وكان يحجُّ بقميصٍ ورِداءٍ ونعلِ طاق، ولا يَحمِلُ معه شيئاً، لا رَكوةً ولا كوزاً، إلاَّ كوزاً فيه تُفَّاحٌ يَشمُّهُ من بغداد إلى مكَّة.

قيل له: ما الذي ينقضُ العزمَ؟ قال: طولُ الأملِ، وحُبُّ الرَّاحة.

---

(١) في (أ) و (ب) و (ف): تدلُّك.

(*) تاريخ بغداد ٤/ ١١، الأنساب ١١/ ٣٢٠، صفة الصفوة ٢/ ٤٢٦، المختار من مناقب الأخيار ٥٥/أ، اللباب ٣/ ١٤٠.

(٢) بل الحسن بن علي المسوحي رجل آخر غير أحمد بن إبراهيم، وقد توفي بعد سنة ستين ومئتين، أي أنه من رجال الطبقة الثالثة، وانظر ترجمته في حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٢، تاريخ بغداد ٧/ ٣٦٦، الأنساب ١١/ ٣٢١، صفة الصفوة ٢/ ٤٢٥، المختار من مناقب الأخيار ١٢٧/ب، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٨٠، الوافي بالوفيات ١٢/ ١٦٦، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٤.

(٣) في (أ): رئيس من مشايخ الصوفية.

(٤) تاريخ بغداد ٤/ ١٢.

وقال: الأُنسُ، لو ماتَ من تحتَ السَّماءُ ما استوحشتُ[١].

* * *

(٣٠٢) أحمد بن جعفر بن هانئ(*)

أحمد بنِ جعفر بن هاني، المَملوءُ من المعارفِ والمعاني، المَكلوءُ من الفُتورِ والتّواني، كانت له الأحوالُ الرَّفيعة، والكراماتُ الخارقَةُ البَديعة.

ومن كلامه:

لا تأتي العبدَ المعونةُ من مَولاهُ وهو مُعتمِدٌ على غيره، وإذا ناصَحَ العبدُ مَولاهُ في معاملَتِه ألبسَهُ خلعةً يظهرُ عليه بهاءُ نوره، ومَنْ لم يُحكِّمْ[٢] فيما بينَه وبينَ رَبِّه التَّقوى والمُراقبة، حُجِبَ عنِ الكَشفِ والمُشاهدةِ، ومَنْ آثَرَ مَولاهُ، حَماهُ من رجسِ الدُّنيا، ولم يَكِلهُ إلى غيره.

وقال: مَنْ كانتِ الدُّنيا طريقَهُ إلى الجنَّةِ، نُصِبَتْ له منابِرُ الدَّلالَةِ، لئلاّ يضِلَّ عنها.

وقال: إذا سكَنَتِ الخَشيةُ القلبَ، سَرى عِلمُ التَّوحيدِ في الجوارِحِ.

* * *

(٣٠٣) علي بن أحمد بن سهل البُوشَنجي(**)

من أوحَدِ فِتيانِ خُراسان، لَقِيَ أبا عُثمان، وصَحِبَ ابنَ عَطاءٍ وغيرَه من أولئكَ الأعيان.

---

(١) هذا القول للحسن بن علي المسوحي، وقد ذكرته أغلب مصادر ترجمته.

(*) حلية الأولياء ١٠/ ٤٠٥، المختار من مناقب الأخيار ٥٥/ أ.

(٢) في (ب): من لم يَحكم بما أنزل الله فيما بينه...

(**) طبقات الصوفية ٤٥٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٩، الرسالة القشيرية ١/ ١٨٣، المنتظم ٦/ ٣٩١، مناقب الأبرار ٢٠١/ أ، المختار من مناقب الأخيار ٢٨٨/ ب، مختصر =

وكان عالِماً بعلومِ التَّوحيدِ والمعاملات، عارِفاً بالجَلوةِ والخَلوةِ والمُنازلات، حرَّكَ السَّواكِنَ بكلماته، وشَنَّفَ الأسماعَ بِدُرِّ معاني إشاراته.

ومن كلامه:

كان التَّصوُّفُ حَقيقةً ولا اسم، والآن اسمٌ ولا حقيقة.

وقال: شَرطُ الوَليِّ أن يكونَ باطِنُهُ أفضلَ من ظاهره، وشَرطُ العالِمِ استواءُ ظاهره وباطنه، وعلامَةُ الجاهلِ كونُ ظاهره أفضلَ من باطنه، ولذا لا ينصفُ من نفسه، ويَطلبُ الإنصاف من غيره(١).

ماتَ سنةَ ثمانٍ وأربعين وثلاث مئة.

* * *

(٣٠٤) أحمد الخياط الدَّيْبُلي الشَّافعيُّ(*)

كان صالِحاً زاهِداً فَقيهاً وَرِعاً عابِداً شافعيًّا.

أقامَ بمصرَ مُعتكِفاً ثلاثينَ سنةً، وما سألَ أحداً شَيئاً قَطُّ.

كان ذا أحوالٍ ومُكاشفاتٍ، مَرِضَ، فقال لخادمه: حضرَتِ الملائكةُ عندي، وقالوا: تَموتُ ليلةَ الأحد، فلمّا كان ليلةُ الأحدِ صَلَّى المغرِبَ والعِشاءَ، وأخذَ في السِّياقِ إلى مُنتصفِ اللَّيلِ، فقرأ خَمسينَ آيةً، ومات.

ودُفنَ بالقرافة تحت رجل قبر ابن بابِشاذ(٢) النَّحوي بقُربِ الشَّابِّ التَّائب، سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ وثلاثِ مئة.

= تاريخ دمشق ١٧/ ١٧٨، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٣٤٤، طبقات الأولياء ٢٥٢، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٢٠، طبقات الشعراني ١/ ١٢٠. وفي الأصول اسمه: أحمد بن سهل والمثبت من مصادر ترجمته. والترجمة ليست في (ف). وسيترجم له المؤلف مرة ثانية في الطبقات الصغرى: ٤/ ٤٥٤.

(١) هذا الخبر لم أجده في مصادر ترجمته.

(*) طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح ١/ ٤٠٣، الوافي بالوفيات ٨/ ١٣٨، طبقات السبكي ٣/ ٥٥، طبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٥٢١، حسن المحاضرة ١/ ١٨٨.

(٢) طاهر بن أحمد بن باب شاذ المصري الجوهري، إمام عصره في علم النحو، تعلم في=

(٣٠٥) أحمد السَّبتيُّ المُقرئ(*)

ابنُ أميرِ المؤمنين هارون الرَّشيد، كذا ذكرَه ابنُ عربي، كانَ وحيدَ زَمانه، وقُطبَ أوانه، تركَ الرِّياسَةَ، وعَدَّها نجاسَةً، حتَّى بلَغَ الأربَ، ورَقى إلى أعلى الرُّتب.

قال ابنُ عربي: كانَ يَصومُ سِتَّةَ أيَّامٍ من كلِّ جمعةٍ، ويَشتغِلُ بالعِبادَةِ فيها، فإذا كان يوم السَّبتِ احترَفَ فيما يأكُلُه بقيَّةَ الأسبوع، ولهذا سُمِّيَ السَّبتي، ولقيتُهُ بالطَّوافِ يومَ جمعةٍ بعدَ الصَّلاةِ، وأنا أطوفُ، فلم أعرِفْهُ، غيرَ أنِّي أنكرتُهُ وأنكَرْتُ حالَتَه في الطَّواف؛ فإنِّي ما رأيتُهُ يُزاحِمُ ولا يُزاحَمُ، ويَخترِقُ الرَّجُلين المُتلاصقين، ولا يفصِلُ بينَهما، فعلِمْتُ أنَّه روحٌ، وتجسَّدَ فمسكتُهُ وسلَّمْتُ عليه، فرَدَّ السَّلامَ، وماشَيتُهُ ووقَعَ بيني وبينَه كلامٌ ومُفاوَضةٌ، فكان منها أنِّي قلتُ له: لِمَ خصَّصتَ يومَ السَّبتِ بعملِ الحِرفة؟ فقال: لأنَّه تعالى ابتدأَ خَلْقَنا يومَ الأحد، وانتهى الفَراغُ منه في يومِ الجمعة، فجعلتُ تلكَ الأيَّامَ في عِبادةِ الله تعالى لا أشتغِلُ فيها بما فيه حظٌّ نَفسي، فإذا كان يوم السَّبتِ انفرَدْتُ لحظِّ نفسي، فاحترفتُ بما أتقوَّتُ به تلكَ الأيَّام، فإنَّه تعالى نظَرَ إلى ما خلقَ يومَ السَّبتِ، وقال له: أنا الملكُ، لظهورِ المُلك ولهذا سُمِّي يومُ السَّبت، والسَّبتُ الرَّاحة، ولهذا أخبرَ تعالى أنَّه ما مَسَّه من لغوب[1] فيما خلقه، واللُّغوبُ الإعياء، فهي راحةٌ لا عن تعَبٍ، كما هي في حَقِّنا، فعجبتُ من فِطنته، فسألتُه

= العراق، وولي إصلاح ما يصدر من ديوان الإنشاء بمصر. مات سنة ٤٦٩ للهجرة. من كتبه «المقدمة» في علم النحو تعرف بمقدمة ابن بابشاذ. الأعلام.

(*) صفة الصفوة ٢/ ٣٠٩، المختار من مناقب الأخيار ١٧٢/ ب، وفيات الأعيان ١/ ١٦٨، روض الرياحين ٩١ (حكاية ١٨)، الوافي بالوفيات ٩/ ٢٢١، كتاب التوابين. توفي سنة أربع وثمانين ومئة قبل الرشيد، فهو من رجال الطبقة الثانية. انظر وفيات الأعيان والوافي.

(١) إشارة لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

مَنْ كانَ قطبَ الزَّمانِ في وقتِكَ ؟ فقال: أنا، ثم وادعَني[1] وانصرف.

* * *

(٣٠٦) أحمد بن محمد المقرئ

كان ممَّن اشتهرَ في التَّصوُّفِ فَضلُه، ونزعَ في قوسِ المُجاهدةِ فأصابَ الصَّوابَ نبلُه، صَحِبَ الجَريريَّ وغيرَه، فاشتهرَ ذِكرُه وعلا قَدرُه.

ومن كلامه:

إذا ظَنَّ النَّاسُ فيكَ الخوفَ من اللهِ، أو قيامَ اللَّيلِ فحقِّقْ ظَنَّهُم، وإيَّاكَ أن يَظنُّوا بكَ خَيراً وأنتَ على ضِدِّه؛ فإنَّه خسرانٌ ونفاق.

وقال: إنَّ اللهَ يَسوقُ للعبدِ الرِّزقَ بقَدَرِ ما في قَلبه من الكرمِ والجود.

ماتَ سنةَ ستِّين وثلاث مئة.

* * *

(٣٠٧) أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدَميُّ[*]

عارِفٌ، ورَعُهُ مَعروف، وزُهدُهُ مَوصوف، وأعمالُهُ مَبرورةٌ، ومُجاهداتُهُ مَشهورةٌ، نعم وكان ذا دِيانَةٍ رَسَتْ أطوادُها، وصِيانَةٍ أثمرَتْ أعوادُها، ومنزلَةٍ ثابتَةِ الأساس، ورُتبةٍ عاليةٍ شامخَةٍ عندَ النَّاس، ولم يَزَلْ يَدأَبُ في الخِدمةِ حتى كانَ يَختِمُ كلَّ ليلةٍ ختمةً.

---

(١) في (أ): ثم أودعني.

(*) طبقات الصوفية ٢٦٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٢، تاريخ بغداد ٥/ ٢٦، الرسالة القشيرية ١/ ١٤٦، مناقب الأبرار ١٣٤/أ، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٤، المنتظم ٦/ ١٦٠، المختار من مناقب الأخيار ٦٣/ب، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٥٥، العبر ٢/ ١٤٤، الوافي بالوفيات ٨/ ٢٤، مرآة الجنان ٢/ ٢٦١، البداية والنهاية ١١/ ١٤٤، طبقات الأولياء ٥٩، طبقات الشعراني ١/ ٩٥ شذرات الذهب: ٢/ ٢٥٧.

صَحِبَ الجُنَيدَ، وغيرَه.

ومن كلامه:

مَنْ أَلزَمَ نَفسَهُ آدابَ السُّنَّةِ عمَّرَ اللهُ قَلبَهُ بنورِ المعرفةِ.

وسُئِلَ إلى ما تسكُنُ قلوبُ العارفين؟ قال: إلى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾؛ لأنَّ في ﴿بسم الله﴾ هَيبَتَهُ، وفي اسمه ﴿الرَّحمن﴾ عَونَهُ ونُصرَتَهُ، وفي ﴿الرَّحيم﴾ محبَّتَهُ ومودَّتَهُ.

وقال: سُبحانَ مَنْ فرَّقَ بين هذه المعاني في لطائِفها، وبين هذه الأسامي في غوامِضها.

وقال: علامَةُ الصَّادقِ رِضا القلبِ بالمَكروه.

وقال: علامَةُ الوَليِّ أربعةٌ: صِيانَةُ سِرِّه فيما بينَهُ وبينَ الله، وحِفظُ جوارحه فيما بينَه وبينَ أمرِ الله، واحتِمالُ الأذى فيما بينَهُ وبينَ الخَلْق، ومُداراةُ الخَلقِ على تفاوتِ عُقولهم.

وقال: مَنْ شاهَدَ الحقَّ بالحقِّ انقطعَتْ عنه الأسبابُ كُلُّها؛ ومادامَ يُلاحِظُ شيئاً فهو غيرُ مُشاهِدٍ لحقيقةِ الحقِّ، وهذا مقامُ مَنْ صَفَتْ له الولايةُ، ولم يُحجب عنه في المنتهى والغاية.

وسُئِلَ عن حديثِ: «طلبُ العلمِ فَريضَةٌ»[1]، فقال: عِلمُ الحال، وعِلْمُ الوقت، وعِلمُ السِّرِّ في جهلِ الوقت، وما علمته، فمَنْ لم يعلم ذلك فقد جَهِلَ العلمَ الذي أُمِرَ به[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١/ ٨١ (٢٢٤) في المقدمة، باب فضل العلماء، والحث على طلب العلم، والطبراني في الأوسط ١/ ٣٣ (٩) والكبير ١٠/ ١٩٥ (١٠٤٣٩)، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٣٢٣، والخطيب في تاريخ بغداد ١٠/ ٣٧٥. والحديث ضعيف انظر إلى ما قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١١٩، ١٢٠.

(٢) في مناقب الأبرار ١٣٦/ب: وعلم السر، فمن جهل وقته وما عليه فيه، فقد جهل الوقت الذي أُمر به.

وقال: قوامُ الإسلامِ وشرائِعه بالمنافقين[1]، وقوامُ الإيمان وشرائعه بالعارفين[2].

وسُئِلَ عن نعتِ الفقراء، فقال: قَومٌ أفرَدَهم الحقُّ في خَلقه، ليفردوه في تأديةِ حقِّه، وأنشدَ في المعنى:

فــاءُ الفقيــرِ فنــاؤه لبقــائــه … والقــافُ قُــربُ محلِّــه بلقــائــهِ

واليــاءُ يَعلـمُ كـونَـه عَبـداً لـه … في جُملة العُتقاءِ من تلقائهِ

والرَّاءُ راحةُ جسمِهِ من كدِّه … وبــلائــهِ وعنــائــهِ وشَقــائــهِ

هذا الفقيرُ متى طلبتَ وجدتَهُ … في جُملةِ الأصحابِ من رُفقائهِ

أهلُ الصِّيانَةِ والدِّيانَةِ والتُّقى … بمصونِ قصدِ الحقِّ من تِلقائهِ

ماتَ سنةَ تسعٍ، أو إحدى عشرة وثلاثِ مئة.

* * *

(٣٠٨) أحمد بن يحيى الجلاّء(*)

من عُظماءِ مَشايخِ الصُّوفيَّة، سُمِّيَ به لأنَّه كان إذا تكلَّمَ جَلا القلوب، وإذا وعَظَ أتى بكلِّ مَطلوب، ذا تعبُّدٍ لا يُستطاع، وولايةٍ وتألُّهٍ وانقطاع، رحَلَ إليه المُريدونَ واستفادوا، وبَلَغوا من اقتباسِ المعارفِ ما أرادوا، وهو بغداديٌّ

---

(١) لعلّه يقصد بقوله: «قوام الإسلام وشرائعه بالمنافقين» حكّام السّوء والجور الظالمين، فقد كانت له معهم وقفة كما قال الذهبي في السير ١٤/ ٢٥٦ عن السلمي: امتُحِنَ بسبب الحلاّج، وطلبه حامد الوزير، وقال: ما الذي تقول في الحلاّج؟ فقال: ما لك ولذلك؟ عليك بما نُدبت له من أخذ الأموال، وسفك الدماء، فأُمر به ففكّت أسنانه، فصاح: قطع الله يديك ورجليك، ومات بعد أربعة عشر يوماً، ولكن أجيب دعاؤه، فقطعت أربعة حامد.

(٢) في مناقب الأبرار ١٣٨/ ب: وقوام الإيمان وشرائعه بالعارفين والعالمين بالله.

(*) طبقات الصوفية ١٧٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣١٤، تاريخ بغداد ٥/ ٢١٣، الرسالة القشيرية ١/ ١٢٥، الأنساب ٣/ ٣٩٧، مناقب الأبرار ١٠٨/ أ، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٣، المنتظم ٦/ ١٤٨، المختار من مناقب الأخيار ٧٢/ أ، مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٣٢٢ =

الأصلِ، سَكَنَ الرَّملةَ، وأخَذَ عن ذي النُّونِ، وغيره.

ومن كراماته العليَّةِ المِقدار، ما قال: دخلتُ المدينةَ الشَّريفةَ وبي فاقَةٌ، فتقدَّمتُ إلى قبرِ المُصطفى ﷺ، فقلتُ: يارسول الله، أنا ضيفُكَ، فغفوتُ غَفوةً، فرأيتُهُ، وقد أعطاني رَغيفاً، فأكلتُ نِصفَهُ، فانتبهتُ وبيدي النِّصفُ الآخر[1].

ولمّا ماتَ نَظروهُ يَضحكُ، فقال الطَّبيبُ: هو حَيٌّ، ثمّ نظرَ إلى مجسِّه، فقال: ميتٌ، ثمّ كشفَ عن وجهه، فقال: لا أدري، وصارَ يضحَكُ وهو على المُغتسَلِ، فلم يجسُرْ أحدٌ على تغسيله، حتّى جاءَ واحدٌ من أقرانه فغسَّلَهُ.

وكان في جلده عِرقٌ على شكلِ اسم الله.

ومن كلامه:

مَنِ استوى عندَهُ المَدحُ والذَّمُّ، فهو زاهِدٌ، ومَنْ حافَظَ على أداءِ الفَرضِ في وقته، فهو عابِدٌ، ومَنْ رأى الأفعالَ كلَّها من اللهِ، فهو مُوَحِّدٌ.

وقال: مَشيتُ مع أستاذي فرأيتُ حَدَثاً جَميلاً، فقلتُ: يا أستاذ، ترى يُعذِّبُ اللهُ هذه الصُّورةَ؟ فقال: إذا نظرتَ إليها فسترى غِبَّه[2]، فنسيتُ القرآنَ بعد عشرين سنة.

وقال: سَمَتْ هِمَمُ المُريدينَ إلى طَلَبِ الطَّريقِ إليه، وسَمَتْ هِمَمُ العارِفينَ إلى مَولاهُم فلم يَلتفِتوا إلى سِواه.

وقال: لا تُضيِّعْ حقَّ أخيكَ اتِّكالاً على ما بينَكَ وبينَهُ من المودَّةِ؛ فإنَّ اللهَ فرَضَ لكلِّ مؤمنٍ حُقوقاً لا يُضيِّعُها إلاَّ مَنْ لم يُراعِ حَقَّ اللهِ عليه.

= سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٥١، العبر ٢/ ١٣٢، مرآة الجنان ٢/ ٢٤٩، الوافي بالوفيات ٨/ ٢٣٩، البداية والنهاية ١١/ ١٢٩، طبقات الأولياء ٨١، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٠، طبقات الشعراني ١/ ٨٧، شذرات الذهب ٢/ ٢٤٨.

(١) ويُروى هذا الخبر عن أبي الخير الأقطع انظر ٢/ ٤٥.

(٢) الغب: عاقبة الشيء. القاموس (غبب). في المطبوع: غيّة.

وقال: مَنْ بَلَغَ بنفسه إلى رتبةٍ سقَطَ عنها، ومَنْ بُلِغَ [به] ثبتَ عليها[1].

وقال: مَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ عنِ الأكوانِ وصَلَ إلى مُكوِّنِها، ومَنْ وَقَفَ[2] بهِمَّتِهِ على شيءٍ سِوى الحقِّ فاتَهُ الحقُّ؛ لأنَّه أعَزُّ من أنْ يَرضى معه بشريك.

قال: مَنْ لم يَحفَظْ حَقَّ أُستاذِهِ وشَيخِه لا يُكافأ في حياةِ الشَّيخ، لأنَّ له بالمُريدينَ رَحمةً وشفَقةً، بل يُنتقمُ منه بعدَ موتِ شَيخه.

وسُئِلَ متى يَستحِقُّ الفَقيرُ اسمَ الفقرِ؟ قال: إذا لم يَبقَ عليه بَقيَّةٌ منه، قيل: وكيف؟ قال: إذا كان له فليس له، وإذا لم يكن له فهو له.

وسُئِلَ عنِ الفقرِ، فسَكَتَ حتّى خلا، ثمّ ذهبَ ورجعَ عن قُرْبٍ، وقال: عِندي أربعةُ دَوانِقَ، فاستحيَيْتُ من اللهِ أنْ أتكلَّمَ في الفَقرِ وهي عِندي، فذهبتُ فأخرَجْتُها، ثمّ تكلَّمَ فيه.

ماتَ سنةَ سِتٍّ وثلاثِ مئة.

* * *

(٣٠٩) أحمد بن عطاء الرُّوذْبَاري(*)

أحمد بن عطاء الرُّوذباري، ثمَّ الصُّوري، العالَمُ الظَّريف، والنَّاسِكُ الشَّريفُ النَّظيف، له اللِّسانُ المَبسوط، والبَيانُ الذي بالحقِّ مَربوط، وقَفَ على مراتبِ المأسورين، ومقاماتِ أهلِ البَلاءِ من المأخوذين، فتمنَّى ما خُصُّوا به من

---

(١) ما بين معقوفين من طبقات الصوفية ١٧٧.

(٢) في (أ) و (ب): ومن وثق.

(*) طبقات الصوفية ٤٩٧، حلية الأولياء ١٠/٣٨٣، تاريخ بغداد ٤/٣٣٦، الرسالة القشيرية ١/١٩٦، مناقب الأبرار ٢١١/أ، المنتظم ٧/١٠١، الكامل لابن الأثير ٨/ ٧١٠، معجم البلدان ٣/ ٧٧، المختار من مناقب الأخيار ٥٧/أ، مختصر تاريخ دمشق ٣/١٦٨، سير أعلام النبلاء ١٦/٢٢٧، ميزان الاعتدال ١/١١٩، الوافي بالوفيات ٧/ ١٨٤، مرآة الجنان ٢/ ٤٩، البداية والنهاية ١١/ ٢٩٦، طبقات الأولياء ٥٤، طبقات الشعراني ١/١٢٣، النجوم الزاهرة ٤/١٣٧، شذرات الذهب ٣/٦٨، وسيذكره المؤلف رحمه الله في طبقاته الصغرى مرة أخرى ٤/ ٣٢٣. =

الصَّفاءِ والاعتلاء، فعُومِلَ بما تمنَّى من المِحَنِ والابتلاء[1]، وكانَ شَيخَ الشَّامِ في وَقته، مُفنّناً في علوم الشَّريعةِ والحقيقة، وهو ممَّن علا في طريقِ القَومِ قَدرُهُ، واشتهرَ ذِكرُه، وتميَّزَ فَضلُه، حتى عزَّ في عصره أن يُوجَدَ مِثلُه.

ومن كلامه:

الذَّوقُ أوَّلُ المَواجيد، وأهلُ الغيبةِ عنِ اللهِ إذا شَرِبوا طاشوا، وأهلُ الحُضورِ إذا شَرِبوا عاشوا.

وقال: أقبَحُ من كلِّ قَبيحٍ صُوفيٌّ شَحيح.

وقال: مَنْ تَبِعَ طَريقَ القَومِ انتَفى عنه الشُّحُّ، ومَنْ كَتَبَ الفِقه انتَفى عنهُ الجَهلُ[2]، ومَنْ خَدَمَ الأولياءَ بلا أدَبٍ هَلَكَ.

وقال: ليسَ كلُّ مَنْ صَلحَ للمُجالسَةِ صَلُحَ للمُؤانسَةِ، ولا كُلُّ مَنْ صَلحَ للمُؤانسَةِ يُؤتمَنُ على الأسرار.

وقال: مَنْ ألزَمَ نَفسَهُ السُّنَّةَ عَمَّرَ اللهُ قَلبَهُ بنورِ المعرفَةِ[3].

وقال: إذا كانَتْ نَفسُكَ غيرَ ناظرَةٍ لقلبِكَ فأدِّبْها بمُجالسَةِ الحُكماء[4].

وقال: القَلبُ إذا اشتاقَ إلى الجنَّةِ أسرعَتْ إليه هَدايا الجنَّةِ وهي المَكروه[5].

= وقد اختلطت أقوال أحمد بن عطاء صاحب الترجمة مع أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدَمي وسنشير إلى أقواله.

(١) مقدمة الترجمة أخذها المناوي رحمه الله من حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٢ لأبي نعيم من ترجمة أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء.

(٢) في طبقات الصوفية ٥٠٠: التصوف ينفي عن صاحبه البخل، وكَتْبُ الحديث ينفي عن صاحبه الجهل.

(٣) القول لأحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، انظر طبقات الصوفية ٢٦٨، وقد تقدم هذا القول في ترجمة الأدمي ٢/ ٣٥.

(٤) القول لأحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، انظر تاريخ بغداد ٥/ ٢٨.

(٥) القول لأحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، انظر حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٣، والمختار.

وقال: من عَلامَةِ [عمل] الصَّادِقِ رِضا القلبِ بحُلولِ المَكروه[1].

وقال: أذْنِ قَلبَكَ من مُجالسَةِ الذَّاكرينَ، لعلَّهُ يَنتبِهُ من غَفلتِه[2].

وقال: أقرَبُ شيءٍ إلى مَقْتِ الله رؤيَةُ النَّفسِ وأفعالِها، وأشَدُّ شيءٍ منه مُطالعَةُ العوض على فعلها[3].

وقال: القَبضُ أوَّلُ أسبابِ الفَناءِ، والبَسطُ أوَّلُ أسبابِ البَقاءِ، فمَنْ قُبِضَ فحالُهُ الغيبَةُ، ومن بُسِطَ فحالُهُ الحُضورُ.

وقال: رأيتُ في النَّومِ قائلاً يقولُ: أيشٍ أصحُّ ما في الصَّلاةِ؟ قلتُ: صِحَّةُ القَصدِ، فقالَ هاتفٌ: رؤيةُ المَقصودِ بإسقاطِ رؤيةِ القَصدِ أتَمُّ.

وقال: ذِكرُ الثَّوابِ عندَ ذِكرِ اللهِ غَفلةٌ عنِ الله[4].

وقال: العبوديَّةُ تَركُ الاختيارِ، ولُزومُ الافتقارِ، وإيَّاكَ أن تُلاحِظَ مَخلوقاً وأنتَ تَجِدُ إلى مُلاحظةِ الحقِّ سَبيلاً[5].

وقال: ذَرِ التَّدبيرَ والاختيارَ تَكُنْ في طيبٍ من العيشِ، فإنَّ التَّدبيرَ يُكَدِّرُهُ.

وسُئِلَ: أيُّ مَنزلَةٍ إذا قامَ العبدُ بها قامَ مَقامَ العبوديَّةِ؟ قال: تَركُ التَّدبير.

وقال: لا تجِدُ السَّلامَةَ حتّى تَكونَ في التَّدبيرِ كأهلِ القُبورِ.

وقال: الرِّضا تَركُ الخِلافِ على اللهِ فيما يُجريه على العبد.

وقال: الرِّضا نَظرُ القلبِ إلى اختيارِ الرَّبِّ للعبدِ، وهو تَركُ السُّخطِ[6].

---

(١) القول لأحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، انظر حلية الأولياء ١٠/٣٠٣، والمختار.

(٢) القول لأحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، انظر طبقات الصوفية ٢٧٢.

(٣) القول لأحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، انظر حلية الأولياء ١٠/٣٠٣، وفيه: مطالبة الأعواض.

(٤) القول لأحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، انظر حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٤.

(٥) القول لأحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، انظر تاريخ بغداد ٥/ ٢٨، والمختار.

(٦) القول لأحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، انظر المختار من مناقب الأخيار ٦٤/ ب.

وقال: الصَّبرُ الوقوفُ مع البَلاءِ بحُسنِ الأدَبِ[1].

وقال: لكُلِّ عِلمٍ بَيانٌ، ولكُلِّ بيانٍ لِسانٌ، ولكُلِّ لِسانٍ عِبارَةٌ، ولكُلِّ عِبارَةٍ طَريقةٌ، ولكُلِّ طَريقةٍ أهلٌ، ومَنْ لا أهليَّةَ له لا شيءَ له.

وقال: للتَّقوى ظاهِرٌ وباطِنٌ، فظاهرُها مُحافظَةُ الحُدودِ، وباطنُها النيَّةُ والإخلاص[2].

وقال: هذه الطَّائفةُ شربَتْ من بحرِ السُّرورِ، فلا تجِدُ[3] أحَداً منهم إلاَّ طَرِباً مَسروراً.

ومن كراماته: أنَّ الجَمَلَ كَلَّمَهُ في مَسيره إلى مكَّةَ، فإنَّه تأمَّلَ الجِمَالَ تحمِلُ الأثقالَ، وقد مَدَّتْ أعناقَها لَيلاً، فقال: سُبحانَ مَنْ يَحمِلُ عنها، فالتفَتَ جمَلٌ منها، وقال: قُلْ: جَلَّ اللهُ، فقال: جَلَّ اللهُ.

قال أبو نعيم[4]: كان ابنُ عطاءٍ كَثيرَ الحديثِ، ماتَ سنةَ تسعٍ وستِّينَ وثلاث مئة، وقيلَ غيرَ ذلك.

* * *

(٣١٠) أبو سعيد خلف بن عمر(*)

المعروف بابن أبي هاشم من قيروان، فَقيهٌ مُتعبِّدٌ زاهد، أخذَ عن جماعةٍ

---

(١) القول لأحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، انظر المختار من مناقب الأخيار ٦٤/ب.

(٢) القول لأحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، انظر المختار من مناقب الأخيار ٦٤/ب.

(٣) في (أ): فلا ترى.

(٤) قول أبي نعيم كثير الحديث في ترجمة أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي ١٠/ ٣٠٤.

(*) ترتيب المدارك ٢/ ٤٨٨، معالم الإيمان ٣/ ١٢٢، الديباج المذهب: ١١٠، شجرة النور الزكية ١/ ٩٦.

كالقَصري، وابن اللبّاد[1]، وكان يُعرَفُ بمعلِّم الفُقهاء، عالِماً بنوازلِ الأحكام فَرّاجاً للكَربِ مع رِقّةِ قَلبٍ وسُرعةِ دَمعٍ وخُلوصِ نيَّةٍ.

قال ابن أبي زيد: أبو سعيد لا يَلقى اللهَ بذرَّةِ رِياء.

وما حُفِظَ عنه مسألةٌ خطأ قطُّ[2].

ومن كلامه:

مَنْ دارى النَّاسَ ماتَ شَهيداً، ولا يُنكرُ كراماتِ الأولياءِ إلاَّ صاحِبُ بِدعةٍ.

ماتَ ليلةَ الجمعة لسبعٍ خَلونَ من صفر سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة.

* * *

(٣١١) أبو الأبيض(*)

كان من المُستأنسينَ بذِكره، المُستوحشين من غيره، عنِ الخَلْقِ أعرَضَ، ولماله قدَّمَ وأقرَضَ، ولَزِمَ ما الحَقُّ عليه أوجَبَ وأفرَضَ.

ومن كلامه:

اعلم أنَّكَ لم تُكلَّفْ من الدُّنيا إلاَّ نَفساً واحدَةً، فإنْ أنتَ أصلحتَها لم يضرَّكَ فَسادُ غيرِها، ولن تَسلَمَ من الدُّنيا حتى لا تُبالي مَنْ أكلَها من أحمرَ وأسود.

وقال: من إعراضِ اللهِ عنِ العبدِ أن يَشغلَهُ بما لا يَنفعه.

وله جُزءٌ حَديثي، قال فيه: حدَّثَنا بعضُ أصحابِنا أنَّه كان بمكَّةَ رجُلٌ يُعرَفُ

---

(١) في الأصول: ابن اللبان، والمثبت من مصادر الترجمة.

(٢) القول لابن شبلون، انظر ترتيب المدارك ٢/ ٤٨٩، والديباج المذهب ١١١.

(*) التاريخ الكبير للبخاري ٩/ ٨، الجرح والتعديل ٦/ ٢٩٣، ٩/ ٣٣٦، الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى ٢/ ١٠٥٢، حلية الأولياء ٣/ ١١١، ١٠/ ١٣٣، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٢٦، تهذيب الكمال ٣٣/ ٨، تهذيب التهذيب ١٢/ ٣. وفي الأصول أبو بكر بن الأبيض والمثبت من مصادر ترجمته، واسمه أبو الأبيض العنسي الشامي مات قبل سنة ثمان وثمانين للهجرة فحقه أن يكون من رجال الطبقة الأولى.

بابنِ ثابتٍ، خرَجَ من مكَّةَ إلى المدينةِ سِتِّينَ سنةً ليس إلاَّ للسَّلامِ على رسول الله ﷺ ويرجع، فتخلَّفَ في سنةٍ، فبينما هو قاعِدٌ في الحجر بين النائمِ واليَقظانِ رأى المصطفى ﷺ وهو يقولُ: لم تَزُرْنا فزُرناك.

* * *

(٣١٢) أبو بكر الفارسي الطَّمَسْتَاني [*]

أبو بكر الفارسي الطَّمَسْتاني، العالِمُ الرَّبَّاني، كان فَصيحَ اللِّسانِ، كَثيرَ المعروفِ والإحسان، ماهراً في طريقِ القَوم، عَذْبَ الكلام، حافِظاً للعَهدِ وافياً بالذِّمام، تقدَّمَ على صُوفيَّةِ وَقتِه ونُظرائه، وتعيَّنَ بين أعيانِ العصرِ وكُبرائه، اجتهدَ وحصَّلَ، وجمَلَ، وفصَّلَ، ورحلَ وطافَ وهام، وصَحِبَ الأعيانَ والأعلام، وكان الشِّبليُّ يُعظِّمُهُ جِدًّا.

ومن فوائده:

خَيرُ النَّاسِ مَنْ رأى الخَيرَ في غَيره.

وقال: أركانُ الطَّريقِ الأربعة ترجِعُ إلى الجوعِ؛ فإنَّ مَنْ جاعَ قَلَّ كلامُهُ ونَومُهُ، وأحَبَّ العُزلةَ.

وقال: مَنْ صَدَقَ في إقباله على الله لم يَشغَلْهُ الخَلقُ عنِ الله.

وقال: النِّعمةُ العُظمى الخُروجُ عنِ النَّفسِ ـ أي الأخلاقِ الذَّميمَةِ والشَّهواتِ الرَّديَّة ـ، والنَّفسُ أعظَمُ حِجابٍ بينَكَ وبينَ الله تعالى.

وقال: مَنْ صَحِبَ الكِتابَ والسُّنَّةَ وتغرَّبَ [1] عن نَفسه وعنِ الخَلقِ، وهاجَرَ بقلبه إلى رَبِّه فهو الصَّادِقُ المُصيب.

(*) طبقات الصوفية ٤٧١، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٢، الرسالة القشيرية ١/ ١٨٨، مناقب الأبرار ٢٠٥/ب، المختار من مناقب الأخيار ٩٠/ب، طبقات الأولياء ٣٥٣، طبقات الشعراني ١/ ١٢١.

(١) في حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٢: وعزف عن نفسه، وفي طبقات الصوفية ٤٧٣: وغرَّبَ، وفي مناقب الأبرار: وعزب.

وقال: النَّفسُ كالنَّارِ، فإذا طُفِئَتْ في مَوضِعٍ تأجَّجَتْ في آخر، وكذا النَّفسُ إذا هَدأتْ من جانِبٍ ثارَتْ من آخر.

وقال: لا يُمكنُ الخُروجُ منَ النَّفسِ بالنَّفسِ، إنَّما الخُروجُ منها بالله.

وقال: مَنِ استعملَ الصِّدقَ بينَهُ وبينَ اللهِ حَماهُ صِدقُهُ عن رؤيةِ الخَلقِ والأُنسِ بهم.

وقال: مَنْ لم يكن الصِّدقُ وَطنَهُ ففي فضولِ الدُّنيا سَكَنه.

وقال: العِلمُ يقطعُكَ عنِ الجهلِ(١)، فاجتهِدْ ألاَّ يقطعَكَ عنِ اللهِ.

ماتَ سنةَ أربعين وثلاث مئة بنيسابور.

* * *

(٣١٣) أبو الخير الأقطع التِّيناتي(*)

نسبة إلى تينات قريةٌ ببلادِ المشرق(٢)، صاحِبُ الكَراماتِ الغَريبة، والأحوالِ العَجيبة، وكان وافِرَ الحُنُوِّ والتَّعطُّف، مَلجأً للفقراءِ أهلِ التَّصوُّف، ذا وَقارٍ وسُكون، وأيادٍ تَغارُ منها الأنهارُ والعُيون، يَسرَحُ في رِياضِ الرِّياضة، ويَطوفُ بحُرمِ التعبُّدِ ويخصّه بالإفاضة.

وأصلُهُ من المغرب، قَدِمَ المَشرقَ فصَحِبَ ابنَ الجلاَّءِ، وغيره.

---

(١) في الأصول: العمل يقطعك عن الدنيا، والمثبت من طبقات الصوفية ٤٧٤، ومناقب الأبرار ٢٠٦/أ، والمختار، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٨٢.

(*) طبقات الصوفية ٣٧٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٧، الرسالة القشيرية ١/ ١٦٥، مناقب الأبرار ١٧٧/ب، الأنساب ٣/ ١٢١، صفة الصفوة ٤/ ٢٨٢، المنتظم ٦/ ٣٧٦، المختار من مناقب الأخيار ١٣٦/ب، معجم البلدان ٢/ ٦٨، اللباب ١/ ٢٣٤، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٥٨، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٢، الوافي بالوفيات ١٣/ ٤٤٥، طبقات الأولياء ١٩٠، تحفة الأحباب ٢٤٠ وما بعدها، حسن المحاضرة ١/ ٥١٤، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٠٧. واسمه عباد بن عبد الله.

(٢) تينات قرية من أعمال حلب. انظر السير ١٦/ ٢٢.

وكان أوحَدَ وَقته في التوكُّلِ، تأتيه الهَوامُّ والسِّباعُ فتأنَسُ به، وتأوي إليه، فسُئِلَ عن ذلك، فقال: الكِلابُ يأنَسُ بعضُها ببعض.

ومن كلامه:

لا يَجوزُ التصدُّرُ للمَشيخَةِ إلاَّ لمَنْ فَرَغَ من تَهذيبِ نَفسه، ومَنْ بَقيَ عليه بَقيَّةٌ فهو مُريد، والمُريدُ لا يكونُ له مُريد.

وقال: لا تَسألوا اللهَ أن يُصبِّرَكُم، وسَلوهُ اللُّطفَ بكم؛ لأنَّ تَجرُّعَ مَرارَة الصَّبرِ شَديدٌ لمِثلنا، فإنَّ زكريا لمَّا بلَغَ المِنشارُ لرأسه أنَّ لشِدَّةِ الوَجعِ، فأوحى اللهُ إليه: وعِزَّتي وجَلالي لو صَعدَتْ منكَ أنَّةٌ ثانيةٌ لأمحُوَنَّ اسمَكَ من ديوانِ النُّبوَّة.

وقال: الذَّاكِرُ للهِ لا يَقومُ له في ذِكره عِوضٌ، فإذا قامَ له عِوضٌ خَرجَ من ذِكره.

وقال: ما بَلَغَ أحَدٌ حالةً شَريفةً إلاَّ بلُزومِ المُوافقةِ، ومُعانقَةِ الأدَبِ، وصُحبَةِ الصُّلحاءِ، وخِدمَةِ الفقراءِ الصَّادقين[1].

وقال: لا يَصفو قَلبُكَ إلاَّ بتصحيحِ النيَّةِ لله، ولا بَدَنُكَ إلاَّ بخدمةِ أوليائه.

وقال: حَرامٌ على قلبٍ مَشوبٍ بحُبِّ الدُّنيا أن يَسبَحَ[2] في روحِ الغيوب.

وقال: مَنْ أحَبَّ اطِّلاعَ النَّاسِ على عَمله فهو مُراءٍ، أو على حالِهِ فهو كَذَّاب.

وقال: دَخلتُ المدينةَ فلم أجِدْ ما آكُلُه خَمسةَ أيَّام، فرأيتُ رسول الله ﷺ في النَّومُ فناولَني رَغيفاً، فأكلتُ نِصفَهُ، وانتبهتُ وبيدي النِّصفُ الآخر[3].

وسَبَبُ قَطع يَده أنَّه عقَدَ مع اللهِ ألاَّ يَمُدَّ يَدَه لشيءٍ من نباتِ الأرضِ لشهوةٍ، فنَسِيَ وتناوَلَ عُنقوداً من شجرِ البُطْمِ فلاكَهُ، ثمّ تذكَّرَ، فرَماه، فخرَجَ بعضُ

---

(١) في طبقات الصوفية ٣٧١: وصحبة الصالحين، وحرمة الفقراء الصادقين.

(٢) في طبقات الصوفية ٣٧١: أن يسيح.

(٣) مرّ هذا الخبر عن أحمد بن يحيى الجلاء ٢/ ٣٧.

الأُمراءِ لطلبِ قُطَّاعِ الطَّريقِ، فظنَّهُ منهم، فقَطَعَ يَدَه.

وكان يَنسجُ الخُوصَ بإحدى يَديه، ويتقوَّتُ منه.

وجاءَهُ جَمعٌ من البغداديين، فادَّعوا دعَاوى عَريضة ثم خَرَجوا، فلقيَهُم الأسَدُ، فرجعوا إليه هاربين، فقال: أين تلك الدَّعاوي؟ ثمّ خرجَ فصاحَ عليه، وقال: ألم أقُلْ لكَ لا تتعرَّضْ لضيفي؟ فذهَبَ.

وقصَدَهُ الرَّقِّي للسَّلامِ عليه، فصلَّى فلم يقرأ الفاتحةَ مُستوياً، فقال في نفسه: ضاعَتْ سَفرَتي، ثمّ خرَجَ للطَّهارَةِ، فقصدَهُ سَبُعٌ فرجَعَ إليه فذهب، فقال: اشتغلتُم بتقويمِ الظَّاهرِ فخفتُم الأسَدَ، واشتغلنا بتقويمِ الباطنِ فخافَنا الأسَدُ.

قال النَّوويُّ[١]: قد يتوهَّمُ مَنْ يتشبَّهُ بالفُقهاءِ، ولا فِقهَ عندَه أنَّ صلاتَهُ كانت فاسدَةً، وهذه جَهالَةٌ وغَباوة، وجَسارَةٌ على إرسالِ الظَّنِّ في أولياءِ الرَّحمن، فليحذَرِ العاقِلُ من التعرُّضِ لذلك، بل حَقُّه إذا لم يفهم حِكمَهم المُستفادة، ولطائفَهم المُستجادة، أن يتفهَّمَها مِمَّن يعرِفُها، وكلَّ ما رأيتَه من هذا النَّوعِ ممَّا يتوهَّمه مَنْ لا تَحقيقَ عندَهُ أنَّه مُخالِفٌ، غيرُ مخالف، بل يَجِبُ تأويلُ أفعالِ الأولياء، وجوابُهُ: أنَّه مَغلوبٌ عليه لخَلَلٍ في لِسانه[٢]، فتصحّ صلاتُهُ، وبفرَضِ عَدَمِهِ[٣] فقراءَةُ الفاتحةِ غَيرُ مُتعيِّنَةٍ عند أبي حَنيفة، ولا يَلزمُهُ أن يتقيَّدَ بمذهبِ مَنْ أوجَبَها[٤]. انتهى.

وقال القيرواني[٥]: زُرتُ التيناتي وودَّعتُهُ، فخرَجَ معي للباب، وقال: أنا

---

(١) بستان العارفين صفحة: ١٤٢.

(٢) قال ابن الملقن في طبقات الأولياء ١٩٣: وروي أنه كان أسود، وفي لسانه عجمة الحبش.

(٣) أي عدم الخلل في لسانه.

(٤) ذكر النووي رحمه الله أنه غير مخالف من ثلاثة أوجه، ذكر المناوي اثنين، والثالثة: أنه جرى منه لحن لا يخلُّ بالمعنى، ومثل هذا لا يفسد الصلاة بالاتفاق.

(٥) في مناقب الأخيار، وطبقات الأولياء ١٩٢: أبو الحسين القرافي. وفي (أ): القيراوي.

أعلَمُ أنَّكَ لا تحمِلُ معكَ معلوماً، فاحمِلْ هاتين التُّفاحتَين، فأخذتُهما ووضعتُهما في جَيبي، وسِرتُ، فلم يُفتَحْ لي بشيءٍ ثلاثةَ أيَّامٍ، فأكلتُ واحِدَةً، ثمّ أردتُ إخراجَ الثَّانية فإذا هما جميعاً في جَيبي، فكنتُ آكُلهما ويعودان، حتى وصلتُ إلى بابِ الموصلِ، فقلتُ: إنَّهما يُفسِدانِ عليَّ تَوكُّلي، فأخرجتُهما لأرميهما، وإذا فقيرٌ مَلفوفٌ في عَباءَةٍ، يقول: أشتهي تُفَّاحةً، فناولتُهُ إيَّاهُما، فعلمتُ أنَّ الشَّيخَ بعثهما إليه.

ومن نظمه:

أنْحَلَ الحُبُّ قَلبَهُ والحَنينُ ومَحَاهُ الهَوى فما يَستبينُ
ما تَراهُ الظُّنونُ إلاَّ ظُنوناً[1] وهو أخفى من أن تراهُ العُيونُ

ماتَ بمصرَ سنةَ نَيِّفٍ وأربعين وثلاث مئة، ودُفن بالقرافة ببابِ تُربةِ مُسلم المسلمي[2]، بجنبِ منارَةِ الدَّيلمية، بقُربِ ذي النُّون.

والمشهدُ الذي عليه بَناهُ الفَخرُ الفارسي، قيل إنَّه رأى المصطفى ﷺ فأمرَهُ ببنائه، وقال: مَنْ صَلَّى فيه ركعتين يقرأُ في الأولى بالفاتحة و ﴿تبارك﴾ والثانية بالفاتحة و ﴿هل أتى على الإنسان﴾ ويَسألُ اللهَ حاجةً قُضيَتْ، وهو مُقابِلُ معبدِ ذي النُّونِ المصري، ومعبَدُهُ غيرُ تُربته.

* * *

(٣١٤) أبو بكر الزقاق[*]

أبو بكر الزَّقَّاق، بفَتحِ الزَّاي، وتشديدِ القاف، نسبةً إلى بيعِ الزِّقِّ أو عَمله.

---

(١) في الأصول: ما تراه العيون. والمثبت من طبقات الصوفية ٣٧١، ومناقب الأخيار ١٧٧/أ، وطبقات الأولياء ١٩٤.

(٢) في الأصول: السلمي. انظر تحفة الأحباب ٢٣٣ وما بعدها، وحسن المحاضرة ٥٢٦/١.

(*) تاريخ بغداد ٤٤٢/٥، الأنساب ٢٩١/٦، صفة الصفوة ٤١٥/٢، المنتظم ٤٢/٦، المختار من مناقب الأخيار ٣٥١/ب، بستان العارفين للنووي ٦٨، البداية والنهاية ٩٧/١١. وقد صحف في الأصل إلى أبي علي، والتصحيح من مصادر ترجمته.

قال النَّوويُّ[1]: كانَ من كبارِ الصُّوفيَّةِ، أصحابِ الكراماتِ الظَّاهرة، والمعارفِ المُتظاهرة.

ومن كلامه:

كلُّ واحِدٍ يُنسَبُ إلى نَسَبٍ إلاَّ الفقراءُ فإنَّهم يُنسَبونَ إلى اللهِ تعالى، وكلُّ حَسَبٍ ونَسَبٍ يَنقطِعُ إلاَّ حسبَهم ونسَبَهم، فإنَّ نسَبَهُم الصِّدقُ، وحسَبَهُم الفقر.

وقال: لي تسعون[2] سنةً أُرَبِّي[3] هذا الفقرَ، مَنْ لم يصحَبْهُ في فقرِه الوَرَعُ أكَلَ الحَرامَ النَّضَّ[4].

* * *

(٣١٥) أبو عمرو الدِّمشقي(*)

تمكَّنَ في الولاية، واتَّصلَتْ له الرِّعاية، وأعرَضَ عن المُستروحينَ إلى الأرواح، ونظَرَ إلى صَنيعِ مالِكِ الأجسامِ والأشباح، وقد قيل[5]: إنَّ التَّصوُّفَ رؤيةُ الكونِ بعينِ النَّقصِ، بل غَضُّ الطَّرْفِ عن كلِّ ناقِصٍ، ليُشاهِدَ مَنْ هو مُنزَّهٌ عن كلِّ نَقصٍ.

---

(١) بستان العارفين صفحة ٦٨.

(٢) في الأصول: تسعين.

(٣) في المطبوع: أردت. وفي تاريخ بغداد ٥/ ٤٤٣، والمختار ٣٥١/ب: أَرُبُّ.

(٤) في الأصول: بالنصِّ، والمثبت من تاريخ بغداد ٥/ ٤٤٣، والمختار ٣٥١/ب، والنَّضُّ: الخالص. انظر القاموس (نضض). وجاء في حاشية المنتظم ٦/ ٤٢ في نسخة: المحض.

(*) طبقات الصوفية ٢٧٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٦، المختار من مناقب الأخيار ٣١١/أ، مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ٧٨، العبر ٢/ ١٨٤، طبقات الأولياء ٨٣، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٣٥، طبقات الشعراني ١/ ١٠١، شذرات الذهب ٢/ ٢٨٧. وبعض هذه المصادر ذكره باسم أبي عمر.

(٥) القول لأبي عمرو الدمشقي. انظر حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٦، وطبقات الصوفية ٢٧٨.

ومن كلامه:

الأشخاصُ بظُلمتِها كائنةٌ، والأرواحُ بأنوارِها مُشرقةٌ، فمَنْ لاحَظَ الأشخاصَ بظُلمتِها أظلَمَ عليه وَقتُه، ومَنْ لاحَظَ الأرواحَ بأنوارِها دَلَّتْهُ على مُنوِّرِها.

وقال في حديث: «صوموا لرُؤيتِه، وأفطِروا لرُؤيتِه»[1]: هو إشارَةٌ إلى استواءِ الأحوالِ، أي لا ترجِعوا عنِ الحقِّ بإفطارٍ، ولا تُقبِلوا عليه بصومٍ، وليكُنْ صَومُكم كإفطارِكُم، وإفطارُكُم كصومِكُم عندَ دوامِ حُضورِكُم.

وقال: كما فَرَضَ اللهُ على الأنبياءِ إظهارَ الآياتِ والمُعجزاتِ لتؤمنوا بها، كذلك فَرَضَ على الأولياءِ كِتمانَ الكراماتِ حتى لا تَفتَتِنوا بها.

وقال: الرِّضا ارتفاعُ الجَزَعِ في أيِّ حُكمٍ كان.

وقال: الرِّضا نهايَةُ الصَّبرِ، والمُصابرَةُ مُقاومَةُ الرِّضا بالقَضاء.

* * *

(٣١٦) أبو الحسين بن بُنَان[*]

أبو الحسين بن بُنَان، الوالِهُ السَّكران، الهائِمُ الحَيران، شَيخُ مصرَ وتلكَ الأعمال، المعروفُ بالحَمَّال[2]، إمامٌ زاهِد، وعارِفٌ مُجاهد، مُواظِبٌ على

---

(١) أخرجه البخاري ٤/ ١١٩ (١٩٠٩) في الصوم، باب قول النَّبي ﷺ: «إذا رأيتم الهلال فصوموا...» ومسلم ٢/ ٧٦٢ (١٠٨١) في الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، والنسائي ٤/ ١٣٣، في الصوم، باب إكمال شعبان ثلاثين.

(*) طبقات الصوفية ٣٨٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٢، الرسالة القشيرية ١/ ١٧٣، مناقب الأبرار ١٨٥/أ، المختار من مناقب الأخيار ١٣٢/ب، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، طبقات الأولياء ٣٨٤، طبقات الشعراني ١/ ١١٢، وقد خلط المناوي رحمه الله بين صاحب الترجمة وبين بُنان بن محمد بن حمدان بن سعيد الحمال، أبو الحسن، والذي سيذكره ص ٦٠ (انظر مصادر ترجمته هناك) وسأشير إلى أخباره للتفريق بينهما.

(٢) انظر الحاشية السابقة.

الطَّاعة، مُجتهِدٌ فيما يُنجي يومَ تَقومُ السَّاعة، أوقاتُهُ مَعمورةٌ، وأحوالُهُ مَشهورَةٌ، وعَظَ بالجَمِّ الكثير، وسقَطَ المُريدونَ منه على خَبير.

صَحِبَ الخرَّاز، وغيره.

ومن فوائده:

النَّاسُ يَعطشونَ في البَراري، وأنا عَطشانٌ على شاطئِ النِّيل.

وقال: آثارُ المحبَّةِ إذا بدَتْ رياحُها وهاجَتْ، تُميتُ أقواماً، وتُحيِي آخَرين، وتُفشي أسراراً، وتُبقي آثاراً.

وقال: كلُّ فَقيرٍ قامَ في قلبه هَمُّ الرِّزقِ، فالكَسْبُ والحرفةُ له أَوْلى.

وقال: من علامَةِ سُكونِ القلبِ إلى اللهِ انشراحُهُ إذا زالَتْ عنه الدُّنيا.

وقال: اجتنبوا دَناءَةَ الأخلاقِ كاجتنابِ الحَرامِ.

وقال: ذِكرُ اللهِ باللِّسانِ يُورِثُ الدَّرجات، وذِكرُهُ بالقلبِ يُورِثُ القُرُبات.

وقال: تتشعَّبُ شُعبةُ[١] المحبَّةِ من دَوامِ ذِكرِ إحسانِ الله، فمَنْ ذَكَرَ على الدَّوامِ إحسانَ اللهِ إليه تنسَّمَ ريحَ المحبَّةِ عن قَريبٍ.

وقال: الإكثارُ من الوَجْدِ من علامَةِ الصِّدِّيقين.

وقال: لا يُعظِّمُ قَدْرَ الأولياءِ إلاَّ مَنْ كان عَظيمَ القَدْرِ عندَ الله[٢].

ومن كراماته:

أنَّه احتاجَ إلى جاريةٍ تخدِمُهُ، فانبسطَ إلى إخوانه، فجمعوا له ثمنَها، وقالوا: هو ذا يَجيءُ النَّفرُ فنشتري ما يوافق، فوردَ، فأجمعوا رأيَهم على واحدةٍ، وقالوا: هذه إنَّما تصلُحُ له، فماكَسوا صاحبَها، فقال: ليسَتْ للبيعِ، هي لبُنان الحمَّال، أهدَتْها له امرأةٌ من سمرقند[٣].

---

(١) في المطبوع: شعب المحبة.

(٢) في الأصل: إلا من عظمه الله عندهم. والمثبت من طبقات الصوفية ٣٩٠، ومناقب الأبرار ١٨٥/ب.

(٣) الخبر لبنان بن محمد الحمال، أبو الحسن. انظر مناقب الأبرار ١٤٨/أ.

وأُلقيَ بين يَدي السَّبُعِ، فشمَّهُ ثمّ نَفَرَ عنه، فقيل له: ما كنتَ تجد؟ قال: أتفكَّرُ فيما في سُؤره من الخلاف[1].

قيل: وَرَدَ على قَلبه وارِدٌ، فهامَ على وجهه، فلحقوه في تيه بني إسرائيل، ففتحَ عَينَيه وقال:

ارتَــعْ فهــذا مَــرْتَــعُ الأَحْبــابِ[2]

وخرَجَتْ رُوحه.

* * *

(٣١٧) أبو عليّ المعتوه المجذوب(*)

كانَ من أكابرِ الأولياء.

قالَ خَلفُ بنُ سالم: قلتُ له: يا أبا عليّ، أَلَكَ مأوَى؟ قال: نعم، قلتُ: فأينَ هو؟ قال: في دارٍ يَستوي فيها العَزيزُ والذَّليل، قلتُ: وأينَ هذه الدَّار؟ قال: المقابر، قلتُ: أما تَستوحِشُ في ظُلمةِ اللَّيل؟ قال: إنِّي أُكثِرُ ذِكرَ ظُلمةِ اللَّحْدِ ووحشَتِه فتَهونُ عليَّ ظُلمَةُ اللَّيلِ، قلتُ: فرُبَّما رأيتَ في هذه المقابرِ ما تُنكِرُه؟ قال: رُبَّما، لكنْ في هَولِ الآخرَةِ ما يَشغلُ عن هَولِ المقابر.

* * *

(٣١٨) أبو العبّاس السَّيَّاريُّ(**)

واسمُهُ القاسِمُ بنُ القاسِمِ بن مَهدي، من أهلِ مَرو، كانَ فَقيهاً مُحدِّثاً صوفيًّا متحلِّياً بالزُّهدِ والوَرَعِ، بَعيداً عنِ الحِرصِ والطَّمَعِ، مَعروفاً بالفَضلِ المُبين،

---

(١) الخبر لبنان بن محمد الحمال، أبو الحسن. انظر حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٤، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٨٩.

(٢) في الأصل: ارتعوا. والمثبت من مناقب الأبرار ١٨٥/أ.

(*) صفة الصفوة ٢/ ٥١٨.

(**) طبقات الصوفية ٤٤٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٠، الرسالة القشيرية ١/ ١٧٩، الإكمال ٤/ ٥٠٩، مناقب الأبرار ١٩٧/أ، الأنساب ٧/ ٢١٢، المنتظم ٦/ ٣٧٤، المختار من =

مَشهوراً بالخَيرِ والدِّينِ المَتين، تَخلَّى عنِ الخدمِ، وتَحلَّى بذِكرِ بارئ النّسمِ، ولازَمَ طَريقَ أهلِ المَوارِدِ الصَّافية، وأعرَضَ عن عَرَضِ الدُّنيا بالجُملةِ الكافية.

صَحِبَ الواسطِيَّ، وغيرَه.

ومن كلامه:

كيفَ السَّبيلُ إلى تَركِ ذَنبٍ كان عليكَ في اللَّوحِ المَحفوظِ مَحفوظاً؟ وإلى صَرفِ قَضاءٍ كان بِكَ مَربوطاً؟.

وقال: حَقيقَةُ المعرفةِ الخُروجُ عنِ المعارف.

وقال: ظُلمَةُ الطَّبعِ تَمنعُ أنوارَ المُشاهدَة[1].

وقال: لِباسُ الهَيبَةِ للعارفينَ، ولِباسُ التَّقوى للمُقرَّبين، ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[2] [الأعراف: ٢٦].

وقال: ما التذَّ عاقِلٌ بمُشاهدَةٍ قَطُّ؛ لأنَّ مُشاهدَةَ الحَقِّ فَناءٌ ليس فيها لذَّة.

وقال: إنَّما يُروِّضُ المُريدُ نَفسَه بالصَّبرِ على الأوامِرِ، وتَجنُّبِ النَّواهي، ومحبَّةِ الصَّالحين، وخِدمةِ الفقراء.

ماتَ سنةَ اثنتين وأربعين وثلاث مئة.

* * *

= مناقب الأبرار ٣١٩/ب، اللباب ٢/ ١٦٢، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٠٠، العبر ٢/ ٢٦٠، طبقات الأولياء ٣٦٦، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٠٩، طبقات الشعراني ١/ ١١٩، شذرات الذهب ٢/ ٣٦٤. والسياري نسبة إلى جده أحمد بن سيّار، وله ترجمة في الطبقات الصغرى ٤/ ١٤٦.

(١) في الأصول: أنواع، والمثبت من طبقات الصوفية ٤٤٥، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٨١.

(٢) انظر الخبر بتمامه في طبقات الصوفية ٤٤٦، والمختار ٣١٩/ ب

(٣١٩) أبو القاسم بن أحمد المُقرئ(*)

أوحَدُ مِشايخِ خُراسانَ في وقته، كان عالي الطَّريقةِ، شَريفَ الهِمَّةِ، غَوَّاصاً في عِلمِ الحقيقةِ، ظَهَرَ علاؤه، وارتفَعَ لِواؤه، وتأرَّجَتْ أرجاؤه، وطابَ في مجالسِ القومِ ثَناؤه.

صَحِبَ: ابنَ عَطاء، وغيرَه.

ومن كلامه:

من كمالِ خُلُقِ الفَقيرِ أن يُحسِنَ خُلُقَه مع عَدوِّه، ويَبذُلَ له المالَ[1]، ومن أدَبِه تَصديقُ المشايخِ في كلِّ ما يُخبِرونَ به من كراماتهم، وإن لم يُصدِّقهم حُرِمَ بركَتَهم.

وقال: السَّماعُ على ما فيه من اللَّطافَةِ فيه خَطرٌ عَظيمٌ إلاَّ لمَنْ سمعَهُ بغيرِ هوى نَفسٍ.

وكان له حالٌ صَحيحٌ بحيثُ لو أرادَ قَلْعَ شجرةٍ كبيرةٍ من الأرضِ لقَدِرَ، كما وقَعَ للشِّبلي أنَّه مَلَخَ شجرةَ جُمَّيزٍ تظلُّ خمس مئة فارسٍ.

* * *

(٣٢٠) أبو عبد الله البَراثي(**)

صاحِبُ النُّكتِ المَرضيَّة، والأحوالِ الزَّكيَّة، من كبارِ الشُّيوخِ ومُتقدِّميهم، له الأحوالُ العجيبة، والكلماتُ الغريبة.

(*) طبقات الصوفية ٥٠٩، مناقب الأبرار ٢١٣، المختار من مناقب الأخيار ٣٢١/أ، طبقات الأولياء ٧٥، طبقات الشعراني ١/ ١٢٥، وفي جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٨٧: أبو القاسم المغربي تصحيف، كما جاء في الأصول هنا، والمثبت من مصادر ترجمته.

(١) في (أ): ويبذل له المأمول.

(**) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها ١/ ٥٥٣، وسيذكره في الطبقات الصغرى ٤/ ١٥٦. =

فمن كلامه:

حملَتْنا المطامعُ على أسوأ الصَّنائع: نذِلُّ لمَنْ لا يقدرُ لنا على نفعٍ ولا ضُرٍّ، ونَخضَعُ لمَنْ لا يملِكُ لنا رِزقاً ولا حياةً ولا مَوتاً ولا نُشوراً، فكيفَ أزعُمُ أنِّي أعرِفُ رَبِّي حقَّ معرفته، هيهات؟!.

وقال: بالمعرفةِ هانَتْ على العاملينَ العبادَةُ، وبالرِّضا عنِ اللهِ في تدبيره زَهِدوا في الدُّنيا، ورَضوا لأنفُسهم بتقديره.

وقال: ما بينَكَ وبينَ مُلاقاةِ السُّرورِ، ومُجالسَةِ الأبرارِ في كلِّ لذَّةٍ وحُبور إلاَّ خروجُ نفسِكَ من بينِ جَنبَيكَ، والمَولى راضٍ عليكَ.

وقال: لن يَرِدَ القيامَةَ أرفَعُ درجةً من الرَّاضينَ عنِ اللهِ على كلِّ حالٍ، ومَنْ وهَبَ له الرَّجاءَ فقد بلغَ أعلى الدَّرجات، ومَنْ زَهِدَ على حقيقةٍ كانت مُؤنتُه خَفيفَةً، ومَنْ لم يعرِفْ ثوابَ الأعمالِ ثقُلَتْ عليه في الآخرةِ الأحوالُ[1].

* * *

(٣٢١) أبو الفتح القوَّاس[*]

اسمُهُ يوسفُ بنُ عمر، كانَ منَ الأبدالِ، وكان مُجابَ الدَّعوةِ، وتبرَّكَ النَّاسُ به وهو صَبيٌّ.

ومن كراماته:

أنَّه أخرَجَ جُزءاً من كُتُبه فوجدَ فيه قَرضَ الفأرِ، فدعا اللهَ على الفأرةِ التي قَرَضَتْهُ، فسقطَتْ من السَّقفِ فأرَةٌ، ولم تزَلْ تضطرِبُ حتى ماتَت.

---

(١) الخبر ليس في (أ) ولا في (ب).

(*) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٢٥، الأنساب ١٠/ ٢٥٧، المنتظم ٧/ ١٨٧، صفة الصفوة ٢/ ٤٧١، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٧٤، العبر ٣/ ٣١، البداية والنهاية ١١/ ٣١٩، شذرات الذهب ٣/ ١١٩، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٨٩.

أسندَ الحديثَ عنِ: البغويِّ، وابنِ صاعد، وغيرهما.

وماتَ ببغداد سنةَ خمسٍ وثمانين وثلاث مئة.

* * *

(٣٢٢) أبو أحمد القَلانسي(*)

كان ذا فُتوَّةٍ كاملةٍ، ومروءَةٍ شاملَةٍ.

ومن كلامه:

بُنِيَ المذهبُ على ثلاثِ خِصالٍ: لا نُطالِبُ أحداً من النَّاسِ بواجبِ حقِّنا، ونُطالِبُ أنفُسَنا بحقوقهم، ونُلزمُ التَّقصيرَ أنفسَنا في كلِّ ما نأتي.

وكان من دُعائه لإخوانه: لا جعلَنا اللهُ وإيَّاكُم ممَّن يكونُ حَظُّه الأسى والأسفَ على مُفارقةِ الدُّنيا.

* * *

(٣٢٣) إسماعيل بن نُجَيد السُّلَميُّ(**)

شَيخُ عَصره في التَّصوُّف، وإمامُ وَقته في فُنونِ التعرُّف، كان ذا بَراعةٍ وفصاحةٍ، وصِيانَةٍ وسماحةٍ، وتصَرُّفٍ وعِرفانٍ، وتعلُّقٍ من الفنونِ بأفنان.

(*) واسمه مصعب بن أحمد بن مصعب البغدادي، ترجمته في حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٦، تاريخ بغداد ١٣/ ١١٤، الأنساب ١٠/ ٢٨٢، المختار من مناقب الأخيار ٧٩/ب، المنتظم ٥/ ٧٩، اللباب ٣/ ٦٧، سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٧٠. ذكر ابن الجوزي في المنتظم وفاته سنة (٢٧٠) وكذا أشار الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٧١ فكان حقه أن يكون في الطبقة الثالثة.

(**) طبقات الصوفية ٤٥٤، الرسالة القشيرية ١/ ١٨٢، الإكمال ١/ ١٨٨، مناقب الأبرار ٢٠٠/ب، الأنساب ٧/ ١١٢، طبقات الشافعية لابن الصلاح ١/ ٤٣٠، المنتظم ٧/ ٨٤، المختار من مناقب الأخيار ٧٥/أ، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٤٦، العبر ٢/ ٣٣٦، دول الإسلام ١/ ٢٢٦، طبقات السبكي ٣/ ٢٢٢، الوافي بالوفيات ٩/ ٢٣١، البداية والنهاية ١١/ ٢٨٨، طبقات الأولياء ١٠٧، النجوم الزاهرة ٤/ ١٢٧، طبقات الشعراني ١/ ١٢٠، شذرات الذهب ٣/ ٥٠، الرسالة المستطرفة ٨٧.

وكان شافعيَّ المذهب، صَحِبَ من أئمَّةِ الحقائقِ: الجُنَيد، والحِيري[١].

وأخَذَ الحَديثَ عن [عبد الله بن][٢] أحمد بن حنبل، والرَّازيِّ.

وروى عنه: سِبطُهُ أبو عبد الرَّحمن السُّلمي، والحاكم، والقُشَيريُّ.

وحَكَى هو عن نفسه قال: كنتُ اختلفتُ إلى مجلسِ الحيريِّ في بدايَتي، فأثَّرَ في قلبي كلامُهُ فتُبتُ، ثمّ وقعتُ في فترةٍ، فكنتُ أهربُ من الحيريِّ إذا رأيتُهُ، فظفَرَ بي، فقال: يا بُنيَّ، لا تَصحَبْ مَنْ لا يُحبُّكَ إلاَّ مَعصوماً[٣]، إنَّما ينفعُكَ أبو عُثمان في مثل هذه الحالَةِ، فتُبتُ وعُدتُ إلى الإرادة.

وذكَرَ شَيخُهُ الحيريُّ أنَّه كان من الأوتاد.

ومن كلامه:

كلُّ حالٍ لا يكونُ نتيجةَ عِلمٍ فضرَرُهُ على صاحبه أكثرُ من نفعه.

وقال: مَنْ كَرُمَتْ عليه نَفسُه هانَ عليه دينُه.

وقال: كلُّ مَنْ لم تُهذِّبْكَ[٤] رُؤيتُه فهو غيرُ مُهذّب.

وقال: لا يَصفو لأحدٍ قَدَمٌ في العبوديَّةِ حتّى يَشهدَ أفعالَهُ كلَّها رِياءً، وأحوالَهُ دعاوَى.

وقال: إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خَيراً رَزَقَهُ صُحبَةَ الصَّالحين، والعملَ بما يُشيرونَ به عليه.

وقال: الدَّعاوى إنَّما تتولَّدُ من فسادِ الابتداء، فمَنْ صَحَّتْ بدايَتُهُ صَحَّتْ نهايَتُهُ، ومَنْ فَسَدَتْ بدايَتُهُ هَلَكَ في أحواله وقتاً ما ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ..﴾ [التوبة: ١٠٩].

---

(١) في الأصول: الجبري، والتصحيح من مصادر الخبر وهو أبو عثمان سعيد بن إسماعيل.

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من طبقات السبكي ٣/ ٢٢٢.

(٣) في (أ): لا تصحب إلا من يحبك معصوماً.

(٤) في الأصول: تهديك، والمثبت من طبقات الصوفية ٤٥٤، ومصادر ترجمته.

وقال: التَّصوُّفُ الصَّبرُ تحتَ الأمرِ والنَّهي.

وقال: آفَةُ العبدِ رِضاهُ عن نفسِهِ بما هو فيه ـ أي من المقامات ـ يعني: وقوفهُ عن طلَبَ الزِّيادَةِ وإلاَّ فهو حَسَنٌ.

وقال: الملامتيُّ[1] لا دَعوى له؛ لأنَّه لا يَرى لنفسه شيئاً يدّعي به.

وقال: مَنْ قَدِرَ على إسقاطِ جاهه عندَ الخَلْقِ سَهُلَ عليه الإعراضُ عنِ الدُّنيا وأهلِها.

وقال: بقَدَرِ ما تَشتغِلُ بالنَّاسِ بقَدَرِ ما تُضيِّعُ من حقِّ رَبِّكَ وأوامره.

وقال: من الجهلِ إظهارُ العبدِ محاسِنَهُ لمَنْ لا يَملِكُ نفعَهُ ولا ضرَّهُ.

ماتَ سنةَ سِتٍّ وستين وثلاث مئة، عن ثلاثٍ وتسعين سنة.

* * *

(٣٢٤) إسحاق بن محمد أبو يعقوب النَّهْرَجُوري[*]

صُوفيٌّ عصرهِ على الإطلاق، وإمامُ وَقته باتِّفاقِ الحُذَّاق، كان ذا هِمَّةٍ تَسمو إلى السِّماك، ومُجاهدَةٍ مُنتظمَةِ الأسلاك.

أخَذَ عنِ الجُنَيد، وطبقَتِه.

قال أبو عثمان المغربي: ما رأيتُ أنوَرَ منه.

وأمَّا الوعظُ فهو من فُرسانِ منابِرِه، وأبطالِ مَحاريبه ومحابِرِه، كم أذابَ حصاةَ قَلبِ صلبٍ تحت كُرسيِّه ومِنبَره! وكم أسالَ دَمعاً إذا جَرى تعثَّرَ في مِحجَره!

---

(١) انظر الحاشية (٢) صفحة ١/ ٥٩١.

(*) طبقات الصوفية ٣٧٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٦، الرسالة القشيرية ١/ ١٦٧، مناقب الأبرار ١٨٢، المنتظم ٦/ ٣٢٦، المختار من مناقب الأخيار ٧٤/ أ، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٣٢، العبر ٢/ ٢٢١، الوافي بالوفيات ٨/ ٤٢٣، مرآة الجنان ٢/ ٢٩٧، البداية والنهاية ١١/ ٢٠٣، طبقات الأولياء ١٠٥، العقد الثمين ٣/ ٢٩٠، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٧٥، طبقات الشعراني ١/ ١١١، شذرات الذهب ٢/ ٣٢٥.

ومن فوائده:

مَنْ كانَ شَبَعُهُ بالطَّعامِ لم يَزَلْ جائعاً، ومَنْ كان غِناهُ بالمالِ لم يَزَلْ فقيراً، ومَنْ طَمِعَ في الخَلقِ لم يَزَلْ مَحروماً، ومَنِ استعانَ على أمرٍ بغيرِ اللهِ لم يَزَلْ مَخذولاً.

وقال: إنَّما سادَ أهلُ اللهِ الخلائِقَ لطلَبِهم الحقائِق.

وقال: إذا استكمَلَ العبدُ حقائِقَ اليَقينِ صارَ البَلاءُ عندَهُ نِعمةً، والرَّخاءُ مُصيبَةً.

وقال: أرزاقُ المتوكِّلينَ على اللهِ تَجري بعلمِ اللهِ لهم بلا شُغلٍ ولا تَعَبٍ، وغَيرُهم فيها مَشغولٌ مَتعوب.

وقال: مُشاهدَةُ القُلوبِ تَعريفٌ، ومُشاهدَةُ الأحوالِ تَحقيقٌ.

وقال في حديث: «احتَرِسوا من النَّاسِ بسوءِ الظَّنِّ»[1]: بأنفُسِكم لا بالنَّاسِ[2].

وقال: الدُّنيا بَحرٌ، والآخرَةُ ساحِلٌ، والمَركِبُ التَّقوى، والنَّاسُ سَفْرٌ - أي مُسافِرون - في المركبِ.

وقال: أفضَلُ الأحوالِ ما قارنَ العِلمَ.

وسُئِلَ عنِ الطَّريقِ، فقال: استعملِ العِلمَ، ودَوامَ الذِّكْرِ، وأنتَ إذاً من أهلِها.

وقال: مَفاوِزُ الدُّنيا تُقطَعُ بالأقدامِ، ومَفاوِزُ الآخرَةِ تُقطَعُ بالقُلوبُ.

وقال: العابِدُ يَعبُدُ اللهَ تَخويفاً، والعارِفُ يعبُدُه تَشريفاً[3].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ١/ ٣٥٥ (٦٠٢) عن أنس، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٨٩: وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس. ورواه أحمد في الزهد ٢٤٢ من قول مطرف بن الشخير، وانظر إلى ما قاله المؤلف في فيض القدير ١/ ١٨١، والعجلوني في كشف الخفا ١/ ٥٥، والألباني في الأحاديث الضعيفة ١/ ٢٨٨ (١٥٦).

(٢) طبقات الصوفية ٣٧٩ وفيه: بسوء الظنِّ بأنفسكم لا بالناس.

(٣) في طبقات الصوفية ٣٧٩: العابد يعبد الله تحذيراً، والعارف يعرفه تشويقاً.

وسُئِلَ عنِ التَّصوُّفِ، فقال: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ [البقرة: ١٣٤].

ودخَلَ عليه المزيِّنُ وهو في النَّزعِ، فقال: قُلْ لا إله إلاَّ الله، فتبسَّمَ، وقال: إيَّايَ تعني ؟! وعِزَّةِ مَنْ لا يَذوقُ المَوتَ ما بيني وبينَهُ إلاَّ حِجابُ العِزَّةِ، وماتَ فَوراً، فكانَ المُزيِّنُ يأخُذُ بلحيته، ويقولُ: حَجَّامٌ مِثلي يُلقِّنُ الأولياءَ الشَّهادَةَ، واخجلتاه، وكان يَبكي كُلَّما ذَكَرَ ذلك.

ونظيرُ ذلك أنَّه لما دَنَتْ وفاةُ أحمد بن نَصر، قيلَ له: قُلْ لا إله إلاَّ الله، فنظرَ للقائلِ، وقال بالفارسي: بي حرمتي مكن، يعني لا تُسئْ الأدَبَ.

وماتَ سنةَ ثلاثين وثلاث مئة.

* * *

(حرف الباء)

(٣٢٥) بُنَان بن محمد الحَمَّال[*]

الواسطيُّ ثمّ المِصريُّ، عابِدٌ عارِف، وزاهِدٌ عاكِف، كَريمُ الشَّأنِ والولايَة، جَميلُ التَّربيةِ والرِّعاية، صَحِبَ الجُنَيد وغيرَه.

وله الكراماتُ السَّنيَّة، والمواقِفُ العَليَّة.

سُئِلَ عن أجَلِّ أحوالِ الصُّوفيَّةِ، فقال: الثِّقَةُ بالمَضمونِ، والقِيامُ بالأوامرِ، ومُراعاةُ السرِّ، والتخلِّي عنِ الكَونين.

ومن كلامه:

رؤيةُ الأسبابِ على الدَّوام قاطعَةٌ عن مُشاهدَةِ المُسبِّب.

وقال: بينا أنا سائرٌ بين مكَّةَ وجدَّة إذا بشخصٍ على بُعدٍ، فأمَمْتُهُ[1]، فسلَّمْتُ عليه، وقلتُ له: أوصِني. قال: يا بُنان، إنْ كان اللهُ أعطاكَ من سِرِّ سِرِّه سِرًّا، فكُنْ مع ما أعطاكَ، وإن كان لم يُعطِكَهُ، فكُنْ مع النَّاسِ على ما هم عليه من الظَّاهر، وعليكَ بكتابَةِ الحَديث.

(*) طبقات الصوفية ٢٩١، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٤، تاريخ بغداد ٧/ ١٠٠، الرسالة القشيرية ١/ ١٤٩، مناقب الأبرار ١٤٧/أ، الأنساب ٤/ ٢٠٦، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٨، المنتظم ٦/ ٢١٧، المختار من مناقب الأخيار ٨٨/أ، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٨٨، العبر ٢/ ١٦٣، الوافي بالوفيات ١٠/ ٢٨٩، مرآة الجنان ٢/ ٢٦٨، البداية والنهاية ١١/ ١٥٨، طبقات الأولياء ١٢٢، حسن المحاضرة ١/ ٢٩٣، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٢٠، طبقات الشعراني ٢/ ٢٧١.

(١) أممته: قصدته.

وقال: كنتُ بطريقِ مكَّةَ، ومعي زادٌ، فرأيتُ امرأةً، فقالت: يا بُنان، أنتَ حمَّالٌ تَحمِلُ على ظهرِكَ [الزَّادَ][1]، وتظُنُّ أنَّه لا يَرزُقُكَ ؟! فرمَيْتُ بزادي، ثمَّ أتى عليَّ ثَلاثٌ لم آكُل، فوجدتُ خَلْخَالاً بالطَّريقِ، فقلتُ: آخُذُهُ ليأتي صاحبُه فيُعطيني شيئاً[2]، فإذا بالمرأةِ، فقالت: أنتَ تاجِرٌ، تقولُ حتّى يجيء صاحِبُه فآخُذَ منه شيئاً، فأخذَتْهُ ورَمَتْ إليَّ دراهِمَ، وقالت: أنفِقْها. فاكتفيتُ بها إلى مِصر.

ومن كلامه:

مَنْ كان يَسرُّهُ ما يَضُرُّه، فمتى يُفلِح ؟.

وقال:

الحُـــرُّ عَبـــدٌ مـــا طَمِـــعَ   والعَبـــدُ حُـــرٌّ مـــا قَنـــعَ

والبَريءُ جَريءٌ، والخائِنُ خائِفٌ، ومَنْ أساءَ استوحَشَ.

وقال: إنْ أفرَدْتَهُ بالرُّبوبيَّةِ أفرَدَكَ بالعِنايَةِ، والأمرُ بيدِكَ، إنْ نصحتَ صافوكَ، وإنْ خَلَّطْتَ خَلَّوكَ[3].

وقال: ليس بمُتحقِّقٍ في الحُبِّ مَنْ راقَبَ أوقاتَهُ، أو تحمَّلَ في كِتمانِ حُبِّه حتّى يَنْهَتِكَ فيه ويفتضح، ويخلعَ العِذارَ[4]، ولا يُبالي بما يَرِدُ عليه من جهةِ مَحبوبه، ويتلذَّذُ بالبَلاءِ في الحُبِّ.

وقال: دخلتُ الباديةَ وَحدي فاستوحشتُ، فإذا بهاتِفٍ يَهتِفُ بي: يا بُنان، نقَضْتَ العهدَ، لِمَ تستوحِشُ ؟! أليسَ حبيبُكَ معكَ ؟.

وله كراماتٌ كثيرةٌ منها: أنَّ بعضَ القُضاةِ أغرى عليه ابنَ طُولون، فأمَرَ أن يُلقى للسَّبُعِ، فجعَلَ يشمُّه ولا يضرُّه، وقيلَ له: ما كان في قلبِكَ حين شَمَّكَ السَّبُعُ ؟ قال: كنتُ أتفكَّرُ هل سُؤرُ السِّباعِ طاهِرٌ أم نَجِس ؟

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من المختار ٨٨/ ب.

(٢) في (ب): فآخذ منه شيئاً.

(٣) في طبقات الصوفية ٢٩٣: وإن خلَّطت جافوك.

(٤) في المطبوع و (ب): ويخلع العذار أو لا، والخبر في طبقات الصوفية ٢٩٤.

ووُشِيَ به إلى بعضِ قُضاةِ مِصرَ، فضرَبَهُ سَبْعَ دِرَرٍ، فدعا عليه أن يُحبَسَ سبعَ سنين، فحُبِسَ كذلك.

وجاءَهُ مَريضٌ، فشكا إليه، فقال: قُمْ فاستَفَّ من تُرابِ القِبلَةِ، ففعَلَ فبرِئَ فَوراً.

ماتَ بمصرَ سنة ستَّ عشرة وثلاث مئة، ودُفِنَ بالقرافة، بسفحِ المُقطَّمِ ممَّا يلي مسجدَ محمود.

أسندَ الحديثَ عن: الحسنِ بنِ عَرَفة، وحُميد بن الرَّبيع، والحسن الزَّعْفراني، وبكَّار بن قتيبة، وغيرِهم.

* * *

(٣٢٦) بُندار بن الحُسين الشِّيرازي(*)

الفَقيهُ الشَّافعيُّ، عارِفٌ خَبير، حَسَنُ التَّربيةِ والتَّدبير، واسِعُ الخُطوة، وافِرُ السَّطوة، لجيوشِ الشَّيطانِ كاسِراً، وعن ساعِدِ الجِدِّ والاجتهادِ حاسِراً.

سَكَنَ أرَّجَان[1]، وكان عالِماً بالأُصول، وله اللِّسانُ المَشهورُ في عِلمِ الحَقيقة.

وكان الشِّبليُّ يُعظِّمُهُ جِدًّا.

سُئِلَ عنِ الفَرقِ بينَ الصُّوفيِّ والمُتصَوِّفِ، فقال: الصُّوفيُّ مَنْ صافاهُ الحَقُّ واختارَهُ من غيرِ تكَلُّفٍ ولا اجتهادٍ، والمُتصَوِّفُ المُزاحِمُ على المراتِبِ مع

(*) طبقات الصوفية ٤٦٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٤، الرسالة القشيرية ١/ ١٨٦، مناقب الأبرار ٢٠٤/أ، المنتظم ٧/ ٢٢، المختار من مناقب الأخيار ٨٩/أ، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٠٨، طبقات الشافعية ٣/ ٢٢٤، الوافي بالوفيات ١٠/ ٢٩٢، طبقات الأولياء ١٢٠، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٣٨، طبقات الشعراني ١/ ١٢١.

(١) أرجان: مدينة كبيرة تقع إلى الشمال الشرقي من الخليج العربي، بينها وبين البحر المالح مرحلة. انظر معجم البلدان ١/ ١٤٢، وبلدان الخلافة الشرقية صفحة ٣٠٤ خريطة ٦ مقابل الصفحة ٢٨٣. وفي الأصول أذربيجان، والمثبت من مصادر الترجمة.

تكَلُّفٍ، وكُمونِ رَغبةٍ في الدُّنيا[1].

ومن كلامه:

لا تُخاصِمْ لنفسِكَ؛ فإنَّها ليسَتْ لكَ، دَعْها لمالِكِها يفعَلُ بها ما يُريد.

وقال: صُحبَةُ أهلِ البِدَعِ تُورِثُ الإعراضَ عنِ الحقِّ.

وقال: اترُكْ ما تَهوى لما تُؤمِّل.

قال: يَصِلُ العبدُ إلى مقامٍ لا يُخاصِمُ فيه نَفسَهُ[2] لكونه يَراها مُلكاً لله لا له.

وقال: ليسَ مِنَ الأدَبِ أن تسألَ رَفيقَكَ إلى أين؟ أو في أيْشٍ؟.

وقال: مَنْ لم يجعَلْ قِبْلَتَهُ رَبَّهُ فسدَتْ صَلاتُه.

وقال: الدُّنيا ما دَنا من القلبِ، وشغَلَهُ عنِ الحَقِّ.

وقال: مَنْ أقبَلَ على الدُّنيا أحرقَتْهُ بنيرانِها ـ يعني الحِرص، كما قاله الإمامُ الرَّازي ـ [وصارَ رَماداً لا قيمةَ له ولا قَدر][3]، ومَنْ أقبَلَ على الآخرَةِ أحرقَتْهُ بنورِها ـ يعني الخوف ـ فصارَ سَبيكَةَ ذهبٍ يُنتفَعُ به، ومَنْ أقبَلَ على اللهِ أحرَقَهُ بنورِ التَّوحيدِ، فصارَ جَوهَراً لا يُقابَلُ بثَمَن[4].

وقال: مَنْ مَشى في الظُّلَمِ إلى ذي النِّعَم أجلسَهُ على بِساطِ الكَرَمِ، ومَنْ قَطَعَ لِسانَهُ بشفرَةِ السُّكوتِ بُنِيَ له بَيتٌ في المَلَكوت، ومَنْ واصَلَ أهلَ الجَهالَةِ، أُلبِسَ ثَوبَ البطالة، ومَنْ أكثَرَ ذِكْرَ اللهِ شَغَلَهُ عن ذِكرِ النَّاسِ، ومَنْ هَرَبَ مِنَ الذُّنوبِ هرَبَتْ منه، ومَنْ رَجا شيئاً طَلَبَه.

ماتَ بأرَّجَان سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وثلاثِ مئة.

* * *

---

(١) الخبر في طبقات الصوفية ٤٦٧، والمختار ٨٩/أ، مع اختلاف جم، وهو مفاضلة بين الصوفي والمُتَعَزِّي.

(٢) جاء في هامش (أ): لعله لنفسه.

(٣) ما بين معقوفين مستدرك من طبقات الأولياء ١٢١.

(٤) في طبقات الأولياء ١٢١: وصار جوهراً لا قيمة له.

(٣٢٧) بِشر بن بشار المُجاشعيّ(*)

كانَ من السَّائحينَ العابِدين، والأولياءِ الصَّالحين، ذا رُتبَةٍ أضاءَتْ لمعتُها، وشُهرَةٍ طابَتْ سمعتُها.

قال: لقيتُ عُبَّاداً ثلاثةً ببيتِ المَقدسِ، فقلتُ لأحدهم: أوصِني، فقال: ألقِ نفسَكَ مع القَدَرِ حيثُ ألقاكَ، فهو أحرى أن يُفرِغَ قَلبَكَ، ويقلَّ همَّكَ، وإيَّاكَ أن تَسخطَ ذلك فيحِلَّ بكَ السَّخَطُ وأنتَ عنه في غَفلَةٍ لا تشعُرُ، فقلتُ للآخرِ: أوصِني، فقال: التَمِسْ رِضوانَهُ في تَركِ ملاهيه فهو أوصَلُ لكَ إلى الزُّلفى لديه. وقلتُ للآخَر: أوصِني، فبَكى، وقال: لا تبتغِ في أمرِكَ تَدبيراً غيرَ تَدبيره فتهلَكَ فيمَنْ هَلَكَ، وتضِلَّ فيمَنْ ضَلَّ والسَّلام.

ونقَلَ، أو غَيرُه عن عطاء الأزرق: إذا حضرتَ المقابِرَ فليكُنْ قَلبُكَ فيمَنْ أنتَ بين ظهريه، فإنِّي بينا أنا في المقابِرِ إذ تفكَّرْتُ في نفسي، فإذا بصوتٍ: إليكَ يا غافل، إنَّما أنتَ بين ناعمٍ في نعيمه مُدلَّلٍ، أو مُعذَّبٍ في سكراته مقلَّب.

* * *

(*) حلية الأولياء ١٠/ ١٣٢. وله ترجمة في الطبقات الصغرى ٤/ ٢٣٦.

(حرف الجيم)

(٣٢٨) جعفر بن محمد الخَوَّاص(*)

جعفر بن محمد بن نصير الخوَّاص البغداديُّ، ويُعرَفُ بالخُلْديّ، إمامٌ يَمُّ فَضلِهُ مُتَّسِع، وشَملُ معرفته مُجتمِع، وافِرُ الصَّلاح، سافِرُ الصَّباح، له من الأورادِ المَرفوعةِ والأحزابِ المَسموعَةِ أكمَلُ سِلاح.

أخذَ عن: سَمْنون، والجُنَيد وتلك الطَّبقة.

وكان ملجأً للقومِ في فهم كلامِهم وحكاياتهم، حتّى قال: عِندي مِئةٌ ونَيِّفٌ وثلاثونَ ديواناً من دواوين الصُّوفيَّة.

وحجَّ نحو سِتِّينَ حجَّةً.

وكتَبَ إليه أبو الخير التيناتي: وِزْرُ جَهلِ الفقراءِ عليكم؛ لأنَّكم اشتغلتُم بنفوسِكم عن تأديبهم فبَقوا بجهلهم.

وترجمَهُ الخَطيبُ في «تاريخه»(١)، وقال: هو شَيخُ الصُّوفيَّة، وذَكَرَ أنَّه

(*) طبقات الصوفية ٤٣٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨١، تاريخ بغداد ٧/ ٢٢٦، الرسالة القشيرية ١/ ١٧٨، مناقب الأبرار ١٩٤/ب، الأنساب ٥/ ١٦١، صفة الصفوة ٢/ ٤٦٨، المنتظم ٦/ ٣٩١، المختار من مناقب الأخيار ٩٩/ب، معجم البلدان ٢/ ٣٨٢، اللباب ١/ ٣٨٢، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٥٨، مرآة الجنان ٢/ ٣٤٢، الوافي بالوفيات ١١/ ١٤٢، البداية والنهاية ١١/ ٢٣٤، طبقات الأولياء ١٧٠، غاية النهاية ١/ ١٩٧، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٢٢، طبقات الشعراني ١/ ١١٨، شذرات الذهب ٢/ ٣٧٨.

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٢٢٦.

سَمِعَ الحديثَ من جماعةٍ كثيرين أجِلاَّء، عددهم من أهلِ العراقِ ومكَّة ومِصر، وقال: إنَّه رَحَلَ، ولَقِيَ المشايخَ الكُبراءَ من المُحدِّثينَ والصُّوفيَّة، ثمّ عادَ بغدادَ فقطَنَها، وروى بها عِلماً كثيراً، وقال: وكان ثِقةً صَدوقاً ثَبْتاً دَيِّناً فاضِلاً.

وسَبَبُ دُخولِهِ في التَّصوُّفِ أنَّه سَمِعَ على عبّاس الدُّوري [وكتَبَ عنه مَجلِساً واحِداً][1] ثمَّ خرجَ من عنده، فلقيَهُ بعضُ الرِّجالِ، فقال: أيْشٍ هذا معك؟ تَدعُ عِلمَ الخِرَقِ، وتأخُذُ عِلمَ الوَرَقِ، ثمَّ قَطَّعَ الأوراقَ، فدخَلَ كلامُهُ في قلبه.

ونامَ في ابتداءِ أمره، فسمِعَ هاتِفاً يقولُ له: امضِ إلى مَوضِعِ كذا، واحفرْ تجِدْ هناك شيئاً ففعل، فوجَدَ هناكَ صُندوقاً فيه دفاتِرُ، فيها أسماءُ سِتَّةِ آلافِ شَيخٍ من أهلِ الحقائقِ والأصفياءِ والأولياءِ من آدَمَ عليه السَّلام إلى زمنه، ونعوتهم وصفاتهم وكلامهم فكان يقرؤها[2]، ثمَّ دفَنَها فلم تظهر لأحدٍ.

ومن كراماته:

ما حَكاهُ تلميذُهُ أبو الحسن العلويُّ، قال: جعلنا طيراً في التَّنُّور في بيتنا[3]، وكان قلبي معه، فقال الشيخ: نَمْ عندَنا[4] اللَّيلةَ، فاعتللتُ بعِلَّةٍ، ورجعتُ للبيتِ، فوُضِعَ الطَّيرُ بين يَدَي، فدخَلَ كَلبٌ فأخَذَهُ وفَرَّ، فأكلتُ الخُبزَ بلا أُدْمٍ، وتغيَّرَ قلبي واستوحَشَ، فأصبحتُ،فدخلتُ على الشَّيخِ، فلمَّا وقَعَ بصَرُه عليَّ قال: مَنْ لم يَحفَظْ قُلوبَ المشايخِ سَلَّطَ اللهُ عليه كَلباً يؤذيه.

ومن كلامه:

لا يقدَحُ في الإخلاصِ كونُ المُريدِ يعمَلُ ليصِلَ للمقاماتِ العَلِيَّةِ.

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٢٢٧.

(٢) في المطبوع: فكان يقرؤوها. والعبارة في تاريخ بغداد ٧/ ٢٢٨، والمختار ١٠٠/أ: من آدم إلى زماننا هذا، ونعوتهم وصفتهم، وكلهم كانوا يدعون هذا ـ يعني مذهب الصوفية... فقرأ ولم يدفع إلى أحد...

(٣) بداية الخبر في مناقب الأبرار ١٩٥/ب، والمختار ١٠٠/أ: كنت ليلة عند جعفر الخلدي، وكنت أمرت في بيتي أن يعلق طائر في التنور...

(٤) في (أ): بت عندنا.

وقال: مَنْ أخلَصَ لله في المعاملَةِ أراحَهُ من الدَّعاوى الكاذبة[1].

وقال: عليكم بصُحبةِ الفقراءِ، فإنَّهم كُنوزُ الدُّنيا ومفاتيحُ الآخرة.

وقال: المُحِبُّ يَجتهِدُ في كِتمانِ حُبِّه، وتأبى المحبَّةُ إلاَّ الاشتهارَ، وكلُّ شيءٍ يَنِمُّ على الحُبِّ حتَّى يُظهره.

وقال: السِّياحَة ضَربان: سِياحَةٌ بالنَّفسِ بالسَّيرِ في الأرضِ ليَلقى الأولياءَ، ويعتبرَ بآثارِ قُدرته، وسياحةٌ بالقلبِ يَجولُ في المَلَكوتِ فيُورِدُ على صاحِبه برَكَةَ مُشاهدَةِ الغيوب، فيطمئِنُّ القَلبُ عندَ الورود.

وقال: العقلُ ما يُبعِدُكَ عن مواطِنِ الهَلَكات.

وقال: ودّعتُ في بعضِ حَجَّاتي المُزين الصُّوفي، فقلتُ: زَوِّدني، فقال: إن ضاعَ لكَ شيءٌ أو أردتَ أن يَجْمَعَ اللهُ بينَكَ وبينَ إنسانٍ فقُلْ: يا جامِعَ النَّاسِ ليومٍ لا رَيبَ فيه، إنَّ اللهَ لا يُخلِفُ الميعاد، اجمَعْ بَيني وبينَ كذا وكذا، فإنَّه يَجمَعُ بينَكَ وبينَه.

ماتَ ببغداد سنةَ ثمانٍ وأربعين وثلاثِ مئة رضي الله تعالى عنه.

* * *

(١) هذا القول للجنيد، ففي طبقات الصوفية ٤٣٧، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٨٢، والمختار ١٠٠/ب: قال جعفر لبعض أصحابه: اجتنب الدعاوى، والتزم الأوامر، فكثيراً ما كنت أسمع سيدنا الجنيد يقول: من لزم طريق المعاملة على الإخلاص أراحه الله من الدعاوى الكاذبة.

(حرف الحاء المهملة)

(٣٢٩) الحسين بن منصور الحلاَّج(*)

الحسين بن منصور الحلاَّج البَيضاوي ثمَّ الواسطي، صُوفيٌّ أضاءَ في أُفُقِ المَشرقِ بَدرُهُ، ثمَّ اشتهرَ في أقطارِ المغربِ ذِكرُه، وله خَوارِقُ سُيوفُها مُجرَّدة، وعجائِبُ أسِنَّتُها مُحدَّدة.

أصلُهُ من بَيضاء فارس، ونشأَ بواسِط وصَحِبَ الجُنَيد، والنُّوري، وغيرَهما.

وسَبَبُ تَسميته بالحلاّج أنَّه قَعَدَ على دُكَّانِ حلاّجٍ، وبها مَخزَنُ قُطنٍ غير مَحلوجٍ، فذهَبَ صاحِبُ الدُّكّان لحاجةٍ ثمَّ رجعَ فوجَدَ القُطنَ كلَّه مَحلوجاً، فاشتُهِرَ بذلك(١).

(*) طبقات الصوفية ٣٠٧، تجارب الأمم ١/ ٧٦ حوادث سنة (٣٠٩)، الفهرست ٢٦٩ (الفن الخامس من المقالة الخامسة)، تاريخ بغداد ٨/ ١١٢، مناقب الأبرار ١٧٥/ ب، الأنساب ٤/ ٢٧٨، المنتظم ٦/ ١٦٠، المختار من مناقب الأخيار ١٢٩، الكامل في التاريخ ٨/ ١٢٦، وفيات الأعيان ٢/ ١٤٠، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣١٣، العبر ٢/ ١٣٨، ميزان الاعتدال ١/ ٥٤٨، دول الإسلام ١/ ١٨٧، الوافي بالوفيات ١٣/ ٧٠، مرآة الجنان ٢/ ٢٥٣، البداية والنهاية ١١/ ١٣٢، طبقات الأولياء ١٨٧، لسان الميزان ٢/ ٣١٤، النجوم الزاهرة ٣/ ١٨٢، ٢٠٢، ٢٠٣، طبقات الشعراني ١/ ١٠٧، شذرات الذهب ٢/ ٢٥٣، وانظر أخبار الحلاج جمع ماسنيون وكراوس، مطبعة المثنى ببغداد ١٩٣٦، وديوان الحلاج جمع ماسنيون أيضاً نشر في المجلة الآسيوية (باريس ١٩٣١).

(١) اختلف في سبب نسبته فقيل: لأنه حلج قطن الدكان، وقيل: كان يتكلم على أسرار =

وكان من أهلِ الشَّطحِ، وقد اختَلَفَ فيه النَّاسُ ما بين مُكفِّرٍ له، ومُعتقِدٍ ولايَتَه، وهم الجمهور ومنهم القُشيري في «الرسالة»[(١)]، وابنُ الحاج[(٢)] في «المدخل» وغيرهما.

وسببُ قَتله على ما زعمَ ابنُ مُمشاذ أنَّهم وجدوا بالدِّينور كتاباً بخطِّه عنوانه «من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان»، فوُجِّه إلى بغداد، فأُحضِرَ وعُرِضَ عليه فقال: خَطِّي، فقالوا: أتدَّعي الرُّبوبيَّة؟ قال: لا، ولكن هكذا عَيْنُ الجَمعِ، ما الفاعِلُ إلاَّ اللهُ وأنا، فاليَدُ آلةٌ[(٣)]، كذا قال مُمشاذ.

ولكِنْ قالَ ابنُ خَلّكان[(٤)]: لم يثبتْ عنه ما يُوجِبُ القتلَ أبداً، وإنَّما هو لمّا وُضِعَ في المحنةِ قامَ معه غالِبُ العامَّةِ، فخافَ الخَليفَةُ المُعتضدُ، فجعَلَ الأمرَ للوزيرِ، فعَقدوا له مَجلِساً واتَّفَقوا على قَتله بغيرِ ثُبوتٍ، فقطَعوا يَدَيه ورِجلَيه، ثمَّ جَزُّوا رأسَهُ، ثمَّ أحرَقوه، ولمّا سَقَطَ رأسُهُ بقيَ جَسدُهُ ساعتَين من النَّهارِ قائِماً، ورأسُهُ بينَ رِجلَيه يتكلَّمُ بكلامٍ لا يُفهَمُ، لكن آخرَ كلامه فُهِمَ منه: أحَدٌ أحَد[(٥)].

وكانَ شأنُهُ التطوّرَ، فلمّا طُلِبَ للقتلِ تطوَّرَ في البيتِ فملأهُ، فأتاهُ الجُنَيد،

= الناس، وما في قلوبهم ويخبر عنها فسمي بذلك حلاج الأسرار، وقيل: بل إن أباه كان حلاجاً فنُسب إليه. انظر الأنساب ٤/ ٢٧٩، والمختار.

(١) لم يفرد له القشيري ترجمة، وإنما بث أقواله في كتابه بأكثر من ستة عشر موضعاً. قال الشعراني في طبقاته ١٠٨: وقد أشار القشيري إلى تزكيته حيث ذكر عقيدته مع عقائد أهل السنة أول الكتاب فتحاً لباب حسن الظن به، ثم ذكره في أواخر الرجال لأجل ما قيل فيه.

(٢) ابن الحاج محمد بن محمد بن محمد بن الحاج، أبو عبد الله العبدري المالكي الفاسي نزيل مصر، فاضل تفقه في بلاده، وقدم مصر، وحج وكُفَّ بصره في أواخر عمره، وأقعد، توفي بالقاهرة عن نحو ٨٠ عاماً سنة ٧٣٧ هـ. وكتابه «مدخل الشرع الشريف» مطبوع، ثلاثة أجزاء. قال فيه ابن حجر: كثير الفوائد كشف فيه عن معايب وبدع يفعلها الناس، ويتساهلون فيها، وأكثرها مما يُنكَر، وبعضها مما يُحتمَل. الأعلام ٣٥.

(٣) العبارة في سير النبلاء ١٤/ ٣٢٨: هذا العين جمع عندنا، هل الكاتب إلا الله وأنا؟ فاليد فيه آلة.

(٤) لم أجد قول ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان.

(٥) إنما كان يقول مع كل سوط: أحد أحد. سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٤٢.

وقال: فتحتَ في الإسلامِ ثَغرةً لا يَسدُّها إلاَّ رأسُكَ، فاخرُجْ، فسلم فانفشَّ وسلَّم واستسلمَ.

ولمَّا وقَعَ دَمُهُ على الأرضِ كَتَبَ الله إشارَةً لتوحيده، وإنَّما لم يكتُبْ دَمُ الحُسَين بن عليٍّ رضي الله عنهما لأنَّه لا يَحتاجُ لتبرئةٍ، بخلافِ الحلاّج.

وقيل: إنَّ سببَ قَتله أنَّه أخَذَ كِتاباً لعمرو بن عثمان المكِّي فيه عُلومُ الخاصَّةِ، فجاءَ عَمرو فلم يَجِدْه، فقال: مَنْ أخَذَهُ قُطِعَتْ يَداهُ ورِجلاهُ وقُتِل.

ولمَّا كانت اللَّيلةُ التي وُعِدَ مِنَ الغَدِ بقَتله قال له خادِمُهُ أخو[1] أبي العبّاس الرَّازي: أوصِني. فقال: عليكَ بنفسِكَ، إنْ لم تشغَلْها شغلَتْكَ.

ولمَّا خرَجَ للقَتلِ، خرَجَ يتبختَرُ في قَيده ويقولُ: حَسْبُ الواجِدِ[2] إفرادُ الواحِدِ، ويترنَّمُ، ويُنشِدُ أبياتاً.

قال بعضُهم: خرجتُ في ليلةٍ مُقمرَةٍ إلى زيارَةِ قَبرِ أحمد بن حنبل رضي الله عنه، فرأيتُ ثَمَّ رجُلاً قائماً[3] هُناكَ، فدنوتُ منه بغيرِ عِلمه، فإذا هو يَبكي، ويقولُ: يا مَنْ أسكرَني بحُبِّه، وحَيَّرَني في مَيادينِ قُربه، أنتَ المُنفرِدُ[4] بالقِدَمِ، قِيامُكَ بالعَدلِ لا بالاعتدال، وبُعدُكَ بالعزلِ[5] لا بالاعتزال، وحُضورُكَ بالعِلم لا بالانتقال، غيبتكَ بالاحتجابِ لا بالارتحال، فلا شيءَ فوقَكَ فيُظِلُّكَ، ولا شيءَ تحتَكَ فيُقِلُّكَ، ولا أمامَكَ شيءٌ فيحُدُّكَ، ولا وراءَكَ شيءٌ فيُدرِكُكَ، أسألُكَ بحُرمَةِ هذه التُّربة[6] المقبولة، والمراتبِ المسؤولة ألاَّ ترُدَّني إليَّ بعدَ

---

(١) في المطبوع: خادمه أبو العباس، وانظر الخبر في تاريخ بغداد ٨/ ١٣١، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٤٥.

(٢) في المطبوع: حب الواحد، وفي (أ): حسب الواحد. والمثبت من (ب)، ومن أخبار الحلاج صفحة ٣٦.

(٣) في المطبوع: قاعداً.

(٤) في المطبوع: المتفرد.

(٥) في الأصول: العز، والمثبت من أخبار الحلاج صفحة ١٧.

(٦) في المطبوع: بحق هذه الغزية المفتولة. وفي أخبار الحلاج ١٧: الترب المقبولة، وفي (أ): القربة المقبولة.

ما اختطفتني مِنِّي، ولا تُرِني نَفسي بعد ما حجبتَها عَنِّي، وأكثِرْ أعدائي في بلادِكَ، والقائمينَ لقَتلي من عِبادكَ، فلمَّا أحَسَّ بي التفَتَ فإذا هو الحلاّج، فصُعِقَ وسقَطَ، وسالَ الدَّمُ على وجهه، فأشارَ إليَّ أن اذهَبْ، فذهبتُ وتركتُه.

وقال الحلواني: قُدِّمَ الحلاّج للقتلِ وهو يضحَكُ، فقلتُ: يا سيِّدي، ما هذا الحالُ؟ قال: دَلالُ الجمال، الجالبُ إليه أهلَ الوِصال.

ومن كلامه:

حَجَبَهُم بالاسم فعاشوا، ولو أبرَزَ لهم علومَ القُدرَةِ لطاشوا، ولو كشَفَ لهم عنِ الحقيقَةِ لماتوا.

وقال: مَنْ لاحَظَ الأعمالَ حُجِبَ عنِ الجمال ـ أي في الابتداءِ ـ.

وقال في حَقِّ ذي[1] الغايات: إذا انحَلَّ القفلُ عنِ القلبِ صارَ ربانيًّا[2]، فأشرَفَ على الغيوب.

وقال: أسرارُنا بكر لا يَفْتَضُّها[3] وهمُ واهِمٍ، ولا فَهمُ فاهِمٍ.

وقال: مَنْ أشارَ إليه فهو مُتصوِّفٌ، ومَنْ أشارَ عنه فهو صُوفي.

وقال: معنى الخلقِ العظيمِ ألاَّ يُؤثِّرَ فيه جَفاءُ الخَلقِ بعدَ مُطالعَةِ الحَقِّ.

وقال: الصُّوفيُّ وَحدانيُّ الذَّاتِ، ولا يَقبَلُ أحداً، ولا يقبلُهُ أحدٌ.

وقال: قولُ القائلِ: يا عِلَّةَ العِلَلِ، ويا قَديماً لم يَزَلْ، جَهلٌ، فإنَّ اللهَ يَخلُقُ العِلَلَ وليسَ بعِلَّةٍ، كيف يقبَلُ العِلَّةَ مَنْ كانَ ولا شيء، وأوجَدَ لا من شيءٍ[4]؟ وهو الآن كما كان.

وقال: ليس لمَنْ يَرى[5] أحداً، أو يذكُرُ أحداً أن يقولَ: عرفتُ الأحدَ الذي منه ظهرَتِ الآحادُ.

---

(١) في (ف): ذوي.
(٢) في المطبوع: إذا انحل العقل عن القلب صار بائناً.
(٣) في المطبوع: بكرة لا يفتقها.
(٤) في المطبوع: وواحد لا من شيء.
(٥) في المطبوع: لمن لا يرى، والخبر في طبقات الصوفية ٣١٠، وأخبار الحلاج ١١٦.

وقال: إذا تخلَّصَ العبدُ لمقامِ المعرفةِ أوحى إليه بخواطره، وحرَسَ سِرَّهُ أن يسنحَ[1] فيه غير خاطرِ الحقِّ.

وقال: علامَةُ العارِفِ كونُهُ فارِغاً من أمورِ الدَّارَين، مُشتغِلاً باللهِ وحدَهُ.

وقال: إذا استولى الحقُّ على سِرِّ عبدٍ مَلَّكَهُ الأسرارَ[2] فيُعاينها ويُخبِرُ عنها.

وقال: المُريدُ الصَّادِقُ هو الرَّامي بأوَّلِ قَصده إلى الله، فلا يَعرجُ حتّى يَصِلَ[3].

وقال: مَنْ عَرَفَ الحقَّ وعَرَفَ الحقيقَةَ في التَّوحيدِ سَقَطَ عنه لِمَ وكيف[4].

وسُئِلَ عنِ التَّصوُّفِ وهو مَصلوبٍ، فقال: أهوَنُهُ ما تَرى.

وقيلَ له: أينَ الله ؟ فقال: في الجُبَّةِ. قال في «المدخل»: يعني لم يبقَ في الجُبَّةِ التي عليه لنفسه تصَرُّفٌ، وإنَّما التصرُّفُ كُلُّه لله وبالله، وقال: وهذا الذي ذكرَهُ هو حَقيقَةُ قوله عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «تَخَلَّقوا بأخلاقِ الله»[5].

وقال: لا يَجوزُ لمَنْ يَرى غيرَ اللهِ أن يَدَّعي أنَّه يعرفُهُ.

وقال: مَنْ أسكرَتْهُ أنوارُ التَّوحيدِ حجبَتْهُ عن عِبادَةِ التَّجريدِ.

وقال: مَنْ طَلَبَ الحقَّ بنورِ الإيمانِ كان كمَنْ طلَبَ الشَّمسَ بنورِ الكواكِبِ.

وقال: ما انفصَلَ الحقُّ ولا اتَّصلوا به.

وقال: إذا دامَ البَلاءُ بالعبدِ أَلِفَهُ، وذلك من رحمةِ اللهِ بأهلِ النَّارِ من حيثُ لا يشعرون.

وقال: مَنْ خافَ من شيءٍ سِوى الله، أو رَجا سِواهُ، أغلَقَ عليه أبوابَ كلِّ

---

(١) في الأصول: يسبح، والمثبت من أخبار الحلاج: ١١٢، وفي أخبار الحلاج طبعة باريس ١٩١٤ صفحة ٥٤: يرسخ.

(٢) في المطبوع: إذا استوى الحق على سر عبد ملك الأسرار.

(٣) من أخبار الحلاج صفحة ٥٥: فلا يبرح حتى يصل.

(٤) في المطبوع: وعرف الحق في التوحيد، سقط عنه ثم وكيف.

(٥) لم أجده في المصادر التي بين يدي، ولعله مما أوحاه الله تعالى إلى داود عليه السلام. انظر صفحة ١٨٢ من هذا الجزء. والصفحة ٣٥٣ منه أيضاً.

شيء، وسَلَّطَ عليه المَخافَةَ، وحُجِبَ بسبعينَ حِجاباً أيسَرُها الشَّكُّ.

ومن نَظمه رضي الله عنه:

عَجِبْتُ مِنْكَ ومِنِّي أفْنَيْتَني بِكَ عَنِّي[1]
أدْنَيْتَني مِنكَ حتّى ظَنَنْتُ أنَّكَ أنِّي

ولمّا قُدِّمَ للقتلِ أشارَ إلى معادِ[2] النَّفسِ بقوله[3]:

اقتُلوني يا ثِقاتي إنَّ في قَتْلي حَياتي
ومَماتي في حَياتي وحَياتي في مَماتي[4]

قال السُّهرورديُّ: وإيّاها عنى بقوله رضي الله عنه:

هَيكليُّ الجِسمِ نُوريُّ الصَّميمْ صَمَديُّ الرُّوحِ دَيَّانٌ عَليمْ
عادَ بالرُّوحِ إلى أربابِها فبَقِيَ الهَيكَلُ في التُّربِ رَميمْ[5]

ومن نظمه وهو مَصلوب:

مَنْ أطلَعوهُ على سِرٍّ فباحَ به لم يأمَنوهُ على الأسرارِ ما عاشا[6]
وعاقَبوهُ على ما كانَ من زَلَلٍ وأبدَلوهُ مكانَ الأُنسِ إيحاشا

---

(١) كذا في الأصل، وفي ديوان الحلاج صفحة ٣٠:

عجبتُ منكَ ومنِّي يا مُنيَةَ المُتَمَنِّي
أدْنَيْتَني منكَ حتّى ظننتُ أنَّكَ أنِّي
وغِبتُ في الوَجدِ حتّى أفْنَيْتَني بِكَ عَنِّي

(٢) في المطبوع: إلى جهاد.

(٣) الديوان صفحة ٣٣، ٣٤.

(٤) في الأصول:

وحياتي في مماتي ومماتي في حياتي

(٥) الديوان صفحة ٨٦.

(٦) رواية الديوان صفحة ٢٢:

مَنْ لم يصن سِرَّ مَولاه وسيّده لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
من أطلعوه على سِرٍّ فنمَّ به فذاك مثلي بين الناس طَيّاشا

ومن كراماته:

أنَّه كانَ يُخرِجُ للنَّاسِ فاكهَةَ الشِّتاءِ في الصَّيف، وعكسه.

ويمدُّ يدَهُ في الهواءِ ويُعيدُها مَملوءَةً دراهِمَ مكتوبٌ عليها ﴿قُل هو اللهُ أحَد﴾ ويُسمِّيها دراهِمَ القُدرة.

ومنها: أنَّه كان يُخبِرُ النَّاسَ بما أكَلوهُ وما فعلوه في بُيوتِهم، ويتكلَّمُ بما في ضمائِرِهم.

ومنها: ما حَكاهُ ابنُ خَفيف قال: دخلتُ عليه السِّجنَ، فسلَّمْتُ، فرَدَّ فقال: ما يَقولُ الخَليفَةُ فِيَّ؟ قلتُ: غَداً نقتُلُه، فتبسَّمَ وقال: لي خمسةَ عشرَ يَوماً يكونُ من أمري كذا وكذا، ثمَّ قامَ فتوضَّأَ، وكان بالسِّجنِ حَبلٌ مَمدودٌ، وعليه خِرقَةٌ، فرأيتُها في يده يُنشِّفُ بها وجهَهُ، وكان بينَهُ وبينَها نحو أربعينَ ذِراعاً، فلا أدري أطارَت الخِرقَةُ إليه، أم مَدَّ يَدَهُ فأخَذَها؟ ثمَّ أشارَ بيده إلى الحائطِ فانفرَجَ، فرأيتُ دجلَةَ والنَّاسُ قِيامٌ على جانبَيها.

ولـه تصـانيـفُ بَـديعَـةٌ فـي التَّصـوُّفِ، وعِلـمِ الحَـرْفِ والسِّيميـاءِ[1]

---

(١) السيمياء: كلمة تستعمل على نوعين من السحر مختلفين كل الاختلاف:

١ـ تستعمل اليوم على ما يعرف في كثير من الأحيان بالسحر الطبيعي، وإن كان الواضح أن المقصود به هو التنويم المغناطيسي. ذكر ابن خلدون أن الفلاسفة يسمونه الشعوذة والشعبذة. ويشرحه بقوله: وله تأثير في القوى المتخيلة، يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة، فيتصرف فيها بنوع من التصرف، ويلقي فيها أنواعاً من الخيالات والمحاكاة مما يقصده من ذلك، ثم ينزلها إلى الحسِّ من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه، فينظر الراؤون كأنها في الخارج، وليس هناك شيء من ذلك.

٢ـ يؤثر ابن خلدون تسمية السيمياء بعلم أسرار الحروف، فقد كان المصطلح سيمياء في الأصل أوسع معنى من ذلك، يطلق على علم الطلسمات عامة، وإنما استعمل عند غلاة المتصوفة الذين قالوا: إنهم قادرون على التصرف في العالم الطبيعي بهذه الحروف والأسماء والأشكال الناشئة عنها، ومن ثمَّ عُدَّ هذا العلم مباحاً دراسته وممارسته لأهل التقى من المسلمين، على أن الصوفية الذين اصطنعوه كانوا من المتفكرين القائلين بوحدة الوجود، وقد زعموا أنهم من أهل التصرف في عالم العناصر، وأن خوارق العادة تظهر على أيديهم، وقالوا: إن الوجود تنزل عن الواحد =

والكيمياءِ[1]، والطَّلاسِمِ والعزائم، والرّقى، وغير ذلك.

= وترتيبه، ودونوا لذلك مصطلحات صنفوا فيها رسائل، وزعموا أن الكمال الأسمائي (أسماء الله الحسنى) مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب، وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء فهي سارية في الأكوان على هذا النظام، والأكوان من لدن الإبداع الأول تنتقل في أطواره، وتقرب من أسراره، فحدث لذلك علم أسرار الحروف، وثمرة هذا عندهم تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى، والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان، وذلك هو مذهب البوني، وابن عربي وأتباعهما... يقول ابن خلدون إن التصرف في العالم الطبيعي موجود، ولكنه يحدث بكرامة يؤتيها الله أولياءه، أما إذا خلا صاحب الأسماء من معرفة أسرار الله، وحقائق الملكوت الذي هو نتيجة المشاهدة والكشف، واقتصر على مناسبات الأسماء وطبائع الحروف والكلمات وتصرف بها من هذه الحيثية كان من أهل السيمياء، لا فرق بينه وبين صاحب الطلسمات وهذا الفكر صنوٌ لمذهب القبالة عند اليهود في باب أسرار الحروف والإتيان بالخوارق، وترتبط بأسماء الله الحسنى، وتقول: إن علم الحروف هو علم أرواح الأشياء، وأن الله بالحروف خلق العالم وهيمن عليه، وأن البشر بالعلم بها يستطيعون التصرف في الأشياء المادية. انظر دائرة المعارف الإسلامية ١٣/ ٢١.

(١) علم الكيمياء: (وهو غير علم الكيمياء المعروف الآن) علم ينظر في المادة التي بها يتكون الذهب والفضة بالصناعة، والعلم الموصل إلى ذلك: تصفح العلماء المكونات كلّها بعد معرفة أمزجتها وقواها لعلهم يعثرون على المادة المستعدة لذلك، حتى من الفضلات الحيوانية كالعظام والريش والبيض والعذرات، فضلاً عن المعادن، والأعمال التي تخرج بها المادة من القوة إلى الفعل مثل: حلّ الأجسام إلى أجزائها الطبيعية بالتصعيد (الإذابة)، والتقطير، وجمد الذائب منها بالتكليس، وإمهاء الصلب بالفِهر (الحجر) والصَّلاية (المدق) وأمثال ذلك. وفي زعمهم أنه يخرج بهذه الصناعات كلها جسم طبيعي يسمونه الإكسير وأنه يلقى على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب والفضة بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص والقصدير والنحاس بعد أن يحمى بالنار فيعود ذهباً إبريزاً.

ويكنون عن ذلك الإكسير إذا ألغزوا اصطلاحاتهم بالروح، وعن الجسم الذي يلقى عليه بالجسد. فشرح هذه اصطلاحات، وصورة هذا العمل الصناعي الذي يقلب هذه الأجساد المستعدة إلى صورة الذهب والفضة هو علم الكيمياء.

والكيمياء من جنس الآثار الروحانية وتصرفها في عالم الطبيعة إما من نوع الكرامة إن كانت النفوس خيرة، أو من نوع السحر إن كانت النفوس شريرة فاجرة. فأما =

قُتِلَ سنة تسعٍ وثلاثِ مئة.

تنبيه: قال الإمامُ ابنُ عربي: رأيتُ الحلاّج في بعضِ التجلّيات، فقلتُ له: لِمَ تركتَ بيتَكَ[1] يخرُبُ؟ فتبسَّمَ وقال: لمَّا استطالَتْ عليه أيدي الأكوانِ حتّى أخلَيْتُهُ[2]، فأفنيتُ، وأخلفتُ هارون في قَومي، فاستضعفوه لغيبتي، فأجمعوا على تخريبه، فلمَّا هَدُّوا من قواعِدِه ما هَدُّوا، ورُدِدْتُ إليه بعدَ الفناء، فأشرفتُ عليه، وقد حلَّتْ به المَثُلاتُ، فأنِفَتْ نَفسي أن أُعَمِّرَ بيتاً تحكَّمَتْ فيه أيدي الأكوان، فقبضتُ عنه، فقيل مات الحلاّج، والحلاّجُ ما مات، لكنَّ البيتَ خَرِبٌ والسَّاكِنَ ارتحَلَ، والسَّلام.

* * *

(٣٣٠) الحسن بن محمد[*]

الحسن بن محمد الخولاني، أبو الحسن الكانشي[3]، فَقيهٌ صالِحٌ مُجتهِدٌ في العِبادةِ، كافَحَ كَثيراً الكبائر، رَقيقُ القلبِ، مُجابُ الدَّعوةِ، كثيرُ السَّماحَةِ، شَديدُ الوقوفِ لرِضا الرَّبِّ، باعَ ضِياعَهُ وتصدَّقَ بها، صادِقٌ في مذهبه، مُجانِبٌ لأهلِ الهَوى.

= الكرامة فظاهرة، وأما السحر فلأن الساحر يقلب الأعيان بقوته السحرية، ولا بد له مع ذلك عندهم من مادة يقع فعله السحري فيها لتخليق بعض الحيوانات من ماة التراب أو الشجر، وبالجملة من غير مادتها المخصوصة بها كما وقع لسحرة فرعون في الحبال والعصي..
ولما كانت هذه تخليقاً للذهب في غير مادته الخاصة به كان من قبيل السحر. لذلك كان كلام أعلام حكماء هذا العلم مثل: جابر بن حيان ومسلمة المجريطي فيه ألغاز حذر عليها من إنكار الشرائع على السحر وأنواعه لا أن ذلك يرجع إلى الضنانة بها كما هو رأي من لم يذهب إلى التحقيق في ذلك. انظر مقدمة ابن خلدون ٤/ ١١٨٦ وما بعدها.

(١) في (ف): بيته.
(٢) في المطبوع: حتى أخلته.
(*) ترتيب المدارك ٢/ ٣٦٧، الديباج المذهب ١٠٤، شجرة النور ١/ ٨٥.
(٣) في الأصول: أبو الحسين الكابس، والمثبت من مصادر ترجمته.

قال الأبياني: ذاكَ العالِمُ حَقًّا.

سَمِعَ من: ابنِ مِسكين، وابن زيد[1]، وابن شعبان.

وكان له معرفةٌ بشعراءِ العربِ، واللُّغةِ، والنَّحو.

أخَذَ عنِ القابسي، واللَّواتي، وابن نظيف[2]، ورحَلَ النَّاسُ إليه من الآفاق.

وكان يقولُ: وعِزَّتِكَ، ما عَصيتُكَ استخفافاً بحقِّكَ، ولا جُحوداً لربوبيَّتِكَ، لكن حضرني[3] جهلي، وغابَ عنِّي عِلمي، واستفزَّني عَدوّي، وإنِّي عليها يا إلهي لنادِمٌ.

وكان إذا أعجبَهُ من صاحِبه شيءٌ قال: واللهِ لأَسُرَّنَّكَ في نفسِكَ، قيل له: بماذا؟ قال: بحُسنِ الثَّناءِ عليكَ، فقيل له: فماذا تَصنَعُ بقولِ المصطفى ﷺ: «احثُوا التُّرابَ في وجوهِ المَدَّاحين»[4]؟ فقال: قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: إنَّما ذلك إذا مَدَحَ الرَّجلَ في وَجهه بما ليس فيه، وإلاَّ فمَدْحُ الرَّجلِ في وجهه بما يَجري من حُسنِ أفعاله فحَسَنٌ.

ومن كلامه:

أبَتِ الحِكمَةُ أن تَنطِقَ على لِسانِ مَنْ يأكُلُ حتّى يشبَعَ، ومَنْ يُحِبُّ الدَّراهِمَ.

وقال: أرِني مَنْ قَصَدَهُ فخابَ، أو توكَّلَ عليه فضاعَ، أو أطاعَهُ فأضاعَهُ، لا يُرى ذلك أبداً.

---

(١) في الأصل: ثريد، والمثبت من مصادر الترجمة.

(٢) كذا في الأصل، وفي ترتيب المدارك ٢/ ٣٦٨: أبو عبد الله بن نصيب، وفي الديباج المذهب ١٠٤: أبو عبد الله بن لطيف.

(٣) في الأصل: حقرني، والمثبت من مصادر ترجمته.

(٤) أخرجه مسلم (٣٠٠٢) في الزهد، باب النهي عن المدح، وأبو داود (٤٨٠٤) في الأدب، باب في كراهية التمادح، والترمذي ٤/ ٥٩٩ (٢٣٩٣) في الزهد باب ما جاء في كراهية المدحة. وانظر إلى ما قاله الشيخ ناصر الدين الألباني في الأحاديث الصحيحة ٢/ ٦١٣ (٩١٢).

وأنشدَ:

يــا رَبِّ كُـنْ لـي دَليـلاً[1] بــالصُّنــعِ حتّــى أُطيعَــكْ
لَئِــنْ ذَمَمْــتَ صَنيعــي لقــد حَمِـدْتُ صَنيعَـكْ[2]
إذا كنــتُ أعصيــكَ إنِّــي أُحِــبُّ فيــكَ مُطيعَــكْ[3]

ماتَ سنةَ سَبعٍ وأربعينَ وثلاثِ مئة.

* * *

(٣٣١) الحسين بن عبد الله الصُّبحي البَصري(*)

إمامٌ قَدْرُهُ عَلا، وبُرهانُ مِنهاجِهِ واضِحٌ حَسَنٌ جَلا، كان للتَّربيةِ مَقصوداً، ومن أكابرِ الصُّوفيَّةِ مَعدوداً، عالِماً بالكِتابِ والسُّنَّة، صاحِبَ وَرَعٍ ولِسانٍ في الطَّريقِ ومكنة.

مَكَثَ في سَرَبِ داره فلم يَخرُجْ ثَلاثينَ سنةً حتّى أخرَجَهُ أهلُ البَصرةِ إلى سوس، وبها مات.

ومن كلامه:

السَّماعُ بالصَّريحِ جَفاءٌ، وبالإشارَةِ تَكلُّفٌ، وألطَفُهُ ما كان بلا تكَلُّفٍ[4].

وقال: علامَةُ مَنْ يُحِبُّ الدُّنيا أن تقطَعَهُ عنِ الآخرة؛ فإنَّ الحُكمَ للأغلَبِ.

وقال: ليسَ الغريبُ مَنْ بَعُدَ عن وطَنِه، بل مَنْ قَلَّ جِنسُهُ وشَكْلُهُ.

وقال: النَّظَرُ في عواقِبِ الأمورِ، من أحوالِ العاجزينَ، والهجومُ على

---

(١) في ترتيب المدارك ٢/ ٣٧٣، والديباج ١٠٤: كن لي ولياً.
(٢) في الأصل: لئن محوت.... لقد عدمت، والمثبت من ترتيب المدارك، والديباج.
(٣) في الأصل: أعصاك جهلاً... فيك من يطيعك، والمثبت من ترتيب المدارك، والديباج.
(*) طبقات الصوفية ٣٢٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٤، مناقب الأبرار ١٦٠/أ، المختار من مناقب الأبرار ١٢٨/أ، طبقات الأولياء ٣٣٤، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٠٣.
(٤) في طبقات الصوفية ٣٢٩: وألطف السماع ما يُشْكِلُ إلا على مستمعه.

الموارِدِ، من أحوالِ السَّائرينَ، والخُمودُ بالرِّضا تحتَ مَوارِدِ القضاءِ، من أحوالِ العارفين.

وقال: يجِبُ على الواجِدِ حِفظُ وَجْدِه.

وسُئِلَ عن أصولِ التَّصوُّفِ[1]، فقال: إثباتُ صِدقِ الافتقارِ إلى الله تعالى، والاقتداءُ برسوله ﷺ وفُروعُه أربعة: الوفاءُ بالعُهودِ، وحِفظُ الحُدودِ، والرِّضا بالمَوجودِ، والصَّبرُ عنِ المَفقودِ.

وقال: ابتُلي الخلائقُ بالدَّعاوى العَريضَةِ في الغَيبِ، فإذا أظَلَّتْهُم هَيبَةُ المُشاهدَةِ خَرِسوا وانقمَعوا وتَلاشوا، ولو صَدَقوا في دعاويهم لبرَزوا عند المُشاهدَةِ كما بَرَزَ المُصطفى ﷺ بقَدَمِ الصِّدقِ حين تُطلَبُ منه الشَّفاعَةُ، ويقولُ: «أنا لها»[2] ولم تَرُعْهُ هيبةُ الموقف.

* * *

(٣٣٢) الحسن بن أحمد الكاتب المصري(*)

من كِبارِ مَشايخِ مِصرَ والشَّام، ومن أعاظِمِ أهلِ الحقائقِ الأعلام، وافِرُ العِرفان، مُثمِرُ الأفنان.

أخَذَ عنِ: الرُّوذباريّ، وغيره.

---

(١) في طبقات الصوفية ٣٢٩: وسئل عن أصول الدين.

(٢) حديث شفاعته ﷺ يوم القيامة، وقوله: «أنا لها» بعد أن أتى الناس أنبياء الله صلى الله عليهم وسلم يسألونهم الشفاعة، وكلهم يقول: «لست هناكم»، و «لست لها»، أخرجه البخاري ١٣/ ٤٧٣ (٧٥١٠) في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء، ومسلم (١٩٣) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(*) طبقات الصوفية ٣٨٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٠، الرسالة القشيرية ١/ ١٧٠، مناقب الأبرار ١٨٤/ب، صفة الصفوة ٤/ ٣٢٣، المنتظم ٦/ ٣٧٥، المختار من مناقب الأخيار ١٢٤/أ، البداية والنهاية ١١/ ٢٣٨، طبقات الأولياء ٥٧، حسن المحاضرة ١/ ٢٤٠، طبقات الشعراني ١/ ١١٢. وفي المطبوع الكاتب المعدي البصري.

ومن كلامه:

إذا انقطَعَ العبدُ إلى اللهِ بكُلِّيّته فأوَّلُ ما يُفيدُه الاستغناءُ به عنِ النَّاسِ.

وقال: روائِحُ نَسيمِ المحبَّةِ تَفوحُ مِنَ المُحبِّينَ وإن كَتَموها، وتَظهَرُ عليهم دلائِلُها وإن أخفوها، وتَدُلُّ عليهم وإن سَتَروها.

وقال: المعتزِلَةُ نَزَّهوا اللهَ من حيثُ العُقول فأخطؤوا، والصُّوفيَّةُ نَزَّهوهُ من حيثُ العِلم فأصابوا.

وقال: مَنْ سَمِعَ الحِكمَةَ ولم يعمَلْ بها فهو مُنافِق.

وقال: صُحبَةُ الفُسَّاقِ داءٌ، ودواؤها مُفارقَتُهم.

وقال: يَقولُ اللهُ: مَنْ صَبَرَ عَلينا وَصَلَ إلينا.

وقال: إنَّ اللهَ يَرزقُ العبدَ حَلاوَةَ ذِكرِهِ، فإن فَرِحَ به وشكَرَهُ آنَسَهُ بقُربه، وإن لم يشكُرْهُ أجرى الذِّكرَ على لِسانه وسَلَبَهُ حلاوتَهُ.

وقال: إذا سَكَنَ الخَوفُ القلبَ لم ينطِقِ اللِّسانُ إلاَّ بما يَعنيه.

ماتَ سنةَ نَيِّفٍ وأربعين وثلاثِ مئة.

* * *

(٣٣٣) الحسين بن عليّ بن يَزْدانيار(*)

كانَ جَليلَ القَدْرِ، رَحيبَ الباعِ والصَّدرِ، وافِرَ المَهابَةِ، ظاهِرَ الإنابَةِ، كَثيرَ الخيرِ والإحسانِ، مُعظَّماً عند الأكابرِ والأعيان، أخلاقُهُ كَريمة، وبركاتُهُ عَميمة، وقَدَمُهُ ثابت، وغَرْسُ كرمه وكراماته نابت، أصلُهُ من أذربيجان[1] وله

(*) طبقات الصوفية ٤٠٦، حلية الأولياء ١٠/٣٦٣، الرسالة القشيرية ١/١٧٥، مناقب الأبرار ١٨٨/ب، المختار من مناقب الأخيار ١٢٨/ب، طبقات الأولياء ٣٣٥، طبقات الشعراني ١/١١٤.

(١) في مصادر ترجمته: أصله من أُرْمية. وهي مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان، حسنة كثيرة الخيرات، واسعة البساتين، صحيحة الهواء، تقع بين تبريز وإربل، والنسبة إليها =

طَريقٌ في التَّصوُّفِ يَختصُّ بها، وكان يُنكِرُ على بعضِ مشايخِ العراقِ كالجُنَيد أحوالَهُم الفاضحة لأسرارِ الطَّريق.

ومن كلامه:

رِضا الخَلْقِ عنِ اللهِ رِضاهُم بما يفعل، ورِضاهُ عنهم توفيقُهم للرِّضا عنه.

وقال: مَنِ استغفرَ اللهَ وهو مُلازمٌ لشهوةِ الذَّنبِ حَرَّمَ اللهُ عليه التَّوبَةَ والإنابَةَ إليه.

وقال: الحَياءُ ثَلاثونَ قِسماً منها حياءُ الخِيانَةِ كحياءِ آدَمَ لمّا أكَلَ من الشَّجرةِ، وحَياءُ التَّقصيرِ كقولِ الملائكةِ: سُبحانَكَ ما عبدناكَ حَقَّ عِبادتِكَ، وحَياءُ الإجلالِ كما رُوِيَ أنَّ إسرافيل تسربَلَ بجناحه حَياءً من ربِّه.

وقال: إيّاكَ أن تطمَعَ في الأُنسِ باللهِ وأنتَ تُحِبُّ الأُنسَ بالنَّاسِ، وأن تطمَعَ في المنزِلَةِ عندَ اللهِ وأنتَ تُحِبُّ المنزِلَةَ عندَ النَّاسِ.

وقال: المُريدُ طالِبٌ، والعارِفُ مَطلوبٌ، والمَطلوبُ مَقبولٌ، والطَّالبُ مَرغوب[1].

وقال: الرُّوحُ مَزرعَةُ الخَيرِ لأنَّها مَعدِنُ الرَّحمة، والبَدَنُ مَزرعَةُ الشَّرِّ لأنَّه معدِنُ الشَّهوَةِ، فالرُّوحُ مَطبوعَةٌ على إرادَةِ الخَيرِ، والنَّفسُ على إرادَةِ الشَّرِّ.

وقال: المعرفَةُ تحَقُّقُ القَلبِ بوحدانيَّةِ اللهِ، وظُهورُ الحقائقِ، وتلاقي الشَّواهد[2].

وسُئِلَ عنِ العبدِ إذا خرَجَ إلى اللهِ على أيِّ أصلٍ يخرج؟ قال: على أن لا يعودَ إلى ما منه خَرَجَ، ولا يُراعي غيرَ مَنْ إليه خَرَجَ، ويحفَظُ سِرَّهُ عن مُلاحظَةِ ما تبرَّأ منه، فقيلَ له: هذا حُكمُ مَنْ خَرَجَ عن وجودٍ، فما حُكمُ مَنْ

= أرموي. انظر معجم البلدان ١/ ١٥٩.

(١) الخبر موافق لرواية مناقب الأبرار ١٨٩/أ، وفي طبقات الصوفية: ... والمطلوب مقتول والطالب مرغوب.

(٢) في الأصل: تلاشي الشواهد، والمثبت من طبقات الصوفية ٤٠٩، والمختار من مناقب الأخيار ١٢٩/أ، وفي مناقب الأبرار ١٨٩/أ: ظهور الحقائق في الشواهد.

خَرَجَ عن عَدَمٍ؟ فقال: وجودُ الحلاوَةِ في المستأنف عوضٌ عنِ المرارَةِ في السَّالف[1].

* * *

(٣٣٤) الحسن بن علي الجُوزجانيُّ[*]

من كِبارِ مَشايخِ خُراسان، مَشهورٌ بالرِّياضَةِ والمعارف، والمُجاهدات واللَّطائف، إمامٌ عَظُمَ شَرَفُهُ، وشَيخٌ عَلَتْ في جنَّةِ الوَرَعِ غُرَفُهُ.

صَحِبَ الحكيم التِّرمذي، والبَلخي[2]، لقُربِ سِنِّه منهما.

ومن كلامه:

ثلاثةُ أشياءَ من عقدِ التَّوحيد: الخَوفُ، والرَّجاءُ، والمحبَّةُ، فزيادَةُ الخَوفِ من تركِ الذُّنوبِ[3] لرؤيةِ الوَعيد، وزيادَةُ الرَّجاءِ من اكتسابِ الخيرِ لرؤيةِ الوَعدِ، وزيادَةُ المحبَّةِ من كَثرةِ الذِّكرِ لرؤيةِ المِنَّة، فالخائفُ لا يستريحُ من الهرَبِ، والرَّاجي لا يستريحُ من الطَّلَبِ، والمُحِبُّ لا يستريحُ من ذِكرِ المَحبوبِ، فالخوفُ نارٌ منوّر، والرَّجاءُ نورٌ منوّر[4]، والمحبَّةُ نورُ الأنوار.

وقال: في البُخلِ ثلاثَةُ أحرُفٍ: الباءُ وهو البَلاء، والخاءُ وهو الخُسران، واللاَّمُ وهو اللَّوم، فالبخيلُ بَلاءٌ على نفسه، وخاسِرٌ في سعيه، ومَلومٌ في بُخله.

وقال: كُنْ صاحِبَ استقامَةٍ لا طالِبَ كَرامَةٍ؛ فإنَّ نفسَكَ مُتحرِّكَةٌ في طَلَبِ الكرامَةِ، ورَبُّكَ يُطالِبُكَ بالاستقامَةِ.

---

(١) في المطبوع: في المشانف عوض عن المرارة في المتألف.

(*) طبقات الصوفية ٢٤٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٠، مناقب الأبرار ١١٨/أ، المختار من مناقب الأخيار ١٢٧/أ، طبقات الأولياء ٣٣٣، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩٠. وفي الأصول الحسين، والمثبت من مصادر ترجمته.

(٢) وهو محمد بن الفضل، أبو عبد الله، انظر ترجمته رقم (٣٧٢) صفحة ٢/ ١٤٩.

(٣) كذا في مناقب الأبرار ١١٨/أ أيضاً، وفي حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٠: من كثرة الذنوب.

(٤) في المطبوع: نور ينور، وفي (أ) و (ب): نار مثور، والمثبت من الحلية ١٠/ ٣٥٠، والمناقب.

(حرف الدال المهملة)

(٣٣٥) دُلَف بن جَحْدَر أبو بكر الشِّبليّ(*)

قيلَ اسمُهُ جعفرُ بنُ يونُس، حَكاهُ السُّلمي[١]، وقيلَ غيرُ ذلك.

إمامٌ اشتهرَ شرفُه، وسَمَتْ في جِنانِ المعرفَةِ غُرَفُه، وأضاءَ كَوكَبُ زُهدِه ودِيانَتِه، ونَما فَرعُ وَرَعه وصِيانَته، وهو خُراسانيُّ الأصل، بغداديُّ المنشأ.

كان والياً بدُنْباوَنْد[٢] وبالبصرة، وكان والِدُهُ حاجِبَ الحُجّابِ للمُوفَّقِ، ثمَّ تابَ صاحبُ الترجمةِ، وصَحِبَ الجُنَيد والنَّسّاج، والطَّبقة، وصارَ أوحَدَ وَقتِهِ عِلماً وحالاً.

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ مالك، وكتَبَ حَديثاً كَثيراً، ثم شغلَتْهُ العِنايَةُ عنِ الرِّوايَةِ.

(*) طبقات الصوفية ٣٣٧، حلية الأولياء ١٠/٣٦٦، تاريخ بغداد ١٤/٣٨٩، الرسالة القشيرية ١/١٥٩، مناقب الأبرار ١٦١/أ، الأنساب ٧/ ٢٨٢، صفة الصفوة ٢/ ٤٥٦، المنتظم ٦/ ٣٤٧، المختار من مناقب الأخيار ١٤٢/أ، اللباب ٢/ ١٠، الكامل في التاريخ ٨/ ٣٥٠، وفيات الأعيان ٢/ ٢٧٣، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٦٧، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٦٧، العبر ٢/ ٢٤٠، مرآة الجنان ٢/ ٣١٧، الوافي بالوفيات ١٤/ ٢٥، البداية والنهاية ١١/ ٢١٥، الديباج المذهب ١١٦، طبقات الأولياء ٢٠٤، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٨٩، طبقات الشعراني ١/ ١٠٣، شذرات الذهب ٢/ ٣٣٨.

(١) طبقات الصوفية ٣٣٧.

(٢) دُنْباوَنْد: ناحية من رستاق الري في الجبال، وبعضهم يقول دماوند، والأول أصح. وفيات الأعيان ٢/ ٢٧٦، وفي الأصول تحرفت إلى نهاوند.

وكان يأخُذُهُ الوَلَهُ، ويُرَدُّ في أوقاتِ الصَّلاةِ إلى حِسِّه حتى لا يفوتَهُ شيءٌ ممَّا يتوجَّه عليه من التَّكليف، كما يتوجَّهُ على العاقِلِ الذَّاكِر، فإذا فَرَغَ من صلاته أخَذَهُ الوَلَهُ فلا يَعقِلُ.

وسَمِعَ بيَّاعاً يقولُ: الخِيارُ عشرةٌ بدِرهم، فصاحَ وقال: إذا كان الخِيارُ عشرة بدرهم، فكيف الشِّرار ؟.

وصاحَ يَوماً في السَّماع، فقيل له فيه، فقال:

لو يَسمعونَ كما سمعتُ كلامَها   خَرُّوا لعَزَّةَ رُكَّعاً وسُجودا[1]

ودخَلَ خربَةً، فوجَدَ بها جاريَةً، فصاحَ بأعلى صوته: يا للمسلمين، أدركوني، فأتاهُ النَّاسُ، فقالوا له: ما الخبر ؟ فقال: خِفتُ على نَفسي من الخَلوةِ بهذه.

وكان إذا أعجَبَهُ نحو صوفٍ أو عِمامةٍ، أو ثَوبٍ، خَرَقَه[2].

ومن كلامه وحِكَمِه التي وشَّحَها بألفاظه وأقلامه، ونضَّدَ عُقودَها بأحكام إحكامه، وملأ بجيوشِها صدورَ مهامه قال: لا يَكمُلُ فَقيرٌ حتّى تَستويَ حالاتُهُ سَفراً وحَضَراً، وغيبَةً ومَشهداً[3].

وقال: وقفتُ بعَرَفة فطالبتُ النَّاسَ بما يجِبُ من الحُضورِ والإجلالِ، فرأيتُ الغالِبَ عليهم التَّقصير، فرحمتهم، وقلتُ: إلهي، إنْ مَنَعْتَهُم إرادَتَك فيهم فلا تَمْنَعْهُم مُناهُم منكَ.

وقال: الدُّنيا قِدْرٌ يَغلي، وكَنيفٌ يُملأ.

وقيلَ له: ابنُكَ انبشَمَ البارِحَةَ من كَثرَةِ الأكلِ، قال: لو ماتَ ما صَلَّيْتُ عليه.

---

(١) البيت لكثير عزة، وهو في ديوانه صفحة ٤٤٢ تحقيق الدكتور إحسان عباس.

(٢) في المطبوع و (أ): حرقه. وانظر الخبر صفحة: ٨٧.

(٣) في طبقات الصوفية ٣٤٠: سئل متى يكون الرجل مريداً ؟ فقال: إذا استوت حاله في السفر والحضر، والمشهد والمغيب.

وقال: ليسَ مَنِ احتَجَبَ بالخَلْقِ عنِ الحَقِّ كمَنِ احتَجَبَ بالحَقِّ عنِ الخَلْقِ، وليسَ مَنْ جَذَبَتْهُ أنوارُ قُدسه إلى أُنسه كمَنْ جَذَبَتْهُ أنوارُ رحمَتِه إلى مغفرَتِه.

وقال: رَفَعَ اللهُ العِبادَ على قَدَرِ عُلُوِّ هِمَمِهم، فلو أجرى على الأولياءِ ذَرَّةً مِمَّا أجراهُ على الأنبياءِ ذابوا وتقطَّعوا[1].

وقال: المُحِبُّ إذا لم يتكلَّم هَلَك، والعارِفُ إذا تكلَّمَ هَلَكَ.

وقال: كُلُّ صِدِّيقٍ ليس له كَرامةٌ فهو كَذَّاب.

وقال: العارِفونَ نِيامٌ، والجاهِلونَ أمواتٌ.

وقال: ذُلِّي عَطَّلَ ذُلَّ اليهود.

وقال: مَنْ ذاقَ ذَرَّةً مِنَ التَّوحيدِ عَجِزَ عن حَمْلِ نَملَةٍ؛ لثِقَلِ ما حَمَل.

وقال: إنَّما سُمِّيَتِ الصُّوفيَّةُ صوفيَّةً لبقيَّةٍ بقِيَتْ عليهم، ولولاها ما تعلَّقَتْ بهم تسمية.

وقال: العارِفُ لا يكونُ بكلامِ غيره لافِظاً، ولا للغيرِ لاحِظاً، ولا يَرى غيرَ اللهِ حافِظاً.

وقال: سمعتُ الحقَّ تعالى يقولُ: مَنْ نامَ غَفِلَ، ومَنْ غَفِلَ حُجِبَ، فلذلك اكتحلْتُ بالملحِ لئلاَّ أنام.

وقال: المُحِبُّ إذا سكَتَ هَلَكَ، والعارِفُ إذا لم يسكت هَلَكَ.

وقال: مَنْ عَرَفَ اللهَ تعالى حمَلَ السَّماواتِ والأرضَ على شعرةٍ من جفنِ عَينيه، ومَنْ لم يعرِفْه لو تعلَّقَ به جناحُ بعوضَةٍ ضَجَّ لحمله.

وقال: الانبساطُ مع الحقِّ بالقولِ تَرْكُ أدَبٍ.

وقال: الحُزنُ مَلِكٌ، فإذا سَكَنَ محَلاًّ لم يَرضَ أن يُساكِنَهُ آخر.

وقال: يقولُ أحدُهم: توكَّلْتُ على الله، وهو يَكذِبُ عليه، لو توكَّلَ عليه رضيَ بفعله.

---

(١) في طبقات الصوفية ٣٤٦ ومناقب الأبرار ١٦٥/ب: رفع الله الوسائط بعلو هممهم. . . . لبطلوا وتقطعوا.

وقال: صُحبَةُ الأشرارِ تُورِثُ سُوءَ الظَّنِّ بالأخيار.

قال: مَنْ خَرَجَ عن ماله كلِّه لله فإمامُهُ أبو بكر، ومَنْ خَرَجَ عن بعضِه وأمسَكَ بعضَهُ فإمامُهُ عُمَرُ، ومَنْ أخَذَ وأعطى، وجمَعَ لله فإمامُهُ عُثمان، ومَنْ تَرَكَ الدُّنيا لأهلِها فإمامُهُ عليٌّ، وكُلُّ عِلمٍ لا يُؤدِّي إلى تَركِ الدُّنيا فليسَ بعلمٍ.

وقال: إنْ أردتَ أن تَنظُرَ إلى الدُّنيا بحذافيرها فانظُرْ إلى مَزبلَةٍ وإن [أردت أن][1] تنظُرَ إلى نفسِكَ فخُذْ كَفًّا من تُرابٍ، فإنَّكَ منه خُلِقْتَ، وفيه تعود، وإن أردتَ أن تنظُرَ ما أنتَ فانظُرْ ما يخرجُ منكَ في دُخولِكَ الخَلاء، فمَنْ كانَ هذا حالَهُ فلا يتكبَّر.

وقال لتلميذه الحُصْري[2]: إنْ خَطَرَ ببالِكَ من الجُمعةِ إلى الجُمُعة غيرُ اللهِ فلا تَعُدْ تأتينا. وكان يأتيه كلَّ أسبوعٍ مَرَّةً.

وقال: أهلُ البَلاءِ أهلُ الغَفلَةِ عنِ الله.

وقال له رجُلٌ: كَثُرَتْ عِيالي، وقَلَّتْ حيلَتي. فقال: ادخُلْ دارَكَ، فكُلُّ مَنْ رأيتَ رِزقَهُ عليكَ دونَ اللهِ فأخرجه.

وقيل له: متى تَستريح؟ قال: إذا لم أرَ للهِ[3] ذاكِراً، إنِّي لا أستريحُ إلاَّ إذا دخلتُ حضرةَ الشُّهود، لأنَّها لا ذِكرَ فيها استغناءً عنه بالشُّهود، لأنَّ الذِّكْرَ إنَّما هو للغائب.

وقال: ليس لمريدٍ فَترة، ولا لعارِفٍ عَلاقة، ولا لمُحِبٍّ شَكوى، ولا لصادِقٍ دَعوى، ولا لخائِفٍ قَرار، ولا للخَلْقِ من اللهِ فِرار.

وقال: ليس مَنِ استأنَسَ بالذِّكرِ كمَنِ استأنَسَ بالمَذكور.

وسُئِلَ عنِ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فقال: الرَّحمن لم يزَلْ، والعَرشُ مُحدثٌ، والعرشُ بالرَّحمنِ استوى.

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من صفة الصفوة ٢/ ٤٥٩، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٦.

(٢) في المطبوع: الحضري، وفي (أ) و (ب): الخضري، والمثبت من مناقب الأبرار ١٦٥/ب.

(٣) في (أ) و (ب): الله.

ودخَلَ على عليِّ بنِ عيسى الوَزير[1]، وعندَهُ ابنُ مُجاهد، فقال: سأُسكتُهُ، يا أبا بكر، أينَ في العِلمِ إفسادُ ما يُنتفَعُ به؟ وكانت عادَتُهُ إذا لَبِسَ ثَوباً خَرَقَهُ، قال: فأينَ ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [صَ: ٣٣] يا ابنَ مُجاهد، أين في القرآنِ الحبيبُ لا يُعذِّبُ حَبيبَهُ؟ فسَكَتَ، قال الشِّبليُّ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ﴾ [المائدة: ١٨]، قال ابنُ مُجاهد: كأنِّي ما سمعتُها.

وقال: إنَّما يُحفَظُ هذا الجانِبُ بي، يعني من الدَّيلم، فماتَ يَومَ الجُمُعة، وعَبَرَ الدَّيلمُ الجانِبَ الغربي يومَ السَّبت، واستَولوا على بغداد، فنالَ النَّاسَ مُصيبتان: موتُ الشِّبليِّ، وعُبورُ الدَّيلَم[2].

وسُئِلَ: أيُّ شيءٍ أعجَبُ؟ قال: مَنْ عَرَفَ اللهَ ثمَّ عَصاه.

وقال: لا تأمَنْ على نفسِكَ، وإن مَشيتَ على الماءِ، حتّى تخرُجَ من دارِ الغُرورِ إلى دارِ الأمنِ.

وقال: مَنْ عَرَفَ اللهَ لا يكونُ له غَمٌّ.

وقال: إلهي أحَبَّكَ الخَلْقُ لنعمائِكَ، وأنا أُحِبُّكَ لبلائِكَ.

وقال: ليسَ للأعمى من رؤيةِ الجوهرةِ إلاَّ لمسُها، ولا للجاهِلِ من اللهِ إلاَّ ذِكرُهُ باللِّسان.

وقال: السَّماعُ ظاهِرُهُ فِتنَةٌ، وباطِنُهُ عِبْرَةٌ، فمَنْ عَرَفَ الإشارَةَ حَلَّ له استماعُ العبارة، وإلاَّ فقد استدعى الفِتنةَ وتعرَّضَ للبَلاء.

---

(١) في الأصول: ودخل على ابن الجراح الوزير، والمثبت من حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٣، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٢، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٧٦.

(٢) ففي هذا العام ـ أعني سنة ٣٣٤ هـ ـ أقبل معز الدولة أحمد بن الحسن بن بويه في جحافل عظيمة من الديلم ـ وكان بهم جور وعسف ـ إلى بغداد وقبض على الخليفة المستكفي بالله، وسمل عينيه، وأودعه السجن حتى مات سنة ٣٣٨ هـ. وفي هذا العام أيضاً وقعت الحرب بين معز الدولة وناصر الدولة بن حمدون ببغداد فانتهبوها، ووقع غلاء شديد حتى أكلوا الميتة والكلاب، وكثر الوباء في الناس. انظر البداية والنهاية ١١/ ٢١٢، ٢١٣.

وسَمِعَ قارِئاً يقرأُ: ﴿ وَلَبِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء: ٨٦] فأُغمِيَ عليه، فلمَّا أفاقَ جعَلَ يقولُ: بمِثلِ هذا تُخاطبُ الأحباب؟!

وقال: ليس الكامِلُ مَنْ يوصِلُ كلَّ يَومٍ ألفاً من العوام، بل مَنْ يوصِلُ فَقيهاً واحِداً في مئةِ عام. وفي قصَّةِ موسى والخضرِ كِفايَةٌ لكلِّ مُعتبِر.

وقال: الإفلاسُ يا ناس الاستئناسُ بالنَّاس.

وقال: الزَمِ الوحدَةَ، وامْحُ اسمَكَ من القَومِ، والزَم الجِدارَ حتّى تَموتَ.

وقال: لو كانَ لي في القيامةِ أمرٌ لسألتُ اللهَ أن يملأَ جهنَّمَ مِنِّي وَحدي، لئلاّ يَبقى فيها مُتَّسَعٌ لغَيري، لأفدي بعضَ أُمَّةِ محمَّدٍ، فرأى في نَومه اللهَ يقولُ: أما تَستحي أن تقولَ ما قُلتَ؟ إنْ كنتَ تتكرَّمُ على خَلْقي بما يَضرُّكَ فأنا خالِقُ الكَرَمِ وأولى أن أتكرَّمَ عليهم بما لا يضرّني. فقلتُ: وعِزَّتِكَ قد تُهْتُ[1] فلم أدرِ ما أقول.

وجاءَهُ رَجلٌ فقال: أيُّ الصَّبرِ أشَدُّ؟ قال: الصَّبرُ في الله. قال: لا، قال: فالصَّبرُ مع الله، قال: لا. قال: فالصَّبرُ لله، قال: لا. قال: فأيُّ شيءٍ؟ قال: الصَّبرُ عنِ الله. فصرَخَ الشِّبليُّ صَرخَةً كادَتْ رُوحُه أن تخرُجَ، ثمَّ أنشَدَ:

الصَّبرُ يَجمُلُ في المواطِنِ كُلِّها ... إلاَّ عَليكَ فإنَّه لا يَجمُلُ

وحَجَّ فلمَّا رأى الكعبَةَ أُغمِيَ عليه، ثمَّ أنشد:

هذه دارُهُم وأنتَ مُحِبٌّ ... ما بقاءُ الدُّموعِ في الآماقِ

ثم انتبَهَ، فسَمِعَ قائِلاً يقولُ:

أُسائِلُ عن لَيلى فهل من مُخبِرٍ ... يَكونُ له عِلماً بها كيفَ تنزِلُ

فصاحَ، وقال: واللهِ ما عنه في الدَّارَين مُخبر.

وسُئِلَ: هل تظهَرُ صِحَّةُ الوَجْدِ على الواجِدين؟ فقال: نُورٌ مَقرونٌ بنيرانِ اشتياقٍ تُحرِقُ فتَلوحُ على الهياكِلِ آثارُها[2].

---

(١) في المطبوع: قد بهت.

(٢) في الأصل: مقارن لنيران اشتياق فتلوح، والمثبت من مناقب الأبرار ١٦٧/أ.

وأذَّنَ مَرَّةً، فلمَّا تشهَّدَ قال: لولا أنَّكَ أمرتَنا بهذا الذِّكرِ ما ذكَرْتُ معك غيرَكَ.

ودخَلَ على الجُنَيدِ، فقال الجُنَيدُ: مَنْ كانَ اللهُ هَمَّهُ طالَ حُزنُه. فقال الشِّبليُّ: لا، بَلْ مَنْ كانَ اللهُ هَمَّهُ زالَ حُزنُه.

وقال: طُموحُ الآمالِ قد خابَتْ إلاَّ إليكَ، وعُكوفُ الهِمَمِ قد تعطَّلَتْ إلاَّ عليكَ، ومَذاهِبُ المعارِفِ[1] قدِ انسدَّتْ إلاَّ إليكَ.

وقال: مَرَّ بي بهلول المجنون وهو خارِجٌ إلى المقابرِ، ومعه قَصَبَةٌ جعَلَها فَرَسَهُ، وبيده مِقرعَةٌ، وهو يَعدو، فقلتُ: إلى أين؟ فقال: إلى العرضِ على الله، فجلستُ حتّى رَجَعَ، وقد انكسرَتِ القَصَبةُ، واحمَرَّتْ عَيناهُ من البُكاءِ، قلتُ له: ما كان منكَ؟ قال: وقفتُ بينَ يَدَيه على أن يكتُبَني من الخُدَّامِ، فلمَّا عَرَفَني طَرَدَني، وقال: الوَفاءُ الإخلاصُ في النُّطقِ، واستِغراقُ السَّرائِرِ بالصِّدق.

وقال له الجُنَيد: لو رَدَدْتَ أمرَكَ إلى اللهِ استرحتَ. قال: لا، بل لو ردَّ اللهُ أمري إليه لاسترحتُ، فقال الجُنَيد: سيوفُ الشِّبليِّ تَقطُرُ دَماً.

وقال: كيف يَصِحُّ لكَ شَيءٌ من التَّوحيدِ، وكُلَّما مَلَكتَ شيئاً من الدُّنيا مَلَكَكَ، وكُلَّما أبصرتَ شيئاً صِرْتَ أسيرَهُ؟.

وسُئِلَ عَنِ الزُّهدِ، فقال: تحويلُ القلبِ من الأشياءِ[2] إلى رَبِّ الأشياء.

وقال: التَّصوُّفُ ضَبطُ حَواسِّكَ، ومُراعاةُ أنفاسِكَ.

وقال: علامَةُ الإفلاسِ الأُنسُ بالنَّاسِ.

وقال: طَرحُ العاداتِ وصولٌ إلى الكراماتِ، ومَنْ حَقَّقَ رِقَّةَ لمَولاهُ استوحَشَ ممّا سِواه.

وقال: لِسانُ العملِ أفصَحُ من لِسانِ العِلم.

وسُئِلَ: هل يَبلُغُ الإنسانُ بجهدِهِ إلى شيءٍ من طُرُقِ الحَقيقَةِ أو الحقِّ؟

---

(١) في مناقب الأبرار ١٦٥/ب: مذاهب العارف.

(٢) في (أ): عن الأشياء.

فقال: لابُدَّ من الاجتهادِ والمُجاهدَةِ، لكنَّهُما لا يُوصِلانِ إلى شيءٍ من الحقيقةِ لامتناعِها عن أن تُدرَكَ بجَهدٍ أو اجتهادٍ، وإنَّما هي مواهِبُ يَصِلُ العبدُ إليها بإيصالِ الحَقِّ تعالى لا غَير، ولولا أنَّه تعالى بدأهم بالمحبَّةِ، وهداهُم لما أَحَبُّوه.

وقال: المحبَّةُ كأسٌ لها وهجٌ، إنِ استقرَّتْ في الحواسِّ قتلَتْ، وإنْ سكَنَتْ في النُّفوسِ أسكرَتْ[1]، فهي سُكْرٌ في الظَّاهِرِ، وصَحْوٌ في الباطن[2].

وقال: ألا شَجًى بحنينٍ، ألا رَنَّةٌ بأنينٍ، من قلبِ قَريحٍ حَزينٍ، ألا شاربٌ بكأسِ العارفين، ألا غارِقٌ في بِحارِ المُحبِّين، ألا هائِمٌ في ميدانِ العاشقين، ألا مُنتبِهٌ من رَقدَةِ الغافلين، يا مسكين ستقدُمُ فتعلَمُ، سيُكشَفُ لكَ الغِطاءُ فتندَمُ، كيف بكَ وقد كُشِفَ الغِطاءُ، وتجَلَّى الجَليلُ لفَصْلِ القضاء ؟ يا مسكين، كم تَبكي وتَصيح[3]! دَعِ المعاصي تَستريح، كم هذا البُكاءُ والانتحاب! قِفْ في الدَّياجي على الباب.

وقال: المحبَّةُ اتِّباعُ أوامِرِ المَحبوبِ، وتجنُّبُ نَواهيه، ومع ذلك فيجِبُ الصِّدقُ والإخلاصُ، وكِتمانُ الحالِ مع بَذلِ الجُهدِ في المُجاهدَةِ، ثمَّ بعدَ ذلك لا توصل للمحبوبِ إلاَّ بفضله ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨].

وسُئِلَ عن أرجى آيَةٍ في القرآن. فقال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم﴾ [الأنفال: ٣٨]، قال: فإذا كان اللهُ تعالى أطلَقَ للكُفَّارِ دُخولَ الجنَّةِ بذِكرِ لا إله إلاَّ الله مرَّةً واحدَةً، أتَرى مَنْ واظَبَ عليها طُولَ عُمُرِه كيف يُمنَعُ من دخولِ الجنَّة ؟ وهو طاهِرٌ من نجاسَةِ الشِّرْكِ.

وسُئِلَ عن كمالِ العقلِ، وكمالِ المعرفةِ، فقال: إذا كنتَ قائِماً بما أُمِرْتَ، تارِكاً لتكَلُّفِ ما كُفيتَ فأنتَ كامِلُ العقلِ، وإذا كنتَ باللهِ متعلِّقاً بأعمالِكَ، غيرَ ناظِرٍ إلى سِواهُ فأنتَ كامِلُ المعرفة.

---

(١) في مناقب الأبرار ١٦٨: إن للمحبة كأس لها وهج، إذا استقرت في الحواس فنيت، وإذا تمكنت في النفوس تلاشت.
(٢) في المطبوع: ومحبة في الباطن.
(٣) في المطبوع: لم تبكي وتضج، دع المعاصي فتستريح، لم هذا...

وسُئِلَ: ما الحُكمُ في أنَّه تعالى ذَمَّ الاستهزاءَ والمَكْرَ ثم فعلهُما ؟[1]، فقال:

ويَقبحُ مِنْ سِواكَ الفِعْلُ عِندي فتفعَلُـهُ فيَحْسُـنُ مِنـكَ ذاكَ

فقال السَّائلُ: أسألُكَ عنِ القرآنِ فتُجيبُ بالشِّعر ؟ فقال: لم أُجِبْ به إلاَّ لتعلَمَ أنَّ في أقَلِّ قليلٍ أدَلَّ دَليلٍ، تخليَتُهُ تعالى بينهم وبين الاستهزاءِ، والمَكْر مَكرٌ منه بهم، إذ لو شاءَ لمنع.

وسُئِلَ: مَنْ أقرَبُ أصحابِكَ إليكَ ؟ قال: ألهَجُهُم بذِكْرِ اللهِ، وأسرَعُهُم مُبادرَةً لرِضاه.

وقال: رأيتُ رجُلاً والنَّاسُ حولَهُ والصِّبيانُ يَرجمونَهُ بالحِجارَةِ حتَّى أدموا وَجهَهُ ورأسَهُ، فكشفتُهم عنه، فقالوا: إنَّه كافِرٌ، إنَّه يَزعُمُ رؤيةَ اللهِ تعالى، فتقدَّمْتُ إليه، فوجدتُهُ يُحدِّثُ نَفسَهُ، ويَضحَكُ ويقولُ: هذا جَميلٌ منكَ، تُسلِّطُ عَليَّ هؤلاءِ الصِّبيانِ، يَفعلونَ معي هكذا، فقلتُ له: أصَحيحٌ ما تقولُه الصِّبيانُ ؟ قال: ما هو ؟ قلتُ: إنَّكَ تَرى رَبَّكَ، فصاحَ: آهٍ لقُلوبٍ لا تعرِفُ مَولاها، وحَقِّ مَنْ تَيَّمَني بحُبِّه، وهَيَّمَني بينَ حُبِّه وقُربه، لو احتجَبَ عَنِّي طَرفَةَ عَينٍ لتقطَّعْتُ من ألَمِ البين، ثمَّ وَلَّى وهو يقولُ:

خيالُكَ في وَهمي وذِكْرُكَ في فَمي

وقال: مَنْ جاعَ خَمسةَ أيّامٍ فحَسَّ بالجوعِ فَأْمُرُوهُ بالحِرَفِ والمضاجِعِ كالعوامّ، فإنَّ مِثْلَ هذا لا يَصلُحُ للطَّريق.

وقال: كنتُ أمكُثُ الشَّهرَ كامِلاً لا أتذكَّرُ الطَّعامَ ولا الشَّرابَ إلاَّ إن حضَرَ بين يَدَي.

وقال: مساكينُ هؤلاءِ المماليك، نَظَروا بعُيونِهم إلى المَلَكوتِ المَخلوقِ، ورَضوا بالجنانِ المَخلوقَةِ، فبَقوا معها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [النساء: ٥٧]، وأمّا الملوكُ فلم يَرضوا بها، فنظَروا بقلوبهم إلى مالِكِ المُلوكِ فبقوا معه ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: ٥٥].

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقوله جلَّ وعلا: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

وقيل له: نَراكَ جَسيماً بَديناً والمحَبَّةُ[1] تُضني! فأنشأ يقولُ:

أَحَبَّ قَلبي وما دَرَى بَدَني ولو دَرَى ما أقامَ في السِّمَنِ

ورُئِيَ خارِجَ مسجدٍ يومَ عيدٍ وهو يقولُ:

إذا ما كُنتَ لي عيداً فما أصْنَعُ بالعيدِ
جَرَى حُبُّكَ في قَلبي كجَرْيِ الماءِ في العُودِ

وكان يقولُ في مُناجاته: إلهي إن هرَبْتُ منكَ طَلَبْتَني، وإن قصَدْتُكَ أتعبتَني، فليسَ لي معكَ راحَةٌ، ولا مع غَيرِكَ أُنسٌ، فالمُستغاثُ منكَ إليكَ.

وحَضَرَ عندَهُ جَمْعٌ من المُريدين، فوجدَهُم غَفَلَةً[2] لا يَذكرونَ اللهَ، فقال:

كَفَى حَزَناً بالوالِهِ الصَّبِّ أنْ يَرى منازِلَ مَنْ يَهوى مُعطَّلَةً قَفْرا

وقال: الأُنسُ وَحشَتُكَ من جميعِ ما يَقطَعُكَ عنه، واستغراقُكَ فيه.

وقال: سَهو طَرْفَةِ عَيْنٍ عنِ اللهِ لأهلِ المعرفةِ شِرْكٌ.

وقال: المحبَّةُ نَتيجَةُ الهِمَّةِ، ومَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ صَفَتْ محبَّتُهُ.

وقال: المحبَّةُ بِحارٌ بلا شاطئٍ، ولَيلٌ بلا آخِرٍ، وهَمٌّ بلا فرَجٍ، وعِلَّةٌ بلا طَبيبٍ، وبَلاءٌ بلا صَبرٍ، ويأسٌ بلا رَجاءٍ.

ووقَعَ له أنَّ زوجتَهُ[3] ناولَتْهُ لَبناً فقال: أخافُ أن يضُرَّني، فأقامَ سِنينَ يَقولُ في مُناجاته: يا ربِّ، اغفِرْ لي، فإنَّكَ وعدتَ بالمغفرَةِ مَنْ لا يُشرِكُ بكَ شَيئاً، وأنتَ تعلَمُ أنِّي لم أُشرِكْ، فقيلَ له: ولا يَومَ اللبن؟ فخَجِلَ وذلك لإضافتِهِ الضَّرَرَ إليه.

وجاءَهُ نَصرانيٌّ فأسلَمَ فقال له: ما سبَبُ إسلامِكَ؟ قال: كنتُ حالَ النَّصرانيَّةِ أُكرِمُ دينَ النَّصرانيَّةِ فرُزقتُ دينَ الإسلامِ ببركَةِ إكرامي ذلك الدِّين، فصاحَ الشِّبليُّ وقال: إذا كان مَنْ يُكرِمُ الدِّينَ الباطِلَ يَرزقُهُ اللهُ الدِّينَ الحَقَّ، فمَنْ

---

(١) في الأصول: والحجَّة، والمثبت من طبقات الصوفية ٣٤٢.
(٢) في (ب): فوجدهم في غفلة.
(٣) في الصفحة التالية خبرٌ: لم يتزوج قط!؟

يُكرِمُ الدِّينَ الحقَّ ألا يَرزقُهُ اللهُ الرَّحمةَ والمغفرة ؟!.

وقالَ له رجلٌ: لِمَ تقولُ اللهَ، ولا تقولُ لا إله إلاَّ الله ؟ فقال: أستحيي من ذِكرِ كلمةِ النَّفي في حضرته، قال له: أُريدُ أعلى، قال: لا أبغي به ضِدًّا. قال: أُريدُ أعلى، قال: أخشى أن أؤخَذَ[1] في وحشَةِ الجحد.

وفي روايةٍ: أخافُ أن أموتَ عندَ الإنكارِ، فلا أصِلُ إلى القَرار، قال: أُريدُ أعلى، قال: قال اللهُ تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] فصُعِقَ الرَّجلُ، ففارقَتْهُ رُوحُه، فتعلَّقَتْ أولياؤه بالشِّبليِّ، وادَّعوا عليه بثأره، فخرجَتِ الرِّسالَةُ من الخليفة، فسألَهُ عنِ الجوابِ فقال: رُوحٌ حَنَّتْ فرنَّتْ، فدُعِيَتْ فأجابَتْ، فما ذَنبُ الشِّبليِّ ؟ فصاحَ الخليفةُ: خَلُّوه، فلا ذَنبَ له.

وجاءَهُ جَمعٌ فقال: من أين أنتُم ؟ قالوا: من الشَّامِ، نُريدُ الحجَّ، ونسألُكَ الخُروجَ معنا. فأبى فألَحُّوا، فقال: بثلاثَةِ شُروطٍ: لا نحمِلُ معنا شيئاً، ولا نسألُ أحداً شيئاً، وإن أُعطينا لم نقبَلْ، قالوا: أمّا الأوَّلانِ فنعم، لكنْ إن أُعطينا لم نقبَلْ، كيف نفعل ؟ قال: كأنَّكم خرجتُم متوكِّلينَ على مَنْ أوفدَ الحجَّ لا على الله، روحوا إلى شغلكم.

ماتَ سنةَ أربعٍ وثلاثين وثلاثِ مئة عن سبعٍ وثمانينَ سنةً، ودُفِنَ بمقبرَةِ الخَيزُران.

وقيلَ له عند النَّزعِ: قُلْ لا إله إلاَّ الله، فقال:

إنَّ بيتاً أنتَ ساكِنُهُ ... غيرُ مُحتاجٍ إلى السُّرُجِ[2]

ورُئِيَ في النَّومِ، فقيلَ له: ما فعلَ اللهُ بِكَ ؟ قال: ناقشَني حتّى أيستُ، فلمَّا رآني آيساً تغمَّدَني برحمته.

---

(١) في المطبوع: أوجد، وفي (أ) و (ب): أوحد، والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ٢٨/١٧٨، وروض الرياحين ٢٥٠ (حكاية ١٧٦).

(٢) ينسب البيت لديك الجن، انظر ديوانه صفحة ٢٠٧، جمع وتحقيق مطهر الحجي، منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٨٧.

ولم يتزوَّج قَطُّ، فقيل إنَّه رُئي أيضاً فقال: قال لي: ما كنتُ أُحِبُّ أن تلقاني عَزباً. رضي الله عنه.

* * *

(٣٣٦) دينار العابد(*)

كان من أربابِ الأحوال، وأصحابِ الكرامات، منها ما اشتهرَ أنَّه كان إذا قدَّموا إليه طعاماً حَراماً ظهرَ له منه ثُعبانٌ يُريدُ أن ينهشَهُ فيترُكه.

ماتَ بمصرَ ودُفن بالقرافةِ الكُبرى بجانبِ ضَريحِ البقاعي.

* * *

(*) تحفة الأحباب للسخاوي الحنفي ٢٥٩، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة ١٣٠.

(حرف الراء المهملة)

(٣٣٧) رُويم بن أحمد(*)

رُوَيم بن أحمد، وقيل: بن محمد، الفَطِنُ المَكين، له البيانُ والتبيين والرَّأيُ المَتين، كان عالِماً بالقرآنِ ومعانيه، عارِفاً بالتَّصوُّفِ ومبانيه.

ومن كلامه:

السُّكونُ إلى الأحوالِ اغترار.

وقال: رِياءُ العارفين أفضَلُ من إخلاصِ المُريدين.

وقال: الفقرُ له حُرمَةٌ، وحُرمَتُهُ سَترُهُ وإخفاؤه، والغيرةُ عليه والضَّنُّ بكشفه.

وقال: لي منذ عشرين سنةً لا يَخطُرُ بقلبي ذِكرُ الطَّعامِ حتّى يحضُر.

وقال: التَّوكُّلُ إسقاطُ رؤيةِ الوسائطِ، والتعلُّقُ بأعلى العلائق.

وقال: المحبَّةُ الموافقَةُ في جميع الأحوال.

وقال: الأُنسُ أن تَستوحِشَ ممّا سِوى محبوبِكَ.

(*) طبقات الصوفية ١٨٠، حلية الأولياء ١٠/ ٢٩٦، تاريخ بغداد ٨/ ٤٣٠، الرسالة القشيرية ١/ ١٢٧، مناقب الأبرار ١١٠/أ، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٢، المنتظم ٦/ ١٣٦، المختار من مناقب الأخيار ١٦٠/ب، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٣٤، البداية والنهاية ١١/ ١٢٥، طبقات الأولياء ٢٢٨، النجوم الزاهرة ٣/ ١٨٩، طبقات الشعراني ١/ ٨٨.

وقال: الإخلاصُ في العملِ أن لا تُريدَ عِوَضاً في الدَّارين، ولا حَظًّا من المُلْكَين.

وقال: الإخلاصُ ارتفاعُ رؤيتِكَ عن فِعلِكَ، والفُتوَّةُ أن تعذرَ إخوانَكَ في زللهم، ولا تُعاملهُم بما يحوجُ إلى الاعتذارِ إليهم.

وقال: التَّصوُّفُ مَبنيٌّ على ثَلاثِ خِصالٍ: التمسُّكِ بالفَقرِ والافتقار، والتحقُّقِ بالذُّلِّ والإيثار، وتَركِ التعرُّضِ(١) والاختيار.

وقال: مَنْ أحَبَّ لعوضٍ بَغَّضَ العوضُ(٢) إليه مَحبوبَه.

وقال: الصَّبرُ تَركُ الشَّكوى، والرِّضا التِذاذُ البَلوى، واليَقينُ المُشاهَدَة.

وقال: الرِّضا استقبالُ الأحكامِ بالفَرَح.

وقال: الشُّكرُ استفراغُ الطَّاقة.

وسُئِلَ عن وَجْدِ الصُّوفيَّةِ عندَ السَّماعِ، فقال: يَشهدونَ المعاني التي تَعزُبُ عن غيرهم، فتُشيرُ إليهم: إليَّ إليَّ، فيتمتعون(٣) بذلك من الفرحِ ثمَّ يقَعُ الحِجابُ فيعودُ ذلك بكاءً، فمنهم من يُخرِّقُ ثيابَهُ، ومنهم مَنْ يَصيحُ، ومنهم مَنْ يَبكي، كُلُّ إنسانٍ على قدره.

وسُئِلَ عن نعتِ الفقر(٤)؟ فقال: إرسالُ النَّفسِ في أحكامِ الله.

وسألَهُ بعضُهم أنْ يُوصيه، فقال: ليس إلاَّ بَذلُ الرُّوح، وإلاَّ فلا تشتغِلْ بتُرَّهاتِ الصُّوفيَّة.

ماتَ ببغداد سنةَ ثلاثٍ وثلاثِ مئة رضي الله عنه.

---

(١) في المطبوع: التعوض.

(٢) في المطبوع: يقضي العوض، وفي الأصول الخطية: يعوض إليه، والمثبت من طبقات الصوفية ١٨٤.

(٣) في المطبوع: فيصعقون، وفي مناقب الأبرار ١١١/أ، وطبقات الأولياء ٢٢٩: فيتنعَّمون.

(٤) في المطبوع: تقشف الفقير.

(حرف الزاي المعجمة)

(٣٣٨) زهير بن نُعيم البابي(*)

كان من رؤوسِ العُبَّاد، وأكابرِ الزُّهَّاد، وأغلَبُ أحوالِه الصَّبرُ واليَقين، فأُيِّدَ بالنَّصرِ والتَّمكين.

ومن كلامه:

هذا الأمرُ لا يتمُّ إلا بشَيئَين: الصَّبرِ واليَقين.

وقال وقد سمعَ رجلاً يقرأُ بالتَّنغيم: لأَنْ يطلُبَ الرَّجلُ الدُّنيا بالزَّمرِ والغِناءِ والعودِ خَيرٌ من أن يطلبَها بالدِّين.

وقال، وقد شَكوا إليه كَثرةَ الوباء: لا تأمنَنَّ قِلَّةَ الموتِ، ولا تخافَنَّ كَثرتَهُ.

وقال: إذا رأيتَ الرَّجلَ لا يُنصِفُ من نفسه فإن قدرتَ أن لا تَراهُ فلا ترَه.

وقال له رجلٌ: ممَّن أنتَ؟ فقال: ممَّن أنعَمَ اللهُ عليهم بالإسلام، قال: إنَّما أُريدُ النَّسَبَ. قال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

وقال: جالَسْتُ النَّاسَ خَمسينَ سنةً فما رأيتُ أحَداً إلاَّ وهو يتَّبِعُ هَواهُ حتّى

(*) حلية الأولياء ١٠/ ١٤٧، الإكمال ١/ ٥٧٤، الأنساب ٢/ ١٥، المختار من مناقب الأخيار ١٦٤/ ب، توضيح المشتبه ١/ ٢٩٥.

وله ترجمة في الطبقات الصغرى ٤/ ١٦٢.

والبابي نسبة إلى باب الأبواب، موضع بالثغور، وهي مدينة دربند.

إنَّه ليُخطِىءُ فيُحبُّ[1] أنَّ النَّاسَ قد أخطؤوا.

وقال: وددتُ أنَّ بَدَني قُرِّضَ بالمقاريضِ، وأنَّ هذا الخَلقَ أطاعوا الله.

وودَّعَهُ بعضُ إخوانه، وقالَ له: هل من حاجَةٍ؟ قال: نعم، ولكنَّها مُهمَّةٌ؛ اتقِ اللهَ، فواللهِ لأَنْ يَتَّقيه عَبدٌ أحَبُّ إليَّ من أن يتحوَّلَ لي هذه السَّواري كلُّها ذَهَباً.

وقال له بعضُ القَدَريَّة: بَلَغني أنَّكَ زِنديق. فقال: أمّا زِنديقٌ فلا، لكنَّني رَجُلُ سوء.

وقال له رجلٌ: يا أبا عبد الرَّحمن، تُوصيني بشيءٍ؟ قال: نعم، اتَّقِ اللهَ، واحذَرْ أن يأخُذَكَ اللهُ وأنتَ على غَفلَةٍ.

* * *

(٣٣٩) زكريّا بن الصَّلت(*)

له الوَرَعُ الوَثيق، والقلبُ الرَّقيق، مَشهورٌ بالتعبُّدِ والاجتهاد، والتوجُّهِ والانفراد، والصَّفاءِ التامِّ، عند الكدورات[2] والأوهام، وقد قيل: التَّصوُّفُ صَفاءٌ لا وَصفَ له، وعَلامَةٌ لا نهايةَ لها.

ومن كلامه:

ما شافِعٌ أشفَعُ[3] للذَّنبِ من الخِدمةِ لربِّ العالَمين.

وقال: مَنْ نظَرَ إلى مُبتدِعٍ بعينه فقد أعانَ النَّظرَ على العَمى فجَنِّبوا[4] أشفارَ العُيونِ بالإغماضِ عنِ النَّظرِ إلى المُبتدعين.

---

(١) في المطبوع: فيحسب أن الناس.

(*) حلية الأولياء ١٠/ ٤٠٠.

(٢) في (أ): عند الكدور.

(٣) في المطبوع: ما شفع أشفع.

(٤) في المطبوع: فأحبوا.

(حرف السين المهملة)

(٣٤٠) سعيد بن سلام(*)

سعيد بن سلام المغربي، ابن شعبان المَنصوري، أبو عثمان القيرواني، صوفيٌّ جَليلٌ كبير، عارِفٌ عَرْفُ صيته أطيَبُ من العَبير، له الأحوالُ المأثورة، والكراماتُ المذكورة.

صَحِبَ: الزَّجَّاجي والنَّهْرَجُوري، والدِّينوري، وغيرهم.

ولم يُرَ مثله في عُلوِّ الحالِ، وصَونِ الوقتِ، وصحَّةِ الحُكمِ بالفِراسَة، وعظمِ الهيبَة، وجموم[1] الأسرارِ، وطَرحِ الاختيارِ، وقد قيل: التَّصوُّفُ سيرُ السرِّ مع الله[2]، والرِّضا للعبدِ بما قسَمَهُ مَولاه، كيف؟! وهو الإمامُ الذي شهدَتْ بخوارِقِه أربابُ العلومِ والأعلام، والصُّوفيُّ الذي لم تُشاهِدِ العيونُ مِثلَهُ في اليَقَظَةِ والأحلام.

(*) طبقات الصوفية ٤٧٩، تاريخ بغداد ٩/ ١١٢، الرسالة القشيرية ١/ ١٩١، مناقب الأبرار ٢٠٧/أ، المنتظم ٧/ ١٢٢، المختار من مناقب الأخيار ١٨٢/أ، اللباب ٣/ ٣٦، العبر ٢/ ٣٦٥، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٢٠، مرآة الجنان ٢/ ٤٠١، الوافي بالوفيات ١٥/ ٢٢٥، البداية والنهاية ١١/ ٣٠٢، طبقات الأولياء ٢٣٧، العقد الثمين ٤/ ٥٦٧، النجوم الزاهرة ٤/ ١٤٤، طبقات الشعراني ١/ ١٢٢، شذرات الذهب ٣/ ٨١، هدية العارفين ١/ ٣٨٩، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٨١.

(١) في المطبوع: وعلو الأسرار، وفي (أ): حموم الأسرار.

(٢) في المطبوع: السير السريع إلى الله.

ومن كلامه:

الاعتكافُ حِفظُ الجوارِحِ تحتَ الأوامر.

وقال: أبى المَلِكُ الجَبّارُ إلاَّ أن يَختبرَ[1] بتسليطِ عدوِّهم عليهم.

وقال: مَنْ آثَرَ صُحبَةَ الأغنياءِ على الفُقراءِ ابتلاهُ اللهُ بمَوتِ القلب.

وقال: مَنِ اشتغَلَ بأحوالِ النَّاسِ ضَيَّعَ حالَهُ، ومَنْ مَدَّ يدَهُ إلى طعامِ غَنيٍّ بشهوةٍ لا يُفلِحُ أبداً.

وقال: عاصٍ نادِمٌ خَيرٌ من طائعٍ مُدَّعٍ؛ لأنَّ العاصي يطلبُ طريقَ توبَته، ويعترِفُ بنَقصه، والمُدَّعي يتخبَّطُ في حالِ دَعواه.

وقال: أفواهُ العارِفينَ لم تزَلْ فاغِرَةً[2] لمناجاةِ القدرة.

وقال: مَنْ لم يسمَعْ من نهيقِ الحِمارِ ما يسمَعُ من صوتِ العودِ ودواخِلِ المغنّين فسماعُهُ مَعلول.

وقال: لا يصحُّ لمخلصٍ معرفةُ إخلاصه إلاَّ بعد معرفته الرِّياءَ، ومُفارقَته، إذ لا يعرِفُ الشَّيءَ مَنْ لا يعرِفُ ضِدَّه.

وقال: التَّقوى الوقوفُ مع الحدود.

وقال: الصُّوفيُّ مَنْ يملِكُ الأشياءَ اختياراً، ولا يملكُهُ شيءٌ اقتهاراً.

وقال: لا تصحَبْ إلاَّ أميناً أو مُعيناً؛ فإنَّ الأمينَ يحملُكَ على الصِّدقِ، والمُعينُ يُعينُكَ على الطَّاعةِ.

وقال: للعارفِ وقتٌ تُضيءُ له أنوارُ العلمِ فتُبصِّرُهُ بعجائبِ الغَيب[3].

وقال: إذا صحَّتِ المحبَّةُ تأكَّدَ على المُحِبِّ مُلازمَةُ الأدَب.

وقال: مَنْ لم يذُقْ وَحشةَ الغفلةِ، لم يَجِدْ طعمَ أُنسِ الذِّكرِ.

---

(١) في المطبوع: إن للملك الجبار أن يختبر أولياءه، وانظر طبقات الصوفية ٤٨٠.

(٢) في المطبوع: غرة فالمناجاة. وانظر طبقات الأولياء ٤٨٣.

(٣) القول في مناقب الأبرار ٢٠٨/أ: العارف تضيء له أنوار العلم فيبصر بها عجائب الغيب.

وقال: شُكرُ العامَّةِ على المَطعمِ والمَلبَسِ، وشُكرُ الخواصِّ على ما يَرِدُ على قُلوبهم من المعاني.

وقال: مَنِ ادَّعى السَّماعَ ولم يستمع من صوتِ الطُّيورِ، وصَرير البابِ، وتصفيقِ[1] الرِّياحِ فهو مُفترٍ مُدَّعٍ.

وقال: قلوبُ أهلِ الحقِّ قُلوبٌ حاضرَةٌ، وأسماعُهم أسماعٌ مَفتوحَةٌ.

وقال وقد سُئِلَ عن الخَلقِ: قوالِبُ وأشباحٌ تَجري عليهم أحكامُ القدرة.

ودخَلَ عليه بعضُ أصحابه قريبَ احتضاره، فقال له: كيف تجِدُكَ؟ قال: أجِدُ مولًى كريماً رحيماً، إلاَّ أنَّ القدومَ عليه شَديد.

وكان أوَّلاً مُقيماً بمكَّةَ، فسُعي به إلى العلويّة، فأخرجوه، فعادَ إلى بغداد، ثم نيسابور فمات بها سنة ثلاثٍ وسبعين وثلاثِ مئة.

ودخَلَ رجلٌ على الخطابي فأخبرَهُ بموته، فقال: قال المصطفى ﷺ: «قد كان في الأمم ناسٌ محدَّثون[2]، فإن يكن في أُمَّتي فعمر»[3]، وأنا أقولُ: فإن كان في هذا العصرِ أحدٌ فأبو عثمان المغربي، رواه الخطيبُ البغداديُّ[4].

* * *

---

(١) في المطبوع: وتصفير، وانظر مناقب الأبرار ٢٠٨/أ.

(٢) مُحدثون: أقوام يصيبون إذا ظنُّوا وحَدَسوا، فكأنهم قد حدّثوه بما قالوا. جامع الأصول ٨/ ٦١٠.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٥٥ عن عائشة، والبخاري ٧/ ٤٢ (٣٦٨٩) في فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومسلم (٢٣٩٨) في فضائل الصحابة، باب في فضائل عمر بن الخطاب، والترمذي (٣٦٩٤) في المناقب، باب مناقب عمر، وابن أبي عاصم في السنة ٥٦٩ (١٢٦١) عن أبي هريرة.

(٤) تاريخ بغداد ٩/ ١١٣.

(حرف الشين المعجمة)

(٣٤١) شاه بن شجاع الكرماني(*)

كان له دينٌ مَتين، وسُلطانٌ في التَّقوى مَكين[١]، وفيه بِرٌّ ومعروف، وجودٌ على الفقراءِ والصُّلحاءِ مَوصوف، ظَريفاً في الفُتوَّةِ، عَريقاً[٢] في المروءةِ، وأصلُهُ من أبناءِ الملوك، فتشمَّرَ للسُّلوكِ، وتعرَّى من الأعراض، وتحرَّزَ من الأغراض.

وصَحِبَ: النَّخشبيَّ، وتلك الطبقة.

وأصلُ تَوبَته أنَّه خرَجَ يتصيَّدُ في بريَّةٍ، وإذا بشابٍّ راكبٍ أسَداً وحولَهُ سِباعٌ، فلمَّا رأتهُ ابتدرَتْ نحوَهُ، فزجَرَها الشَّابُّ، ثم قال: يا شاه، ما هذه الغَفلَةُ؟ اشتغلتَ بهواكَ عن أُخراك، وبلذَّاتِكَ عن خِدمَةِ مَولاك، أعطاكَ الدُّنيا لتستعينَ بها على خدمته، فجعلتَها ذَريعَةً إلى الاشتغالِ عنه، ثم خرجَتْ عجوزٌ بيدها شربةُ ماءٍ، فشَرِبَ وناوَلَهُ، فسألَهُ عنها، فقال: هي الدُّنيا، وُكِّلَتْ بخِدمَتي، أما بلغَكَ أنَّ اللهَ لمَّا خَلَقَها قال: مَنْ خَدَمَني فاخدميه، ومَنْ خدَمَكِ فاستخدميه، فخرَجَ عنِ الدُّنيا، وسَلَكَ الطَّريقَ، وأقامَ شَهراً كامِلاً لا يَنامُ، فغلَبَهُ النَّومُ، فرأى

(*) طبقات الصوفية ١٩٢، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٧، الرسالة القشيرية ١/ ١٣٦، مناقب الأبرار ١١٨/ب، المنتظم ٦/ ١١١، صفة الصفوة ٤/ ٦٧، المختار من مناقب الأخيار ٢٠٤/ب، الوافي بالوفيات ١٦/ ٩١، طبقات الأولياء ٣٦٠، طبقات الشعراني ١/ ٩٠، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٣٦.

(١) في (أ): مبين.

(٢) في حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٧: عريفاً.

الحقَّ تعالى فيه، فكان بعد ذلك يتكلَّفُ النَّومَ، ويقولُ:

رأيتُ سُرورَ قَلبي في مَنامي   فأحبَبْتُ التَّناعُسَ[1] والمَناما

ووَرَدَ على أبي حفصٍ النَّيسابوري، فوقَفَ على حَلْقتِه، وكان عليه قِباءٌ، فعرَفَهُ بالفِراسة، فقال: الذي كُنّا نطلُبُه تحتَ العباءِ وجدتُهُ اليومَ تحتَ القباء.

وخطَبَ ابنتَهُ مَلِكُ كرمان، فاستمهلَهُ، ثمَّ طافَ المساجِدَ، فرأى غُلاماً يُحسِنُ صلاتَهُ، فقال له: أَلَكَ زوجَةٌ؟ قال: لا، قال: أُزوِّجُكَ، فخُذْ بدرهمٍ خُبزاً، وبدرهمٍ أدماً، وبدرهم طيباً، والأمرُ مَفروغٌ منه، وزوَّجَهُ إيَّاها، فلمَّا دخَلَتْ بَيتَهُ وجدَتْ رَغيفاً يابِساً على رأسِ جَرَّةٍ، فقالت: ما هذا؟ قال: بقيَ من أمسِ، فتركتُهُ لأُفطِرَ عليه، فولَّتْ راجعَةً، فقال: عرفتُ أنَّ بنتَ شاه لا تَقنَعُ بفَقري، فقالت: ليس خُروجي لفقرِكَ؛ بل لضعفِ يَقينِكَ، ولستُ أعجبُ منكَ، بل من أبي حيثُ قال: زَوَّجتُكِ لشابٍّ عَفيفٍ، كيف وَصَفَ بالعِفَّةِ مَنْ لا يعتمِدُ على اللهِ إلاَّ بادِّخارِ رَغيف؟ فقال: أنا مُعتذِرٌ، فقالت: أمَّا العُذرُ فأنتَ أعرَفُ بشأنِكَ، وأمَّا أنا فلا أُقيمُ ببيتٍ فيه معلوم.

ومن كلامه:

مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ طَمِعَ في عَفوه، ورجا فَضلَه.

وقال: علامَةُ الحَياءِ ثلاث: وجدانُ الأُنسِ بفقدانِ الوَحشَةِ، والامتلاء[2] عن الخلوةِ بإدمانِ التَّذكرةِ، واستشعارُ الهيبَةِ بخالصِ المُراقبَة.

وقال: مَنْ صحِبَكَ ووافقَكَ على ما يُحِبُّ، وخالفَكَ فيما يَكرَهُ، فإنَّما يَصحَبُ هَواه.

وقال: الفُتوَّةُ من طِباعِ الأحرارِ، واللُّؤمُ من شِيَمِ الأنذالِ، وما تعبَّدَ مُتعبِّدٌ بأكثرَ من التحبُّبِ للأولياءِ؛ لأنَّ محبتَهُم محبَّةُ الله.

وكان حادَّ الفِراسَةِ، لا يُخطئُ أبداً، وكان يقول: مَنْ غَضَّ بصرَهُ عنِ

---

(١) في المطبوع: التنفس، وفي مناقب الأبرار ١١٩/أ: التَّنعُّس.

(٢) في المطبوع: والاختلاء.

المحارِمِ، وأمسَكَ نفسَهُ عنِ الشَّهواتِ، وعَمَّرَ باطنَهُ بدوامِ المُراقبَةِ، وزَيَّنَ ظاهرَهُ باتِّباعِ السُّنَّةِ، وتعوَّدَ أكلَ الحلالِ لم تُخطئ فِراستُهُ أبداً.

وقال: مَنْ نظَرَ إلى الخَلقِ بعينه طالَتْ خُصومَتُهُ معهم، ومَنْ نظَرَ إليهم بعينِ اللهِ عذرَهُم فيما هم فيه، وقَلَّ اشتغالُهُ بهم.

وقال: علامَةُ الأُنسِ باللهِ الاستيحاشُ من الغافلينَ، والسُّكونُ إلى الوحدةِ، ومُرافقةُ الأحبَّةِ.

وقال: علامَةُ المحبَّةِ الرِّضا عنه في المَكروهُ، وحُسنُ الظَّنِّ به في المجهود، والانقيادُ لاختياره في المَحذور.

وقال: التوكُّلُ سكونُ القلبِ إلى اللهِ في حالَتَي الوجود والفقود[1].

وقال: علامَةُ الخائفِ الخوفُ الدَّائم.

وقال: لأهلِ الفضلِ فَضلٌ ما لم يَروه، فإذا رأوه فلا فَضلَ لهم، ولأهلِ الوِلايَةِ ولايَةٌ ما لم يَروها، فإذا رأوها فلا ولايَةَ لهم.

وقال: علامَةُ الرُّكونِ إلى الباطلِ التقرُّبُ إلى المُبطلين.

وقال: المُعجَبُ بنفسِه مَحجوبٌ عن رَبِّه.

وكان بينَهُ وبين يحيى بن مُعاذ صَداقَةٌ، وجمعهُما بَلدٌ، فكان شاه لا يحضرُ مجلسَهُ، فقيل له في ذلك، فقال: هذا هو الصَّوابُ، فمازالوا به حتى حضَرَ، وجلسَ ناحيَةً بحيثُ لا يشعرُ به، فأخَذ يحيى في الكلامِ، فأُلقيَ عليه السُّكوتُ، فلم ينطِق، فقال: هاهنا مَنْ هو أولى بالكلامِ منِّي، وأُرتِجَ عليه، فقال شاه: قلتُ لكم: الصَّوابُ [ألاَّ أحضُرَ][2] فأبيتُم.

وأخرجَ أبو نُعيم[3]: بينما سهل التُّستري جالِساً إذ سقطَتْ حمامَةٌ لا تتحرَّكُ، فجعَلَ يُنحِّيها، فقال لبعضِ جماعته: أطعِمْها واسقِها، وطارَتْ[4]

---

(١) في (أ): الموجود والمفقود.

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من مناقب الأبرار ١١٩/أ.

(٣) حلية الأولياء ١٠/٢٣٨.

(٤) في الحلية: واسقها، فقمت ففتتُّ لها خبزاً، ووضعت لها ماء، فلقطت الخبز، =

فقال: ماتَ أخٌ لي بكرمان، وهو الشّاه، فجاءَتْ هذه تُعزِّيني به، فأرّخ ذلك اليوم فكان وقتُ سقوطِ الحمامَةِ وقتَ خروجِ روحه، وكانَ من الأبدال.

قلتُ: كذا أُثبتُهُ في هذا القرن تبعاً لبعضهم، ثم رأيتُ ابنَ الجوزي[1] قال: أظنُّه ماتَ بعد سبعين ومئتين رضي الله عنه.

* * *

= وسقطت على الماء، فشربت ومضت طائرة، فقلت لسهل: أيُّ شيءٍ هذا الطير؟ فقال: . . .

(١) صفة الصفوة ٦٨/٤ والقول فيه للسُّلمي عن عبد الله بن محمد الرازي قال: أظنه مات بعد سبعين ومئتين رضي الله عنه.

(حرف الطاء المهملة)

(٣٤٢) طاهر المقدسي(*)

الإمامُ الرَّبّانيُّ، الأوحَدُ الصَّمدانيُّ، كانَ حَسَنَ الأخلاق، مُنبسِطاً على الإطلاق، ومع ذلك لم يُرزق أحدٌ وجاهتَهُ في صدر الصُّدور(١)، ولا فرِحَ أحدٌ من صُوفيَّةِ عصرِه بسيادتِه التي أربَتْ على تمامِ البُدور، وكانَ مَعروفاً بحلِّ المُشكلاتِ، مَوصوفاً بإيضاحِ المُعضلاتِ، كَثيرَ التِّلاوَةِ والأذكارِ، كثيرَ التعبُّدِ في نوافِحِ الأسحارِ، مَوثوقاً(٢) بديانته، مَقطوعاً بأمانته. وأمَّا عِلمُهُ بالتَّصوُّفِ فإليه الرِّحلَةُ من الأقطارِ، وبفوائدِهِ تُدرَكُ الأماني وتُنالُ الأوطار، قد أتقَنَ التَّصوُّفَ وتصريفَهُ، وعَلِمَ حَدَّهُ ورَسْمَهُ وتعريفَه.

رأى ذا النُّونِ، وصَحِبَ ابن الجلاّء وغيرَه، وسمَّاهُ الشِّبليُّ خير [أهل] الشام(٣).

ومن فوائده العِظام: لا يَطيبُ العيشُ إلاَّ لمَنْ وَطِئَ على بِساطِ الأُنسِ، وعلا على سريرِ القُدسِ، وغيَّبَهُ الأُنسُ بالقُدسِ، والقُدسُ بالأُنسِ، والعاقِلُ مَنْ وقَفَ حيثُ وقَفَ العوامُّ. والسَّلام.

وقال: لو عَرَفَ النَّاسُ قَدْرَ أنوارِ العارفين لاحتَرَقوا في أنوارِهم، ولو بدَتْ لأهلِ الأحوالِ لاحترقَتْ أحوالُهم.

(*) طبقات الصوفية ٢٧٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣١٧، مناقب الأبرار ١٥٢/ ب، المختار من مناقب الأخيار ٢١٨/ ب، طبقات الأولياء ٨٧، طبقات الشعراني ١/ ١٠٠.

(١) في (أ): في صدور الصدور.

(٢) في المطبوع: مقطوعاً بديانته.

(٣) ما بين معقوفين مستدرك من مناقب الأبرار ١٥٢/ ب، وفي طبقات الصوفية ٢٧٥: حَبر أهل الشام.

(٣٤٣) طاهر بن بابِشاذ النَّحوي(*)

صاحِبُ «المُقدِّمَةِ»[١]، وكان من أربابِ الأحوالِ والكراماتِ المأثورة منها أنَّه أتاه إنسانٌ وقال له: جِئتُكَ من عند الخَطيبِ فُلان، قال: اذهَبْ احفرْ قبرَهُ، فرَجَعَ إليه فوجدَهُ قد مات.

ومنها: أنَّه كان يَوماً جالِساً على مائدَةٍ ومعه بِنتٌ له عُمرها سَبعُ سنين ـ وكان في مصرَ وأخوه في مكَّة ـ فقالت البنتُ: ماتَ عمِّي عبدُ الرَّحمن، فقال لها: نعم، فقَدِمَ بعد ذلك الحاجُّ، وأخبَروا بمَوته في ذلك اليوم بعينه.

ماتَ بعقبة إيلة عند إيابه من الحجِّ سنةَ ثمانٍ وثمانين وثلاث مئة، وحُمِلَ إلى مصرَ فُدفِنَ بالقرافة وقبرُه بها مَشهورٌ يُزارُ، وعندَ رأسه لَوحُ رُخامٍ بقُربِ قبرِ الشَّابِّ التائب[٢].

(*) نزهة الألبا ٣٦١، المنتظم ٨/٣٠٩، معجم الأدباء ١٢/١٧، إنباه الرواة ٢/٩٥، الكامل لابن الأثير ١٠/١٠٦، وفيات الأعيان ٢/٥١٥، سير أعلام النبلاء ١٨/٤٣٩، العبر ٣/٢٧١، الوافي بالوفيات ١٦/٣٩٠، مرآة الجنان ٣/٩٨، البداية والنهاية ١٢/١١٦، النجوم الزاهرة ٥/١٠٥، حسن المحاضرة ١/٥٣٢، بغية الوعاة ٢/١٧، كشف الظنون ١/١١١، ٤٢٣، ٦٠٣، ٦٠٤، و ٢/١٦١٢، ١٧٩٤، ١٨٠٤، شذرات الذهب ٣/٣٣٣.

قال ابن خلكان ٢/٥١٧: وبابشاذ: بباءين موحدتين بينهما ألف ثم شين معجمة وبعد الألف الثانية ذال معجمة، وهي كلمة عجمية تتضمن الفرح والسرور.

وهذه الترجمة ليست في (أ)، وقد توفي سنة (٤٦٩) فهو من رجال الطبقة الخامسة.

(١) سمَّاها «المحتسب» وهي مقدمة في النحو، وتعرف بمقدمة ابن بابشاذ.

(٢) كذا في الأصول، وكذا نقله النبهاني في جامع كرامات الأولياء ٢/٤٧، وقد أجمعت المصادر أن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي توفي سنة ٤٦٩، سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بالقاهرة وأصبح ميتاً.

وكلام المؤلف رحمه الله إما أنه استرسال عن عبد الرحمن أخي ابن بابشاذ، أو أنه قد خلط بين ترجمتين، ولم أستطع أن أتبين الشخصية الأخرى بالرجوع إلى المصادر المتوفرة لدي، وابن بابشاذ دُفن بالقرافة قرب قبر الشاب التائب. انظر الكواكب السيارة (١٦٥).

(حرف العين المهملة)

(٣٤٤) عبد الله بن محمد(*)

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرَّحمن الرَّازيّ الشَّعراني، أصلُهُ من الرَّيِّ(١)، ثمَّ قطَنَ بنَيْسابُور، من أجَلِّ أصحابِ أبي عثمان، وكان له من الرِّياضةِ ما تعجَزُ عنه الأسماعُ، وفي المُجاهدَةِ والمُلازمَةِ ما لا يُستطاع، انتفَعَ الصُّوفيَّةُ به وبتعليمه، وصاروا نُبلاءَ من تَوقيفه وتَفهيمه، وكان يَدري الطَّريقَ وعِلَلها، وتفاصيلَ أحوالِها وجُمَلها.

ومن كلامه وقد سُئِلَ: ما بالُ النَّاسِ يَعرِفونَ عُيوبَهم، ولا يَرجِعونَ إلى الصَّوابِ؟ فقال: اشتغلوا بالمُباهاةِ بالعِلمِ، ولم يَشتغِلوا باستعماله، واشتغَلوا بآدابِ الظَّواهرِ، ولم يَشتغِلوا بآدابِ البواطن، فأعمى اللهُ قُلوبَهم، وقَيَّدَ جوارِحَهم عنِ العبادة.

وقال: المعرفةُ تهتِكُ الحُجُبَ بين العبدِ وربِّه.

(*) طبقات الصوفية ٤٥١، الرسالة القشيرية ١/ ١٨١، مناقب الأبرار ٢٠٠/أ، المختار من مناقب الأخيار ٢٧٢/أ، سير أعلام النبلاء: ١٦ / ٦٥، طبقات الأولياء ١٣٩، طبقات الشعراني ١/ ١١٩. وفي الأصول الشعواني، والمثبت من مصادر الترجمة. وسيترجم المؤلف له ثانية في الطبقات الصغرى: ٤/ ٣٨٩.

(١) في الأصول: أصله من الراز، وهو خطأ، قال السمعاني في الأنساب ٦/ ٤١: الرازي بفتح الراء والزاي المكسورة بعد الألف، هذه النسبة إلى الرِّي، وهي بلدة كبيرة من بلاد الديلم بين قومس والجبال، وألحقوا الزاي في النسبة تخفيفاً، لأن النسبة على الياء مما يشكل، ويثقل على اللسان، والألف لفتحة الراء، على أن الأنساب مما لا مجال للقياس فيها، والمعتبر فيها النقل المجرد.

ولم يزَلْ على حاله إلى أن بلغَ من الحياةِ الأمَدَ، فماتَ فأسِفَ عليه كلُّ أحَدٍ[1] سنةَ ثلاثٍ وخمسين وثلاثِ مئة.

* * *

(٣٤٥) عبد الله بن محمد المُرْتَعش النَّيسابوري[*]

له اللِّسانُ النَّاطق، والخاطِرُ الفائق، وكان للحقِّ قَوَّالاً، وعلى الوُلاةِ صَوَّالاً، كَبيراً قَدرُه، مُثيراً ذِكرُه، مُنيراً بَدرُه.

وما ذكر من أنَّ اسمَهُ عبد الله، هو ما جرى عليه كثيرون، لكِنْ ذَهَبَ الخطيبُ البغداديُّ[2] إلى أن اسمه جعفر.

صَحِبَ: الجُنَيد، وأبا حفصٍ، وأبا عثمانٍ، وتلك الطبقة.

وأقامَ ببغداد، وكان يُقال: عجائِبُ الدُّنيا في التَّصوُّفِ ثلاثةٌ: الشِّبليُّ في الإشارات، والمُرْتَعش في النّكت، وجعفر الخلدي في الحكايات.

ومن فوائده:

لا وصولَ إلى محبَّةِ الله إلاَّ ببُغضِ ما أبغضَه، وهو فُضولُ الدُّنيا، وآمالِ النَّفس[3]، ومُوالاةِ أوليائه، ومُعاداةِ أعدائه، ولا سبيلَ لتصحيحِ المُعاملَةِ إلاَّ بالإخلاصِ فيها والصَّبرِ عليها.

---

(١) في المطبوع بعد كل أحد: إلى أن ينخر العظام النخرة، مات ببغداد سنة سبع وستين وثلاث مئة. والزيادة وكأنها منقولة من ترجمة عبد الله الراسبي رقم (٣٤٦) الآتية صفحة (١١٢).

(*) طبقات الصوفية ٣٤٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٥، تاريخ بغداد ٧/ ٢٢١، الرسالة القشيرية ١/ ١٦١، مناقب الأبرار ١٦٩/ب، الأنساب ١١/ ٢٣٧، المنتظم ٦/ ٣٠١، صفة الصفوة ٢/ ٤٦٢، المختار من مناقب الأخيار ٢٧٢/ب، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٣٠، العبر ٢/ ٢١٥، مرآة الجنان ٢/ ٢٩٥، طبقات الأولياء ١٤١، البداية والنهاية ١١/ ١٩٢، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٩، طبقات الشعراني ١/ ١٠٥، شذرات الذهب ٢/ ٣١٧.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٢٢١.

(٣) في حلية الأولياء: وأماني النفس.

وقال: أصولُ التَّوحيدِ ثلاثَةٌ: معرفَةُ اللهِ بالرُّبوبيَّةِ، والإقرارُ له بالوحدانيَّةِ، ونَفيُ[1] الأضدادِ عنه بالكليَّة.

وقال: أفضَلُ الأعمالِ رؤيةُ فَضلِ اللهِ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاء.

وقال: التَّصوُّفُ[2] حَبسُ النَّفسِ عن مُرادِها، والإقبالُ على أوامرِ اللهِ والرِّضا بالقضاء.

وقيل له: فُلانٌ يَمشي على الماءِ، فقال: مَنْ مكَّنَهُ اللهُ عن مُخالفةِ هَواه فهو أعظم.

وسُئِلَ: أيُّ الأعمالِ أفضل؟ فقال:

إنَّ المقاديرَ إذا ساعَدَتْ ألحقَتِ العاجِزَ بالحازِمِ

وقال: مَنْ ظَنَّ أنَّ عملَهُ يُنجيه من النَّارِ، أو يُبلغه الرِّضوانَ فقد ذلَّ، وجعلَ لنفسه وفعله خَطَراً، ومَنِ اعتمَدَ على فضلِ اللهِ بلَّغَهُ اللهُ أقصى منازلِ الرِّضوان.

وقال: سُكونُ القلبِ لغيرِ اللهِ عُقوبَةٌ عُجِّلَتْ في الدُّنيا.

وقال: ذهبَتْ حَلاوَةُ الأمورِ، وما بقيَ إلاَّ الأسماءُ، فالحقائقُ مَفقودَةٌ، والدَّعاوى موجودَةٌ.

وقال: مَنْ كَمُلَ إسلامُهُ أحَبَّهُ الحَقُّ[3]، ومَنْ كَمُلَ إيمانُهُ استغنى عنِ الخَلْق.

ودخَلَ المسجدَ ليعتكِفَ في رمضان فوجَدَ المُتعبِّدينَ يتهجَّدونَ[4]، والقُرَّاءَ يقرؤون، فترَكَ الاعتكافَ وخرجَ، فسُئِلَ، فقال: رأيتُ تعظيمَهُم لعبادتهم، واعتمادَهم عليها دونَ اللهِ، فما وَسِعَني إلاَّ الخُروج فوراً، خَوفاً من نزولِ البلاءِ عليهم.

---

(١) في المطبوع: ودفع. وانظر طبقات الصوفية ٣٥١.

(٢) في طبقات الصوفية ٣٥١، ومناقب الأبرار ١٧٠/ب: الإرادة: حبس النفس...

(٣) في المطبوع: أحبه الخلق.

(٤) في المطبوع: يجتهدون.

ولم يزَلْ على حالِه حتّى بلغَتْ حياتُهُ غايَتَها، وتناولَتْ وفاتُهُ رايَتَها سنةَ ثمانٍ وعشرينَ وثلاثِ مئة ببغداد.

تتمة: قال ابنُ عربي في «التجلِّيات»[1]: نَصب كرسيّ في بيتٍ من بيوتِ المعرفة بالتَّوحيد، فظهرَتْ الأُلوهيَّةُ مستويَةً على ذلك الكُرسيِّ، وأنا واقِفٌ، وعلى يَميني رجلٌ عليه ثلاثةُ أثوابٍ: ثَوبٌ لا يُرى [وهو الذي يلي بدنه]، وثَوبٌ ذاتي له، وثَوبٌ مُعارٌ عليه، فسألتُه: مَنْ أنتَ؟ قال: سَلْ مَنصوراً، وإذا بمنصور [خلفه]، فقلتُ له: مَنْ هذا؟ فقال: المُرْتَعش. فقلتُ: أراهُ من اسمه مُضطراً لا مُختاراً، فقال المُرتعش: بقيتُ على الأصلِ والمُختارِ مُدَّعياً ولا اختيار، قلتُ: عَلامَ بَنيتَ تَوحيدَكَ؟ قال: على ثلاثِ قواعِدَ، قلتُ: تَوحيدٌ على ثلاثِ قواعد ليس بتوحيد، فخجِلَ، قلتُ: لا تخجل، ما هي؟ قال: قصمتَ ظَهري، ثمَّ ذكَرها.

* * *

(٣٤٦) عبد الله الرَّاسبيُّ البَغداديُّ(*)

كان ذا صِدقٍ وإنابة، وخُضوعٍ وخُشوعٍ وكآبة.

وكانَ صَحِبَ ابنَ عطاء، وغيره.

ومن كلامه:

إذا امتحَنَ اللهُ قَلبَ العبدِ بالتَّقوى ترحَّلَ منه حُبُّ الدُّنيا وشهواتِها، واطَّلَعَ على المُغيبات، ومَنْ لم تصح[2] له التَّقوى فهو غارِقٌ في حُبِّ[3] الدُّنيا، مَحجوبٌ عن كلِّ غيب.

---

(١) التجليات الإلهية ٤٤١، وما بين معقوفين مستدرك منه.

(*) طبقات الصوفية ٥١٣، مناقب الأبرار ٢١٣/ب، المختار من مناقب الأخيار ٢٧١/أ، طبقات الأولياء ٧٦، طبقات الشعراني ١/ ١٢٥.

(٢) في المطبوع: ومن لا تصلح.

(٣) في (أ): فهو غارق في بحار حبٍّ.

وقال: المحبَّةُ إذا ظهرَتْ فضحَتْ المُحِبَّ، وإذا كتمت قَتلته كَمَداً.

وقال: من البلاءِ العظيم صُحبَتُكَ لمَنْ لا يُوافقُكَ ولا يُفارقُكَ[1].

ولم يزَلْ على حاله إلى أن رحَلَ إلى برزَخِ الآخرةِ، وسكَنَ ضريحَهُ إلى أن تُنشَرَ العِظامُ النَّاخِرَة.

ماتَ ببغداد سنةَ سبعٍ وستِّينَ وثلاثِ مئة رضي الله عنه.

* * *

(٣٤٧) عبد الله بن طاهر الأبْهَري[*]

صوفيٌّ عالِمٌ، عَليُّ المكانة[2]، وافِرُ الهِمَّةِ، مَتينُ الدِّيانَة، قانِعٌ بالكَفاف، مُلازِمٌ للزُّهدِ والورَعِ والعَفاف.

وهو من أجَلِّ مشايخِ الجبل، قَرينُ الشِّبليِّ، وتلكَ الطَّبقة.

ومن فوائده:

مَنْ كانَ من أهلِ الجَمعِ فلا يَشهد إلاَّ الله.

وقال: في الوقوعِ في المِحَنِ ثلاثةُ أُمورٍ: التَّطهيرُ، والتَّكفيرُ، والتَّذكيرُ، فالتَّطهيرُ من الكبائرِ، والتَّكفيرُ من الصَّغائرِ، والتَّذكيرُ لأهلِ الصَّفا[3].

وقال: إذا أحببتَ أخاً في الله فأقلِلْ مُخالطَتَهُ في الدُّنيا.

وقال: قَومٌ سألوهُ بألسنةِ الأعمالِ، وقَومٌ سألوهُ بألسنَةِ الرَّحمةِ، فكم بين مَنْ سألَ بربِّهِ، وبينَ مَنْ رجا ربَّهُ بعمله ؟!.

---

(١) في طبقات الصوفية: ولا تستطيع تركه.

(*) طبقات الصوفية ٣٩١، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥١، الرسالة القشيرية ١/ ١٧٢، مناقب الأبرار ١٨٥/ب، المنتظم ٧/ ٣٢٤، المختار من مناقب الأخيار ٢٦٥/ب، معجم البلدان ١/ ٨٣ (أبهر)، طبقات الأولياء ٢١٦، طبقات الشعراني ١/ ١١٢.

(٢) في المطبوع: صوفي عالي المكانة.

(٣) في المطبوع: لأهل الصفا والبصائر، انظر طبقات الصوفية ٣٩٤.

وقال: هِمَّةُ الصَّالحينَ الطَّاعَةُ بلا معصيَةٍ، وهِمَّةُ العُلماءِ المَزيدُ في الصَّوابِ، وهِمَّةُ العارفينَ زيادَةُ تعظيمِ اللهِ في قُلوبِهِم، وهِمَّةُ أهلِ الشَّوقِ سُرعَةُ المَوتِ، وهِمَّةُ المُقرَّبينَ سُكونُ القلبِ إلى اللهِ.

ماتَ قَريباً من الثَّلاثين وثلاثِ مئة.

* * *

(٣٤٨) علي بن إبراهيم الحُصْري(*)

علي بن إبراهيم الحُصري، ثمَّ البغدادي، شَيخُ العراق في وَقته حالاً وعِلماً، وإمامُ الصُّوفيَّةِ في زمانه قالاً وعَزماً.

صَحِبَ الشِّبليَّ وغيرَه.

ومن فوائده الفاضلة، وفرائده الكاملة، وكلماته التي تركَتْ محاسِنَ البَرايا بائرة، وأزهارَ الخمائلِ خامِلَة، ما قال: عَرِّضوا للإخوانِ بالأمور، ولا تُصرِّحوا، فإنَّه أستر.

وقال: عَلامَةُ الحاسِدِ لكَ أنَّه لا يقدِرُ يُصوِّرُ عليكَ دَعوَى عندَ حاكِمٍ ولا عندَ الله.

وقال: مَنِ ادَّعى نَيلَ شيءٍ من الحقيقةِ ولم يظهَرْ عليه دلائِلُ صِدقِهِ كَذَّبَتْهُ شواهِدُ البراهين.

وقال: مكثتُ في بدايَتي زماناً لا أستعيذُ من الشَّيطانِ عند القراءَةِ، وأقولُ: مَنِ الشَّيطانُ حتّى يحضُرَ كلامَ الحقِّ؟ حتّى مَنَّ اللهُ عليَّ، فعلمتُ أنَّ الشَّيطانَ لا يُفارِقُ مُستقيماً ولا أعوج.

وسُئِلَ عنِ السَّماعِ، فقال: ما أضعَفَ حالَ مَنْ يحتاجُ إلى مُزعجٍ يُزعجُهُ من خارج.

(*) طبقات الصوفية ٤٨٩، تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٠، الرسالة القشيرية ١/ ١٩٥، مناقب الأبرار ٢١٠/أ، الأنساب ٤/ ١٥٢، المختار من مناقب الأخيار ٢٨٧/ب، طبقات الأولياء ٢١٣، البداية والنهاية ١١/ ٢٩٨، طبقات الشعراني ١/ ١٢٣.

وقال: الصُّوفيُّ مَقهورٌ بتصرُّفِ الإلهيَّةِ، مَستورٌ بتصرُّفِ العُبوديَّة.

وقال أيضاً: الصُّوفيُّ مَنْ لا يوجد بعدَ عدمه[1]، ولا يُفقدُ بعد وجوده.

ولم يزلِ الشَّيخُ على حاله إلى أن وُورِيَ بالتُّرابِ[2]، وأصبحَ بعيداً عنِ العين، وهو في غايَةِ القُرب، ماتَ سنةَ إحدى وسبعين وثلاثِ مئة رضي الله عنه.

* * *

(٣٤٩) علي بن بُنْدار الصُّوفي(*)

من أجِلَّةِ مَشايخِ نَيسابور، كان جَيِّدَ التَّصوُّفِ والفَهم، سَريعاً إلى إدراكِ المعاني يَكادُ يَسبِقُ السَّهم.

رُزِقَ من صُحبَةِ المشايخِ ما لم يقَعْ لغيره كالجُنَيد، وسَمنون، وابن عطاء، وأبي عثمان، وغيرهم.

وكَتَبَ الحديثَ ورواه، حتّى بلَغَ غايتَهُ ومُنتهاه.

ومن كلامه:

إذا دخلتُم بَلداً فابدؤوا بالصُّوفيَّةِ قبلَ المُحدِّثين؛ ليعلِّموكم الأدَبَ مع المحدِّثين.

وقال: التَّصوُّفُ عَدَمُ الوقوفِ مع الخَلْقِ ظاهِراً وباطِناً.

وقال: تَفْسُدُ القُلوبُ على حَسَبِ فَسادِ الزَّمان.

وقال: لا يكمُلُ حالُ فَقيرٍ حتّى يَكتُمَ فقرَهُ عن إخوانه، ويكتُمَ رِضاهُ وفرحَهُ به.

---

(١) في المطبوع: بدعة، وانظر طبقات الصوفية ٤٩١.

(٢) في (أ) و (ف): ارتدى بالتراب.

(*) طبقات الصوفية ٥٠١، مناقب الأبرار ٢١٢/ب، المنتظم ٧/ ٥٢، المختار من مناقب الأخيار ٢٨٩، مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٠٨، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٠٩، الوافي بالوفيات ٢٠/ ، طبقات الأولياء ١٣٧، البداية والنهاية ١١/ ٢٩٨، طبقات الشعراني ١/ ٢٤.

(٣٥٠) علي بن محمد بن سهل (*)

عليّ بن محمد بن سهل أبو الحسن الدينوري، كان جَليلاً وَقوراً، جعلَ اللهُ نَصيبَهُ من الدِّيانَةِ[1] مَوفوراً. لم يزَلْ عنِ النَّاسِ في انجماعٍ وانقباض، ومعارِفُهُ في ازديادٍ وفي رِياض، وكان يتكلَّمُ على الخواطِرِ والبواطن، كثيرَ الذِّكرِ، حَسَنَ الوَرَعِ، آمِراً بالمعروفِ، ناهياً عنِ المُنكرِ، وكان له كراماتٌ ومقاماتٌ معروفة، وكانتِ الملوكُ تهابه.

ومن كراماته:

أنَّه أتاهُ شابٌّ فقبَّلَ رأسَهُ، فقال له: اذهَبْ، فاستوهِبْ أُمَّكَ الدَّفعةَ التي دفعتَها إيَّاها، فهو أولى بكَ من هذا.

وكان يقيد له قِنديلاً[2] على رأسه إذا باتَ بمعبده يتهجَّد.

وكانَ إذا صَلَّى بالصَّحراءِ في شِدَّةِ الحَرِّ يأتيه نَسرٌ فيَنشُرُ جناحَهُ عليه يُظِلُّه به.

وكان يَصعَدُ للجِبالِ معدنِ السِّباع، فيُقيمُ أربعينَ يَوماً، فلا يَجسُرُ أحدٌ أن يصعَدَ إليه، فإذا رجَعَ لا يَبقى أحدٌ إلاَّ تركَ البيعَ والشِّراءَ، وجاؤوا ينظرونَ إليه تبرُّكاً وتعظيماً.

وجاءَهُ مَغربيٌّ برسالَةٍ من الغربِ، فدخَلوا وأعلَموهُ بأنَّه بالبابِ، فقال: لا أقبَلُ رسالتَهُ؛ فإنَّه خائِنٌ فَتَحَ الكِتابَ في الطَّريقِ، فكانَ كذلك.

(*) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها ١/ ٢٥٧، وقد جعله النبهاني في كتابه جامع كرامات الأولياء رجلين وقال: الظاهر أن هذا علي بن محمد بن سهل بن صائغ الدينوري. غيرُ أبي الحسن علي بن محمد بن سهل الدينوري لاختلافهما في تاريخ الوفاة، وإن اتفقا في كثير من الأوصاف.

وهما رجل واحد قد اختلف بتاريخ وفاته، وانظر إلى ما قاله المناوي رحمه الله في آخر الترجمة التي تقدمت ١/ ٦٨٤.

(١) في المطبوع: الدنيا.

(٢) كذا في الأصول، وفي جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٥٨: كان يقد له قنديل.

وكان لكُرديٍّ على طحّانٍ دَينٌ[1]، فلقيَهُ عندَ قبرِ الشَّيخِ فاستجازَ في المهلةِ، فأبى وأخذَهُ ومَشى عشرينَ خُطوَةً، فانخسَفَ بدابَّتِهِ قَبْرٌ فسقَطَ فمات.

وأنكَرَ على[2] تكين أميرِ مصرَ[3] شيئاً، فنفاهُ إلى القُدسِ، فلمَّا وصلها قال: كأنِّي بالبائسِ[4] ـ يعني تكين ـ وقد جيء به في تابوت إلى هنا، فلمَّا قَرُبَ من البابِ عَثَرَ البغلُ، ووقَعَ التابوتُ فبالَ البغلُ عليه. ولم يلبثْ إلاَّ يَسيراً و[إذا بقائلٍ يقول:][5] قد وصل تكين ميتاً في تابوتٍ، فلمّا وصَلَ إلى البابِ عَثَرَ البغلُ، ووقَعَ التابوتُ، وبالَ البغلُ عليه.

ومن كلامه:

حَرامٌ على كلِّ قَلبٍ مأسورٍ بسببٍ من أسبابِ الدُّنيا أن يسرَحَ في الغيوب.

وقال: مَنْ أيقَنَ أنَّه لغيره، ليس له أن يبخَلَ بنفسه.

وقال: الأحوالُ كالبُروقِ، فإذا ثبَتَتْ فهو حديثُ نَفسٍ.

وسُئِلَ عن صفةِ المُريدِ، فقال: كما قال تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ٢٥].

وكان يقولُ: مَنْ لم تظهَرْ كراماتُهُ بعدَ مماته كما كانت أيَّامَ حياته ليسَ بصادقٍ.

ماتَ بمصرَ سنةَ ثلاثينَ وثلاثِ مئة، ودُفِنَ بالقرافة، وكان بينَهُ وبينَ ابنِ يُونس كلامٌ فماتا في عامٍ واحدٍ، فرُئيَ ابنُ يونُسَ في النَّومِ يقولُ: أصلحَ بيننا ربُّ العالَمين جَلَّتْ قُدرَتُهُ.

---

(١) في (أ): على طحان دقيق.

(٢) في الأصل: عليه، والمثبت من حسن المحاضرة ١/ ٢٤٤.

(٣) تكين الخزري أبو منصور، ولي إمارة مصر من قبل المقتدر ثلاث مرات، ولمّا بويع القاهر بالله خليفة أقره على الإمارة، توفي سنة ٣١٢ هـ، وله مظالم، حسن المحاضرة ٢/ ١١، الخطط المقريزية ٢/ ١٢٥ وما بعدها.

(٤) في المطبوع: كان باليابس، والمثبت من حسن المحاضرة ١/ ٢٤٤.

(٥) ما بين معقوفين من حسن المحاضرة.

(٣٥١) عليُّ بنُ سهل بن الأزهر(*)

علي بن سهل بن الأزهر، أبو الحسن الأصبهاني المَخْبُو بالوَصلِ، المحفوظُ بالفضلِ من الفَصل، كانَ للحقِّ مُجيباً واصِلاً، وعَنِ النَّفسِ ولذَّاتِها راحِلاً، أُيِّدَ بمُخالفَتِها، فراضَ نفسَهُ رياضَةً هذَّبَتْها، بعد أن نشأَ في نعمَةٍ ورفاهيَةٍ حتّى صارَ له الحالُ المَتين، والشَّأنُ والتَّمكين.

ومن كلامه:

المُبادرَةُ إلى الطَّاعاتِ من علامَةِ التَّوفيقِ، والتَّقاعُدُ عنِ المُخالفاتِ من علامَةِ حُسنِ الرِّعايَةِ، ومُراعاةُ الأسرارِ من علامةِ التيقُّظِ، وإظهارُ الدَّعاوى من رُعوناتِ البشريَّةِ، ومَنْ لم تصحَّ مبادئُ إرادته لا يَسلَمُ في مُنتهى عواقبه.

وكان من أحسَنِ النَّاسِ إشارَةً، وكان يُكاتِبُ الجُنَيدَ، فيقولُ الجُنَيدُ: ما أشبه كلامَهُ بكلامِ الملائكة!.

ومن كراماته:

أنَّه كان يقولُ: ليسَ مَوتي كموتِكُم بأعلالٍ وأسقام، وإنَّما هو دُعاءٌ وإجابَةٌ، فكانَ كما قال، كان يوماً قاعِداً في جماعَةٍ فقال: لَبَّيكَ لَبَّيكَ، وخَرَّ ميتاً سنةَ سبعٍ وثلاثِ مئة رضي الله عنه.

* * *

(٣٥٢) علي بن محمد المُزيِّن الصَّغير البغداديُّ(**)

من كبارِ المشايخِ، كان إمامَ زمانه، وصَدْرَ أوانه، انتهَتْ إليه رياسَةُ الصُّوفيَّة، ورَقيَ بسيادتِه في المراتبِ العَليَّة، وجُمِعَ له من المناقبِ والأحوالِ

(*) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في ١/ ٦٨٢.

(**) طبقات الصوفية ٣٨٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٠، تاريخ بغداد ١٢/ ٧٣، الرسالة القشيرية ١/ ٢٦٩، مناقب الأبرار ١٨٣/ب، الأنساب ١١/ ٢٨٨، صفة الصفوة ٢/ ٢٦٥، المنتظم ٦/ ٣٠٤، المختار من مناقب الأخيار ٢٩٥/أ، اللباب ٣/ ١٣٣ =

ما لم يُجمَعْ في وقته لسِواه، حتّى ترَكَ كلَّ عدوٍّ وحاسِدٍ يتلظَّى على نارِ جَواه، اشتغَلَ بالتَّصوُّفِ من صِغَره، واستمرَّ على ذلك في كِبَره[1].

وصَحِبَ الجُنَيد، وانتفَعَ به، وقرأَ عليه كثيراً من رسائلِ كُتُبه، ولازَمَ طريقَ الصَّالحين، حتّى صارَ من رؤوسِ الفقراءِ العالِمين العاملين.

وقال: كنتُ بمكَّةَ فوقَعَ بقلبي انزعاجٌ، فخرجتُ أُريدُ المدينة، فإذا أنا بشابٍّ مَطروحٍ وهو ينزعُ، فقلتُ: قُلْ لا إله إلاَّ الله، ففتَحَ عَينَيه، وقال:

أنا إنْ متُّ فالهَوى حَشْو قَلبي وبـداءِ الهَـوى يمـوتُ الكِـرامُ

ثمَّ ماتَ، فجهَّزتُهُ ودفَنتُهُ، فسَكَنَ ما بي، فرجعتُ إلى مكَّة.

وقال: إذا غَلَبَ ذِكرُ اللهِ فنِيَتْ فيه الدُّنيا والآخرة.

وقال: التَّوحيدُ أن ترجِعَ إلى اللهِ وحدَهُ في كلِّ أمورِكَ، وتعلَمَ أن ما خطَرَ[2] في قلبِكَ فالله بخلافِه.

وقال: كانتِ الطَّريقُ إلى اللهِ بعدَدِ النُّجومِ، فلم يبقَ منها إلاَّ طَريقٌ واحِدٌ هو الفَقرُ إلى الله، وهو أوضَحُ الطُّرُق[3].

وقال: مَنْ طَلَبَ الطَّريقَ إلى اللهِ بنفسه تاه[4] في أوَّلِ قَدَم.

وقال: مَنْ لم يصلُحْ لمُشاهدته شغَلَهُ بخِدمته.

وقال: لو كانَ الرَّجلُ على عِبادَةِ الثَّقَلَين، وهو يُساكِنُ الدُّنيا بقلبه، لم

= سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٣٢، العبر ٢/ ٢١٥، مرآة الجنان ٢/ ٢٩٥، البداية والنهاية ١١/ ١٩٣، طبقات الأولياء ١٤٠، العقد الثمين ٦/ ٢٥٢، طبقات الشعراني ١/ ١١١، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٩، شذرات الذهب ٢/ ٣١٦.

وهناك من يجعله هو والمزين الكبير واحداً. قال الذهبي في السير: وما يظهر لي إلا أنهما واحد.

(١) في المطبوع: مدة كبيرة.

(٢) في (أ): ما حصل، وفي المطبوع: ما حضر.

(٣) انظر طبقات الصوفية ٣٨٣، ومناقب الأبرار ١٨٤/أ.

(٤) في المطبوع: أتاه، وانظر طبقات الصوفية ٣٨٣.

يعبأ اللهُ به، وكلُّ مَنْ أبقى عندَهُ قوتَ غَدٍ فهو ساكِنٌ إلى الدُّنيا.

وقال: العُجْبُ في العبدِ مَقتٌ، ورُبَّما جرَّ إلى مَقتِ الأبد.

وقال: الذَّنبُ بعدَ الذَّنبِ عقوبَةُ الذَّنب، والحَسَنَةُ بعدَ الحَسَنَةِ ثَوابُ الحَسَنَة.

وقال: مَنِ استغنى باللهِ أحوجَ اللهُ الخَلْقَ إليه.

وقال: المودَّةُ من المحبَّةِ كالرَّأسِ من الجَسَدِ، وكالعينِ من الوَجه؛ لأنَّ المودَّةَ حالَةٌ في الجوارِحِ، تُبدي عند الرُّؤيةِ السُّرورَ والاضطرابَ، والمكانَةَ عندَ الفَقد، والكَدَّ عندَ البُعدِ فحالاتُ الودِّ حالاتٌ لا تُدانيها الأسباب.

وسُئِلَ عنِ المعرفةِ، فقال: أنْ تعرِفَ اللهَ بكمالِ الرُّبوبيَّة، وتعرِفَ نفسَكَ بالعُبوديَّة، وتعلمَ أنَّ اللهَ أوَّلُ كلِّ شيءٍ، وبه يقومُ كلُّ شيءٍ، وإليه مَصيرُ كلِّ شيءٍ، وعليه رِزْقُ كلِّ شيءٍ.

وقال: دخلتُ الباديةَ على التَّجريدِ حافياً حاسِراً، فخطَرَ ببالي أنَّه ما دخَلَها أحدٌ أشَدُّ تجَرُّداً مِنِّي، فقالَ لي إنسانٌ من خَلفي: يا حَجَّام، كم تُحدِّثُ نفسَكَ بالأباطيل!.

وحَضَرَ جنازَةً، فوجَدَ أهلَ الميتِ يَبكونَ، فأنشَدَ[1]:

ويَبكي على المَوتى ويَترُكُ نفسَهُ ... ويزعُمُ أنْ قد قَلَّ[2] عنهم عَزاؤه

ولو كانَ ذا رأيٍ وعَقلٍ وفِطْنَةٍ ... لكـانَ عليـه لا عليهـم بُكـاؤه

ولم يزَلْ يَزورُ النَّاسَ للبركةِ، ويقصدونَهُ للتَّربيةِ والأخذِ من فوائده المُشتركَةِ إلى أَن أفَلَ بَدرُهُ، وأزلفَ قَبرُه بمكَّةَ سنةَ ثمانٍ وعشرين وثلاثِ مئة.

* * *

(١) هذا الخبر مروي عن عبد الله بن طاهر الأبهري، انظر طبقات الصوفية ٣٩٥.
(٢) في (أ): فلَّ، وفي (ب): خلَّ.

(٣٥٣) علي بن محمد بن بشار(*)

علي بن محمد بن بشار، أبو الحسن الزَّاهد، كانَ وافياً بالعُهود، مُكرِماً للوفود، تقدَّمَ بمعرفةِ التَّصوُّفِ وامتاز، وقُصِدَ للتَّربيةِ من اليمن والحِجاز، وكانت له كراماتٌ ظاهِرَةٌ، وأحوالٌ باهرةٌ.

دَخَلَ عليه أبو محمد ابن أخي معروف الكرخي[1] وعليه جُبَّةُ صوفٍ، فقال: يا أبا محمد، لا تُصَوِّفْ جِسمَكَ، صَوِّفْ قَلبَكَ، والبَسْ ما شِئتَ.

وقال له رجلٌ: كيفَ الطَّريقُ إلى الله؟ قال له: كما عصيتَهُ سِرًّا، تُطيعُهُ سِرًّا حتّى يُدخِلَ إلى قلبِكَ لطائِفَ البِرِّ[2].

وقال: لي منذُ ثلاثينَ سنةً ما تكلَّمتُ بكلمةٍ أحتاجُ أن أعتذِرَ عنها.

ماتَ سنةَ ثلاث عشرة وثلاثِ مئة.

* * *

(٣٥٤) علي بن هند القُرشيُّ الفارسيُّ(**)

من أصحابِ الجُنَيد، كان من ساداتِ العارِفين، وأئمَّةِ المُتَّقين، له الأحوالُ العليَّة، والأنفاسُ الزَّكيَّة.

(*) تاريخ بغداد ١٢/٦٦، طبقات الحنابلة ٢/٥٧، صفة الصفوة ٢/٤٤٦، المنتظم ٦/١٩٨، المختار من مناقب الأخيار ٢٩٥/أ، الكامل في التاريخ ٨/١٦١، سير أعلام النبلاء ١٤/٣٩٨، العبر ٢/١٥٦، الوافي بالوفيات ٢١/٤٢٣، شذرات الذهب ٢/٢٦٧.

(١) في الأصل: ودخل عليه ابن شيرويه، والمثبت من تاريخ بغداد ١٢/٦٦، والمختار ٢٩٥/أ، والخبر فيها: ... ابن شيرويه يقول: دخل أبا محمد ابن أخي معروف الكرخي....

(٢) في المطبوع: السرّ.

(**) طبقات الصوفية ٣٩٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٢، مناقب الأبرار ١٨٦/ب، المختار من مناقب الأخيار ٢٩٦/ب، طبقات الأولياء ١٤٩، طبقات الشعراني ١/١١٣. وسيترجم له المؤلف في الطبقات الصغرى ثانية: ٤/ ١٢٤.

ومن كلامه:

القلوبُ أوعيةٌ وظُروف، فقلوبُ الأولياء أوعيَةُ المعرفةِ، وقُلوبُ العارِفينَ أوعيةُ المحبَّة، وقلوبُ المُحبِّينَ أوعيةُ الشَّوقِ، وقلوبُ المشتاقينَ أوعيةُ الأُنسِ، ولهذه الأحوالِ آدابٌ، مَنْ لم يستعملها في أوقاتها هَلَكَ من حيثُ يَرجو النَّجاة[1].

وقال: استَرِحْ مع اللهِ، ولا تستَرِحْ عنِ اللهِ، فإنَّ مَنِ استراحَ معه نَجا، ومَنِ استراحَ عنه هَلَكَ، والاستراحَةُ معه تَرَوُّحُ القلب بذِكره، والاستراحَةُ عنه مُداومَةُ الغَفلة.

وقال: اجتهِدْ أن لا تُفارِقَ بابَ سيِّدِكَ بحالٍ؛ فإنَّه ملجأُ الكُلِّ، ومَنْ فارَقَ تلكَ السُّدَّةَ لا يرى[2] بعدَها لقدمَيْه قَراراً ولا مقاماً.

* * *

(٣٥٥) عائشة بنتُ أبي عثمان سعيد الحيري النَّيسابوري(*)

كانت من أعبَدِ النَّاسِ وأورَعِهم وأحسَنِهم حالاً ووقتاً، وكانت مُجابَةَ الدَّعوة.

ومن كلامها:

لا تفرَحْ بقادِمٍ[3]، ولا تجزَعْ من ذاهِبٍ، بل افرَحْ باللهِ، واجزَعْ من سُقوطِكَ من عَينه.

وقالت: الزَمِ الأدَبَ ظاهِراً وباطِناً، فما أساءَ أحَدٌ الأدَبَ في الظَّاهِرِ إلاَّ عوقِبَ ظاهِراً، وما أساءَ باطِناً إلاَّ عوقِبَ باطِناً.

---

(١) في المطبوع: يرجو له النجاة.

(٢) في الأصول: لا يريد، والمثبت من طبقات الصوفية ٤٠١، ومناقب الأبرار ١٨٧/أ، وطبقات الأولياء ١٥٠.

(*) صفة الصفوة ٤/ ١٢٥، المختار من مناقب الأخيار ٤١٠/ ب.

(٣) في الأصول: بإنسان. والمثبت من صفة الصفوة، والمختار.

وقالت: مَنِ استوحَشَ من وحدَتِهِ فذلكَ لقِلَّةِ أُنسِهِ بربِّه.

وقالت: مَنْ تهاوَنَ بالعبيدِ فهو من قِلَّةِ معرفَتِهِ بالسيِّدِ، فمَنْ أحَبَّ الصَّانِعَ أحبَّ صَنعتَهُ.

ماتَت سنةَ سِتٍّ وأربعين وثلاثِ مئة.

* * *

(حرف الميم)

(٣٥٦) محمد بن عمر الورَّاق البلخي(*)

له اليَدُ الطُّولى في التَّصوُّف، والباعُ المَديدُ في التعرُّفِ والتَّصرُّف، سارَ نبأُ سيرَتِهِ إلى الأمصار، وسادَ عَصرَهُ بوجودِهِ وجودِهِ على الأعصار.

ومن كلامه:

للقلبِ صِفاتٌ سِتَّةٌ: حياةٌ، ومَوتٌ، وصِحَّةٌ، وسَقَمٌ، ونَومٌ، ويَقَظَةٌ. فحياتُهُ الهُدى، ومَوتُهُ الضَّلالَةُ، وصِحَّتُهُ الطَّهارَةُ والصَّفاء، وعِلَّتُهُ الكُدورَةُ والعلاقة، ويقظَتُهُ الذِّكرُ، ونومُهُ الغَفلَةُ، ولكلٍّ منها علامَةٌ: فعلامةُ الحياةِ الرَّغبَةُ والرَّهبةُ والعملُ بهما، وعلامةُ الموتِ ضِدُّ ذلك، وعلامةُ الصِّحَّة [القوة، و](1) اللذَّةُ، وعلامةُ السُّقمِ ضِدُّ ذلك، وعلامةُ اليقظةِ السَّمعُ والبَصَرُ، والنَّومُ بخلافِه.

وقال: شُكرُ النِّعمةِ مُشاهدَةُ المِنَّةِ.

وقال: مَنِ اكتفى بالكلامِ دونَ الزُّهدِ تزندقَ، ومَنِ اكتفى بالزُّهدِ دون الفِقه والكلامِ ابتدعَ، ومَنِ اكتفى بالفِقه دونَ الزُّهدِ تفسَّقَ، ومَنْ تفنَّنَ في هذه كلِّها تخلَّصَ.

(*) طبقات الصوفية ٢٢١، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٥، الرسالة القشيرية ١/ ١٣٩، مناقب الأبرار ١٢٣/أ، الأنساب ٣/ ٤٥، صفة الصفوة ٤/ ١٦٥، المختار من مناقب الأخيار ٣٥٦/أ، طبقات الأولياء ٣٧٤، طبقات الشعراني ١/ ٩١.

(١) ما بين معقوفين مستدرك من طبقات الصوفية ٢٢٣، والمختار.

وقال: إذا سَخِطَ اللهُ على قَومٍ أكثرَ عليهم نِعَمَهُ، وأنساهُم شُكرَهُ، ونزَعَ من قُلوبهم حُبَّ الطَّاعاتِ، ورغَّبَهُم في المناكِحِ والملابسِ والمآكل، وتركَهُم سُعداء حتّى غمرَتهم الغَفلةُ عنِ اللهِ فأخذَهُم بَغتَةً علَى غيرِ توبَةٍ(١).

وقال له رجلٌ: إنِّي أخافُ من فُلان، فقال: لا تخَفْ منه؛ فإنَّ قلبَ كلِّ مَنْ تخافُهُ بيدِ مَنْ ترجوه.

وقال: ربَّما أُصلِّي ركعتَين، فأنصرِفُ وأنا بمنزلَةِ مَنْ ينصرِفُ عن السَّرِقَةِ من الحياء.

وقال: لو قيل للطَّمعِ مَنْ أبوكَ قال: الشَّكُّ في المَقدور.

أسندَ الورَّاقُ الحديثَ عن جَمعٍ كثيرين.

ولم يزَلْ على حالِه إلى أن اندَرَجَ في الأكفانِ، وتُليَ عليه ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] رضي الله عنه.

* * *

(٣٥٧) محمد بن إبراهيم الزَّجَّاجيُّ النَّيْسابوريُّ(*)

صَحِبَ الجُنَيد والطَّبقة.

كان شَيخَ عَصره، وفَخْرَ مِصره، خَيرُ حَبرٍ تُقتبَسُ الفوائِدُ من نوره، وتُغتَرَفُ من بحرِه وجودِه، كَمْ جاوَرَ بينَ زمزمَ والمقام! وألقى عَصا سفره لمَّا رحَلَ الحجيج وأقام، وكم طابَ له القرارُ بطيبَة! وطهَّرَ بها مَنْ أرادَ السُّلوكَ(٢) وأزالَ عَيبَه، وكم استروَحَ بظِلِّ نَخلِها والسَّمُرات! وتملَّى بمُشاهدَةِ الحُجرَةِ الشَّريفَةِ

---

(١) الخبر من: م.

(*) طبقات الصوفية ٤٣١، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٦، الرسالة القشيرية ١/ ١٧٧، مناقب الأبرار ١٩٣/ب، المنتظم ٦/ ٣٩١، المختار من مناقب الأخيار ٣٣٢/ب، الوافي بالوفيات ١/ ٣٤٦، البداية والنهاية ١١/ ٢٣٥، طبقات الأولياء ١٥٦، العقد الثمين ١/ ٤٠٨، طبقات الشعراني ١/ ١١٧.

(٢) في (أ): الشكوك.

وغيرُه يسحُّ على قُربِ تُربها العَبَرات، وكم كُتِبَ له بالوصولُ وصول! فلم يكُنْ بينَهُ وبين الرَّسولِ رَسول.

قالوا: حَجَّ نحوَ ستِّينَ حجَّةً.

ومَكَثَ بمكَّةَ نحو أربعينَ سنةً لا يَبولُ ولا يتغوَّطُ في الحَرَمِ، بل يخرُجُ للحلِّ.

ومن كلامه:

مَنْ تكلَّمَ على حالٍ لم يصِلْ إليه كان كلامُهُ فِتنَةً لمَنْ سمعَهُ وحرَّمَ اللهُ عليه الوصولَ لذلك الحال.

وقال: الحميَّةُ في القلبِ تَصحيحُ الإخلاصِ ومُلازمَتُهُ، وفي النَّفسِ تَركُ الادِّعاءِ ومُجانبَتُهُ.

وقال: ممَّا جرَّبناهُ لرَدِّ الضَّالَّةِ: اللَّهُمَّ، يا جامِعَ النَّاسِ ليوم لا رَيبَ فيه، اجمَعْ عَليَّ ضالَّتي، ويقرأُ قبلَهُ سورةَ ﴿والضحى﴾ ثَلاثاً.

وقال في حديث: «تفكُّرُ ساعَةٍ خَيرٌ من عِبادَةِ سِتِّينَ سنةً»[1]: المُرادُ بالتفكُّرِ هنا نِسيانُ النَّفسِ.

وسُئِلَ عنِ السَّماعِ فقال: ما أدْوَنَ حالَ مَنْ يَحتاجُ إلى مُزعِجٍ يُزعجُهُ إليه! السَّماعُ، من ضعفِ الحالِ، ولو قَوِيَ لاستغنى عنه.

ولم يزَلْ على حالِه من عِلمٍ يَنشُرُهُ، ومُريدٍ على الشَّيطانِ والنَّفسِ يَنصُرُهُ حتّى حضرَتْ مَنيَّتُهُ، فانقطعَتْ منَ الحياةِ أُمنيَّتُهُ سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وثلاثِ مئة رضي الله عنه.

---

(1) ذكره الغزالي في الإحياء ٤/ ٤٢٣، وقال الحافظ العراقي: رواه ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف، ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ١٤٤، ورواه الديلمي في مسند الفردوس ٢/ ٧٠ (٢٣٩٧) من حديث أنس بلفظ: «ثمانين سنة» وإسناده ضعيف جداً، ورواه أبو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ: «خير من قيام ليلة»اهـ.

قال العجلوني في كشف الخفا ١/ ٣١٠: ذكره الفاكهاني بلفظ: «فكر ساعة» وقال: إنه من كلام سريٍّ السَّقطي.

(٣٥٨) محمد بن أحمد بن جعفر النَّيسابوريُّ(*)

من أعظَم مشايخِ نَيْسابور في وَقته، إمامٌ عَلا في أُفقِ التَّوفيقِ مَجدُه، وأنارَ في دياجي المُشكلاتِ والمُعضلاتِ زندُه، وزَكا في رَوضِ اللَّطائفِ فَرْعُهُ وأصلُه، ونفَذَ[1] في غَرَضِ المعارِفِ رُمحُهُ ونَصلُه.

صَحِبَ أبا عثمان، وغيرَه من الأعيان.

ومن كلامه:

الفُتوَّةُ بَذْلُ المَعروفِ إلى كلِّ بَرٍّ وفاجِرٍ، وحُسنُ الخُلُقِ مع النَّاسِ.

وقال: العارِفونَ بقاؤهم بمعروفهم، وجَميعُ الخَلْقِ بقاؤهم بالأكلِ والشُّربِ.

ماتَ قبلَ السِّتِّين وثلاثِ مئة.

* * *

(٣٥٩) محمد بن أحمد بن حَمْدون الفَرَّاء(**)

من كِبارِ مشايخِ خُراسان، صَحِبَ الثَّقَفيَّ، والشِّبليَّ وغيرَهُما من الأعيانِ، وكان أوحَدَ وَقته في الحقائقِ، ويُضرَبُ بشدَّةِ[2] مُجاهدَتِه المَثَل، حتّى سارَ ذِكرُ ذلك[3] في السَّهلِ والجَبَل.

(*) طبقات الصوفية ٥٠٥، مناقب الأبرار ٢١٢/ب، طبقات الأولياء ٢٤٣، طبقات الشعراني ١/ ١٢٥. وهذه الترجمة ليست في (ب).

(١) في المطبوع: تفقأ في عرض.

(**) طبقات الصوفية ٥٠٧، مناقب الأبرار ٢١٣/أ، طبقات الأولياء ٢١٤، طبقات الشعراني ١/ ١٢٥. وفي الأصول القزاز والمثبت من مصادر الترجمة خلا طبقات الشعراني.

(٢) في المطبوع: بسيف.

(٣) في (أ): ركب ذلك.

ومن كلامه:

من شرطِ[1] العاقِلِ أن يَكتُمَ حَسناتِهِ أكثرَ ممَّا يَكتُمَ سيِّئاته.

وقال: مَنْ لم يؤثِرِ اللهَ على كلِّ شيءٍ لا يَصِلُ نورُ المعرفةِ إلى قَلبه.

وقال: لا تتواضع لِمَنْ لا يُكرمُكَ تَظلِمْ نَفسَكَ، ومَنْ زَهِدَ فيكَ ازهَدْ فيه، ومَنْ أتاكَ اذهَبْ إليه، ومَنْ ذكَرَكَ اذكُرْهُ، ومَنْ نسِيَكَ انسَه، وعامِلِ الموجودَ بحسَبِ ما يُعامِلُكَ إلاَّ أن تُريدَ الفضلَ فلا حَرَج.

* * *

(٣٦٠) محمد بن أحمد بن محمد المقرئ(*)

صَحِبَ الخَرَّاز وغيرَه.

وكان لأهلِ التَّصوُّفِ حُجَّةً، ولبحرِ مذهبهم الزَّاخِرِ لُجَّةً، ما لازَمَهُ مُريدٌ إلاَّ انتفَعَ به كثيراً، وأحلَّهُ من العِزِّ محلاًّ أثيراً[2].

ومن كلامه:

الفُتوَّةُ حُسْنُ الخُلُقِ مع مَنْ تَكرهُهُ، وبَذْلُ المالِ لِمَنْ تبغِضُهُ، وحُسْنُ الصُّحبَةِ مع مَنْ يَنفرُ قَلبُكَ منه.

ماتَ سنةَ سِتٍّ وستِّين وثلاثِ مئة رضي الله عنه.

* * *

---

(١) في المطبوع: من شأن.

(*) طبقات الصوفية ٥٠٩، مناقب الأبرار ٢١٣/أ، طبقات الأولياء ٧٥، طبقات الشعراني ١/ ١٢٥. ويكنى أبا عبد الله، وترجمته لصيقة بترجمة أخيه أبي القاسم محمد.

(٢) في المطبوع: وأحله من العمل محلاً كبيراً.

(٣٦١) محمد بن داود الدِّينوري(*)

محمد بن داود الدِّينوري، أبو بكر المعروف بالدُّقيِّ، إمامٌ تقدَّمَ في جامعِ الطَّاعة، وسَبَقَ في حليةِ الزُّهدِ والقناعة، وسارَ بالوَرَعِ والصَّلاح، وطارَ في الآفاقِ بأجنحَةِ النَّجاح.

صَحِبَ ابنَ الجلاَّء، والزَّقَّاق[1]، وعُمِّرَ مئة سنة، وكان في الزَّهادَةِ والعبادَةِ أُعجوبة، لم يكُنْ في زمانه مَنْ يلحَقُ أسلوبَه، قد صارَ له التَّصوُّفُ طِباعاً، ونَقْلُ حِكَمِ القَومِ وكلامهم هوًى مُطاعاً[2]، متى دعاهُ لَبَّاه، وجاءَهُ مُسرِعاً ولا يأباه.

ومن كلامه:

كَلامُ اللهِ إذا أضاءَ على السَّرائِرِ بإشراقِهِ زالَتِ البشريَّةُ برعونَاتِها.

وقال: علامَةُ القُربِ إلى اللهِ الانقطاعُ عن كلِّ ما سِواه.

وقال: المَعِدَةُ مَوضعُ تَجمُّعِ الأطعمَةِ، فإن طرَحْتَ فيها الحَلالَ صدرَتِ الأعضاءُ بالأعمالِ الصَّالحَةِ، أو الشُّبهةَ اشتبَهَ عليكَ الطَّريقُ إلى اللهِ، أو التَّبِعات كان بينَكَ وبينَ اللهِ[3] حِجابٌ.

وقال: مَنْ عَرَفَ اللهَ لم ينقطِعْ رَجاؤه، ومَنْ عَرَفَ نَفسَهُ لم يُعجَبْ بعمله، ومَنْ عَرَفَ رَبَّهُ لجأَ إليه، ومَنْ نَسِيَ رَبَّه لجأَ إلى المَخلوق.

(*) طبقات الصوفية ٤٤٨، تاريخ بغداد ٥/ ٢٦٦، الرسالة القشيرية ١/ ١٨٠، مناقب الأبرار ١٩٨/ب، الأنساب ٥/ ٣٢٧، المنتظم ٧/ ٥٦، المختار من مناقب الأخيار ٣٤٥/ب، مختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ١٥٢، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٣٨، الوافي بالوفيات ٣/ ٦٣، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة ٨٣٨، البداية والنهاية ١١/ ٢٧١، طبقات الأولياء ٣٠٦، طبقات الشعراني ١/ ١١٩.

(١) في المطبوع: الدقاق.

(٢) في المطبوع: وصار فيه مطاعاً.

(٣) في (أ): أمر الله.

وقال: أهلُ المعرفةِ أحياءٌ بحياةِ معروفهم، وغيرُهم لا حياةَ له إلاَّ مجازاً[١].

وقال: لا يكونُ المُريدُ مُريداً حتّى لا يكتبُ عليه صاحِبُ الشِّمالِ عشرينَ سنةً شيئاً.

وقال: كم من مسرورٍ سُرورُه بلاؤه! وكم من مَغمومٍ غَمُّه نَجاتُه!

وقال أبو بكر الرَّقِّي: قال لي أبو بكر الدُّقي: بُنَيَّ أمرنا[٢] على أربع: لا نأكلُ إلاَّ عن فاقَةٍ، ولا ننامُ إلاَّ عن غَلَبَةٍ، ولا نَسْكُتُ إلاَّ عن خيفَةٍ، ولا نتكلَّمُ إلاَّ عن وَجْدٍ[٣].

ماتَ بدمشق سنةَ ستِّين وثلاثِ مئة[٤].

* * *

(٣٦٢) محمد بن عبد الخالق الدِّينوريُّ[*]

من أجِلاَّء الصُّوفيَّةِ حالاً وعِلماً، وهِمَّةً وعَزماً، إمامٌ بَحرُ عِلمه مُحيط، وظِلُّ دَوحِه بَسيط، وألسِنَةُ معارِفه ناطِقَة، وأفنانُ فُنونِ تَصوُّفِه باسِقَة.

ومن فوائده:

أرفَعُ العُلومِ في التَّصوُّفِ عِلمُ الأسماءِ والصِّفات، وتمييزُ الخِلافِ من

(١) انظر الخبر بتمامه في طبقات الصوفية ٤٥٠.

(٢) في أصل المطبوع: وقال: قال لي أبو علي الدقاق: أمرنا...، والتصحيح من تاريخ بغداد ٥/ ٢٦٦.

(٣) الخبر من المطبوع.

(٤) في الأصول: مات بمصر سنة ثلاث وستين وثلاث مئة، عن نحو مئة سنة، ودفن بالقرافة. وكأني بهذا السطر قد أتى من ترجمة أخرى، أو أُقحم، والمثبت من مصادر ترجمته.

(*) طبقات الصوفية ٥١٥، مناقب الأبرار ٢١٤/أ، المختار من مناقب الأخيار ٣٥٠/ب، روض الرياحين ٢٨٦ (حكاية ٢٢٤)، طبقات الأولياء ٢٩٦، طبقات الشعراني ١/ ١٢٦.

الاختِلاف، وإخلاصُ أعمالِ الظَّاهرِ، وتَصحيحُ أحوالِ الباطِن.

وقال: دَخَلَ عليَّ فَتيرٌ عليه آثارُ الضُّرِّ[١]، فأحبَبْتُ أن آتيه بشيءٍ، فهممتُ أن أرهنَ نَعلي[٢]، فقلتُ: كيف أتطهَّرُ مع الحَفا؟ قلتُ: أرهَنُ رَكوَتي، فقلتُ: بأيِّ شيءٍ أتوضَّأُ؟ قلتُ: مِنديلي، فقلتُ: أبقى مَكشوفَ الرَّأسِ، فقامَ الفقيرُ وأخذَ عَصاهُ بيده، وقال: يا خَسيسَ الهِمَّةِ، احفَظْ منديلَكَ، فأنا ذاهِبٌ، فعقدتُ مع اللهِ أن لا آكُلَ الخُبزَ حتّى ألقاه، فيُقال: أقامَ ثَلاثينَ سنةً ما أكلَهُ.

ماتَ سنةَ نَيِّفٍ[٣] وسبعين وثلاثِ مئة.

* * *

(٣٦٣) محمد بن علي بن الحسين التِّرمذيُّ الصُّوفيُّ الشَّافعيُّ(*)

صاحِبُ التَّصانيف المشهورة، زاهِدٌ اشتُهِرَ بمُلازمَةِ العِبادَةِ بينَ العِباد، وتفرَّدَ من بين الصُّوفيَّةِ بكَثرةِ الرِّوايةِ وعُلوِّ الإسناد، وناسِكٌ سَلَكَ طَريقَ القَوم، وهَجَرَ في وَصله النَّوم، رَحَلَ في طَلَبِ الحديث والعِلم، وتلفَّعَ بمروطِ التَّقوى والحلم، ولَقِيَ الأكابِر، وأخَذَ عن أرباب المحابر، ومع ذلك كان صَدراً مُعظَّماً، وصوفيًّا مُحدِّثاً مُفخَّماً، كثيرَ الكيسِ واللَّطافة، غَزيرَ المعارِفِ التي تحُفُّ أخلاقَهُ وأعطافَه، تحَلَّى بعقودِه جيدُ زمانه، وتأرَّجَتِ الأرجاءُ بعَرْفِ عِرفانه.

---

(١) في المطبوع: الضوء.
(٢) في المطبوع: بغلي.
(٣) في المطبوع: سنة اثنتين.
(*) طبقات الصوفية ٢١٧، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٣، الرسالة القشيرية ١/ ١٣٨، مناقب الأبرار ١٢١/أ، الأنساب للسمعاني ٣/ ٤٢، صفة الصفوة ٤/ ١٦٧، المختار من مناقب الأخيار ٣٥٢/ب، المستفاد من ذيل بغداد لابن النجار ١٠٩، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٣٩، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤٥، طبقات ابن عبد الهادي (ترجمة ٦٣٦)، طبقات الشافعية ٢/ ٢٤٥، طبقات الأولياء ٣٦٢، لسان الميزان ٥/ ٣٠٨، طبقات الشعراني ١/ ٩١، طبقات الحفاظ ٢٨٢، مفتاح السعادة ٢/ ٣٠٩، شذرات الذهب ٢/ ٢٢١.

لَقِيَ أبا تُرابٍ النَّخشبيِّ، والبَلخيّ، وتلك الطَّبقة، وسَمِعَ الكَثيرَ من الحديثِ بالعراقِ وغيره، وهو من أقرانِ البخاري.

قال الحافِظُ ابنُ النجَّار في «تاريخه»[1]: كان إماماً من أئمَّةِ المُسلمين، له المصنفات الكِبارُ في التَّصوُّفِ، وأصولِ الدِّينِ، ومعاني الحَديثِ، وفي شُيوخِه كَثرَة.

وقال السُّلَميُّ في «طبقاته»[2]: له الشَّأنُ العالي[3]، والكتب المشهورة، نَفوه من تِرمذ وشَهِدوا عليه بالكُفرِ بسببِ تَفضيله الولايَةَ على النُّبوَّة، وإنَّما كلامُهُ في ولايَةِ النَّبيِّ.

وقال أبو نعيم في «الحلية»[4]: له التَّصانيفُ الكثيرةُ في الحديث، وهو مُستقيمُ الطَّريقةِ يَرُدُّ على المُرجئةِ وغيرِها من المخالفين، تابع للآثار.

قال ابنُ الجوزي[5]: من أكابِرِ مشايخِ خُراسان، له التَّصانيفُ المَشهورة، وكان يقول: ما صَنَّفْتُ شيئاً ليُنْسَبَ إليَّ، لكن إذا اشتدَّ عليَّ وَقتي أتسَلَّى بمُصنَّفاتي.

وقال القُشيريُّ في «الرسالة»[6]: هو من كِبارِ الشُّيوخ.

وقال الكلاباذي في «التعرف»[7]: هو من أئمَّةِ الصُّوفيَّة.

وقال ابنُ عطاءِ الله: كان الشاذليُّ والمُرسي يُعظِّمانه جِدًّا، ولكلامه عندَهُما الحُظْوَةُ التَّامَّةُ، ويَقولان: هو أَحَدُ الأوتادِ الأربعةِ فلا تَلتفِتْ لخُرافاتِ

---

(١) المستفاد ١١٠.

(٢) لم أجده في طبقات السلمي المطبوع، وهذا القول ذكره السبكي في طبقاته ٢/ ٢٤٥ دون تحديد لمصدر نقله من أي كتب السلمي.

(٣) في الأصول الخطية: اللسان العالي.

(٤) الحلية ١٠/ ٢٣٣.

(٥) صفة الصفوة ٤/ ١٦٧.

(٦) الرسالة القشيرية ١/ ١٣٨.

(٧) ذكره الكلاباذي في كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف مع من صنف في المعاملات صفحة ١٢ تصحيح أرثر جون أربري مكتبة الخانجي ١٩٣٢ م ـ ١٣٥٢ هـ.

المُخرِّفين وطَعنِهم فيه[1] بالبُهتان.

وله حِكَمٌ عَلِيَّةُ الشَّأنِ فمنها قولُه: كَفى بالمرءِ عَيباً أن يَسُرَّهُ ما يَضرُّه.

وقال وقد سُئِلَ عنِ الإنسانِ، فقال: ضَعْفٌ ظاهِرٌ حاضِر، ودَعوى عَريضة.

وقال: إذا مكَنَتِ الأنوارُ في السرِّ نَطَقَتِ الجوارِحُ بالبِرِّ.

وقال: لا يُنكِرُ الكرامات إلاَّ القُلوبُ المَحجوبَةُ عنِ الله، فإنَّ الكرامَةَ إنَّما هي صُنعُ الحَقِّ.

وقال: الوليُّ أبَداً في سِترِ حالِه، والكَونُ ناطِقٌ بولايته، ومُدَّعي الولايَةِ ناطِقٌ بولايته، والكَونُ كُلُّه يُكَذِّبُهُ.

وقال: الاستهانَةُ بالأولياءِ من قِلَّةِ المعرفَةِ بالله، وما وَصَلَ العبدُ لمقامٍ إلاَّ وهو مُحترِمٌ لأهلِ ذلك المقام، إذ الإخلالُ بواجِبِ حقِّهم يطرُدُهُ عن حضرتهم.

وقال: لا يُسمَّى عالِماً إلاَّ مَنْ لم يتعدَّ حُدودَ الله مرَّةً في عُمُره.

وقال: ما استصغرتُ أحَداً من المُسلمين إلاَّ وجدتُ نَقصاً في معرفتي وإيماني.

وقال: ما مَنَعَ النَّاسَ من الوصولِ إلاَّ لركضِهم في الطَّريقِ بغيرِ دَليلٍ، وأكلِهِمُ الشَّهوات وارتكابِهم الرُّخَصَ والتَّأويلات.

وقال: رأسُ مالِكَ قَلبُكَ ووقتُكَ، وقد شغلتَ قَلبَكَ بهواجِسِ الظُّنون، وضَيَّعْتَ أوقاتَكَ بشُغلِكَ بما لا يَعنيك، فمَتى يَربَحُ مَنْ خَسِرَ رأسَ مالِه؟.

وقال: أقرَبُ القُلوبِ إلى الله قَلبٌ رَضِيَ بصُحبَةِ الفُقراءِ، وآثَرَ الباقي على الفاني، وشَهِدَ سَوابِقَ القضاءِ مع اليأسِ[2] من الأفعال.

وقال: القناعَةُ رِضا النَّفسِ بما قُسِمَ لها.

وقال: الفُتوَّةُ أن تكونَ خَصماً لربِّكَ على نَفسك.

وقال: اجعَلْ مُراقبتَكَ لمَنْ لا تَغيبُ عن نَظَرِه إليكَ، واجعَلْ شُكرَكَ لمَنْ

---

(١) في (أ) و (ب): المجازفين وطعنه فيه.

(٢) في (أ) و (ف): مع الناس.

لا تنقطِعُ عنكَ نِعَمُهُ، وخُضوعَكَ لمَنْ لا تخرُجُ عن مُلكه وسُلطانه.

وقال: ذِكرُ اللهِ يُرطِّبُ القلبَ ويُليِّنُهُ، فإذا خَلا عن ذِكرِ اللهِ أصابَتْهُ حَرارةُ النَّفسِ، ونارُ الشَّهواتِ، فقَسا ويَبِس، وامتنعَتِ الأعضاءُ من الطَّاعةِ، فإذا مَدَدْتَها تكسَّرَتْ كالشَّجرةِ إذا يَبِسَتْ لا تَصلُحُ إلاَّ للقَطْع، وتَصيرُ وَقودَ النَّار.

وقال: نورُ المعرفةِ في القلبِ وإشراقُهُ في عينِ الفؤادِ في الصَّدر، فبذِكرِ اللهِ يرطبُ القلبُ ويَلينُ، وبذِكرِ الشَّهواتِ واللَّذَّاتِ يَقسو ويَيْبَس.

وقال: ما من نورٍ في القلبِ إلاَّ ومعهُ رَحمَةٌ من اللهِ بِقَدرِ ذلك، فهذا أصلٌ، والعبدُ مادامَ في الذِّكرِ فالرَّحمةُ دائمَةٌ عليه كالمَطرِ، فإذا غَفلَ قحط.

وقال: ليس في الدُّنيا حملٌ أثقَلُ من البِرِّ؛ فإنَّ مَنْ بَرَّكَ فقد أوثقَكَ، ومَنْ جفاكَ فقد أطلقَكَ.

وقال: مَنْ جَهِلَ أوصافَ العبوديَّةِ فهو بنعوتِ الرُّبوبيَّةِ أجهَلُ.

وقال: رأيتُ ربَّ العِزَّةِ في المنامِ ألفَ مرَّةٍ أسألُهُ خاتِمَةَ الخَيرِ، فقال لي: قُلْ: أربعينَ مرَّةً - وفي روايةٍ: إحدى وأربعينَ مرَّةً - يا حَيُّ يا قَيُّومُ، يا بَديعَ السَّمواتِ والأرض، يا ذا الجَلالِ والإكرام، يا الله، يا الله، يا الله.

وقال: الدُّنيا عَروسُ المُلوكِ، ومِرآةُ الزُّهَّاد[1].

وقال: إذا خَلا القلبُ عنِ الذِّكرِ أصابَتْهُ حَرارَةُ النَّفسِ،ونارُ الشَّهواتِ، وامتنعَتِ الأركانُ من الطَّاعة.

ومن كراماته:

أنَّه لمَّا قامَ عليه مُعاصِروه، وكَفَّروه، جَمَعَ كُتُبَهُ كلَّها وألقاها في البحر، فالتقطتها سمكةٌ وابتلعتها، ثمَّ لفظَتها بعد سنين، وانتفَعَ النَّاسُ بها.

وقال الحافظُ ابنُ حجر: ماتَ في حدودِ العشرين وثلاثِ مئة رضي الله تعالى عنه.

---

(١) تتمة الخبر في طبقات الصوفية ٢٢٠، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٣٥: أما الملوك فتجمَّلوا بها، وأما الزُّهَّاد فنظروا إلى آفتها فتركوها.

(٣٦٤) محمد بن سُليمان(*)

محمد بن سُليمان بن محمد بن سُليمان أبو سَهل الصُّعلوكي الإمامُ الشَّافعيُّ الصُّوفي، المَشهورُ بالعِلمِ والولاية، من أصحابِ أبي إسحاق المروَزي، كانَ كبيرَ الشَّأنِ في التَّسليمِ والانقياد، مُتباعِداً عنِ الاعتِراض، وقد قال هو نفسُه: التَّصوُّفُ الإعراضُ عنِ الاعتراض.

وُلِدَ سنةَ سِتٍّ وتسعين ومئتين، وماتَ سنةَ تسعٍ وستِّين وثلاثِ مئة.

ودرَّسَ ووعَظَ، وانتفَعَ به النَّاسُ بنيسابور نَيِّفاً وثلاثينَ سنةً.

ودُفِنَ بالمجلسِ الذي كانَ يُدرِّسُ فيه، وصَلَّى عليه ابنُهُ أبو الطيِّب.

ومن كلامه:

التَّصوُّفُ الإعراضُ عنِ الاعتراض.

وقال: مَنْ قال لشيخه: لِمَ، لا يُفلِحُ أبداً.

ومن نظمه:

أنامُ على سَهْوٍ(1) وتَبْكي الحمائِمُ   وليسَ لها جُرْمٌ ومِنِّي الجَرائِمُ(2)

* * *

(*) يتيمة الدهر ٤/ ٤١٩، طبقات الشيرازي ١١٥، الأنساب ٨/ ٦٣، تبيين كذب المفتري ١٨٣، اللباب ٢/ ٢٤٢، طبقات الفقهاء الشافعية ١/ ١٥٨، وفيات الأعيان ٤/ ٢٠٤، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٤١، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٣٥، دول الإسلام ١/ ٢٢٨، العبر ٢/ ٣٥٢، الوافي بالوفيات ٣/ ١٢٤، طبقات السبكي ٣/ ١٦٧، طبقات الإسنوي ٢/ ١٢٤، طبقات الأولياء ٢١٥، طبقات المفسرين للداوودي ٢/ ١٤٧، النجوم الزاهرة ٤/ ١٣٦، الفلاكة والمفلوكون ١٣٧، مفتاح السعادة ٢/ ١٧٧، شذرات الذهب ٣/ ٦٩.

(١) في المطبوع: على سهرٍ.

(٢) وهما بيتان في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٣٩، وطبقات السبكي ٣/ ١٧١، والوافي بالوفيات ٣/ ١٢٤، والبيت الثاني هو:

كذبتُ وبيتِ الله لو كنتُ عاقلاً   لما سبقَتْني بالبُكاءِ الحَمائِمُ

(٣٦٥) محمد بن أحمد بن إسماعيل(*)

الصُّوفيُّ البغداديُّ الواعظ، المعروفُ بابنِ سَمْعون.

قال الخطيب(١): كان واحِدَ دَهره، وفَريدَ عَصره في الكلامِ على عُلومِ الخَواطِرِ والإشارات، دَوَّنَ النَّاسُ حِكَمَهُ، وجَمَعوا كلامَهُ، وحَدَّثَ عن المَطيريِّ(٢)، وجَمْعٍ كَثيرٍ.

وكان مُتحمِّلاً للأذى، يُحسِنُ إلى مَنْ أساءَ إليه، وقد قيل: التَّصوُّفُ كالأرضِ يُطرَحُ عليها كلُّ قَبيحٍ، ولا يَخرُجُ منها إلاَّ كلُّ مَليح.

وُلِدَ سنةَ ثلاثِ مئة.

قال ابنُ الجَوزي(٣): كان يُلقَّبُ النَّاطِقُ بالحِكمَةِ، وكان خادِمُ الشِّبليِّ جازَ عليه يَوماً، فنظَرَ إلى ظهره، وقال: لا تَدرونَ أيَّ شيءٍ للهِ في هذا الفتى من الذَّخائر(٤).

(*) تاريخ بغداد ١/ ٢٧٤، الإكمال ٤/ ٣٦٢، طبقات الحنابلة ٢/ ١٥٥، تبيين كذب المفتري ٢٠٠، المنتظم ٧/ ١٩٨، صفة الصفوة ٢/ ٤٧١، المختار من مناقب الأخيار ٣٣٣/أ، وفيات الأعيان ٤/ ٣٠٤، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٠٥، العبر ٣/ ٣٦، مرآة الجنان ٢/ ٤٣٢، الوافي بالوفيات ٢/ ٥١، البداية والنهاية ١١/ ٣٢٣، توضيح المشتبه ٥/ ٣٦٠، النجوم الزاهرة ٤/ ١٩٨، شذرات الذهب ٣/ ١٢٤، وفي الأصول: محمد بن محمد بن إسماعيل، والمثبت من مصادر ترجمته.

(١) تاريخ بغداد: ١/ ٢٧٤.

(٢) في الأصول: الطبري تصحيف، انظر تاريخ بغداد ١/ ٢٧٤، طبقات الحنابلة ٢/ ١٥٥. والمطيري محمد بن جعفر، أبو بكر، انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٢/ ١٤٥، والأنساب ١١/ ٣٧٤.

(٣) صفة الصفوة ٢/ ٤٧١.

(٤) كذا في الأصول، وفي الكلام اضطراب وإخلال، والخبر في تاريخ بغداد ١/ ٢٧٧، وصفة الصفوة ٢/ ٤٧١: سمعت أبا بكر الأصبهاني ـ وكان خادم الشبلي ـ قال: كنت بين يدي الشبلي في الجامع يوم الجمعة فدخل أبو الحسين بن سمعون وهو صبي فجاز علينا وما سلَّم، فنظر الشبلي إلى ظهره، وقال: يا أبا بكر تدري . . .

ومن كلامه:

رأيتُ المعاصي نَذالَةً، فتركتُها مُروءَةً، فاستحالَتْ دِيانَةً.

وقال: كلُّ مَنْ لم ينظُرْ بالعلم ما لله عليه فالعِلمُ حُجَّةٌ عليه ووبالٌ، والصَّادِقونَ الصَّادِقونَ الحُذَّاقُ هم الذين نَظَروا إلى ما بَذَلوا في جنبِ ما وجدوا فصغُرَ ذلك عندَهم، فاعتذَروا.

وقال: قَلِّلوا اهتمامَكُم لكم، ووفِّروا اهتمامَكُم بكم، وتوَسَّدوا أوساداً من الشُّكرِ، والبَسوا لِباساً من الذِّكرِ، والتَحِفوا لِحافاً من الخَوفِ، تَفوزوا بمدحةِ الرَّبِّ.

وقال: تظَلَّمْ إلى رَبِّكَ منكَ، واستنصِرْهُ عليكَ ينصُركَ.

وقال: احزَنوا على ما فاتَكُم، وأسَفوا على تَقصيركُم، واحرزوا بضائعكم من التَّلفِ، لا تخرُجُ القُطَّاعُ عَليها.

وقال: كلُّ داءٍ عُرِفَ دواؤهُ فهو صَغير، وما لا يُعرَفُ له دواءٌ فهو كَبير.

وقال: احذَرْ أن ترى عمَلَكَ لكَ فإنَّكَ إن رأيتَهُ لكَ كنتَ ناظِراً إلى ما ليسَ لكَ.

وقال: من الوقاحَةِ تمَنِّيكَ مع توانيكَ، استوفِ من نفسِكَ الحُقوقَ ثمَّ وَفِّها الحُظوظَ، حَسبُها ما يَكفيها لا ما يُطغيها.

ومن كراماته:

أنَّه قَصَدَ بيتَ المقدسِ، وحَمَلَ في صُحبَتِهِ تَمراً صيحانيًّا[1]، فطالبَتْهُ نَفسُهُ بأكلِ الرُّطَبِ، فأقبَلَ عليها باللَّومِ، وقال: من أين لنا في هذا الموضِعِ بالرُّطَبِ؟ فلمَّا جاءَ وقتُ الفِطرِ فَتَحَهُ فوجدَهُ رُطَباً، فلم يأكُلْ منه، فلمّا جاءَ الغَدُ فتحَهُ للفطرِ فوجدَهُ[2] تمراً على حاله.

ومنها: أنَّ رجُلاً لَحِقَتْهُ ضائقَةٌ، فلم يجِدْ عندَهُ غيرَ خُفَّيه، فخلعهُما وذهبَ ليبيعَهُما، فمرَّ بمجلسِ ابنِ سمعون، فقال في نفسه: أحضُرُ المجلِسَ ثمَّ

---

(١) الصيحاني: ضرب من التمر أسود، صلب مضغه. اللسان (صيح).

(٢) في المطبوع: فلما جاء وقت الغداء فتحه فوجده.

أنصرِفُ فأبيعهُما، فلمَّا أرادَ الانصرافَ ناداهُ: لا تَبِعِ الخُفَّين؛ فإنَّ اللهَ يأتيكَ برزقٍ، فكان كذلك.

فائدة: ذكر ابنُ باطيش[1] في كتابه «إثبات كرامات الأولياء» عن أبي طاهرٍ محمد العلّاف، قال: حضرتُ أبا الحسين بن سمعون يوماً في مجلسِ الوَعظِ، وكان أبو الفتح القوَّاس قاعِداً بجنبِ الكُرسيِّ، فغشيَهُ النُّعاسُ ونام، فأمسَكَ ابنُ سمعون ساعَةً حتّى انتبه أبو الفتح ورفعَ رأسَهُ، فقال له ابنُ سمعون: رأيتَ النَّبي ﷺ في نومِكَ؟ قال: نعم، قال: لذلكَ أمسكتُ عنِ الكلامِ خَوفاً أن تنزعِجَ، وينقطِعَ ما كنتَ فيه. انتهى.

قال الجلالُ السُّيوطي: وهذا يُشعِرُ بأنَّ ابنَ سمعون رأى رسول الله ﷺ يَقظةً لمَّا حضر، ورآه أبو الفتحِ في نَومه.

ماتَ سنةَ سبعٍ وثمانين وثلاثِ مئة، ودُفِنَ في داره، ثمّ نُقِلَ بعدَ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً فوُجِدَ كَفنُهُ لم يَبْلَ.

وقال بعضُهم: أُخرِجَ إلى قبرِ أحمد بن حنبل وأكفانُهُ تتقَعْقَعُ كما دُفِنَ.

وقال الخطيب[2]: كان ثقةً مأموناً.

قال ابن الجوزي[3]: وأسندَ الحديثَ عن خَلْقٍ يَطولُ ذِكرُهم.

* * *

(٣٦٦) محمد بن إسحاق(*)

المُتشمِّرُ للَّحاق، المُتحرِّزُ من الفِراق، المُتجرِّدُ للسِّباق، وقد قيل: التَّصوُّفُ: عِنوَةٌ لا صُلحَ فيها.

وهو من أهلِ الكوفة، كان عابِداً زاهِداً.

---

(١) تقدم التعريف به: ١ / ٩٣.
(٢) تاريخ بغداد: ١/ ٢٧٧.
(٣) صفة الصفوة ٢/ ٤٧٧.
(*) حلية الأولياء ١٠/ ١٥٠، وسيترجم له المؤلف ثانية في الطبقات الصغرى ٤/ ٥٣١.

ومن كلامه:

الأيَّامُ سِهامٌ، والنَّاسُ أعراضٌ، والدَّهرُ يَرميكَ كلَّ يَومٍ بسهامه، ويَنحَرُ منكَ[1] بلياليه وأيَّامه حتّى تستغرِقَ جميعَ أجزائِكَ، ولو كُشِفَ لكَ عمَّا أحدثَتِ الأيَّامُ فيكَ من النَّقصِ، وما هي عليه من هَدمٍ ما بقيَ منكَ لاستوحَشتَ من كلِّ يومٍ يأتي عليكَ واستثقلتَ مرَّ السَّاعةِ[2] بكَ، ولكنْ تَدبيرُ اللهِ فوقَ الاعتبار.

وقال: الدُّنيا وَقتُكَ الذي يرجِعُ إليكَ فيه طَرفُكَ لأنَّ ما مَضى فاتَ إدراكُهُ، وما لم يأتِ لا عِلمَ لكَ به، والدَّهرُ مُوكَّلٌ بتشتيتِ الجماعاتِ، وانخِرامِ الشَّملِ، وتنقُّلِ الدُّولِ، والأملُ طَويلٌ، والعُمرُ قَصيرٌ، وإلى اللهِ تَصيرُ الأمور.

وقيلَ له: ما بالُ الرُّهبانِ يتكلَّمونَ بالحِكمةِ وهم أهلُ كُفرٍ وضلال؟ قال: ميراثُ الجوعِ مُتِّعتْ به.

* * *

(٣٦٧) محمد بن الحسين الخُشُوعيُّ(*)

كانتِ العِبادَةُ حِرفتَه، والتلذُّذُ بالعبرةِ شهوتَه، له الكلامُ البَليغُ في تأديبِ النُّسَّاكِ والعُبَّاد، تخرَّجَ به جَماعَةٌ من السُّبَّاقِ والرُّوَّاد.

ومن كلامه:

حَياةُ الصدِّيقِ في المُراعاةِ، وروحُ حياتهم[3] الاقتداءُ بأوامرِ الأنبياءُ وأحوالِهم، وحياةُ أرواحهم بالمطالعة.

وقال: مَنْ لَزِمَ الخِدمَةَ وَرِثَ منازِلَ القربةِ والمعرفة، ومنازلُها تُورِثُ حلاوةَ الأُنس.

وقال: هَمَّانِ لابُدَّ للمؤمنِ منهما: هَمُّ المعاشِ، وهَمُّ المعاد.

---

(١) في المطبوع: وينخر فيك، وفي الحلية ١٠/ ١٥٠: ويستخدمك.

(٢) في المطبوع: واشتغلت من الساعات.

(*) حلية الأولياء ١٠/ ٤٠٦.

(٣) في الأصول: حياة، والمثبت من الحلية.

(٣٦٨) محمد بن يعقوب الفَرَجيُّ(*)

العارِفُ بالأُصول، العازِفُ عنِ الفُضول، له القلبُ الخاشِعُ، والأُذُنُ السَّامِعُ، أحكَمَ عِلمَ الآثارِ وأتقنَها، وألَّفَ في المعاملاتِ والأحوالِ وأوضَحَها[١].

صَحِبَ الحارِثَ المُحاسبيّ وطبقتَهُ، وله المُصنَّفاتُ البَليغَةُ[٢] في معاني الصُّوفيَّة، وكان من الأئمَّةِ في عُلومِ النُّسَّاك، يرفعُ من الفقراءِ وينصرهم، ويضعُ من المُدَّعينَ ويحقرهم.

ومن كلامه:

إذا صَحَّ الودُّ سقطَتْ شُروطُ الأدَب.

وقيلَ له: إنَّكَ تُنكِرُ الزَّعقَةَ والصَّيحَةَ؟! قال: إنَّما أُنكِرُها على الكَذَّابين.

وقال: ما زعَقْتُ في عُمري إلاَّ ثَلاثَ زَعقاتٍ، فإنِّي انتهيتُ يَوماً ببغدادَ إلى الجسرِ، وقد أُخرِجَ رجُلٌ من الشطَّاحين من السِّجنِ يُضرَبُ، ثمَّ رُدَّ إلى السِّجنِ، والنَّاسُ يتعجَّبونَ من صَبره على الجَلْدِ، فجِئْتُهُ فقلتُ: مسألة؟ قال: أوسِعوا له، فما مسألَتُكَ؟ قلتُ: أسهَلُ ما يكونُ الضَّربُ عليكم أيَّ وقتٍ؟ قال: إذا كانَ مَنْ ضُرِبنا له يَرانا، فصحتُ ولم أملِك السُّكوتَ.

وقال: خرجتُ من الشَّامِ على طريقِ المفازة، فوقعتُ في التِّيه، فمكثتُ أيَّاماً حتى أشرفتُ على الموتِ، وإذا أنا براهبَيْنِ يسيرانِ كأنَّهما خرَجا من مكانٍ قريبٍ، يُريدانِ دَيراً قَريباً، قلتُ: أين تُريدان؟ قالا: لا نَدري. قلتُ: فمن أين

(*) حلية الأولياء ١٠/٢٨٧، تاريخ بغداد ٣/٣٨٧، مناقب الأبرار ٢٢٣/ب، ٢٢٩/أ، الأنساب ٩/٢٦٢، (ابن الفرجي) المنتظم ٥/٨٣، المختار من مناقب الأخيار ٣٦٤/ب، اللباب ٢/٢٠٢، الوافي بالوفيات ٥/٢٢٢، روض الرياحين ٥٢٣ (الحكاية ٤٨١ محمد بن يعقوب الخراساني)، تاج العروس (فرج)، جامع كرامات الأولياء ١/١٠١، معجم المؤلفين ١٢/١١٧.

(١) في (أ): وأصحبها، وفي (ب) و (ف): وأصحّها، وفي المطبوع: وأصلحها، والمثبت من الحلية.

(٢) في المطبوع: وله الهبات البليغة.

أقبلتُما ؟ قالا: لا نَدري. قلتُ: أتدريانِ أين أنتُما ؟ قالا: نعم، نحنُ في مُلكه ومملكته وبينَ يَديه، فأقبلتُ على نفسي أُوَبِّخُها، وأقولُ: راهِبانِ يتحقَّقانِ بالتَّوكُّلِ دونَكَ! فقلتُ: أتأذَنا لي في الصُّحبَةِ ؟ قالا: ذاكَ إليك، فتبعتُهُما، فلمَّا جَنَّ اللَّيلُ قاما إلى صلاتِهما، وقُمتُ إلى صَلاتي، فصلَّيتُ المغربَ بتيمُّمٍ، فضحِكا منِّي، فلمَّا فَرَغا بَحَثَ أحدُهما الأرضَ بيده، فإذا بماءٍ قد ظهرَ، وطعامٍ موضوعٍ، فتعجَّبْتُ، فقالا: ادْنُ فكُلْ، فأكلنا وشَرِبنا، وتهيَّأتُ للصَّلاةِ، ثمَّ نَضَبَ الماءُ، فلم يزالا في الصَّلاةِ، وأنا أُصَلِّي على حِدَةٍ حتّى أصبحنا، فسِرنا إلى اللَّيلِ، فلمَّا جَنَّنا اللَّيلُ[1] صَلَّى الآخرُ بصاحِبه، ثمَّ دعا بدعواتٍ، وبَحَثَ الأرضَ فنبَعَ الماءُ، وحَضَرَ الطَّعامُ، فلمَّا كانتِ اللَّيلةُ الثَّالثَةُ قالا: يا مُسلم، هذه نَوبَتُكَ، فاستحييتُ، ودخَلَ بعضي في بعض، وقلتُ: اللَّهُمَّ، إنِّي أعلمُ أنَّ ذُنوبي لم تَدَعْ لي عندَكَ جاهاً، لكنْ أسألُكَ أن لا تَفضَحني، ولا تُشمِّتْ هذين بنبيِّنا محمد ﷺ وأُمَّتِه، فإذا بعَينٍ خَرَّارَةٍ، وطعامٍ كثيرٍ، فأكلنا وشَرِبنا، وأسلَما.

أسندَ الحديثَ عن جَمعٍ كثيرين رضي الله تعالى عنهم.

* * *

(٣٦٩) محمد بن خَفيف الضَّبيُّ الشِّيرازيُّ الشَّافعيُّ(*)

شَيخُ المشايخ، ذو القدَمِ الرَّاسخ عِلماً وديناً وجَمعاً بين الحقيقةِ والشَّريعة، كان سيِّداً جَليلاً، وإماماً نَبيلاً، يُستمطَرُ الغَيثُ بدُعائه، من أعلَمِ الأعلامِ بعِلمَي

---

(١) في الأصول: فلما جن صلى، والمثبت من حلية الأولياء ١٠/ ٢٨٩، والمختار ٣٦٥/أ.

(*) طبقات الصوفية ٤٦٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٥، الرسالة القشيرية ١/ ١٨٤، مناقب الأبرار ٢٠١/ب، الأنساب ٧/ ٤٥١، تبيين كذب المفتري ١٩٠، المنتظم ٧/ ١١٢، المختار من مناقب الأبرار ٣٤٤/ب، معجم البلدان ٣/ ٣٨١، اللباب ٢/ ٢٢٢، طبقات الفقهاء الشافعية ١/ ١٥٤، مختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ١٤٠، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٤٢، العبر ٢/ ٣٦٠، دول الإسلام ١/ ١٧٨، الوافي بالوفيات ٣/ ٤٢، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ١٤٩، طبقات الإسنوي ١/ ٤٧٦، البداية والنهاية ١١/ ٢٩٩، طبقات الأولياء ٢٩٠، النجوم الزاهرة ٤/ ١٤١، طبقات الشعراني ١/ ١٢٠، شذرات الذهب ٣/ ٧٦، كشف الظنون ١٤٤٧، هدية العارفين ٢/ ٤٦.

الظَّاهرِ والباطن، وكانت له بداياتٌ كالنِّهايات، وأحوالٌ عاليات، ورياضاتٌ ومُجاهدات.

لَقِيَ من النُّسَّاكِ شُيوخاً، ومن السُّلاّكِ طوائِفَ أضحى قَدمهم[1] في الطَّريق رُسوخاً.

وصَحِبَ من أربابِ الأحوالِ أحباراً وأخياراً، وشَرِبَ من مَنهلِ الطَّريقِ كؤوساً كِباراً، وسافَرَ مَشرِقاً ومَغرِباً، وصابَرَ النَّفسَ حتّى انقادَتْ بعد الإبا، فأصبحَ لسانُ الثَّناءِ عليه مُعرباً[2]، وألزَمَ قَلبَهُ المُراقبةَ حتّى لا يَدري القرار، وهيكَلَهُ المُجاهدَةَ حتّى لا يعرفَ المأوى ولا المسكنَ إلاّ القِفار.

وكان ذا ذِكرٍ باجتماع، ووَجْدٍ وسَماع[3]، وقد قيل: التَّصوُّفُ: ذِكرٌ مع اجتماع، ووَجْدٌ مع استماع، وعَمَلٌ على اتِّباع.

وكان من بني أكابرِ الأُمراءِ، فتفقَّه، ثمَّ تصوَّفَ وتزهَّدَ حتّى صارَ يَجمَعُ الخِرَقَ من المزابلِ، ويَستَتِرُ بها، ولم يزَلْ حتّى صارَ شَيخَ المشايخِ في وَقته، عارِفاً بعلومِ الظَّاهرِ والحقائق.

أخَذَ عن ابنِ سُرَيج، والأشعريّ، والواسطيّ، والجَريري، وابن عطاء، والمَقدسي، ولقِيَ الحلاّج رضي الله عنه.

وعنه: القاضي الباقِلاّني، وغيره.

قال أبو نعيم[4]: كان شَيخَ الوقتِ عِلماً وحالاً، وهو الخَفيفُ الظَّريف[5]، له الفصولُ في الأُصول، والتحقُّقُ والتَّثبُّتُ في الوصول.

---

(١) كذا في الأصل، والعبارة في طبقات السبكي ٣/ ١٥٠: ورسَّخ قدمهم.
(٢) كذا في الأصل، والعبارة في طبقات السبكي ٣/ ١٥٠: فأصبح مَبنيُّ الثناء عليه معرباً.
(٣) في المطبوع: وفي صدق سماع.
(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٥.
(٥) في الحلية: الحنيف الظريف.

وقال النسوي[1]: بلَغَ ما لم يَبلغه أحَدٌ في العِلمِ والجاهِ التّام[2] عندَ الخاصِّ والعامّ، وصنَّفَ ما لم يُصنِّفْهُ أحدٌ في العِلم، وصارَ أوحَدَ زمانهِ مَقصوداً من الآفاق، مُفيداً في كلِّ نَوعٍ من العلومِ، مُبارَكاً على قاصديه، رَفيقاً بمُريديه، وعُمِّرَ حتّى عَمَّ نَفعُه.

وبَقِيَ في بدايته أربعينَ شَهراً يُفطِرُ كلَّ يَومٍ بكَفٍّ باقِلّاء حتّى جَفَّ دَمُه.

ويقرأُ القُرآنَ كلَّه في ركعَةٍ، ويُصَلِّي كلَّ يَومٍ ألفَ ركعةٍ.

ومن كراماته: أنَّه دخَلَ بغداد، فأقامَ بها أربعين يَوماً لا يأكلُ ولا يَشربُ، ثمَّ خرَجَ فوجَدَ ظَبياً على رأسِ بِئرٍ في البريَّةِ وهو يَشرَبُ، وكان عطشانَ، فدَنا من البئرِ فولَّى الظَّبيُ، فإذا بالماءِ أسفَلَ البئر، فقال: يا سيِّدي، ما لي عندَكَ محلُّ هذا الظَّبي! فسمِعَ قائلاً يقولُ: جَرَّبْناكَ فلم تَصْبِرْ، إنَّ الظَّبيَ جاءَ بلا رَكوةٍ ولا حَبلٍ، وأنتَ جِئتَ بهما، فرجَعَ فإذا بالبئرِ ملآن، فشرِبَ وتطهَّرَ وملأَ رَكوتَهُ وحجَّ ورجعَ، فلم ينفَدْ ماؤها، فدَخَلَ على الجُنَيد رضي الله عنه، فلمَّا وقَعَ بَصرُهُ عليه، قال: لو صبرتَ ساعةً لنبَعَ الماءُ من تحتِ قدمَيكَ، وجَرى خلفَكَ.

وناظرَهُ يَوماً بعضُ البراهمة[3]، فقال البَرْهَميّ: إنْ كان دينُكَ حَقًّا فتعالَ أصبِرْ أنا وأنتَ على الطَّعامِ أربعينَ يَوماً، ففعلا، فأكملَها الشَّيخُ وعجِزَ البَرهميُّ.

ودعاه بَرهميٌّ آخر إلى المكثِ تحتَ الماءِ مُدَّةً، فماتَ البَرهميُّ قبلَ تمامِها، وأتمَّها هو.

---

(١) في المطبوع: السنوي، وفي (أ) و (ب): الفسوي، وهو أحمد بن محمد بن زكريا النسوي، أبو العباس. انظر طبقات ابن الصلاح ١/ ١٥٤، وطبقات الشافعي ٣/ ١٥١.

(٢) في المطبوع: والمقام.

(٣) البراهمة: نسبة إلى برهما إله الكون وخالقه في معتقد الهندوس، وهم عُبَّاد الهنود المجوس ودهارهم، لا يجوِّزون على الله تعالى بعثة الرسل، وهم أسمى الطوائف عند الهندوس، يجمعون على الاعتراف بسمو ونبالة نسلهم. (القاموس، متن اللغة، الموسوعة الميسرة).

ومن كلامه:

التَّقوى تجنُّبُ ما يُبعِدُ عنِ اللهِ، والتَّوكُّلُ والاكتِفاءُ بضمانه، وإسقاطُ التُّهمَةِ عن قضائه.

وقال: القُربُ طَيُّ المسافَةِ بلطيفِ المُداناة.

وقال: قُربُكَ منه بملازمَةِ الموافقاتِ، وقُربُهُ منكَ بدوامِ التَّوفيق.

وقال: الانبساطُ سُقوطُ الاحتشامِ عندَ السُّؤال.

وشَكَا إليه فقيرٌ الوَسوَسَةَ، فقال: عَهدي بالصُّوفيَّةِ يَسخرونَ من الشَّيطانِ، والآن الشَّيطانُ يسخَرُ منهم.

وقال: التَّصوُّفُ تَصفيَةُ القلبِ عن مُوافقَةِ البشريَّة، ومُفارقَةُ أخلاقِ الطَّبيعة، وإخمادُ صِفاتِ البشريَّة، وتجنُّبُ الدَّعاوى النَّفسانيَّة، ومُنازلَةُ الصِّفاتِ الرُّوحانيَّة، والتَّعلُّقُ بعلومِ الحقائق.

وقال: ليس شيءٌ أضرَّ على المُريدِ من مُسامحَةِ نَفسِه بالرُّخَصِ والتَّأويلات.

وقال: الذِّكرُ قِسمان: ذِكرُ اللهِ بأسمائه، وذلك هو الذِّكرُ الظَّاهر، وذِكرُهُ بأن يَراهُ على الدَّوامِ، وهو بينَ يَدَيه، وذلك هو الذِّكرُ الباطن.

وقال: قال لي المصطفى ﷺ في النَّوم: مَنْ عَرَفَ طَريقاً إلى اللهِ فسلَكَهُ ثمَّ رجَعَ عَذَّبَهُ اللهُ بعذابٍ لم يُعذِّبْ به أحداً من العالَمين.

وقال: عليكَ بمَنْ يعِظُكَ بلسانِ فِعله لا بِلِسانِ قَوله.

وقال: الإيمانُ تَصديقُ القُلوبِ بما أعلمَها الحقُّ من الغُيوب، والإنابَةُ التزامُ الخِدمَةِ وبَذْلِ المُهجة، والرَّجاءُ ارتياحُ القَلبِ لرؤيَةِ كَرَمِ المَرجو، وحقيقَتُهُ الاستبشارُ بوجودِ فَضله، وصِحَّةِ وَعدِه، والزُّهدُ سُلوٌّ[1] القلبِ عنِ الأسبابِ، ونَفضُ الأيدي عنِ الأملاكِ، وحقيقَتُهُ التَّبرُّمُ عنِ الدُّنيا، ووجودُ الرَّاحَةِ في الخُروجِ منها، والقَناعَةُ الاكتفاءُ بالبُلغة، وحقيقَتُها تَركُ التَّشوُّفِ إلى المَفقود، والاستغناءُ بالمَوجود.

---

(١) في المطبوع: سلوك.

وسُئِلَ عنِ الذِّكرِ فقال: المذكورُ واحِدٌ، والذِّكرُ مُختلِفٌ، ومَحالُّ قُلوبِ الذَّاكرينَ مُتفاوتة.

وقال: السُّكرُ غليانُ القلبِ عندَ مُعارضَةِ ذِكرِ المَحبوبِ.

وقال: الخَوفُ اضطرابُ القَلبِ ممَّا عَلِمَ من سَطوَةِ المَعبود.

وقال: لي منذ أربعينَ سنةً ما ملَكتُ قَميصَين.

وقال: الرِّياضَةُ كَسْرُ النَّفسِ بالخِدمَةِ، ومنعُها عنِ الفُتوَّة، والتَّقوى تجنُّبُ ما يُبعِدُ عنِ الله، والتَّوكُّلُ الاكتفاءُ بضمانِهِ وإسقاطُ التُّهمةِ عن قضائِه، واليقينُ تحقُّقُ الأسرارِ بأحكامِ المُغيَّبات، والمُشاهدَةُ اطِّلاعُ القُلوبِ بصفاءِ اليَقينِ إلى ما أخبَرَ الحقُّ من الغُيوبِ، والتَّوحيدُ تحقُّقُ القُلوبِ بإثباتِ المُوحَّدِ بكمالِ أسمائه وصفاته.

وقال: رأيتُ فَقيراً يَطوفُ على النَّاسِ بمصرَ، وهو يقولُ: ارحَموني، فإنِّي رجُلٌ صوفيٌّ ذهبَ مِنِّي رأسُ مالي، فقلتُ: وللصُّوفيِّ رأسُ مالٍ ؟ فقال: نعم، كان لي قَلبٌ ففقَدتُهُ.

قال: وهذا ليس على ظاهره، وإنَّما بدَتْ شواهِدُ الحَقيقَةِ العَرشيَّةِ[١] على عَرشِ قَلبه، فاصطلَمَ وتمَلْمَلَ وانزعَجَ لكونه لم يطقْ حَمْلَ الحقيقَةِ، فخرَجَ يُنادي في النَّاسِ، ليجِدَ مَنْ يَرحمُهُ. أيْ يحمِلُ عنه فيرُدُّهُ إلى حِسِّه.

ماتَ سنةَ إحدى وسبعين وثلاثِ مئة.

قال الذَّهبيُّ رحمَهُ اللهُ: وقد جاوزَ المئة[٢].

حَكَى عنِ الإمامِ الشَّافعيِّ رضي الله عنه قولَهُ: إنَّ الخشوعَ شَرطٌ لصِحَّةِ الصَّلاة.

* * *

---

(١) في المطبوع: الحقيقة القدسية.

(٢) دول الإسلام ١/ ١٧٨، وفي العبر، والسير قال الذهبي: يقال إنه عاش مئة سنة وأربع سنين.

(٣٧٠) محمد بن علي بن جعفر أبو بكر الكَتَّانيّ البغداديّ(*)

محمد بن علي بن جعفر، أبو بكر الكتاني البغدادي، صَحِبَ الجُنَيد رضي الله عنه وطبقَتَه، وكان يأمُرُ النَّاسَ بتَقوى اللهِ على المنابر، وتنطِقُ بها ألسنَةُ أقلامِه من أفواهِ المحابر، ومع ذلك كان بها أوَّلَ مأمورٍ، وأوَّلَ مُسْفِرٍ، أسفَرَ له صُبحُها من سَوادِ الدَّيجورِ.

ومن كلامه:

كُنْ في الدُّنيا ببدَنِكَ، وفي الآخرَةِ بقَلبِكَ.

وقال: خَوفُ القَطيعَةِ وارتِعادٌ من خَوفٍ أفضَلُ من عِبادَةِ الثَّقَلَيْنِ(١).

وقال: الشَّهوَةُ زِمامُ الشَّيطانِ، ومَنْ أخَذَ الشَّيطانُ بزِمامِه كان عَبدَهُ.

وقال: علامَةُ الزُّهدِ في شيءٍ من الدُّنيا سُرورُ القلبِ بفقده، وتحمُّلُ أذى الخَلْقِ(٢).

وقال: الصُّوفيَّةِ عَبيدُ الظَّواهرِ، أحرارُ البَواطِنِ.

(*) طبقات الصوفية ٣٧٣، حلية الأولياء ١٠/٣٥٧، تاريخ بغداد ٣/٧٤، الرسالة القشيرية ١/١٦٦، مناقب الأبرار ١٧٩/ب، الأنساب ١٠/٣٥٤، صفة الصفوة ٢/٤٥٥، المختار من مناقب الأخيار ٣٥١/أ، مختصر تاريخ دمشق ٢٣/٧١، سير أعلام النبلاء ١٤/٥٣٣، العبر ٢/١٩٤، الوافي بالوفيات ٤/١١١، مرآة الجنان ٢/٢٨٦، طبقات الأولياء ١٤٤، العقد الثمين ٢/١٤٩، النجوم الزاهرة ٣/٢٤٨، طبقات الشعراني ١/١١٠، شذرات الذهب ٢/٢٩٦، جامع كرامات الأولياء ١/١٠٤، وسيورد المؤلف له ترجمة في طبقاته الصغرى ٤/٩٧.

(١) كذا في الأصول، والخبر في طبقات الصوفية ٣٧٤، والمختار من مناقب الأخيار ٣٥٢/أ: روعة عند انتباهٍ عن غفلةٍ، وانقطاع عن حظِّ النفسانية، وارتعادٌ من خوف قطيعة أفضل من عبادة الثقلين.

(٢) كذا في الأصول، والخبر في طبقات الصوفية ٣٣٨، والمختار ٣٥٢/ب: وسئل عن الزهد، فقال: حقيقة الزهد فقد الشيء، والسرور من القلب بفقده، واحتمال الذلِّ صَبراً، والرِّضا به حتى الموت.

وقال: إنَّ اللهَ نظَرَ إلى بعضِ عَبيدِه فوجدَهُم لا يَصلحونَ لمجالسَتِه ـ وفي رواية: فلم يَرَهُمْ أهلاً لمعرفَتِه ـ فشغلَهُم بخِدمَتِه.

وقال: مَنْ يدخُل في هذه المفازَةِ يحتاجُ إلى أربعَةِ أشياء: حالٍ يَحميه، وعِلمٍ يَسوسُه، ووَرَعٍ يحجِزُه، وذِكرٍ يُؤنِسُه.

وقال: إذا صَحَّ الافتِقارُ إلى اللهِ صَحَّ الغِنى؛ لأنَّهما حالانِ لا يتمُّ أحدُهما إلاَّ بصاحِبه.

وقال: الحكاياتُ جُنْدٌ من جُنْدِ اللهِ يُقَوِّي بها أبدانَ المُريدينَ ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

وقال: رأيتُ المُصطفى ﷺ [في المنام][1]، فقلتُ: ادعُ اللهَ لي أن لا يُميتَ قَلبي. فقال: قُلْ كلَّ يومٍ أربعينَ مرَّةً: يا حَيُّ يا قَيُّومُ، لا إله إلاَّ أنتَ.

وقال: رأيتُ حوراءَ [في المنام][2]، فقلتُ: لمَنْ أنتِ؟ قالت: لمَنْ حَبَسَ نَفسَهُ عن مألوفِها.

وقال: العارِفُ مَنْ يُوافِقُ مَعروفَهُ في أوامِره ولا يُخالِفه في شيءٍ من أحواله.

وقال: العِبادَةُ اثنانِ وسبعونَ باباً، واحِدٌ وسبعونَ في الحَياءِ من اللهَ، وواحِدٌ في جميعِ أنواعِ البِرِّ.

وقال: مَنْ أصبَحَ وعندَهُ هَمَّانِ، هَمُّ المعاصي، وهَمُّ جَمعِ المال، فاللهُ منه بَريءٌ.

وقال: سَماعُ العوامِّ على مُتابعة الطَّبع، وسماعُ المُريدينَ رَغبةٌ ورهبَةٌ، وسَماعُ الأولياءِ رؤية[3] الآلاء والنَّعماء، وسَماعُ العارِفينَ على المُشاهدَةِ، وسَماعُ أهلِ الحقيقةِ على الكَشفِ والعيان.

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من مناقب الأبرار ١٨١/أ.
(٢) ما بين معقوفين مستدرك من مناقب الأبرار ١٨١/ب.
(٣) في المطبوع و (أ): ودونه الآلاء.

وقال: من حِكمة المُريدِ أن يكونَ فيه ثلاثةُ أشياء: نومُه غَلَبة، وأكلُهُ فاقة، وكلامُهُ ضَرورة.

وقال: لولا أنَّ ذِكرَهُ فَرضٌ عليَّ لما ذكرتُهُ إجلالاً له، مِثلي يذكرُهُ ولم يغسِلْ فَمَهُ بألفِ توبةٍ[1].

وقال: اجتهِدْ كلَّ ليلَةٍ أن تكونَ ضَيفاً[2]، وأن لا تموتَ إلاَّ بين مَنزلتَين.

وقال: كنتُ بطريقِ مكَّةَ تائِهاً يَوماً، فإذا بهميان يلمعُ دنانير، فهمَمْتُ أن آخُذَهُ أُفَرِّقُهُ على الفقراء، فهتَفَ بي هاتفٌ: إن أخذتَهُ سَلبناكَ فَقرَكَ.

وقال: كان عندَنا بمكَّةَ فتًى عليه أطمارٌ رَثَّةٌ، ولا يُداخِلنا ولا يُجالسنا[3]، فأحبَبتُهُ ففُتِحَ لي بمئتي درهم من حلٍّ، فحملتُها فوضعتُها بينَ يَدَيه على سجّادَتِه، وقلتُ: هذه حَلالٌ، فاصرِفها، فنظَرَ إليَّ شَزراً وقال: اشتريتُ هذه الجلسَةَ مع اللهِ بسبعينَ ألفَ دينار تُريدُ أن تخدَعَني عنها بهذه، وبَدَّدَها[4] وقام، فقعدتُ ألتقِطُ، فما رأيتُ كعِزِّه حين ذهب، وكذُلِّي حين التقطتُها.

وقال: صَحِبَني رجلٌ فكانَ على قَلبي ثَقيلاً، فوهبتُ له شيئاً ليَزولَ ما بقَلبي، فلم يزَلْ، فقلتُ: ضَعْ رِجلَكَ على خَدِّي، فأبى، فقلتُ: لابُدَّ، وجزمتُ بأنّه لا يَرفَعُ رِجلَهُ حتّى يرتفِعَ بغضُه من قَلبي، فلمَّا زالَ ذلك من قلبي قلتُ له: ارفعها.

وقال: كنتُ بالباديةِ فرأيتُ فقيراً ميتاً وهو يضحك، فقلتُ له: أتضحكُ وأنتَ ميت؟ فقال لي هاتفٌ: هكذا يا أبا بكر[5] يكونُ مُحِبُّ الرَّحمن.

وقال وقد نظَرَ إلى شَيخٍ أبيضَ الرَّأسِ واللِّحية يسألُ النَّاسَ: هذا رجُلٌ ضَيَّعَ حَقَّ اللهِ في صغره، فضيَّعَهُ في كِبَره.

---

(١) في (أ) و (ب): تربة.
(٢) كذا في الأصل، وفي مناقب الأبرار ١٨٠/ب: ضيف مسجدٍ.
(٣) في المطبوع: ولا يخالطنا.
(٤) في المطبوع: بدرها.
(٥) في (أ) و (ب): يا أبا بكر، كذلك يكون.

وقال: كان في رأسي وَجَعٌ، فرأيتُ المصطفى ﷺ، فقال: اكتُبْ هذا الدُّعاء: اللَّهُمَّ بثبوتِ الرُّبوبيَّةِ، وبعظمِ الصَّمديَّةِ[1]، وبسطواتِ الإلهية، وبقِدَمِ الجبروتيَّة، وبقُدرَةِ الوحدانيَّة، قال: فكتبتُهُ وجعلتُه على رأسي، فسَكَنَ حالاً.

وقال: الأُنسُ بمخلوقٍ عُقوبةٌ، والقُربُ من الدُّنيا وأهلِها معصيَةٌ، والرُّكونُ إليهم مَذلَّةٌ.

ماتَ بمكَّةَ سنةَ اثنتينِ وعشرين وثلاثِ مئة رضي الله عنه.

* * *

(٣٧١) محمد بن عَلْيان النَّسوي[*]

من كِبارِ شُيوخِ نَسَا، وأصحابِ أبي عثمان رضي الله عنه، له كراماتٌ ظاهرة، وكلامٌ عالٍ في الطَّريق.

ومن كلامه: الزُّهدُ في الدُّنيا مفتاحُ الرَّغبةِ في الآخرة.

وقال: آيَةُ الوَليِّ وكرامَتُهُ رِضاهُ بما يُسخِطُ العامَّةَ من مجاري المَقدور.

وقال: مَنْ أظهَرَ كرامتَهُ فهو مُدَّعٍ، ومَنْ أخفاها فظهرَتْ بغير اختياره فهو وَليٌّ.

وقال: المروءَةُ حِفظُ الدِّينِ، وصِيانَةُ النَّفسِ، وحِفظُ حُرُماتِ المؤمنين، والجودُ بالمَوجود.

وقال: كيف لا تُحِبُّ مَنْ لا تنفكُّ عن برِّه طَرْفَةَ عَيْنٍ[2]؟ وكيف تَدَّعي محبَّةَ مَنْ لا تُوافِقُهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ؟!.

---

(١) في المطبوع: الصمدانية.

(*) طبقات الصوفية ٤١٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٦، الإكمال ٦/ ٢٦٨، مناقب الأبرار ١٩١/ب، المختار من مناقب الأخيار ٣٥٥/ ب، طبقات الأولياء ٣٧٣، تبصير المنتبه ٣/ ٩٦٥، طبقات الشعراني ١/ ١١٦.

(٢) في المطبوع: من لا ينفك عن برٍّ طرفة عين، وانظر طبقات الصوفية ٤١٧.

وقال: لا يَصفو للسَّخيِّ سخاؤه إلاَّ بتصغيرِ ما أعطاهُ، ورؤيَةِ الفضلِ لمَنْ أخَذَ منه.

وقال: مَنْ خَدَمَ اللهَ لطلَبِ ثَوابٍ، أو خَوفِ عِقابٍ فقد أظهَرَ خِسَّتَهُ، وأبدَى طمعَهُ، وقَبيحٌ بالعبدِ أن يخدِمَ سيِّدَهُ لغرَضٍ[1] دُنيويّ رضي الله تعالى عنه.

* * *

(٣٧٢) محمد بن الفضل بن العبّاس البَلخيُّ(*)

عارِفٌ عُرِفَ تزهُّده، وتبيَّنَ تورُّعهُ وتعبُّده، كان جَزيلَ الاجتهادِ في الخير، مَحموداً في السرِّ مَشكوراً في السَّير، له من النَّاسِ قَبول، ومعه بالتَّوفيقِ وصول، وكانَ من أكابرِ القَومِ وساداتهم.

ومن كلامه:

العَجَبُ ممَّن يقطَعُ الأوديَةَ والمفاوِزَ والقِفارَ ليصِلَ إلى بيته وحَرَمِهِ لأنَّ فيه آثار أنبيائه، كيف لا يقطَعُ نَفسَهُ وهواه، حتّى يصِلَ إلى قَلبه لأنَّ فيه آثارُ مَولاه ؟!.

وقال: أنزِلْ نفسَكَ منزلةَ مَنْ لا حاجَةَ له فيها، ولابدَّ له منها؛ فإنَّ مَنْ مَلَكَ نَفسَهُ عزَّ، ومَنْ ملكَتْهُ ذلَّ.

وقال: ما خطوتُ أربعينَ سنةً خطوةً بغيرِ الله، وما نظرتُ أربعينَ سنةً في شيءٍ أستحسِنُهُ حَياءً من الله.

---

(١) في طبقات الصوفية ٤١٩: لعوض.

(*) طبقات الصوفية ٢١٢، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٢، الرسالة القشيرية ١/ ١٢٩، مناقب الأبرار ١١١/ب، صفة الصفوة ٤/ ١٦٥، المنتظم ٦/ ٢٣٩، المختار من مناقب الأخيار ٣٥٦/ب، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٢٣، العبر ٢/ ١٧٦، مرآة الجنان ٢/ ٢٧٨، الوافي بالوفيات ٤/ ٣٢٢، البداية والنهاية ١١/ ١٦٧، طبقات الأولياء ٣٠٠، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٣١، طبقات الشعراني ١/ ٢٨٨، شذرات الذهب ٢/ ٢٨٢.

أسندَ الحديثَ عن: قُتَيْبَةَ بن سعيد، وغيره.

وصَحِبَ: ابنَ خَضرويه، وغيره.

وماتَ بسمَرْقَند سنةَ تسعَ عشرةَ وثلاثِ مئة رضي الله عنه.

* * *

(٣٧٣) محمد بن محمد بن الحسن التُّروغْبَذيُّ(*)

من أجِلَّةِ مشايخِ طُوس، كان حَسَنَ الوعظِ والمُذاكرة، جَميلَ المُجادلَةِ[1] والمُحاورَة، يتردَّدُ إليه العلماءُ والفقراء، ووجوهُ الدَّولةِ والأُمراء، مَعدوداً من أكابرِ الأعيان، مَمدوداً بعناية المَلِكِ الديَّان.

صَحِبَ أبا عثمان، وطبقتَهُ، وتخلَّفَ[2] عنهم حتّى صارَ أوحَدَ زمانه، وظهرَتْ كراماتُهُ. وكانَ متجرِّداً عالي الهِمَّةِ والحال.

ومن كلامه:

مَنْ ضَيَّعَ حَقَّ اللهِ في صِغَرِه أذلَّهُ اللهُ في كِبَرِه[3].

وقال: ما خدَمَ أحَدٌ الفُقراءَ بصِدقٍ إلاَّ أعزَّهُ اللهُ في الدُّنيا قبلَ الآخِرَة.

وقال: يُنزِلُ اللهُ على كلِّ عَبدٍ من البَلاءِ بقَدَرِ ما وهَبَهُ من المعرفة، لتكونَ معرفَتُهُ عَوناً له على بَلائه.

وقال: الأسماءُ مَكشوفَةٌ، والمعاني مَستورة.

ولم يزَلْ على حالِهِ في وجاهَته، وعِظَمِ قَدره ونباهته، إلى أن سُلِبَتْ رُوحُه، وعمرَ بجسده ضريحُهُ بعد الخمسين وثلاثِ مئة رضي الله عنه.

(*) طبقات الصوفية ٤٩٤، مناقب الأبرار ٢١٢/أ، المنتظم ٧/ ٢٢، المختار من مناقب الأخيار ٣٥٧/ب، طبقات الأولياء ٢٤٢، طبقات الشعراني ١/ ١٢٤. والتروغبذي نسبة إلى تروغبذ وهي قرية من قرى طوس.

(١) في المطبوع: جميل المحاولة.

(٢) في المطبوع: وطبقته، ومنَّ الله عليه، وتخلف.

(٣) في (أ) و (ب): أذله الله بالحاجة للناس في كبره، وانظر طبقات الصوفية ٤٩٥.

(٣٧٤) محمد بن سعد الورَّاق(*)

من أكابرِ مَشايخِ بلخ، صَحِبَ الحيري، وتلك الطَّبقة الفاضلة، وكان عالِماً بعلومِ النَّقلِ والمعاملة، جَميلَ التَّربيةِ والمُزاولَة، يُربِّي المُريدينَ ويُرقِّيهم إلى أعلى المناصب، ويدفَعُ عنهُم كلَّ عَذابٍ واصِب.

ومن كلامه:

من تمامِ العَفوِ ألاَّ تذكُرَ[1] جِنايَةَ صاحبِكَ بعد العفو عنه.

وقال: حياةُ القلبِ في ذِكرِ الحَيِّ الذي لا يَموت، والعَيشُ الهَنِيُّ هو الحياةُ مع الله.

وقال: حَقيقَةُ التَّقوى التخلِّي عن كلِّ شيءٍ إلاَّ ممَّن إليه تَقواكَ.

وقال: الصِّدقُ استقامَةُ الطَّريقِ في الدِّينِ واتِّباعُ السُّنَّةِ في الشَّرع.

وقال: اللَّئيمُ لا ينفَكُّ عن ضيقِ صَدرٍ أبَداً[2].

وقال: أهنأُ العَيشِ المعيشَةُ مع شُهودِ الحَقِّ.

وقال: كان أحكامنا[3] في بدايتنا الإيثارُ بما فُتِحَ علينا، وأن لا نَبيتَ على معلومٍ، وأن لا نَنتَقِمَ ممَّن استقبلَنا بمَكروهٍ، وإذا وقَعَ بقلبنا حَقارةُ مُسلمٍ قُمنا بواجِبِ خِدمَتِه والإحسانِ إليه حتّى يَزولَ ذلك.

(*) طبقات الصوفية ٢٩٩، مناقب الأبرار ١٥٤/أ، المنتظم ٦/ ٢٤٠، المختار من مناقب الأخيار ٣٤٦/أ، البداية والنهاية ١١/ ١٦٧، طبقات الأولياء ٣٨٥، طبقات الشعراني ١/ ١٠١.

(١) في الأصول: ألا تدرك، والمثبت من طبقات الصوفية ٢٩٩، ومناقب الأبرار ١٥٤/أ، والمختار.

(٢) الخبر في طبقات الصوفية ٢٩٩، ومناقب الأبرار ١٥٤/أ: اللئيم لا يوفق للعفو من ضيق صدره.

(٣) في الأصول: كان حلمنا.

وقال: أنفَعُ العُلومِ العِلمُ بأحكامِ الشَّرعِ، وأعلاها العِلمُ بالله، وبأسمائه، وصِفاته، وآدابِ حَضرته.

وقال: خَوفُ القطيعَةِ أحرَقَ أكبادَ العارِفين.

وقال: الأُنسُ بالخَلقِ وَحشَةٌ، والطُّمأنينَةُ [إليهم حُمْقٌ][1]، والسُّكونُ إليهم عَجزٌ، والاعتمادُ عليهم ضَعفٌ، والثِّقةُ بهم ضَياعٌ.

وقال: شُكرُ النِّعمَةِ مُشاهدَةُ المِنَّةِ وحِفظُ الحُرمة.

ولم يزَلْ على حالِهِ إلى أن سُقِيَ بكأسٍ سُقِيَ بها سِواهُ، وضَمَّهُ رمسُه وحواه في رحمة الله، سنة عشرينَ وثلاثِ مئة رضي الله تعالى عنه.

* * *

(٣٧٥) محمد بن عبد الجبّار النِّفَّريُّ(*)

صاحِبُ كتاب «المواقف»[2] المشهور، من كبارِ العارفينَ وساداتِ القَوم، نقَلَ عنه ابنُ عربي رضي الله عنه، وأثنى عليه.

ومن كلامه:

يقولُ اللهُ تعالى: إذا تعلَّقَ العارِفُ بالمعرفةِ، وادَّعى أنَّه تعلَّقَ بي هَرَبَ من المعرفةِ كما هرَبَ من النَّكِرَة[3].

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من طبقات الصوفية ٣٠١، ومناقب الأبرار.

(*) كشف الظنون ١٨٩١، تاج العروس (نفر)، هدية العارفين ٤٥، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/ ٤٤٧، مجلة مجمع اللغة العربية ١٣/ ٣١٣. معجم المؤلفين ١٠/ ١٢٥.

(٢) ويتألف من ٧٧ باباً أو موقفاً، ومن أبواب الكتاب: موقف الأدب، موقف التقرير، موقف لا تفارق اسمي، وموقف حجاب الرؤية، ... حققه المستشرق البريطاني آربري، ثم نشر الأب بولس نويا اليسوعي نصوصاً جديدة من المواقف والمخاطبات في كتاب «نصوص صوفية غير منشورة» بيروت. دار المشرق ١٩٧٣.

(٣) في (ب): كما هرب من الفكرة.

وقال: التقِطوا الحِكمةَ من أفواه الغافلينَ عنها، كما تلتقطونَها من أفواه العامدين لها؛ فإنَّكم تَرونَ اللهَ وحدَهُ في حِكمةِ الغافلين، كما في حكمَةِ العامدين.

وقال: حَقُّ المعرفةِ أن تشهَدَ العرشَ وحَمَلَتَهُ وما حَواهُ من كلِّ ذي معرفَةٍ يقولُ بحقائقِ إيمانه: ليس كمثلِ الله شيءٌ، وهو ـ أي العرش ـ في حِجابٍ عن رَبِّه، فلو رُفِعَ الحِجابُ احترَقَ العالَمُ بأسره في لَمْحِ البَصَرِ أو أقرَب.

وقال: إذا اصطفَيْتَ أخاً فكُنْ معه فيما أظهَرَ لا فيما أسَرَّ؛ فإنَّ له من دونِكَ سِرًّا، فإن أشارَ إليه فأشِرْ إليه، وإن أفصَحَ به فأفصِحْ به.

وقال: كانَ الحَقُّ يقولُ: أسمائي عندَكَ ودائعي[1]، لا تُخرِجْها فأخرُجُ من قَلبِكَ، وإذا خرجتُ منه عَبَدَ غَيري[2]، وأنكرَني بعد المعرفة، وجحدَني بعد الإقرار، فلا تُخبِرْ باسمي ولا بعلومِ اسمي[3]، وإنْ حدَّثَكَ مُحدِّثٌ عن اسمي فاسمَعْ منه، ولا تُخبِرْهُ أنتَ[4].

وقال: علامَةُ الذَّنبِ الذي يُغضِبُ اللهَ أن يعقِبَ صاحبَهُ الرَّغبةَ في الدُّنيا، ومَنْ رغِبَ فيها فقد فتَحَ باباً إلى الكُفرِ، فإنَّ المعاصي بَريدُهُ، وكلُّ مَنْ دَخَلَ ذلكَ البابَ أخَذَ من الكُفرِ بقَدَرِ ما دَخَلَ.

* * *

(٣٧٦) محمد بن عبد الوهاب الثَّقفيُّ(*)

الإمامُ الجَليلُ الأُستاذُ أبو علي، الجامِعُ بين العلمِ والتَّقوى، المُتمسِّكُ من حبالِ الشَّريعَةِ والحَقيقَةِ بالسَّبَبِ الأقوى، المُقتَدَى به في فِقه الشَّافعيَّةِ والكلامِ

---

(١) في المطبوع: وودائعي.
(٢) في المطبوع: خرجت من عند غيري.
(٣) في (أ): ولا يعلق به اسمي.
(٤) في المطبوع: ولا تخبره من أنت، وفي (ب): ولا تحقره أنت.
(*) طبقات الصوفية ٣٦١، الرسالة القشيرية ١/ ١٦٤، مناقب الأبرار ١٧٤/أ، الأنساب ٣/ ١٣٥، المختار من مناقب الأبرار ٣٥١/ب، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٨٠، الوافي =

والتَّصوُّفِ والوَعظ، كان إماماً في أكثرِ عُلومِ الشَّرع، مُقدَّماً في كلِّ فَنٍّ[1]، ثمَّ عطَّلَ عُلومَهُ كلَّها، واشتغَلَ بالتَّصوُّف، وبه ظَهَرَ التَّصوُّفُ في إقليمِ نيسابور.

تفقَّه على محمد بن نصرٍ المَروزيِّ، وتصوَّفَ[2] على حَمدون القصَّار وغيره.

حُكِيَ أن الشِّبليَّ رضي الله عنه بعَثَ إليه رجُلاً، وأمرَهُ أن يُعلِّقَ مجلسَهُ سَنَةً، ويحملَهُ إليه بحيثُ لا يشعرُ، ففعَلَ، وميَّزَ مجالِسَ الغُدوِّ من مجالسِ العَشيِّ، فتأمَّلَهُ الشِّبليُّ رضي الله عنه، وقال: كلامُهُ بالغُدوِّ في عِلمِ الحقائقِ مُعجِزٌ، وبالعَشيِّ رديءٌ فاسِدٌ بعيدٌ عن تلكَ العلوم[3] لأنَّه كان يَخلو في ليله بسِرِّه فيَصفو كلامُهُ بالغُدوِّ، فقال الشِّبليُّ رضي الله عنه للرَّجُلِ: هل رأيتَ بداره شيئاً من الفُرُشِ والآنيَةِ التي يتجمَّلُ بها أبناءُ الدُّنيا؟ قال: أمَّا الفُرُشُ فنعم، فصاحَ الشِّبليُّ رضي الله عنه وقال: هذا الذي غيَّرَ عليه حالَه.

وكان رأساً في الفِقه، قال له ابنُ خُزَيمة رضي الله عنه: لا يحِلُّ لأحَدٍ مِنَّا أن يُفتي وأنتَ حَيٌّ.

وقال الصِّبغيُّ[4] رضي الله عنه: ما عَرَفنا الجَدَلَ والنَّظَرَ حتّى وَرَدَ علينا الثَّقفيُّ من العراق.

نقَلَ عنه الرَّافعيُّ رضي الله عنه في مواضِعَ من «الشَّرح» منها في الجمعِ بين الصَّلاتَين وغيرِ ذلك.

= بالوفيات ٤/ ٧٥، مرآة الجنان ٢/ ٢٩٠، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ١٩٢، طبقات الإسنوي ١/ ٣٢٥، طبقات الأولياء ٢٩٨، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٧، طبقات الشعراني ١/ ١٠٧، شذرات الذهب ٢/ ٣١٥.

(١) في المطبوع: في كل قوم.

(٢) في المطبوع: وتفوق.

(٣) في الأصول: انتهى وذلك

(٤) في الأصول: الضبعي، والمثبت من طبقات الإسنوي ١/ ٣٢٥، واسمه أحمد بن إسحاق بن أيوب، انظر طبقات السبكي ٣/ ٩.

ومن كلامه:

مَنْ صَحِبَ المشايخَ من غيرِ طَريقِ الحُرمَةُ حُرِمَ فوائِدَهُم وبركتَهُم، ولم يظهَرْ عليه من أنوارِهم شيءٌ.

وقال: كمالُ العُبوديَّةِ العَجزُ والقُصورُ عن معرفَةِ عِلَلِ الأشياءِ بالكُليَّةِ.

وقال: لكلِّ شيءٍ حَدٌّ وكمالٌ، فمَنْ صَحِبَ الأشياءَ على حُدودِها فقد أفلَحَ ونجَحَ، ومَنْ قَصَّرَ عنها فقد ضَيَّعَ حَقَّها.

وقال: لا يَقبَلُ [الله][1] من الأعمالِ إلاَّ ما كان صَواباً، ومن صوابِها إلاَّ ما كانَ خالِصاً، ومن خالِصِها إلاَّ ما كان مُوافِقاً للسُّنَّة.

وقال: مَنْ غلَبَتْهُ شَهوتُهُ فهو حِمار، ومَنْ غلَبَهُ هَواهُ تَوارى عنه عَقلُهُ.

وقال: قد وسَّعَ اللهُ على عِبادِه بالغفلَةِ عنه، ولولاها ما هَنَّاهُم عَيشٌ لعِظَمِ[2] ما كانوا يشاهدون.

وقال: لو جَمَعَ رَجلٌ جميعَ العُلومِ، وشاهَدَ وصَحِبَ جَميعَ الطَّوائِفِ لا يَبلُغُ مَبلَغَ الرِّجالِ إلاَّ بالرِّياضَةِ على يدِ شَيخٍ ناصِحٍ، فإن لم يلقَه وادَّعى الطَّريقَ، فدَعواهُ رُعونَةُ نَفسٍ، ولا يَجوزُ الاقتداءُ به.

وقال: يأتي على النَّاسِ زَمانٌ لا يَطيبُ العَيشُ لمؤمِنٍ إلاَّ باستِناده لمُنافقٍ يَحميه.

وقال: أُفٍّ من أشغالِ الدُّنيا إذا أقبلَتْ، وأُفٍّ من حسراتِها إذا أدبرَتْ، والعاقِلُ لا يَركَنُ لشيءٍ إذا أقبَلَ كان شُغلاً، وإذا أدبَرَ كان حَسرَةً.

وقال: ليس شيءٌ أولى بأنْ تُمسكَهُ من نفسِكَ، ولا شيءَ أولى بأن تغلبَهُ من هواك.

ومن نظمه:

إلى كم يَكونُ الصَّدُّ في كلِّ ساعَةٍ ... وكـم لا تَمَلِّـينَ القَطيعَـةَ والهَجْـرا

(١) ما بين معقوفين من طبقات الصوفية ٣٦٣.

(٢) في (أ): ما هنا لهم عيش لعظيم ما كانوا يشاهدونه.

رُويدَكِ إنَّ الدَّهرَ فيه كِفايَةٌ   لتفريقِ ذاتِ البَينِ فارتَقِبي الدَّهرا

وُلدَ سنةَ أربعٍ وأربعين ومئتين، وتوفي سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثِ مئة رضي الله عنه.

* * *

(٣٧٧) عبد الله بن محمد بن منازل النَّيسابوريّ(*)

شَيخُ الملامتيَّة[١] بنيسابور، وأوحَدُ وَقته، كان عالِماً دَيِّناً، وإماماً صَيِّناً، وافِرَ الجَلالَةِ، سافِرَ البَسالة.

صَحِبَ: القصَّار، وغيرَه.

وكان متبحِّراً في عُلومِ الشَّرعِ من حديثٍ وفقهٍ وغيرهما، ثمّ طلَّقَ العلائِقَ، وأعرَضَ عمَّا يحجُبُه عنِ الله وهو الخلائق.

ومن كلامه:

مَنْ مَقَتَ نفسَهُ عندَ نَفسِه عاشَ النَّاسُ في ظِلِّه[٢].

وقال: عَبِّر بلسانِكَ عن حالِكَ، ولا تكُنْ بكلامِكَ حاكِياً لأقوالِ غيرِكَ؛ فإنَّ الطَّريقَ ذَوقٌ.

وقال: ما تهاوَنَ أحَدٌ بالسُّنَنِ إلاَّ وقَعَ في البِدَعِ.

وقال: لا يَجتمعُ التَّسليمُ والدَّعاوى بحال.

وقال: لو صَحَّ لأحَدٍ نَفَسٌ من أنفاسه خالياً عن رِياءٍ ونِفاقٍ عادَتْ عليه بركَتُهُ إلى آخرِ عُمُره.

(*) طبقات الصوفية ٣٦٦، الرسالة القشيرية ١/ ١٦٣، المختار من مناقب الأخيار ٢٧٣/ ب، سير أعلام النبلاء ٢٩٧/١٥، العبر ٢/ ٢٢٦، مرآة الجنان ٢/ ٣١٠، طبقات الأولياء ٣٤٥، طبقات الشعراني ١٠٧/١ (أبو عبد الله محمد بن منازل)، شذرات الذهب ٢/ ٣٣٠. وفي الأصل: محمد بن منازل، والمثبت من مصادر ترجمته.

(١) انظر تعريفها صفحة ١/ ٥٩١.

(٢) القول في طبقات الصوفية: من رفع ظلَّ نفسه عن نفسه عاش الناس في ظلّه.

وقال: لا تَنظُرْ إلى عَيبِ مَنْ أنتَ مُحتاجٌ إلى عِلمِه؛ فإنَّ ذلك يحرِمُكَ برَكَةَ النَّفعِ به.

وقال: العبدُ يُظهِرُ دَعوى العُبوديَّةِ، ويُضمِرُ وَصفَ الرُّبوبيَّة.

وقال: أفضَلُ أوقاتِكَ وَقتٌ تسلمُ فيه من هواجسِ النَّفسِ.

وقال: العبدُ عَبدٌ ما لم يطلُبْ لنفسِه خادِماً، فإنْ طلَبَهُ سقَطَ عن حَدِّ العبوديَّة.

ماتَ سنةَ تسعٍ وعشرين وثلاثِ مئة[1] رضي الله عنه.

* * *

(٣٧٨) محمد بن أحمد بن سيد حمدويه(*)

المعروفُ بالمُعلِّم أبو بكر التَّميمي العابِدُ الزَّاهد، صاحبُ الكرامات المَشهورة، والخَوارِقُ المأثورةُ المَسطورة.

صَحِبَ: قاسِمَ الجُوعي، وحَدَّثَ عنه، وعن غيره.

وعنه: أبو زُرعة، وغيرُه.

كان من أكابرهم وساداتهم، أقامَ خمسينَ سنةً ما استنَدَ، ولم يمُدَّ رجلَهُ بينَ يَدي الله هَيبةً منه.

وصَحِبَ البَصريَّ في المغائر[2] بقاسيون، فلمّا ماتَ صَحِبَ الجُوعيَّ، فلمَّا ماتَ رجعَ للمغائر[2] فبقيَ إحدَىعشرة سنةً لا يُكلِّمُ أحَداً، فكان يُصلِّي الجمعةَ، فلقيَهُ إبليسُ يَوماً فقال: يا غُلام، ارجعْ فقد صَلَّينا الجمعة، فرجَعَ فرأى

---

(١) في السير، والعبر، ومرآة الجنان، وشذرات الذهب: مات سنة إحدى وثلاثين وثلاث مئة.

(*) تاريخ دمشق ١٤ / ٣٤٥/ب، مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ٢٧٥، سير أعلام النبلاء ١٤/ ١١١، الوافي بالوفيات: ٢/ ٣١، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٠١، وسيترجم له المؤلف رحمه الله في طبقاته الصغرى ٤/ ٥٤٣.

(٢) في المطبوع: المقابر.

الشَّمسَ في كَبِدِ القَوس، في كَبدِ السَّماء فمَضى ولم يُكلِّمْه، ولحِقَ الجُمُعة.

وكانَ يَمشي في اليومِ أربعينَ ميلاً، ويختِمُ فيه خَتمةً، فتعِبَ يوماً، وغَلَبَهُ الجُوعُ، وضَعُفَ، فأتى في البريَّةِ على عَينِ ماءٍ تَنبعُ، فقعَدَ [ودعا][1]، وإذا بجاريةٍ سَوداءَ على رأسه، فقالت: سيِّدي أرسَلَني إليكَ بهديَّةٍ، فقال: إنْ قَبِلَها فأنتِ حُرَّةٌ، فقال: ضَعيه، فإذا هو فُرنِيَّتانِ[2] معها بيضٌ مَسلوقٌ، فترَكَه ومَضى جَزِعاً من سُرعَةِ الإجابةِ.

ومن كراماته أيضاً: أنَّه قامَ أيَّاماً لم يشربْ، فاحتاجَ إلى الطَّهارَةِ وفَقَدَ الماءَ، فبَكى وقال: يا سيِّدي، قد علمتَ حاجَتي للطُّهرِ وما يشقُّ عليَّ من تَركه، فظَهَرَ له كَفٌّ من الحائطِ فيها كوز، فقال: خُذْ فاشرَبْ، فقال: الطَّهارَةُ أغلَبُ عليَّ، فأخَذَ الكوزَ فتوضَّأَ وصَلَّى وشَرِبَ، فأقامَ ثمانينَ يَوماً لا يحتاجُ إلى الشُّرب.

وأضافَ به قومٌ فأتاهم بشِواءٍ ورِقاق، فقالوا: ما هذا طعامُنا. قال: ما طعامُكم ؟ قالوا: البَقل، فأتاهم به، وأكلَ الشواء[3] وقاموا يصُلون باللَّيل[4] ونامَ المُعلِّمُ على طُهْره[5] اللَّيلَ كلَّه، ثمَّ صَلَّى بهم الصُّبحَ بطُهرِ العَتمة، ثمّ قال: تخرجونَ نتفرَّجُ ؟ فأتوا إلى بركةِ ماءٍ، ففرَشَ رِداءَهُ على الماءِ فصلَّى عليه، ورفعَهُ ولم يُصبهُ ماءٌ، ثمّ قال: هذا عمل الشِّواء[6]، فأينَ عملُ البَقل ؟.

ومنها: أنَّ كَلباً نبَحَ عليه، فأخسأهُ، فسَقَطَ ميتاً.

وماتَ بعضُ تلامذته، فصلَّى عليه ودفَنَهُ، ثمَّ رجَعَ، فقرأَ رجلٌ، فصعقَ بعضُ أصحابه ـ يعني الشَّيخ ـ فماتَ، فأُعجِبَ القارىءُ بذلك، وقال: ماتَ

---

(١) ما بين معقوفين من جامع كرامات الأولياء ١/ ١٠١.
(٢) الفُرنِيَّة: خُبزٌ غليظ مستدير، تشوى ثم تروى سمناً ولبناً وسُكّراً، وضعها مجمع اللغة العربية بدمشق للكعك المسمى بسكوتاً. متن اللغة (فرن). وفي المطبوع: في بيتتان.
(٣) في المطبوع: وأكلوا الشواء.
(٤) في المطبوع: وقام.
(٥) في الأصول: على ظهره، والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ٢٧٦.
(٦) في المطبوع: هذا عمل الفقراء.

الرَّجلُ مِنِّي، فقال الشَّيخُ: إنَّما ماتَ من القرآنِ لا منكَ، فقال الرَّجلُ: اللهُ حَسبي، فماتَ حالاً، فقال الشَّيخُ: خُذوا في أمرهما، واحد بواحد.

ماتَ في صفر سنة إحدى وثلاثِ مئة رضي الله عنه.

* * *

(٣٧٩) محمد بن موسى أبو بكر الواسطي(*)

من كِبارِ أتباعِ الجُنَيد رضي الله عنه، فَرْغانِيُّ الأصلِ، كانَ رَفيعَ المِقدار، عاليَ المَنار، وكانت جماعتُهُ الذين يحضُرونَ وردَهُ كلَّ يَومٍ خَمسةَ آلاف، ولم يتكلَّمْ أحَدٌ مثلَهُ في أصولِ التَّصوُّفِ، ألفاظُهُ عالية، وإشاراتُهُ رَفيعَةٌ غالية.

ولمَّا دخَلَ نيسابور سألَ أصحابَ أبي عثمان رضي الله عنه: بما كان يأمُرُكم؟ قالوا: بالتزامِ الطَّاعَةِ، ورؤيةِ التَّقصيرِ فيها، فقال: أمَرَكُم بالمَجوسيَّةِ المَحضَةِ، فهلاَّ أمرَكُم بالغيبةِ عنها برؤيةِ مُنشِئها ومُجريها.

وسُئِلَ عن مالكِ بن دينار، وداود الطَّائي، وابنِ واسع ونحوهم من العُبَّادِ، فقال: القومُ ما خرَجوا من نفوسهم إلاَّ إلى نفوسهم، تَركوا النَّعيمَ الفاني للنَّعيمِ الباقي، فأينَ خالِقُ الفَناءِ والبَقاء؟.

ومن كراماته:

أنَّه سافَرَ بَحراً فانكسرَتْ السَّفينَةُ، فبقيَ مع امرأتِه على لَوحٍ، فوَلَدَتْ في تلكَ الحالَةِ، وعطِشَتْ جِدًّا، فرفَعَ رأسَهُ فإذا برجُلٍ جالِسٍ على الهواءِ وبيده سِلْسِلَةٌ من ذهبٍ فيها كوزٌ من ياقوت، وقال: اشربا، فشَرِبا، قال: فقلتُ: مَنْ أنتَ؟ قال: عَبدٌ لمَولاكَ، قلتُ: بِمَ وصلتَ إلى هذا؟ قال: بتركِ هَوايَ لرِضاه، فأجلسَني على بِساطِ الفَردانيَّة كما ترى، ثمَّ غابَ عَنِّي.

(*) طبقات الصوفية ٣٠٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٩، الرسالة القشيرية ١/ ١٥١، مناقب الأبرار ١٥٠/أ، المنتظم ٦/ ٢٦٢، المختار من مناقب الأخيار ٣٦١/أ، الوافي بالوفيات ٥/ ٨٥، طبقات الأولياء ١٤٨، طبقات الشعراني ١/ ٩٩.

ومن كلامه:

ابتُلينا بزمانٍ ليسَ فيه آدابُ الإسلام، ولا أخلاقُ الجاهليَّة، ولا أحلامُ ذَوي المروءَة.

وقال: الخَوفُ والرَّجاءُ زِمامانِ مانِعان[1] من سُوءِ الأدَبِ.

وقال: الذِّكرُ الخُروجُ من مَيدانِ الغَفلَةِ إلى فَضاءِ المُشاهدَةِ على غَلَبةِ الخَوفِ وشِدَّةِ الحُبِّ.

وقال: مُطالعَةُ[2] الأعواضِ على الطَّاعاتِ من نِسيانِ الفَضلِ.

وقال: العُلماءُ بالله هُم الذين رَسَخَتْ أرواحُهُم في غَيبِ الغَيب، وسِرِّ السِّر، فعرَّفَهُم اللهُ عُلوماً لم يُعرِّفْها لغيرِهم، وأرادَ منهم من مُقتضى الغَيبِ[3] ما لم يُرِدْهُ من غيرهم، فخاضوا بَحرَ العِلم بالفَهم، ثمَّ بالكشفِ الذي كشَفَ لهم عن مَدخولِ الخزائنِ والمَخزون، حتَّى شَهدوا ما تحتَ كلِّ حَرفٍ وكلمَةٍ من عَجائبِ النُّفوسِ، واستخرَجوا من بِحارِها الدُّرَرَ والجَواهِرَ، ونَطَقوا بالحِكمَةِ.

وقال: إن خِفْتَ من اللهِ نسبتَهُ للبُخلِ، وإن رجَوتَهُ اتَّهمتَهُ، ولابُدَّ لكَ منهما، فلذلك كان النَّقصُ[4] من لازمكَ.

وقال: ربَّما كانَ الذَّاكِرُ في ذِكره أشَدَّ غَفلَةً من النَّاسي لذِكره.

وقال: إذا تجلَّى الحَقُّ على السَّرائرِ ذهَبَ الخَوفُ والرَّجاء.

وقال: احذَروا من زَلَّةِ العَطاءِ؛ فإنَّها غِطاء، ولولا شُهودُ الحَقِّ ما هنأ لعارِفٍ عَيشٌ.

وقال: ذهبَتِ الطَّريقُ وأهلُها ولم يبقَ إلاَّ الحَسَرات.

---

(١) في المطبوع: زمام مانع.
(٢) في (أ): مطاوعة.
(٣) في (ف): الآيات.
(٤) في (أ): النقض.

وقال: الأسرى على وجوهٍ: أسيرُ نَفسه وشهوَتِه، وأسيرُ شَيطانه[1] وهَواه، ومادامَ للشَّواهِدِ على الأسرارِ أثرٌ، وللأعراضِ على القلوبِ خَطَرٌ، فهو مَحجوبٌ عن عَينِ الحَقيقَةِ.

وقال: أفقَرُ الفُقراءِ مَنْ سَتَرَ الحَقُّ حَقيقَةَ حَقِّه عنه.

وقال: الحُبُّ يوجِبُ[2] الشَّوقَ، والشَّوقُ يوجِبُ أُنساً، فمَنْ فَقَدَ الشَّوقَ والأُنسَ فهو غيرُ مُحِبٍّ.

وقال: مَنْ حالَ به الحالُ كان مَصروفاً عنِ التَّوحيد.

وقال: الرِّضا والسُّخطُ نَعتانِ من نعوتِ الحَقِّ يَجريانِ على الأبَدِ بما جَريا في الأزَلِ يظهرانِ الوَسْمين على المقبولين والمَطرودين، فقد بانَتْ شواهِدُ المَقبولين بضيائها عليهم، كما بانَتْ شَواهِدُ المَطرودين بظُلمتِها عليهم، فأنَّى ينفَعُ مع ذلك الألوانُ المُصفَرَّةُ والأكمامُ المُقصَّرة[3]، والأقدامُ المُنتفخة.

وقال: استعملِ الرِّضا جهدكَ، ولا تَدَعِ الرِّضا يستعمِلُكَ، فتكون مَحجوباً بلذَّتِه ورؤيته عن حقيقةِ ما تُطالع.

وقال: المُوَحِّدُ لا يَرى إلاَّ رُبوبيَّةً صِرفةً تولَّت عُبوديَّةً مَحضةً فيها معالجَةُ الأقدار، ومُغالبَةُ القِسمة.

وقال: كائناتٌ محتومة، بأسبابٍ مَعروفة[4]، وأوقاتٍ معلومة، فاعتراضُ السَّريرَةِ لها رُعونة.

وقال: أقسامٌ قُسمَتْ، ونُعوتٌ أُجريَتْ، كيف تُستجلَبُ بحركاتٍ أو تُنالُ بسعايات؟.

وقال: مَنْ عَرَفَ اللهَ انقطَعَ، بل خَرِسَ وانقمَع.

---

(١) في الأصول: سلطانه، والمثبت من طبقات الصوفية ٣٠٣.
(٢) في المطبوع و (ب): يورث، وانظر طبقات الصوفية ٣٠٣.
(٣) في المطبوع: المنضرة.
(٤) في المطبوع: بأسباب مغلوبة، وانظر طبقات الصوفية ٣٠٤.

ولمّا احتُضِرَ قالوا له: أوصِنا، قال: احفَظوا مُرادَ الحَقِّ فيكم.

وقال: العِبادَةُ أصلُها سِتَّةٌ: التَّعظيمُ، والحَياءُ، والخَوفُ، والرَّجاءُ، والمحبَّةُ، والهَيبَةُ، فمَنْ لم تَتِمَّ له هذه العلاماتُ لم تَقُمْ[1] له العُبوديَّة.

وقال: ادَّعى فِرعونُ الرُّبوبيَّةَ على الكَشفِ، والمُعتزِلَةُ الرُّبوبيَّةَ على السِّترِ، فإنَّهم قالوا: ما شِئنا فعلنا، فنحنُ خالِقونَ لأفعالِنا.

وقال: بفضله سُبحانَهُ أحَبَّهم فأحَبُّوه، وذكَرَهُم فذَكَروه ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وكان به أَكَلَةٌ عندَ كَتِفه فخرجَتْ أُخرى من ظهره تُقابِلُها، فصارَ يظهرُ منها الضَّوءُ، ومع ذلك يقولُ: إلهي، زِدني من بلائِكَ إنْ كان لكَ فيه رِضا ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وقال: إيَّاكُم واستحلاء[2] الطَّاعة، فإنَّه سُمٌّ قاتِل.

وقال: الخصلَةُ[3] التي كَمُلَتْ بها المحاسِنُ الاستقامة.

وقال: الصِّدقُ صِحَّةُ التَّوحيد[4] معَ القَصد.

وقال: الفِراسَةُ سَواطِعُ أنوارٍ لمعَتْ في القُلوبِ، وتَمكينُ معرفَةٍ حملَتِ السَّرائِرَ في الغُيوبِ من غَيبٍ لغَيبٍ حتّى يشهَدَ الأشياءَ من حيثُ أشهدَهُ الحَقُّ إيَّاها، فيتكلَّم على ضميرِ الخَلق.

ماتَ بمَرو بعد العشرين وثلاثِ مئة رضي الله عنه.

* * *

---

(١) في (أ): لم تتم.

(٢) في المطبوع: واستحلال.

(٣) في الأصول: الجملة التي، والمثبت من مناقب الأبرار ١٥١/ب، والمختار ٣٦١/ب.

(٤) في المطبوع: صحة التوجيه.

(٣٨٠) محمد بن يوسف بن مَعْدان البنَّاء[*]

كان للآثارِ حافِظاً ومُتَّبِعاً، له التَّصانيفُ في نُسكِ العارِفين، ومُعاملَةِ العاملين، وكان رأساً في علمِ التَّصوُّفِ، صَنَّفَ فيه كُتباً حِساناً[١].

ومن كلامه:

أسبابُ المعرفَةِ أربعةٌ: حَصافَةُ العَقلِ[٢]، وكَرَمُ الفِطنَةِ، ومُجالسَةُ أهلِ الخَير[٣]، وشِدَّةُ العِنايةِ، وسبَبُها كلُّها الرَّحمَةُ، ومن أقرَبِ الأُمورِ إلى الرَّحمَةِ الضَّراعَةُ والاستكانَةُ، والتبرِّي من الحَوْلِ والقُوَّة.

وقال: خَيرُ العِلمِ ما نَفعَ، والعِلمُ يُصابُ من عند المَخلوقِ، والنَّفعُ لا يُصابُ[٤] إلاَّ بالله، ومن عندِهِ، والعلمُ النَّافِعُ هو الذي به أطعته.

وقال: قُلوبُ العارِفينَ مساكِنُ الذِّكرِ، وأفضَلُ الأعمالِ رِعايَةُ القلبِ، والذِّكرُ غِذاءُ القلب.

وقال: هِمَمُ العارِفينَ تعالَتْ عمَّا فيه لَذَّةُ نُفوسِهم، واتَّصلَتْ بما فيه محبَّةُ سَيِّدِهم.

وقال: مَنْ أيقَنَ بالقُدومِ على مُعطي الجزاءِ قَدَّمَ الهَدايا قَبلَ مُلاقاته.

وقال: إذا كَسَا اللهُ القلبَ نورَ المعرفةِ، قَلَّدَهُ قلائِدَ الحِكمة، ومَنْ كان الصِّدقُ وَسيلتهُ، كان الرِّضا من اللهَ جائزتَهُ.

(*) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها ١/ ٧١٢.

(١) قال الصفدي في الوافي: له مصنفات في الزهد منها كتاب «معاملات القلوب» وكتاب «الصبر».

(٢) في المطبوع: حصانة العقل.

(٣) في حلية الأولياء ١٠/ ٤٠٢: أهل الخبرة.

(٤) في الأصل: والعلم لا يصاب، والمثبت من حلية الأولياء ١٠/ ٤٠٢.

وقال: من التَّوفيقِ تَركُ التأسُّفِ على ما فات، والاهتمامُ بما هو آت، ومَنْ أرادَ تعجيلَ النِّعَمِ، فليُكثِرْ من مناجاةِ الخَلوةِ. رضي الله تعالى عنه.

* * *

(٣٨١) محمد بن يوسف الرَّازي(*)

وقيل: يوسف بن محمد بن الحسين الرَّازي، المُتخلِّي عنِ النَّاس، المُتحلِّي بالإخلاص، تارِكُ التَّزيُّنِ والتّصنُّع، مُفارِقُ التلوُّنِ والتَّمتُّع.

صَحِبَ: ذا النُّونِ، وأبا تُرابٍ، والخَرَّاز، وتلكَ الطَّبقةَ السَّامية.

وسَمِعَ جَمعاً كثيراً من أكابرِ المُحدِّثينَ منهم: أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

وكان آيَةً في إسقاطِ التصنُّعِ والجاه، وَحيداً فَريداً، وعلى المُتنطِّعينَ[1] شَديداً.

قيل له: إنَّ ذا النُّون يَعرِفُ الاسمَ الأعظم، فرحَلَ إليه، فدخَلَ عليه، فلم يلتفِتْ إليه، وكان يُقالُ له: إن ابنَ يوسفَ أعلَمُ أهلِ زمانهِ بالكلام، فدخَلَ على ذي النُّونِ رَجلٌ، فناظرَهُ، فلم يقُمْ ذو النُّونِ بالحُجَّة، فناظرهُ ابنُ يوسف فقطعَه، فعرفَ ذو النون مكانَهُ، فقام فاعتنقه، واعتذرَ، وجلسَ بين يديه، فقال له ابن يوسف: يا أُستاذ، خَدَمْتُكَ، ووجَبَ حقِّي عليك، فعلّمني الاسم الأعظم،

(*) طبقات الصوفية ١٨٥، حلية الأولياء ١٠/٢٣٨، تاريخ بغداد ١٤/ ٣١٤، الرسالة القشيرية ١/١٣٧، طبقات الحنابلة ١/٤١٨، مناقب الأبرار ١١٩/أ، المنتظم ٦/ ١٤١، صفة الصفوة ٤/١٠٢، المختار من مناقب الأخيار ٣٩٦/ب، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٧١، سير أعلام النبلاء ١٤/٢٤٨، العبر ٢/١٢٨، دول الإسلام ١/ ١٨٥، روض الرياحين ٣٠١ (حكاية ٢٤٥)، البداية والنهاية ١١/١٢٦، طبقات الأولياء ٣٧٩، النجوم الزاهرة ٣/١٩١، ٢٦٥، طبقات الشعراني ١/ ٩٠، شذرات الذهب ٢/ ٢٤٥.

(١) في المطبوع: المتعظمين.

فتركه ذو النون، ثم خرجَ إليه بطبقٍ مُغطًى، وكان يسكنُ الجِيزةَ، فقال له: اذهب بهذا إلى فلان، فتفكّر ابنُ يوسف، وقال: أتُرى أَيش هذا؟ فكشفه فإذا فيه فأرةٌ، ففرَّت، فرجعَ إليه خجلاً، فقال ذو النون: يا أحمق، ائتَمنتُكَ على فأرةٍ فخُنتَ، فكيفَ تُؤمَّن على الاسم الأعظم؟ اذهبْ عنّي، فقال: أوصني قال: عليك بصُحبة من تَسلم منه في ظاهرِ أمرك، وتبعثُكَ على الخيرِ صُحبته، وتُذكّرُك اللهَ رؤيته.

ومن كلامه:

عَلِمَ القومُ بأنَّ اللهَ يراهم فاستحيوا من نظره أن يُراعوا شيئاً سِواه.

وقال: من ذكرَ اللهَ بحقيقةِ ذكرِهِ نَسي ذكرَ غيرِه، ومن نَسي ذِكْرَ كلِّ شيءٍ في ذكره حفظَ عليه كلَّ شيءٍ.

وقال: لا يمحو الشّهواتِ من القلب إلاّ خوفٌ مُزعجٌ، أو شوقٌ مُقلق.

وقال له رجل: دلّني على طريقِ المعرفة. فقال: أَرِ اللهَ الصِّدقَ منك في جميع أحوالك، بعد أن تكونَ مُوافقاً للحقِّ، ولا تَرْقَ إلى حيثُ لم يُرقَ بكَ، فَتزِلَّ قدمُكَ، فإنَّك إذا رقيتَ سقطْتَ، وإذا رُقي بك لم تَسقط، وإيَّاكَ أن تَتركَ اليَقينَ لما ترجوه ظنًّا.

وقال: عارضني بعضُهم، وقال: لا تُدرك مُرادَك من علمك[1] حتى تَتوب، فقلت: لو أنَّ التوبةَ تَطرقُ بابي ما أذنتُ لها على أنّي أنجو بها من ربّي، ولو أنَّ الصِّدقَ والإخلاصَ كانا عَبدين لي لبعتُهما زهداً فيهما، لأنّي إنْ كنتُ عنده في علمِ الغيب سَعيداً مقبولاً لم أَتخلَّفْ باقترافِ الذُّنوب، وإنْ كنتُ عنده شقيًّا مخذولاً لم تُسعدْني عنده توبتي وإخلاصي، وإنَّ الله خلقني بلا عملٍ ولا شفيع كان لي إليه، وهداني لدينه الذي ارتضاه، فاعتمادي على فضلِه وكرمه أَوْلى من اعتمادي على أفعالي المَدخولة وصِفاتي المعلولة.

---

(١) في (أ): عملك.

وقال: من جَهِلَ قدرَه هُتك سِتره.

وقال: في الدُّنيا طُغيانان: طُغيان العلم، وطُغيان المال، فالذي يُنجيك من الأوَّل العبادة، ومن الثاني الزَّهادة.

وقال: بالأدب يُفهم العلم، وبالعلم يصحُّ العملُ، وبالعمل تُنال الحكمة، وبالحكمة يُفهم الزُّهد ويوفّق له، وبالزُّهد تُترك الدنيا، وبتركها يُرغبُ في الآخرة، وبالرغبةِ في الآخرة ينال رضا الله تعالى.

وقال: إذا رأيتَ اللهَ تعالى أَقامَك في طلبِ شيءٍ وهو يَمنعُكَ منه فاعلم أنَّك مُعذَّب.

وقال: يتولَّدُ الإعجاب بالعمل من نِسيان رؤية المِنَّة في الطاعة.

وقال: آفةُ الصُّوفية في صحبة الأحداث، وعشرة الأضداد، وأرفاق النسوان.

وكان يَبكي ويُنشد:

كيفَ السَّبيلُ إلى مَرضاة من غَضِبا ... من غيرِ جرمٍ ولم نَعْرفْ له سَبَبا

وكان كثيراً ما يتمثل بقوله:

سأُعطيكَ الرِّضا وأموتُ غماً ... وأَسكتُ لا أغمُّكَ بالعِتاب

وقال[1] عن الداراني رضي الله عنه: ليسَ أعمالُ لخلقِ بالذي تُرضيه، ولا تُسخطُه، إنَّما رَضِيَ عن قومٍ فاستعملهم بأعمالِ الرضا، وسَخِطَ على قومٍ فاستعملهم بأعمالِ السُّخط، ثم يتمثَّلُ بقوله:

يا موقدَ النَّارِ في قلبي بقُدرتِهِ ... لو شئتَ أَطفأتَ من قلبي بكَ النَّارَ

وقال عن ذي النون رضي الله عنه: تكلَّمتْ خِدَعُ الدُّنيا على ألسنةِ العلماءِ، وأماتت قلوب القرَّاء فتنُ الدُّنيا، فلستَ ترى إلاّ جاهلاً متحيّراً[2]، وعالماً

---

(١) في المطبوع: ومما أخذ عن

(٢) في المطبوع: متجبراً.

مفتوناً، فيا مَنْ جعلَ سمعي وعاءً لعلم عجائبه، وفهمي منبعاً لذكره[١]، ويا مَنْ مَنَّ عليَّ بمواهبه اجعلني بحبلك[٢] معتصماً، وبجودكَ متمسّكاً، وبجنابك مُتَّصلاً، وأكملْ نعمتَكَ عندي بدوامِ مَعرفتك في قلبي.

وقال: جالسْ من الناس مَنْ يَقهُرك برهانُه، وتخوِّفُك رؤيته، ويُخبرُكَ عن نفسِك بما هو أَعلمُ به منك.

وقال عن ذي النون المصري: ما بَعُدَ طريقٌ أدّى إلى صديق، ولا ضاقَ مكانٌ بحبيب.

وقال عن الجُنيد: أوصيك بترك الالتفات[٣] إلى كلِّ حالٍ ماضية؛ فإنَّ الالتفات إلى ما مَضى يشغلُ عمّا هو أَوْلى من الحالةِ الكائنة، وبتركِ المُلاحظة للحال الكائنة، وبترك المُنازلة لها بجولان الحكمة بنقل المستقبل[٤] من الوقت الوارد بذكر مَورده وموجوده، فإذا كنتَ هكذا لم يضرّك رؤيةُ الأشياءِ، وأُوصيكَ بتجريدِ الهمِّ، وتفريد الذِّكر، ومُخالطة الرَّبِّ، واعمل على تخليص همِّكَ من همِّكَ لهمِّك، وطالب الخلاص الخالص من ذكر الله بقلبك[٥]، وكن حيثُ يُرادُ منك، ولا تكنْ حيثُ لا ترى ذلك لما تُريده[٦] لنفسك، واعملْ على مَحق شاهدِكَ من شاهدِك حتى يكونَ الشّاهدُ عليك شاهداً لك وبكَ ومنك، ثم اخلص من شاهدِكَ شاهداً مَنيعاً كبيرَ السَّطوةِ عظيمَ الشّأنِ، فإذا كنتَ هكذا كان لك بكلِّ الكلِّ فيما يحبُّه منك، وكن مُؤثراً لكلِّ ما انبسطَ لك منكَ ومنه بك لك ومنه به له ينبسطُ لك ما لا يحيط به علمك.

وقيل له: ما لك إذا رأيتَ العاصي لا تحقدُ عليه ولا تقبّحُ فعلَه؟ قال: لأنّي أنظرُ إلى الصانع في الصَّنيع، فيهونُ عليَّ المصنوع.

---

(١) في المطبوع: منتبهاً لذكره.
(٢) في المطبوع: بحبِّك.
(٣) في (ب): علامة الانقطاع عن الله الالتفات.
(٤) في (أ) لفعل المستقبل.
(٥) في المطبوع: لقلبك.
(٦) في (ب): ولا تكن حيث ترى ذلك ولما تريده.

وقال: من قَطَعَ الآمَالَ عن الخلقِ وصلَ إلى الخالق، ولا يَصلُ عبدُ لمحبوبه دونَ قطعِ الآمال ممن دونه.

وقال: الزَّاهدُ يقول: كيف أَصنع؟ والعارف يقول: كيف يُصنع بي؟ تاه القومُ في جلاله وجماله.

وقال: الناسُ أعداءُ ما جَهلوا، وحُسَّاد[1] ما منعوا.

وقال: من لا يَسكنُ قلبُك عليه فلا تُفشِ سرَّك إليه.

وقال: أَدْوَمُ النَّاس غمًّا أسوؤهم خُلقاً.

وقال: علامةُ سُوءِ الخلق كثرةُ الخلاف.

وقال: صدورُ الأحرار قبورُ الأسرار.

وقال: الخلاصُ في الإخلاص، فمن أَخلصَ تخلّص.

أسند حديثاً كثيراً عن جمعٍ كثيرين.

* * *

(٣٨٢) محفوظ بن محمود[*]

المُذعنُ للمعبود، الواثقُ بالوَدود، من أجلاَّءِ مَشايخ نَيْسابور.

صَحبَ: القصَّار، والحِيري، وأبا حفص، وتلك الطبقة.

وكان إماماً مُعظَّماً، كثيرَ الوقار، مسعودَ الحركات في المحافل الكبار، حسنَ الخُلق والمعاشرة، كثيرَ التودُّد مُعرضاً عن المُنافرة.

---

(١) في المطبوع: وحمقاء ما منعوا.

(*) طبقات الصوفية ٢٧٣، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥١، مناقب الأبرار ١٥٢/ب، المختار من مناقب الأخيار ٣٣١/أ، طبقات الأولياء ٣٧٠، طبقات الشعراني ١/ ١٠٠. وسيترجم له المؤلف رحمه الله في طبقاته الصغرى ٤/ ٥٨٩.

ومن كلامه:

من ظنَّ بمسلم فتنةً فهو المَفتون، ومن أرادَ أن يُبصرَ عيوبَ نفسه فليتَّهمها في فعل الطاعات، ويرى أنَّها كلَّها مَحشوةٌ من الآفات.

وقال: من أبصر محاسنَ نفسه ابتُلي بمساوئ الخلق، ومن أبصرَ عيوبَ نفسِه سَلِمَ من رؤية مَساوئ الناس.

وقال: التَّائبُ من يَتوبُ من غَفلاته، ورؤية طاعاته.

وقال: أكثرُ النَّاسِ خيراً أَسلمُهم صدراً للمسلمين.

وقال: من أرادَ أن يُبصرَ طريقَ رُشده فليتَّهمْ نفسه في الموافقات فضلاً عن المُخالفات.

مات بنيسابور سنة ثلاث، أو أربع وثلاث مئة رضي الله عنه.

* * *

(٣٨٣) مُظّفر القَرْمِيسيني(*)

من أجلَّة مَشايخ الجبل.

صحبَ الخرّاز، وطبقته، وكان واحداً في طريقته، ذا مُجاهدةٍ أَوصافُها مأثورة، وأخلاقٍ مَحاسنها منشورة.

ومن كلامه:

الصَّومُ ثلاثة: صومُ الرُّوح بقِصَر الأمل، وصومُ العقلِ بخلافِ الهوى، وصومُ النَّفسِ بالإمساك عن الطعام والشراب والمحارم.

وقال: أخسُّ الفقراءِ[1] قيمةً من قِبلَ رفقَ النِّسوان والظَّلمة.

(*) طبقات الصوفية ٣٩٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٠، الرسالة القشيرية ١/ ١٧١، مناقب الأبرار ١٨٦/ أ، المختار من مناقب الأخيار ٣٧١/ ب، نسبةً إلى قَرْمِيسين بلدة بجبال العراق.

(١) في المطبوع: آخر الفقراء. وفي طبقات الصوفية ٣٩٦: أخسُّ الأرفاق أرفاق النسوان على أي وجه كان.

وقال: من تأدَّبَ بآدابِ الشَّريعةِ تأدَّبَ به أتباعُهُ، ومن تهاون بآدابها هَلَكَ وأهلَكَ، ومن لم يأخذِ الأدبَ عن حكيمٍ لا يتَأدَّبُ به مُريد.

وقال: الجوعُ إذا ساعدَه القنعُ مَزرعةُ الفِكر، وينبوعُ الحكمة، وحياةُ الفطنة.

وقال: أفضلُ أعمالِ العبيد حفظُ أوقاتهم.

رضي الله تعالى عنهم ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة.

* * *

الطبقة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل

الحمد لله كشَّافُ الغطاء، فيَّاضُ العطاء، مُقرّبُ أهل الصفاء من حضرة الوفاء، أحمدُهُ حمدَ من أزالَ عنه الجفاء، وأشكرهُ شكرَ من كشَفَ عنه الخفاء، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، شهادةَ عبدٍ به تحقق[1] وبه اكتفى، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، قدوةُ السَّالكين المصطفى ﷺ وعلى أبيه آدم ومَنْ بينهما من الأنبياءِ والمُرسلين، والملائكة أجمعين، أهل العناية والاصطفاء وآل كلٍّ وصحبهم وسائر الأولياء وكلِّ الصالحين، وتابعيهم في كلّ زمنٍ على الوفاء، صلاةً وسلاماً دائمَيْنِ مُتلازمَيْنِ، ما دام الحقُّ تقدَّسَ يتصدَّق[2]، ويقرّبُ من عنه عفا.

وبعد فهذه الطبقة الخامسة من الكواكب الدُّرية فيمن مات بعد الأربعمئة إلى آخر القرن وهم تسعة عشر:

إبراهيم القرشي إمام مسجد الزبير. إبراهيم أبو إسحاق الفيروزبادي. أحمد الثعلبي صاحب التفسير. الحسن أبو علي الدقاق. الحسن بن بشرى الجوهري. عبد الله الأنصاري. عبد الله أبو سعيد القشيري. عبد الرحمن القشيري. عبد الكريم أبو القاسم القشيري. عبد المحسن الورادي. علي بن الحسن الخِلعي. علي الجريري. علي بن عمر القزويني. غوث البغدادي. الفضل بن محمد الفارمذي. فضل الله المِيهني. محمد بن الحسن الراذاني. محمد أبو عبد الرحمن السلمي. المظفر بن أزدشير.

---

(١) في (أ) به تحصن.

(٢) في (أ) تقدس يتفضل.

(حرف الألف)

(٣٨٤) إبراهيم بن إسماعيل بن سعد(*)

أبو إسحاق القُرشيُّ الهاشميُّ المعروف بإمام مسجدِ الزُّبير بن العوام، صوفيٌّ ظهرَ جمالُه وجَميلُهُ، وسعدَ مُريدُه وخليلُه، وله كرامات منها:

أنَّه جاءَ إلى حاكمٍ ليشهدَ عنده، فلم يقبلْهُ، فلمَّا كان اللَّيلُ رأى الحاكمُ رجلاً ارتفعَ له الحائطُ حتى دخلَ عليه منه، فقال له: من أنتَ؟ قال: خلقٌ من خَلق الله تعالى، قال: كيفَ دخلتَ؟ قال: أُمرتُ بذلك، لِمَ لا تقبل شهادةَ الشَّريفِ؟ وهو عدلٌ عند الله، فإذا أتاكَ غداً فأَكرمْه واسمعْ قولَه، فإنَّه يَنطقُ بالحكمةِ، فقال: السَّمعُ والطَّاعة، ثم انصرفَ من حيثُ جاء.

مات سنة ستٍ وثمانين وأربع مئة ودُفن بالقَرَافة، وراء التُّربةِ المعَروفةِ بتربة سارية، ممّا يلي الجهةَ الشَّرقية، وقبرُه معروفٌ بإجابة الدُّعاء. رضي الله عنه.

* * *

(٣٨٥) إبراهيم بن علي الفِيروزابادي(**)

إبراهيم بن علي بن يوسف الفِيرُوزَابادي ـ بكسر الفاء ـ أبو إسحاق الشِّيرازي الشَّافعيُّ، صاحبُ التَّصانيف التي سارت كسيرِ الشَّمس، وملأتِ الأقطارَ فما جَحَد فضلَها إلاّ الذي يتخبَّطُهُ الشَّيطانُ من المسِّ.

(*) تحفة الأحباب ٣٨٨، الكواكب السيارة ٣٠٦، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٣٦.

(**) الأنساب ٩/ ٣٦١، تبيين كذب المفتري ٢٧٦، المنتظم ٩/ ٧، صفة الصفوة ٤/ ٦٦، معجم البلدان ٣/ ٣٨١، الكامل في التاريخ ١٠/ ١٣٢، اللباب ٢/ ٤٥١، طبقات ابن الصلاح ١/ ٣٠٢، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٧٢، المجموع للنووي ١/ ١٤ =

وكان فقيهاً أُصولياً، ورعاً زاهداً صوفياً، يُضربُ به المثلُ في كلِّ ذلك.

وناهيكَ بقولِ الماورديِّ في حقِّه: لو رآه الشَّافعيُّ رضي الله عنه لتجمَّلَ به[1].

أما الفقهُ فكانَ مَلِكَهُ الآخذ بزمامه، وإمامَه إذا أَتى كلُّ أحدٍ بإمامه، وبدرَ سمائه الذي لا يَعتريه النُّقصان عند تَمامه.

وأمّا التَّصوف، والزُّهدُ، والوَرَعُ المتينُ، وسلوكُ سبيلِ المُتَّقين، والمشي على سَنَن الأَولياء الصَّالحين فذاك أَشهرُ من أن يَذكرَه الذَّاكرُ، وأكثرُ من أن يُحاط له بأوَّلٍ وآخر. لم يُنكرْ تقلُّبُ وجهِه في السَّاجدين، ولا قيامُه في الدُّجى، كيف والنُّجومُ من جملة الشاهدين؟

وكان مُجاب الدَّعوةِ، شديدَ الوَرع جداً. نسيَ في المسجدِ ديناراً، وخرجَ ثمَّ تذكَّره، فرجعَ، فوجده، فقال: لعلَّهُ وقعَ من غيري، فتركَهُ، هذا هو الورع هكذا هكذا وإلا فلا، لا.

وقال لرجلٍ: وكَّلْتُكَ في شراءِ دبسٍ بهذا القرص على وجه الآخر[2]، فاشترى وجاء به، فشكَّ بأيِّ القرصين اشترى، فلم يأكلْ منه، وقال: لا ندري بأيِّهما اشتريتَ[3].

هذا هو الزُّهد، ليكن المرءُ هكذا، وإلاّ فلا يُؤمِّلنَّ من الجنَّةِ آمالاً. فإذا كان

= وفيات الأعيان ١/ ٢٩، المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ٢/ ١٩٤، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٥٢، العبر ٣/ ٢٨٣، دول الإسلام ٢/ ٧، المستفاد من ذيل بغداد ٤٢، الوافي بالوفيات ٦/ ٦٢، مرآة الجنان ٣/ ١١٠، طبقات السبكي ٤/ ٢١٥، طبقات الإسنوي ٢/ ٨٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٢٤، النجوم الزاهرة ٥/ ١١٧، مفتاح السعادة ٢/ ٣١٨، تاريخ الخميس ٢/ ٣٥٩، كشف الظنون ٣٣٩، ٣٩١، ٤٨٩، ١١٠٠، ١١٠٥، ١١٥٨، ١٥٦٢، ١٧٤٣، ١٩١٢، ١٩٧٧، شذرات الذهب ٣/ ٣٤٩، هدية العارفين ١/ ٨.

(١) طبقات السبكي ٤/ ٢٢٧.

(٢) في الأصول: في شراء بس... على وجه الأجر. والمثبت من مصادر الخبر، انظر التعليق التالي.

(٣) صفة الصفوة ٤/ ٦٦، وطبقات ابن الصلاح ١/ ٣٠٦، وطبقات السبكي ٤/ ٢١٩ والخبر فيها: أخرجَ يوماً قرصين في بيته، وقال: وكّلتك أن تشتري الدبس بهذه القرصة على وجه هذه القرصة الأخرى...

صالحاً تُرْتَجى بركاتُه فهذا، وإن كانَ وليٌّ يُؤمَّلُ في الشَّدائدِ فحسْبُكَ هو ملاذاً.

ولد الشيخ بفِيرُوزاباد بُليدةٌ بفارس سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة، ونشأ بها، ثم طافَ البلادَ، ثم استقرَّ ببغداد، وما برحَ يُجاهدُ حتَّى صارَ أَعلمَ زمانِه، وفارسَ ميدانه، والمقدَّمَ على أقرانه، وامتدتْ إليه أَعينُ النظَّارِ، وانتشرَ صيتُهُ في البلدان الكبار، ورُحلَ إليه من جميع الأقطار.

وكانتْ مُجاهدتُه أَوَّل أمره أمراً عُجاباً، وعملاً دائماً، يقول من شاهده: عجباً لهذا القلبِ والكبدِ كيفَ ماذابا ؟!.

وكان مع جَلالته وحضور السَّلاطين إليه لا يَملكُ شيئاً من الدُّنيا، فبلغَ به الفقرُ حتى كادَ لا يَجدُ قوتاً ولا ملبساً، وكان يقومُ للقادم عليه نصفَ قومةٍ، ولا يعتدلُ قائماً من العُري؛ كيلا يظهرَ منه شيءٌ.

وأرسلَ إليه الخليفةُ ليجتمعَ به فأبى، فألحَّ عليه فما أفادَ، فتوسَّلَ إليه ببعضِ أصدقائه، فأبرمَ عليه، فأجابَ بشروطٍ منها أن يكونَ اجتماعُه ليلاً، فتوجَّهَ في الليل، فلمَّا دخلَ دار الخليفةِ هرعَ الحجَّابُ لإعلام الخليفة، فبمجردِ استقبالِ الشيخ تحرَّكتْ عليه بطنهُ، فقال: ائتوني بشمعة، فأتوا بها، فقصدَ بيتَ الخلاءِ، فتعثَّرَ في ذيله، فوقعتِ الشمعةُ من يده، وسقطَ عليها، فأصابتْ بعضَ لحيته فاحترقتْ، فكرَّ راجعاً، وهو يقول: صدق الله العظيم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣] واللهِ، لا أجتمعُ به أبداً، فرجعَ، ولم يجتمع به.

وكان إذا قدمَ بلداً تلقَّاهُ الفقهاءُ والصُّوفيةُ والمحدِّثون، والعَامَّةُ والنِّساء والأطفالُ يتمسَّحون بأردَانه، ويأخذونَ تُرابَ نعليه يستَشْفونَ به، ويخرجُ أهلُ الصَّنائع بصنائعهم يَنثرونها بين يديه، حتى الأساكفةُ تبرَّكوا به[1].

---

(١) الأساكفة جمع إسكاف، صانع الخفاف، الخراز متن اللغة (سكف) قال الذهبي في السير ١٨/ ٤٦٠ عن الأساكفة: وعلموا مداسات صغاراً ونثروها، وهي تقع على رؤوس الناس. والخبر في طبقات السبكي ٤/ ٢٢٠ وكأن أصل العبارة كانت: حتى الأساكفة نثروا له. وفي المطبوع: الأساقفة.

ويخرجُ إليه النِّساءُ الصُّوفيات، وما منهنَّ إلاّ ومعها سُبحةٌ، فيُلقينَ سبحهنَّ على محفَّةِ الشيخ، تبرُّكاً به.

ودخل نيسابور فتلَّقاهُ جميعُ أهلِها على العادة.

وحملَ شيخُ الدُّنيا إمامُ الحرمين أبو المعالي الجُوَينيُّ رضي الله عنه غاشيتَهُ ومشى بين يَديه كالخُديم، وقال: أفتخر بهذا.

وكان مع ذلك الزُّهدِ المتين، والورع الشديد طَلقَ الوجه، دائمَ البِشر، حسنَ المُجالسة،مليح المحاورة[1]، وله أدبٌ أَعذبُ من الزُّلال مازَجتْه المُدامَ، وأزهى من الرَّوْضِ باكرَه الغمام، وأبهى من المَنْثور هذا مع أنَّه لا يتلوَّن، وأزهر من صفحات الخدود، وإنْ كانَ آسُ الخدودِ العِذار على جوانب ورْده تتكوّن، لو سمعه ديكُ الجِنِّ[2] لصاحَ كأنَّه مَصروع، ولو تأمَّلَ مقاطيَعه ابنُ قَلاَقِس[3] لأصبحَ وهو ذو قلبٍ مقطوع[4].

فمنه قوله:

سألتُ النَّاسَ عن خِلٍّ وفيٍّ ... فقالوا: ما إلى هذا سَبيلُ

تمسَّكْ إنْ ظفرْتَ بذَيلِ حُرٍّ[5] ... فإنَّ الحُرَّ في الدُّنيا قَليلُ

ومنه:

إذا تَخلَّفْتَ عن صَديقٍ ... ولم يُعاتِبْكَ في التَّخلُّفْ

فلا تَعُدْ بعدَها إليهِ ... فإنَّما وُدُّهُ تكلُّف

---

(١) في المطبوع: بليغ المجاورة.

(٢) ديك الجن: عبد السلام بن رغبان شاعر مجيد، فيه مجون، مولده ووفاته بحمص. توفي سنة ٢٣٥. الأعلام.

(٣) ابن قَلاَقِس: نصر بن عبد الله بن عبد القوي اللخمي الإسكندري الأزهري شاعر، نبيل، من كبار الكتاب المترسلين توفي سنة ٥٦٧ هـ الأعلام.

(٤) في الأصول: وفلب، والمثبت من طبقات السبكي ٤/ ٢٢٦.

(٥) في المطبوع: هنيئك إن ظفرت.

ومن كراماته العظيمة: أنَّه كان وهو مُقيمٌ ببغداد يُشاهدُ الكعبةَ المعظَّمَةَ عياناً.

وسمعَ من جوف الكعبةِ مِراراً: من أرادَ أن يتنبَّه بالدِّين فعليه بـ: «التنبيه» تأليفُ الشَّيخ رضي الله عنه.

وكان كثيرَ الاجتماعِ بالمصطفى ﷺ، فقال له مرَّةً: يارسول الله، علّمني كلماتٍ أَنجو بها غداً ـ وفي رواية: أُحبُّ أن أسمعَ منك خبراً أتشرَّفُ به في الدُّنيا، وأجعلهُ ذخيرةً في الآخرة ـ فقال له: يا شيخ، اطلبِ السَّلامةَ في غيرك تجدْها في نفسك ـ وفي رواية: يا شيخ، من أرادَ السَّلامَةَ فليطلبها من سلامة غيره ـ فكان بعد ذلك يَفرحُ، ويقول: سمَّاني رسول الله ﷺ شيخاً، ويفتخرُ بذلك.

وكان يقول: من أخذ عنّي مسألةً فهو وَلَدي.

وكان يقول: العَوامُ يَنتسبون بالآباء، والأَغنياء بالأموال، والعُلماء بالعلم.

وقال: العلمُ الذي لا ينتفعُ به صاحبُه أنْ يكونَ الرَّجلُ عالماً ولا يكونُ عاملاً، ويُنشد لنفسه:

علمتُ ما حلَّلَ المولى وحرَّمَهُ فاعمَلْ بعلمِكَ إنَّ العلمَ للعملِ

وكان يقولُ: الجاهلُ بالعالم يَقْتَدي، فإذا كان العالمُ لا يَعملُ بعلمه، فالجاهلُ خيرٌ منه، فاللهَ اللهَ يا أولادي، نعوذُ بالله من علمٍ يَصيرُ حُجَّةً علينا.

ومشى بعضُ أصحابه معه في طريقٍ، فعرضَ لهما كلبٌ، فقال الفقيه لذلك الكلب: اخْسَأ وطرده وزجره، فنهاه الشَّيخُ، وقال: لِمَ طردتَهُ عن الطَّريق؟ أما علمتَ أنَّ الطريقَ بيني وبينه مُشتركٌ.

ووضعَ بعضُ الفقهاء «المهذَّب» تحت رأسِه، ونام، فاحتلمَ، فرأى الشَّيخَ، فدفعه برجلِه، وقال له: قمْ، أما يكفيكَ أنَّكَ وضعتَ «المُهذَّبَ» تحت رأسِكَ ثم صِرت جنباً. نقله النَّووي عن شيخه سلار رضي الله عنهما.

ورآه في النَّومِ بعضُ الأكابر يطيرُ في السَّماء الثالثة، أو الرَّابعة، فتلقَّاهُ مَلَكٌ وسلَّم عليه، وقال له: إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى يَقرأُ عليكَ السَّلام، ويقول لك: ما تُدرِّس؟ قال: أُدرِّسُ ما نُقلَ عن صاحب الشَّرعِ ﷺ، فغابَ المَلَكُ، ثم

رجعَ، فقال: إنَّ الله تعالى يقولُ: الحقُّ ما أنتَ عليه وأصحابُكَ، ادخلِ الجَنَّةَ معهم.

ورآه آخرُ وعليه ثيابٌ بيض، وعلى رأسِهِ تاجٌ فقال له: ما هذا البياض؟ قال: شرفُ الطَّاعة. قال: والتَّاجُ؟ قال: عزُّ العلم.

مات سنة ستٍّ وسبعين وأربع مئة، رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وبعلومه في الدنيا والآخرة.

* * *

(٣٨٦) أحمد بن محمد الثعلبي(*)

أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق النَّيسابوري المعروف بالثَّعلبي صاحب «التفسير»[١] المشهور، و«العرائس في قصص الأنبياء»[٢] كان عالماً صالحاً مُلازماً سلوكَ الطَّريق المُثلى، راقياً في منازل الطَّريقِ إلى الشَّرفِ الأعلى.

ومن مَناقبه الفاخرة ما حكاه أبو القاسم القُشيري رضي الله عنه قال: رأيتُ ربَّ العزَّةِ في المنام، وهو يُخاطبني وأُخاطبه، وكان في أثناءِ ذلك أَنْ قال الرَّبُّ

(*) معجم الأدباء ٥/ ٣٦، إنباه الرواة ١/ ١١٩، اللباب ١/ ٢٣٨، وفيات الأعيان ١/ ٧٩، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٦٠، دول الإسلام ١/ ٩٧، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٣٥، العبر ٣/ ١٦١، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٩٠، الوافي بالوفيات ٧/ ٣٠٧، مرآة الجنان ٣/ ٤٦، طبقات السبكي ٤/ ٥٨، طبقات الإسنوي ١/ ٣٢٩، البداية والنهاية ١٢/ ٤٠، غاية النهاية لابن الجزري ١/ ١٠٠، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٨٣، طبقات المفسرين للسيوطي ٥، بغية الوعاة ١/ ٣٥٦، طبقات المفسرين للداوودي ١/ ٦٥، مفتاح السعادة ٢/ ٦٧، كشف الظنون ١١٣١، ١٤٩٦، شذرات الذهب ٣/ ٢٣٠. هدية العارفين ١/ ٧٥.

(١) واسمه: «الكشف والبيان في تفسير القرآن»، ما زال مخطوطاً، وقد ضمنه كثيراً من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وحشد فيه الغرائب.

(٢) واسمه: «عرائس المجالس في قصص الأنبياء» طبع أكثر من مرّة، فيه كثير من الإسرائيليات.

عزَّ وجلَّ: أقبلَ الرَّجلُ الصَّالح، فالتفتُّ فإذا أحمد الثَّعلبي رضي الله عنه[1].

قال الذَّهبي رحمه الله: وكان حافظاً، رأساً في العلم والتفسير والعربية، متينَ الدِّيانةِ والزَّهادةِ، مات سنة سبع وعشرين أو سبع وثلاثين وأربع مئة، ويُقال له: الثَّعلبي، والثعالبي[2] رضي الله عنه.

* * *

---

(١) طبقات السبكي ٤/ ٥٨، وجاء في أول الخبر: وقد جاء عن الأستاذ أبي قاسم.

(٢) انظر العبر ٣/ ١٦١.

(حرف الحاء المهملة)

(٣٨٧) الحسن بن علي الدَّقاق(*)

الحسن بن علي، الأُستاذ أبو علي الدَّقَّاق النَّيسابوريُّ، الشافعيُّ، لسانُ وقته، وإمامُ عصره. كان فارهاً في العلم، مبسوطاً[1] في الحلم، محمودَ السِّيرة، مجهود السَّريرةِ[2]، جُنيديَّ الطريقة، سَريَّ الحقيقةِ.

أخذَ مذهبَ الشَّافعيّ رضي الله عنه عن القفَّال والخِضْريِّ وغيرهما، وبرعَ فيه، وفي الأُصول والعربية حتى شُدَّتْ إليه الرِّحال في ذلك.

ثم أخذَ في العملِ وسَلَكَ طريقَ التَّصوُّف.

وأخذ عن: النَّصْرَاباذِيِّ، قال ابنُ قاضي شُهبة رحمه الله: وزادَ عليه حالاً وَمقالاً.

وعنه: القُشيريُّ صاحب «الرِّسالة».

وله كراماتٌ ظاهرة ومُكاشفات باهرة.

قيل له: لِمَ زهدتَ في الدُّنيا؟ قال: لمَّا زَهِدَ فيَّ أكثرُها، أَنفتُ عن الرَّغبةِ في أَقلِّها.

(*) تبيين كذب المفتري ٢٢٦، الكامل في التاريخ ٩/ ٣٢٦، العبر ٣/ ٩٣، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٦٤، مرآة الجنان ٣/ ١٧، طبقات السبكي ٤/ ٣٢٩، الوافي بالوفيات ١٢/ ١٦٥، طبقات الإسنوي ١/ ٥٢٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٣، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٥٦، طبقات ابن قاضي شهبة ١/ ١٦٩، شذرات الذهب ٣/ ١٨٠، كشف الظنون ٢/ ١٤٣٤، معجم المؤلفين ٣/ ٢٦١.

(١) في (أ) و (ف) متوسطاً.

(٢) في المطبوع: محمود السريرة.

قال الغزالي رضي الله عنه: كان زاهدَ زمانه، وعالمَ أوانه.

أَتاهُ بعضُ أكابرِ الأُمراء، فقعدَ على رُكبتيه بين يديه، وقال: عظني. فقال: أَسأَلُكَ عن مسأَلةٍ وأُريدُ الجوابَ بلا نفاق. فقال: نعم، قال: أَيُّما أَحبُّ إليكَ المال أو العدو؟ قال: المال. قال: كيف تَتركُ ما تحبُّه بعدكَ، وتستصحبُ العدو الذي لا تُحبُّه معك؟ فبكى، وقال: نِعمَ الموعظةُ هذه.

ومن كلامه:

من سكتَ عن الحقِّ فهو شيطانٌ أَخرس.

وقال: الشَّجرُ إذا نبتَ بنفسه ولم يَستنبتْهُ أحدٌ يُورق ولا يُثمر، ومُريدٌ بلا أُستاذٍ لا يجيء منه شيءٌ.

وقال: الذِّكرُ مَنشورُ الولاية، فمن وفِّقَ للذِّكرِ فقد أُعطي المنشورَ، ومن سُلِبَ الذِّكرَ فقد عُزل.

وقال: من علامةِ الشَّوقِ تمنّي الموت على بساطِ العَوافي كيوسف عليه الصلاة والسلام لما أُلقيَ في الجبِّ، ولمَّا أُدخلَ في السَّجنِ لم يقل: توفّني، ولمّا تمَّ له المُلك والنِّعمةُ، قال: ﴿ تَوَفَّنِى﴾ [يوسف: ١٠١].

وكان كثيراً ما يُنشدُ رضي الله عنه(١):

أَحسنتَ ظنَكَ بالأيَّامِ إذ حَسنتْ ... ولم تَخَفْ شرَّ ما يَأتي به القَدَرُ

وسَالمتْكَ اللَّيالي فاغْتَرَرْتَ بها ... وعندِ صَفوِ اللَّيالي يحدثُ الكَدَرُ

وقال: صاحبُ الحُزنِ يقطعُ من الطَّريقِ في شهرٍ ما لا يَقطعُهُ غيرُه في عام.

وقال: ليسَ الرِّضا أن لا تحسَّ بالبلاء، بل أن لا تَعترضَ على الحُكمِ والقضاء.

وقال: ليسَ شيءٌ أَشرف من العبودية، ولا اسمٌ أَتمَّ من اسمها، ولذلك

---

(١) البيتان ذكرهما الراغب الأصبهاني في محاضرات الأدباء ٢/ ١٦٦، قال الأصمعي: وجدت لبعض العرب بيتين، كأنهما أخذا من قوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤].

ذُكرت في أتمِّ أوقات المصطفى ﷺ وهو ليلة المعراج، فلو كان شيءٌ أجلَّ منها لسمَّاه به خالقه[1].

وقال: المُريد متحمِّل، والمُراد مَحمول.

وقال: السَّماعُ حَرامٌ على العوام لبقاءِ نفوسهم، مُباح للزُّهاد لحصولِ مُجاهداتهم، مُستحبٌّ لأصحابنا لحياة قلوبهم.

وقال: الخوفُ أن لا تُعلِّلَ نفسَك بسوفَ وعسى.

وقال: التوكُّلُ على ثلاثِ دَرَجات: التَّوكُّل، ثم التَّسليم، ثم التَّفويض فالمتوكلُ يَسكنُ إلى وَعده، والمُسلّمُ يَكتفي بعلمه، وصاحبُ التَّفويض يَرضى بحُكمه.

وقال: الإخلاصُ التَّوقّي عن مُلاحظة الخَلقِ، والصِّدقُ التنقّي من مُطالعة النفس، فالمخلصُ لا رياءَ له، والصَّادقُ لا إعجابَ له.

وقال: الصِّدقُ أن تكونَ كما تَرى من نفسك، أو ترى من نفسِك كما تكون.

وقال: الذِّكرُ أتمُّ من الفِكر، لأنَّ الحقَّ تعالى يوصف بالذكر لا به.

وقال: من صاحبَ المُلوكَ بغير أدبٍ أَسلمه الجهلُ إلى العطب.

وقال: لو أنَّ ولياً لله مرَّ ببلدةٍ للَحِقَ أهلَها بركةٌ بمروره حتَّى يُغفرَ لجاهلهم.

وقال: العبودية أتمُّ من العبادة، فالأوّل عبادة ثم عبودية، ثم عبودة، فالعبادةُ للعامَّةِ، والعُبودية للخاصَّةِ، والعُبودةُ لخاصة الخاصَّةِ.

وقال: قال رجلٌ لسهل رضي الله عنه: أُريد أن أَصحبَكَ، قال: إذا ماتَ أَحدُنا فمن يَصحب الباقي؟ قال: الله، قال: فاصحبْه الآن.

وقال: بُرهانُ العابدين إزكاءُ أعمالهم[2]، وبُرهانُ العارفين صفاء أحوالهم، وبُرهانُ المحبِّين نقاءُ أنفاسهم، وبُرهان العالِمين نشرُ عجائبِ صنعه، وإظهارُ بدائع فطرته.

---

(١) إشارة لقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

(٢) في (أ) أزكى أعمالهم.

وقال: الفرقُ ما نُسب إليك، والجمعُ ما سُلب عنك.

وقال: من قال لا إله إلاّ الله مُخلصاً في مقالته دخلَ الجنة في حالته.

وقال: التَّوبةُ ثلاثةُ أقسام: بدايةٌ، ووسطٌ، وغاية. فبدؤها يُسمّى توبة، ووسطها إنابةٌ، وغايتها أوبة، فالتوبَةُ للخائف، والإنابةُ للطَّائع، والأوبة لداعي الأمرِ الإلهي.

وقال: أوحى اللهُ إلى داود عليه السلام: لا تبكِ، إن كان خوفاً من النَّارِ فقد أمَّنتُكَ، أو لطلبِ الجنَّةِ فقد بشَّرتُكَ، أو لرضا الحكم فقد أَرضيتك، فزادَ في البُكاء، وقال: إنَّما أبكي لما فاتني من صفاءِ ذلك الوقت، فردَّهُ عليَّ، فقال: هيهات.

وجاءه رجلٌ فقال: جئتك من مَسافةٍ بعيدةٍ، فقال ليسَ هذا الشَّأنُ في قطعِ المَسافات ومَقاساتِ الأسفار، فارقْ نفسَكَ بخطوةٍ، وقد حصل مَقصودُك.

وقال: تركُ الأدبِ يُوجبُ العطبَ، فمن أَساءَ الأدبَ على البِساط رُدَّ إلى الباب، ومن أَساءَ الأَدبَ على الباب رُدّ لسياسةِ الدَّواب.

وقال: فازَ الصَّابرون بعِزِّ الدَّارين، فإنَّهم نالوا من اللهِ المعيَّةَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال: أوحى اللهُ إلى داود عليه السَّلام: تخلَّقْ بأخلاقي، إني أنا الصَّبور.

وقال: حقيقةُ الصَّبرِ الخروجُ من البلاءِ بحسنِ الأدبِ في المُخاطبة، وحفظ الحرمة في المُحاضرة، كما قال أيوب: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] ولم يقل ارحمني.

وقال: أصحابُ الكسلِ عن عبادتهِ الذين ربطَ الحقُّ على أقدامهم ثقاقيل الخذلان، واختارَ لهم البُعدَ، وأَخَّرهم عن مَحلِّ القرب، ولذلك تأخَّروا.

وفيه أَنشدَ:

أنا صبٌّ لمَنْ هَويتُ ولَكنْ ... ماحتيالي لسُوءِ رأي الموالي

مات سنة خمسٍ، أو ستٍ وأربع مئة رضي الله عنه.

* * *

(٣٨٨) الحسن بن بشرى الجوهري(*)

صوفيٌّ طارَ بالمجدِ طائرُهُ، ورجعَ تالياً سورةَ الحمدِ قاصدُهُ وزائرُه، أضاءتْ آفاقُ قطرِه بأنواره، وفَاحَ من روضِ سِيرته عِطرُ نوَّارِه.

وكان ذا مُكاشفاتٍ وأحوالٍ عاليات، منها:

أنَّ صاحبه الأبياري باتَ ليلةً في القَرافة، فحدَّثَ نفسَه بأنَّ فلاناً يُصلّي مئة ركعة، وفلاناً أكثر، فلِمَ لا تكون كهؤلاء؟ ثم باتَ يُصلّي اللّيلَ كلَّه، ثم دخلَ عليه لمَّا أصبحَ، فلمّا وقعَ بصرُه عليه تبسَّمَ، وقال: ليسَ الشَّأنُ في كثرة العدد، وإنَّما الشَّأنُ في الإتقان، قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] وما قال أكثر(١).

وخرجَ مع أصحابِه يُصلُّونَ على جنازةٍ، فجلسوا في غرفةٍ يَنتظرونها، فقال: قوموا بنا، فخرجوا، فسقطتِ الغرفةُ دفعةً واحدة.

وأتاه رجلٌ مَلهوفٌ فقال: أنا كاتبٌ، وضاعَ منّي دفترُ الحِساب، وأنا عند أميرٍ جائرٍ وقد دلُّوني عليك، فقال: اذهبْ اشتر بدرهم حلاوةً وائتني به، فمضى واشترى الحلاوةَ، فأخذ الحلوانيُّ(٢) ورقةً يضعُ فيها الحلاوةَ، فإذا هي من دفتره، فقال له: من أين لكَ هذا؟ قال: اشتريتُهُ السَّاعةَ، فأخذه منه، وأتى به الشيخَ، فقال له: كُلْ حلاوتَكَ، فلا حاجةَ لنا بها(٣).

وفضائله كثيرةٌ.

ماتَ في أواخر القرن الخامس ودُفن بالقَرافةِ عند قبرِ أبيه رضي الله عنه.

(*) تحفة الأحباب (الحسين) ٢٦١، الكواكب السيارة ١٣٦ (الحسين)، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٩٠. وفي المطبوع الحسن بن بشر.

(١) في (أ) أكثر عملاً.

(٢) في المطبوع: فأخذ الحلوى في.

(٣) رويت مثل هذه القصة عن الشيخ أبي العباس الدمنهوري انظر روض الرياحين ٥٠١ (حكاية ٤٦٢).

(حرف العين المهملة)

(٣٨٩) عبد الله بن محمد الأنصاري[*]

عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري شيخُ الإسلام أبو إسماعيل الأَنصاريُّ الهَرويُّ الحافظُ العالمُ العارفُ الصُّوفيُّ صاحب «منازل السائرين»[1] كان إماماً

(*) دمية القصر ٢/ ٨٨٨، طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٧، المنتظم ٩/ ٤٤، الكامل ١٠/ ١٦٨، العبر ٣/ ٢٩٧، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٠٣، دول الإسلام ٢/ ١٠، تذكرة الحفاظ ٤٤١، مرآة الجنان ٣/ ١٣٣، الوافي بالوفيات ١٧/ ٥٩٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٣٥، ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٥٠، النجوم الزاهرة ٥/ ١٢٧ طبقات الحفاظ ٤٤١، طبقات المفسرين للسيوطي ٢٥، طبقات المفسرين للداوودي ١/ ٢٤٩، تاريخ الخميس ٢/ ٣٦٠، كشف الظنون ١/ ٥٦، ٤٢٠، ١٨٢٨، ١٨٣٦، شذرات الذهب ٣/ ٣٦٥، إيضاح المكنون ١/ ٣١٠ و ٢/ ١١٨، هدية العارفين ١/ ٤٥٢.

(١) «منازل السائرين إلى الحق المبين» كتاب في أحوال السلوك ألفه حين سأله جماعة من الراغبين في الوقوف على منازل السائرين إلى الحق من أهل هراة، فأجاب، ورتب لهم فصولاً وأبواباً، فجعله مئة مقام مقسومة على عشرة أقسام كل منها يحتوي على عشر مقامات وجميع هذه المقامات يجمعها رتبٌ ثلاثة: الأولى أخذ القاصي [القاصد] في السير. الثانية: دخوله في الغربة، الثالثة: حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد. كشف الظنون ١٨٢٨.

قال الإمام الذهبي بالسير ١٨/ ٥٠٩: فيه أشياء مطربةٌ، وفيه أشياء مشكلة... وفيه إشارات إلى المحو والفناء، وإنما مراده بذلك الفناء هو الغيبة عن شهود السِّوى، ولم يرد محو السوى في الخارج، وقد شرح هذا الكتاب العلامة ابن قيم الجوزية «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» وشرح الأشياء المشكلة وانتقدها.

في التفسير والحديث، حسنَ السِّيرةِ في التصوُّفِ والعربية والتاريخ والأنساب وغير ذلك.

وكان لا يَخافُ في الله لومةَ لائمٍ، ولذلك سَعَوا في هلاكه مراراً، فحفظه الله منهم.

وكان آيةً في التَّذكير والوعظ.

مات سنة إحدى وثمانين وأربع مئة رضي الله تعالى عنه.

* * *

(٣٩٠) عبد الله بن عبد الكريم القُشيريُّ (*)

عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن، أبو سعيد القُشيريُّ أكبر أولاد الشيخ الأستاذ أبي القاسم كان إماماً كبيرَ القدرِ، له النَّصيبُ الوافر، والحظُّ الزَّاخر من التَّصوف، أُصولياً نحوياً مُحدّثاً، وكانَ رضيعَ أبيه في الطَّريقة، وفخرَ ذويه وأهلِه على الحقيقةِ، وأكبرَ أولادِ زين الإسلام المذكور، من لا تَرى العيونُ مثلَه في الدُّهور، برع في الفقه والأصول، بطبعٍ سيَّال، وخاطرٍ إلى مواقعِ الإشكال ميَّال، سبَّاقٌ إلى دركِ المعاني، وقَّافٌ على المَدارِكِ والمباني، وأمَّا وعظُه وتصوفُه فمجلسُهُ فيه روضةُ الحقائق، وكنزُ الدَّقَائق، وكلماته مُحرقَةٌ[1] القلوب، ومَواجيده مُقطِّرةُ الدِّماء من الجفون مكان الدُّموع، ومُفَطِّرةُ الصُّدور بالتَّخويفِ والتقريع.

وكانت أوقاتُه ظاهراً مُستغرَقةً في الطَّهارة والاحتياط ثم الصلاة، وباطناً في

(*) الأنساب ١٠/١٥٦، سير أعلام النبلاء ١٨/٥٦٢، العبر ٣/٢٨٧، الوافي بالوفيات ١٧/٢٩٥، مرآة الجنان ٣/١٢١، طبقات السبكي ٥/٦٨، طبقات الإسنوي ٢/٣١٦، طبقات المفسرين للسيوطي ١٤ (٤١) طبقات المفسرين للداوودي ١/٢٣٨، شذرات الذهب ٣/٣٥٤.

(١) في المطبوع: محيرة، وفي (أ) و (ب) و (ف) محفرة، والمثبت من طبقات السبكي ٥/٦٩.

مُراقبة الحقِّ ومُشاهدة أحكام الغيبِ، لا يخلو وقتُه عن تنفُّسِ الصُّعداء، وتذكُّر البُرحاء، وترنُّمٍ بكلامٍ منظومٍ أو منثور. فيذكرُ وقتاً مضى وحالاً انقضى، في مقامِ المحبَّةِ والرِّضا.

مات سنة سبعٍ وسبعين وأربع مئة رضي الله تعالى عنه.

* * *

(٣٩١) عبد الرَّحمن بن عبد الكريم القُشيريُّ(*)

أَحدُ أولادِ الأستاذ المذكور، كان جميلَ السِّيرةِ، ورعاً عفيفاً فاضلاً، محتاطاً لنفسه في مَطعمه ومَلبسه، مستوعبَ العُمرِ بالعبادةِ، مُستغرقَ الأوقاتِ بالخلوة أو الإفادة.

سمعَ الكثيرَ من والده وغيره، وتفقَّه للشَّافعي رضي الله عنه كأخيه، وأبيه على المَاورديِّ رضي الله عنه، وغيرِهِ.

مات سنة اثنتين وثمانين وأربع مئة.

* * *

(٣٩٢) عبد الكريم بن هَوازن النَّيسابوري(**)

الأستاذُ أبو القاسم القشيريُّ، الملقَّبُ زين الإسلام، الإمامُ مُطلقاً وصاحب «الرسالة» التي سارتْ مغرباً ومشرقاً والأصالة التي تجاوزَ بها فوقَ الفَرقد

(*) الأنساب ١٠/ ١٥٦، طبقات ابن الصلاح ١/ ٥٣٣، طبقات السبكي ٥/ ١٠٥، طبقات الإسنوي ٢/ ٣١٦، العقد الثمين ٥/ ٣٧٩.

(**) تاريخ بغداد ١١/ ٨٣، دمية القصر ٢/ ٩٩٣، الأنساب ١٠/ ١٥٦، تبيين كذب المفتري ٢٧١، المنتظم ٨/ ٢٨٠، الكامل ١٠/ ٨٨، اللباب ٣/ ٣٨، طبقات ابن الصلاح ٢/ ٥٦٢، إنباه الرواة ٢/ ١٩٣، وفيات الأعيان ٣/ ٢٠٥، تاريخ أبي الفدا ٢/ ١٩٠، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٢٧، العبر ٣/ ٢٥٩، دول الإسلام ١/ ٢٧٤، مرآة الجنان ٣/ ٩١، طبقات السبكي ٥/ ١٥٣، طبقات الإسنوي ٢/ ٣١٣، الوافي بالوفيات ١٩/ ٩٣ البداية والنهاية ١٢/ ١٠٧، فوات الوفيات ٢/ ٣٧١، طبقات الأولياء ٢٥٧ =

ورقى[1]. إمامُ الأئمة، ومُجلّي ظُلمات الضّلالِ المُدلهمَّةِ، شيخُ المشايخ أستاذُ الجماعةِ، مقدَّمُ الطائفة، الجامعُ للطّريقين.

ولد سنة سبع وسبعين وثلاث مئة.

وسمعَ الحديثَ من: الحاكم، والأهَوازي، والسُّلمي وغيرهم.

وروى عنه: الخطيبُ، وغيرهُ.

وكان فقيهاً من رفعاء[2] الشافعية، أصولياً متحققاً، متكلِّماً سُنِّياً مُحدّثاً، حافظاً مُفسراً مُفتياً، نَحوياً لُغويّاً أديباً، كاتباً شاعراً، مليحَ الخطِّ جداً، شجاعاً بطلاً، أجمع أهلُ عصره على أنَّه سيِّدُ زمانه، وقدوةُ وقتهِ وأَوانه.

لم يرَ مثلَ نفسه، ولا رأى الرَّاؤون مثلَه في كلامه وبَراعته، جمعَ بين الشَّريعة والحقيقة.

وأمَّا المجالسُ في التَّذكيرِ والقعودُ بين المريدين، وأجوبةُ أسئلتهم عن الوقائع فأَجمعوا على أنَّه عديمُ النَّظير فيه، وتصانيفه في ذلك مشهورةٌ.

وقد ترجمه في «دمية القصر»[3] فقال: الإمامُ، شيخُ الإسلام، الجامعُ لأنواعِ المحاسنِ، تنقادُ إليه صعابُها، لو قُرِعَ الصَّخرُ بسَوطِ تحذيره لذابَ، ولو رُبطَ إبليسُ في مجلسِ تذكيره لتاب، وله «فصل الخطاب، في فضلُ النطقِ المستطاب»[4] ماهرٌ في التكلّم على مذهب الأشعري، خارَجٌ في إحاطته بالعلوم عن الحدِّ البشريِّ، كلماتُه للمُستفيدين فوائد، وعتباتُ منبره للعارفين

= طبقات ابن قاضي شهبة ١/ ٢٧٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٩١، طبقات المفسرين للسيوطي ٢١، طبقات المفسرين للداوودي ١/ ٣٣٨، مفتاح السعادة ١/ ٤٣٨، تاريخ الخميس ٢/ ٣٥٨، كشف الظنون ٥٢٠، ١٢٦٠، ١٥٥١، شذرات الذهب ٣/ ٣١٩، هدية العارفين ٦٠٧.

(١) في المطبوع: الفرقدين.

(٢) في (أ) رفقاء، وفي المطبوع: من فقهاء.

(٣) دمية القصر ٢/ ٩٩٣.

(٤) في الأصل: فصل الخطاب وفضل المنطق المُستطاب. والمثبت من دمية القصر وكشف الظنون ٢/ ١٢٦٠

وسائد، وقد بلغ أتباعُه ألوفاً، وحضر درسَه الجمعُ الكثير من الأكابر.

مرضَ له ولدٌ بحيثُ أيسَ منه، فشقَّ عليه، فرأى الحقَّ تعالى في النَّومِ، فقال: اجمعْ آياتِ الشِّفاء واقرأها عليه، واكتبْها في إناء واسقِهِ إيَّاها، ففعل، فعُوفي.

ومن تصانيفه «التفسير الكبير» قال ابن خلّكان[1]: من أجودِ التَّفاسير[2] و «الرسالة» المشهورة التي قلّما تكونُ في بيتٍ ويُنكب. و «التَّحْبِير في التَّذكير»[3] و «آداب الصوفية» و «لطائف الإشارات» وكتاب «الجواهر» و «عيون الأجوبة في أصول الأسئلة» وكتاب «المناجاة» وكتاب «نحو القلوب الكبير» و «الصغير» وكتاب «أحكام السَّماع» و «الأربعين» وغير ذلك[4].

وخلَّفَ ستّةَ رجالٍ عبادِلة، كلُّهم من السيِّدة فاطمة ابنة الأستاذ أبي علي الدَّقاق رضي الله عنه.

ومن كلامه:

التَّوحيدُ في كلمةٍ واحدةٍ، كلّ ما تصورتْهُ الأوهام والأفكارُ فاللهُ بخلافه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وقال: الاستقامةُ تُوجبُ الكرامة.

وقال: الإخلاص إفرادُ الحقِّ في الطَّاعةِ بالقصد، أو يقال: تصفيةُ الفعل[5] عن مُلاحظة مخلوقٍ.

وقال: المُريدُ لا يَفتُر آناءَ الليل وأطرافَ النَّهار، فهو في الظاهر بنَعْتِ

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٠٦.

(٢) سماه ابن خلكان: التيسير في علم التفسير.

(٣) ضمنه معاني أسماء الله تعالى في تسعة وتسعين باباً. كشف الظنون ١/ ٣٥٤ وفي الأصل: التحرير.

(٤) انظر أسماء مؤلفات القشيري في هدية العارفين ١/ ٦٠٧.

(٥) في المطبوع: العقل.

المُجاهداتِ، وفي الباطن بوصفِ المُكابدات[1]، فارقَ الفراشَ، ولازم الانكماش، وتحمَّل المصاعبَ، وركبَ المتاعب، وعالجَ الأخلاق، ولازم المشَاق، وعانقَ الأهوال، وفارقَ الأشكال.

وقال: الخَلوةُ صفةُ أهلِ الصَّفوة، والعزلةُ من أمارات الوصلة، ولا بدَّ للمُريد في ابتداء أمره من العزلةِ عن أبناءِ جنسه، ثم في نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه.

وقال: حقيقةُ العُزلةِ الاعتزالُ عن الخِصال المذمومة، وتبديلُ الصفات بالصِّفات، لا البعدُ عن السَّكنِ والوطن، ولهذا قِيل: العارفُ كائنٌ بائنٌ، أي كائنٌ مع الخلقِ، بائنٌ عنهم بسرِّه.

وقال: زالَ الورعُ، وطُوي بساطه، واشتدَّ الطمعُ وقوي رباطه.

إذا قَسَا القلبُ لم تَنفعْهُ مَوعظةٌ ... كالأرضِ إن سَبختْ لم يَنفعِ المَطَرُ

مات سنة خمسٍ وستين وأربع مئة، ودُفن بجانب أُستاذه الدَّقاق رضي الله تعالى عنهما.

* * *

(٣٩٣) عبد المحسن بن أحمد الورادي[*]

الفقيه العابد الزاهد المُتَّقي[2]، كان يَجتمعُ بالخَضرِ عليه السَّلام، ويُصلِّي معه الصَّلوات الخمس بمكَّةَ.

ومن كراماته:

أنه كان يُقيم بدِمياط، فكان أهلُها إذا رأوا مركبَ النَّصارى جاؤوه، فيدعو، فيتغيَّرُ الهواءُ، فترجع المركب.

---

(١) في المطبوع: في الظاهر يبيت المجاهدات، وفي الباطن يواصل، وانظر طبقات السبكي ٥/ ١٦٠.

(*) تحفة الأحباب ٣٤٩، الكواكب السيارة ٢٤٦، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٣١ وسيذكره المؤلف رحمه الله في الطبقات الصغرى ثانية ٤/ ٤٣٣.

(٢) في (أ) و (ف) المفتي.

وكان يقول: وددتُ لو حَججْتُ، ويُرى كلَّ عامٍ بعرفة.

وخرج من دمياط مرّةً فتبعَهُ رجلٌ منها، فما شعرَ إلاّ وهو بمكَّة وقتَ الظهر، ثم فارقَهُ فبكى، فقيل له: إنَّه يَحضرُ العصرَ، فحضرَ، فتبعه فإذا هو بدمياط، فقال له: ادعُ لي. فقال له: ما جرتْ بذلك عادةٌ، فشاعَ ذلك في الناس، فهربَ إلى مصر، فخرجوا خلفَه فوجدوه ماتَ بجامع مصر، فمشى الخليفةُ في جنازته، وذلك سنة خمس وسبعين[1] وأربع مئة رضي الله عنه.

* * *

(٣٩٤) علي بن الحسن الخِلَعي[*]

نسبة إلى بيع الخِلَع، الفقيه الشَّافعيُّ المُحدِّثُ، العبدُ الصَّالح، مَوصليُّ الأصلِ، مصريُّ الدَّار.

ولِيَ القضاءَ، فحكمَ يوماً واحداً، واستعفى وانزوى بالقَرافةِ، فكان مُلازماً للانقطاع والتعبُّدِ طولَ عمره، لم يَركنْ إلى زيدِ الزَّمانِ وعمره، دائمُ الحذر، عالي الهمَّةِ، وافرُ الحرمة، وكان مُسنَد مصرَ بعد الحبَّال[2].

وكان يحكم بَين الجنِّ، ويُقرئهم، فأَبْطؤوا عليه جُمعةً، فسألهم، فقالوا: كان في بيتك أُتْرُجٌ، ولا ندخل مكاناً يكون فيه[3].

وقبره في القَرافةِ يُعرف بقبر قاضي الجنِّ، ويُعرفُ بإجابة الدُّعاء عنده.

---

(١) في المطبوع: وتسعين، انظر مصادر الترجمة.

(*) وفيات الأعيان ٣/ ٣١٧، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٧٤، دول الإسلام ٢/ ٢٢، العبر ٣/ ٣٣٤، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٣، الوافي بالوفيات ٢٠/ ، مرآة الجنان ٣/ ٢٥٥، طبقات السبكي ٥/ ٢٥٣، طبقات الإسنوي ١/ ٤٧٩، تبصير المنتبه ٢/ ٥٥٠، النجوم الزاهرة ٥/ ١٦٤، حسن المحاضرة ١/ ٤٠٤، كشف الظنون ٧٢٢، ١٢٩٧، شذرات الذهب ٣/ ٣٩٨، هدية العارفين ١/ ٦٩٤، الرسالة المستطرفة ٩١.

(٢) في المطبوع: وكان سنداً لمصر كالجبال. وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٧٥ والحبال هو إبراهيم بن سعيد بن عبد الله، انظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٩٥.

(٣) في الأصول أترنج، ولا ندخل مكتنه. والمثبت من طبقات السبكي ٥/ ٢٥٤.

وكان على قدمٍ عجيب في الزُّهد والتعبُّدِ، ولا يلبسُ إلاّ قميصاً واحداً شتاءً وصيفاً، فسُئل عنه، فقال: أخذتني الحُمّى، فنمتُ ليلة فهتف بي هاتفٌ، ناداني باسمي، فقلتُ: لبَّيكَ داعيَ الله، فقال: قل: لبَّيكَ ربِّي الله، ما تجدُ من الألم؟ فقلت: إلهي وسيِّدي، الحُمّى. قال: قد أَمرتُها أنْ تُقلعَ عنك، قلت: والبرد، قال: والبرد، فلا تجدُ ألمَ البردِ ولا الحرِّ، فكان كذلك.

وخرَّجَ له أبو نصر الشِّيرازي[1] رضي الله عنه عشرين جزءاً سمَّاها «الخِلعيات»[2].

ومن تصانيفه «المغني» في الفقه في أربعة أجزاء رضي الله عنه.

مات سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة، ودُفنَ بالقَرافة.

* * *

(٣٩٥) علي بن الخطَّاب الجريري(*)

كان من أكابر الصَّالحين، ومن رؤوس الأولياء الشَّامخين، صدرُه للسَّالكين مَشروح، وبابُه للمُريدين مَفتوح، وهو من شيوخ مَشايخ العارفِ ابن عربي رضي الله عنه.

ومن كلامه:

رأيتُ الحقَّ تعالى في النوم، فقال لي: يا ابنَ الخطاب، تمنَّ، قال: فسكتُّ، فقال ذلك ثلاثاً، ثم قال لي في الرَّابعة: يا ابنَ الخطَّاب، أَعرضُ عليك مُلكي ومَلكوتي، وأقولُ لك تمَّنَ وتسكت؟! قال: فقلتُ: يا ربِّ، إنّ نطقتُ فبكَ، وإن تكلَّمْتُ فبما تُجريه على لِساني، فما أقولُ؟ قال: قل أنتَ

---

(١) وهو أحمد بن الحسن أبو نصر في الأصول: أبو بكر، والمثبت من طبقات الإسنوي ١/ ٤٧٩، والرسالة المستطرفة ٩٢.

(٢) وهي عشرون جزءاً حديثياً.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

بلسانك، فقلت: يا ربِّ، قد شرَّفتَ أنبياءَكَ بكُتُبٍ نزَّلْتها عليهم، فشرِّفني بحديثٍ ليسَ بيني وبينك فيه واسطةٌ، فقال: يا ابنَ الخطاب، من أَحسنَ إلى مَنْ أساءَ عليه فقد أَخلصَ لله شُكراً، ومن أساءَ إلى من أَحسنَ إليه فقد بدَّلَ نعمةَ الله كفراً، قال: فقلت: يا ربِّ زِدني، فقال: يا ابنَ الخطاب حَسْبُكَ حسبُك. رضي الله عنه.

* * *

(٣٩٦) علي بن عمر القَزوينيُّ الشَّافعيُّ(*)

أحدُ الأولياء المُكَاشَفين بالأسرار، المُتكلِّمينَ على الخواطر، قد مَلأَ الأَقطار ذكره، وعطَّرَ الأمصارَ نشرُهُ، وأَحيا القلوبَ وعظه، وشرحَ صدورَ الصُّدورِ لفظهُ.

قال ابنُ الصَّلاح[1]: أجمعوا على حُسن مُعتقده وزهده وورعه.

سمع حديثاً كثيراً، وتفقَّه على الدَّارَكي، وأخذَ النَّحو عن ابنِ جِنّي.

ومن كراماته:

أنَّه سمعَ الشَّاةَ تَذكرُ اللهَ تعالى، تقول: لا إله إلاّ الله، وكان يتوضَّأُ للعصر، فقال لجماعته: لا تُخرَج هذه الشَّاة غداً للمرعى، فأصبحتْ ميتة.

وقال بعضُهم: مضيتُ لزيارة قبره، فحصلَ لي ما يَذكرُ النَّاسُ عنه من الكرامات، فقلت: ترى أَيش منزلتُه عند الله؟ وعلى قبره مُصحفٌ، ففتحتُهُ فإذا

(*) تاريخ بغداد ١٢/ ٤٣، الأنساب ١٠/ ١٣٨، المنتظم ٨/ ١٤٦، اللباب ٣/ ٣٥، الكامل ٩/ ٥٧٠، طبقات ابن الصلاح ٢/ ٦٢٠، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٠٩، العبر ٣/ ١٩٩، دول الإسلام ١/ ٢٦٠، مرآة الجنان ٣/ ٦١، طبقات السبكي ٥/ ٢٦٠، طبقات الإسنوي ٢/ ٣١١، الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٥٢، البداية والنهاية ١٢/ ٦٢، النجوم الزاهرة ٥/ ٤٩، شذرات الذهب ٣/ ٢٦٨، هدية العارفين ١/ ٦٨٩.

(١) طبقات ابن الصلاح ٢/ ٦٢١.

في أوَّل ورقةٍ منه ﴿ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾ [آل عمران: ٤٥].

وقال المَاورديُّ رضي الله عنه: صلّيتُ خلفَهُ، وعليه ثوبٌ مُطرَّزٌ فقلت في قلبي: أَين المُطرَّزُ، من الزُّهد؟ فلما قضى صلاتَهُ، قال: سُبحان الله، المُطرَّزُ لا يَنقضُ أحكامَ الزُّهد، وكرَّرَه ثلاثاً.

وقال له ابنُ الصبَّاغ رحمه الله: أَيُّها الشيخ، أيُّ شيءٍ أمرتني نفسي أخالفُها؟ قال: إن كنتَ مُريداً فنعم، وإن كنتَ عارفاً فلا، فأنكرَ عليه، فرأى تلك اللَّيلةَ ما أَزعجَهُ، وقائلاً يقول له: هذا بسبب القزويني.

قال: ابن الصَّلاح[١] رضي الله عنه: ذلك لأنَّ العارفَ مَلَكَ نفسَه فَأَمِنَ عليها أنْ تَدعوه إلى محذورٍ، والمُريدُ نفسُه أَمَّارةٌ بالسُّوء، فيُخالفها.

قال ابن هبة[٢] الله: صلَّيتُ خلفَه العشاء بالحَربيَّة[٣]، فخرجَ وأنا معه بالقِنديل بين يديه، فإذا أنا بموضعٍ أطوفُ به مع جماعةٍ، ثم عُدنا إلى الحربيَّة قبلَ الفجر، فأقسمتُ عليه: أين كُنَّا؟ قال: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ [الزخرف: ٥٩] ذلك البيتُ الحرام.

وله حكاياتٌ كثيرة تدلُّ على أنَّ اللهَ أكرمَهُ بطيِّ الأرض.

وقال ابن الدَّلَّال: كنتُ أَقرأُ على ابن فضلان، فقال، وقد جرى ذكر كرامات القزويني: لا تَعتقدْ أنَّ أحداً يَعلمُ ما في قلبك، فخرجتُ فدخلتُ على القَزويني رضي الله عنه، فقال: سُبحان الله، مقاومةٌ مُعارضةٌ رُويَ عن المصطفى ﷺ أنَّه قال «إنَّ تحتَ العرشِ رِيحاً هَفَّافةً تهبُّ إلى قلوبِ العارفين» ورُوي عنه: «كان فيمن مَضى قَبْلكم مُحدَّثون، فإنْ يكنْ في أُمَّتي فعُمَر»[٤]..

---

(١) طبقات ابن الصلاح ٢/٣٢٦.

(٢) في الأصل ابن حبة. واسمه محمد بن هبة الله خادم القزويني، انظر طبقات ابن الصلاح ٢/٦٢٨.

(٣) الحربية: محلة كبيرة مشهورة ببغداد، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي أحد قواد المنصور. معجم البلدان.

(٤) تقدم تخريجه: ٢/١٠١.

وقال بعضُهم: دخلتُ مسجدَهُ، وقد حُمل إليه تفاحٌ ومِشمش كثيرٌ، وهو يفرِّقُهُ على ضعفاء الحربيَّة، فاستكثرتُهُ فرفعَ رأسَه حالاً، وقال: تَستكثرونَ هذا؟ لو رأَيتم ما يُنفقُ في المعاصي.

وقال بعضُهم: أصابتني ريحُ المفاصل حتى رميتُ[1] لأجلها، فأَمَرَّ القزويني يده عليها من وراء كمي[2]، فقمتُ من ساعتي مُعافى.

وقال أبو طاهر[3] رضي الله عنه: أردت سفراً، وكنتُ خائفاً، فدخلتُ للقزويني رضي الله عنه أَسأَله الدُّعاء، فقال قبلَ أن أسأَلَهُ: من أرادَ سفراً ففزِعَ من عدوٍ أو وحشٍ فليقرأ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١] فإِنَّها أمانٌ من كلِّ سوءٍ، فقرأتها فلم يَعْرضْ لي عارضٌ حتى الآن.

مات سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة، وأُغلقت البلدُ لمشهده، ولم يُر في الإسلام بعد جنازةِ أحمد ابن حنبل رضي الله عنه أعظم من جنازته. وصلّى النَّاسُ عليه كيفَ توجَّهوا، ولم يُوضعْ إلى الأرضِ لكثرةِ الخلق، وأُغلقتِ المساجدُ والمكاتبُ والحمامات ولم يسعِ النَّاسَ جامعٌ، ولا أمكن أن يصلّي عليه إمامٌ مُعيَّنٌ، وكانت الضجَّةُ تمنعُ التَّبليغَ، فصلّى أكثرُ الناسِ فُرادى.

* * *

---

(١) في المطبوع: مرضت.
(٢) في طبقات السبكي ٥/ ٢٦٥: من وراء كمه.
(٣) في الأصول قال ابن طاهر: أدركت، والمثبت من طبقات ابن الصلاح ٢/ ٦٣٣، وطبقات السبكي ٥/ ٢٦٦.

(حرف الغين المعجمة)

(٣٩٧) غوث البغداديُّ[*]

العابدُ الزَّاهد، صاحبُ المُكاشفات والمشاهد.

كان ببغداد، وكان يَختفي تارةً، ويظهرُ أُخرى متى شاء فقصدَهُ الإمامُ ابنُ أبي عَصرون[(١)]، وابن السَّقاء[(٢)]، والشيخُ عبدُ القادر الجيلاني[(٣)] وهو شابٌ يَومئذٍ إلى زيارته، فقال ابنُ السَّقاء في الطريق: اليومَ أسأَلُهُ مسألةً لا يعلمُ جوابَها. وقال ابنُ أبي عصرون: أسألهُ فأنظرُ ماذا يقول. وقال الجيلاني: معاذ الله أن أسأَلَهُ، بل أتبرَّكُ برؤيته، فدخلوا عليه، فلم يَروه مكانَهُ، فمكثوا ساعةً فإذا هو جالسٌ، فقال لابن السَّقاء وهو لا يعرفه: يا ابن السقاء، تَسألني مَسألةً لا أَعرفُ جوابَها، هي كذا، وجوابُها كذا، إني أرى نارَ الكُفرِ تتلهَّبُ فيك. ثم قال لابن أبي عَصرون: تَسألني تنظر ما أقولُ؟ أردتَ تَسألُ عن كذا، وجوابُه كَذا، لتغمرنَّكَ الدُّنيا إلى شَحمتي أُذنيك لإساءةِ أدبكَ. وقال للجيلي رضي الله عنه: لقد أَرضيتَ اللهَ ورسولَه بأدبِكَ، أراكَ وقد صعدتَ الكرسيَّ مُتكلِّماً على النَّاس، وقلتَ: قدمي على رقبةِ كلِّ وليٍّ لله. رضي الله عنه.

(*) نشر المحاسن الغالية ٢٩٢، حياة الحيوان للدميري ١/ ٢٩٧.

(١) ابن أبي عصرون: عبد الله بن محمد بن هبة الله التميمي، شرف الدين أبو سعد، فقيه شافعي، من أعيانهم، ولد بالموصل سنة ٤٩٢، وانتقل إلى بغداد، واستقرّ في دمشق فتولّى بها القضاء، له تصانيف توفي سنة ٥٨٥.

(٢) انظر ترجمة يوسف بن أيوب في الصفحة ٣١٤ من هذا الجزء.

(٣) سيذكر المؤلف ترجمته صفحة ٢٥٣ من هذا الجزء، وقد توفي سنة ٥٧١.

(حرف الفاء)

(٣٩٨) الفضل بن محمد الفَارَمَذِيُّ(*)

من أهل طُوس، كان عالماً شافعياً، عارفاً بمذاهبِ السَّلفِ، ذا خبرةٍ بمناهج الخلف، وأمَّا التَّصُّوفُ فذاك عشُّه الذي منه درج، وغابه الذي ألفه ليثه ودخله وخرج.

تفقَّه على الغزالي الكبير، وأبي عثمان الصَّابوني، وغيرهما.

قال عبد الغافر[1] رحمه الله: كان شيخَ عصره، مُنفرداً بطريق في التذكير لم يُسبق إليها في عبارته وتهذيبه، وحُسنِ أدبه، ومليح استعارته، ودقيق إشارته، ورقيق ألفاظه، ووقع كلامه في القلوب.

صحبَ القُشيريَّ رضي الله عنه، وأخذ عن[2] حجَّةِ الإسلام.

وجدَّ واجتهد، وكان مَلحوظاً من القُشيري بعين العناية، مُوقَّراً عليه من طريقِ الهداية حتى فُتحَ عليه لوامع من أنوارِ المجاهدة، وصار من مَذكوري الزَّمانِ، ومَشهوري المشايخ، وكان لسانَ الوقت.

(*) الأنساب ٩/ ٢١٩، معجم البلدان ٤/ ٢٢٨، اللباب ٢/ ٤٠٥، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٦٥، العبر ٣/ ٢٨٨، دول الإسلام ٢/ ٨، مرآة الجنان ٣/ ١٢٢، طبقات السبكي ٥/ ٣٠٤، طبقات الإسنوي ٢/ ٢٧١، شذرات الذهب ٣/ ٣٥٥. والفارمذي نسبة إلى فارمذ قرية من قرى طوس.

(١) في المطبوع: عبد القادر.

(٢) في الأصول: عنه. وانظر الأنساب ٩/ ٢١٩، وطبقات السبكي ٥/ ٣٠٥.

وقال السَّمعاني رضي الله عنه: كان لسانَ خراسان، وشيخَها، وصاحبَ الطَّريقةِ الحسنة في تربية المُريدين، وكان مَجلسُ وعظِهِ روضةً ذات أنواعٍ من الأزهار.

مات سنة سبعٍ وسبعين وأربع مئة رضي الله عنه.

* * *

(٣٩٩) فضل الله بن أحمد المِيْهنيُّ(*)

الزَّاهدُ المُتَّقي، الوليُّ ذو الكراماتِ الباهرة، والآياتِ الظاهرة. كان يَستحضرُ من بحارِ التَّصوُّف الزَّاخرة كلَّ فائدةٍ مُهمة، ومن كواكبه السيارة كلُّ نيِّرٍ يَجلو حنادس الظُّلمة.

أخذَ عن: زاهر السَّرخسيِّ، وغيره.

وعنه [سلمان بن](١) ناصر الأنصاري، وغيره.

وكان صحيحَ الاعتقاد، حسنَ الطَّريقةِ، أحوالُه تُبهرُ العقول، اهتدى به فِرَقٌ من الناس.

وكان مُقدَّمَ شيوخِ الصُّوفية، وأهلِ المعرفة في وقته، سَنِيَّ الحال، عجيبَ الشان، أَوحَد الزمان، لم يُر في طريقته مثلُه مُجاهدةً وإقبالاً على الأعمال، وتجرداً عن الأسباب، وإيثاراً للخلوةِ، واشتهاراً بالإصابة في الفراسة، وظهور الكراماتِ والعجائب.

قال السُّبكي(٢): ومع صحَّةِ عقيدته، وحُسنِ طريقته لم يَسلم من كلامِ

(*) الأنساب ١١/ ٥٨٠، اللباب ٣/ ٢٨٥، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٢٢، طبقات السبكي ٥/ ٣٠٦، طبقات الأولياء ٢٧٢، النجوم الزاهرة ٥/ ٤٦، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ١٤٥، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٣٥.

(١) ما بين معقوفين مستدرك من طبقات السبكي.

(٢) طبقات الشافعية ٥/ ٣٠٧.

ابن حزم والذَّهبي، ولم يظهرْ لنا منه إلاّ صحّةُ الاعتقاد، لكنَّه أشعريٌّ صوفيٌّ، فمن ثمَّ نالَ منه الرَّجلان، وباءا بإثمه.

وممّا يُؤثر من كلامه: التَّصُوفُ طرحُ النَّفسِ في العبوديةِ، وتعلّقُ القلبِ بالرُّبوبيَّةِ، والنَّظرُ إلى الله بالكُلّية.

ومن كراماته: أن رجلاً من التجَّارِ انقطعَ من رِفقته، فمرَّ بالشَّيخِ، فسألَه عن حالِه، فشرحَهُ له، فمرَّ أسدٌ، فقال: اركبْ هذا، وقال للأسد: احملْه إلى رُفقائه، فحملَهُ إليهم ثم ذهب.

ومنها: أن صالحاً خادمَه جاءَ يوماً من السُّوقِ ويداه مَشغولتان، وقد انحلَّ سَراويله، فقال الشَّيخُ لمن عنده قبلَ أن يقدمَ صالحٌ، وقبلَ أن يَراه: أَدركوا صالحاً، وشدُّوا سراويلَه.

مات سنة أربعين وأربع مئة رضي الله عنه.

* * *

(حرف الميم)

(٤٠٠) محمد بن الحسين الرَّاذَانيُّ(*)

العابدُ الزَّاهد، المنقطعُ إلى الله، كان من ساداتِ القومِ، مُجابَ الدَّعوةِ.

قال ابن باطيش: كانت له كراماتٌ ظاهرة، وخوارقُ مُتواترة. منها:

أنَّه أرادَ أن يَخرجَ إلى الصَّلاةِ، فأتاه ابنٌ له صغير، فقال: يا أبي، أريدُ غزالاً أَلعبُ به، فسكت، وألحَّ عليه الصَّبيُّ، وقال: لا بدَّ لي من غزالٍ، فقال له: اسكتْ يا بُني، غداً يأتيك غزالٌ، فمن الغدِ كان الشيخُ قاعداً في بيته، فجاء غزالٌ ووقفَ على بابه، وصارَ يضربُ بقرنه الباب حتى فتحوا له، فقال لابنه: قد جاءَكَ الغزال خذه.

مات في جمادى الأولى سنة أربع وتسعين وأربع مئة رضي الله تعالى عنه.

* * *

(٤٠١) محمد بن الحسين الأزدي(**)

محمد بن الحسين بن موسى الأزدي، أبو عبد الرَّحمن السُّلمي جدًّا، النَّيسابوريُّ بلداً، إمامٌ يُقتدى بمقالاته، وزاهدٌ يُهتدى بأنوار أحواله ومقاماته.

(*) الأنساب ٦/ ٣٦، المنتظم ٩/ ١٢٧، معجم البلدان ٣/ ١٣، اللباب ١/ ٤٤٩، الوافي بالوفيات ٢/ ٣٤٦، البداية والنهاية ١٢/ ١٦١، توضيح المشتبه ٤/ ٨٨.

(**) تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٨، الأنساب ٧/ ١١٣، المنتظم ٨/ ٦، الكامل لابن الأثير ٩/ ٣٢٦، اللباب ٢/ ١٢٩، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٦٠، العبر ٣/ ١٠٩، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٤٧، ميزان الاعتدال ٣/ ٥٢٣، دول الإسلام ١/ ٢٤٦، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٤٦، الوافي بالوفيات ٢/ ٣٨٠، مرآة الجنان ٣/ ٢٦، طبقات السبكي =

سمعَ من أهلِ الرِّوايةِ، وأخذَ عن أربابِ الدِّراية، ورحلَ إلى الأقطار، وبلغَ المقاصد والأوطار، ثم كرَّ راجعاً إلى خُراسان، وصار عالمها وصوفيَّها ومُحدّثها المُشار إليه ببديعِ البيان، ورؤوس البنان.

سمعَ الحديثَ من: حاتمَ الأصم رضي الله عنه، وغيره.

وعنه: الحاكمُ، والقُشيريُّ، والبَيهقي رضي الله عنهم.

وكان شيخَ الطَّريق في وقته، الموفَّق في جميعِ علوم الحقائق، ومعرفة طريقة التَّصوُّف، وافرَ الجلالة، عظيمَ الشَّأنِ.

أخذ [التصوف][(١)] عن أبيه وجده، وجمع من الكُتبِ ما لم يُسبق إلى ترتيبه، وبلغتْ تصانِيفُهُ نحو المئة.

وحدَّثَ أكثرَ من أربعين سنة.

ومن القول فيه وله وعليه:

قال الخطيب[(٢)] رضي الله عنه عن القطَّان: كان السُّلميُّ يصنعُ للصوفية [الأحاديث].

قال الخطيب رضي الله عنه: كان عند أهلِ بلده جَليلاً، وكان مع ذلك محموداً صاحبَ حديث.

قال السُّبكي[(٣)] رحمه الله: وقولُ الخطيبِ هو الصَّحيح، وأبو عبد الرحمن ثقةٌ، ولا عبرةَ بهذا الكلام فيه.

= ٤/ ١٤٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٢، طبقات الأولياء ٣١٣، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٥٦، لسان الميزان ٥/ ١٤٠، طبقات الحفاظ ٤١١، طبقاتِ المفسرين للسيوطي ٣١، طبقات المفسرين للداوودي ٢/ ١٣٧، كشف الظنون ٢/ ١١٠٤، شذرات الذهب ٣/ ١٩٦، هدية العارفين ٢/ ٦١، وانظر مقدمة كتاب طبقات الصوفية التي كتبها الأستاذ نور الدين شريبة.

(١) ما بين معقوفين من طبقات السبكي ٤/ ١٤٤.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٨، وما بين معقوفين مستدرك منه.

(٣) طبقات السبكي: ٤/ ١٤٥.

وذكر العارف ابنُ عربي رضي الله عنه أنَّه كان في مقامِ القُربة، فإنه قالَ: دخلتُ هذا المقام، وهو بين الصدّيقيَّة والنُّبوَّةِ سنة سبع وتسعين وخمس مئة، وأنا مسافرٌ بمنزل ببلاد المغرب[1]، فتهتُ به فرحاً، ولم أجدْ به أحداً، فاستوحشتُ من الوحدة، وتذكَّرتُ دخولَ أبي يَزيد رضي الله عنه بالذِّلَّةِ والافتقار، فلم يجدْ في ذلك المنزل[2] أحداً، فرحلتُ وأنا على تلك الحالِ من الوحشةِ بالانفراد[3]، والأُنسُ إنَّما يقعُ بالحسِّ، فنزلتْ عند رجلٍ فشكوتُ له انفرادي بمقامٍ أنا مسرورٌ به، فبينما هو يُؤانسني إذ لاحَ لي ظلُّ شخصٍ، فنهضتُ، إليه فعانقني، فتأمَّلتُهُ فإذا هو أبو عبد الرَّحمن السُّلمي، وقد تجسَّدتْ لي روحُه، فقلت له: أراكَ في هذا المقام، فقال: فيه قُبضتُ، وعليه متُّ، فأنا فيه لا أَبرحُ، فذكرتُ له وحشتي، فقال: الغريبُ مُستوحشٌ، فاحمدِ الله، ألا ترضى أن يكونَ الخضرُ عليه السلام صاحبَك في هذا المقام، وقد أنكرَ عليه مُوسى عليه السلام حالَه مع ما شهد الله عنده بعدالته، ومع هذا أنكرَ عليه ما جَرى، وما أراه سوى صورتَه، وعلى نفسه أنكَر، وأوقعه[4] في ذلك سُلطان الغيرةِ التي خصَّ الله بها رسله، ولو صبرَ لرأى العجائبَ، فإنَّه كانَ أعدَّ له ألفَ مسألةٍ كلّها جرتْ لموسى عليه الصلاة والسلام، وكلُّها يُنكرها على الخضر عليه السلام اهـ.

ومن كرامات أبي عبد الرحمن رضي الله عنه ما قال القُشيريُّ[5] رضي الله عنه: كنتُ بين يدي العارفِ الدَّقاق رضي الله عنه، فجرى حديثُ أبي عبد الرحمن وأنَّه يقومُ في السَّماع مُوافقةً للفقراء، فقال الدقاق: مثْلُه في حالِه السكونُ أَولى به، امضِ إليه تجدْه قاعداً في بيتِ كتبه، وعلى وجهِ الكُتبِ مُجلَّدةٌ صغيرةٌ فيها أشعارُ الحسينِ بن منصور، فهاتها ولا تقل له شيئاً، فدخلتُ

---

(١) في المطبوع: بمنزلة الجبل ببلاد الغرب. وفي (أ) بمنزل ايجيل. راجع الفتوحات ٢/ ٢٦١.
(٢) في المطبوع: فلم أجد في ذلك المكان.
(٣) في المطبوع: الوحشة والانفراد.
(٤) في المطبوع: ورافقه.
(٥) ذكره الخطيب عن القشيري، تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٨.

عليه، فإذا هو كذلك فلما[1] قعدتُ، أخذَ في الحديث، وقال: بعضُ النَّاسِ يُنكر على واحدٍ من العُلماءِ حركتَه في السَّماع، فرُئيَ ذلك الإنسانُ يوماً خالياً وهو يَدورُ كالمُتواجد، فسُئل عن حاله، فقال: كانتْ مَسألةٌ مُشكلة عليَّ، فظهرَ لي معناها، فلم أَتمالك حتى قمتُ أَدورُ، فقلت: مثلُ هذا يكونُ حالهم، قال القُشيريُّ رضي الله عنه: فلما رأيتُ ذلك منهما تحيَّرتُ كيفَ أفعلُ بينهما؟ فقلت: لا وجهَ إلاّ الصدق، فقلت: إنَّ أبا عليٍّ وصفَ هذه المُجلَّدةَ، وقال: احملها إليَّ من غيرِ علمِ الشَّيخِ، وأنا أَخافُكَ ولا يُمكنني مخالفته، فأشر بأمرٍ، فأخرجَ أجزاءً من كلام الحسين وفيها تصنيف له سماه «الصَّيهور في نقض الدُّهور» وقال: احمله إليه.

قال الذهبي رضي الله عنه: كان السُّلمي رضي الله عنه وافرَ الجلالةِ، وتَصانيفُهُ قيل نحو الألف، وله كتابٌ سمَّاه «حقائق التفسير» ليته لم يُصنفْهُ، فإنَّه تحريفٌ[2] وقرمطة، فدونَكَ الكتاب ترى العجبَ.

قال السُّبكي[3] رحمه الله: ولا ينبغي له وصفه بالجلالة، ثم يدّعي فيه التحريف، وتفسيرُه كثرَ الكلامُ فيه من جهة أنَّه اقتصرَ على التأويل، ومحالّ للصوفية، يَنبو عنها[4] ظاهر اللَّفظ.

ومن كلامه:

المحبةُ إذا بلغتْ درجتُها حدَّ السُّكرِ فلا ينبغي أن يُبالي صاحبُها بعارٍ ولا بنارٍ، ولا شنارٍ؛ فقلبُه لا يَلتفتُ لشيءٍ ممَّا في هذه الدار، قلبُه طيَّارٌ، وبدنُه سيَّار.

وقال: المحبَّةُ إذا غلبتْ على صاحبها يرى الأشياءَ كلَّها بصفةِ صورةِ مَحبوبه.

مات سنة اثنتي عشرة وأربع مئة رضي الله تعالى عنه.

* * *

---

(١) في الأصول: فكلما. والمثبت من تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٩، وطبقات الصوفية ٤/ ١٤٥.
(٢) في المطبوع: تخريف.
(٣) طبقات السبكي ٤/ ١٤٧.
(٤) في الأصول: وكلام للصوفية ينبىء عن. والمثبت من طبقات السبكي ٤/ ١٤٧.

(٤٠٢) المُظفَّر بن أَزْدَشير العباديُّ(*)

أبو منصور، الزَّاهدُ العابدُ الواعظ، كان من الصُّوفيَّةِ الأعيان، موصوفاً بعلوِّ المكانةِ وثبوتِ الأركان، كان من أحسنِ النَّاسِ كلاماً في الوعظِ والتَّصوُّف، وأوسعهم عبادةً، وأحلاهم إشارة.

أخذ عن: زاهرٍ، وغيره.

وعنه: ابن أبي الأخضر[1]، وغيره.

مات رضي الله عنه سنة سبع وأربعين وأربع مئة[2].

من كلامه:

لا تظنُّوا أنَّ الحَيَّاتِ تجيءُ إلى القبورِ من خارجٍ، إنَّما هي أفعالُكم أفعى لكم، وحيَّاتُكم ما أَكلتُمْ من الحرام أيَّامَ حياتكم.

اللَّهُمَّ، انفعنا بهم وبعلومهم، آمين.

* * *

(*) الأنساب ٨/ ٣٣٧، المنتظم ١٠/ ١٥٠، اللباب ٢/ ٣١٠، وفيات الأعيان ٥/ ٢١٢، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٣١، البداية والنهاية ١٢/ ٢٣٠، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٠٣ قيل أردشير، وأزدشير، انظر ما قاله ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢/ ٣٥٦ وهو من رجال الطبقة السادسة، فإن وفاته سنة ٥٤٧ هجرية.

(١) في السير ٢٠/ ٢٣١: ابن الأخضر.

(٢) كذا في الأصول، وهو خطأ فقد أجمعت المصادر التي ترجمته أن وفاته كانت سنة (٥٤٧).

الطبقة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمدُ لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وبذكرِ أوليائه تُنزَّلُ البركات، والصَّلاةُ والسَّلام على أشرفِ المخلوقاتِ، المؤيد بأبهرِ المعجزات، وأظهرِ الكرامات، محمد المصطفى على جميعِ البريات وآله وصحبه في أجمعِ الحالات.

وبعدُ فهذه الطبقة السَّادسة من الكواكب الدُّرية فيمن ماتَ بعد الخمسمئة وهم أحد وخمسونَ[1].

أبو إسحاق بن طريف. أبو السعود بن شبل. أبو يعزى المغربي. أبو بكر النابلسي. أحمد بن أبي الخير الصياد. أبو هاشم قسي. أبو الفتوح الطوسي. أحمد الرفاعي. أبو العباس بن العريف. أبو عبد الله الفوال. أبو القاسم الأقطع. بقاء ابن بطو. جاكير الكردي. حسن بن عتيق. شعيب أبو مدين. طاهر أبو الفتح الميهني. عبد الله المغاور. [محمد بن] عبد الله أبو ثور. عبد الرحمن الخرقي. عبد الرحيم أبو النصر بن القشيري. عبد القاهر أبو النجيب السهروردي. عبد القادر الجيلاني. عبد السلام اللخمي. عبد الرحيم القنائي. عبد الملك الطبري. عثمان بن مرزوق. عدي بن مسافر. عقيل المنبجي. علي بن إبراهيم الأنصاري. علي بن أحمد الزيدي. علي الكردي. علي السنجاري. علي بن الهيتي. القاسم بن محمد البصري. قضيب البان.

---

(١) في (أ): وهم تسعة وأربعون.

ماجد الكردي. محمد الحصّار. محمد السنهوري. محمد أبو الفتوح الإسفراييني. محمد بن قائد القرشي. محمد أبو عبد الله القرشي. محمد بن الموفق الخبوشاني. محمد بن رسلان. محمد حجة الإسلام الغزالي. مطر الكردي. موسى بن ماهين المارديني. مفرج المجذوب. يحيى الشهاب السهروردي. يحيى بن بغان. يوسف الكومي. يوسف الهمداني.

* * *

(حرف الهمزة)

(٤٠٣) أبو إسحاق إبراهيم بن طريف(*)

شيخُ الشَّيخ العارف ابن عربي رضي الله عنه.

كان عظيمَ المقدار، رفيعَ المنار، مَقصوداً من جميع الأقطار.

ومن كلامه:

الشيخُ لا يَنسى من يعرفه، وإن كان الشيخُ لا يعرفه فيسألُ الله تعالى أن يعفوَ ويغفرَ عن من سمع بذكره فسبَّه وذمَّه، أو أثنى عليه خيراً.

قال العارفُ ابنُ عربي[١] رضي الله عنه: وهذا ذقتُهُ في نفسي، وأعطانيه ربّي عزَّ وجلَّ بحمد اللهِ، ووعدني بالشَّفاعةِ فيمن أدركَهُ بصري ممن أَعرفُ، وغيره قال: وهذا مذهبُ شيخنا أبي إسحاق رضي الله عنه وهو من أكبر من لقيته، وقد سمعتهُ يقولُ وأنا عنده بمنزلة الجزيرة الخضراء سنة تسعٍ وثمانين وخمس مئة، يا أخي، النَّاسُ اثنان ذامٌّ ومُثنٍ، واللهِ ما أرى النَّاسَ في حقّي إلاّ أولياء عن آخرهم ممن يَعرفني، قلت له: كيف؟ قال: الناسُ الذين رأوني أو سمعوا بي إمّا أن يقولوا في حقّي خيراً أو ضدَّه، فمن قالَ فيَّ خيراً فما وصفني إلاّ بصفته، فلولا ما هو أهل لتلك الصفة ما وصفني بها، فهذا عندي من الأولياء، ومن قالَ فيَّ شراً فهو عندي وليٌّ أطلعَهُ اللهُ على حالي، فإنَّه صاحبُ فِراسةٍ. وكشفٍ، ناظرٌ بنور الله، فهو عندي وليٌّ.

قال: وكان هذا الشَّيخُ من الشُّيوخِ الذين تُحسبُ عليهم أَنفاسُهم، ويُعاقَبون على غَفَلاتهم. مات في عقوبةِ غَفلةٍ غفلها اهـ.

ومن كلامه: قَد يمنعُ اللهُ العبدَ من العملِ اختباراً له لينظرَ حالَه عند الفقدِ لذلك في تضرُّعه وافتقاره وغفلته واستغنائه.

(*) روح القدس ١١٩، التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار ١/١٥٦، روض الرياحين ٨٤ (حكاية ١٤) و٥٣١ (حكاية ٤٣٧)، جامع كرامات الأولياء ١/٢٣٦ (إبراهيم بن أحمد بن طريف) وسيترجم له المؤلف ثانية في طبقاته الصغرى ٤/٧٩.

(١) الفتوحات المكية ١/٦١٧.

وقال: إنَّ اللهَ تعالى يُعيدُ من بركاتِ الحركاتِ الظَّواهرِ على البواطنِ ما يكون سبباً في تنويرها وصلاحها حتى إذا صفتِ السَّرائرُ، وتخلَّصتْ من شَوائب الكدورات عادتْ بالصَّلاحِ على أعمالِ الظواهر فزكتِ الأعمالُ، وارتفعتِ الأحوال بطهارةِ أصولها، وثباتِ أساسها.

وقال: رؤيةُ الفضلِ[1] والمِنَّةِ في العمل وإنْ قلَّ أتمُّ في حقِّ واجبِ الرُّبوبية من رؤية التَّقصيرِ عن المقامِ بحقِّ العبودية.

وقال: إذا خدمَ المُريدُ المشايخَ والأحوال بالأدبِ عادتْ عليه من بركاتِ أحوالهم ما لم يكن يَبلغُهُ بعملٍ، لأنَّ ما يَردُ عليه منهم هو ثوابُ أعمالهم المُتقبَّلة[2]، وما يَرِدُ عليه منه هو ثوابُ عمله، ولا يقدرُ على تخليصه[3] رضي الله عنه.

* * *

(٤٠٤) أبو السعود بن شبل البغدادي[*]

العارفُ الأفخم، والصُّوفيُّ الأعظم، إمامٌ كَملتْ باللهِ أدواته[4]، وصفتْ في مشاهد الحقِّ ذاته، وعُرفتْ في مسالك العرفان خلواته وجلواته، أجلُّ أتباعِ الشيخِ العارف بالله عبد القادر الجيلي رضي الله عنه. الذي قال في حقِّه العارفُ ابنُ عربي رضي الله عنه: إنه أَعلى مقاماً من شيخه، كما سيجيء عنه في ترجمته[5].

وقال في موضع آخرَ من «الفتوحات»: كان إمامَ وقته في الطريق.

وقال: كنتُ بشاطئ دجلة بغداد فخطَر في نفسي هل لله عبادٌ يعبدونَه في الماء؟ فما تمَّ الخاطرُ إلا وبالنهر قد انفلقَ عن رجلٍ، فسلَّمَ عليَّ وقال: نعم يا أبا السُّعود، لله رجالٌ يعبدونه في الماء، وأنا منهم، أنا رجلٌ من تكريت خرجتُ منها لأنَّه بعد كذا وكذا يوماً يقعُ كذا وكذا فيها، فذكرَ أموراً تحدثُ، ثم

---

(١) في المطبوع العقل.
(٢) في المطبوع: أعمالهم المقبلة.
(٣) في المطبوع: تحصيله.
(*) الفتوحات المكية: ١ / ١٩، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٧٤ .
(٤) في المطبوع: إراداته.
(٥) صفحة ٢٦١ من هذا الجزء.

غاب في الماء، فما انقضتْ خمسةَ عشرَ يوماً حتى وقع ذلك.

وقال في موضع آخر في «الفتوحات» لقد أنصف رئيس الطائفة عاقلُ زمانه المتصفة بحاله أبو السُّعود بن شبل حيث قال: نحن تركنا الحقَّ يتصرَّفُ لنا، فلم نزاحمِ الحضرةَ الإلهية.

وقال: في موضع آخرَ: حالُ الصدقِ يُناقضُ مقامه، ومقامُه أعلى من حاله في الخصوص، وحاله أشهرُ وأعلى في العموم، وكان الإمامُ عبدُ القادر رضي الله عنه في حال الصدق لا مقامه، وصاحبُ الحال له الشطحُ وكذلك كان، وكان العارفُ أبو السعود رضي الله عنه تلميذُه مقامه الصدق لا حاله، فكان في العلم مجهولاً لا يُعرف، ونكرةً لا تتعرف، نقيض عبد القادر رضي الله عنه فما سمعنا في زمننا من كان مثل عبد القادر في حال الصدق، ولا مثل أبي السعود في مقام الصدق.

وقال السُّهروردي رضي الله عنه: كان أبو السعود رضي الله عنه من أربابِ الأحوال السَّنيَّةِ، والواقفين[1] في الأشياء مع فعلِ الله، متمكّناً في حاله، تاركاً لاختياره، سبقَ كثيراً من المُتقدّمين في تحقيق تركِ الاختيار، شاهدنا منه أحوالاً صحيحةً عن قوَّةٍ وتمكين.

وقال له رجلٌ: أُريدُ أعيّنُ لك شيئاً كلَّ يومٍ من الخبز، أحملهُ إليكَ، فقال: الصُّوفيةُ تقول: المعلومُ شؤم، فقال: ما تقول ذلك، فإنَّ الحقَّ تصفّى[2] لنا، وفعلُهُ مَرئيٌّ، فكلُّ ما يقيم لنا نَراه[3] مُباركاً، ولا نراه شؤماً[4].

وقال كشيخه العارف الجيلاني رضي الله عنه: شرطُ من يتصدَّرُ للمشيخةِ والتربية أن يَعرفَ تلامذتَهُ من يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ويعرفُ من يُفتح له على يديه، ممّن لا يُفتح له.

وكانَ يتناوُل الطَّعام الواحدَ في اليوم مرَّاتٍ، أيّ وَقتٍ أُحضر إليه أكلَ منه،

---

(١) في المطبوع: الواقعين.

(٢) في (ف): يصفي.

(٣) في (ف) فكلما يقيم لا لنا.

(٤) من قوله: قال السهرودي صفحة ٢٠٩ إلى هنا ليس في (أ) ولا في (ب).

ويَرى أنَّ أكلَه الطَّعامَ أولى مُوافقةً لمراد الحقِّ، وكان حالهُ مع الله تركَ الاختيار في مأكوله وملبوسه، وجميعِ تصاريفه، والوقوفَ مع الحقِّ، وكان يَمكثُ أياماً طويلةً لا يأكلُ ولا يُعلِمُ بذلك أحداً من أهلِه وأصحابِه، وكان لا يتصرَّفُ هو لنفسه، ولا يسبب في تناولِ شيءٍ، بل ينتظرُ فعلَ الحقِّ تعالى. وبقي على هذا الحال سنين، ولم يَشْعرْ به أحدٌ، ثم إنَّ الله أظهرَه، وأقامَ له أصحاباً وتلامذةً يَصنعون له الأطعمةَ الفاخرة، ويأتونَ له بها.

قال السَّهرورديُّ: سمعته يقول: إنِّي أُصبح كلَّ يومٍ والصَّومُ أحبُّ إليَّ من الفطر، فينقضُ اللهُ محبَّتي للصوم بفعله، فأوافق الحقَّ فيما يُريد.

وكان يكلِّمُ أصحابَه بما يُلقيه الله تعالى إلى قلبه، ويقولُ: أتاني هذا الكلامُ، فيقولُ من سمعَهُ: قد تكلَّمَ الشَّيخُ على خاطري. والشَّيخُ ليس معه، حتى لو قيل له: ما في ضميرِ هذا الشَّخصِ؟ لايعرفه[(١)] .

ومن كلامه: لله قومٌ يتكلَّمون على الخاطر، وما هم مع الخاطرِ، يعني يَجري الله على لسان أحدهم ما هو الخاطر[(٢)] عليه من الحالِ، فيقول من سمعه: قد تكلَّمَ الشيخُ على خاطري، والشيخُ ليس معه، حتى لو قيل له: ما في ضمير هذا الشخص ؟ لا يعرفه.

وقال: الرِّزقُ في طلبِ المرزوق دائر، والمرزوقُ في طلبِ رزقه حائر، وبسكونِ أحدِهما يتحرَّكُ الآخر.

وقال: لا يتكبَّرُ أحدٌ على إبليس إلاّ كانَ أسوأ حالاً منه، ولولا علوُّ مَرتبتِهِ في العلم، وعزيمته في الفعل ما خوَّفَ الله منه أحداً.

* * *

(٤٠٥) أبو يَعِزَّى[(*)]

أبو يَعِزَّى، يلنور بن عبد الرحمن بن ميمون الدُّكالي المَغربي عارفٌ شرفُهُ

---

(١) من قوله: وكان يتناول الطعام. . إلى هنا من (م) فقط.

(٢) في المطبوع و (ف): يجري الله على لسانهم ما هو الحاضر.

(*) التشوف إلى رجال التصوف ١٩٥، نفح الطيب ٧/ ١٣٧، ١٣٨ (ضمن ترجمة أبي مدين)، قلائد الجواهر ٩٢، طبقات الشعراني ١/ ١٣٦، جامع كرامات الأولياء =

معروف مرتفع، وخيره[1] مُتفرّقٌ، وخاطره منجمع، كان من أكابر أولياء المغرب، جدَّ واجتهد، ولزمَ البراري والقفار خمسَ عشرَةَ سنة، وكانتِ الأسودُ والوحوش تأوي إليه، والطيور تعكفُ عليه، وإذا خاطبها عقلتْ كلامَه، وعملتْ به، وكان إذا قالَ للأُسود: لا تَسكنوا هنا، أخذت أشبالها[2] وخرجوا جميعاً.

ويقولُ للوحش: اذهبْ إلى محلٍّ كذا، فإنَّ فيه قوتَك، فيذهبُ فيجده.

ثم أُمِرَ بالرُّجوع إلى الناس، فدخلَ المُدنَ، فانتفعَ به خلقٌ كثير، وانتهت إليه رئاسة تربية المُريدين.

قال زرّوق رضي الله عنه: وكان أُميًّا، وإذا غلطَ القارئُ ردَّ عليه، فقيل له فيه، فقال: ما دامَ يَقرأُ القرآنَ فالنُّورُ يخرجُ من فيه، فإذا غلطَ انقطع، فأعرفه.

وكان له الأمور العظيمة في المُجاهدات، ومالا يُحاط به من الكرامات، وكراماتُه بعد مماته أكثر منها في[3] حياته.

قال العارفُ ابن عربي: وكان إذا زنا رجلٌ، أو سرقَ، أو شتمَ، أو فعلَ مُحرّماً ثم دخل عليه يَرى ذلك العضوَ الذي منه العمل مُخطَّطاً تَخطيطاً أسودَ.

وقال العارفُ ابن عربي: وكان لا يَراه أحدٌ إلا عمي من نورِ وجهه، وممّن عمي عند رؤيته الشَّيخُ أبو مدين، فكان لا يُبصر أحداً إلاّ إذا مسحَ وجهَهُ بثوبِ أبي يَعِزَّى فيرتدّ بصيراً، ثم يعمى.

وكان أهلُ المغربِ يَستسقون به فيُسقون.

ومن كلامه: كلُّ حقيقةٍ لا تمحو آثارَ العبدِ ورسومَه فليستْ بحقيقة.

وقال: من طلبَ الحقَّ من جهةِ الفضل وصلَ إليه، وإلاّ لم يصل.

= ٢/ ٢٨٨ (يكنور بن خضر بن عبد الرحمن بن ميمون)، شجرة النور الزكية ١/ ١٦٣ (يلنور بن سليمان)، الأعلام ٨/ ٢٠٨ (يلنور بن ميمون بن عبد الله) واعتمد الزركلي في ضبط «يعزى» على مختار السوسي قائلاً: وهو حجَّةٌ في هذا. وعليه نعتمد. وفي الأصول: يكنور. والمثبت من مصادر الترجمة.

(١) في المطبوع: وخبره.

(٢) في (أ) أخذوا أشبالهم.

(٣) في المطبوع: من حياته.

وقال: أنفعُ الكلامِ ما كان إشارةً[1] عن مُشاهدةٍ، وإخباراً عن شهود.

(٤٠٦) أبو بكر النَّابُلُسيُّ(*)

الإمام الشهيرُ، الصُّوفيُّ الكبير، كان ذا ورعٍ وزهد ودِيانة، واستقامة وحُسنِ طريقةٍ وأمانة، تصدَّرَ بالمغرب للأمرِ بالمعروف والنَّهي عن المنكر، فآذوه، وأخرجوه مُقيَّداً مَغلولاً إلى مصر، وشهدوا عليه بالزُّورِ والبُهتان بقبائحَ لا أصلَ لها، فسُلِخَ[2] وهو حيٌّ، منكوساً، فصار يَقرأُ القرآنَ، ويُمْلي علومَ الحقائق، وهو في ذلك الحال، فكادَ أن يُفتتنَ به الناسُ، فرُفع الأمرُ للسُّلطان، فقال: اقتلوه، ثم اسلخوه. ففعلوا.

وقيل: إنَّه أَملى على بعضِ مُريديه وهو في ذلك الحال مئةً وخمسين بيتاً من نظمه في علوم الطَّريقةِ، وإشارات الحقيقة، وإنَّه ما زال يُملي عليه حتى وصلَ السلخُ إلى سرَّتِهِ فماتَ رضي الله عنه.

* * *

(٤٠٧) أحمد بن أبي الخير(**)

أحمد بن أبي الخير، المعروف بالصيَّاد اليمني، الوليُّ الكبير، صاحبُ الأحوالِ العظيمة، والمواهبِ الجسيمة، كان من عوام زَبيد، فبينما هو نائم أتاه آتٍ فقال: قم يا صيَّاد، فصلِّ، ولم يكن يُصلِّي قبلَ ذلك، فتوضَّأ وصلَّى. ثم

---

(١) في المطبوع: إشادة.

(*) الأنساب ١٢/ ٩، معجم البلدان ٥/ ٢٤٨، المحمدون ١٣٠، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٤٨، العبر ٢/ ٣٢٠، مرآة الجنان ٢/ ٣٧٩، الوافي بالوفيات ٢/ ٤٤، النجوم الزاهرة ٤/ ١٠٦، حسن المحاضرة ١/ ٥١٥، شذرات الذهب ٣/ ٤٦.
وقد أجمعت مصادر ترجمته على أن سنة وفاته (٣٦٣) فهو من رجال الطبقة الرابعة لا السادسة. واسمه محمد بن أحمد بن سهل الرَّملي.

(٢) وإنما سلخه صاحب مصر المعزُّ لدين الله لقوله: لو كان معي عشرة أسهم لرميت الروم سهماً، ورميت بني عُبيد تسعة.

(**) روض الرياحين ٥٦٥، طبقات الخواص ١٧، تاريخ ثغر عدن صفحة ٣٦ (ترجمة ١٣) جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٩٤.

أتاه بعد ذلك، فذهبَ به إلى مسجدٍ به صفوفٌ يُصلّون، وعليهم ثيابٌ بيض، ونورٌ ساطعٌ فصلّى معهم، ثم غابوا عنه، ثم بينما هو نائمٌ سمعَ منادياً يُنادي: يا صيّاد، تُريدُنا ؟ قال: نعم. قال: انقطعْ إلينا في المفازات، فانقطع فيها مُلازماً الذكر مدَّةً طويلةً يَرى العجائبَ، ويُحدّث عن الغرائب، وصلّى يوماً فغابَ في سجوده فأقامَ حولاً كاملاً لا يتحرَّكُ فما أفاقَ إلاّ وقد قُلعتْ إحدى عينيه.

وكان يغلبُ عليه حالُ الفناء، فيقيم زماناً مطروحاً تسفي عليه الرياح، وينبتُ عليه العشب.

وذُكر عنده أنَّ بعضَ الصالحين يَركبُ الأسدَ، فقال: واللهِ، لولا أنَّ الناس ما يتحمَّلون لربطتُ لهم سبعين أسداً بالباب، وإن أحبُّوا تركتها تمشي معهم بالشوارع، لا تضرُّ أحداً.

وله كلامٌ حسنٌ في الحقائق، منها قوله وقد سُئل: هل العارفُ أعلى أو المُحبُّ ؟ فقال: العارف؛ لأنَّ المُحبَّ مشغولٌ بالمحبَّةِ، والعارفُ مَشغولٌ بالمحبوب.

وقال: العارفُ متعلّقٌ بالحقيقة، فإن سقطَ وقعَ في الشريعة.

وقال: خطر بقلبي أنَّ الحقيقةَ تُخالفُ الشريعة، فهتفَ بي هاتفٌ: كلُّ حقيقةٍ تُخالفُ الشريعة فهي باطلة.

وقال: العارفُ مع الخلقِ بأركانه، ومع الحقِّ بجنانه[١].

وقال: العارفُ مُفارقٌ لمضجعه وهو نائم، وناطقٌ وهو صامت، وحاضرٌ وهو غائب.

وقال: العارفُ كالطفل لا يهتمُّ بشيءٍ.

وقال: العارفُ يشهد له الخلقُ وهو جاحد.

وقال: العارفُ مَحفوظُ الأنفاسِ، محروسُ الحواس، ملقىً بين الناس.

وقال: العارفُ لا يلتفتُ لشيءٍ من الكرامات، فإنَّها نقصٌ في حقِّه،

---

(١) في المطبوع: العارف مع الحق بأركانه، ومع الخلق بجناية. وانظر طبقات الخواص ١٩.

لاشتغاله بالمُكْرِم عن الكرامة، ولولا الأدبُ لأخذ من غرائبِ الغيبِ[1] فأكلَ.

وقال: الوليُّ من تولّى الحقُّ رعايته.

وقال: الحركةُ بركة، وحركةُ الظَّواهرِ تُورثُ حركةَ السَّرائر[2].

وقال: الوارداتُ ثمرة الأوراد، فمن دامتْ أورادُهُ كثر من الخيرِ ازدياده.

وقال: كلُّ أحدٍ موجودُهُ على قدر وجوده، ومن لم يكنْ له مُجاهدة لم تكن له مُشاهدة.

وقال: قلبُ العارفِ كالبحرِ، تضطربُ أمواجُهُ وهو ساكنٌ.

وقال: العارفُ لا يأنسُ بغيرِ معروفه.

مات سنة تسع وخمسين وخمس مئة رضي الله عنه.

* * *

(٤٠٨) أحمد بن قَسِي(*)

أحمد بن الحسين، أبو القاسم المعروف بابن قَسِي ـ بفتح القاف، وخفة السين ـ المغربيُّ، صاحبُ «خلع النعلين»[3] عارفٌ أشرقَ نورُ كماله، وأورقَ غصنُ جماله، كان مُقيماً بالمرية ثم ارتحلَ إلى شِلْب[4]، فقطنها وابتنى ببعض قُراها مسجداً.

---

(١) كذا في الأصول، وفي طبقات الخواص: من خزائن الغيب.

(٢) كذا في الأصول، وفي طبقات الخواص: تورث بركة في السرائر.

(*) الحلة السيراء ٢/ ١٩٧، المعجب ٢١٣، الوافي بالوفيات ٧/ ٢٩٧، لسان الميزان ١/ ٢٤٧، كشف الظنون ٧٢٢، إيضاح المكنون ١/ ٤٣٨، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٩٣، معجم المؤلفين ٢/ ٥١، الأعلام بمن حل بمراكش ١/ ٢٢٤، الأعلام ١/ ١١٦.

(٣) خلع النعلين في الوصول إلى حضرة الجمعين. قال الصفدي في الوافي بالوفيات ٧/ ٢٩٨: فيه أوابد ومصائب.

(٤) شلب: من بلاد الأندلس، قاعدة كورة اكشونبه، وهي بقبلي مدينة باجة، الروض المعطار ٣٤٢.

وانتشرَ صيتُه، وكثرت أتباعه، وحاسدوه، وقالوا: هو فَلسفيُّ التصوُّف.

وأرادَ الثورةَ على ملك المغرب عبد المؤمن، فظفرَ به وسجنه، ثم أطلقَهُ

وقد تفرَّقتِ الناسُ في شأنه شيعاً كما وقعَ للعارف ابن عربي رضي الله عنه ونحوه، والمذهبُ واحدٌ، والطريقة واحدة.

وله كرامات، منها: أنَّه كان عنده أعنزٌ يوجدُ طعمُ العسلِ في لبنها، وكان عنده أشجارٌ فيخرجُ من بطون ثمارها الدَّنانيرُ الكثيرةُ، وغير ذلك.

وتبعه كثيرٌ من أعيان المغرب، وارتَحلَ إليه من الأقطار من لا يُحصى، ولم يزلْ أمرُهُ في ازدياد حتى اتَّفقَ أربابُ الدَّولةِ على قتله، فقُتل وذلك بعد الأربعين وخمس مئة[1].

ومن مشاهير كتبه كتاب «خلع النعلين» شرحه العارفُ ابنُ عربي رضي الله عنه فأتى بالعجاب، وبيَّنَ من أسرارِ الكتاب ما لم يكنْ للنَّاظرين فيه من حساب.

قال أبو العباس القسطلّاني رضي الله عنه: سمعتُ الشيخَ أبا محمد المغاور رضي الله عنه يقول: سمعتُ أبا الحسن السقَّاء يقولُ: كان في قلبي على الشيخ أبي القاسم إنكارٌ، فبتُّ ليلةً فرأيتُهُ في النوم وأنا أَرفعُ يدي عليه لأضربَهُ، فقال لي: دعني، فقد غُفر لي بثلاث. قلت: ما هي ؟ قال: قمتُ في الله، وقُتلتُ ظلماً، وصنَّفتُ كتابَ «خلع النعلين» والله المستعان.

* * *

(١) أجمعت المصادر التاريخية على أنه استظهر بجماعة من الفرنج ليقاتل بهم أهل الإسلام حباً بالإمارة، فقتله أصحابه. انظر مصادر ترجمته.

(٤٠٩) أحمد بن محمد الطُّوسي(*)

أحمد بن محمد الطُّوسي، الشيخُ أبو الفتوح أخو حجَّةِ الإسلام، كان ذا أخلاقٍ مَحمودةٍ، وأبوابٍ مَقصودةٍ، ومروءةٍ تامَّةٍ، وسيرةٍ يُثني عليها الخاصَّةُ والعامَّة، عارفاً بالفقه والأحكام، ماهراً في علومِ الشَّرع والكلام، بحيثُ لُقِّبِ بلقبِ أخيه حُجَّة الإسلام، لكنْ غلبَ عليه التصوُّفُ، فطافَ البلاد، وجال في الفيافي والتِّلاد، ونثرَ ونظم، وطرّز ورقم، وأبرز إبريزَ المعاني، وأسكتَ بوعظه المثَالث والمثاني، وكتبَ وألَّفَ، وتكلَّمَ وما تكلَّفَ، ودرَّسَ بالنّظاميَّة بعد أخيه فأبرز[1] العجائب، وما تلعثَم وما توقَّف، واختصرَ «الإحياء» في مجلد سمَّاه «لُبابُ الإحياء» وصنَّفَ «الذخيرة في علم البصيرة»[2]. وغيره.

قال السِّلفيُّ رحمه الله، وغيره: كان أذكىٰ الخلقِ، وأقدرَهم على الكلام، فاضلاً في الفقه، مليحَ التَّصوُّفِ، حلوَّ العبارةِ بلا تكلُّف، أظرف أهلِ زمنه، وألَطَفهم طبعاً.

صحبَ المشايخَ، واختار العزلةَ والخلوة، حتى فُتِحَ له الكلامُ على طريقِ القومِ، ومالتْ إليه القلوب، وأحبُّوه، وازدحموا على حضورِ مجلسه، ودوّنت مجَالسه في أربع مجلدات.

(*) المنتظم ٩/ ٢٦٠، الكامل في التاريخ ١٠/ ٢٢٨، طبقات ابن الصلاح ١/ ٣٩٧ وفيات الأعيان ١/ ٩٧، العبر ٤/ ٤٥، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٤٣، ٤٩٦، ميزان الاعتدال ١/ ١٥٠، مرآة الجنان ٣/ ٢٢٤، مرآة الزمان، ٨/ ١١٩، طبقات السبكي ٦/ ٦٠، الوافي بالوفيات ٨/ ١١٥، طبقات الإسنوي ٢/ ٢٤٥، البداية والنهاية ١٢/ ١٩٦، طبقات الأولياء ١٠٢، لسان الميزان ١/ ٢٩٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٣٠، كشف الظنون ٢٤، ٣٥١، ٨٢٥، ٩٠١، ٩٨٥، ١٠٠٩، ١٤١٣، هدية العارفين ١/ ٨٣، روضات الجنات ٧٥، شذرات الذهب ٤/ ٦٠.

(١) في (أ) فأبدى العجائب.

(٢) كتاب الذخيرة: جمع فيه صاحب الترجمة ما فرّقه أبو حامد الغزالي في تصانيفه الكثيرة من العلوم، وحصرها في أربعة أصول: في معرفة النفس، في معرفة الرب، في معرفة الدنيا، في معرفة الآخرة. كشف الظنون: ٨٢٥.

وكان ذا كراماتٍ وإشارات.

ومن كلامه:

من كانَ في الله تلفُهُ كان عليه خَلَفُه.

وقال: الفقهاءُ أعداءُ أربابِ المعاني.

وقرأ قارئٌ عنده: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣]. فقال: شرَّفهم بياءِ الإضافة إلى نفسه.

وأنشدَ رضي الله عنه:

وهانَ عليَّ اللَّومُ في جنبِ حبِّها وقـولُ الأعـادي إنَّـه لخَليـعُ
أَصمٌّ إذا نُوديتُ باسمي وإنَّني إذا قِيلَ لي يا عبدَها لسميعُ

وسُئل عن قول عليٍّ رضي الله عنه: لو كُشف الغطاء ما ازددتُ يَقيناً، والخليل يقول: ﴿أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] الآية؟ فقال: اليقينُ يتصوَّرُ عليه الجحود، والطُمأنينةُ لا يتصوَّرُ عليها الجحود.

وسئل عن إبليس في قصة إبائه عن السجود، فقال: لم يَدرِ ذلك المسكينُ أَنَّ أَظافيرَ القضاءِ إذا حكَّتْ أَدمتْ، وقسيَّ القَدَرِ إذا رمتْ أَصمَّت، وأنشدَ يقول:

وكُنَّا وليلى في صعودٍ من الهوى فلمَّـا تَـوافينـا ثبـتٌّ وزلَّـتِ[1]

وقال: سمعتُ حجَّةَ الإسلام أخي يقول: من حين يُوضعُ الميّتُ على النَّعشِ يُوقفُ في أربعين مَوقفاً، يُسائله ربُّه.

مات سنة عشرين وخمس مئة بقزوين.

وقد رماه ابن طاهر، وابنُ الجوزي بأشياءَ على عادة المحدّثين، والفقهاء مع الصُّوفية.

ومن نظمه رضي الله عنه:

---

(١) في (ب) وولّت.

إذا صَحبتَ الملوكَ فالْبَسْ   مِن التَّوَقِّي أعزَّ مَلبس
وادْخلْ إذا ما دَخَلْتَ أَعمى   واخْرُجْ إذا ما خَرجْتَ أخرس

* * *

(٤١٠) أحمد بن علي بن الرفاعيُّ(*)

أحمد بن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة الشيخُ الزَّاهد الكبير، أحدُ الأولياء المشاهير، أبو العباس الرِّفاعي المغربي، شريف نما روضُ شرفه، وهمى على العالم غيثُ سلفه، كان سيِّداً جليلاً، صوفياً عظيماً نبيلاً.

قدم أبوه إلى العراق، وسكن بأُمِّ عَبيدة[١]، بأرضِ البَطائح، وولد له بها صاحبُ الترجمة سنة خمس مئة، ونشأ بها وتفقَّه على مذهب الشَّافعيِّ رضي الله عنه.

وكان[٢] كتابه «التنبيهَ» ثم تصوَّفَ، فجاهد نفسَه حتى قهرها، وأعرضَ عمّا في أيدي الخليقة، وأقبلَ على اشتغاله بالحقيقة، وقد قِيل: التَّصوُّف الأخذُ بالحقائق، واليأسُ عمّا في أيدي الخلائق.

ومهر واشتهر، وانتهتْ إليه الرِّيَاسةُ في علوم القوم، وكشفِ مُشكل منازلاتهم، وتخرَّجَ به خلقٌ كثير، وأحسنوا فيه الاعتقاد.

(*) الكامل لابن الأثير ١١/ ٢٠٠، مرآة الزمان ٨/ ٣٧٠، وفيات الأعيان ١/ ١٧١، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٧٧، العبر ٤/ ٢٣٣، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٤١، مرآة الجنان ٣/ ٤٠٩، الوافي بالوفيات ٧/ ٢١٩، طبقات الأولياء ٩٣، النجوم الزاهرة ٦/ ٩٢، طبقات الشعراني ١/ ١٤٠، شذرات الذهب ٤/ ٢٥٩، جامع كرامات الأولياء ١/ ٧٧.
وقد أفرد له جماعة ترجمةً خاصة مثل: قلائد الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر لأبي الهدى الصيادي، والعقود الجوهرية في مدائح الحضرة الرفاعية لأحمد عزت الغمري، وانظر دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٤٩.

(١) أم عَبيدة: قرية قرب واسط.

(٢) في المطبوع: وكتب كتابه.

قال: ابن خلكان[1]، وغيرهُ: وهم الطَّائفة الرِّفاعية، ويُقال لهم الأحمدية، والبطائحية، ولهم أحوالٌ عجيبة من أكلِ الحيَّاتِ حيَّةً، والنُّزولِ إلى التنانيرِ وهي تتضرَّمُ ناراً، والدخول إلى الأفرنة، وينامُ أحدُهم في جانب الفرنِ، والخبازُ يَخبزُ في الجانب الآخر، ويُوقدُ لهم النَّارُ العظيمةُ، ويُقامُ السَّماعُ فيرقصون عليها بألحانٍ إلى أن تنطفئ، ويركبونَ الأسود.

وكان ابتداءُ أمرِه أنَّه مرَّ على عبد الملك الخرنوبي، فقال: يا أحمد، أوّلُ ما أقولُ: مُلتفتٌ لا يصل، ومُتسلِّكٌ لا يُفلح، ومن لم يعرفْ من نفسه النَّقصَ فكلُّ أوقاته نقصٌ، ففارقه، وجعلَ يُكرِّرُها سنةً، ثم عاد إليه، وقال له: أوصني. قال: ما أقبحَ الجهلَ بالألبّاء[2]! والعلّةَ بالأطبّاء! والجفاءَ بالأحباء! فانتفعَ بذلك لكونه اختصرَ له الطريق.

وسأله رجلٌ أن يدعو له، فقال: عندي قوتُ يومٍ، ومَنْ عنده ذلك لا يُسمعُ دعاؤه، فإذا فقدتُهُ دعوتُ لك.

وكان يغسلُ للمَجذومين والزَّمْنَى ثيابَهم، ويفلّي شعورَهم، ويحمل إليهم الطَّعامَ، ويأكلُ معهم، ويسألهم الدُّعاءَ، ويقول: زيارتُهم واجبةٌ لا مُستحبَّة.

ومرَّ يوماً بصبيان يَلعبونَ، ففرُّوا هيبةً له، فتبعَهم يقول: اجعلوني في حلٍّ، فقد روّعتُكم.

ومرَّ بولدٍ فقال: ابنَ مَنْ أنتَ؟ قال: أيشٍ فضولك؟! فصارَ يكررها، ويبكي، ويقول: أدَّبتني يا ولدي.

وكانت حلقةُ مُريديه ستةَ عشرَ ألفاً، وكان يمدُّ لهم السِّماط صباحاً ومساء.

وحكى الشيخُ أبو الغنائم رحمه الله أنَّه دخلَ عليه فوجده جالساً، وحوله نحو عشرة آلاف من أتباعه، فقال له: احمدِ الله على ما أنعمَ عليك. فقال: النِّعمُ كثيرٌ، فإلى أيِّهم تُشير؟ فقال: لتأليفِ القلوب إليك. قال: حُشرتُ مع فرعونَ وهامان إنْ خطرَ في سرّي أن لي فضيلةً على أحدٍ منهم.

---

(١) وفيات الأعيان: ١/ ١٧١، ١٧٢.

(٢) في (ب): بالأولياء.

ويُضربُ به المثلُ في تحمّل الأذى.

وكان كثيراً ما يتجلّى الحقُّ عليه بالعظمةِ، فيذوب حتّى يَصيرَ بقعةَ ماءٍ، ثم تُدركه الرَّحمةُ فيجمد شيئاً فشيئاً، حتى يُردَّ إلى بدنه المعتاد، ويقول لجماعته: لولا لطفُ اللهِ ما عدتُ إليكم.

ومن كراماته:

أنّه كان إذا صَعِدَ الكرسيَّ سمعَ حديثه القريبُ كالبعيد، حتى إنّ أهلَ القرى الذين حول بلده يَسمعونه كالذين بزاويته، وكان[1] الأصمُّ إذا حضره سمعَ كلامَه فقط.

ومنها: أنَّه كان إذا سأله إنسانٌ أن يكتبَ له عُوذَةً، يأخذُ الورقةَ ويكتبُ عليها بغيرِ مدادٍ، ففعلَ يوماً ذلك لرجلٍ، فغابَ عنه مرةً، ثم جاءَهُ بها ليكتبَ له مُمتحناً، فلمَّا نظرَها، قال: يا ولدي، هذه مكتوبةٌ، وردَّها إليه.

ومنها: أن رجلين تحابَّا في الله اسمُ أحدهما معالي، والآخر عبد المنعم فخرجا يوماً للصحراء، فتمنَّى أحدُهما كتابَ عتقٍ من النَّار ينزلُ من السماء، فسقط منها ورقةٌ بيضاء، فلم يَريا فيها كتابةً، فأتيا إلى صاحب الترجمة بها، ولم يُخبراه بالقصَّة، فنظرَ إليها ثم خرَّ ساجداً، وقال: الحمدُ لله الذي أراني عتقَ أصحابي من النار في الدنيا قبل الآخرة، فقيل له: هذه بيضاء. فقال: أيْ أولادي، يدُ القدرة[2] لا تكتبُ بسوادٍ، وهذه مكتوبةٌ بالنور.

ولما حجَّ وقفَ تجاه الحجرةِ الشريفة النبوية، وأنشد:

في حالةِ البُعدِ روحي كنت أُرسلُها ... تُقبِّلُ الأَرضَ عنِّي فهي نائبتي
وهذه نَوبةُ الأشباحِ قد حَضَرتْ ... فامْدُدْ يمينَكَ كي تَحظى بها شَفتي

فخرجت اليدُ الشَّريفةُ من القبرِ حتى قبَّلها، والنَّاسُ يَنظرون.

وأخبرَ بوقتِ موته، وصفته فكان كما قال.

---

(١) في (أ) ومنها الأصم.
(٢) في (ب): أي أولادي، القدرة.

وأُحضرَ إليه مريضٌ ليدعو له، فقال: وعزَّةِ العزيزِ، لأحمدَ كلَّ يومٍ عليه مئةُ حاجةٍ مَقضيةٍ، فقيل له: تكون واحدة لهذا المريض؟ فقال: أَتريدني أن أكونَ سيئَ الأدب، لي إرادةٌ، وله إرادة ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ثم قال: المتمكّنُ إذا سألَ حاجةً وقُضيت نقص تمكُّنُه، والدُّعاءُ عقب الصلاة تعبُّدٌ وامتثال، والدُّعاءُ له في الحاجاتِ شروطٌ، وهو غيرُ هذا الدُّعاء، ثم بعد يومين شُفي المريض.

وأرادَ شراءَ بستانٍ فأبى صاحبُه أن لا يبيعه إلاّ بقصرٍ في الجنة، فأرعدَ وتغيَّرَ واصفرَّ، ثم قال: قد اشتريتُه منك بذلك. قال: اكتبْ لي خطاباً. فكتبَ: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما ابتاعَ إسماعيل من العبد الرِّفاعي ضامناً على كرمِ الله تعالى له قصراً في الجنَّة، يحفُّ به حدودٌ أربع: الأول لجنَّةِ عَدْن، الثاني لجنة المأوى، الثالث لجنّة الخُلد، الرابع لجنَّة الفردوس، بجميع حوره وولدانه، وفُرُشه وأَسرَّته وأنهارِه وأشجاره، عوضاً له عن بستانه في الدنيا، واللهُ شاهدٌ على ذلك وكفيل. فلمَّا ماتَ إسماعيل دُفنتْ معه الورقةُ، فأصبحوا وإذا مَكتوبٌ على قبره ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤].

وله في الطَّريقِ كلامٌ عال، فمنه ما قال:

الزُّهدُ أولُ قدم القاصدين إلى الله، فمن لم يُحكم أساسَه فيه لم يصحَّ له شيءٌ ممّا بعده من المقامات.

وقال: لا يصحُّ الأنسُ بالله إلاّ لمن كملتْ طهارتُه، واستوحشَ من كلِّ ما يشغله عن الله.

وقال: التَّوحيدُ وجدانٌ في القلب عظيمٌ يَمنعُ من التَّعطيل والتَّشبيه.

وقال: بلغتُ إلى مقامٍ إنْ عصيتُ قلبي فيه عصيتُ الله.

وقال: من كان سروره بغير الحقِّ فسروره يُورث الهموم، ومن لم يكن في خدمة ربِّه فهو من أنسه في وحشة.

وقال: علامةُ الأُنس بالله الوحشةُ من جميعِ الخلقِ إلاّ الأولياء، فإنَّ الأُنسَ بهم أُنسٌ به.

وقال: من توهَّمَ أن عملَه يُوصله إلى مأموله الأعلى فقد ضلَّ طريقَه.

وقال: قرِّبْ قلبَك من مُجالسة الذَّاكرين؛ لعلَّه يتنبَّهُ من غفلته.

وقال: أقربُ الأشياءِ إلى المقتِ رؤيةُ النَّفسِ وأحوالها وأعمالها، وأشدُّ[1] منه طلبُ العوضِ على العمل.

وقال: أفضلُ الطَّاعات مُراقبةُ الحقِّ على دوام الأوقات.

وقال: العبوديةُ الوفاءُ بالوعودِ، والحفظُ للعهود، والرِّضا بالموجود، والصّبرُ على المفقود.

وقال: علامةُ الأُنس رفعُ الحُجُب بين القلوب وبين علَّام الغيوب.

وقال: المحبَّةُ أغصانٌ تُزرع في القلب، فتثمرُ على قدر العقول.

وقال: إذا كانت نفسُك غيرَ ناظرةٍ لقلبها فأدِّبْها بمُجالسةِ الحكماء من أهل خاصَّته.

وقال: من لم يُحسنْ رعايةَ نفسه أسرعَ به هواه إلى الهلاك، والخاسرُ الشقيُّ المَطرودُ المَحرومُ من أبدى للنَّاسِ أَحسنَ أعماله، وبارز بالقبيح من هو أَقربُ إليه من حبلِ الوريد.

وقال: كلُّ من ادَّعى ولم يَقمِ[2] الفقيرُ غنياً من عنده، والغنيُّ فقيراً فليس على شيءٍ.

وقال: لا تَزنِ الخلقَ بميزانك، وزنْ نفسَك بميزانِ المؤمنين، لتعلمَ فضلَهم وإفلاسَك.

وقال: من ظنَّ بأحدٍ فتنةً فهو المَفتون.

وقال: استحسانُ الكونِ على العموم دليلٌ على صحَّةِ المحبَّةِ، واستحسانُهُ على الخصوص يُورثُ الظُّلمة.

وقال: إذا تمكَّنتِ الأنوارُ في السرِّ نطقتِ الجوارحُ بالبرِّ.

---

(١) في المطبوع: وأشر.

(٢) في المطبوع: كل من ادعى المشيخة ولم يقم.

وقال: أفٍّ لأشغالِ الدنيا إذا أقبلتْ، وأفٍّ لحسراتها إذا أدبرت، والعاقلُ لا يَركنُ لشيءٍ إذا أقبلَ كان شُغلاً، وإذا أدبرَ كان حسرةً.

وقال: لا تَلتمسْ تقويمَ من لا يتقوَّمُ، ولا تأديبَ من لا يتأدَّبُ.

وقال: من ألزمَ نفسَه مالا يحتاجُ إليه ضيَّع من أحواله ما يَحتاجُ إليه.

وقال: الدَّعوى رعونةٌ لا يَحتملُ القلبُ إمساكها، فيُلقيها إلى اللِّسانِ، فينطقُ بها لسانُ الأحمق.

وقال: المعرفةُ أن تعرفَ اللهَ بكمال الرُّبوبية، وتعرفَ نفسَك بنعوتِ العبودية، وتعلمَ أنَّه تعالى أولُ كلِّ شيءٍ، وبه يقوم كلُّ شيءٍ، وإليه يَصيرُ كلُّ شيءٍ، وعليه رزقُ كلِّ شيءٍ.

وقال: من طلبَ الطَّريقَ بنفسه تاه في أول قدمٍ، ومن أُريدَ به الخيرُ دُلَّ على الطريق، فطوبى لمن كان قصده ربَّه دون غرضٍ من أغراضِ الكون.

وقال: من استغنى بالله أحوجَ الخلق إليه، ومن افتقر إلى الله أغناه به عمّا سواه.

وقال: من التذَّ بسماعِ الملاهي فقد خلا قلبُه من الخوف، لأنَّ الخوفَ يدفعُ عن القلبِ الغفلات والشهوات.

وقال: عجبتُ لمن له طريقٌ إلى ربِّه كيف يَعيشُ مع غيره؟ وهو يقول: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ [الزمر: ٥٤].

وقال: جُبلتِ الأرواحُ في الأفراح[١] فهي تعلو أبداً إلى محلِّ الفرح، وخُلقتِ الأجسادُ من الأكماد، فلا تزالُ ترجعُ إلى كمدها من طلب هذه الفانية، والاهتمام بها ولها.

وقال: من توكَّلَ على الله أدخلَ قلبَه الحكمةَ، وكفاه كلَّ مُهمٍّ، وأوصله إلى كلِّ محبوب.

وقال: آيةُ الولي وكرامتُه رضاه بما يُسخطُ العوام من مجاري المقدور.

---

(١) في المطبوع: في الأرواح.

وقال: من خدَم الله لطلب ثوابٍ أو خوفِ عقابٍ فقد أظهر خسَّتَهُ، وأبدى طمعَه، وقبيحٌ بالعبد أن يخدمَ ربَّه لغرضٍ.

وقال: من سكنَ لغيرِ الله أهمله وتركه، ومن سكنَ إليه قطعَ عنه طريقَ السكون لغيره.

وقال: علامةُ رضا الله عن العبد انبساطُه في الطاعة، وتثاقُلُه في المعصية.

وقال: الفقرُ لباس الأحرار، والغنى[1] بالله لباسُ الأبرار.

وقال: من قابله بأعماله قابله بعدِلِه، ومن قابلَهُ بإفلاسه قابله بفضلِهِ، ولا عملَ أتمّ من الصدق ولا أنور ولا أبلغ[2].

وقال: إذا بدتِ الحقائق سقطت آثارُ العلوم والفهوم، وبقي لها الرَّسمُ الجاري بمحلِّ الأمر، وسقط عنه حقائقها.

وقال: من قال: الله أكبر، وفي قلبه شيءٌ أكبرُ منه فقد أكذبَ نفسَه على لسانه.

وقال: كن شريفَ الكلمة، فإنَّ الهممَ تبلغُ بالرَّجل مقامَ القُرب والنَّجوى.

وقال: لو خطا رجلٌ من قافٍ[3] إلى قاف كان جلوسُهُ أفضلَ.

وقال: الرجلُ المتمكِّن إذا قُضيت له حاجةٌ في الدنيا نقصَ تمكُّنُه درجةً.

وقال: إيَّاك ورؤيةَ نفسك على الإخوان[4]، فمن رأى نفسَه عليهم لا تُقالُ له عثرة.

وقال: إذا صلحَ القلبُ صارَ مهبطَ الوحي والأسرار والأنوار والملائكة، وإذا فسَدَ صارَ مهبطَ الأباطيل والظلم والشياطين.

وقال: إذا صلحَ القلبُ أخبرك عمّا وراءَكَ وأمامك، وإذا فسدَ حدَّثكَ

---

(١) في المطبوع: والغناء بالله.
(٢) في المطبوع: بالأعمال.
(٣) قاف: قيل إنّه جبل محيط بالأرض. انظر ٢/ ٢٣٩ الحاشية (١).
(٤) في المطبوع: على الأحزان.

بأباطيلَ يغيب معها الرُّشد، وينتفي معها السعد.

وقال: شرطُ الفقيرِ أن يَرى كلَّ نَفَسٍ من أنفاسه أعزَّ من الكبريت الأحمر، فلا يصنعُ[1] في كلِّ نَفَسٍ إلاّ أعزَّ ما يصلح له.

وقال: كلُّ أخٍ لا ينفع في الدنيا لا ينفعُ في الآخرة.

وقال: طريقنا مَبنيةٌ على ثلاثةِ أشياء: لا تسأل، ولا ترد، ولا تدّخر.

وقال: من غضبَ لنفسه تعبَ، ومن سلَّمَ أمرَه إلى مولاه نصرَه من غيرِ أهلٍ ولا عَشيرةٍ.

وقال: ما من ليلةٍ إلاّ وينزلُ فيها نِثارٌ من السَّماء، يُفرَّقُ على قلوبِ المُستيقظين.

وقال: واللهِ، مالي خيرةٌ إلاّ في الوحدة، فيا ليتني لم أُعرف.

وقال: ما وقفَ أحدٌ مع الخلقِ في عبادته إلاّ سقطَ من عينِ رعاية الله.

وقال: إياكم وتعاطي أسباب الشَّهرة، والفرحَ بالمعتقدين، فكم طيَّرت قعقعةُ النِّعال حول الرِّجال من رأس! وكم أذهبت من دِينٍ!

وقال: إذا تمكّن العبدُ وبلغَ محلَّ القربِ من الله صارَ الحقُّ يَرضى لرضاه، ويغضبُ لغضبه.

وقال: القطبُ الغوث يُطلعُه اللهُ على غيبه، فلا تنبتُ شجرةٌ ولا تخضرُّ ورقةٌ إلاّ بعلمه.

وقال: لا يحصلُ لعبدٍ مقامُ الصفاء حتى لا يبقى في قلبه خبث ولا بُغضٌ لمؤمنٍ، وهناكَ يأنسُ به الطَّيرُ والوحش، ولا يفرُّ منه.

وقال: سلكت كلَّ طريقٍ فما رأيتُ أَقربَ ولا أسهلَ ولا أصلح من الذُّلِّ والافتقار والانكسار لتعظيم أمرِ الله، والشفقة على خلقه.

وكان لا يجمعُ بين قميصين شتاءً ولا صيفاً، ولا يأكلُ إلاّ بعد يومين أو ثلاثة أكلةً واحدةً، ويُصلّي كلَّ يومٍ أربع مئة ركعة بألفِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

---

(١) في (أ) فلا يضيّع.

ويستغفرُ كلَّ يومٍ ألفين[1]، يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وقيل له: كيفَ الطَّريقُ إلى الله؟ فقال للسائل: أبشرْ، فشوقُكَ إليه أزعَجكَ بطلبِ دليلٍ يدلُّ عليه.

وقال: ظلمةُ الطَّبعِ تمنعُ أنوارَ المشاهدة.

وقال: كم من مَسرورٍ سرورُهُ بلاؤه! وكم من مَغمومٍ غمومُهُ نجاته!

وقال: من أرادَ أن يعرف قدرَ معرفته بالله فلينظرْ قدرَ هيبته عنده، وفي خدمته.

وقال: مِن قدر على إسقاطِ جاهه عند الخلقِ سَهلَ عليه الإعراضُ عن الدنيا وأهلها.

وقال: من أظهرَ محاسنه لمن لا يملك ضرَّه ولا نفعه فقد أظهرَ جهله.

وقال: من ذلَّ في نفسه رفعَ الله قدره، ومن عزَّ فيها أذلَّه اللهُ في أَعين عباده.

وقال: لا شيءَ أَضرّ بالمُريد من مُسامحته لنفسه في ركوب الرُّخص، وقبولِ التأويلات.

وقال: قُربُك منه بلزومِ الموافقات، وقربُه منك بدوامِ التوفيق.

وقال: الرَّجاءُ ارتياحُ القلب لرؤية كرم المرجوّ[2]، والزّهدُ سلوُّ القلبِ عن الأسبابِ، ونفضُ الأيدي من الآمال، وحقيقتُهُ التبرِّي من الدُّنيا، ووجودُ الراحةِ في الخروج منها، والقناعةُ الاكتفاءُ بالبُلغة، وحقيقتُها تركُ التَّشوُّف إلى المفقود والاستغناء بالموجود[3].

وقال: المذكورُ واحدٌ، والذكرُ مُختلفٌ، ومحالُّ قلوبِ الذَّاكرين مُتفاوتةٌ، وأصلُ الذِّكرِ إجابة الحقِّ من حيثُ اللَّوازم لحديث «من أطاعَ الله فقد ذكرَهُ وإنْ

---

(١) في (أ): ألف مرة.

(٢) في (أ): كرم الموجود.

(٣) الخبر في المطبوع فيه تقديم وتأخير وحذف.

قلَّتْ صلاتهُ» . . (١) . إلى آخره .

وقال : القلبُ مصفّ ، وهو محلُّ الأنوار ، ومواردِ الفوائد من الجبار ، وبه يصحُّ الاعتبار ، جعله اللهُ أميراً ، فقال : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق : ٣٧] ثم جعله أسيراً ، فقال : ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

وقال : الدُّنيا مادنا من القلبِ ، وشغله عن الرَّبِّ .

وقال : ما حياةُ القلبِ إلاّ في إماتة النفس .

وقال : الاستهانَةُ بالأولياء من قلَّةِ المعرفةِ بالله .

وقال : إذا أوصلَك إلى مقامٍ ، ومنعكَ حُرمةَ أهله والالتذاذ بما أوصلك إليه ، فأنتَ مَغرور (٢) .

وقال : ما استصغرتُ أحداً إلاّ وجدتُ نَقصاً في ديني ومعرفتي .

وقال : رأسُ مالك قلبُكَ ووقتُك ، وقد شغلتَ قلبَك بهواجسِ الظُّنون ، وضيَّعتَ وقتَك بما لا يعنيك ، فمتى يربحُ من خَسِر رأسَ ماله ؟

وقال : الطَّريقُ إلى اللهِ صعبٌ إلاّ على من دخلَهُ بوجدٍ صادقٍ غالبٍ ، وشوقٍ مُزعجٍ فيهون عليه حملُ الأثقال ، وركوبُ الأهوال .

وقال : الشَّهوةُ أغلبُ سُلطانٍ على النَّفس ، فلا مُزيلَ لها إلاّ خوفٌ مُزعجٌ ، أو شوقٌ مُقلقٌ .

وقال : اليقينُ ثمرةُ التوحيد ، فمن صفا توحيدُهُ صفا يقينُه .

وقال : من أسكنَ نفسَه شيئاً من محبَّة الدنيا فقد قَتَلها بسيفِ الطَّمع .

وقال : من جدَّ وجد ، وبالاعتقاد يحصلُ علمُ الحقيقة ، وبالاجتهاد يتّفق سلوكُ الطريقة .

مات رضي الله عنه ببلده سنة ثمان وسبعين وخمس مئة ولم يعقب ، وإنّما المشيخةُ لابن أخته رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم في الدُّنيا والآخرة .

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٢٥٨ ، وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه الهيثم بن جماز ، وهو متروك .

(٢) في (ب) : فأنت معذور .

(٤١١) أبو العباس ابن العريف الصُّنهاجيُّ(*)

شيخُ العارف ابن عربي، كان من أكابرِ الأعيان، ومن أعاظمِ أهل هذا الشان، صُوفيٌّ همى على المُريدين سحابه(١)، وأنَارَ في أفقِ الطَّريق شهابه.

وكان يقول في دُعائه: اللَّهُمَّ، إنَّك سددتَ بابَ النُّبوةِ والرِّسالة دوننا، ولم تسدَّ بابَ الوِلاية، اللَّهُمَّ، مهما عيّنتَ أعلى رتبة في الولاية لأَعلى وليٍّ عندك فاجعلني ذلك الوليّ.

قال تلميذهُ العارفُ ابن عربي: فهذا من المحقّقين الذين طَلبوا ما يمكن أن يكون حقّاً لهم.

ومن نظمه:

قد تابَ أقوامٌ كثيرٌ وما تابَ عن التَّوبةِ إلاّ أَنا

ولقي في سياحتهِ بعضَ الأبدال، وهو يَمشي على وجه البحر، فأخذَ يذكرُ له ما النَّاسُ عليه من فسادِ أحوالِ الملوك والرَّعايا، فغضبَ البَدلُ، وقال: مالك وعباد الله، لا تدخلْ بين السيِّدِ وعبده، فإنَّ الرَّحمةَ والمغفرةَ والإحسان

(*) الصلة ١/ ٨١، بغية الملتمس ١٦٦، معجم ابن الأبار ١٥، المطرب ٩٠، المغرب ٢/ ٢١١، التشوف ٩٦، وفيات الأعيان ١/ ١٦٨، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١١١، العبر ٤/ ٩٨، مرآة الجنان ٣/ ٢٦٧، روض الرياحين (حكاية: ٣٤٨، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٨٦، ٤٩٠) الوافي بالوفيات ٨/ ١٣٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٧٠، نيل الابتهاج ٥٨، نفح الطيب انظر الفهرس، شذرات الذهب ٤/ ١١٢، كشف الظنون ١٥٩١، ١٦٠٩، إيضاح المكنون ٢/ ٤٩٧، هدية العارفين ١/ ٨٣، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٧٧، الصُّنهاجي: بضم الصاد، وكسرها، وفتحها نسبة إلى صُنهاجة قبيلة من حمير، وهي من البربر. انظر الأنساب ٨/ ٩٨. واسمه أحمد بن محمد بن موسى، وإنما سمي بابن العريف لأن أباه كان صاحب حرس الليل، ووفاته سنة ٥٣٦، وانظر صفحة ٣٥٠ من هذا الجزء.

(١) في المطبوع: سخاؤه.

لهؤلاء، أتريدُ أن تبقى الألوهيَّةُ مُعطَّلةَ الحكم ؟ اشتغلْ بنفسك، وليكنْ نظرُك إلى الله تعالى وشغلك.

قال العارف ابن عربي: وقد دخلت على شيخنا هذا، وأنا في مثل هذا الحالِ في بدايتي، وقد تكدَّرَ عليَّ وقتي؛ لما أرى النَّاسَ فيه من مُخالفةِ الحقِّ، فقال: عليك بالله، فخرجتُ من عنده، ودخلتُ على شيخنا أبي عمران[١] فقال: عليكَ بنفسك، فقلتُ: يا سيِّدي، حرتُ بينكما، أبو العباس يَقول عليكَ بالله، وأنتَ تقولُ عليك بنفسك، فبكى، وقال: الذي دلَّكَ عليه أبو العباس هو الحقُّ وإليه الرُّجوع، وكلٌّ منّا ذكرَ ما يقتضيه حالُه، وأرجو اللهَ أن يُلحقني بمقامه، فرجعتُ إلى أبي العباس، وذكرتُ له مقالته، فقال: قد أحسنَ في قوله، هو دلَّكَ على الطَّريقِ، وأنا دَللتُكَ على الرَّفيق فاعملْ بما قال لكَ، وبما قلتُه لك تجمع بينهما، وكلُّ من لا يصحبُ الحقَّ في سفره فليس على بيّنةٍ من سلامته فيه[٢].

وكان يسألُ شهوة الحبِّ لا الحبّ[٣].

وسُئل عن حدِّ المحبَّةِ، فقال: الغيرةُ من صفاتِ المحبَّةِ، والغيرةُ تأبى إلاّ السِّترَ فلا تُحدُّ.

وقال: سألتُ بعضَ المشايخ: متى يَعلمُ المريدُ أنَّه مُريد ؟ فأعرضَ عنّي، فكررته ثلاثاً، فقال: لا تَقلْ هكذا، أَظنُّكَ تَسألُ عن أوَّلِ قدمٍ يضعه المُريد في الإرادة ؟ قلت: نعم، قال: إذا اجتمع فيه أربعُ خصالٍ: تُطوى له الأَرضُ فتكون عنده كقدمٍ واحدٍ، ويمشي على الماء، ويأكلُ من الكون متى أراد، ولا تُردُّ له دعوة، فعند ذلك يَضعُ أوَّل قدمٍ في الإرادة، وقال: وأمّا مَتى علمَ المُريد عندنا أنَّه مُريدٌ سقطَ من حدِّ الإرادة. فقلتُ له: آيستنا[٤]. من الإرادة يا أبا القاسم.

---

(١) في المطبوع: ابن عربي، والمثبت من (ف).

(٢) لا يعقل أن يكون أبو العباس المذكور هنا هو ابن العريف، لأن الأخير مات قبل ولادة ابن عربي بأربع وعشرين سنة. والأصح بأنه أحمد الإشبيلي أبو العباس. قارن مع روح القدس ٩٢ـ٩٥. أفادنيه الدكتور بكري علاء الدين.

(٣) في (أ) و(ب): لا المحب.

(٤) في (أ) و (ف): انسيتنا، وفي المطبوع: السنا. والمثبت من (ب).

وقال: إذا أرادَ اللهُ تعالى أن يُهيّيءَ عبداً للإمامة والاقتداء شغلَه في أيامِ غفلته بعلم الظَّاهرِ من القرآن. والحديث، والفقه، والعربية ثم يَنقله إلى علمِ الأحوال والمقامات، فعند ذلك يَستحقُّ الإمامةَ والتقدّم.

وسمع: السَّلامُ عليكم يا عبادي[1]، فأنشدَ لنفسه:

بدا لك سرٌّ طالَ عَنْك اكتِتامُهُ ... ولاحَ صباحٌ كُنتَ أنتَ ظلامُه

فأَنتَ حجابُ القلبِ عن سرِّ غيبه ... ولولاك لم يطبع عليك ختامُه

فإن غبتَ عنه حلَّ فيه وطنّبتْ ... على موكبِ الكشفِ المَصونِ خيامُه

وجاءَ حديثٌ لا يملُّ سماعه ... شهيٌّ إلينا نثرُهُ ونظامُه[2]

* * *

(٤١٢) أبو عبد الله الفوال المغربي(*)

شيخُ العارفِ ابنِ عربي بَحرٌ ساحلُهُ لا يتوصَّلُ إليه، وحبرٌ لواءُ الولاية مَعقودٌ عليه، وعارفٌ على المعرفةِ جُبل، وصوفيٌّ تُضرب إليه أكبادُ الإبلِ، خبرُ زهده معروف، وسرى مجده موصوف.

كان قاطناً بالمَرِيَّة[3].

قال العارف ابنُ عربي: وهو من أقرانِ الشَّيخِ أبي مَدين في زمانه.

قال: وقال لي أبو عبد الله كان يحضرُ مجلسَ شيخنا أبي العباس ابنِ العريف رجلٌ لا يتكلَّمُ، فإذا فَرَغَ الشَّيخُ خرجَ، فلا يراه إلاّ في المجلسِ، فوقعَ

---

(١) القول ليس في (أ) في (ب).

(٢) قال الدكتور بكري علاء الدين: وردت هذه القصيدة في كتاب محاسن المجالس صفحة ٧٦ لابن العريف تحقيق ميغل آسين بلاثيوس باريس ١٩٣٣.

(*) جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٨٠، قال النبهاني بعد سياق ترجمته: قاله في روح القدس، ولم أجده في المطبوع الذي بين يدي، وذكر اسمه: القوّال.

(٣) المَرِيَّة: مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس. معجم البلدان ٥/ ١١٩.

في نفسي منه شيءٌ، فأحببتُ أن أعرفَه، وأعرفَ مكانَه، فتبعتُه يوماً من حيث لا يَشعُر، فلمَّا كان في بعض السِّكَكِ إذا بشخصٍ تلقّاه من الهواء، وانقض عليه انقضاضَ الطائر، بيده رغيفٌ، فناوله إيّاه وانصرف، فجذبتُهُ من خلفه، فقلتُ: السَّلامُ عليك. فعرفني، فردَّ السَّلامَ. فسألته عن الذي ناوله الرَّغيفَ، فتوقَّفَ، فلمَّا علمَ أنني لا أَبرحُ إلاّ إن عرَّفَهُ لي، قال: هذا مَلَكُ الأرزاق، يأتيني كلَّ يومٍ من عند الله بما قدرَ لي من الرزق حيثُ كنتُ من أرضِ ربّي، وقد لطَف الله بي في ابتداءِ أمري، كنتُ إذا فرغتْ نفقتي[1] وقعَ عليَّ من الهواء قدرُ ما أحتاجُه، فأنفقُ منه، فإذا فرغَ جاءني مثلُه، لكن ما كنتُ أرى شخصاً. رضي الله تعالى عنه.

* * *

(٤١٣) أبو القاسم الزَّاهد[*]

أبو القاسم الزاهد، المعروف بالأقطع كان فقيهاً عابداً زاهداً، عالماً عارفاً، ورعاً منجمعاً، طاهرَ اللِّسان، وافرَ الاحسان، لطيفَ الذَّات، مُعرِضاً عن اللّذات.

سمعَ الحديثَ عن جماعةٍ، وأخذَ الفقهَ والتَّصوُّفَ عن آخرين.

وله كرامات منها ما حكاه أبو طاهر المغربي قال: بتُّ بجامع مصر، وإذا بقائلٍ يقول: قمْ، فقد دخلَ أبو القاسم الذي إذا أقسمَ على الله أبرّه، فقمتُ فإذا هو داخلٌ من الباب، قلت: ادعُ لي. قال: لا أحالَكَ اللهُ على غيرِه، فما كنتُ أدري من أين يأتيني قوتي بعد ذلك اليوم.

ومنها: أنَّه لما ماتَ وغسَّله الغَاسلُ، رفعَ يدَه فوضعَها على عَورته[2]. وكان ينقلب باختياره إذا أراد تقليبه.

---

(١) في المطبوع: فرغت تعقبني.

(*) الكواكب السيارة ٢٤٤، ٢٤٥، تحفة الأحباب ٣٤٨، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٨٧. وسيترجم له المؤلف في طبقاته الصغرى ٤/ ١٧٨.

(٢) في الكواكب السيارة ٢٤٤ عن الغاسل قال: غسلت الشيخ أبا القاسم الأقطع، فوقع القطن عن سوأته، فرفع يده اليسرى فوضعها على سوأته...

وأخذَ أهلُ مصر ماء غَسلِهِ فعملوه في الكحل، فكان كلُّ أرمد اكتحلَ منه يبرأ.

وجاءَ الطَّيرُ فظلَّلَ على نعشِه، ورفرفَ عليه. ولم يُرَ قبلَ ذلك إلاّ للمُزني، وذي النُّون، ولم يزل كذلك حتى دُفِنَ رضي الله عنه.

مات سنة ثمانٍ وعشرين وخمس مئة ودفن بالقَرَافة بقربِ قبرِ عُقبة الجهني.

* * *

(حرف الباء الموحدة)

(٤١٤) بقاء بن بطو[*]

العارفُ الكبير من جلَّة مشايخ العراق، انتهتْ إليه تربيةُ المُريدين بالاستحقاق، وقُصد للأخذ عنه من الآفاق، وكان عظيمَ الجناب طارحاً للأسباب[1]، ويعتزلُ ويختلي المُدَدَ بعد المدد، ولا يطلبُ من أحدٍ شيئاً من المَدَد، وقد قيل: التَّصوُّفُ الإناخة على بابِ الحبيب وإنْ طرد.

قال في حقِّه العارف الجيلاني: كلُّ المشايخِ أُعطوا بالكيل إلا بقاء فأُعطي جزافاً.

وانتهتْ إليه رياسة ما وراء النهر.

أخذ عنه خلقٌ كثير، وقُصد للزِّيارة وبالنذور.

ومن كلامه:

الفقرُ تَجرُّدُ القلبِ من علائق الدَّارين ثقةً بالله، وعلامةُ صحّة تجرُّده أن يتغيَّرَ حالهُ بوجود الأسباب وفقدها.

وقال: من أَنصفَ النَّاسَ من نفسه، وقبلَ النُّصحَ ممَّن دونه أَدركَ شرفَ المنازل.

(*) طبقات الشعراني ١/ ١٤٧، قلائد الجواهر ١٠٥، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٦٧.

(١) في المطبوع: رافعاً للأسباب.

وقال: من لم يجدْ له من قلبه زاجراً فهو من إخوان الشَّياطين، وقلبُه خراب.

وقال: من لم يَستعنْ بالله على نفسِهِ صرعته.

مات سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة رضي الله تعالى عنه.

* * *

(حرف الجيم)

(٤١٥) جاكير الكردي العراقي[*]

العابدُ الزَّاهد، عارفٌ شِهابه زاهر، وبرهانُه ظاهر، أجمعَ مشايخُ العراقِ عَلى تعظيمه وتقديمه، وكانَ صاحبَ أحوالٍ وتألُّهٍ.

صحبَ الشيخ علي، وغيرَه.

وجاكير لقبٌ، واسمه محمد بن دسم[1] الجيلي، لم يتزوّجْ قطُّ، ويُذكر عنه كرامات وخوارق.

وكان تاجُ العارفين أبو الرَّجاء يُبالغ في تعظيمه.

وكان مشايخُ العراق يقولون: انسلخَ جاكير من نفسه كما تَنْسلخُ الحيَّةُ من جلدها.

وكان يقول: ما أخذتُ العهدَ على مُريدٍ إلاّ بعد أن رأيتُ اسمَه في اللَّوح المحفوظ أنَّه من أولادي.

وقال: من شاهدَ الحقَّ بقلبه سقطَ الكونُ من شهوده.

وقال: أوتيتُ سيفاً ماضيَ الحدِّ، أَحدُ طرفيه بالمشرقِ، والآخر بالمغرب.

مات بعد الخمسين وخمس مئة رضي الله تعالى عنه، ونفعنا به وبسره.

(*) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٦١، العبر ٤/ ٢٧٥، مرآة الجنان ٣/ ٤٧١، الوافي بالوفيات ١١/ ٣٩، طبقات الأولياء ٤٢٥، طبقات الشعراني ١/ ١٤٩، قلائد الجواهر ١١٢، شذرات الذهب ٤/ ٣٠٥، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٧٨. وسترد ترجمته ثانية في الطبقات الصغرى ٤/ ٢٤٣.

(١) في السير ٢١/ ٢٦١، والوافي: دُشَم.

(حرف الحاء المهملة)

(٤١٦) حسن بن عَتيق القسطلانيُّ(*)

من أكابرِ العلماء العاملين، ووجوهِ الأولياء الصالحين، صوفيٌّ محمودُ الآثار، سارتْ بمناقبه الأخبار، كانت له دعوةٌ مُجابة.

وكان يقول: الجاهلُ يتعلَّقُ بأسبابِ الدنيا، والورعُ الذي لا يرغب إلاّ في الآخرة.

وحَكى أنَّه ركبَ مع جماعةٍ البحر المالح، فمرُّوا على امرأةٍ سوداءَ في بعض الجزائر لا تُحسنُ الصَّلاة، بل تقومُ فتتكلَّمُ فيها بكلامِ الآدميين، ثم تركعُ وتسجدُ، فقال لها أهلُ السفينة: ليستِ الصلاةُ هكذا. فقالت: علّموني، فعلّموها الفاتحةَ، والركوعَ والسجُودَ، فلمّا جرتِ السفينةُ لحقتها المرأةُ تَجري على وجه الماء كما يَجري الإنسانُ على الأرض، وهي تصيح تقول: علّموني، فقد نَسيتُ. فقالوا لها: ارجعي وافعلي، كما كنتِ تفعلين.

مات سنة ثمانٍ وسبعين وخمس مئة ودُفِنَ بالقَرَافة.

قال بعضُ الصالحين: كنتُ أرى عند قبر ابن عَتيق الأبدال. رضي الله عنه.

(*) تحفة الأحباب ٢٤٠، الكواكب السيارة ١١٠، حسن المحاضرة ١/ ٢١٤ جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٩٥. وسيترجم الشيخ له ثانية في الطبقات الصغرى ٤/ ٢٦٠.

(حرف الشين المعجمة)

(٤١٧) شعيب المغربي(*)

الشيخ أبو مَدين الأستاذُ الأعظم، العارفُ الأفخم، عظيم الأكابر، رأس الصوفية في وقته، ورئيسُهم المَشهور، علمٌ نعتُه زاهر، زاهدٌ مراقبٌ مشاهد، يُقصدُ ويُزار من جميع الأقطار، وببنانِ العرفان إليه يُشار، يُوصل ويَقطع، ويَخفضُ ويرفع.

ولد بِبَجَّاية، ونشأ بها، واشتهر حتى ملأ الآفاق، وصارَ إمامَ الصدّيقين في وقته بلا شقاق.

وأخذَ عنه الكبراءُ كالعارف ابن عربي رضي الله عنه. وقال: كان سُلطانَ الوارثين(١).

ومكثَ في بيته سنةً لا يخرجُ، فاجتمع النَّاسُ ببابه، يسألوه أن يتكلَّم

(*) التكملة رقم ٢٠١٥، التشوف إلى رجال التصوف ٣١٦، الذيل والتكملة ٤/ ١٢٧، عنوان الدراية ٢٢، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢١٩، الوافي بالوفيات ١٦/ ١٦٣، مرآة الجنان ٣/ ٤٦٩ روض الرياحين (حكاية ٤٥٦) طبقات الأولياء ٤٣٧، قلائد الجواهر ١٠٨، طبقات الشعراني ١/ ١٥٤، البستان ١٠٨، نيل الابتهاج ١٢٧، نفح الطيب ٧/ ١٣٦، شذرات الذهب ٤/ ٣٠٣، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٣٩، كشف الظنون ٨٤، إيضاح المكنون ١/ ١٣٣، هدية العارفين ١/ ٤١٧، شجرة النور الزكية ١٦٤، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٣٩٩ وقد خصَّ ابن قنفذ أبا مدين وأصحابه بكتابه «أنس الفقير وعز الحقير» طبع في الرباط سنة ١٩٦٥.

(١) في المطبوع: المؤدبين.

عليهم، وألزموه، فخرجَ، ففرَّتْ منه عصافيرُ على سِدْرَةٍ بداره، فرجع، وقال: لو صلحتُ للحديثِ عليكم ما فرَّ منّي الطَّيرُ ولا الوحش، فقعد عاماً[١]، فأتوه، فخرج فلم تفرَّ منه، فتكلَّمَ عليهم، وتركَ الطيرَ تَضربُ بأجنحتها، وتصفّقُ حتى ماتَ منها كثير، ومات رجلٌ ممن حضر.

وكان الشيخُ أُميّاً، وعلومُ الأُمي تأتي خاليةً من الإشكال. قال العارفُ ابن عربي: كان حال وقته التجريد[٢] وعدمَ الادخار.

اتّفقَ له أنَّه نسي في جيبه ديناراً، وكان كثيراً ما ينقطعُ في جبل الكواكب، وكانت هناك غزالةٌ تأتيه، فتدرُّ عليه[٣] فيكون ذلك قوتَهُ، فلمّا جاءَ إلى الجبلِ، جاءتِ الغزالةُ، وهو محتاجٌ إلى الطَّعام، فجاءها على عادته ليشربَ[٤] من لبنها، فنفرتْ عنه، وما زالت تَنطحُهُ بقرونها، وكلَّما مدَّ يده إليها نفرتْ منه، ففكَّر في سبب ذلك، فتذكَّر الدِّينار، فأخرجه من جيبه، ورمى به، فجاءته الغزالة، وأَنستْ به، ودرَّت عليه.

قال ـ أعني العارف ابن عربي رضي الله عنه ـ: كان شيخُنا أبو مدين رضي الله عنه قد تركَ الحِرَفَ، وجلسَ مع الله على ما يَفتحُ له، وكان على طريقةٍ عجيبةٍ مع الله في ذلك الجلوس، فإنَّه ما كان يردُّ شيئاً يُؤتى به إليه كالشَّيخِ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه، لكنَّ عبدَ القادر كان أنهَضَ في الظَّاهر، لما يُعطيه الشرف، فقيل له: يا أبا مَدين، لِمَ لا تحترفْ، أو لِمَ لا تقول بالحرفة؟ قال: أَقولُ بها. قيل له: لِمَ لا تحترفْ؟ قال: الضَّيفُ عندكم إذا نزلَ بقومٍ كم توقيتُ زمنِ وجوبِ ضيافته؟ قالوا: ثلاثة أيام. قال: وبعدها؟ قالوا: يحترف. قال: اللهُ أكبر، أنصفونا، نحن أضيافُ ربِّنا، نزلنا عليه في حضرته على وجه الإقامة عنده إلى الأبد، فتعينتِ الضِّيافة، فإنَّه تعالى ما دلَّ على خُلقٍ كريمٍ لعبدٍ إلاّ كانَ هو أَولى بالاتِّصاف به، وأَيامُ ربِّنا كما قال

---

(١) في المطبوع: فرجع فمكث سنة.
(٢) في (أ) والمطبوع: كان حاله وقت التجريد.
(٣) في المطبوع: فتدر عليه لبنها.
(٤) في المطبوع: جاءت الغزالة على عادتها وهو محتاج إلى الطعام، فجاء ليشرب.

تعالى كل يوم ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] فضيافتُه بحسب أيامه، فإذا أقمنا عنده ثلاثةَ آلاف سنة وانقضتْ ولا نحترفْ توجَّه اعتراضُكم علينا، ونحن نموتُ وتنقضي الدُّنيا ويبقى لنا فضلةٌ عنده تعالى من ضيافتنا، فاستحسنه المعترضُ. فانظر في هذا النَّفس إن كنتَ منهم.

ثم قال العارفُ ابن عربي رضي الله عنه: ذهبتُ أنا وبعضُ الأبدال إلى جبلِ قاف[١]، فمررنا بالحيَّة المُحدقةِ به، فسلّمنا عليها، فردَّتِ، وقالت: ممنْ أنتم؟ قلنا: من بَجَّاية. قالت: ما حالُ أبي مَدين مع أهلها؟ قلنا: يَرمونه بالزَّندقة، ويُؤذونه. قالت: عجباً لابن آدم، كيف يُؤذي وليَّ الله؟ ما ظننتُ أنّه تعالى يُوالي عبداً من عباده فيكرَهُهُ أحد.

قال العارفُ الخوّاص رضي الله عنه: كان مذهبُ الشَّيخ رضي الله عنه تقريبُ الطَّريق على المُريدين، ونقلَهم إلى محلِّ الفتحِ من غير أن يمرَّ بهم[٢] على الملكوت، خوفاً عليهم من تعشّق نفوسهم بعجائبِ الملكوت.

ودخلَ على أبي مَدين رضي الله عنه رجلٌ، فقال: الفرنجُ نُصروا[٣] على المسلمين. فقال: صدقَ الله، ولم يتأثَّر أصلاً، فعجبَ الحاضرون من عدم تأثُّرِه، فمدَّ أُصبعيه وأشارَ إلى أحدهما، وقال: هذا الهادي وإلى الآخر، وقال: هذا المضلُّ، ثم وضعَ أُصبعه على موضعِ اجتماعهما من ظاهرِ كفِّه، وقال: قلبي هنا. معناه أن من كان قلبُه مع الله لم يختلفْ عليه معاني الأسماء.

ووقعَ له في سياحته أنَّه دخلَ على عجوزٍ في مغارةٍ، فأقامَ عندها، فجاء ابنُها آخرَ النهار، فسلَّم عليه، فقدَّمتِ العجوزُ سفرةً فيها صحنٌ وخبزٌ، فقعد الشيخُ والابنُ يأكلان، فقال: تمنّيتُ أن لو كانَ هذا كذا. فقال: سمِّ الله، وكُلْ

---

(١) جبل قاف قيل إنه الجبل المحيط بالأرض، وقيل هو من زبرجدة خضراء، وإن خضرة السماء من خضرته، أصول الجبال كلها من عرق جبل قاف. وزعم المفسرون أن وراءه عوالم وخلائق لا يعلمها إلا الله تعالى. ومنهم من زعم أن ما وراءه معدود من الآخرة وحكمها، وإن الشمس تغرب فيه.. انظر معجم البلدان ٤/ ٢٩٨.

(٢) في المطبوع: يمرنهم.

(٣) في (ب) يغيروا.

ما تمنيّتَ، فلم يزلْ يُعدِّدُ التمنّي، وهو يقولُ مقالته الأُولى، واللَّونُ الواحدُ يتقلَّبُ ألواناً كثيرةً، ويجدُ طعمَ ما يتمنّى.

قال العارف ابن عربي رضي الله عنه: كان شيخُنا أبو مَدين رضي الله عنه إذا جاءَه مأكولٌ طيِّبٌ أكله، أو خشنٌ أكله، وإذا جاعَ وجاءَهَ فقد علمَ أنَّ اللهَ تعالى خيره، إذ لو أرادَ أن يُطعمَه أيَّ صنفٍ أراد من المأكول جاء به إليه، فينظر في ذلك الوقت ما هو الأَحبُّ إلى الله من المأكول بالنَّظر إلى صلاح المزاج للعبادة لا إلى غرض النفس واتباع الشهوة.

وكان إذا خطرَ له خاطرٌ في نفسه وجدَ جوابَه مكتوباً في ثوبه الذي عليه، فخطر له يوماً أن يُطلّقَ امرأتَه، وكان بحضورِ العارف أبي العباس الخشَّاب، فرأى مخطوطاً في ثوب الشيخ ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

قال العارف ابن عربي رضي الله عنه: وكان شيخُ الشُّيوخ أبو مدين رضي الله عنه يَرى المناسبةَ بين الأشياء، ويقول بها، فاتَّفق أنَّه علق خاطرُه بالغير، فماشاه شخصٌ وهو على ذلك الخاطر، فاستوحشَ الشيخ، فسأله فإذا هو مُشركٌ.

قال العارف ابنُ عربي رضي الله عنه: شيخُنا أبو مدين من الثمانية عشرَ نفساً الظَّاهرين بأمرِ الله عن أمر الله، لا يرون سوى الله في الأكوان، وهم أهلُ علانيةٍ وجهرٍ، مُثبتون للأسبابِ وخرقِ العوائدِ، عندهم عادة ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١].

قال: وكان يَقول لأصحابه: أظهروا للناس ما عندَكم من المُوافقة، كما يُظهر النَّاسُ بالمخالفة، وأظهروا بما أعطاكم الله من نعمِهِ الظَّاهرة ـ يعني خرق العوائد ـ والباطنة ـ يعني المعارف ـ فإنَّه تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] وهذه الطبقةُ اختصتْ باسم الظُّهور، لكونهم ظهروا في عالم الشهادة.

وقال في موضعٍ آخرَ: شيخُنا أبو مدين رضي الله عنه الغالبُ على قلبه وبصره مُشاهدةُ الحقِّ في كلِّ شيءٍ، فكلُّ حالٍ عنده أعمال فتُعلن بالصدقة، كما يذكره في الملأ فإنَّ من ذكره في الملأ فقد ذكرَه في نفسه، فإنَّ ذكرَ النَّفسِ مُتقدّمٌ

بلا شكٍّ، وما كلُّ من ذكره في نفسه ذكره في الملأ. فهذه حالةٌ زائدةٌ على الذِّكرِ النفسي، لها مرتبةٌ تفوق صاحب ذكر النفس لا يطَّلعُ عليه في الحالين، فهو سرٌّ بكلِّ وجهٍ، فصدقةُ الإعلام تُؤذن بالاقتدار الإلهي، فمن يُخفيها أو يُسرُّها وهو الظَّاهرُ في المظاهر الإمكانية. فهذه كانت طريقةَ شيخنا.

وكان يقول: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾ [الأنعام: ٩١] ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠].

قال: وكان يقول لأصحابه: أعلنوا بالطَّاعة حتى تكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا كما يُعلن هؤلاء بالمعَاصي ولا يَستحيون من الله.

وكان يقول في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ [الشرح: ٧] الآية ﴿فإذا فرغت﴾ من الأكوان ﴿فانصبْ﴾ قلبَك لمشاهدة الرَّحمن ﴿وإلى ربك فارغبْ﴾ في الدَّوام، وإذا دخلتَ في عبادةٍ فلا تحدّثْ نفسَك بالخروج منها، وقل: ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٧].

وقال: إنَّما فُضّلتْ صلاةُ الجماعة على صلاة الفذ[1] لأنَّه يُكتبُ لكلِّ عبدٍ من صلاته ما قامَ به منها، فيُكتبُ من صلاةٍ عُشرها، ومن صلاةٍ ثُلثها، ونصفها وغير ذلك ـ أي كما في الحديث[2] ـ فيرتفع للجميع صلاةٌ مُكمَّلةُ الأجزاءِ بعضُها ببعضٍ، فيُعيدُ اللهُ بركة الكمالِ والإتمام على الجماعةِ، فيكتبُ

---

(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذِّ بسبع وعشرين درجة» أخرجه البخاري ٢/ ١٣١ (٦٤٥) في الأذان، باب فضل صلاة الجماعة. ومسلم (٦٥٠) في المساجد، باب فضل صلاة الجماعة، والموطأ ١/ ١٢٩ في الجماعة، باب فضل صلاة الجماعة، والترمذي ٢١٥ في الصلاة، باب ما جاء في فضل صلاة الجماعة، والنسائي ٢/ ١٠٣ في الإمامة، باب فضل الجماعة وفي المطبوع: صلاة الفرد بدل الفذ، وهما بمعنى.

(٢) عن عمار بن ياسر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل ليصلي الصلاة، ولعلّه لا يكون له منها إلا عُشْرُها، أو تُسْعُها، أو ثُمُنُها، أو سُبْعُها، أو سُدْسُها» حتى أتى على العدد. أخرجه أحمد ٤/ ٣١٩، ٣٢١، وأبو داود (٧٩٦) في الصلاة، باب ما جاء في نقصان الصلاة، والبيهقي ٢/ ٢٨١، وأبو داود الطيالسي (٦٥٠) وابن حبان (الإحسان ٥/ ٢١٠ رقم ١٨٨٩). وإسناده حسن.

لكلِّ واحدٍ منهم صلاةً كاملةً ببركة الاجتماع.

وقال: كان الأمرُ بسجودِ الملائكة لآدم عليه الصَّلاة والسلام عن إغضابٍ خفيٍّ، لا يشعرُ به كلُّ أحدٍ، فكان كالكفَّارةِ لِمَا وقعوا فيه من تزكيةِ نفوسهم، وتجريح آدم عليه السَّلام.

وقال: من قال التَّمر ولم يَجدْ حلاوتَه في فمه فما قالَ التمر، وذلك أنَّ حالةَ الشُّهود يتَّحدُ الوجود في شهودِ الشَّاهد بكلِّ موجودٍ، فيرى كلَّ شيءٍ في كلِّ شيءٍ.

ومن كلامه:

ليس للقلب إلاّ وجهةٌ واحدةٌ، متى توجَّه إليها حُجبَ عن غيرها.

وقال: من خرجَ إلى الخلقِ قبل وجودِ حقيقةٍ دعتْهُ لذلك فهو مَفتونٌ، وكلُّ من ادّعى مع اللهِ حالةً ليس على ظاهره منها شاهدٌ فاحذروه.

وقال: الدُّنيا جرَادةٌ ورأسُها حبُّها، فإذا قُطعَ رأسُ الجرادة حلّت[1].

وقال: ما رأيتُ شيئاً إلاَّ ورأيتُ الباءَ مكتوبةً عليها.

وقال: ما وصلَ إلى مقامِ الحريَّةِ من بقيتْ عليه من نفسه بقيةٌ.

وقال: كلُّ فقيرٍ الأخذُ إليه أحبُّ من العطاء لم يشمَّ للفقر رائحةً.

وقال: من لم يصلحْ لخدمته شَغَلَهُ بالدُّنيا، ومن لم يَصلحْ لمعرفته شَغَلَهُ بالآخرة.

وقال: من لم يَخلعِ العِذار لم تُرفع له الأستار.

وقال: كلُّ فقيرٍ لا يعرفُ زيادتَهُ من نَقصه فليس بفقير.

وقال: نِسيانُ العبدِ للحقِّ تعالى طرفةَ عينٍ خيانةٌ يستحقُّ بها العقوبة.

وقال: الحضورُ مع الحقِّ جنَّةٌ، والغيبةُ عنه نارٌ، والقرب منه لذَّةٌ، والبعدُ عنه حسرةٌ وموتٌ، والأنس به حياة.

---

(١) قال الأئمة خلا مالك بحلِّ أكل الجراد قطع منه شيء أم لم يقطع. وملخص مذهب الإمام مالك أنه إن قطع رأسه حلَّ، وإلا فلا. انظر الحيوان للدميري ١/ ١٥٩ (جراد)

وقال: من قطعَ موصولاً بحضرة ربِّه قُطعَ به، ومن أَشغلَ مشغولاً بربِّه أدركه المقتُ في الوقت.

وقال: شرطُ العارفِ أن يتحكَّم فيما بين العرش إلى الفرش.

وقال: الشَّيخُ من هذَّبَكَ بأخلاقه، وأدَّبك بإطراقه، وأنارَ باطنَك بإشراقه.

وقال العارفُ ابنُ عربي رضي الله عنه: كان شيخُنا أبو مدين رضي الله عنه يقولُ: من علامةِ صدقِ المُريد في إرادته فرارُهُ عن الخلقِ، ومن علامة صدق فِراره عنهم وجودُه للحقِّ، ومن علامة صِدق وجودِه للحقِّ رجوعُه إلى الخَلق، فهذا هو حالُ الوارث للنَّبيِّ ﷺ فإنَّه كان يَخلو بغارِ حِراء، وينقطعُ إلى الله فيه، ويَتركُ بيتَه وأهلَه، ويفرُّ إلى ربِّه حتى فجأهُ الحقُّ فبعثه اللهُ رسولاً مُرشداً لعباده. فهذه حالاتٌ ثلاثٌ، ورثَه فيها من اعتنى الله به من أُمَّته، ومثلُه يُسمّى وارثاً، فالوارثُ الكاملُ هو من ورّثه علماً وعملاً وحالاً. ولمّا علمَ الخضرُ رتبةَ موسى عليهما السلام وعلوَّ قدرِه بين الرُّسل امتثلَ ما نهاه عنه طاعةً لله ولرسوله، فإنه تعالى قال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: ٧] فقال له في الثانية: ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ﴾ [الكهف: ٧٦] فقال: سمعاً وطاعةً.فلمَّا كانتِ الثّالثةُ وسأله نَسيَ موسى عليه السلام حالةَ قوله: ﴿ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤] ولما طلب الإجارةَ على سقايته مع الحاجةِ، فارقه الخضرُ عليه السلام وبعد ما أبانَ له علمَ ما أنكره عليه، ثم قال: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ [الكهف: ٨٢] لأنَّه كان على شرعةٍ من ربِّه، ومنهاجٍ في زمانها، بخلافِ حاله بعد بعثةِ محمد ﷺ فإنَّ كلّ الصَّيدِ في جوف الفَرَا[1].

(١) الفَرَا: الحمار الوحشي، وأصل المثل أن ثلاثة نفرٍ خرجوا متصيدين، فاصطاد أحدهم أرنباً، والآخر ظبياً، والثالث حماراً، فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا، وتطاولا عليه، فقال الثالث: كلُّ الصيد في جوف الفرا. أي هذا الذي رزقتُ، وظفرت به يشتمل على ما عندكما، وذلك ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار الوحشي مجمع الأمثال ٢/ ١٣٦.

ومن كراماته:

إنَّ الوحشَ كان يذلُّ له، فإذا رآه ارتعدَ لهيبته.

ومرَّ بحمارٍ أكلَ السَّبُعُ نصفَه، وصاحبُه ينظرُ من بُعدٍ، فذهبَ بصاحبِ الحمارِ إلى الأسد، وقال: امسكْ بأذنيه، واستعمله مكانَ حِمارك حتى يموت، فركبَه واستعملَه سنين حتى ماتَ.

ورأى بعضُ الأولياء إبليس، فقال له: كيفَ حالُك مع أبي مدين؟ قال: ما شبَّهتُه في نفسي فيما يُلقى إليهِ في قلبه إلاّ كشخصٍ بالَ في البحرِ المُحيط، فقيل لهُ: لِمَا تَبولُ فيه؟ قال: حتى أنجّسه، فلا تقعُ به الطهارةُ، فهل رأيتُم أَجهلَ من هذا؟ فكذا أنا، وقلب أبي مدين كلَّما ألقيتُ فيه أَمراً قلبَ عينه.

وله تصانيف منها كتاب «أُسُّ التَّوحيد ونزهةُ المُريد»[1]. مات سنة نيّفٍ وثمانين وخمس مئة على نحو ثمانين سنة بتلمسان.

وكان آخرُ كلامه: اللهُ الحيُّ، ثم فاضت نفسُه.رضي الله تعالى عنه، ونفعنا به في الدنيا والآخرة آمين.

* * *

---

(١) كذا اسم الكتاب في كشف الظنون ٨٤، وذكره إسماعيل باشا في إيضاح المكنون صفحة ١٣٣ باسم: أنس الوحيد ونزهة المريد في علم التوحيد.

(حرف الطاء المهملة)

(٤١٨) طاهر بن سعيد المِيهني (*)

طاهر بن سعيد بن فضل الله، أبو الفتح المِيْهَني الصُّوفيُّ من بيتِ التَّصوُّفِ والمشيخة، كانَ كبيراً في المشايخ، ذا قدمٍ راسخٍ، حلو العبارة والشكالة، يُريح بحسن تَسليكه ألمَ من شكا له، يستحضرُ من التَّصوُّفِ كثيراً، ويحلُّ من غرائبه محلاً أثيراً.

سافر ولقي الشيوخ، منهم الأستاذُ أبو القاسم القُشيري.

روى بإسناده عن السُّلمي(١) عن عيسى بن عليّ بن عيسى الوزير قال: كانَ ابنُ مجاهد يوماً عند أبي فقيل له: الشبلي بالباب، قال: يَدخلُ، فقال ابن مُجاهد: سأسكتُهُ الساعةَ بين يديك، وكانت عادة الشّبلي إذا لبسَ ثوباً جديداً خرقَه، فقال ابنُ مجاهد: يا أبا بكر، أين في العلمِ إفسادُ ما يُنتفعُ به؟ قال الشِّبلي: فأَين في العلم ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [صَ: ٣٣]؟ فسكتَ ابنُ مجاهد، فقال أبي: أردتَ أن تُسكت أبا بكر فأسكتَكَ.

ثم قال الشِّبلي: أجمعَ الناسُ أنّكَ مقرئُ الوقت، فأين في القرآن الحبيبُ لا يعذّبُ حبيبَه؟ فسكتَ. فقال أبي: قلْ يا أبا بكر. قال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة: ١٨] الآية.

رضي الله تعالى عنه.

(*) معجم البلدان ٥/ ٢٤٧، الكامل في التاريخ ١١/ ١٢٣، طبقات ابن الصلاح ١/ ٤٨٨، طبقات السبكي ٧/ ١١٣، الوافي بالوفيات ١٦/ ٤٠٠. وفي الأصل: ابن شعيب والمثبت من مصادر الترجمة.

(١) كذا في الأصول، والخبر في طبقات ابن الصلاح ١/ ٤٨٩، وطبقات السبكي ٧/ ١١٣، عن طاهر عن أبي علي الحسن بن غالب المباركي.

(حرف العين المهملة)

(٤١٩) عبد الله المغاور المغربي(*)

كان رجلاً كبيرَ القدر، فريداً في وقته، وحيداً في شرف أخلاقه وحسن سمته[١]. من قريةٍ من أعمال إشبيلية بقربِ الأندلس، وكانَ سببُ رجوعه إلى طريقِ الله أنَّ الموحّدين[٢] لمَّا دخلوا بلدَه رمتْ امرأةٌ عليه نفسَها، وقالت: احملني إلى إشبيلية، ونجِّني من أيدي هؤلاء. فأخذَها على عنقه، وخرجَ، فلمَّا خلا بها، وكان من الشُّطَّار الأقوياء الأشدّاء، وكانت المرأةُ ذاتَ جمالٍ فائق، فدعتهُ نفسُه إلى وقاعها، فقال: يا نفسي، هي أمانةٌ بيدي، ولا أُحبُّ الخيانة، وما هذا وفاء مع صاحبها، فأبتْ عليه نفسُه إلاّ الفعل، فلمّا خافَ على نفسه أخذَ ذَكَرَه فرضَّهُ بين حجرين، فانقطع، وقال: يا نفسُ، النَّارُ ولا العار، وخرج من حينه يطلبُ الحجَّ، وصارَ أوحدَ زمانه.

قال العارف ابنُ عربي رضي الله عنه: أدركتُهُ ولم أجتمعْ به، وأقامَ بالإسكندرية إلى أن مات.

(*) روض الرياحين ٤٩٤ (حكاية ٤٥٥) نفح الطيب ٢/ ٥٥، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٠٦.

(١) في (أ): حسن أخلاقه وسمته، وفي (ب): حسن شرف ألطافه، وحسن سمته.

(٢) دولة الموحدين (٥٢٥ـ٦٦٩) دولة إسلامية قامت في شمال إفريقية والأندلس، أسسها محمد بن تومرت، خلفه عبد المؤمن بن علي فتغلّب على المرابطين، وملك قرطبة وغرناطة والأندلس، وأصبح المغرب كله يؤلف دولة واحدة من الأندلس إلى برقة، بلغت الدولة ذروة مجدها في عهد أبي يوسف يعقوب المنصور الذي انتصر على الإسبان في معرك الأراك. الموسوعة العربية الميسرة ١٧٧٢.

ومن كلامه:

آمرُكَ بخمسٍ، وأنهاكَ عن خمسٍ: آمرك باحتمال أذى الخلق[1]، وتركِ أذى الخلق، وإدخالِ الرَّاحةِ على الإخوان، وأن تكونَ أُذناً لا لساناً ـ أي اسمعْ أكثر ممّا تتكلّم ـ والخامس أن تكونَ مع الناس على نفسِك، وأنهاكَ عن مُعاشرةِ النساء، وحبِّ الدُّنيا، وَحبِّ الرِّياسة، وعن الدَّعوى، وعن الوقوعِ في رجالِ الله تعالى.

* * *

(٤٢٠) [أحمد بن] عبد الله بن محمد بن عبد الجبار[*]

[أحمد بن] عبد الله بن محمد بن عبد الجبار، المعروف بأبي ثور، كُني به لأنَّه قاتلَ في فتحِ بيت المقدس على ثورٍ، وكان لا يَعدو إلاّ عليه.

وله كراماتٌ ظاهرة منها:

أنَّه كان إذا أرادَ شراءَ شيءٍ كتبَ به ورقةً، وجعلها في عنق ثورِه، فيذهب بها إلى رجلٍ في حانوتٍ، فيجعل المطلوب في عنقِ الثورِ، ويرجع به إليه.

مات في هذا القرن ودُفن بقرب باب الخليل[2] رضي الله تعالى عنه.

* * *

---

(١) في (أ): باحتمال الأذى.

(*) الأنس الجليل ٢/ ٦٠، ١٤٤، جامع كرامات الأولياء١٠/ ٢٩٨. وما بين حاصرتين مستدرك منهما. قال النبهاني في جامع الكرامات ١/ ٢٩٩: وَهِمَ المناوي فذكر أن اسمه عبد الله باسم أبيه.

(٢) في (أ) و (ف) والمطبوع: بقرب قبر الخليل، وفي (ب) بقرب قبر عبد الجليل والمثبت من الأنس الجليل ١/ ٢٤٥، وجاء فيه: باب الخليل ـ أحد أبواب القدس ـ وهي قرية صغيرة بها دير صغير يعرف الآن بدير أبي ثور.

(٤٢١) عبد الرَّحمن بن علي الدمشقي(*)

عبد الرحمن بن علي الدمشقي الخرقي السلمي الشافعي، كان صدراً كبيراً، وشيخاً بأحوالِ التَّصوُّفِ خبيراً، مَنْ صحبَهُ خلَّصَه من أسرِ نفسه قهراً، وأراه في السُّلوكِ كلَّ آيةٍ هي أكبر من الأخرى، فمن ثم حلّق طائرُ ذِكره في الآفاق وحام، وحلى به القدس بل عظم به الشام.

وكان يَقرأُ كلَّ يومٍ ختمةً، وأُقعدَ آخرَ عمره فلم يَقعدْ عزمُه.

ومن كراماته:

أنَّه احتاجَ ليلةً إلى الوضوء، وليسَ عنده في البيت من يُوضّئه، فبينما هو يتفكَّرُ إذا بنورٍ دخلَ البيتَ من السَّماء فبصرَ الماءَ، فتوضَّأ.

مات سنة سبعٍ وثمانين وخمس مئة رضي الله عنه.

* * *

(٤٢٢) عبد الرحيم القشيري(**)

عبد الرحيم بن عبد الكريم أبو نصر، أو أبو منصور ابن الأُستاذ أبي القاسم القُشيري الإمامُ العلم، بحرٌ مغدِقٌ زخَّار، وحَبْرٌ هو في زمانه رأسُ الأخيار إذا

(*) التقييد: الورقة ١٤١، التكملة لوفيات النقلة ١/ ١٦١ (١٥٣)، تكملة إكمال الإكمال ١٢٣، سير أعلام النبلاء ٢١/١٩٦، العبر ٤/ ٢٦١، المشتبه ٢٢٦، طبقات السبكي ٧/ ١٥٣، طبقات الإسنوي ١/ ٥٣٤، توضيح المشتبه ٣/ ١٨٣، النجوم الزاهرة ٦/ ١١٦، شذرات الذهب ٤/ ٢٨٩، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٥٦.

(**) الأنساب ١٠/ ١٥٦، تبيين كذب المفتري ٣٠٨، المنتظم ٩/ ٢٢٠، الكامل ١٠/ ٥٨٧ وفيات الأعيان ٣/ ٢٠٧، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٢٤، العبر ٤/ ٣٣، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٥٨، فوات الوفيات ٢/ ٣١٠، مرآة الجنان ٣/ ٢١٠، طبقات السبكي ٧/ ١٥٩، طبقات الإسنوي ٢/ ٣٠٢، الوافي بالوفيات ١٨/ ٣٣٢، البداية والنهاية ١٢/ ١٨٧، طبقات المفسرين للسيوطي ١٨، طبقات المفسرين للداوودي ١/ ٢٩١، طبقات ابن هداية الله ٧٣، شذرات الذهب ٤/ ٤٥، إيضاح المكنون ٢/ ٦٠٦، هدية العارفين ١/ ٥٥٩.

قيل كعبُ الأحبار، وضرغامٌ تقدّم، وإمامٌ تقتدي به الهُداةُ وتأتمُّ، نما من تلك الأُصول الطاهرة غصنُه[١] المورق، وسما على الأنجم الزَّاهرةِ بدره المُشرق، مُجَلٍّ[٢] إذا أشرقَ ليلُ المُدلهمات وأمسى، ومُصلٍّ إذا سمعَ النَّاسُ لكلامه فلا تسمعُ لهم إلاّ همسا، يُلتقطُ الدُّرُّ من كلمه، ويَتناثرُ الجوهرُ من حِكمه، ويؤوب المذنبُ عند وعظه، ويتوبُ العاصي بمجرَّدِ سماع لفظه. كم من فاسقٍ تابَ في مجلسه ودخلَ في الطاعة! وكم من كافرٍ آبَ إلى الحقِّ ساعةَ وعظه وآمنَ في الساعة، بمَنْ بُعِثَ بين يدي الساعة!

لو استمَع له الصَّخرُ لانفلق، ولو فهم كلامَه الوحشُ لاستحسنَه[٣] وقال صدق، يُصدِّعُ القلبَ القاسي خِطابُه، ويكادُ يجمع عظامَ ذوي الغفلة النَّخرة عتابُه، ويُشتِّتُ شَمْلَ الشَّياطين ما يقول، ويفتّتُ الأكبادَ ما يجمعه من الحقِّ المقبول.

هو الرَّابعُ من أولاد الأستاذ، وأكثرُهم عِلماً، وأشهرُهم اسماً.

تخرَّجَ على: إمام الحرمين، وعلى والده، والشيخ أبي إسحاق الشِّيرازي.

وسمع: الصَّابوني، والبيهقي، وحدَّثَ بالكثير.

وقد ذكره صاحبُ «السِّياق»[٤] أفصحُ المؤرخين على الإطلاق، عبد الغافر الفارسي فقال: إمامُ الأئمَّةِ، وحَبْرُ الأُمَّة، وبحرُ العلوم، وصدرُ القوم، وهو أشبَهُ أولادِ أبيه خلْقاً به، كأنَّهُ شُقَّ منه شقًّا، ربّاه والده وزقَّه العربيةَ زقًّا، وحصَّلَ أَنواعاً من العلوم الدقيقة، وحكماً جمَّةً من علوم الحقيقة.

ولمَّا ماتَ أبوه انتقلَ لإمامِ الحرمين، ثم صارَ رأساً كبيراً يُقتدى به، وأطبقَ أهلُ العراقِ على أنَّهم لم يَروا مثله في تبحُّره، عديمُ النظير، فريدُ الوقت، بقيَّةُ

---

(١) في المطبوع: غاص تلك.
(٢) في المطبوع: ممد.
(٣) في المطبوع: ولو سمع كلامه الصقر لاستحسنه.
(٤) كتاب السياق في ذيل نيسابور لعبد الغافر بن إسماعيل، أبو الحسن الفارسي سبط أبي القاسم القشيري. توفي بنيسابور سنة ٥٢٩ هـ. انظر هدية العارفين ١/ ٥٨٧.

أكابرِ الدُّنيا على الإطلاق، ومن أعظمِ مناقبه أنَّ شيخَه إمام الحرمين نقلَ عنه في كتاب الوصيةِ منِ «النِّهاية»[1].

وقيل إنَّه كان يحفظُ خمسين ألفَ بيت، وكان يُحبُّ العزلةَ والانزواء.

وبالجملة فقد كانَ معظَّماً جداً حتى عند مشايخه، وقد أطنَب شيخُه صاحب «التنبيه» في الثناء عليه.

ومن كلامه:

قال والدي: ليكنْ لك في اليوم والليلة ساعة تحضرُ فيها بقلبك، وتخلو بربِّك، وتقول: تدارك قلبي ببسيطة[2] من إقبالك، وبذرَّةٍ من إفضالك.

ومن كراماته: أنَّه اعتُقِلَ لسانُه من آخر عمره إلاّ عن الذِّكر خاصَّةً.

مات سنة أربع عشرة وخمس مئة وهو في عمر[3] الثمانين رضي الله عنه.

* * *

(٤٢٣) عبد القاهر بن عبد الله السُّهروردي[*]

عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عَمُّويه، أبو النَّجيب السُّهْرَوَرْديُّ بضم السين المهملة و[فتح][4] الراء نسبةً إلى بلد بقرب زَنْجَان يتَّصلُ نسبُه بالصدّيق، وهو الإمامُ المعظَّم أحدُ أكابرِ الشَّافعية، وأعاظمِ مشايخ الصُّوفية.

---

(١) هو كتاب: نهاية المطلب في دراية المذهب. هدية العارفين ١/ ٦٢٦.

(٢) في المطبوع: ببسطه. وفي طبقات السبكي: بشَظيَّةٍ.

(٣) في (أ) و (ب) في عشر الثمانين.

(*) الأنساب ٧/ ١٩٧، المنتظم ١٠/ ٢٢٥، معجم البلدان ٣/ ٢٨٩، الكامل ١١/ ٣٣٣، اللباب ٢/ ١٥٧ وفيات الأعيان ٣/ ٢٠٤، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٧٥، العبر ٤/ ١٨١، مرآة الجنان ٣/ ٣٧٢، طبقات السبكي ٧/ ١٧٣، طبقات الإسنوي ٢/ ٦٤، الوافي بالوفيات ١٩/ ٤٨، البداية والنهاية ١٢/ ٢٥٤، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٨٠، طبقات الشعراني ١/ ١٤٠، شذرات الذهب ٤/ ٢٠٨، هدية العارفين ١/ ٦٠٦، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٠١.

(٤) ما بين معقوفتين مستدرك من الأنساب ٧/ ١٩٧.

ولد ببلده سنة تسعين وأربع مئة، ونشأ ببغداد، فأخذَ الفقهَ عن أسعد المِيهني، والتَّصُّوفَ عن الشِّهابِ أخي الغزالي.

واشتهر ذكرهُ في جميع الأقطار بالولاية والصلاح، والعبادة والزهادة والتربية والسَّماح.

وكان له هيبةٌ في النفوس، وعليه وقارٌ وناموس، يعظّمه الناسُ وهو لا يعبأُ بأمرهم، ولا يلتفتُ إلى شواظ نارِهم ولهيبِ جمرهم.

وكانَ ملوكُ العجم يهَابونه، بل يخدمونه، ورُزقَ القبولُ التَّام بين الخاصِّ والعام.

وكان يَحفظُ «وسيط» الواحدي عن ظهر قلب.

وكان يُسمع له دَويٌّ كدويِّ النَّحل، فقيل له في ذلك، قال: لي اثنا عشر مُريداً أسألُ لكلِّ واحدٍ منهم حاجةً[1]، وما أصابَ مُريدٌ[2] دُنيا، وما انسلخَ الشَّهرُ إلاّ ماتَ أو تابَ إشفاقاً عليه.

وكان على غايةٍ من التَّواضعِ، وسافرَ إلى الشَّامِ فبعثَ إليه بعضُ الأمراء طعاماً على رؤوسِ الأسارى من النَّصارى وهم في القيود، فلمَّا مُدَّتِ السُّفرةُ أَقعدهم مع الفقراء عليها، وقعدَ معهم وأكلَ معهم.

وأخذ عنه الأكابرُ: كابنِ السَّمعاني، وابن عساكر، وابن أخيه الشِّهاب السُّهرورديُّ، وخلقٌ.

وقُصِدَ من كل قطرٍ، ثم هبت له نسيمُ السعادة[3]، ودلَّه على سواءِ الطَّريق، فانعزلَ عن النَّاس، وآثرَ الخلوةَ، وبقي في ابتداء أمره عدَّة سنين يستقي[4]

---

(١) في (ف): خادمه.
(٢) في المطبوع: مَزيدَ.
(٣) كذا في الأصل، وفي طبقات السبكي ٧/ ١٧٤ وهبَّ له نسيم التوفيق. وهو أنسب لتمام السجع.
(٤) في (أ) و (ب): يستسقي.

بالقربة على ظهره ويتقوَّت، ويَقُوت مَنْ عنده من مُريديه.

وكان له خَربةٌ يأوي إليها هو ورفقته، حتى استفاضَتْ كراماته، واستبانتْ آياتُه، فبنى تلك الخَربةَ رباطاً ومدرسةً، وأفلحَ بسببه خلقٌ كثير، وأملى مَجالس، وصنَّفَ مؤلفات[1]، واتّفقَ له في بدايته مُجاهدات كثيرة، واجتمع بسادات شهيرة.

وحكى عن نفسه قال: كنتُ أَدخلُ على شيخي، وربّما اعتراني بعضُ فتورٍ عن المُجاهدة، فيقول: أراك دخلتَ وعليك ظلمةٌ.

ومن كلامه:

التَّصوُّفُ أوّلهُ علمٌ، وأوسطُه عَمَلٌ، وآخره مَوهبة، فالعلمُ يَكشفُ عن المُراد، والعملُ يُعين على الطلب، والموهبة تبلغ غايةَ الأمل.

وقال: أعلى المقامات عدُّ الأَنفاس حتى لا يقع له نفسٌ واحدٌ في غفلةٍ عن الله.

وقال يوماً لأصحابه: نحن مُحتاجون إلى نفقةٍ، فارجعوا إلى الخلوة، وسلوا اللهَ، وما يفتح عليكم هاتوه، ففعلوا، فجاءه رجلٌ منهم اسمه إسماعيل البطائحي بكاغد[2] عليه ثلاثون دائرة، وقال: أُعطيتُ هذا. فأخذه، فلم يأخذ إلاّ ساعةً وإذا برجل دخل عليه، ووضع بين يديه ذهباً، فعدَّه الشَّيخُ فإذا هو ثلاثون ديناراً، فنزَّلَ كلَّ دينارٍ على دائرةٍ[3]، فإذا هو قدرها، فقال: كلوا من فتوح إسماعيل[4].

مات ببغداد سنة ثلاثٍ وستين وخمس مئة وقبرهُ بها ظاهرٌ يُزار، وعليه مهابةٌ وأنوار.

---

(١) في المطبوع: لغات.

(٢) الكاغد: ورق الكتابة، القرطاس.

(٣) في المطبوع: نزل كل دائرة على دينار. والمثبت من (ف).

(٤) الخبر ليس في (أ) ولا في (ب).

وله ولد اسمه عبدُ الرحيم أبو الرضا[1]، وآخر اسمه عبد اللطيف[2] ترجمَهما ابنُ السمعاني في «الذيل».

وقال ابنُ المُلقّن: ولأبي النَّجيب ـ يعني صاحب الترجمة ـ أخٌ يقال له أبو حفص عمر[3]، سمعَ وتفقَّه وتصوَّفَ واعتزل حتى مات سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة رضي الله عنه.

* * *

(٤٢٤) عبد القادر الجيلاني الحنبلي[*]

عبد القادر بن موسى بن يحيى الجيلاني الحنبليُّ، من ذرّية الحسن رضي الله عنه الذي طارَ ذِكْرُه في الآفاق، وأجمعَ على إمامَته أهلُ الخلافِ والوفاق، كان جريءَ اللِّسان، ثابتَ الجأش والجنان، وله إقدامٌ، وتمكّنُ

---

(١) انظر ترجمته في طبقات السبكي ٧/ ١٥٩، وطبقات الإسنوي ٢/ ٦٥. وفي الأصل: أبو الرجاء.

(٢) انظر ترجمته في طبقات السبكي ٨/ ٣١٢، وطبقات الإسنوي ٢/ ٦٦.

(٣) انظر ترجمته في طبقات الإسنوي ٢/ ٦٥.

(*) المنتظم ١٠/ ٢١٩، الكامل ١١/ ٣٢٣، مرآة الزمان ٨/ ١٦٤، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٤٣، المستفاد من تاريخ بغداد ٣٠٤، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٣٩، العبر ٤/ ١٧٥، دول الإسلام ٢/ ٥٤، المشتبه ١/ ١٣٦، فوات الوفيات ٢/ ٣٧٣، مرآة الجنان ٣/ ٣٤٧ الوافي بالوفيات ١٨/ ٣٨ البداية والنهاية ١٢/ ٢٥٢، ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢٩٠، تبصير المنتبه ١/ ٢٩٥، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٧١، كشف الظنون ٦٢٢، ٨٧٩، ١٢٤٠، ١٧٣٨، طبقات الشعراني ١/ ١٢٦، شذرات الذهب ٤/ ١٩٨، إيضاح المكنون ١/ ٢٥٧، ٣٧٦ و ٢/ ١٦٣، ٢٦٠، هدية العارفين ١/ ٥٩٦. وألفت كتب عديدة في سيرته منها: «بهجة الأسرار في مناقب سيدي عبد القادر» للشطنوفي، و «قلائد الجواهر» للتادفي وورد اسمه في «المستفاد»: عبد القادر بن أبي صالح بن جنكي دوست، وفي «السير»: عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست محيي الدين، وفي «قلائد الجواهر»: عبد القادر بن أبي صالح جنكي دوست، وقيل جنكا دوست موسى بن أبي عبد الله بن يحيى.

أقدام، ملوكيّ الفتح، عظيم المنزلةِ في التصريف، كثيرَ الشطح، ومواعظُه مشحونةٌ بلطائف ورقائق، يُرجى الرَّجاءُ منها وتُخشى الصواعق، ومجالس يُثني عليها الأئمة، ولو سكتوا أثنتْ حدائقُ الحقائق.

وكان في الفقه إماماً، وفي التَّصُوفِ لا يُسام رفعةً[١] ولا يُسامى، قد تضلَّع من الأصولِ والفروع، وتقدَّم على غيرِه في كلِّ فنٍّ مشروع، قلَّ نظيرُه، وعلا على أعلى الأَطلس أثيره، اعترفَ له بذلك كلُّ فقهاء عصره، وصوفيَّة مِصره، وحسبك قول العزِّ بن عبد السَّلام في حقِّه: بلغت الإمامة مبلغ القطع.

ولد بجيلان[٢] سنة سبعين وأربع مئة، ونشأَ بها حتّى شبَّ، فسلك طريقَ القوم، وجدَّ واجتهد، وكابدَ الأهوال حتى كان يلفُّ على رأسه خريقة، ويلبسُ جبةً، ويمشي حافياً، ويتقوّت بقمامةِ البقل، وورق الخسِّ، ويُجاهد نفسَه بأنواع الشدائد، وأقام في خرائب العراقِ خمساً وعشرين سنة لا يَعرفُ الناسَ ولا يَعرفونه.

وأتاه الخضرُ عليه السلام مرَّةً وهو لا يَعرفه، فقال له: اقعدْ هنا حتى آتيك. فأقام في ذلك الموضع ثلاث سنين.

ومكث في بدايته سنةً لا يأكلُ ولا يَشربُ ولا ينام، واحتلم في ليلةٍ في الشتاء أربعين مرَّةً، يَغتسلُ لكلِّ مرَّةٍ، ولم يزلْ على ذلك الحال، حتى طرقه الحالَ، فهام في البراري والجبال، إلى أن اتَّصفَ بالكمال، ورُزقَ القبول التَّام، عند الخاصِّ والعام، فكان يأتيه الخليفةُ فمن دونه، وعلى عدم زيارته إيَّاهم يُعاتبونه، فيأبى ولا يُجيب، ويُبالغُ بزواجرِ المواعظ حتّى يَكثرَ النّحيب، ولم يَقمْ لأحدٍ منهم قطُّ، بل ربَّما وقفَ بين يديه فلا يعبأ به[٣] ولا يلتفتُ إليه.

وكان على زِيِّ العلماءِ، يتطيلس، ويركبُ بغلةً، وتُحملُ الغاشيةُ بين يديه، ويَجلسُ للوعظ على كرسيٍّ عالٍ، وربّما مشى في الهواء على رؤوس الأشهاد، ثم عاد. وكان مع ذلك يجلس مع الفقراء، ويفلّي لهم ثيابَهم، وله المنزلة

---

(١) في المطبوع: لا يسام رفقة.
(٢) في الأصل: ولد ببغداد، وفي هامش (أ) و (ب): صوابه بجيلان.
(٣) في المطبوع: منهم قط ولا يعبأ به.

العظمى في قلوب الكافة، تخرَّجَ به رجالٌ كثيرون، وورثَ مقامه ابنُ شبل رضي الله عنه.

قال العارفُ ابن عربي[1] رضي الله عنه: من رجالِ الله رجلٌ واحدٌ، وقد يكون امرأةً في كلِّ زمان آيتُه ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] له الاستطالةُ على كلِّ شيءٍ سوى الله. شهمٌ شجاع، مِقدامٌ كثيرُ الدعوى بحقٍّ[2]، يقولُ حقًّا ويحكم عدلاً. قال: وكان صاحبُ هذا المقام عبدَ القادر الجيلي رضي الله عنه ببغداد، وكان له الصَّولةُ والاستطالة بحقٍّ على الخلق، كبيرَ الشأن، مشهورَ الذِّكر، لم ألقه، وقد درج اهـ.

قال زرّوق: صرح بالقطبانية، وظهرَ برهانُها عليه.

ولمّا قالَ محمد بن قائد على ما ستجيء حكايته في ترجمته[3]: رأيتُ في دخولي عليه أثرَ قدمٍ أمامي فغرتُ[4]، فقيل لي: هذا قدمُ نبيِّكَ... إلى آخره.

وسئل عن عبد القادر فقال: ما رأيتُه في الحضرة، فقيل ذلك لعبد القادر، فقال: كنتُ في المخدع، ومن عندي خرجت له النوالة، يعني الخلعة.

قال العارف ابنُ عربي: وكان كما قال، وإنَّما قال في المخدع[5]، ولم يُسمِّ المكانَ، وعيَّنه بهذا الاسم ليعلم بخداع الله محمد بن قائد حين حكم بأنَّه ما رأى عبد القادر في الحضرة في معرض التباسه عليه، فإنَّ حضرةَ ابنِ قائد في هذه الواقعة حضرته الخاصة به من حيث معرفته بربِّه لا حضرة الحقِّ من حيث ما يعرفه عبد القادر أو غيره من الأكابر، فستر عنه مقام عبد القادر خداعاً. وقول عبد القادر رضي الله عنه: من عندي خرجتْ له النوالة، يدّلُ على أنَّه كان شيخَه في تلك الحضرة، وعلى يده استفادها، وجهل ذلك ابنُ قائد فإنَّ الرجال في ذلك كانوا تحت عبد القادر فيما حُكي لنا من أحواله وأحوالهم. وكان يقوله

---

(١) الفتوحات المكية: ٢/ ١٤.
(٢) الأصل: كثير التقوى، والمثبت من الفتوحات، والمطبوع.
(٣) انظر ٢/ ٢٨٢.
(٤) في المطبوع: تعرت.
(٥) في المطبوع: وكان كما قال دائماً في المخدع.

عن نفسه، فيسلم له حاله، فإنَّ شاهدَه يشهدُ له بصدقِ دعواه، فإنَّه كان ذا حالٍ ربَّانيةٍ مؤثرة مدَّة حياته لم يكن له صاحب مقام، وما انتقل إلى حالِ أبي السُّعود، وإن كان تلميذه إلاّ عند موته، وهي الحالةُ الكبرى، وكانت هذه الحالةُ مستصحبةً لأبي السُّعود[1] رضي الله عنه طولَ حياته، فكان عبداً محضاً لم تشب له عبوديته ربوبية[2]. إلى هنا انتهى كلامه رضي الله عنه.

وقال في موضعٍ آخرَ: قد رأينا من رجال الروائح جماعةً، وكان عبدُ القادر الجيلي رضي الله عنه منهم، يعرفُ الشَّخصَ بالشمِّ. جاءه ابنُ قائد، وكان يرى لنفسه حظّاً في الطريق، فشمَّه نحو ثلاث مرّاتٍ، ثم قال: لا أعرفُك. فكان تربيةً في حقِّه، فعلتْ همَّةُ ابنِ قائد رضي الله عنه حتى التحقَ بالأفراد.

ومن كراماته[3]:

أنَّه كان حين رضاعه لا يَرضعُ في رمضان، فكان الناسُ إذا شكُّوا في الهلال رجعوا إليه.

وكان الذُّباب لا يصيبُه وراثةً من جدّه المصطفى ﷺ[4].

وقعدَ يتوضَّأ فزرقَ عليه عصفورٌ، فرفعَ رأسَه إليه فخرَّ ميتاً، فتصدَّقَ بثوبه، وقال: إن كان علينا إثمٌ فهذه كفارته.

وأقام أربعين سنةً يُصلّي الصُّبحَ بوضوءِ العشاء.

وقال لرجل: لفلانٍ عندك طعامٌ وذهب، جئني بكذا منه، فقال: كيف

---

(١) في (أ) و (ب): وكانت هذه الحال مستحبة.

(٢) في (أ) و (ب): ربوبيته.

(٣) قال الإمام الذهبي في السير ٢٠/ ٤٥٠: ليس في كبار المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر من الشيخ عبد القادر، لكنَّ كثيراً منها لا يصحُّ، وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة.

(٤) قال السيوطي في «الخصائص» ١/ ٦٨: ذكر القاضي عياض في «الشفا» والعز في «مولده» أن من خصائصه ﷺ أنه كان لا ينزل عليه الذباب، وذكره ابن سبع في «الخصائص» بلفظ: أنه لم يقع على ثيابه ذباب قط. قال الدميري في «حياة الحيوان» ١/ ٢٩٨ (ذباب): وفي «شفاء الصدور»، و«تاريخ ابن النجار» مسنداً أن النَّبي ﷺ كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ذباب أصلاً.

أَتصرّفُ في وديعةٍ ؟ قال: لا بدّ. فأحسنَ الظَّنَّ به، وأتاه بما طلبَ، فبعد مدَّةٍ جاء مَكتوبٌ من مالك الوديعةِ، وهو بالعراق: أنِ احملْ للشيخ كذا. وعيَّنَ القدرَ الذي أخذه الشيخ[١].

وكان يُفتي على مذهب الشَّافعي وأحمد معاً رضي الله عنهما، فتعجَّبَ علماءُ العراقِ من حسن أجوبته.

وأُتي يوماً بفقير يَزعمُ أنَّه يرى اللهَ بعينه، فقال: أحقٌّ ما قِيل عنك ؟ فاعترفَ، فزجره وهدَّده إنْ فاه بذلك، ثم قال لحاضريه: هو محقٌّ في قوله، ملتبسٌ عليه، فإنّه شهدَ ببصيرته نورَ الجمال، ثم خُرق منها لبصره منفذٌ، فرأى بصره ببصيرته[٢] وشعاعها مُتَّصلٌ بنور شهوده، فظنَّ أن بصرَه رأى ما شاهدته بصيرته، وليس كذلك، بل رأى بصره نورَ بصيرته فقط.

ورأى مرَّةً نوراً ملأ الأفقَ، ونُودي منه: أنا ربُّك، وقد أَبحتُ لك المُحرَّمات، فقال: اخسأْ يا لعين، فانقلبَ النُّورُ دُخاناً وظلاماً، فقال: نَجوتَ منّي بفقهك في إحكام منازلاتك، وقد أضللتُ بهذا سبعين صدّيقاً. فسُئل: بما عرفتَ أنَّه شيطان ؟ قال: بقوله أبحتُ لك المحرّمات.

واجتمعَ له ببغداد مئةٌ من أكابر الفقهاء، وأتوه لامتحانه، فأطرقَ، فظهرتْ منه بارقةُ نورٍ مرَّت على صدورهم، فصاحوا صيحةً واحدةً، ومزَّقوا ثيابَهم، وكشفوا رؤوسهم، فصعِد الكرسيَّ، وأجاب عن جميعِ ما عندهم.

وسقط عليه وهو يدرسُ حيَّةٌ، ففرَّ من حضر، فدخلتْ من ذيله وخرجتْ من طوقه، والتفَّتْ على عنقه، فلم يقطعْ كلامَه، ولا تغيَّر، ثم قامت بين يديه تُكلّمُهُ بكلامٍ لا يُفهم، وانصرفت، فسُئل عنها، فقال: قالت: اختبرتُ عدَّة أولياءٍ فلم أجدْ كثباتك، فقلتُ: ما أنتِ إلاّ دُويدةٌ يُحرّكُك القضاءُ والقدر.

---

(١) الخبر ليس في (أ) ولا في (ب).

(٢) في (أ) فرأى نور بصيرته.

ومن كلامه[1]:

لا يبرأُ الرَّجلُ من العُجب إلاّ إن شاهدَ أمورَه كلَّها من الله، وأخرجَ نفسه من البين.

وقال: إذا سألتَ ربَّك حاجةً فتعامَ عن الجهات كلِّها، ولا تنصَّ على جهةٍ مُعينةٍ، فإنَّ ربَّك غيورٌ، فلا يَفتحُ لك بابَ فضله وأنتَ محجوبٌ عنه، ناظراً إلى جهة أحدٍ من عبيده.

وقال: من طابتْ نفسُه أن يقرأَ على أحدٍ من أقرانه، أو يَتَّلمَذَ له خرجَ من رعوناتِ نفسه، وذلك من أعلى رياضاتِ النفس، بل أعلى من الجوعِ والسَّهر والعزلة.

وقال: من عرفَ من أين جاءَ، عرفَ إلى أين يَصير، وهنا أسرارٌ لا تُفشى.

وقال: الهمَّةُ أن يتعرّى العبدُ بنفسه عن حبِّ الدُّنيا، وبروحه عن التعلُّق بالآخرة، وبقلبه عن إرادته غير مُراد ربِّه، وبسرِّه عن لمحِ الكون أو خطوره ببٰاله.

وقال: ما دمتَ تُراعي الخلقَ لا تَهتدي لعيبِ نفسك، وما دمتَ تُراعي نفسك فأنتَ مَحجوبٌ عن ربِّك.

وقال: لا يكملُ الفقيرُ إلاّ بتجريد التوحيد مع الوقوفِ على قدمِ العبودية، لا بشيءٍ ولا لشيءٍ.

وقال: احذروا ولا تأمنوا، وخَافوا ولا تَركنوا، وفتّشوا ولا تَغفلوا، ولا تُضيفوا إلى أنفسِكم حالاً ولا مقاماً، ولا تدعوهما، ولا تخبروا بما يُطلعكم اللهُ عليه من الأحوال؛ فإنَّه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وقال: لا تشكوا ضرّاً نزلَ بكم لغيرِ الله ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧] واحذرْ أن تشكو ضيقَ رزقِكَ، وعندكَ قوتُ يومٍ، فربّما

---

(١) قال الإمام الذهبي في السير ٢٠/ ٤٥١: وفي الجملة عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه، والله الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه.

عسَّرَ عليك أسبابَ الرِّزقِ عقوبةً لك على كفرَانك.

وقال: النِّعمُ واصلةٌ إليك بالقسمة، اجتلبتها أم لا، والبَلوى حالّةٌ بك وإن كرهتها. فسلّم لله في الكلِّ يفعلُ ما يشاءُ، فإنْ أتتك نعمةٌ فاشتغلْ بالذِّكر والشُّكرِ، أو بلوى فبالصبرِ والموافقة، وأعلى منهما[1] التلذُّذُ والرِّضا بالقضا.

وقال: لا يصلحُ لمجالسةِ الحقِّ إلاّ المتطهّرُ من دنسِ الزلاّت، ولا تُفتحُ أبوابُه تعالى إلاّ لمن خلا عن الرُّعونات والدَّعاوى.

وقال: دوامُ البلاء خاصٌّ بأهلِ الولاية الكبرى، ليكونوا عَاكفين على مناجاته.

وقال: إذا رأى الحقُّ ميلَ وليِّه إلى أهلٍ أو مالٍ أراحَه منهما غيرةً عليه.

وقال: قد يُلاطفُ الحقُّ عبدَه، ويفتحُ قبالةَ قلبه بابَ الرَّحمةِ والمِنَّة، فيرى بعينِ قلبه مالا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت من مُطالعة الغيوب، والقربِ، والخطاب اللطيف، والوعد الجميل ونحوها، ثم في لمحِ البصر يغيّر ذلك عليه، ويَفتحُ عليه بابَ البلاء والمحنِ والهمِّ والحزن، فيصيرُ مُتحيِّراً مُنكسراً إنْ تأمَّل ظاهرَه وجد ما يَسوءه، أو باطنَه رأى ما يُحزنه، وإن سألَ كَشْفَ ما به من الضُّرِّ لم يُجَبْ، وإنْ طلبَ الرُّجوعَ إلى الخلقِ لم يُمكّن، وإن عملَ بالرُّخص تَسارعتْ به العقوبةُ، وسُلّط عليه بالأذى، وإن طلبَ الإقالَة لم يُقَلْ، وإن رامَ التنعُّمَ بما به من البلاء لم يُعْطَ ذلك، فيشتدُّ البلاء، وتأخذُ النَّفسُ في الذُّبول والذَّوبان حتى تَفنى أوصافُ بشريّته، ويصيرُ روحاً فقط، فهناك يسمعُ النِّداءَ من قلبه: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص: ٤٢] فيردُّ اللهُ عليه أَزيدَ من تلك الخلع، ويتولّى تربيتَه بنفسه ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧].

وقال: إنَّما كلامي على رجالٍ من وراءِ جبل قاف، أقدامُهم في الهواء، وقلوبُهم في حضرة القدس، تكاد قلانسهم[2] تحترقُ من شدّةِ شوقهم إلى ربِّهم.

---

(١) في المطبوع: وعلامتهما.

(٢) في المطبوع: قلانهم.

ولما قال، وهو جالسٌ على منبرٍ وعظِه: قدمي على رقبةِ كلِّ وليٍّ. فسمعه العارفُ الرِّفاعي رضي الله عنه من بلدةِ أم عَبيدة، طأطأ رَأسَه، وقال: وعلى رقبتي.

وقال: الاغترارُ بصفاءِ الأوقات في طيِّه آفات.

وقال: إنَّما لم يُجبِ[1] الحقُّ عبدَه في كلِّ ما طلبَ رحمةً وشفقةً عليه أن يغترَّ بذلك، فيتعرَّض للمكر به، ويغفل عن آداب الخدمة، وكما أنّه تعالى دعا عبدَه إلى فعلِ كلِّ مأمورٍ فلم يفعلْ إلاّ بعضاً، دعاه فلم يُجبْه إلاّ في بعضٍ، جزاءً وفاقاً.

وقال: علامةُ ابتلاء العبدِ على وجه العقوبة عدمُ الصَّبرِ عند البلاء، والشَّكوى للخلقِ، وعلى جهةِ التكفير الصَّبرُ وعدمُ الضَّجر، وعلى وجهِ رفعِ الدَّرجات الرِّضا والموافقة، والسُّكون تحت جرَيان الأقدار.

وقال: علامةُ حبِّ الآخرة الزُّهدُ في الدنيا، وعلامةُ حبِّه تعالى الزُّهد فيما سواه.

وقال: ما دام في قلب العبدِ شهوةٌ لما يكرهه الله فهو عدوه[2].

وقال: كلَّما جاهدتَ النَّفسَ في الطاعة حييت، وكلَّما أكرمتها ولم تُهنها في رضاه ماتت، وهذا معنى خبر «رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»[3].

وقال: أعطاني اللهُ ثلاثين عهداً وميثاقاً أن لا يَمكرَ بي. فقيل له: فهل أمنتَ بعد ذلك ؟ قال: لا، بل حالي بعد العهد كقبله.

---

(١) في المطبوع: يخيب.

(٢) في (أ) فهو عبده.

(٣) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين ٣/ ٧ في شرح عجائب القلب، قال العراقي: أخرجه البيهقي من حديث جابر، وقال: هذا إسناد فيه ضعف. وذكره العجلوني في كشف الخفا ١/ ٤٢٤ وقال: قال الحافظ ابن حجر في «تسديد القوس»: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن عُليَّة.

وقال: المددُ الإلهي موزّعٌ على المعاني، فما في القلبِ يظهرُ على الوجه، وما في النفس يظهرُ في الملبوس، وما في العقل يظهر في العين، وما في السرِّ يظهرُ في القول، وما في الروح يَظهرُ في الأدب، وما في الصورة يظهر في الحركة.

وكلامه ومناقبه قد أُفردت بالتآليف.

قال في «الفتوحات»: وكان يقولُ قدمي على عنق كل وليٍّ، من باب التحدُّثِ بالنِّعمةِ، فلمَّا احتُضرَ قال: ليت أمي[1] لم تلدني.

وكان تحتَ رأسه مخدَّةٌ، فقال: أنزلوا خدّي عنها، ضَعوه على التُّراب، لعلَّ اللهَ يرحمني، ثم قال: هذا هو الحقُّ الذي كُنَّا عنه في حجاب[2].

قال، أعني العارف ابن عربي: والشيخ أبو السعود بن شبل رضي الله عنهما أعلى مَقاماً من شيخه الجيلاني، فإنّه عُرضَ عليه التَّصرُّفُ فأباه، والجيلاني تصرَّفَ، وكان الأولى تركه.

مات رضي الله عنه سنة نيّفٍ وستين وخمس مئة ببغداد.

* * *

(٤٢٥) عبد السَّلام بن برَّجان(*)

عبد السلام بن عبد الرحمن اللَّخمي الإفريقي، ثم الإشبيلي الصُّوفيُّ، المَشهورُ بين الأعيان بابن برَّجان، توزَّعَ وتزهَّد، وتنسَّكَ وتعبَّد وتقمَّصَ

---

(١) في (ب): يا ليت أمي...

(٢) في (ب): كنا عنه غافلين في حجاب.

(*) تكملة الصلة ١٧٩٧، وفيات الأعيان ٤/ ٢٣٦، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٧٢، العبر ٤/ ١٠٠، دول الإسلام ٢/ ٥٥، فوات الوفيات ٢/ ٣٢٣، مرآة الجنان ٣/ ٢٦٧، الوافي بالوفيات ١٨/ ٤٢٨، القاموس المحيط (برج)، لسان الميزان ٤/ ١٣، ذيل طبقات الحفاظ لابن فهد ٧٣، طبقات القراء ١/ ٣٨٥، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٧٠، طبقات المفسرين للسيوطي ٢٥، طبقات المفسرين للداوودي ١/ ٣٠٠، مفتاح السعادة ٢/ ١١١، كشف الظنون ١/ ٦٩، ٧٠، و ٢/ ١٠٣١، شذرات الذهب ٤/ ١١٣، هدية العارفين ١/ ٥٧٠، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٦٩.

بالصوف، وتركَ لبس الشّفوف، وسلك طريقَ النَّجاة، وقصَّ جناحَ ذوي الجناح.

قال ابن الأَبّار: كان عارفاً بالقرآن، والحديث، والكلام، والتحقيق، والتصوف وبه اشتهر مع الزُّهد والورع والاجتهاد في العبادة، وله تصانيفُ مُفيدةٌ منها «تفسير القرآن»(١). و «شرح الأسماء الحسنى»(٢).

قال عبد الملك في «ذيل تاريخ ابن بشكوال»(٣): سُعي عليه سعاية باطلة عند علي بن يوسف بن تاشفين، فأحضره إلى مراكش، فلمَّا وصلَ إليها، قال له: لا أعيشُ إلاّ قليلاً، ولا يعيشُ الذي أحضرني بعدي إلاّ قليلاً، فعقدَ له مجلسَ مُناظرةٍ، وأوردوا عليه المسائلَ التي أنكروها، فأجابَ، وخرَّجها مَخارجَ مُحتملة مقبولة، فلم يَقنعوا منه بذلك؛ لكونهم لم يَفهموا مَقاصده، وقرَّروا عند السُّلطان أنَّه مُبتدعٌ، فحبسَه فمرضَ بعد أيامٍ قليلةٍ وماتَ في الحبسِ سنة ستٍّ وثلاثين(٤) وخمس مئة، ومات عليُّ بن يوسف بعده في رجب سنة سبع وثلاثين.

ولمّا قِيل له: إنَّه مَات، أمرَ أن يُطرحَ على مَزبلةٍ بغيرِ صلاةٍ عليه، وأن لا يُدفنَ بحَسب ما قرّره معه من طعنَ عليه من المتفقهة(٥)، فاتّفقَ أنَّ بعضَ أهل الفضلِ لمّا بلغه وفاته أرسلَ عبداً أسودَ نادى جهاراً في الأسواق: احضروا جنازة فلان، فامتلأتِ الرِّحابُ من الناس، وضاقتِ البلدُ عنهم، فغسَّلوه، وصلُّوا عليه، ودفنوه. ولم يَستطعِ السُّلطان وأَعوانُه ومتفقهته أن يفعلوا شيئاً.

---

(١) وأكثر كلامه فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات، وقد استنبطوا من رموزاته أموراً، فأخبروا بها قبل الوقوع. انظر وفيات الأعيان، وكشف الظنون.

(٢) وهو كتاب كبير، جمع فيه من أسماء الله تعالى ما زاد على المئة والثلاثين كلُّها مشهورة مروية، وفصّل الكلام في كل اسم على ثلاثة فصول، الأول في استخراجها، الثاني في الطريق إلى تقرب مسالكها، الثالث في الإشارة إلى التعبد بحقائقها. كشف الظنون.

(٣) في المطبوع: ابن شكوان.

(٤) قال الذهبي عنه وعن أبي العباس بن العريف في السير ٢٠/ ٧٣: أخذ هذان وغُرّبا، واعتقلا، توهّم ابن تاشفين أن يثورا عليه كما فعل ابن تومرت.

(٥) في المطبوع: المتفيهقين.

(٤٢٦) عبد الرَّحيم بن أحمد بن حَجُّون(*)

الشريفُ الحسيب النسيب السَّبتيُّ[١] الأصل، القِنائي، صاحبُ الكرامات والخوارق، المدفون بالصعيد.

قدمَ من المغرب، فأقامَ بمكَّة سبعَ سنين، ثم رحلَ إلى الصَّعيد، فقطن قِنا حتى مات.

أخذَ عن الشيخ أبي يَعزَّى رضي الله عنه.

وعنه: أبو الحسن الصبَّاغ رضي الله عنه، فظهر سرُّه فيه، حتى نطقَ بالمعارف ملء فيه.

وكان لصاحبِ الترجمة القبولُ التام بين الخاصِّ والعام، وهو أحدُ من جمعَ اللهُ له بين الحقيقةِ والشريعة، وآتاه مفتاحاً من علمِ السرِّ المَصون، وكنزاً من معرفة الحكمة والكتاب المكنون.

وكان إذا سمعَ المؤذّنَ يتشهد يقول: شهدنا بما شهدنا[٢]، وويلٌ لمن كذب على الله.

وكان يقول: أدركتُ جميعَ[٣] صفات الله إلاّ صفة السمع.

وقال: جميعُ المتكلّمين يُدندنون[٤] حول الحقِّ، ولا يَصلون إليه أبداً.

(*) التكملة لوفيات النقلة ١/ ٢٤٩، الطالع السعيد ٢٩٧، الوافي بالوفيات ١٨/ ٣٢٠، العقد الثمين ٥/ ٤٢٠، حسن المحاضرة ١/ ٢٣٧، طبقات الشعراني ١/ ١٥٦، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٦٧.

(١) في الأصول: البستي. تحريف. والسَّبتيُّ نسبةً إلى سبتة، بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب تقابل جزيرة الأندلس. انظر معجم البلدان ٣/ ١٨٢.

(٢) في طبقات الشعراني ١/ ١٥٦: بما شاهدنا.

(٣) في طبقات الشعراني ١/ ١٥٦: أدركت فهم جميع...

(٤) في المطبوع: يذبذبون.

ونزل مرة شبحٌ[1] من الجو في مجلسه، فأطرقَ الشيخُ، ثم رفعَ رأسَه إليه، فارتفع، فسُئل عنه، فقال: هذا مَلَكٌ صدرتْ منه هَفْوةٌ بالنظر لمقامه، فاستشفعَ بي فشفعتُ فيه.

وكان إذا استشاره إنسانٌ يقول له: امهلني، حتى أستأذنَ لك جبريل، فيطرق، ثم يقول: افعلْ، أو لا تفعل، والمرادُ به مَلَكٌ غيرُ جبريل الأنبياء عليهم السلام.

وكان إذا قال لعاميٍّ أو طفلٍ: تكلّمْ على هذه الآية. نطقَ بالعجائبِ، فإذا قال له: اسكتْ، لا يُمكنُه النُّطق بحرفٍ.

ومرّ به كلبٌ، فقام له، فسُئل، فقال: قمت إجلالاً لأثر الفقراء[2]، ففُتِّشَ، فوجدَ بعنقه خرقةٌ من أثرِ صوفيٍّ.

وكراماته غنيَّةٌ عن التَّعريف، لا يسعُها تأليف، وإنما ذُكر منها القليل.

وليسَ يَصِحُّ في الأَذهانِ شيءٌ إذا احتاجَ النَّهارُ إلى دليلِ[3]

وقد ذَكره الحافظُ المُنذريُّ في «تاريخه» فقال[4]: كان أوحدَ زمانه، أَحدَ الزُّهاد المشهورين، من أعيان الصَّالحين.

وله مقالاتٌ في التوحيد، ومسائلُ في علوم القوم، وكان مالكيًّا.

قال الكمال ابن عبد الظاهر[5]: زرتُ قبرَه، وجلستُ عنده، فخرجتْ يدهُ من قبرِه، وصافحني، وقال: يا بُنيَّ، لا تعص اللهَ طرفةَ عينٍ، فإنّي في علّيين[6].

---

(١) في الأصول: شيخ والمثبت من طبقات الشعراني ١/ ١٥٦.
(٢) في المطبوع: الخرق.
(٣) البيت للمتنبي انظر الديوان ٣/ ٢١٥.
(٤) التكملة ١/ ٢٤٩، مع اختلاف.
(٥) هو كمال الدين بن علي بن محمد بن عبد الظاهر. وفي المطبوع: عبد القاهر.
(٦) تتمة الخبر في الطالع السعيد صفحة ٣٠٠: وأنا أقول: يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله.

وقد جرّبوا استجابة الدُّعاء عند قبرِه يومَ الأربعاء وقتَ الظُّهر، يَمشي الانسانُ حافياً مكشوفَ الرأس، ويُصلّي عنده ركعتين، ويقرأُ شيئاً من القرآنِ، ثم يقول: اللّهُمَّ، إنّي أتوجَّهُ إليكَ بجاه نبيِّكَ محمدٍ ﷺ، وبأبوينا آدمَ وحواء عليهما السلام وبما بينهما من الأنبياء والمُرسلين، وبعبدِكَ عبد الرحيم اقضِ حاجتي، ويَذكرها تُقضَ.

مات سنة اثنتين وتسعين وخمس مئة، ودُفن بقِنا من صَعيد مصر.

قال بعضُ جماعته: ولو مُكّنتُ لم أدفنْه، بل أدعُهُ على وجهِ الأرض، فكلُّ من رآه نطق بالحكمة.

وخلّفَ أولاداً نجباء، منهم الشَّريفُ فتحُ الدِّين فقيهٌ فاضلٌ اختصر «الروضة».

* * *

(٤٢٧) عبد الملك الطَّبري[*]

صاحبُ الأحوال والكرامات، والجدِّ في العبادات، نزيلُ الحرمِ، وشيخُه في عصره، كان أحدَ المشهورين بالورعِ والزُّهد، أقامَ بمكَّةَ أربعين سنة على الجهد والاجتهاد، والرِّياضة وقهر النفس.

وكان أولاً يتفقَّهُ بالمدرسة النَّظَّامية فلاحَ له شيءٌ، فخرجَ على التَّجريدِ إلى الأقطار الحجازية، ولم يزلْ حتى صارَ رأساً في تخليص الأخلاق من الكُدورات البشرية، مُطهِّراً للنفوس من قذى الأذى لتعودَ كما كانتْ في أصلها نقيَّةً تقيَّةً.

وكان يَلبسُ ويأكلُ الخشن[١].

(*) العقد الثمين ٥/ ٥١٧، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٣٢.

(١) في العقد الثمين: وكان يلبس الخشن ويأكل العشب.

ومن كراماته:

أنه كانَ هناك حوضٌ، والماءُ في أسفله، فلا يَصلُ إليه غيرُ يدِ الشَّيخِ يتوضَّأُ منه، يرتفعُ له ثم يعود بعد فراغه.

وقال المراغي: قصدْتُهُ يوماً فلم أرَهُ في موضعه، وكنتُ أسمعُ صوتاً، فطلبتُهُ فوجدتُهُ في خربةٍ، وكان ذلك الصَّوتُ من غَليان صدره.

وكان لا يَنامُ بالمسجد، فسُئل عن ذلك، فقال: نمتُ ليلةً به، فدخلَ شخصان فقالا: لا تنمْ به. قلت: من أنتما؟ قالا: مَلكانِ. فما نمتُ فيه بعد.

وقال: رأيتُ عجباً بالحرم، حمامةً بيضاءَ طافتْ أسبوعاً بالكعبة، ثم جاءتْ ووقفتْ على باب الكعبة[1].

* * *

(٤٢٨) عثمان بن مرزوق القرشي[*]

العالمُ العابد، العارفُ الزاهد، كان ذا علمٍ وفضلٍ، وخيرٍ وعدل، وهمَّةٍ بلغتْ في السُّلوكِ السّماك، وعزمةٍ ليس لها عن الحزمِ انفكاك.

وهو من مشاهير مشايخ مصر، وكان يُفتي بها على مذهبِ الإمام أحمد رضي الله عنه.

وانتهتْ إليه الرِّياسةُ في طريق الصُّوفية، وقُصد لكشف منازلاتهم، وكان لا يُنكرُ عليه أحدٌ إلاّ بُهتَ عند رؤيته وانجاب، وقال: الاعترافُ بولايته أَولى وأليقُ بالصَّواب، ما أنت ومُكاثرة هذه الغمائم، ومُكابرة هذه السمائم،

---

(١) قال الذهبي: مات في عشر الثلاثين وخمس مئة. انظر العقد الثمين.

(*) ذيل طبقات الحنابلة ١/٣٠٦، تحفة الأحباب ٣٠٨، الكواكب السيارة ١٩٧، قلائد الجواهر ١١٣، طبقات الشعراني ١/١٥٠، كشف الظنون ٢/١٠٨، هدية العارفين ٦٥٣، جامع كرامات الأولياء ٢/١٤٢. وسيترجم له المؤلف مرة أخرى في طبقاته الصغرى ٤/١٧٠.

ومُنافحة هذه الكمائم، ومُناوحة[1] هذه الحمائم.

ومن كلامه:

لا سبيلَ لأحدٍ إلى معرفة كُنْه ذاتِ الحقِّ تقدَّسَ، وإنَّما يَصلُ النَّاسُ من معرفته إلى الاعتبار بآياته ومصنوعاته.

وقال: لو تناهتِ الحكمُ الإلهية في حدِّ العقول، أو انحصرتِ القدرةُ الربَّانية في درك العلوم كان ذلك تقصيراً في الحكمة، ونقصاً في القدرة.

وقال: جميعُ المخلوقات من الذَّرَّةِ إلى العرشِ طُرقٌ متَّصلةٌ[2] إلى معرفته، وحججٌ بالغةٌ على أزليته، والكونُ كلُّه أَلسنٌ ناطقةٌ بوحدانيته.

وقال: من عرف نفسَه لم يغترَّ بثناء الناس عليه؛ لمعرفته بأنَّها مأوى كلِّ شرٍّ.

وقال: من لم يقدرْ على صحبة مولاه لقلّةِ صبره عليه ابتُلي بصحبة العبيد.

وقال: من تحقق بالرِّضا تلذَّذ بالبلا[3].

وقال: من حلية العارف الخشية والهيبة[4].

وقال: دليلُ تخليطِكَ صحبتُكَ للمخلّطين، ودليل بطالتك ركونُك للبطَّالين، ودليلُ وحشتك[5] أُنسكَ بالمستوحشين.

وكان له ستُّ مئة مُريد، فطلبوا منه أن يُحدّثَهم بشيءٍ من الحقائق، فقال: لو تكلّمتُ بكلمةٍ واحدةٍ منها أفتى بقتلي أعظمُكم وأجلُّكم.

ومن كراماته: أنَّه كان يَخرجُ من بيته بمصر بعد العشاء فيطوف بالبيت، ويشرب من ماءِ زمزم، ثم يَزورُ المصطفى ﷺ، ثم بيت المقدس، ثم يَعود إلى بيته قبل الفجر.

---

(١) في (ف): ومنادمة.
(٢) في (أ): طرق موصلة.
(٣) في (أ) و (ب): تلذذ بالقضا.
(٤) في المطبوع: والمصيبة.
(٥) في المطبوع: خستك.

وكان يتكلَّمُ بجميع اللغات، وإذا أرادَ إنسانٌ أعجميٌ أن يتكلَّمَ بالعربية أو عكسه تفلَ في فيه فيصيرُ يَعرفُ تلك اللغة.

وزادَ النِّيلُ زيادةً كادت مصرُ أن تغرقَ، وثبتَ فلم ينزلْ، فعزمَ أهلُها على الجلاء، وضجُّوا، وفاتَ وقتُ الزرع، فأتوه، فتوضَّأَ منه فنقص في الحال نحو ذراعين، وانكشفتِ الأرضُ.

وتوقّفَ عن الزِّيادةِ في بعضِ الأعوام فغلا السعرُ، فتوضَّأَ منه بأبريق فارتفعَ حتى خافوا الغرقَ.

مات سنة أربع وستين وخمس مئة عن نحو سبعين سنة، ودُفِنَ بالقَرَافة فيما بين الشَّافعيِّ والجبل، وقبرُه بها ظاهرٌ يُزار. رضي الله عنه.

* * *

(٤٢٩) عدي بن مسافر(*)

حَبْرٌ جوهرُه فاخر، وبحرٌ موجُهُ زاخر، وصوفيٌّ شهابهُ ساطع، وسيفٌ عزمُهُ قاطع. وهو من أجلَّةِ مشايخِ العراق، وأحد أركان الطريق.

أثنى عليه العارفُ الكيلاني رضي الله عنه، ونوَّهَ بذكره، وشهدَ له بالسَّلطنة على أهل مصره، وقال: لو كانتِ النُّبوّةُ تُنال بالمجاهدة لنالها عدي.

وكان إذا سجد سُمِعَ لمخّه في رأسه صوتٌ كوقع الحصاة في القَرْعة البالية.

وكانت السِّباعُ والهوام تألفُهُ وتحوم حوله، وتظهرُ أنّها تعرفه.

وكان له مع ذلك مواعظُ ترقُّ كالماء انسجاماً، وتَروق كالزَّهر ابتساماً.

(*) الكامل في التاريخ ١١/ ٢٨٩، وفيات الأعيان ٣/ ٢٥٤، الحوادث الجامعة ٢٧١، تحفة الأحباب ١٩١، ١٩٢، ٣٠٠، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٤٢، العبر ٤/ ١٦٣، دول الإسلام ٢/ ٧٢، مرآة الجنان ٣/ ٣٩، الوافي بالوفيات ١٩/ ٥٣٤، البداية والنهاية ١٢/ ٢٤٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٦١، الكواكب السيارة ١٨٦، طبقات الشعراني ١/ ١٣٧، قلائد الجواهر ٨٥، كشف الظنون ٢/ ١١٥٨، شذرات الذهب ٤/ ١٧٩، هدية العارفين ١/ ٦٦٢، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٤٧، وانظر الأعلام ٢/ ٢٢١.

ومن كلامه:

إذا رأيتُمُ الرَّجلَ تظهرُ له الكرامات الخوارق فلا تَعبؤوا به حتى تَنظروه عند الأمرِ والنَّهي؛ فإنَّ جمعاً من الكفار أظهروا خوارقَ وعجائبَ وهم كفار.

وقال: مَنْ لم يأخذْ أدبَه عن المتأدّبين أفسدَ كلَّ من تبعه.

وقال: من اكتفى بالكلام من غيرِ عملٍ انقطعَ عن الله، ومن اكتفى بالتعبُّدِ من غيرِ فقهٍ خرجَ من الدِّين، ومن اكتفى بالفقه دون ورعٍ اغترَّ بالله، ومن قامَ بما عليه من الأحكام نجا.

وقال: أولُ ما على سالِكِ طريقنا تركُ الدعاوى الكاذبة، وإخفاءُ المعاني الصادقة.

وكان أكثر إقامته بالجزيرةِ السَّادسة من البحر المحيط.

وكان يأمرُ الرِّيحَ أن تسكنَ، فتسكن فوراً.

مات سنة ثمان وخمسين وخمس مئة رضي الله عنه.

* * *

(٤٣٠) عقيل المنبجي(*)

شيخُ شيوخِ الشَّامِ في وقته، تخرَّجَ به جمعٌ من الأكابر، وهو أوّلُ من دخلَ بالخرقة العُمرية إلى الشام، وعنه أُخذت، ويسمّى بالطيّار؛ لأنَّه لمَّا أرادَ الانتقالَ من محلِّ إقامته ببلادِ المشرق صَعِدَ المنارةَ، ونادى: يا أَهلَ القرية، فاجتمعوا، فطارَ في الهواء، والنَّاسُ يَنظرون، فجاؤوا فوجدوه بمنبج.

ومن كلامه:

طريقُنا الجدُّ والكدّ، ولزومُ الحدّ، حتى تنقد[1]، فإمّا أن يبلغَ الفتى مُناه، وإمّا أن يموتَ بداه.

(*) قلائد الجواهر ٩٤، طبقات الشعراني ١/ ١٣٦، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٥٣، وفي الأصل المنيحي. قال النبهاني في جامع الكرامات ٢/ ١٥٤ نقلاً عن السراج: سكن منبج من أعمال حلب.

(١) كذا في الأصول، وقلائد الجواهر، وفي طبقات الشعراني: تنفذ.

وقال: من تطلَّبَ لنفسه حالاً أو مقالاً أو مقاماً فهو بعيدٌ من طُرقِ المعارف.

وقال: الفتوَّةُ رؤيةُ مَحاسنِ النَّاس، والغيبةُ عن مساوئهم.

وقال: فقدُ الأسفِ والبكاءُ في مقام السُّلوك عَلَمٌ من أعلامِ الخذلان.

ومن كراماته: أنَّه كان إذا نادى وحوشَ الفَلوات جاءتْ له صاغرةً حتى تسدَّ الأُفقَ.

وكان عكازُه لا يستطيعُ أحدٌ حملَه مُطلقاً.

توطَّنَ بمنبج نيفاً وأربعين سنةً، وبها مات، وقبرُه بها ظاهرٌ يزار. رضي الله عنه.

* * *

(٤٣١) علي بن إبراهيم الأنصاري(*)

الفقيه الإمام الزَّاهد العابد، المعروف بابن بنت أبي سعد[١] كان أولاً يَؤمُّ ويُفتي، ثم رأى في نومه أنَّ نصرانياً بيده عودٌ ينقّطُ به كلَّ من دخلَ السُّوق نقطةً سوداءَ، فانتبَه مرعوباً، وأوَّلَهُ بتبعاتِ الخلق، ثم انقطعَ، للتعبُّدِ والمُجاهدة حتى صار من[٢] أرباب الأحوال.

ومن كراماته:

أنَّه كانتِ الثَّعابينُ تشرب من يده.

وكان إذا رقى مَريضاً عُوفي.

وكان نصرانيٌّ بقربه، فاحتُضرَ، فأرسلَ الشيخُ إليه ورقةً مكتوباً فيها الشهادة، فبمجردِ رؤيته إيَّاها أَسلَم هو وأهلُ بيته، وجُعلتْ معه في كفنه، فقيل

(*) تحفة الأحباب ٣٥٢، الكواكب السيارة ٢٥٢، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٦٠ و ١٧٢. وسيترجم له المؤلف مرة أخرى في الطبقات الصغرى ٤/ ٤٦٤.

(١) في (أ)، وتحفة الأحباب ابن بنت أبي سعيد.

(٢) في (ب): حتى صار رأساً من....

له في النوم: ما فُعلَ بك؟ قال: غُفرَ لي بتلك الرقعة.

مات سنة أربعٍ وستين وخمس مئة.

ولما وضِعَ على المُغتسل سُمِعَ من يقولُ ولا يُرى شخصُه: هنيئاً لك، يا مَنْ قدمَ على اللهِ بِقلبٍ خاشعٍ وبصرٍ دامعٍ.

ودُفِنَ بالقَرَافة. رضي الله تعالى عنه.

* * *

(٤٣٢) عليُّ بن أحمد الزَّيديُّ العلوي(*)

صالحٌ عابدٌ، ناسكٌ زاهد، محقّقٌ عارف، ورعٌ بحرم التَّقوى طائف، يتَّصلُ نسبه بزيد بن علي رضي الله عنهما، وكان يُشار إليه بالزَّهادةِ والعبادة، وحسنِ الطريقة، وصحَّةِ العقيدة على الحقيقة، وطلب العلمَ، ودرسه، والسَّعي في تحصيله.

وحصلَ له القبولُ التام عند سائر الأنام، وهو مع ذلك في غاية التَّواضع، ونهاية التَّمسْكُنِ.

وكان إذا صحبَه أحدٌ اكتسبَ من توكُّله ما يزيدُه إيماناً، واعتقدَ أنَّ الله يرزقُه كما يَرزقُ الطَّير التي غدتْ خماصاً وراحتْ بطاناً.

ومن كلامه:

اجعلْ النَّفلَ كالفرضِ، والمعاصي كالكفر، والشهواتِ كالسّموم، ومخالطةَ النّاسِ كالنار، والغذاءَ كالدواء تسلكْ طريقَ الأبرار. رضي الله عنه.

* * *

(*) الكامل ١١/١٨٨، مرآة الزمان ٨/٣٥٦، سير أعلام النبلاء ٢١/١٠٤، تذكرة الحفاظ ٤/١٣٦١، طبقات السبكي ٧/٢١٢، طبقات الإسنوي ١/٢٦٥؛ المختصر المحتاج إليه ٣/١١٤، النجوم الزاهرة ٦/٨٦، وانظر مصادر ترجمة المخطوطة في حاشية السير.

(٤٣٣) علي الكردي الدمشقي[*]

إمامُ وقته وزمانه، فريدُ عصره لا يُوصل[١] إلى مكانه، ذو رتبةٍ جلَّ قدرُها، ومنزلةٍ سار[٢] بالرِّفعة ذكرها، كان ظاهرَ الوله يتحكَّمُ في أهل دمشق، وله عندهم صولةٌ، وله كراماتٌ كثيرة، ووقائعُ بينهم شهيرة.

ولمّا قدمَ العارفُ الشِّهاب السُّهروردي دمشق برسالةِ الخليفةِ إلى الملكِ العادل أرادَ زيارته، فقالوا له: لا تفعل، أنتَ إمامُ الوجودِ، وشيخُ الدنيا، والرَّجلُ لا يَصومُ ولا يُصلِّي، ويمشي مكشوفَ العورة غالباً، فقال: لا بدَّ. فقالوا: هو في الجبَّانة، وذلك أنَّه دخلَ دمشقَ مولهٌ[٣] آخرُ، وهو الشَّيخُ ياقوت، فساعةَ دخوله دمشقَ خرجَ الشَّيخُ منها، وسكنَ جبَّانتها، وما دخلها بعدُ حتى مات، فركبَ السُّهرورديُّ بغلتَه، وحوله الجمعُ الجمُّ فلمَّا وصلَ إلى قرب مكانِه ترجَّل، فلمّا رآه الكرديُّ كشفَ عورته، فقال له: لا تَصدّنا بذلك، ونحن أضيافُكَ، وإذا بحمّالين جاؤوا بطعامٍ كثيرٍ، لا يُدرى من أين جاؤوا[٤]، فوضعه بين يديه.

ولم يزلْ كذلك حتى مات، ودُفِنَ ببابِ الصَّغير رضي الله عنه.

* * *

(*) مرآة الزمان ٨/٦٣٨، روض الرياحين ٤٨٠ (حكاية ٤٤٣)، البداية والنهاية ١٣/١٠٨، جامع كرامات الأولياء ٢/١٦٩. ووفاته سنة ٦٢٢ فهو من رجال الطبقة السابعة. وسيترجم له المؤلف مرة أخرى في الطبقات الصغرى. ٤/٤٦٣.

(١) في (ب): يصل.

(٢) في المطبوع: ساد.

(٣) في المطبوع: مولد.

(٤) في المطبوع: جاء.

(٤٣٤) علي بن وهب السِّنجاري(*)

العابدُ الزَّاهد، صوفيٌّ عارفٌ، لا مُعارضَ له في التقدّمِ ولا مُخالف.

كان(١ شيخَ العراق في وقته ١)، حفظَ القرآن وهو ابنُ سبع سنين، ولم يَخطرْ بباله الاشتغالُ بالطَّريق فرأى الصدّيقَ رضي الله عنه في النوم، وقال: أُمرتُ أن أُلبسَكَ هذه الطاقية، فألبسَهُ، ثم بعد أيامٍ رأى الخضرَ عليه السلام، فقال: اخرجْ إلى الناس، وانفعْهم، فتثبّتَ، فرأى المُصطفى ﷺ ثالثةً، وأمره بذلك في أوّل الليل، ثم رأى في آخره الحقَّ عزَّ وجلَّ، وقال: يا عبدي، جعلتُكَ من صفوتي في أرضي. فخرجَ فهرعوا إليه من كلِّ جانب.

وانتهتْ إليه تربيةُ المُريدين بسِنْجَار.

وأخذَ عنه الأكابرُ كسويد السِّنجاري، والجاوي(٢)، والسعد.

ومات عن أربعين خادمٍ كلّهم من أربابِ الأحوال، واجتمعوا بعده في روضةٍ فجعلَ كلٌّ منهم يأخذُ منها قبضةً من نباتها، ويتنفَّسُ فيها، فتصيرُ أزهاراً مُختلفةَ اللَّونِ كأحمر وأصفر وأخضر، فأقرَّ بعضُهم لبعضٍ بالتمكينِ والتصرف.

ومن كلامه:

معرفةُ الله عزيزةٌ لا تُدركُ بالعقلِ، بل يُقتبسُ أصلُها من الشَّرع، ثم تتفرَّعُ حقائقها على قدرِ القُرْبِ، فقومٌ عرفوه بالوحدانية، وقومٌ بالقدرة فتحيّروا(٣)، وقومٌ بالعظمة فوقفوا على أقدام الدهش، وقومٌ بعزّة الإلهية فنزَّهوه(٤) عن الكيفية والماهية، وقومٌ عرفوه بلا خبرٍ(٥) فأراهم مالا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعت.

(*) قلائد الجواهر ٩٥، طبقات الشعراني ١/١٣٨، جامع كرامات الأولياء ٢/١٦٢. وسيترجم له المؤلف ثانية في طبقاته الصغرى ٤/٤٦٩.

(١ـ١) ما بينهما ليس في (أ).

(٢) في القلائد: الخباز، وفي (أ): الجاري.

(٣) في المطبوع: فتخيروا.

(٤) في المطبوع: فتنزهوا.

(٥) في المطبوع: بلا خيرة.

وقال: الزُّهدُ أعمُّ من الورعِ، لأنَّ الورعَ فيه إبقاءُ شيءٍ، والزُّهدُ قطعُ الكلِّ.

وقال: من سكنَ سرُّه إلى غيرِ اللهِ نزعَ الرَّحمةَ من قلوبِ الخلقِ عليه، وألبَسهُ لباس الطَّمع فيهم، فلا يرجع عن سؤالهم، ولا يعطوه شيئاً.

مات بسِنجار رضي الله عنه.

* * *

(٤٣٥) علي بن الهِيتي(*)

علي بن الهِيتي، نسبةً لِهيت[1] قريةٌ من قُرى العراق، وهو من أجلّة مَشايخه وأعيانهم، وأحد أركانِ الطريق، وعظَ وروى وأفادَ، وأرشدَ المُريدين إلى سُلوك طريقِ الرَّشاد، قد حوتْ جوامعُ كلامه كلَّ غريبة، وأتتْ بدائع معانيه بكلِّ عجيبةٍ.

وقيل إنّه تقطَّبَ.

وكان العارفُ الجيلاني رضي الله عنه يعظّمه، ويقولُ: ما من الأولياء إلاّ وهو في ضيافتنا إلاّ ابن الهيتي، فإنّنا في ضيافته.

وقد انفتح[2] رتقُ قلبه وهو ابنُ سبعِ سنين فكانَ يُخبرُ بالمُغيّبات، ويُظهر الكرامات.

ومكثَ ثمانين سنةً لا خلوةَ له، ولا معزل ليلاً ونهاراً، بل ينامُ بين الفقراء.

ومن كلامه:

علامةُ صحّة الحالِ كونُ صاحبه محفوظاً حالَ غيبته كحال صحوه.

وقال: الحقُّ تعالى وراء جميع ما أدركه الخلقُ بعقولهم وعلومهم ومعارفهم.

مات سنة أربع وستين وخمس مئة عن نيّفٍ وعشرين ومئة سنة. رضي الله عنه.

(*) قلائد الجواهر ٩٠، طبقات الشعراني ١/ ١٤٥، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٦٠.

(١) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد، فوق الأنبار. معجم البلدان.

(٢) في (أ): وقد انفتق.

(حرف القاف)

(٤٣٦) القاسم بن محمد البصري(*)

من أكابرِ مشايخ العراق، المَقصودين للزِّيارة والتبرُّك والتَّسليك من جميع الآفاق، وكان جواداً سخياً، صوفياً وفياً، بحراً براً، حلواً مراً، يُفتي على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، ويَعظُ في الشريعة والحقيقة.

ومن كلامه:

أرواحُ الواجدين عطرةٌ لطيفةٌ، وكلامُهم يُحيي مَواتَ القلوبِ، ويزيدُ في العقول.

وقال: كلُّ وجدٍ لا يسقطُ التمييز، ويجعلُ الأماكنَ كلَّها واحداً، والأعيانَ كلَّها عيناً واحدة فليسَ بوجدٍ إنّما هو تلاعبٌ.

وقال: المواجيدُ ثمراتُ الأوراد، ونتائجُ المنازلات.

ومن كراماته:

أنَّه كان إذا خرجَ من خلوته لا يمرُّ بشجرةٍ يابسةٍ إلاّ اخضرَّتْ وأورقتْ للوقت، ولا يَرى ذا عاهةٍ إلاّ عوفي فوراً.

سكنَ البصرة، وبها مات في حدود السبعين وخمس مئة، ولمّا صلُّوا عليه سمعوا في الجوِّ دُفوفاً وطبولاً تُضرب. رضي الله تعالى عنه.

(*) طبقات الشعراني ١/ ١٥٠، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٣٥.

(٤٣٧) قضيب البان الموصلي (*)

ذو الأحوالِ الباهرة، والكراماتِ الظاهرة المُتكاثرة، كان عظيمَ الشَّانِ، ورحلة السَّالكين المَعروفين بالعرفان.

رُوي أن بلديَّه الكمالَ بنَ يونس كان عنده جماعةٌ فوقعوا فيه، فوافقهم، فبينما هم كذلك دخلَ عليهم، وقال: يا ابنَ يونس، أنتَ تعلمُ كلَّ ما يعلمه الله ؟ قال: لا، قال: فأنا من العلمِ الذي لا تعلمه أنتَ. فلم يدرِ ابنُ يونس ما يقولُ له مُجيباً.

(١) وخرجَ أبو النجا المغربي من بلده يُريد المشرقَ، ومعه أربعون وليًّا، فكانَ كلُّ بلدٍ جاءه يستوعبُ ما فيه من الرجال حتى وصلَ الموصلَ، فخرجَ إليه الرِّجالُ فإذا بقضيبِ البان خرجَ بأطمارِهِ وشعثه، فقال: أينَ الشيخ ؟ قالوا: خرجَ. قال: خرجَ يتشيطن. فغضبوا، وقال أحدُهم: كذبَ شيطانُك. فغضبَ ورمى بأطمارِهِ، ووقفَ عرياناً على جنب بركةٍ يصبُّ الماءَ بيده على بدنه، وإذا بالشَّيخِ جاء، فأخبروه، فقال: صدقَ، كنتُ مع إمامِ الموصل يُنافقني وأُنافقه. ثم قال قضيبُ البان: خبّرني بكلِّ رجلٍ رأيتَه من بلادك. فذكرَ رجالاً، وقضيبُ البان يقول: وزنُه ربعُ رجل، وزنُه نصفُ رجل، وهذا وازنٌ، وهذا كاملٌ، وهذا وإن ملأ صيتُه ما بين الخافقين لا يُساوي عند الله جناحَ بعوضةٍ(١).

وسُئل عنه الشَّيخُ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه فقال: هو وليٌّ مقرَّبٌ ذو حالٍ مع الله تعالى، وقدم صدق عنده، فقيل له: ما نراه يُصلّي. فقال إنّه يُصلّي من حيثُ لا تَرونه، وإني أراه إذا صلّى بالموصل أو بغيرها من آفاقِ الأرض يَسجدُ عند باب الكعبة.

وقال أبو الحسن القرشي رضي الله عنه: رأيتُه في بيتٍ بالموصل قد ملأَهُ،

(*) قلائد الجواهر ١١٨، ١١٩، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٩٠ ذكره باسمه حسن.

(١) ما بينهما ليس في (أ) ولا في (ب).

ونما جسدُه نموًّا خارقاً للعادة، فخرجتُ وقد هالني منظرُه، ثم عدتُ إليه، فرأيتُه بحالته المعتادة.

وقال الشَّيخُ خليل المالكي[1]. رضي الله عنه صاحبُ «المختصر» المشهور: الوليُّ إذا تحقَّقَ في ولايته تمكَّنَ من التصّورِ في روحانيته، ويُعطى من القدرةِ التَّصوير في صورٍ عديدةٍ، وليس ذلك بمحالٍ، لأنَّ المتعّددَ هو الصُّورة الروحانية. وقال: وقد اشتُهر ذلك عند العارفين كما حُكي عن قضيب البان رضي الله عنه لمّا أنكرَ عليه بعضُ الفقهاء عدم الصَّلاة في جماعةٍ، ثم اجتمعَ ذلك الفقيهُ به، فصلّى بحضرته ثماني ركعاتٍ في أربعِ صورٍ، ثم قال له: أيُّ صورةٍ لم تُصلّي معكم؟ فقبَّلَ يدَ الشيخ، وتاب.

وقال بعضُهم: كان قضيبُ البان من الأبدال.

واتَّهمه بعضُ من لم يره بترك الصَّلاةِ وشدَّدَ النَّكيرَ عليه، فتمثَّلَ له على الفورِ في صورٍ مختلفةٍ، وقال: في أيِّ هذه الصُّورِ رأيتني ما أُصلّي؟

ولا مانعَ من أن يخصّ اللهُ من شاءَ من أوليائه بالتصرُّفِ في بدنين أو أكثر، فيكون جسمُه الأوّل بحاله لم يتغيَّرْ، ويقيمُ له شبحاً آخرَ وروحه[2] تتصرَّفُ فيهما معاً في وقتٍ واحدٍ، وقد أثبتوا عالماً متوسطاً بين عالمِ الأرواح وعالم الأجساد سمُّوه عالمَ المثال، وقالوا: إنه ألطفُ من عالمِ الأجسادِ، وأكثفُ من عالمِ الأرواح، وبنوا على ذلك تجسُّدَ الأرواحَ وظهورَها في صورٍ مختلفةٍ من عالم المثال[3].

مات بالموصل قريباً من سنة سبعين وخمس مئة، وقبره بها ظاهر يُزار رضي الله عنه.

---

(١) الشيخ خليل بن إسحاق الجندي المتوفى سنة ٧٦٧، وكتابه «المختصر» في فروع المالكية وله شروح عدّة. انظر كشق الظنون ١٦٢٨.

(٢) في المطبوع: وروضة.

(٣) انظر الحاشية رقم (٢) صفحة ٣٧٨ من هذا الجزء.

(حرف الميم)

(٤٣٨) ماجد الكردي(*)

كان من أعيانِ مشايخِ العراق، وصدورِ الرَّاسخين إماماً ربّانياً، صوفياً صمَدانياً، قد عرفَ الطَّريقَ وخَبرَها، ودرب أمورها ودبّرها، وقطعَ مَفاوزها وعَبرها. فلذلك اتَّفقوا على كماله، وأجمعوا على إجلاله.

وكان له رقائقُ تدلُّ على الهدى، ومواعظُ تجلي صدأ الصَّدا.

ومن كلامه:

قلوبُ المُشتاقين مُنوَّرةٌ بنور الله، فإذا تحرَّكَ فيها الشَّوقُ أضاءَ نورُه ما بين السماء والأرض، فيُباهي الله بهم الملائكة.

وقال: من لم يكن عنده أُنسٌ بربِّهِ فليس بمحبِّه.

وقال: الشَّوقُ نارُ اللهِ المُوقدةُ، لا تهدأُ إلاّ بلقاءِ الحقِّ، والنَّظرِ إليه.

وقال: العُجْبُ فضلةُ حمقٍ يُريد صاحبه أن يُغطّي به عيوبَ نفسه فلا يمكن.

وقال: ما أَوجدَ اللهُ عجيبةً إلا وأصلها(١) في صورة الآدمي فهو نسخةُ العالم المُختصرة.

ومن كراماته:

أنَّ رجلاً أرادَ الحجَّ فأعطاهُ ركوتَه، وقال: تجدُ فيها ماءً إن أردتْ الوضوءَ،

(*) قلائد الجواهر ١٠٧، طبقات الشعراني ١/ ١٤٨، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٣٩.

(١) في المطبوع: إلا أوصلها. وفي طبقات الشعراني إلا ونقشها.

ولبناً وسويقاً إن عطشتَ وجعتَ. فكان كذلك حتى عاد.

وقال: ما يحدثُ في هذا الكون شيءٌ إلاّ يُعلمني اللهُ قبله بوقوعه. فقال له ابنُ عدي: من يَشهدُ لك به؟ قال: الخَضرُ عليه السَّلام، وله أربعون سنةً يتردَّدُ إليَّ. وإذا بالخضرِ عليه السلام جالسٌ في الهواء، يقول: صدق ماجد.

مات سنة إحدى وستين وخمس مئة رضي الله عنه.

* * *

(٤٣٩) محمد الحصار المغربي الفاسي(*)

كان من الأولياءِ الكبار، وأعاظمِ الصُّوفية الأَخيار.

قال العارف ابنُ عربي: رأيتُ العرشَ قد جعلَ اللهُ له قوائمَ نُورانية، لا أدري كم هي، لكنّي أُشهدتُها[1]، ونورُها يُشبه نور البرق، ورأيتُ طيوراً حسنةً تَطيرُ في زواياه، فرأيتُ فيها طائراً من أحسنِ الطُّيورِ، فسلّمَ عليَّ، فأُلقي لي فيه أنْ آخذه صحبتي إلى بلادِ الشرق، وكنتُ بمدينة مراكش حين[2] كُشف لي عن هذا كلِّه، فقلت: ومن هو؟ قيل لي: محمد الحصار بمدينة فاس، سألَ اللهَ الرِّحلةَ إلى بلادِ الشرق، فخذْهُ معك. قلت: السَّمع والطاعة. فقلت له وهو عين ذلك الطائر: تكونُ صحبتي إن شاء الله. فلمّا جئتُ إلى مدينة فاس سألتُ عنه، فجاءني، فقلتُ: هل سألتَ الله في حاجةٍ؟ قال: نعم، أن يَحملني إلى بلاد المشرق، فقيل لي: إنَّ فلاناً يحملُكَ، وأنا أنتظركَ منذ زمان. فأخذته سنة سبع وتسعين[3] وخمس مئة، وأوصلته إلى الدِّيارِ المصرية، وبها مات رضي الله تعالى عنه ونفعنا به دنيا وأُخرى.

* * *

(*) جامع كرامات الأولياء ١/ ١١٤.

(١) في المطبوع: لكني أشهد لها.

(٢) في الأصول: حتى، والمثبت من جامع الكرامات، وهو ناقل عن المؤلف.

(٣) في (ب) سبع وسبعين.

(٤٤٠) محمد بن هارون السَّنهوريُّ(*)

صوفيٌّ صاحبُ كراماتٍ ومُكاشفات، منها:

أنَّه كان إذا مرَّ به والدُ البرهان الدُّسوقي يقول: هذا في ظهره وليٌّ يبلغُ صيتُه المشرقَ والمغرب.

وكُشفَ له أنَّه ينزلُ على بلدةِ سنهور صاعقةٌ تحرقُها، فاغتمَّ، وحاولَ دفعَه، فذبحَ ثلاثين بقرةً وطبخَها، ومدَّها سماطاً بزاويته، وقال لنُقبائه: لا تمنعوا منها أحداً يأكلُ أو يَحملُ. فأكلَ النَّاسُ وحملوا، فجاءَ رجلٌ أشعثُ أغبر مكشوف العورة، فأطعموه كثيراً، فلم يَشبع، وقال: أَطعموني. فأخرجوه بغير علمِ الشيخ، فلمَّا علمَ بادرَ وخرجَ بأهله من البلدِ، فنزلتِ الصَّاعقةُ عليها فأحرقتِ النَّاسَ في أسواقهم وبيوتهم أجمعين، فقال لنُقبائه: ما الذي فَعلتموه ؟! رجلٌ يُريد حملَ البلاء عن بلدكم بأكلةٍ منعتموه.

فهي خرابٌ إلى الآن. وعَمَروا غيرَها وكانتْ مدينةً عظيمةً.

* * *

(٤٤١) محمد بن الفضل(**)

الشيخ الإمام أبو الفتوح الإسْفراييني، أحدُ الأئمة المُجتهدين في العبادة، الناصرين للسنَّة، الصَّابرين على المِحنة، عليه جلالةٌ وقبول، ولديه أبواب من الخير وفصول.

(*) طبقات الشعراني ٢/ ٣، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٢٦، وسيترجم له ثانية في الصفحة ٥٤٣ من هذا الجزء. والترجمة من (أ) فقط.

(**) تبيين كذب المفتري ٣٢٨، المنتظم ١٠/ ١١٠، الكامل لابن الأثير ١١/ ٩٦، مرآة الزمان ٨/ ١١١، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٣٩، العبر ٤/ ١٠٥، مرآة الجنان ٣/ ٢٦٩، الوافي بالوفيات ٤/ ٣٢٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٩٨، طبقات السبكي ٦/ ١٧٠، طبقات الإسنوي ١/ ١٠٧، كشف الظنون ٢٢٠، ١٩٢٦، شذرات الذهب ٤/ ١١٨، جامع كرامات الأولياء ١/ ١١١، هدية العارفين ٢/ ٨٨.

ولد سنة أربع وستين وأربع مئة بأسْفَرَايين[1]، وبها نشأ وتفقَّه على مذهب الإمام الشَّافعي رضي الله عنه.

وروى الحديثَ عن: ابنِ عساكر، وابن السمعاني.

قال ابن عساكر[2] رحمه الله: هو أَجرأُ من رأيته لساناً، وأَحدُّهم بياناً، وأسرعُهم جواباً، وأحسنُهم خطاباً مع ما رُزقَ بعد صحَّة العقيدةِ من الخصال الحميدة، والسجايا الكريمة، وقلَّة المراءاة لأبناء الدنيا، وعدم المُبالاة بذوي الرتب[3] العليا، والتحلّي بالتَّصوف والزهادة، والتَّجلّي بوظائف العبادة، والاستحقاق لوصفِ السيادة.

كان من أفراد الدَّهرِ في الوعظ ورسوخ القدم في التصوف، وصنَّفَ في الحقيقة كتباً منها «كشف الأسرار»[4].

ولم يزلْ على حاله، راقياً في كماله حتى خلت منه الدِّيار، وشطَّ منه المزار، فماتَ بِبسطام، ودُفِنَ بجنب أبي يزيد البِسطامي رضي الله عنه.

ورُؤِيَ ليلةَ موته العارفُ أبو يزيد البِسطامي رضي الله عنه يكنُسُ الرِّباط، ويملأُ الأواني، ويقول: غداً يُقبرُ بجانبي رجلٌ صالحٌ.

ولَّمَّا وضعه الحفَّار بالقبرِ اتَّسعَ سعةً مُفرطةً حتى أُغمي عليه.

مات رضي الله عنه سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة. رضي الله عنه.

* * *

---

(١) أسفرايين: بليدة حصينة من نواحي نيسابور. معجم البلدان.

(٢) تبيين كذب المفتري ٣٢٨.

(٣) في المطبوع: المراتب.

(٤) ذكر السبكي في طبقاته ٦/ ١٧٢ اسم الكتاب: كشف الأسرار، وبيان التقلّب، وبث الأسرار.

(٤٤٢) محمد الأَوَاني (*)

محمد الأواني، يُعرف بابن قائد، من قريةٍ تُسمى أَوَانا[١] من أَعمال بغداد، كان ذا معارف[٢] تضاعف مَدَدَها، ورتبةٍ علا في أُفق السُّلوك فرقدُها، وتربيةٍ نفذ سهمُها في الأمصار، ومواعظ لها في القلوبِ إجلالٌ وإكبار.

وهو من أصحاب الإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه.

قال العارفُ ابنُ عربي[٣] رضي الله عنه: وكان ابنُ قائد هذا يقولُ فيه عبد القادر: معربد الحضرة.

وكان يشهد له العارف عبد القادر الحاكم في هذه الطريقة، المرجوع إليه في الرِّجال[٤]: أنّه من المُفردين، وهم رجالٌ خارجون عن دائرةِ القطب، والخضرُ عليه السلام منهم، ونظيرهم من الملائكةِ الأرواح المُهيّمة في جلال الله، وهم الكَرُوبيُّون مُعتكفون في حضرة الحقِّ سبحانه، لا يَعرفون سواه، ليس لهم بذواتهم عِلمٌ عند نفوسهم، مقامهم بين الصدّيقيّة والنُّبوة الشرعية. قال: وهو مقامٌ جليلٌ جَهلَه أكثرُ الناس من أهلِ طريقنا كأبي حامد رضي الله عنه وأمثاله، فإنَّ ذوقه عزيز.

ومن كلام صاحب الترجمة ما قال:

تركت الكلَّ ورائي، وجئتُ إليه، فرأيتُ أَمامي قدماً، فغرتُ، وقلتُ: لمن

(*) التكملة لوفيات النقلة ١/٩٦، سير أعلام النبلاء ٢١/١٩٥، الفتوحات المكية ٢/١٩، الوافي بالوفيات ٤/٣٥٢، المشتبه ١٠٦٥، توضيح المشتبه ١/٢٧٩، و ٧/١٤٧، جامع كرامات الأولياء ١/١١٢. وانظر مصادر ترجمته المخطوطة في حاشية السير.

(١) أوانا: بليدة كثيرة البساتين والشجر نزهة، من نواحي دجيل بغداد. معجم البلدان، وفي الأصول: آونة.

(٢) في المطبوع: ذا معان.

(٣) الفتوحات المكية ٢/١٩.

(٤) في المطبوع: المرجوع إليه في الطريق.

هذا ؟ اعتماداً منّي على أنّه ما سبقني إليه أحدٌ، وإنّي من أهلِ الرَّعيلِ الأول، فقيل لي: هذا قدمُ نبيِّكَ. فسكنَ روعي. انتهى.

ثم رأيتُ في كلامِ ابن عربي رضي الله عنه أَنَّ ابنَ قائد هذا شيخه؛ فإنَّه قالَ في «الفتوحات»: قال شيخُنا محمد بن قائد: رأيتُ في دخولي عليه أثرَ قدمٍ أمامي، فقيل لي: هذا قدمُ نبيِّكَ. فسكن مابي.

قال: واعلمْ أنَّ هذه الدَّولةَ المُحمدية جامعةٌ لأقدامِ الأنبياءِ والمُرسلين، فأيُّ وليٍّ رأى قدماً أمامه فتلك قَدَمُ النَّبيِّ الذي هو له وارثٌ، وأمَّا قَدَمُ نبيِّنا محمدٍ ﷺ فلا يَطأُ أثرَه أحدٌ، كما لا يكون أحدٌ على قلبه، فالقدمُ التي رآها محمدُ بن قائد أو يَراها كلُّ من رآها قَدَمُ النَّبيِّ الذي هو له وارثٌ، لكن من حيثُ ما هو مُحمَّديٌّ لا غير، ولهذا قيل له: قدم نبيِّك، ولم يُقل له هذه قدمُ محمدٍ ﷺ.

* * *

(٤٤٣) محمد بن أحمد القرشيُّ(*)

محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو عبد الله القُرشي عارفٌ جليل سمتْ أعلامُه، وصوفيٌّ نبيل حسنتْ تربيتُهُ وطابتْ أوقاتُهُ وأيامه.

أصله من بلاد الأندلس من الجزيرة الخضراء، ثم تحوَّلَ إلى مصر فقطنها، ثم إلى بيتِ المقدس، وكان من أعيان مشايخ المغربِ ومصر، لقي نحو ست مئة شيخ، وجدّ واجتهد، وأخذ عنه كثيرون منهم البُوني.

ومن فوائده أنه قال: دخلتُ على الشَّيخ أبي محمد المُغاور، فقال:

(*) التكملة لوفيات النقلة ١/ ٤٦٨، وفيات الأعيان ٤/ ٣٠٥، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٠٠، العبر ٤/ ٣٠٩، مرآة الجنان ٣/ ٤٩٧، روض الرياحين (الحكايات: ١٤، ٤٣٩، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٨٧، ٤٨٨) الوافي بالوفيات ٢/ ٧٨، أنس الجليل ٢/ ٢٤٥، طبقات الشعراني ١/ ١٥٩، نفح الطيب ٢/ ٥٤، شذرات الذهب ٤/ ٣٤٢، جامع كرامات الأولياء ١/ ١١٤. وسيترجم له المؤلف ثانية في طبقاته الصغرى ٤/ ١٥٨، و٥٥٣.

يا شريفُ، أُعلِّمُكَ شيئاً تستعين به ؟. إذا احتجتَ إلى شيءٍ فقل: يا واحدُ يا أحد، يا واجد يا جَواد، انفحنا بنفحةِ خير، إنَّك على كلِّ شيءٍ قدير. قال: فأنا أُنفقُ منها مُنذُ سمعتها.

وقال: رأيتُ القيامةَ ومراتبَ الخلقِ فيها، ومقاماتِ الأنبياء والأولياء، وكيف صُورُ الأعمال، وكيف تَظهرُ على أربابها، ورأيتُ البرزَخَ، وكيف حالُ الموتى فيه.

وقال: كُشفَ لي عن باطنِ حقائقِ القرآن العظيم، واطّلعتُ على أسراره.

وقال: من طلب الغايات في المبادئ فقد أخطأ الطريق.

وقال: حقيقةُ المحبَّة أن تهبَ كلَّك[1] لمن أحببتَهُ فلا يبقى منك شيءٌ.

وقال: إن كنتَ محتاجاً إليه فالزمْ بابَه حتى يفتح[2] لك.

وقال: الزم الأدبَ والعُبوديَّة، ولا تتعرَّضْ لشيءٍ، فإنْ أرادَكَ أَوصلَكَ إليه.

وقال: يسيرُ العملِ مع الرِّعايةِ منجح[3].

وقال وقد سُئل عن التَّوكُّل: هو التَّعلُّقُ بالله في كلِّ حالٍ. فقال السائل: زدني. فقال: ترك[4] كلِّ سببٍ يُوصل إلى سببٍ حتى يكونَ الحقُّ هو المتولي لك.

وقال: كنت مُراداً بالتقليل، لم يكن يصفو لي شبعٌ، ولا ريٌّ، ولا كسوة، وقد أقمتُ سنةً، وعليَّ جبةُ صوفٍ أَضمُّها عليَّ كيلا تنكشفَ عورتي، وهي مَحشوةٌ، فقطعت بطانتها، فصارَ القملُ يدخلُ في القطنِ فأُقاسي منه شدَّةً، فاغتسلتُ يوماً عند بئرٍ، فأخذها لصٌّ، ففرحتُ، ومضى بعضُ أصحابي يَستعيرُ ما ألبسه، وإذا باللِّصِّ نظرها فوجدها لا تُساوي شيئاً، فجاء فطرحها، وقال:

---

(١) في المطبوع: بكلكلك.

(٢) في المطبوع: حتى يفتحه.

(٣) في (أ) و (ب) منجٌ.

(٤) في (أ): اترك.

خذْها، لا طرحَ اللهُ لك فيها بركةً، أتعبتني على لا شيء.

وقال: من فوائدِ الفقرِ وثمراتِهِ وجودُ ألم العري والجوع، والتلذُّذ بهما، والمنافسة فيهما.

وقال: دخلتُ على أُستاذي أَبي مدين رضي الله عنه وله ولدٌ صغير جاءَ من المكتب، فالتفتَ إلى أصحابه، وقال: هذا أَفسدَ عليَّ مملكتي. فمات الولد.

وقال: بينا أنا أسيرُ في بعض السَّواحل إذ خاطبتني حشيشةٌ: أنا شفاءُ هذا المرض الذي بك - يعني الجُذام - فلم أتناولْها، ولم أستعملها.

وقال وقد كتب إلى أخٍ[1] له: يا أخي، إنْ كنتَ تصدَّقتَ بما مضى من عُمرك على الدُّنيا، وهو الأكثر، فتصدَّقْ بما بقي على الآخرة وهو الأقلُّ.

وقال: أبت البشرية أن تتوجَّه[2] إلى الله إلاّ في الشدائد، عطشتُ مرَّةً في طريق الحاجِّ، فقلت لخادمي: اغرفْ لي من البحر الملح. فغرفَ منه ماءً عذباً، فلمَّا ذهبتِ الضَّرورةُ غرفَ فإذا هو ملح.

وقال: لا يكونُ الابتلاءُ إلاّ لفحول الرجال.

وكان يحبُّ طعامَ القمح، فقيل له فيه، فقال: زارني الخضرُ عليه السلام فقال لي: اطبخ لي شُوَيَّةَ[3] قمح. فمن يومئذٍ أُحبُّه.

وكان يَشرطُ على أصحابه أن لا يَطبخوا في بيوتهم إلاّ لوناً واحداً حتى لا يتميَّزَ أحدٌ على أحدٍ.

وقال: هي أسرار الله يبذلها[4] إلى أُمناء أَوليائه من غيرِ سماعٍ ولا دراسة، فهي خاصَّةٌ بخواصِّ الخواص.

وقال: آخرُ ما تصوَّرتْ لي الدُّنيا في صورةِ امرأةٍ حَسناء شابَّة، بيدها مكنسةٌ تكنُسُ المسجد الذي كنتُ فيه، فقلتُ: ما شأنُك؟ قالت: جئت أخدمُك.

---

(١) في المطبوع: كتب الحاج له.
(٢) في المطبوع، و (ب): يتوجه.
(٣) الشُّوَيَّة: القليل من الكثير. المعجم الوسيط. وفي طبقات الشعراني: شوربة.
(٤) في (ف): يبديها.

قلتُ: لا. قالت: لا بدَّ. فعزمتُ على ضربها فعادتْ عجوزاً ضعيفةً، فرحمتها، ثم غفلتُ عنها فعادتْ شابّةً، فانزعجتُ لذلك، فقالت: تطيلُ أو تقصر أنا هكذا أخدمُكَ، وكذا خدمتُ إخوانك. فمن ذلك اليوم لم يتعذّرْ عليَّ شيءٌ[1] من الأسباب.

وكان يقول: إذا خافَ أحدُكم تُخمةً فليقلْ عقب وضع المائدة وفراغهِ من الأكل: قال أبو عبد الله القرشي: اليومُ يومُ عيدٍ، فلا يضرّه.

وله خوارقُ كثيرةٌ وكراماتٌ شهيرة منها: أنَّه لما ابتُلي بالجذام في بدنه كان في أوقاتِ الصلاة يذهبُ عنه البلاءُ، فيعودُ صحيحاً، فإذا فرَغَ من صلاتِهِ عاد كما كان.

ومنها: أنَّه جاءَ مرَّةً إلى السَّاحلِ ليعدي، ومعه القسطلاني فلم يجدْ سفينةً، فأخذَ بيده ومَشى على الماء.

ورأى ربَّ العزَّةِ في النوم ألفَ مرَّة.

ومنها: أنَّه قال لأصحابه: تجهَّزوا للخروج من مصرَ، فإنَّ الوباء ينزلُ بها. فبلغَ ذلك الخطيبَ العراقي، فقال: أُوحي إليه؟! فبلغَ القُرشيّ فقال: إنَّه لا يطلعُ المنبرَ بعدها، فمات.

وكان يقول: إيَّاكَ أن تقولَ كرامةُ الرَّجلِ الصَّالح مَشيهُ على الماء، أو طيرانه في الهواء، بل كرامتُهُ أن لا يُؤْبَهَ إليه.

وكان يقول: إنّي لأَعلمُ من لا ينامُ حتى يُعتقَ لأجلِهِ ألوفٌ من الخلقِ. يعني نفسه.

ونُودي مرّة أُخرى أنَّه سينزلُ بأهلِ مصرَ بلاءٌ، فقال: أيقعُ هذا، وأنا فيهم؟! فقيل: اخرجْ من بينهم، فلا بدَّ من وقوعه. فخرجَ إلى الشَّامِ، فنزلَ بهم ما نزل. نسأل اللهَ العافية.

وقالت زوجتُهُ: خرجتُ من عنده، وتركتُهُ وحده، فسمعتُ عنده رجلاً

---

(١) في المطبوع: كل شيء.

يُكلِّمُهُ، فوقفتُ حتى انقطعَ كلامُه، فدخلتُ، فقلت: من هذا ؟ قال: الخضرُ، أتاني بزيتونةٍ من أرضِ نجد، فقال: كُلْ هذه؛ ففيها شفاؤك. فقلت له: اذهبْ وزيتونتك لا حاجةَ لي بها[1].

مات ببيت المقدس سنة تسعٍ وتسعين وخمس مئة، وقيل غيرَ ذلك، ودُفن به، ثم دُفِنَ بجانبه ابنُ أرسلان. وذكروا أنَّ الدُّعاءَ بين قبريهما مُستجاب.

قال ابن مجير الدين: وقد جُرِّبَ[2] ذلك فصحَّ. رضي الله تعالى عنه ونفعنا به.

* * *

(٤٤٤) محمد بن الموفق الخَبُوشاني[*]

نسبة إلى خَبُوشان بُليدة بنيسابور، ولد بها سنةَ عشرٍ وخمس مئة، وتفقَّه في مذهبِ الشَّافعيِّ رضي الله عنه على محمد بن يحيى تلميذِ الغَزالي رضي الله عنه، وكان يستحضرُ كتابه «المحيط»، ففُقدَ فأملاه من خاطره.

وقدم مصرَ سنة خمسٍ وستين، فأقام بها بتُربة الشَّافعي رضي الله عنه وتصدّى لعمارتها، وكان إماماً جليلاً كبيرَ المحلِّ في الورع، فلا ترى العيونُ مثلَه زهداً وعلماً وتصميماً على الحقِّ، وله تَصانيف منها «تحقيق المحيط» في ستة مجلدات.

---

(١) الخبر ليس في (أ) ولا في (ب).

(٢) الأنس الجليل ٢/ ١٤٦. وفيه: وقد جربت.

(*) مرآة الزمان ٨/ ٤١٤، التكملة لوفيات النقلة ١/ ١٦١، وفيات الأعيان ٤/ ٢٣٩، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٠٤، العبر ٤/ ٢٦٢، مرآة الجنان ٣/ ٤٣٣، طبقات السبكي ٧/ ١٤، طبقات الإسنوي ١/ ٤٩٣، الوافي بالوفيات ٥/ ٩٩، البداية والنهاية ١٢/ ٣٤٧، طبقات الأولياء ٤٧١، النجوم الزاهرة ٦/ ١١٥، مفتاح السعادة ٢/ ٢١٠، حسن المحاضرة ١/ ١٨٩، شذرات الذهب ٤/ ٢٨٨، جامع كرامات الأولياء ١/ ١١٢. قيده المنذري، والسبكي، والسمعاني، وابن الأثير بضم الخاء المعجمة، وفتح ياقوت الخاء المعجمة في معجمه.

وحدّثَ بالقاهرة عن: القُشيري[1]، وغيره.

وكان السُّلطان صلاح الدين يَعتقدُهُ، وبنى له المدرسةَ الصَّلاحية، ودرَّسَ بها مدَّةً، ولم يأخذْ من معلومها شيئاً.

وكان له حالٌ غريبٌ ومقامٌ في الدِّين كبير، وكان يقول: لا بدَّ أن أصعدَ إلى مصر، وأزيل دولة بني عُبيد. فصعدها، وصرَّح بسبِّهم، فأرسلوا له مالاً، فردَّهُ، وضربَ رسولَهم على صدرِهِ ورأسِه، فصارتْ عمامته حِلقاً في عنقه، وسبَّ العاضد[2] ثم إنَّ السُّلطانَ صلاحَ الدين تهيَّبَ الخطبةَ لبني العباس، فوقف الخَبُوشاني أمامَ المنبر بعصاه، وأمرَ الخطيبَ بذكرِ بني العباس، ففعلَ، فلم يَنتطحْ فيها عنزان، ووصلَ الخبرُ إلى بغداد، فأظهروا الفرحَ، وعظم الخَبُوشاني عندهم.

ثم أخذَ الخَبُوشاني في بناء الضريح[3] الشريف الإدريسي[4]، وكان ابن الكِيْزَاني[5] من المشبّهة مدفوناً عند الشَّافعي رضي الله عنه فأخرجَ عظامَه، وقال: لا يجتمعُ صدّيقٌ وزنديق.

ومن ورعه أنَّه كان يركب الحمارَ ويجعل تحته أَكسيةً لئلا يُصيبَه عرقه.

وجاء الملكُ العزيزُ لزيارته، وصافحه، فاستدعى بماءٍ بحضوره، وغسَّلَ يده، وقال: أنتَ تُمسكُ العِنان، ولا يتوقّى الغلمان عليه. فقال له: اغسلْ وجهَكَ، فإنَّكَ بعد المصافحة مسستَهُ. فغسّله.

---

(١) القشيري: هو أبو الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن القشيري. انظر التكملة لوفيات النقلة ١/ ١٦٢.

(٢) العاضد: هو عبد الله بن يوسف بن الحافظ، العلوي الفاطمي، آخر ملوك الدولة العبيدية بمصر والمغرب بويع له بمصر سنة ٥٥٥ هـ. ومات ٥٦٧. انظر الأعلام ٤/ ١٤٧ وفي الأصل: صحف العاضد إلى القاصد.

(٣) في الأصول: الصهريج، والمثبت من طبقات السبكي ٧/ ١٥.

(٤) يقصد ضريح الإمام محمد بن إدريس الشافعي.

(٥) وهو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ثابت المصري توفي سنة ٥٦٢ هـ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٥٤.

ولمّا خرجَ صلاحُ الدين لقتالِ الفرنج، جاء لوداعه، فالتمسَ منه أموراً من المَكْسِ ليُبطلَها فأبى، فقال له: قمْ لا نَصركَ الله، ووكزه بعصاه، فوقعتْ قَلَنْسُوةُ السُّلطان عن رأسِهِ، ثم توجَّه للحرب فكُسِرَ، وعاد للشيخ وقبَّلَ يده.

وكان تقي الدِّين عمرُ بن أخي السُّلطان له مواضع يُباع فيها المِزْرُ[1]، فكتبَ الشَّيخُ للسُّلطان: عُمَرُ لا جَبَره اللهُ يبيعُ المِزْرَ فقال السلطان لعمرَ: لا طاقةَ لنا بالشَّيخ، ترضَّاه. فركبَ إليه، فقال له حاجبُهُ: قف بباب المدرسة حتّى أسبقَكَ وأوطِّىءُ لك. فدخلَ، فقال: تقيُّ الدين يُسلّم عليكم. فقال: بل شقيُّ الدين، لا سلّم اللهُ عليه. فقال: إنّه يعتذر، ويقول: ليس هناك مِزْرٌ. فقال: يكذب. فقال: إنْ كان هناك موضعُ مِزرٍ فأرِناه. فقال: ادنُ. فأمسَكَ ذؤابتيه، وجعلَ يلطمُهُ على وجهه وخدّيه، ويقول: لستُ مَزَّاراً فأعرفُ مَواضعَ المِزر. فخلَّصوه منه، فقال: فديتُكَ[2] بنفسي.

وعاش عمرَه رضي الله عنه لم يأكلْ من وقفِ المدرسةِ الصَّلاحيَّة لقمةً، ولا أخذَ من مالِ الملوك درهماً.

ودُفِنَ في الكساء التي صحبته من خَبُوشان، وكان بمصر رجلٌ تاجرٌ من بلده يأكلُ من ماله.

ودخل القاضي الفاضل وزيرُ السُّلطان لزيارةِ الشَّافعي رضي الله عنه، فوجدهُ يُلقي الدَّرسَ على كرسيٍّ، فقعدَ على طرفِهِ، وجَنْبُه إلى القبر، فصاحَ الشَّيخُ فيه: قم، ظهرُكَ إلى الإمام! فقال: إنْ كنتُ مستدبرَهُ بقالبي فأنا مُستقبلهُ بقلبي. فصاحَ فيه أُخرى، وقال: ما تُعُبِّدْنا بهذا. فخرجَ وهو لا يَعْقل.

ومن كراماته:

أنَّ ابن أبي حصيبة مدحَهُ بقصيدةٍ سأله[3] أن يجعلَ جائزتَه دعوةً لابنةٍ له

---

(١) المِزْر: نبيذ يُتخذ من الذرة، وقيل: من الشعير أو الحنطة. النهاية (مزر) وكأنه يشبه (البيرة).

(٢) في الأصول: فديت. والمثبت من طبقات السبكي ٧/ ١٧.

(٣) في المطبوع: بقصيدة وجعالة.

مُقعدةٍ، فدعا لها، فقامتْ بعد ثلاثة أيام تمشي كأنْ لم يكن بها بأس.

ومن نظمه رضي الله عنه[1]:

فإنْ تَسألوني بالنِّساءِ فإنَّني ... خَبيرٌ بأدواءِ النِّساءِ طَبِيبُ

إذا شابَ رأسُ المَرْءِ أَو قَلَّ مالُهُ ... فليسَ له مِنْ ودِّهِنَّ نَصيبُ

مات سنة سبعٍ وثمانين وخمس مئة، وكفِّنَ في كسائه التي جاء معه من خَبُوشان، ودُفنَ في قبةٍ مُفردةٍ تحت رجلي الإمام الشَّافعي رضي الله عنه، وبينهما شبَّاك.

* * *

(٤٤٥) محمد بن رسلان[*]

الفقيهُ ابنُ الفقيه، الزُّاهدُ ابنُ الزاهد، له كراماتٌ منها:

أنَّه كان خيَّاطاً يَخيطُ الثَّوبَ بدرهمٍ، فيدفعُهُ صاحبُ الثَّوبِ إليه، ويذهبُ به، فإن كان الدِّرهمُ جيِّداً وجدَ طوقَهُ مَفتوحاً، وإلاّ مسدوداً، فيعودُ إليه فيبدّله، فيجده مَفتوحاً.

مات سنة إحدى وتسعين وخمس مئة ودُفِنَ بالقَرَافةِ. رضي الله عنه.

* * *

(١) كذا في الأصول، وهو وهم، والبيتان لعلقمة بن عَبَده (علقمة الفحل) انظر ديوانه ص ٣٥، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب، طبعة دار الكتاب العربي بحلب ١٣٨٩ـ١٩٦٩، وانظر عيون الأخبار ٤/ ٤٥.

(*) الكواكب السيارة ٣١١، تحفة الأحباب ٣٩٢، جامع كرامات الأولياء ١/ ١١٣. وسيترجم له المؤلف ثانية في طبقاته الصغرى ٤/ ٥٣٩.

(٤٤٦) محمد بن محمد الطُّوسي(*)

الإمام أبو حامد الغزالي، حجَّةُ الإسلام، ومحجَّةُ الدين التي يُتوصَّلُ بها إلى دار السَّلام، جامعُ أَشتاتِ العلومِ، المبرّزُ في المنطوق فيها والمفهوم، بحرٌ ليس للبحرِ ما عنده من الجواهر، وحَبْرٌ سما على السَّما وأين للسَّما مثلُ ماله من الزَّواهر ؟! وروضةُ علمٍ تستقلُّ الرِّياضُ نفسَها أن تحكي مالديه من الأزاهر. انتظمتْ بقدره العظيم[1] عقودُ الملّة الإسلامية، وانتظمتْ بدُرِّه[2] النَّظيم ثغورُ الشِّرعة المحمدية، فغاص من العلوم في بحارٍ عميقة، وراضَ نفسَه في دفع أهلِ البدع وسلوكِ الطريقة، جرتِ الأئمةُ قبله بشأوٍ ولم يقنعْ منه بالغاية، ولا وقفَ عند مطلبٍ وراءه مطلبٌ لأصحاب البداية والنهاية.

كان ضرغاما، إلاّ أنَّ الأسودَ تتضاءلُ بين يديه وتتوارى، وبدراً تماماً بيد أنَّ هُداه يُشرقُ نهارا، وبشراً من الخلقِ لكنَّه الطَّودُ العظيم، وبعض الخلقِ لكنْ مثل ما بعضُ الحجرِ الدُّر النَّظيم.

(*) تبيين كذب المفتري ٢٩١، المنتظم ٩/ ١٦٨، معجم البلدان ٣/ ٥٤١، اللباب ٢/ ٣٧٩، الكامل ١٠/ ٤٩١، طبقات ابن الصلاح ١/ ٢٤٩، وفيات الأعيان ٤/ ٤١٦، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٧، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢، العبر ٤/ ١٠، دول الإسلام ٢/ ٢٤، المستفاد من تاريخ بغداد ٣٧، مرآة الزمان ٨/ ٢٥، مرآة الجنان ٣/ ١٧٧، الوافي بالوفيات ١/ ٢٧٤، طبقات السبكي ٦/ ١٩١، طبقات الإسنوي ٢/ ٢٤٢، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٣، طبقات الأولياء ١٠٣، وفيات ابن منقذ ٢٦٦، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٠٣، الأنس الجليل ١/ ٢٦٥، مفتاح السعادة ٢/ ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٥٠، ٥٦٠، ٥٦٢ طبقات ابن هداية ١٩٢، كشف الظنون ١٢، ٢٣، ٢٤، ٣٦، ٨٢، ٩٧... شذرات الذهب ٤/ ١٠، إيضاح المكنون ١/ ١١، ١٧١، ٢٩٨، ٣٠٠، ٥٩٥، ٢/ ٤٣، ١٠٣، ٣٧٠، ٥٣٦، ٧٢٢، هدية العارفين ٢/ ٧٩، وانظر إلى كتاب مؤلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي، والحقيقة عند الغزالي للدكتور سليمان دنيا. والأخلاق عند الغزالي للدكتور زكي مبارك، والغزالي لأحمد فريد وجدي، والغزالي لمحمد البهي.

(١) في المطبوع: بعقدة المنظم.

(٢) في المطبوع: وابتسمت بنصره.

لم يزلْ يُناضل عن الدِّين الحنفي بجلادِ مقاله، ويَحمي حَوزتَه ولا يلطّخُ بدمِ المُعتدين حدَّ نِصاله، حتى أصبحَ الدِّينُ وثيقَ العرى، وانكشفتْ غياهبُ الشكوكِ وما كانت إلاّ حديثاً يُفترى، مع ورعٍ طوى عليه ضميرَه، وخلوةٍ لم يتَّخذْ فيها غيرَ الطَّاعة سميرَه، وتجريدٍ تراه وقد توحَّد في بحر التوحيد وباها.

ألقى الصَّحيفةَ كي يُخَفِّفَ رحلَهُ والـزَّادَ حتّـى نعلَـهُ أَلقـاهـا[1]

تركَ الدُّنيا وراء ظهره، وأقبلَ على الله يُعامله في سرِّه وجهره.

[2]وناهيك بشهادةِ العارف أبي العباس المُرسي رضي الله عنه في حقِّه بقوله: إنا لَنشهَدُ له بالصدِّيقية العظمى.

وقال العارف أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه لأصحابه: إذا عرضت لكم إلى الله تعالى حاجةٌ فتوسلّوا إليه بالإمام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه.

وقال الشَّيخُ الأكبر ابنُ عربي رضي الله عنه: حجَّةُ الإسلام الغزاليُّ من روؤساء أهلِ الطريق.

وأقول: من العجبِ العُجاب أنَّ شيخنا العارفَ الشَّعراوي رضي الله عنه لم يذكرْه في «طبقاته الكبرى» ولا «الصغرى» المتداولتَيْنِ في أيدي الناس اليوم[2].

ولِدَ رضي الله عنه بطُوس سنة خمسين[3] وأربع مئة، وكان ابتداءُ طلبه للطَّريق بعدما حصل له ببغدَاد القبولُ التَّام، والجاه عند الخاصِّ والعام، أنَّه سافرَ فقُطعَ عليه الطَّريق، وأخذَ القطّاعُ جميعَ ما معه، فتبعَهم، وقال لمقدّمهم: بالذي ترجو السَّلامةَ منه، ردَّ عليَّ تعليقتي فقط، فما هي بشيءٍ ينفعُكم.

---

(١) قال عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب ٣/ ٢٥: قال ابن خلف: أنشد سيبويه هذا البيت لأبي مروان النحوي، قاله في قصة المتلمس حين فرّ من عمرو بن هند... ونسبه الناس إلى المتلمس. ونسبه ياقوت الحموي في معجم الأدباء ١٩/ ١٤٦ إلى مروان بن سعيد بن عباد النحوي أحد أصحاب الخليل.

(٢) ما بينهما ليس في (أ) ولا في (ب).

(٣) في (ب): سنة خمس وخمسين.

فضحك وقال: كيفَ تدّعي أن[1] عرفتَ علمَها؟! وقد أخذناها منك فتجرَّدتَ من معرفتها، وبقيتَ بلا علم، فأنطقه الله لإرشاده، فأقبلَ على التجرُّدِ وساح.

ورآه بعضُهم في البريَّة، وعليه مُرقَّعةٌ، وبيده رِكوةٌ وعُكّاز بعد أن كان رآه يحضرُ مجلسَه ثلاثُ مئة مدرّس، ومئةٌ من أمراءِ بغداد، فقال: يا إمام، أَليسَ تدريسُ العلم أَولى؟ فنظرَ إليه شزراً، وقال: لمّا بزغَ بدرُ السَّعادةِ في فلك الإرادة وجَنَحتْ شمسُ العقولِ إلى مغربِ الوصول.

تركتُ هوى لَيلى وسُعدى بمعزلِ ... وعُدتُ إلى مَصحوبِ أَوَّلِ مَنزلِ
ونادت بيَ الأَشواقُ مَهْلاً فهذهِ[2] ... مَنـازلُ مَـنْ تَهـوى رُويـدَكَ فَـانـزِلِ

وكان شديدَ الذَّكاءِ، عجيبَ الفِطنة[3]، مُفرطَ الإدراك، قويَّ الحافظة، بعيدَ الغَور، غوّاصاً على المعاني الدَّقيقة، عالي الرّتبة، زائدَ الحِشمة، تُضربُ بكماله الأمثال، وتُشدُّ إليه الرِّحال، حتى عزفتْ نفسُهُ عن[4] رذائل الدُّنيا، فرفضَ ما فيها من التَّقدُّم والجاه، وتركَ ذلك وراءَ ظهره، وأقبلَ على قدم الفقرِ والتَّجريد بعد الحجِّ والتَّقديس.

ثم ذهبَ للشام، فأقام بمنارةِ الجامعِ الأُموي نحو عشر سنين، فلمَّا عُرِفَ فارقها، ثم جالَ في البلدان وزارَ المشاهدَ، وطاف على التُّرَبِ والمساجد، وأوى القفار، وراضَ نفسَه وجاهدها جهادَ الأبرار، حتى صارَ قطبَ الوجود، والبركةَ العامَّة لكلِّ موجود، والطَّريقَ المُوصلةَ إلى رضا الرَّحمن، والمنهاجَ بالتَّصوُّف إلى مركز الإيمان.

ثم عاد إلى بغداد، وتكلَّم على لسانِ أهلِ الحقيقة، وقلبُهُ معلَّقٌ بما فُتحَ عليه من الطَّريقة.

---

(١) في المطبوع: أنك.
(٢) في الأصول: وناديت في الأسواق مهلاً. والمثبت من روض الرياحين ٥٠٩ (حكاية ٤٦٨).
(٣) في (أ) و (ب) عجيب الفطرة.
(٤) في المطبوع: حتى غرقت نفسه من.

ثم رجع إلى طُوس، واتّخذ بجانبِ داره مدرسةً للفقهاء، وخَانقاه للصُّوفية، ووزَّع أوقاتِه على تلاوةِ القرآن، ومجالسةِ أربابِ القلوب، وإدامةِ الصيام والقيام حتى كان في جُمادى الآخرة سنة خمس وخمس مئة توضَّأ وصلّى، وقال: عليَّ بالكفن، فأَخذه وقبَّله، ووضعه على عينيه، وقال: سمعاً وطاعةً للدُّخول على الملك، ثم مدَّ رجليه واستقبلَ فانتقلَ إلى رضوانِ الله طيِّبَ الثَّناء، أعلى منزلةً من نجم السماء، لا يكرهُهُ إلاّ حاسدٌ أو زنديق، ولا يَسومُه بالسُّوء إلاّ من كان في قلبه ريبٌ أو حادَ عن سواءِ الطريق.

قالوا: ولمّا أَفتى القاضي عياض بإحراقِ كتاب «الإحياء» بلغَهُ، فدعا عليه، فماتَ وقتَ الدَّعوةِ في حمامٍ فجأة، وقيل: بل أمرَ المهديُّ بقتله في الحمَّام بعد أن ادّعى عليه أهلُ بلده، وزعموا أنَّه يهوديٌّ، لأنَّه كان لا يخرجُ يومَ السَّبت لكونه كانَ يُصنّفُ كتابَ «الشفا» كذا ذكره في كتاب «لواقح الأنوار»[1].

وأخرجَ اليافعيُّ[2] عن ابن المَيْلق[3] عن ياقوتِ العرشي عن أبي العباس المُرسي عن أبي المحاسن الشَّاذلي أنَّ الشَّيخَ ابن حِرازهم[4] خرجَ على أصحابه ومعه كتابٌ، فقال: أتعرفونه؟ قالوا[5]: هذا «الإحياء» وكان الشَّيخُ المذكور يَطعنُ في الغزالي، ويَنهى عن قراءة «الإحياء»، فكشفَ لهم المذكورُ عن جسمه، فإذا هو مَضروبٌ بالسِّياط، وقال أتاني الغزالي في النَّوم ودعاني إلى رسول الله ﷺ، فلمّا وقفنا بين يديه، قال: يا رسول الله، هذا يزعمُ أنّي أقول عليك ما لم تَقُلْ. فأمرَ بضربي، فضُربتُ.

قال العارفُ ابنُ عربي رضي الله عنه عن نفسِه: إنَّه كان يَقرأُ كتابَ

---

(١) لواقح الأنوار ويعرف بطبقات الشعراني ١/ ١٧.
(٢) الإرشاد والتطريز. ونشر المحاسن الغالية ٢٢٢.
(٣) في (ب): ابن الملقن.
(٤) في الأصل: حرازم، قال السبكي في طبقاته ٦/ ٢٥٨، وهو الشيخ ابن حِرْزهم بكسر الحاء المهملة، وسكون الراء، وبعدها زاي، وربما قيل ابن حِرازهم. وقال الرافعي في نشر المحاسن الغالية ٢٢٢: . . . والمعروف بين الناس ابن حِرازم.
(٥) في الأصول: قال. والمثبت من الإرشاد والتطريز.

«الإحياء» في المسجدِ الحرام تجاه الكَعبة الشَّريفة[1].

قال العارفُ الشَّاذليُّ رضي الله عنه: رأيتُ المصطفى ﷺ في المنام باهى عيسى ومُوسى عليهما السَّلام بالغَزالي، وقال: هل في أُمَّتكما مثلُه؟ قالا: لا.

وشهدَ له العارفُ المُرسي رضي الله عنه بالصدّيقيَّة العُظمى.

قال ونقل اليافعي رضي الله عنه عن بعض الأولياء الأكابر والعُلماء الصالحين الجامعين بين علمِ الباطن والظاهر أنَّه قال: لو كان نبيٌّ بعد النَّبيِّ ﷺ لكان الغزاليَّ رضي الله عنه.

قال العارف ابنُ عربي رضي الله عنه: كان الغزاليُّ من رؤوساء الطَّريقة وساداتهم، وكان يَرى المُناسبةَ ويقولُ بها، فرأى في بيت المقدسِ حمامةً وغُراباً لصقَ أحدُهما بالآخر، وأَنِسَ به، ولم يَستوحش منه، فقال: اجتماعُهما لمناسبةٍ، فأشارَ إليهمَا بيده، فدَرَجا، فإذا بكلٍّ منهما عرجٌ، والمناسبة في مساقِ الأشياء صحيحةٌ، ومعرفتها من مقامات خواصِّ أهلِ الطريق، وهي غامضةٌ موجودةٌ في كلِّ شيءٍ حتى بين الاسم والمُسمّى.

قال: والقائلون بالمناسبة من طريقنا عظماء أهلِ المراقبة والأدب، ولا تكون إلاّ بعد كشفٍ علميٍّ، ومشهدٍ ملكوتي.

ومن كلامه:

الدُّنيا مَزرعةُ الآخرة، وهي منزلٌ من منازل الهدى، وإنَّما سُمّيت دُنيا لأنَّها أدنى المنزلتين.

وقال: ربَّما وجدَ بعضُهم في نفسه أُنساً وتقريباً في عبادته ومجلسِه فظنَّ أنَّ بها يُغفر لجميعِ من حضره، فضلاً عنه، ولو أنَّه تعالى عامَلَهُ بما يستحقُّه على سُوءِ أدبه في ذلك لأَهلكَهُ وَمَنْ حوله.

وقالَ: إنّما يَعرفُ كلُّ سالكٍ المنزلَ الذي يبلغه في سلوكه، وما خلفه من

---

(١) هذا الخبر ليس في (أ) ولا في (ب). ومكانه خبر تقدّم في أول الترجمة، وهو: وروى ابن عطاء الله، عن المرسي، عن الشاذلي أن من كان له إلى الله حاجة فليتوسل إليه بالغزالي.

المنازل، وأمَّا ما بين يديه[1] فلا يُحيط بحقيقته علماً، بل قد يُصدّق به إيماناً بالغيب.

وقال: أنوارُ العلوم لم تُحجبْ عن القلوبِ لبخلٍ ومنعٍ عن جهة المُنعم تعالى عن ذلك، بل لخبثٍ وكدورةٍ وشغلٍ من جهةِ القلوب، فإنَّها كالأواني ما دامتْ مملوءةً بالماء لا يَدخلُها الهواء. والقلبُ المشغولُ بغيرِ اللهِ لا تدخلُه المعرفةُ بجلاله.

وقال: أشرفُ أنواعِ العلم العلمُ بالله وصفاته وأفعاله، وفيه كمالُ الإنسان، وفي كماله سعادتُهُ، وصلاحُه بجوار حضرةِ الجلال والكمال.

وقال: جلاءُ القلبِ وإبصاره يحصلُ بالذِّكر ولا يتمكّنُ منه إلاّ الذين اتّقوا، فالتَّقوى بابُ الذِّكر، والذِّكرُ بابُ الكشف، والكشفُ بابُ الفوزِ الأكبر.

وقال: من ارتفعَ الحجابُ بينه وبين قلبه تجلّى له الملكُ والملكوت في قلبه، فيرى جنَّةً عرضُ بعضها السَّموات والأرض.

وقال: عالم الملكوتِ هو الأسرارُ المُعاينة عن مُشاهدة الأبصار المخصوصة بإدراك البصائر، وجملة عالم المُلك والمَلكوت تُسمَّى الحضرة الرُّبوبية؛ لأنَّها مُحيطةٌ بكلِّ الموجودات، إذ ليس في الوجودِ شيءٌ سوى الله، وأفعاله، ومَملكته وعَبيده من أفعاله.

وقال: مُرادُ الطَّاعات وأعمالِ الجوارح كلِّها تصفيةُ القلبِ، وتزكيتُه إشراقُ نورِ المعرفة[2].

وقال: الإيمانُ ثلاثُ مراتب: الأولى: إيمانُ العوام، وهو إيمان التَّقليد المحضِ. الثَّانية: إيمانُ المتكلِّمين، وهو مَمزوجٌ بنوع استدلالٍ. الثالثة: إيمانُ العارفين، وهو ممزوج بنوع استدلال المشاهدة بنورِ اليقين.

وقال: ظنُّ من يظنُّ أنَّ العلومَ العقلية مُناقضةٌ للعلوم الشرعية، وأنَّ الجمعَ

---

(١) في المطبوع: وقال ما بين يديه.

(٢) القول ليس في (ب).

بينهما غيرُ ممكنٍ ظنٌّ صادرٌ عن عمًى في عين البصيرة، نعوذ بالله منه. والعلومُ العقلية دنيويةٌ وأُخرويةٌ. فالدُّنيويةُ كالطبِّ والحساب والنُّجوم والحِرف والصنائع. والأُخروية كعلمِ أحوالِ القلب، وآفاتِ الأعمال، والعلم بالله وصفاته وأفعاله، وهما عِلمان مُتنافيان. أعني من صَرَفَ عنايتَه إلى أحدهما حتى تعمَّق فيه، فضرب بصيرته عن الأخير على الأكثر.

وقال: مهما سمعتَ أمراً غريباً من أمورِ الدِّين جَحده أهلُ الكياسة[1] من سائر العلوم فلا ينفِّرنّكَ جحودُهم عن قبولها، إذ مُحالٌ أن يظفر سالكُ طريقِ الشَّرق بما في الغرب.

وقال: قد تهبُّ رياحُ الألطاف فتكشف الحُجبَ عن أَعين القلوب، فيتجلّى فيها بعضُ ما هو مسطورٌ في اللَّوح المحفوظ.

وقال: ميلُ أهلِ التَّصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، ولذلك لم يحرصوا على دِراسة العلم وتَحصيل ما صنَّفَ المُصنِّفون، والبحث عن الأقاويل والأدلَّةِ.

وقال: ليسَ الورعُ في الجبهةِ حتى يُقطّب، ولا في الخدِّ حتى يُصعّر، ولا في الظَّهر حتى يُجْنأَ[2]، ولا في الرَّقبة حتى تُطأطأ، ولا في الذيل حتى يضم، إنما الورعُ في القلوب. أما من تَلقَاهُ ببشرٍ فيلقَاك بعبوسٍ، يمنُّ عليك بعمله فلا أكثرَ اللهُ في المُسلمين من مثله.

وقال: قلبُ المؤمن لا يموت، وعلمُه عند الموت لا يَنمحي، وصفاؤه لا يتكدَّرُ. وإليه أشار الحسنُ[3] بقوله: التُّرابُ لا يأكل محلَّ الإيمان. ووسيلتُهُ المقرِّبةُ له إلى الله إمّا ما حصّلَهُ من نفس[4] العلمِ، وإمّا ما حصّله من الصفاء والاستعدادِ لقبوله.

---

(١) في (ب): الكتاب.
(٢) الجَنَأ: ميل في الظهر، واحديداب. متن اللغة (جنأ).
(٣) في (أ) أبو الحسن.
(٤) في (أ): نفيس.

وقال: العلمُ الباطن سرٌّ من أسرارِ الله يقذفُه في قلوبِ أحبابه.

وقال: القرآنُ مُصرِّحٌ بأنَّ التَّقوى مفتاحُ الهداية والكشف، وذلك علمٌ من غير تعلّم[١].

وقال: قال أبو يزيد: ليسَ العالِمُ من يحفظُ من كتابٍ، فإذا نسي ما حفظ صار جاهلاً. بل من يأخذُ علمَه من ربِّه أيَّ وقتٍ شاء بلا تحفُّظٍ ولا درسٍ، وهذا هو العالم الرَّبَّاني.

وقال: العلمُ اللَّدنّي الذي ينفتح في سرِّ القلبِ من غير سببٍ مألوفٍ من خارج.

وقال: إذا حضرَ في القلبِ ذكرُ شيءٍ انعدمَ عنه ما كان فيه من قبل.

وقال: أعظمُ أنواعِ علوم المعاملة الوقوفُ على خدعِ النَّفس ومكائدِ الشيطان، وذلك فرضُ عينٍ على كلِّ عبدٍ، وقد أهمله الخلقُ واشتغلوا بعلومٍ تجرُّ إليهم الوسواس، وتسلّطُ عليهم الشَّيطان. وقال رجل للحسن: أينام إبليس؟ فتبسم وقال: لو نام لوجدنا راحةً.

وقال: مهما رأيتَ العلماءَ يتغايرون[٢] ويتحاسدون ولا يتعاونون ولا يتآنسون[٣] فاعلمْ أنَّهم اشتروا الحياةَ الدُّنيا بالآخرة، فهم خاسرون.

وقال: كلُّ من ادّعى مذهبَ إمامٍ ولا يَسيرُ بسيرته فذلك الإمامُ خصمُه، يقول له: كان مَذهبي العملَ دون الحديثِ باللسان، وكان الحديث باللِّسان لأجلِ العمل لا للهذيان، فما بالُك خالفتني في العملِ والسِّيرة التي هي مذهبي الذي سلكته، وذهبت فيه إلى الله؟ ثم ادَّعيتَ مذهبي كاذباً، فهذا مدخلٌ من مداخلِ الشَّيطان أهلَكَ به أكثرَ العالم.

وقال: أشدُّ النَّاسِ حماقةً أقواهم اعتقاداً في عقلِ نفسه، وأثبتُ الناس عقلاً أشدُّهم اتِّهاماً لنفسه وظنِّه.

---

(١) هذا القول ليس في (ف).

(٢) في (أ): يتعايرون.

(٣) في (ف): ولا يتوانسون.

وقال: العاميُّ إذا زنى أو سرق كان خيراً له من أن يتكلَّمَ في العلم، فإنَّ من تكلَّم فيه من غير إتقانِ العلم في الله وفي دينه وقعَ في الكفر من حيث لا يَدري، كمن يركبُ لجَّةَ البحر ولا يعرف السِّباحة.

وقال: أورعُ الناس وأتقاهم وأعلمُهم من لا ينظرُ الناسُ كلُّهم إليه بعينٍ واحدةٍ، بل بعضُهم بعين الرضا، وبعضُهم بعين السّخط:

وعينُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كَليلةٌ[1]

وقال: مهما رأيتَ إنساناً يسيء الظنَّ بالناس، طالباً للعيوب فاعلم أنه خبيثٌ في الباطن، والمؤمنُ سليمُ الصَّدرِ في حقِّ كافَّةِ الخلق.

وقال: حقيقةُ الذِّكرِ لا تتمكّنُ من القلبِ إلاّ بعد عِمارته بالتَّقوى، وتطهيره من الصِّفات المذمومة، وإلاّ فيكونُ الذِّكرُ حديثَ نفسٍ لا سُلطانَ له على القلب ولا يَدفع الشيطان.

وقال: الرُّوحُ أمرٌ ربّانيٌّ، ومعنى كونه ربَّانياً أنَّه من أسرارِ علومِ المُكاشفة ولا رخصةَ في إظهاره إذ لم يُظهْره الرَّسول.

وقال: الشَّهوةُ إذا غلبت[2] على القلب دفعتْ[3] حقيقةَ الذِّكر إلى حواشي القلب، ولم يتمكَّن من سُويدائه، فيستقرُّ الشَّيطانُ في سويدائه، وأمَّا القلوبُ الخاليةُ عن الصِّفاتِ المذمومةِ فيطرقها الشَّيطانُ لا للشهوات، بل لخلوّها بالغفلة عن الذِّكر، فإذا عادَ للذِّكرِ خنسَ.

---

(١) صدر بيت قاله عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب في الفضيل بن السائب، وعجزه:

ولكن عين السُّخط تبدي مساويا

انظر ثمار القلوب ١/ ٤٩٨ (عين الرضا).

(٢) في (ف): وقعت.

(٣) في (ب) رفعت.

وقال: كما أنَّك تدعو ولا يُستجابُ لك لفقد شرطِ الدُّعاء، فكذا تذكرُ اللهَ ولا يهرب الشَّيطان لفقدِ شروطِ الذِّكر.

وقال: الشياطين جندٌ مُجنَّدةٌ، ولكلِّ نوعٍ من المعاصي شيطانٌ يخصُّه ويدعو إليه.

وقال: الصُّورةُ في عالم الملكوتِ تابعةٌ للصِّفة، فلا يرى المعنى القبيح إلاّ لصورةٍ[1] قبيحةٍ، فيُرى الشَّيطانُ في صورةٍ نحو كلبٍ وضفدعٍ وخنزير، والمَلَكُ في صورةٍ جميلةٍ، فتكون تلك الصورةُ عنوانَ المعاني ومحاكيةً لها بالصدق، ولذلك يدلُّ القردُ والخنزير في النَّومِ على إنسانٍ خبيثٍ، والشَّاةُ على إنسانٍ سليمِ الباطن، وكذا كلُّ أنواعِ التعبير.

وقال: خالصُ[2] الرِّياضة وسرُّها أن لا تتمتع النَّفسُ بشيءٍ لا يوجد في القبر إلاّ بقدرِ الضَّرورة، فيقتصر من أكلِهِ ونكاحه ولباسه ومسكنِه على قدر الحاجة والضرورةِ، فإنَّه لو تمتَّعَ بشيءٍ منه ألفَهُ، وإذا ماتَ تمنّى الرّجوع للدنيا، ولا يتمنّى الرُّجوعَ إليها إلاّ من لاحظَّ له في الآخرة.

وقال: النَّفسُ إذا لم تصنع[3] بعضَ المُباحات طمعتْ في المحظورات.

وقال: المستقلُّ بنفسه بغيرِ شيخٍ كشجرةٍ تنبتُ بنفسها، فإنَّها تجفُّ عن قربٍ، وإن بقيتْ مدَّةً وأورقت لم تُثمر.

وقال: النَّومُ يقسّي القلبَ ويُميته إلاّ إذا كان بقدرِ الضَّرورةِ فيكون سببَ المُكاشفة لأسرار الغيب.

وقال: لا بدَّ للسالك من ضبطِ الحواس إلاّ عن قدرِ الضَّرورة، وليس ذلك إلاّ بالخلوةِ في مكانٍ مظلم، فإنْ لم يكن فيلفّ رأسَه في الجيب أو يتدثَّر بكساءٍ أو إزارٍ، ففي مثلِ هذه الحالة يسمعُ نداءَ الحقِّ، ويشاهدُ جلالَ حضرة الربوبية، أم ترى أنَّ نداءَ المصطفى بلغَهُ وهو بهذه الصِّفة، فقيل له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾.

---

(١) في (ب): إلا صورة.
(٢) في (ب) خلاص.
(٣) في (أ): تمنع.

وقال: القلبُ إذا شُغل بشيءٍ خلا عن غيره، أيّ شيءٍ كان، فإذا شُغل بالذِّكرِ خلا عن غيرهِ لا مَحالة، ومَهما اشتغل بخاطرٍ يتعلّق بالدُّنيا ولو في لحظةٍ خلا عن الذِّكر في تلك اللَّحظة، وكان ذلك نقصاناً.

وقال: البطنُ والفرجُ بابٌ من أبوابِ النَّار، وأصله الشِّبعُ. والذُّلُّ والانكسارُ بابٌ من أبواب الجنَّة، وأصلُهُ الجوع، ومن غلقَ باباً من أبواب النَّارِ فقد فتح باباً من أبواب الجنة لتَقَابُلهما، فالقربُ من أحدِهما بعدٌ من الآخر. .

وقال: السَّعادةُ كلُّها في أن يملكَ الرَّجلُ نفسَه. والشَّقاوةُ أن تملكه نفسه.

وقال: الشِّبعُ يمنعُ العبادةَ والذِّكرَ، ويشوّشُ القلبَ والفكر، وينغِّصُ العيشَ. والجوعُ يدفعُ ذلك؛ لأنَّ قلَّةَ الأكل تُصحُّ[1] البدنَ، وبكثرتِهِ تحصلُ فضلة الأخلاط في المعدة والعروق.

وقال: سببُ هلاكِ النَّاس حرصُهم على الدُّنيا، وسببُهُ البطنُ والفرج، وفي تقليل الأكل ما يحسمُ ذلك.

وقال: شهوةُ الطَّعام والوقاعِ على التحقيق إلاّ ما يُريد الإنسان الخلاص منه، فيدرك لذَّةً بسبب الخلاص.

وقال: حدُّ المِراء كلُّ اعتراضٍ على كلامِ الغير بإظهارِ خللٍ فيه. والمُجادلةُ: قصدُ إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصُهُ بالقدحِ في كلامه ونسبته إلى القُصور والجهل فيه.

وقال: من عوَّدَ نفسَه الفكر في جلالِ الله وعظمته وملكوتِ أرضه وسمائه صارَ ذلك عنده ألذَّ من كلِّ نعيمٍ، فلذَّةُ هذا في مطالعةِ عجائب الملكوت على الدَّوام أعظمُ من لذَّةِ من يَنظُر إلى أشجارِ الجنَّة وبساتينها بالعين الظاهرة، هذا حالُهم وهم في الدُّنيا فما الظنُّ بهم عند انكشافِ الغطاء في العقبى؟

وقال: إن كنت لا تشتاق إلى معرفةِ الله فأنتَ معذورٌ؛ فالعينُ لا تشتاقُ[2] إلى لذَّةِ الوقاع، والصَّبيُّ لا يَشتاق للمُلكِ، والشَّوقُ بعد الذَّوق، ومن لم يذقْ لم

---

(١) في (ب): تفتح.

(٢) كذا في الأصول. ولعلّها: فالعنِّين لا يشتاق.

يَعرفْ، ومن لم يعرفْ لم يَشْتَقْ، ومن لم يشتقْ لم يطلبْ، ومن لم يطلب لم يُدرك، ومن لم يُدرك بقي مع المحرومين في أسفلِ سافلين.

وقال: شكا نبيٌّ من امرأةٍ ظالمةٍ مُؤذيةٍ للخلق، فأُوحي إليه: فرَّ من قدَّامها حتى تنقضي أيامُها، أي ما قدِّرَ في الأزل لا سبيلَ لتغييره[1]، فاصبرْ حتى تنقضي المدَّةُ التي سبقَ القضاءُ بدوام إقبالها فيها.

وقال: من فاته اللَّحاق بدرجة الأكابر في الدِّين لم يفتْهُ ثوابُ حبِّهم مهما أحبَّ ذلك.

وقال: الحسدُ ليس مظلمةً يجبُ الاستحلال منها، بل معصيةٌ بينك وبين الله وإنَّما يجبُ الاستحلال ممّا يَجبُ على الجوارح.

وقال: دُنياك وآخرتك عبارتان عن حالتيْنِ من أحوالِ قلبك. فالقريبُ الدَّاني منهما يُسمى دنيا، وهي كلُّها قبل الموت، والمتأخّرُ يُسمّى آخرة وهي ما بعده، وكلُّ مالك فيه حظٌّ وشهوةٌ عاجلةٌ قبل الوفاة فهي الدُّنيا في حقِّك.

وقال: لا يبقى مع العبدِ عند الموت إلاّ ثلاثُ صفات: صفاءُ قلبٍ، أَعني طهارته من أدناسِ الدنيا، وأُنسُه بذكرِ الله، وحبُّه الله. وطهارةُ القلب لا تحصلُ إلاّ بالكفِّ عن شهواتِ الدنيا، والأُنسُ لا يحصل إلاّ بكثرةِ الذِّكر، والحبُّ لا يحصلُ إلاّ بالمعرفة، ولا تحصلُ معرفة الله إلا بدوام الفكر.

وقال: ليس الموت عدماً، وإنَّما هو الفراقُ لمحابِّ الله، والقدومُ على الله.

وقال: حدُّ الدنيا كلُّ ما أظلَّتْهُ الخضراء، وأقلَّتْهُ الغبراء إلاّ ما كان لله من ذلك.

وقال: معنى الرُّبوبية التوحيدُ بالكمال، والتفرّدُ بالوجود على سبيل الاستقلال، والمنفردُ بالوجود هو اللهُ، إذ لا موجودَ معه سواه، فإنَّ ما سواه أثرٌ من آثار قدرته لا قوامَ له بذاته، بل هو قائمٌ به.

---

(١) في (ب): لتغييرها.

وقال: من لم يطَّلع على مكائد الشيطان وآفاتِ النفوس فأكثرُ عباداته تعبٌ ضائعٌ، يفوّتُ عليه الدُّنيا، ويخسّرهُ في الآخرة.

وقال: مسكينٌ ابنُ آدم، يمرضُ كرهاً، ويموتُ كرهاً، لا يَملكُ لنفسه نفعاً ولا ضرًّا، ولا خيراً ولا شراً، يُريد أن يعلمَ الشيءَ فيجهله، وأن يذكره فينساه، وأن يَنساه فيذكره، وأن يتصرَّف في قلبه[1] إلى ما يهمّه فيجول في أوديةِ الوسواس والأفكار بالاضطرار، ولا يملك قلبُه قلبَه، ولا نفسُه نفسَه، يشتهي الشيءَ وقد يكونُ فيه هلاكُهُ، ويكرَهُهُ وفيه حياتُه، يستلذُّ الأطعمةَ وتُرديه، ويَستبشعُ الأدويةَ وتُحييه، لا يأمن في لحظةٍ أن يُسلبَ سمعُهُ وبصره، وتُفلجَ أعضاؤه، ويُختلس عقله، وتُختطف روحُه فهو مضطرٌّ ذليلٌ، إن تُرِكَ بقي، وإن اختُطفَ فني، عبدٌ مملوكٌ لا يقدرُ على شيءٍ، فأيُّ شيءٍ أذلُّ منه، لو عرفَ نفسَه ؟ وأنّى يليقُ به الكِبر ؟!

وقال: الكِبرُ دليلُ الأَمنِ، والأمنُ مُهلكٌ، والتَّواضعُ دليلُ الخوفِ، وهو مسعد.

وقال: من أدويةِ الكِبر أن يجتمعَ مع أقرانه في المحافل، ويقدّمهَمُ ويجلسَ تحتهم، وللشيطانِ هنا مكيدةٌ وهو أن يقعدَ في صفِّ النِّعال، أو يجعلَ بينه وبين أقرانِه بعض الأرذال، فيظنُّ أنَّه تواضعٌ، وهو عين التكبّر؛ لإيهامه أنّه تركَ مكانَه بالاستحقاق، فيكون تكبّراً بإظهار التَّواضع، بل يقدّم أقرانه ويجلس تحتهم، ولا ينحطّ إلى صفِّ النعال.

وقال: قد أهملَ النَّاسُ طبَّ القلوبِ، واشتغلوا بطبِّ الأبدان مع أنَّها كُتِبَ عليها الموتُ لا محالة، والقلوبُ لا تُدركُ السلامة والسَّعادة إلاّ بسلامتها.

وقال: الغرورُ سكونُ النَّفس إلى ما يُوافق الهوى، ويَميلُ إليه الطبعُ.

وقال: من ظنَّ أنَّه يَنجو بتقوى أبيه كمن ظنَّ أنَّه يَشبعُ بأكلِ أبيه، ويَروى بشربه.

---

(١) في (أ) و (ب): وأن ينصرفَ قلبهُ.

وقال: الشَّيطانُ لا يغرُّ الإنسانَ إلاّ بكلامٍ مقبولِ الظاهر مردودِ الباطن، ولولا حسنُ الظاهر ما انخدعتْ منه القلوب.

وقال: إنَّ لله سبعين حجاباً من نورٍ، ولا يَصلُ السَّالكُ إلى حجابٍ منها في الطَّريق إلاّ ظنَّ أنَّه وصلَ، وأوَّلُ حجابٍ بين الله وبين العبد نفسُه، فإنَّه أمرٌ ربَّاني، وهو نورٌ من أنوارِ الله، أعني سرَّ القلبِ الذي يتجلّى فيه حقيقة الحقِّ كلِّه حتى أنَّه ليتَّسعُ لجملةِ العالم، ويحيط به، ويتجلّى فيه صورةُ الكلِّ، وعند ذلك يُشرقُ نورهُ إشراقاً عظيماً إذ يظهرُ فيه الوجود كلُّه على ما هو عليه، فإذا تجلّى نورُه وانكشف جمالُ القلب ربَّما التفتَ صاحبُ القلبِ إلى القلبِ فيرى من جماله الفائقِ ما يُدهشُهُ، فربّما يسبقُ لسانُه في هذه الدهشة، فيقول: أنا الحقُّ، فإن لم يتَّضحْ له ما وراء ذلك اغترَّ به، ووقفَ عليه وهلك، وكان قد اغترَّ بكوكبٍ صغيرٍ من أنوارِ الحضرة الإلهية، ولم يَصلْ بعدُ إلى القمرِ فضلاً عن الشَّمس، فهو مغرورٌ، وهذا هو محلُّ الالتباس، إذ المُتجلّي يلتبس بالمتجلَّى فيه كما يلتبسُ لونٌ ما يتراءى في المرآةِ فتظنُّ أنَّه لونُ المرآة، وكما يلتبس ما في الزُّجاجِ بالزُّجاج، وبهذه العين نظرتِ النَّصارى إلى المسيحِ عليه السلام فرأوا إشراقَ نورِ الله تعالى قد تلألأ فيه، فغلطوا فيه، كمن يَرى كوكباً في مرآةٍ أو في ماءٍ فيظنّ أنَّ الكوكبَ في المرآة، أو الماءِ فيمدُّ إليه يدَه ليأخذه، وهو مغرورٌ وكان الأولى تَركَ ذكرِ هذا، إذْ سالكُ الطَّريقِ لا يحتاجُ أن يَسمعَه من غيره، ومن لم يَسلكْه لا ينتفع بسماعه بل يضرُّه، لأنَّه يدهش بسماعه مالم يَفهم.

وقال: أساسُ السَّعادات كلِّها العقلُ والكياسة والذكاء. وصحّةُ غريزةِ العقل نعمةٌ من الله في أصلِ الفطرة، فإن فاتتْ ببلادةٍ أو حماقةٍ فتدارك له.

وقال: من لم يكن له نصيبٌ من علم الباطن أَخافُ عليه سوءَ الخاتمة، وأدنى النَّصيب منه التَّصديقُ وتسليمه لأهله، ومن كان فيه خصلتان لم يُفتحْ له من هذا العلم بشيءٍ: بدعة أو كِبر.

وقال: علمُ المُكاشفة عبارةٌ عن نورٍ يظهرُ في القلب عند تَطهيره وتزكيته تنكشف به أمورٌ كان يَسمعُ أسماءها ويتوهّم بها معانٍ مُجملةٍ غير متّضحة فيتّضح.

وقال: علمُ الفقهِ مجاورٌ لعلم طريقِ الآخرة، فإنّه نظرٌ في أعمالِ الجوارح، ومصدرُها، ومُنشِئُها صفات[1] القلوب.

وقال: معرفةُ الله وصفاتِه وأفعالِه لا تَحصلُ من علمِ الكلام، بل يكادُ يكونُ حجاباً ومانعاً منها.

وقال: من عرفَ الحقَّ بالرِّجالِ حارَ في متاهاتِ الضَّلال، فاعرفِ الحقَّ تعرفْ أهله.

وقال: التَّوحيدُ أن ترى الأمورَ كلَّها من الله رؤيةً تقطعُ الالتفاتَ إلى الوسائط.

وقال: كن من شياطين الجنِّ في أمان، واحذرْ شياطين الإنس؛ فإنّهم أراحوا شياطين الجنِّ من التعب في الإغواء والإضلال.

وقال: الحسدُ نارٌ محرقةٌ، من بُلي به فهو في عذابٍ دائمٍ، ولعذابُ الآخرةِ أشدُّ.

وقال: ما من أحدٍ إلاّ وهو راضٍ عن اللهِ في كمالِ عقله، وأشدُّهم حماقةً، وأضعفُهم عقلاً أفرحُهم بكمال عقله.

وقال: علماءُ الآخرة يُعرفون بسيماهم من السَّكينةِ والذِّلَّةِ والتَّواضع، أمَّا التَّشدُّق والاستطراق في الضحك والحدّة في الحركة والنُّطقُ فمن آثار البَطَر والغفلة، وذلك دأبُ أبناءِ الدنيا.

وقال: من الذنوب ما عقوبتُهُ سوءُ الخاتمة، وقيل: هي عقوبةُ الولاية والكرامة بالافتراء.

وقال: من كانت غريزتُه الحمقَ فطولُ عمره يؤكّدُ حماقته.

وقال: من الذُّنوبِ ما يُورث سوءَ الخاتمة، وهو ادّعاءُ الرجل الولاية مع فقدها منه.

وقال: مِنْ شَرْطِ من له حاجةٌ أن لا يفطرَ ذلك النَّهار حتى تُقضى ولو عند

---

(١) في (ف): في صفات.

الغروب. وقال بعضهم: وقد جرّبناه فصحَّ، لأنَّ الإنسانَ إذا شبعَ فدعاؤه كسهم يخرجُ من غير وترٍ مشدود.

وله تصانيفُ عظيمةٌ في غالبِ الفنون حتى في علمِ الحروف، وأسرار الرُّوحانيات، وخواصِّ الأعداد، ولطائف الأسماء الإلهية، وفي السيميا وغيرها[1].

وله دعاءٌ عجيبُ الشأن، جرَّبَهُ أهلُ العرفان عند حلول الفاقة، وقد ذكره في «الإحياء»[2]، وهو: اللَّهُمَّ يا غنيُّ يا حميد، يا مُبدي يا مُعيد، يا رحيمُ يا ودود، أغنني بحلالِكَ عن حَرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلِكَ عمَّن سواك. قال: من ذكره بعد صلاةِ الجمعة وداومَ عليه أغناه اللهُ عن خلقه، ورزقَهُ من حيث لا يَحتسب.

وله قصيدةٌ جليلةُ الفوائد، عظيمةُ المقاصد ذكرَ فيها أسراراً جمَّةً للفاتحة منها:

إذا مـا كنـتَ مُلتمسـاً لـرزق ... ونيـلِ القصـدِ مـن عبـدٍ وحـرِّ

وتظفرُ بالذي تَرجو سَريعاً ... وتـأمـنُ مِـنْ مُخـالفـةٍ وغَـدْرِ

ففـاتحـةُ الكتـابِ فـإنَّ فيهـا ... لِمَـا أمَّلـتَ سـرًّا أيُّ سـرِّ

تُلازمُ درسَها[3] عُقبى عشاءٍ ... وفي صُبْحٍ وفي ظهرٍ وعَصرِ

وعُقبى مَغربٍ في كلِّ ليلٍ ... إلـى التِّسعيـنَ تُتبعُهـا بعَشْـرِ

تَنَلْ ما شئتَ من عزٍّ وجاهٍ ... وعظـمِ مَهـابـةٍ وعلـوِّ قَـدْرِ

وستـــرٍ لا تُغيِّـرُهُ اللَّيـالـــي ... بحادثةٍ من النّقصان تَجري

وتَـــوفيـــقٍ وأَفــراحٍ دوامــاً ... وتَأمنُ من مَخاوفِ كلِّ شرِّ

ومـن عـريٍ وجـوعٍ وانقطـاعٍ ... ومن بطشٍ لذي نهيٍ وأمرِ

---

(١) انظر كتاب مؤلفات الغزالي للدكتور عبد الرحمن بدوي، وقد أحصى عدد مؤلفاته فبلغت (٤٥٧) مؤلفاً.

(٢) الإحياء ١/ ١٨٤ في أسرار الصلاة، فصل بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة.

(٣) في (ب): تلازم ذكرها.

مات الإمام الغزاليُّ رضي الله عنه عن خمسٍ وخمسين سنة.

قال النووي رضي الله عنه في «بستانه»[1] عن شيخه التفليسي[2] رضي الله عنه: أَحصيتُ كُتُبَ الغزاليِّ رضي الله عنه التي صنَّفَها، ووزّعتُ على عمره فخصَّ كلَّ يومٍ أربعة كراريس.

قال بعضهم: ورُؤي في النوم، فسُئل عن حاله، فقال: لولا هذا العلمُ الغريبُ لكنَّا على خيرٍ كثيرٍ.

قال العارفُ ابنُ عربي رضي الله عنه: فتأوَّلها علماءُ الرُّسومِ على ما كان عليه من علمٍ هذا الطريق، وقصد إبليس بهذا الطريق الذي زيّنه لهم أن يُعرضوا عن هذا العلم فيُحرموا هذه الدَّرجات، أتراهُ أَمَرَ بأن يطلب الحجاب عن الله والبعد عنه؟ والصفة النَّاقصة عن درجةِ الكمال؟ هذا إذا لم يكن لإبليسَ دخلٌ في الرُّؤيا، وكانت ملكية، وإذا كانتِ الرؤيا من الله فالرَّائي في غيرِ موطنِ الحسِّ، والمرئيُّ ميت، فهو عند الحقِّ لا في موطنِ الحسِّ، والعلم الذي كان عُرض عليه أبو حامد رضي الله عنه في أسرارِ العبادة وغيرها ما هو غريبٌ عن ذلك الموت الذي الإنسانُ فيه بعد الموتِ، بل تلك حضرتُهُ وذلك محلُّه فلم يبقَ العلمُ الغريبُ عن ذلك الموطن إلاّ ما كان يَشغلُ به الدنيا من علمِ الطَّلاقِ والنِّكاح والمُبايعة ونحو ذلك، وعلومُ الأحكام المتعلّقة بالدُّنيا ليس للآخرة تعلّقٌ بها البتَّة، فإنَّه بالموتِ يُفارقها، فهذه العلومُ الغريبة عن موطن الآخرة، كالهندسة والهيئة ممَّا لا نفعَ له فيها إلاّ في الدنيا، وإن كان فيها أجرٌ من حيثُ نيَّته، فالخيرُ الرَّاجعُ إليه منها قصدُه ونيَّتُهُ لا عين العلم، فإنَّه يتبع معلومَه، ومعلومُه في الدُّنيا لا الآخرة، فكأنَّه يقول في رؤياه: لو اشتغلنا، وقال: شُغلنا بهذا العلم الغريب عن هذا الموطنِ بالعلم الذي يليقُ به، ويطلبُه هذا الموضع: كنَّا على خيرٍ كثير، ولو كان علمُهُ بأسرارِ العبادة، وما يتعلَّقُ بالجناب الأخروي لم يكن غريباً، لأنَّه موطنه، والغربةُ إنَّما هي لفراق الوطن، فإيَّاكَ أن تُحجبَ

---

(١) بستان العارفين ١٥٢.

(٢) في المطبوع البلقيني.

عن طلبِ العلوم الإلهية والأُخروية، وخذْ من علومِ الشريعة بقدر ما تمسّ الحاجة إليه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

* * *

(٤٤٧) مطر الكردي البادَرَاني (*)

مطر الكردي البادَرَاني نسبةً إلى بادَرَايا[١] قريةٌ بأرض العراق. من أكابرِ العارفين، وجلّةِ مشايخ العراقيين، كان صوفياً عارفاً، راجياً خائفاً، زاهداً عابداً، لطيفَ الذَّاتِ، حسن الصفات، بديعَ الخَلْقْ والخُلق، سالكاً في السُّلوكِ أوضحَ المناهجِ والطرق، وكان الغالب عليه السكر.

ومن كلامه:

لذَّةُ النُّفوسِ في مناجاة القدّوس، ولذَّة الأرواح الشربُ بكأسِ المحبَّة من أيدي عرائس الفتحِ اللَّدنّي في خلوةِ الوصل على بساطِ المُشاهدة، ولذَّةُ الأسرار مُطالعةُ نسيم الحياةِ الدائمة، والوصول إلى حقائقِ الغيوب بضمائرِ القلوب.

مات [بقرية بادَرايا][٢] رضي الله عنه وقبرُه بها ظاهر يزار.

* * *

(٤٤٨) موسى بن ماهين الذؤلي المارديني (**)

من أكابرِ مشايخ العراق، وأحد أركان الطريق.

أثنى عليه العارفُ الجيلاني رضي الله عنه، وغيرُه.

(*) قلائد الجوهر ١٠٧، طبقات الشعراني ١/ ١٤٨، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٦٥ وفيها الباذرائي.

(١) في الأصول بادرا، والمثبت من الأنساب / ٢٣، ومعجم البلدان ١/ ٣١٦.

(٢) ما بين معقوفين مُستدرك من قلائد الجواهر، وطبقات الشعراني.

(**) قلائد الجواهر ٩٦، ٩٧، طبقات الشعراني ١/ ١٣٩ جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٧٠، وفيها: الزولي.

وقُصِدَ من الآفاقِ لحلِّ المشكلات، وكشفِ الخفيات.

ومن كراماته:

أنَّه كان إذا مسَّ الحديدَ بيده لانَ حتَّى يَصيرَ كاللِّبان، وإذا قالَ للطفل: اقرأ سورةَ كذا، قرأها، ولا يزال بعدها ينطق.

ولمّا ماتَ ووُضِعَ باللَّحدِ نهضَ قائماً يُصلّي، واتّسع له اللَّحدُ جهاراً، والحفّارُ وغيرُه ينظرون.

مات بماردين، وأثنى عليه الأكابرُ وأَسفوا على موتِه. رضي الله عنه.

* * *

(٤٤٩) مُفرِّج المجذوب(*)

مُفرِّج المجذوب الصاحي المشهور بالخوارق[1] العظيمة الشأن، كان عبداً حبشياً، واصطفاه الله بلا أسبابٍ معلومة، ولا مُقدماتٍ معهوده، أخذهُ عن حسِّه المعهود أخذةً شديدةً، أقامَ فيها ستَّةَ أشهرٍ ما يتناول طعاماً ولا شراباً، فضربه سيِّدهُ ضرباً مُبرّحاً، فما أثَّرَ، فظنَّ أنَّه مجنون، فقيَّده، وغابَ فوجدَ القيدَ في ناحيةٍ وهو في أُخرى، فحبسه فوجدَه خارجَ الحبسِ، فلمَّا تكاثرتْ عليه كراماتُهُ أَحضروا له فِراخاً مشويَّةً، فقال لها: طيري. فطارت فأطلقوه، فتواترتْ كراماتُه وظهرت بركاته، وقُصِدَ للزِّيارة من الأقطارِ الكبار. رضي الله تعالى عنه.

* * *

(*) الطالع السعيد ٦٤٨، روض الرياحين ٤٩٩ (حكاية ٤٥٩) وصفحة ٥٥٩، نكت الهميان ٢٩٥، طبقات الأولياء ٤٧٢، حسن المحاضرة ١ /٢٤٧، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٦٧. وقد أجمعت هذه المصادر على تاريخ وفاته سنة (٦٤٨) فهو من رجال الطبقة السابعة. وسيترجم له المؤلف ثانية صفحة ٥٦١ من هذا الجزء، وفي الطبقات الصغرى ٤/ ٦٠٣.

(١) في المطبوع: كالخوارق.

(حرف الياء المثناة تحت)

(٤٥٠) يحيى بن حَبَش الشِّهاب السُّهْرَوَرْدي(*)

يحيى بن حَبَش، الشِّهاب السُّهْرَوَرديُّ، كذا سماه بعضهم. وقال بعضُهم[١] عمر شهاب الدين السُّهْرَوَرْدي، وهو صاحبُ التَّصانيفِ المشهورة.

قال ابن خلكان[٢]: كان شافعيَّ المذهب، واتُّهِمَ بانحلال العقيدة.

وقال الآمديُّ: اجتمعت به فرأيتُ علمَه أكبرَ من عقله[٣].

وقال غيره: كان أوحدَ زمانه في علم الحكمة، عارفاً بالتَّصوُّف، ماهراً في أُصول الفقه، مُفرطَ الذَّكاء، عجيبَ القريحة، متوقِّدَ الذِّهن، فصيحاً مُفوّهاً.

طَافَ البلاد على طريق الفقرِ والتجريد بحيث كان عليه دِلْق[٤]، وعلى رأسهِ فوطة مَفتولة، ومعه إبريقٌ وعكّاز لا يزيد على ذلك.

وقدم حلبَ فناظرَ أهلها، واستهترَ بهم، وشطحَ وتهتَّكَ بكلماتِ الحكماء

(*) معجم الأدباء ١٩/ ٣١٤، وفيات الأعيان ٦/ ٢٦٨، طبقات الأطباء ٦٤١، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٠٧، العبر ٤/ ٢٩٠ مرآة الجنان ٣/ ٤٣٤، طبقات الإسنوي ٢/ ٤٤٢ النجوم الزاهرة ٦/ ١١٤، لسان الميزان ٣/ ١٥٦، شذرات الذهب ٤/ ٢٩٠ هدية العارفين ٢/ ٥٢١، وفي المطبوع: يحيى بن حي.

(١) ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء ٦٤١.

(٢) وفيات الأعيان ٦/ ٢٧٢.

(٣) وفيات الأعيان ٦/ ٢٧٢.

(٤) الدِّلْق: لباس الفقراء والدراويش، طويل، مؤلف من خرق الجوخ المختلفة الألوان. المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب لدوزي ١٥٠، ١٥١.

والصوفية، وجهر بذلك، فأجمعوا على كيدِهِ، ورتَّبوا فَتاوى، وكتبوا عليها بإهدارِ دمه، فقتله الملكُ الظَّاهرُ غازي بعد اختصاصه به بأمر عمِّه صلاح الدين، فقيل: خُنِقَ، وقيل حُبِسَ بمكان وُمنع الطَّعام والشراب حتى مات، وقيل: سُلخ، فأَملى حالَ سلخه على بعضِ طلبته قصيدةً من نظمه ارتجالاً كلُّ بيتٍ منها قاعدةٌ عظيمة لعلم من علوم الحكمةِ، يُستخرج منه جميع قوانينه وأساليبه، وذلك بحلب سنة ستٍّ وثمانين وخمس مئة، وعمره ست وثلاثون سنة.

ومن تصانيفه كتاب «حكمة الإشراق» و «الألواح العمادية»[1]، و «التنقيحات»[2] في أصول فقه الشافعية، و «التلويحات اللَّوحية والعرشية»[3] و «المطارحات»[4] و «المقاومات» و «هياكل النور» و «المعارج» وغير ذلك[5].

وهو المُرادُ بالشهاب المقتول حيث أَطلقه علماءُ الحكمة والأصول.

ومن كلامه:

من صبَّرَ نفسَه عن الشَّهواتِ ملكَها، ومن ملكَها، أَمكَنَهُ أن يعتزلَ النَّاسَ، ومن اعتزلهم قلَّتْ همومُه، ومن قلّتْ همومُه قلّتْ فكرتُه، ومن قلَّتْ فكرتُه حسنتْ عبادته، ومن حسنت عبادتُه اتَّصلتْ نفسُه بالرُّوحانيات، ومن اتَّصلتْ نفسُه بها انصبغتْ بنورِ الحقِّ، وإذا انصبغت به أقبلتْ جواهرُ النُّفوسِ الإنسانية على مُراده كيف كان.

---

(١) كتاب صنعه للملك عماد الدين قره أرسلان بن داود عندما أمره بتحرير عجالة في المبدأ والمعاد على رأي الإلهيين، فأجاب واستشهد فيه بالسبع المثاني، ورتب على مقدمة وأربعة ألواح. كشف الظنون ١/ ١٥٩.

(٢) في الأصول التلقيحات، والمثبت من وفيات الأعيان ٦/ ٢٧٠، وكشف الظنون ١/ ٣٣٠.

(٣) الكتاب في المنطق والحكمة، رتب على ثلاثة علوم: المنطق، والطبيعي، والإلهي، كل منها على تلويحات. كشف الظنون ١/ ٤٨٢.

(٤) في المنطق والحكمة. كشف الظنون ٢/ ١٧١٣.

(٥) قال الذهبي بعد أن ذكر كتاب: التلويحات، وهياكل النور، والمطارحات، وحكمة الإشراق: وسائرها ليست في علوم الإسلام.

ومن نظمه:

أبــداً تَحِــنُّ إليكــمُ الأَرواحُ ... ووصـالُكـم رَيحـانُهـا والـرَّاحُ
وقلوبُ أهلِ ودادِكُمْ تَشتاقُكُم ... وإلى لذيذِ وصَالِكُم تَرتاحُ
وارحمتـا للعـاشِقيـنَ تَكلَّفـوا ... سَتْرَ المحبَّةِ والهوى فضَّاحُ

* * *

(٤٥١) يحيى بن بغان(*)

خالُ العارفِ ابنِ عربي رضي الله عنه، كان من رؤوس الزُّهاد، وأكابرِ العبَّاد.

وكان أولاً ملكَ تلمسان، وكان في زمنه رجلٌ فقيه عابدٌ مُنقطع من أهلِ تونس يُقال له: أبو عبد الله التُّونسي، فركبَ الملكُ يَحيى يوماً في خَدَمِهِ وحَشمِه، فمرَّ عليه، وعليه ثيابٌ فاخرة، فوقفَ فسلّمَ عليه، وقال: يا شيخ، هذه الثيابُ التي أنا لابسُها تجوزُ الصَّلاة فيها؟ فضحكَ، فقال له الملك[1]: ممَ تضحك؟ فقال: من سخفِ عقلك، وجهلك بنفسك، مالكَ شبيهٌ عندي إلاَّ الكلب، يتمرَّغُ في دمِ الجيفةِ وأكلها وقذارتها، فإذا جاءَ يبول رفعَ رجله حتَّى لا يُصيبَه البولُ، وأنت وعاءٌ مُلِئَ حراماً، وتسأَل عن الثِّيابِ! فنزلَ عن دابَّته وخرجَ عن مُلكه، ولزمَ خدمة الشيخ، فأمسكه ثلاثةَ أيامٍ، ثم جاءَه بحبلٍ، فقال: أيُّها الملك، فرغتْ أيامُ الضِّيافة، قم فاحتطبْ. فكان يدخلُ السُّوقَ بالحطبِ على رأسِهِ، والنَّاسُ ينظرونَ ويبكون، فيبيعُهُ ويتقوَّتُ ويتصدَّقُ، ولم يزلْ في بلده كذلك حتى درجَ ودُفِنَ بها، فكان الشَّيخُ إذا جاءَه النَّاسُ يطلبونَ الدُّعاء، يقول: التمسوه من يحيى بن بغان؛ فإنَّه مَلِكٌ تزَّهدَ، وانقطعَ إلى الله تعالى[2].

(*) الفتوحات المكية ٢/ ١٨، (يحيى بن يغان).

(١) في المطبوع: فضحك له الملك، فقال له.

(٢) في الفتوحات: التمسوا الدعاء من يحيى بن يغان فإنه ملك فزهد، ولو ابتليت به من الملك ربما لم أزهد.

(٤٥٢) يوسف بن يخلف الكومي (*)

شيخُ العارف ابنِ عربي رضي الله عنه، كان عليَّ المقام، رفيعَ الهمَّةِ والاهتمام.

وكان من شأنه إذا ربّى مُريداً، وأهَّلَه وخصَّه بذكرٍ مُخصوصٍ لينالَ حالةً مَخصوصةً ومقاماً خاصّاً فماتَ قبل تَحصيله، وحِيْلَ بينه وبين ذلك المقامِ بالموتِ الذي لولاه نالَ بذلك الذِّكرِ المنزلةَ الإلهية التي يستحقُّها ربُّ ذلك المقام، شرعَ الشَّيخُ في العملِ المُوصل إلى ذلك المقام نيابةً عن المُريد الذي مات، فإذا استوفاه أحضرَ ذلك الميتَ احضارَ من مثّله في خياله بصورته التي كان عليها، وألبسَ تلك الصُّورةَ المُمثّلةَ ذلكَ الأمر، وسأل الله تعالى أن يُبقي ذلك عليه، فيحصلُ تلبس ذلك الميت ذلك المقام على أتمِّ وجوهِهِ؛ منَّةً من الله وفضلاً.

قال العارف ابنُ عربي رضي الله عنه: هذا مذهبُ شيخنا المذكور، وما راضني أحدٌ من مشايخي سواه، فانتفعتُ به في الرِّياضةِ، وانتفعَ بنا في مواجيده، فكان لي تلميذاً وأستاذاً، وكنتُ له مثل ذلك، وكان الناسُ يتعجَّبون من ذلك، ولا يعرفُ واحدٌ منهم سببه، وذلك سنة ستٍّ وثمانين وخمس مئة، فإنَّه كان قد تقدَّمَ فتحي على رياضتي، وهو مقام خطرٌ، فأقام اللهُ علي بتحصيل الرِّياضة على يدِ هذا الشيخ جزاه الله عني خيراً.

* * *

(*) روح القدس ٧٩، الفتوحات المكية ١/ ٣٢٧، و ٢/ ٩٠٢، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٩١، وسيترجم له المؤلف مرّة أخرى في طبقاته الصغرى ٤/ ٦٣٦.

(٤٥٣) يوسف بن أيوب[*]

يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين الهَمَداني أبو يعقوب، نزيلُ مرو، أحدُ الأولياء الأكابر.

تفقَّه في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه على صاحب «التنبيه» وقدّمه على صغر سنّه.

وسمعَ: الخَطيب، وغيره.

ثم انقطعَ وتزهَّد وتعبّد، واجتمع في رباطه بمرو خلقٌ كثيرٌ، وعُقِدَ له مجلسُ الوعظِ والتَّذكير ببغداد.

وله كرامات كثيرة منها: أنَّ رجلاً من جماعته خرجَ عنه، وصارَ يقعُ فيه بما هو بَريءٌ منه، فقال الشيخ: هذا رجلٌ يُقتل، فقُتِلَ.

وقعد يوماً للوعظ فقامَ إليه فقِيهٌ يُعرفُ بابن السَّقاء[1]. وسألَهُ عن مسألةٍ وآذاه، فقال له: اجلس، فإني أجدُ منك رائحةَ الكُفر، ولعلَّكَ تموتُ على غيرِ الإسلام، فقدمَ نصرانيٌّ أرسله طاغيةُ الروم إلى الخليفة، فمشى ابنُ السقَّاء إليه، وسأله أن يَصحبه، فصحبه. وقال: يقعُ لي أنَّه يتركُ دينَ الإسلامِ، ويدخلُ في دينكم، فتوجّه معه إلى الرُّوم، وتنصَّرَ ومات هناك بعد أن كان حافظاً للقُرآن مجوّداً، ورآه رجلٌ هناك على دكّةٍ مَريضاً فسأله: هل القرآنُ على حفظه ؟ قال:

(*) الأنساب ٢/ ٣٣٠، المنتظم ٩/ ١٧١، ١٠/ ٩٤، صفة الصفوة ٤/ ٧٩، المختار من مناقب الأخيار ٣٩٦/أ، الكامل في التاريخ ١١/ ٨٠، مرآة الزمان ٨/ ١٠٩، وفيات الأعيان ٧/ ٧٨، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٦٦، العبر ٤/ ٩٧، مرآة الجنان ٣/ ٢٦٤، طبقات الإسنوي ٢/ ٥٣١، البداية والنهاية ١٢/ ٢١٨، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٦٨، طبقات الشعراني ١/ ١٣٥، شذرات الذهب ٤/ ١١٠، هدية العارفين ٢/ ٥٥٢، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٨٩.

(١) وانظر خبر ابن السقاء في الصفحة ١٩٥ من هذا الجزء.

ما أذكرُ منه إلاّ آيةً واحدةً ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الحجر: ٢] نسألُ اللهَ الثبات على الإسلام والإيمان بمنّه وكرمه آمين.

مات الشيخُ الصَّالحُ صاحبُ الأحوال والكرامات سنة خمسٍ وثلاثين وخمس مئة ذكره السمعاني[1].

* * *

(١) الأنساب ٢/ ٣٣١.

الطبقة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي جَعلَ سُلوكَ أهلِ الوفا مُوصِلاً إلى أسنى مقامات الصفا، ومُزيلاً لآلامِ البينِ والجفا، ومُظهراً لبصر البصير أنوارَ العارفِ بعد الخفا.

أحمدُه أن أطلعَ في سماءِ المعارفِ شهاباً لقلبِ المعارف ثاقباً، ويسَّرَ للسَّالكِ مركباً بعد أن أزالَ عنه حُجباً ومَثالباً. وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله شهادةَ من قام بحقِّها ووصل، ومن لزمَها مع رعاية ما لها من الآداب ظفر[1] بالمراد وله حصل، وأنَّ محمداً عبده ورسوله قطبُ دائرة أهلِ المعارف، وقلبُ ذوي العوارف. فكلٌّ بكعبة إفضاله طائف، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ظفروا من الحقائق بالتَّليد والطارف، سيما وارثيه من كلِّ حَبْرٍ صفي ومسلك عارف.

وبعد، فهذه الطبقة السابعة من الكواكب الدُّرِّيَّة فيمن تُوفي بعد الست مئة إلى آخر القرن[2]. نفعنا الله ببركاتهم:

إبراهيم الدسوقي، إبراهيم الجعبري، إبراهيم بن جماعة، إبراهيم بن عبد الغفار، أحمد بن الحندج، أحمد بن شداد، أبو أحمد الأندلسي، أبو العباس البصير، أبو العباس المرسي، أبو بكر المكي، أبو بكر بن قوام، أبو بكر الأهدل، أبو العباس الحرار، أبو العباس بن عريف، أبو بكر الحميري،

---

(١) في (ب): من الأداء بظفر.

(٢) في (أ): وهم أحد وثمانون، وفي (ف): وهم مئة رجل، وفي المطبوع: وهم ثلاثة وثمانون.

أبو بكر البطائحي، أبو العباس البوني، أبو الحسن الششتري، أبو الفضل العباسي، أبو السعود بن أبي العشائر، أبو سعيد القصاب، أبو الغيث بن جميل، أبو عبد الله محمد الفاسي، أبو الحجّاج الأقصري، أبو القاسم القبّاري، أبو القاسم الأُدفُوي، أبو يحيى شافع، نجم الدين الكبرى، أحمد الملثّم القُوصي، أحمد الملثّم، أحمد بن عجيل، أحمد بن علوان، أحمد بن الجعد، أحمد بن محمد، أحمد الشيبي، أحمد بن عبد المنعم، أحمد البدوي، إسماعيل الحضرمي، إسماعيل بن عبد الملك، بدير بن يوسف، بكر أبو السجاد، جبريل بن عبد الرَّحمن، جوهر بن عبد الله، الحسن بن هود الأندلسي، الحسن بن عبد الرحيم، الحسن بن علي الحريري، حسن الكردي، الحسين الحميري، حمّاد الدبّاس، خليل الكردي، داود الأعزب، داود بن ماخلا، رسلان الدمشقي، رفاعة بن أحمد القِنائي، ريحان العدني، زهير بن هرماس، سالم العامري، سفيان الأبيني، العفيف التلمساني، شعيب أبو مدين اليمني، شرف الدين أبو الروح السُّهروردي، عبد الله باعباد الحضرمي،

عبد الله البلتاجي، عبد الله الشعبي، عبد الحليم المغربي، عبد الرحمن بن عبد الله اليمني، عبد الرحمن النويري، عبد الرحمن بن جبر، عبدالرحيم باوزير، عبد الرزاق الكبير، عبد الحق ابن سبعين، عبد السلام القليبي، عبد العزيز الديريني، عز الدين بن عبد السلام، عبد العزيز العتبي، عبد العزيز القرشي، عبد الغفار القزويني، عبد الكريم الرافعي، عزاز البطائحي،

علي ابن الصباغ القُوصي، علي الحريري، علي ابن الصباغ السكندري، علي المليجي، علي الحرالي، علي أبو الحسن الشاذلي، علي الجعفري، علي ابن دقيق العيد، علي البقال، علي البكاء، عمر شهاب الدين السُّهروردي، عمر بن الفارض، عمر بن سعيد الهمداني، عمر بن عثمان زخم الدارين، عمر الناشري، عمر الأسواني، عمر بن غليس، عمر المعترض، عمر الجعفي، عيسى الهتار، عيسى اليونيني، عيسى العامري، محيي الدين بن عربي، محمد السنهوري، محمد المرشدي، محمد بن خليل، محمد بن أبي الصيف، محمد بن أبي حبرة، محمد بن أبي بكر الحكمي، محمد الإخميمي، محمد

البَجَلي، محمد القنائي، محمد الشاطبي، محمد الرومي القونوي، محمد الضجاعي الضرير، محمد قمر الدولة، محمد الصريفي، محمد الزيلعي، مرزوق الصريفي، مفرج الدمامينيّ، منصور البطائحي، يوسف البقال، يحيى النووي، يونس بن مساعد، يوسف المكدش، يوسف الأشكل، يوسف المتعب.

* * *

حرف الهمزة

(٤٥٤) إبراهيم الدُّسوقي[*]

القُرشي الهاشمي الشافعي، شيخُ الخِرقة البرهانية، صاحبُ المُحاضرات القدسية، والعلومِ اللَّدنية، والأسرارِ العرفانية، أحدُ الأئمة الذين أظهر الله لهم المُغيَّبات، وخرقَ لهم العادات، ذو الباعِ الطَّويل في التصرف النافذ، واليدِ البيضاء في أحكام الولاية، والقدمِ الرَّاسخِ في درجات النهاية.

انتهت إليه رئاسةُ الكلام على خواطر الأنام، وكان يتكلَّمُ بجميع اللُّغات: عجمي، وسرياني، وغيرهما، ويعرفُ لغاتِ الوحش والطير.

وذُكر عنه: أنَّه صامَ في المهد، وأنَّه رأى اللَّوح المحفوظ وهو ابنُ سبع سنين، وأنَّه فكَّ طلسم السَّبع المثاني، وأنَّ قدمَه لم تسعه الدُّنيا، وأنَّه يَنقلُ اسمَ مُريده من الشَّقاوة للسعادة، وأنَّ الدُّنيا جُعلتْ في يده كخاتم، وأنَّه جاوزَ سِدرَةَ المُنتهى، وجالَتْ نَفسُه في المَلَكوت، ووقفَ بين يَدي الله، وفُتِحَ[1] له من عين العنايةِ قَدرَ خَرْمِ إبرة.

وقال: وُلِّيتُ القُطبيَّةَ، فرأيتُ المَشرقَيْنِ، وما تحتَ النُّجومِ، وصافحتُ جبريل.

(*) طبقات الشعراني ١/ ١٦٥، تاج العروس (دسق)، شذرات الذهب ٥/ ٣٥٠، خطط مبارك ١١/ ٧، معجم المصنفين ٤/ ٥٠٠، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٣٩، دائرة المعارف الإسلامية ٩/ ٢٣٧ (دسوقي).

(١) في (أ): ومُنح.

ومن كلامه:

مَن عاملَ الله بالسرائر جعله على الأسرَّة والحظائر.

وقال: لا تكليفَ على مَن غابَ بقلبه في حضرة[1] ربِّه مادام فيها، فإذا رُدَّ له عقلُه صارَ مُكلَّفاً.

وقال: إذا ضحكَ الفقيرُ في وجهكَ فاحذره ولا تخالطْهُ[2] إلاَّ بأدبٍ؛ فإنَّه ربَّما فرحَ كالنَّاسِ معه[3]، يفعلُ ذلك تنفيراً لهم، لئلاَّ يُعتقد؛ فيشتغلُ عن ربِّه.

وقال: ما كلُّ مَن خدمَ يعرفُ آدابَ الخدمة، وحفظَ الحرمة؛ ولذلك كثُرَ المرتدُّونَ عنِ الطَّريق.

وقال: ما أعزَّ الطريق! وما أعزَّ طُلاَّبَها! وما أعزَّ مَنْ يصدقُ في طلبها! وما أعزَّ الدَّالَّ عليها!.

وقال: كونوا خائفين من الله؛ فإنَّكم غنمُ السِّكين، وكِباشُ الفناء، وخِرافُ العَلَف، وتنُّورُ شواكم قد وهج.

وقال: الإنكارُ يورثُ الوَحشة، وهي تُورِثُ الانقطاعَ عن طريقِ الله[4].

وقال: كلُّ مَنْ وقفَ مع مقامٍ حُجِبَ به.

وقال: احذَرْ أن تدّعي معاملةً خالصةً مع الله؛ فإنْ صمتَ فهو صَوَّمَكَ، وإن قمتَ فهو أقامكَ، وليس لكَ في الوسطِ شيءٌ، بل الشَّأنُ أن ترى أنَّكَ عَبدٌ عاصٍ، ليس لكَ حسنةٌ واحدة، وأنَّى لكَ حسنة؟ وهو الذي أحسَنَ إليكَ، وإن شاءَ رَدَّ عليك[5].

وقال: ولدُ القلبِ خَيرٌ من ولدِ الصُّلب؛ فإنَّ ولدَ الصُّلبِ يَرِثُ الظَّاهر، وولدُ القلبِ إرثُهُ السَّرائر.

---

(١) في المطبوع: عن حضرة.

(٢) في (ب): إذا ضحك الفقير فاحذروه ولا تخالطوه.

(٣) في (ف): فرح كالناسي لا معه.

(٤) في (أ): الانقطاع عن الله.

(٥) جاء في هامش (أ): أي رجع عليك في حسنه.

وقال: ما ثمَّ عارِفٌ يَنطِقُ عن غيره، وإنَّما يضيفُ الكلامَ للغيرِ تَستُّراً.

وقال: لا يصِلُ رجلٌ إلى الكمالِ حتّى يُمكنه تخريجُ جميع أحكامِ الشَّريعةِ من أيِّ حرفٍ شاءَ من حروفِ الهجاء.

وقال: أوَّلُ الطَّريقِ الخروجُ عنِ النَّفسِ والحظِّ، والرِّضا بالضِّيقِ والتَّلفِ.

وقال: أكلُ الحرامِ، وقولُ الحرام يُفسدُ العملَ، ويُوهن الدِّين، ومعاشرةُ أهلِ الدَّنس تُورثُ ظلمةَ البصر والبصيرة.

وقال: عليكَ بالعملِ بالشَّرعِ، وإيَّاكَ وشقشقةَ اللِّسان بالكلام في الطريق دون التخلُّقِ بأخلاقِ أهلها.

وقال: مَنْ أرادَ أن يكون إماماً يُقتدى به فليحكُمْ بالحقيقة، إذ ما سُمِّيت حقيقةً إلاَّ لكونها تُحقِّقُ العلومَ بالأعمال، وتُنتجُ الحقائقَ من بحر الشَّريعة.

وقال: مادامَ لسانُكَ يَذوقُ الحرامَ فلا تَطمعْ أن تذوقَ من الحِكَمِ والمعارفِ شيئاً.

وقال: إذا أحبَّكَ ربُّكَ أحبَّكَ أهلُ السَّماءِ والأرض، وأطاعَكَ الجِنُّ والإنسُ، والماءُ والهواء.

وقال: إذا اشتغلَ المُريدُ بالفصاحة والبلاغة فقد تُودّعَ[1] منه في الطَّريق.

وقال: مطالعةُ حكايات الأولياء جندٌ من جنود الله، ما لم يقنعْ بحفظِها دون التخلُّقِ بها.

وقال: الطَّريقُ كلُّها ترجِعُ لكلمتين: تعرف ربَّك، وتعبده[2].

وقال: الطَّريقُ إلى الله تُذيبُ الأكبادَ، وتُضني الأجساد، وتدفع السُّهَّاد، فإذا رُفعَ الحجابُ تنعَّمَ بسماعِ الخطاب، وقرأ المرموزَ[3] في اللَّوحِ المحفوظ، واطَّلعَ على معانٍ دقَّتْ، وشرِبَ بأوانٍ صفت ورقَّت، وكان مع قلبه ثم

---

(١) في المطبوع: تورع.

(٢) في طبقات الشعراني ١/١٦٩: أن يعرف العبودية، وتعبده.

(٣) في (ب): الرموز.

مقلّبه[1] ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقال: إذا كمل العارفُ أورثه اللهُ علماً بلا واسطة، لكن من باطنِ شريعة محمَّدٍ ﷺ إذ لا يتعدى تابعُ دائرة علمِ متبوعه.

وقال: مَنْ كَمُلَ سُلوكُه أخذَ العلومَ المكنونةَ في ألواحِ المعاني[2]، ففهم رموزَها، وعرفَ كنوزَها، وفكَّ طلِّسمَها، واطَّلعَ على العلومِ المودعة في النقط والشَّكلِ، وما كُتب على ورقِ الشَّجرِ والماء والهواء والبرِّ والبحر، وما كُتب في صفحة قُبَّةِ السَّماء، وما في جباه الثَّقلَين ممَّا يقعُ لهم دنيا وأخرى، وعلى ما هو مكتوبٌ بلا كتابةٍ من كلِّ ما هو فوق الفوق، وما تحت التحت، ولولا خوفُ الإنكارِ لنطقنا بما يُبهر العقول، ولا عجبَ من حكيمٍ يتلقّى علماً من حكيم عليم. كيف، وبعضُ مواهب السِّرِّ اللَّدُنيِّ ظهرَ في قصَّةِ موسى مع الخضر.

وقال: المبتدي مُجاهدٌ، والمُنتهي مُشاهد، المبتدي خائفٌ، والمُنتهي طائف، المبتدي تائبٌ، والمُنتهي غائب، المبتدي مَحزونٌ، والمُنتهي مَسرور، المبتدي باكٍ حيران، والمُنتهي ضحوك مقرور له العينان، المبتدي صائمٌ قائم، والمُنتهي في بحارِ القُرب عائم، المبتدي محجوبٌ بأعماله، والمُنتهي ناظرٌ إلى مُشاهدةِ جماله، هذا بالظَّاهر يجري وهذا بالباطن يسري، هذا محجوبٌ، وهذا محبوب، هذا سكران، وهذا صَحوان، المبتدي يلبسُ الدلوق، والمُنتهي يلبسُ الخلوق، إذا عارضه في الطَّريق عاطلٌ ناداه كلُّ شيء:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ[3].

---

(١) في (أ) والمطبوع: ثم تقلبه، وفي طبقات الشعراني ١/١٦٩: فكان مع قلبه، ثم يكون مع مقلّبه لا مع قلبه، لأن الله...

(٢) في (ب): في أبهى المعاني. وفي طبقات الشعراني ١/١٦٩: وأخذ العلوم المكتوبة.

(٣) صدر بيت للبيد بن ربيعة، وعجزه:

وكلُّ نعيم لا محالة زائل

انظر ديوانه صفحة ٢٥٦، وهو من قصيدة يرثي بها النعمان بن المنذر مطلعها: =

فلا ينظر مريد إلى أحوال شيخه فيقتدي به فيها إلاّ بأمره.

وقال: من الأولياء من لا يدري الخطاب ولا الجواب، فهو كالحجارة، فيها أسرارٌ ناطقة بلسان حال صامتة عن الكلام، فمنهم عارفٌ ومحبٌّ، وناطقٌ وصامتٌ ومستغرقٌ، وصائمٌ مُفطر، وصائمٌ صائم، وقائمٌ دائم، ونائمٌ واصل، وواصلٌ ساهر، وواقفٌ ذاهل، وداهشٌ حيران، وباكٍ وضاحك، ومَقبوضٌ وخائف، ومُختلطٌ ومُختبط.

وقال: رأسُ مال المُريد المحبَّةُ والتَّسليم.

وقال: إذا لم تُحسنْ أن تتبعَ القومَ على مُجاهدتهم فلا تقعْ فيهم؛ فإنَّهم يتكلَّمونَ بلسانِ التَّمزيق، وبلسان التَّحقيق بحسبِ الحضراتِ التي يدخلونها، والفقيه لم يذُقْ حالَهم، ولا دخلَ حضراتهم، فمن أينَ له أنَّهم على ضلال؟ أفتعومُ البحرَ وأنتَ غيرُ عَوَّام؟ فإنْ غرقتَ مُتَّ موتةً جاهليَّةً، فإنَّكَ ألقيتَ نفسكَ للمهالكِ، والحقُّ قد حرَّمَ عليك ذلك، فاتركِ الكلامَ ترشَدْ، فإنَّ ألسنَ القومِ إذا دخلوا الحضرةَ منها ما يُفهم ومنها ما لا يُفهم. ومن أسرارهم ما لا يصلُ إلى فهمه مُعبّر ولا مُفسِّر؛ لأنَّ أسرارهم مكنونُ سِرِّ الله، وقد عجزَ القومُ عن معرفةِ أسرارِ الله في نفوسهم، فكيف بأسراره في غيرهم؟ فأحسنِ الظَّنَّ، فإنِّي لك ناصح، ومن رمى أحبابَ الله بالبهتان مقتَه اللهُ في الدَّارَيْنِ.

وقال: مَنْ أحبَّ أن يُكشفَ له عن الأنوار، ويُسقى من دَنِّ الدُّنوِّ، وخمرِ الخمّار، وتطلعَ في قلبه شموسُ المعاني والأقمار فليلزَمْ عبادةَ ربِّه في الأسحار، ويداوم الاستغفارَ، فاعمل بذلك تكُنْ من المُفلحين.

وقال: إيَّاكَ أن تقبلَ فتوى إبليسَ في الرُّخص، فتعملَ بها بعد العملِ بالعزائم، سيما إنْ أوقعكَ في مَحذورٍ، ثم قال: هذا مقدور، أيشٍ كنت أنت؟ فتهلك.

= ألا تسألان المرءَ ماذا يحاول أنحبٌ فيُقْضى أم ضلال وباطل
وصدر البيت تردده كتب الحديث لاتصاله بقول رسول الله ﷺ: «أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد: ألا كل شيء...» وانظر تخريج البيت في الديوان صفحة ٣٨٩.

وقال: لا تقنعْ بورقةِ إجازةٍ، إنَّما إجازتُكَ حُسنُ سيرتِكَ، وإخلاصُ سَريرتك.

وقال: مَنْ صدَقَ في الإقبالِ على الله انقلبتْ له الأضداد فعادَ من كان يَسبُّه يُحبُّه، ومَنْ يُقاطعُه يُواصلُه.

وقال: لا تُجالسوا أربابَ المحال في زخرفِ الأقوال ولقلقة اللِّسان، وجالِسْ مَنْ هو مُقبلٌ على ربِّه، حتّى أخذَتْ منه الطَّريق، ودفعه التَّمزيق، وتفرَّقَ عنه كلُّ صديق، حتّى عادَ كالخلال، وذابَ جسمُه من تجرُّعِ سمومِ الطَّريق، وصارَ نومُه أفضلَ من عبادةِ غيره. وعليكَ بصدقِ القومِ في كلِّ ما يدَّعونَه، فقد أفلحَ المُصدِّقونَ، وخابَ المُستهزئون.

وقال: إذا تجلَّى عروسُ الكلام في رتبة الإلهام طلعَتْ شموسُ المعارف، وتجلَّى البدرُ المُنيرُ في اللَّيلِ البهيم.

وقال: كم من علمٍ يَسمعُه من لا يفهمُه فيتلفه! ولذلك أُخذَتِ العهودُ على العلماء أن لا يُودعوه إلاَّ لمَنْ له عَقْلٌ عاقل، وفَهْمٌ ثاقب.

وقال: الصَّحيحُ أنَّ العقلَ في القلب لخبر: «إنَّ في الجسدِ مُضْغَةً»[1] لكنْ إذا فكَّرتَ في كُنهِ العقلِ وجدتَ الرَّأسَ يُدبِّرُ أمرَ الدُّنيا، والقلبَ الآخرة، فمَنْ جاهدَ شاهدَ، ومَنْ نامَ تباعدَ.

وقال: إن أردتَ السَّعادةَ فعليكَ بالجوع، فلا تأكُلْ إلاَّ عن فاقةٍ.

وقال: كم من رجلٍ يتلو الاسمَ الأعظمَ ولا يَدريه، ولا يَفهمُ معناه.

---

(١) روى النعمان بن بشير رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «... ألا وإنَّ في الجسد مُضغةً إذا صحلت صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه، ألا وهي القلب» رواه البخاري ١/١٢٦ (٥٢) في الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ومسلم (١٥٩٩) في المساقاة، باب أخذ الحلال، وترك الشبهات، وأبو داود (٣٣٢٩) في البيوع، باب في اجتناب الشبهات، والترمذي (١٢٠٥) في البيوع باب ما جاء في ترك الشبهات، والنسائي ٧/ ٢٤١، في البيوع، باب اجتناب الشبهات في الكسب.

وقال: لا يكمُلُ رجلٌ حتى يفِرَّ من قلبه وسِرِّه وعمله ووهمه وفكره وعن كلِّ ما خطرَ بباله غير ربِّه.

وقال: مَنْ نظرَ إلى أقواله وأفعاله بعين العجب فهو محجوبٌ عن مَقامِ التوحيد. ولا يُزفُّ وليٌّ إلى ربِّه حتى يدعَ الوقوفَ عن كلِّ ما سواه من مقامٍ وحالٍ.

وقال: إن أردتَ جمعَ قلبكَ على ربِّكَ فطهِّرْ باطنَكَ من النُّعوتِ الرَّديَّةِ، وأخلِصْ لله النِّيَّة.

وقال: مَنْ خافَ لا كان، ومَنْ لم يتَّعِظْ بكلامِنا فلا يمشِ في رِكابنا، ولا يلمَّ بنا.

وقال: إيَّاكَ أن تقولَ: أنا فعلتُ، أنا ولَّيتُ، أنا عزلتُ؛ فإنَّه تعالى يُعجزُ كلَّ مُدَّعٍ، ولو كان على عبادةِ الثَّقلَين هبط، أو صاحبَ منزلةٍ سقط.

وقال: هذا زمانٌ كثُرَ فيه القالُ بلا حال، لكن مَنْ ابتلانا بأهله يُدبِّرُنا معهم.

وقال: مَنِ ابتلاهُ الله فليصبِرْ، فإنَّه ما ابتلاه إلاَّ ليرقِّيه، أو يطرده.

وقال: ما عصى عبدٌ ربَّه ومرَّ على الهوام الضَّعيفة إلاَّ ودَّتْ أن الله يعطيها قوَّةَ البطشِ به غيرةً على جنابِ الحقِّ، ولا يمرُّ بطيرٍ ولا وحشٍ إلاَّ ويستعيذُ منه، ويكرهُهُ كلُّ من في الوجود تبعاً لله.

وقال: ما قطَعَ مُريدٌ ورده إلاَّ قطعَ اللهُ عنه إمداده في ذلك اليوم؛ فإنَّ مددَهُ يأتي منه.

وقال: من ادّعى الطَّريقَ، وخالفَ قواعدها وآدابَها رفضته كرهاً عليه.

وقال: لو انفتحتْ أقفالُ القلوب لاطَّلعتم على ما في القرآن من العجائبِ والعلوم، وأغناكم عن النظر فيما سواه، فإن فيه كلَّ ما سُطِرَ في كتبِ العلماء ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال: لا تقنعوا من الطَّريقِ بالوصف دون الذَّوق، وما تكلَّم القوم إلاَّ على

شيءٍ ذاقوه، فبالله إذا سُئلتم[1] عن شيءٍ من مقامات الطريق فلا تُجيبوا إلاَّ بعد التحقُّقِ به، فإنَّه يُنادى يومَ القيامة: هذا جزاءُ الذي قنعَ بالقشورِ في دارِ الغرور.

وقال: لا تُنكروا على المشايخ لبسَ الصُّوفِ الرَّقيق؛ فإنَّهم وصلوا إلى مقامِ اللَّطافةِ، وخرجوا عن الكثافة، حتى أنَّ بعضَهم لشدَّةِ لطافته لا يقدرُ على لبسِ ثوبٍ رقيق، ويعري ما عدا عورته بخلافِ المُريد في بدايته يلبسُ الخشنَ لتتأدَّبَ نفسُه، وتخضعَ لربِّها، فكُلَّما رقَّ الحجابُ ثَقلتِ الثِّيابُ والسلام.

وقال: إن أردتَ الطَّريقَ فالزمِ الصَّمتَ، واتركِ الجدال، واركَبْ جوادَ الطريق، واحتمِ حميةً قبل الشربة لتخلّي لها موضعاً يَصلحُ لها. وقد قال الحكماء: لابدَّ لمُريدِ الشُّربةِ من منعِ الواصل ونزحِ الحاصل[2]. آه آه ما أحلى هذه الطريق! ما أسناها! ما أمرَّها! ما أقتلها! ما أحلاها! ما أصعبها! ما أكثر مصائدها! ما أعجب واردها ومواردها! ما أعمق بحرَها! ما أكثر آفاتها وحيَّاتها! فأجمعوا قلوبَكم على أُستاذكم يَحميكم من آفاتها.

وقال: قد فازَ مُعتقدُ أهلِ الطريق، وتحسَّرَ المُستهزئون، فقد يَقذفُ اللهُ في قلبِ وليِّه ما لا يطَّلع عليه أحدٌ من العلماء.

وقال: علامةُ الصَّادق في محبَّته الطريق أن يكونَ سائراً فيها ليلاً ونهاراً، غُدوًّا وإبكاراً، لا مَقيل له ولا هدوّ، ولا يَهوله مهلكٌ، ولا تردُّه ضرباتُ الصوارم.

وقال: شأنُ الصَّادق أن لا يكون عنده حسدٌ ولا بَغْيٌ ولا عُجب ولا شطح عن ظاهرِ الشَّريعة، ولا تصدُّرٌ بمجلسٍ، ولا خصامٌ ولا جِدالٌ، ولا سوء ظَنٍّ بأحدٍ من أهلِ الطَّريق، ولا لمن تزيَّق بالزيق.

وقال: الصَّادقُ من لا يلتفتُ إلى رعاية الخلق في الحرمةِ والجاه، والقيامِ والقعود، والقبولِ والإعراض.

وقال: عليكَ بالوحدة؛ فإنَّك بالقرنِ السَّابعِ الذي أكثرهم يجعل الحقيقة

---

(١) في المطبوع: سألتم.

(٢) في (أ): وترك الحاصل.

مخالفةً للشريعة، ويقولون: بابُ العطاء أُغلِقَ، حين رأوا بابَ العطاء أُغلق دونهم، وما عَلِموا أنَّ لله عباداً أفاضَ عليهم من جُوده ما لا عينٌ رأتْ من علومٍ ومعارفَ وأسرار.

وقال: قيل للجُنَيد: إنَّ قوماً يتواجدون ويتمايلون. فقال: دعوهم مع اللهِ يفرحون، فإنَّهم قومٌ قطعتِ الطَّريقُ أكبادَهم ومزَّقَ النَّصَبُ فؤادهم، وضاقوا ذرعاً، فلا حرجَ عليهم إذا تنفَّسوا مداواةً لحالهم[1]، ولو ذقتَ مَذاقهم عَذرتهم في صِياحهم، وشقِّ ثيابهم.

وقال: مَنْ جهلَ أخلاقَ القوم فهو في حرمان.

وقال: أسلمُ التفسير ما رُوي عن السَّلف، وأنكرُه عند النَّاس ما فتحَ الله به على قلبِ العبدِ في كلِّ عصرٍ، ولولا مُحرِّكٌ يُحرِّكُ قلوبَنا ما نطقنا إلاَّ بما وردَ عنِ السَّلف.

وقال: فيضُ الرُّبوبيَّة إذا فاضَ أغنى عن الاجتهاد. وقد يُعطي الوليَّ القاصرَ ما لم يُعطه لأصحاب المحابر، وليس مَطلوبُ القومِ إلاَّ مجالسةَ الحقِّ في كلِّ أمرٍ سلكوه، فإذا حضروا عنده عرفوا بتعريفه كلَّ شيءٍ بلا تعب.

وقال: من ليس عنده شفقةٌ ولا رحمةٌ للخلق لا يَرقى مراتبَ أهلِ الله.

وقال: لو هاجرَ النَّاسُ مُهاجرةً صحيحةً طالبين الله خالصاً، ودخلوا تحت أوامره، استغنوا عن الشيوخِ، لكنْ جاؤوا إلى الطَّريقِ بعللٍ وأمراض فاحتاجوا إلى حكيم.

وقال: التَّوبة ما هي بكلامٍ بغير عمل، بل بالعزمِ على ارتكابِ ما الموت دونه. فصفَّ أقدامكَ في حِنْدسِ[2] اللَّيلِ، ولا تكُنْ ممَّن شُغِلَ بالبطالة، ويزعمُ أنَّه من أهلِ الطريق؛ فإنَّ[3] من استهزأ بالطريق استهزأتْ به.

وقال: لا يَصلحُ للبسِ الخرقةِ إلاَّ من درسته الأيام، وقطَّعته الطَّريقُ

---

(١) في (ب): مداواة لهم.

(٢) الحندس: الظلمة. القاموس (حندس).

(٣) في (أ) و (ب): فإنه.

بجهدها، وأخلصَ في معاملته، وقرأ معاني رموز الطريق، ونظرَ في أخبار أهلِها، وعرفَ مقاصدَهم وأخلاقهم.

وقال: قوتُ المريد الجوع، ونظرُه الدُّموع، وفِطره الرجوع. وأمَّا مَنْ أكلَ ونام ولغا في الكلام، وترخَّص وقال: ما على فاعل ذلك ملام، فلا يجيء منه شيءٌ والسلام.

وقال: ما بُنيت طريقُنا هذه إلاَّ على النَّارِ والبحر الهدَّار والجوعِ والاصفرار ما هي بالمشدقة والفشار.

وقال: شرطُ الفقير كونه كالسُّلطانِ هيبةً، وكالعبد الذَّليلِ تواضعاً ومهنةً.

وقال: الشَّيخُ حكيمُ المُريد، فإذا لم يعملْ بقولِ الحكيم لم يحصلْ له شفاء.

وقال: قد صرفنا هِمَّتنا إلى ربِّنا، لم نعرفْ سِواه.

وقال: خَلوةُ المُريد سبحاته، وجلوتُه سِرُّه وسريرته.

وقال: لا تُودعوا كلامَنا إلاَّ عند من كان مِنَّا، ويسلكُ طريقَنا، فقد قالوا: ذكرُ الكلامِ لغير أهله عورة.

وقال: طريقُنا ما هي طريق تمليق، بل هي طريق صدقٍ وتحقيق، وموتٍ وكمد، وجهدٍ وسهد، وكرمٍ وكسرِ نفسٍ بغير دعوى، ومَنْ لا ذلَّ ولا خضوعَ عندَه لا يَجيءُ منه شيء.

وقال: واغوثاه من أهلِ هذا الزمان، لو علمتُ أنَّ في الأجَلِ فسحةً سكنتُ أكَم[1] الجبال، وبطونَ الأودية بين الوحوش حتى أموت.

وقال: كم من واقفٍ في الماء وهو عطشان؛ لعدم صدقه في طلب مولاه[2].

---

(١) الأكَم محركة، وبضمتين: جمع أكمة، وهي دون الجبال، أو الموضع يكون أشدَّ ارتفاعاً مما حوله، وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً. القاموس (أكم).

(٢) في (أ): في طريق مولاه.

ذكر ذلك كلَّه في كتاب «الجوهرة» له، وهو مجلَّدٌ ضخمٌ فيه عجائبُ.

وكان عظيمَ الشَّطح فمن قوله:

سَقاني مَحبوبي بكأسِ المحبَّةِ ... فتهتُ على العُشَّاقِ سُكراً بخلوتي
ولاحَ لنا نورُ الجلالةِ لو أضَا ... لصُمِّ الجبالِ الرَّاسياتِ لدُكَّتِ
وكنتُ أنا السَّاقي لمَنْ كان حاضراً ... أطوفُ عليهم كَرَّةً بعد كَرَّةِ
ونادَمَني سِرًّا بسِرٍّ وحكمةٍ ... وأنَّ رسولَ اللهِ شيخي وقُدوتي
وعاهَدَني عَهداً حَفِظْتُ لعهدِهِ ... وعشتُ وثيقاً صادقاً بمحبَّتي
وحكَّمَني في سائرِ الأرضِ كُلِّها ... وفي الجِنِّ والأَشباحِ والمَرَدِيَّةِ
وفي أرضِ صينِ الصِّينِ والشرقِ كلِّها ... إلى اقْصَى بلادِ اللهِ صَحَّتْ ولايتي
أنا الحرفُ لا أُقرَا لكلِّ مُناظِرٍ ... وكلُّ الوَرى عن أَمرِ رَبِّي رَعيَّتي
وكم عالِمٍ قد جاءَنا وهو مُنْكِرٌ ... فصارَ بفضلِ اللهِ من أهلِ خِرقَتي
وما قُلتُ هذا القولَ فَخراً وإنَّما ... أتى الإذنُ كيلا يَجهلونَ طَريقَتي
تجلَّى لي المحبوبُ في كلِّ وجهةٍ ... فشاهدتُهُ في كلِّ مَعْنًى وصورةٍ[1]

وهي قصيدةٌ طويلةٌ ذكرها في الكتاب المذكور.

ماتَ سنةَ سِتٍّ وسبعين وستِّ مئة.

ومن كراماته:

أنَّه خطفَ تمساحٌ صبيًّا فأتتهُ أُمُّه مذعورَةً، فأرسلَ نقيبَه، فنادى بشاطىء البحر: معشرَ التَّماسيح، مَنِ ابتلعَ صبيًّا فليطلعْ به، فطلعَ، ومشى معه إلى الشَّيخِ، فأمرَهُ أن يَلفِظَهُ، فلفظَهُ حَيًّا، وقال للتِّمساح: مُتْ بإذنِ الله، فماتَ.

وقامَ عليه أهلُ بلاده، وآذوه أشدَّ الأذى، ورَموه بالعظائم، فقال: آه آه، واللهِ لو علمتُ أنَّ في أجَلي فسحةً خرجتُ من بينهم إلى الجبالِ، وبطونِ الأَرْدِية حتّى ألقى الله.

* * *

(١) هذا البيت مطلع قصيدة أخرى للدسوقي صاحب الترجمة ذكرها الشعراني في طبقاته ١/ ١٨٢.

(٤٥٥) إبراهيم بن مِعْضاد الجَعْبَرِيُّ(*)

إبراهيم بن مِعْضاد بن شدَّاد بن ماجد الجَعْبَريُّ الشَّافعيُّ، الشَّيخُ الصَّالح، العالِمُ العامل، المُتصرِّفُ في التَّصوُّفِ بأطرافِ الأنامل، زاهدٌ موصوف، وعابدٌ عالم، عُلا فضلِهِ معروف.

كان قدوةً في القول والعمل، وإماماً، يُنيل مَنْ أمَّه غايةَ الأمل، حلوَ العبارة، لطيفَ الإشارة، غزيرَ الفضيلة، ذا مناقبَ جميلة، له ميعادٌ وأيُّ ميعاد! جزيلُ الإسعاف والإسعاد، يشتملُ على وعظٍ مُفيد، ولفظٍ يردُّ به القلبَ الشَّريد، ويَستجلبُ العاصي، ويأخذُ بالنَّواصي، يجتمعُ إليه ما لا يَكادُ يُحصى من الخلائق، وتحومُ عليه أطيارُ الحقائق.

وقد أثنى عليه البعيدُ والقريب، وأطبقَ على ذلك مُعاصروه، ومنهم ابنُ حبيب حيث قال في «التقريب»: إمامٌ علا مقالُه ومقامُه، ومتكلِّمٌ عَذبَ منهلُهُ وكلامه، وعارِفٌ تأرَّجَ الكونُ بعَرْفِه، ومحقِّقٌ تظهرُ الأسرارُ على لسانِ كشفه، مَقولُهُ محطُّ الرِّحال، ومَلجأُ أربابِ القال والحال، ينثُرُ على النَّاسِ جواهرَهُ الفاخرة، ويعظهُم بالزَّاويةِ المنسوبةِ إليه بحُسينية القاهرة[1]، مَلَكَ القلوبَ بحُسنِ الأَوصاف والشِّيَم، وسلَكَ طريقَ والده في العلم والعمل، ومن يُشابه أباه[2] فما ظلم.

(*) العبر (نص مستدرك منه) صفحة ١١، فوات الوفيات ١/ ٤٩، مرآة الجنان ٤/ ٢٠٤، طبقات السبكي ٨/ ١٢٣، الوافي بالوفيات ٦/ ١٤٧، البداية والنهاية ١٣/ ٣١٠، طبقات الأولياء ٤١٣، تاريخ ابن الفرات ٨/ ٧٢، خطط المقريزي ٤/ ٣٠٣، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٤، المنهل الصافي ١/ ١٧٧، حسن المحاضرة ١/ ٢٤٩، طبقات الشعراني ١/ ٢٠٣، شذرات الذهب ٥/ ٣٩٩، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٤٠.

(١) زاوية الجعبري خارج باب النصر من القاهرة. خطط المقريزي ٤/ ٣٠٣.

(٢) في المطبوع، و (ب): أبه.

وُلد بجَعْبَر[1] سنة تسعٍ وتسعين وخمس مئة. وتفقَّه على مذهب الإمام الشَّافعي، وسمعَ الحديثَ من: السَّخاوي[2] وغيرِه.

ومنه: أبو حيَّان، وغيره.

وكان يُرشدُ النَّاسَ، ويتكلَّمُ عليهم، ويحصلُ في مجلسه أحوالٌ سنيَّة، وأمورٌ غريبة عليَّة، ومُكاشفاتٌ خارقة، وكراماتٌ فائقة[3].

أخذ عنه: الكمال بن عبد الظاهر، وغيرُه.

وكان مُريدوه يَسمعون وعظَهُ على الكرسيِّ بمصر، وهم بالرِّيف.

وكان مُقيماً بزاويته خارجَ باب النَّصر، وبها دُفِنَ.

وكان كالنَّارِ المُوقدةِ على الظَّلمةِ، يَكتبُ للسُّلطانِ: من إبراهيم الجَعْبَري إلى الكلب الزَّوبري، فلا يتشوَّش، ويقول: هو كان اسمي في بلادي، فمَنْ أعلمَ به الشَّيخَ؟ فانتصرَ القضاةُ للسُّلطان، وأفتوا بتعزيره، فحُبِسَ بَولُهم ثلاثةَ أيَّامٍ، حتّى أشرَفوا على الهلاك، وجاؤوه، فاستعفوه، فأعفاهم.

وشكا ناسٌ من نصرانيِّ الطّور، فأحضره، وهو يَبري قلماً، فقال: إن عُدتَ تُشوِّشُ عليهم أقطُّ هذا القلم. قال: قُطَّه. فقطَّه، فسقطت رأسُ النَّصرانيِّ فوراً[4].

وقال: كلُّ فقيرٍ لا يَقتلُ عددَّ شعرِ رأسه من الظَّلَمَةُ ما هو بفقير.

ومنعه مرَّةً قاضي القُضاة ابن رَزين من الكلامِ على النَّاس بسبب ألفاظٍ ذُكرت عنه، ثم ظهرَتْ براءَتُهُ، وحسنُ اعتقادُه، فأرسلَ يستعطفُه، وأذِنَ له في الكلام.

وحبسَ الوزيرُ حملَ صابون لجماعةِ الشيخ للمَكْس، فأرسلَ للسُّلطان ليُطلِقَه فأبى، وقال: هذا مالُ العسكر، فحُبِسَ بولُ السُّلطان، وصارَ يتلوَّى

(١) جَعْبَر: على الفرات بين بالس والرَّقة، قرب صفين. معجم البلدان ٢/ ١٤٢.
(٢) هو علي بن محمد بن عبد الصمد، أبو الحسن، انظر النجوم الزاهرة ٧/ ٣٤٧.
(٣) في (أ): ومقامات فائقة.
(٤) جرت مثل هذه القصة بين سفيان اليماني ويهودي في تعز، انظر روض الرياحين ٤٩٧ حكاية (٤٥٧).

كالثُّعبان، وعجِزَ الأطباءُ عن إدراره، فأطلقَ الصَّابون، فأرسل الشَّيخُ له منه إبريقاً، وقال: استنجِ حالاً. ففعل فانطلق.

قال في «الأخلاق المتبولية»: كان الجَعْبَريُّ،والمَتبولي، والحنفيُّ آلةً لموتِ الظَّلَمة، فقتلَ كلٌّ منهم ما لا يحصى منهم.

وكان أبو العبَّاس العراقي يُنكر عليه كثيراً، وكان في الشَّيخِ حِدَّةٌ، وربَّما شتمَ في الوعظ، ونالَ من بعض الحاضرين، فطُلِبَ مرَّةً إلى مجلسِ بعضِ القُضاة، وادُّعي عليه بألفاظٍ قيل إنَّها بدرَتْ منه، فقال له القاضي: أجِبْ، فأخذَ يقول: شَقَعْ يقَعِ، يا الله يقع. كرَّر ذلك، وخرجَ من المجلس، فلم يقدرْ أحدٌ أن يرُدَّه، فركبَ القاضي بغلتَه، فوقعَ، فانكسرتْ يَدُه.

وله نَظمٌ ونَثرٌ كثير في أحوال الطَّريق.

وهو الذي حضرَ وفاةَ ابنِ الفارض لمَّا سألَ اللهَ أن يُرسِلَ له وليًّا يَحضرُ موتَه ليُساعدَهُ في ذلك الهَول.

ماتَ سنةَ سبعٍ وثمانين وستِّ مئة عن نحو سبعٍ وثمانين سنة.

* * *

(٤٥٦) إبراهيم الحَمَويُّ الكِنانيُّ(*)

إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الحمويُّ الكِنانيُّ الشَّافعيُّ الفقيه، الصُّوفي.

له أحوالٌ وكراماتٌ منها: أنَّه كان يُرى بعرفة، ثم يُصبحُ، ويخطبُ بحماة.

ومنها: أنَّه لمَّا دنَتْ وفاتُه، وهو بدمشق توجَّه لزيارة المسجد الأقصى، وودَّعَ أهلَه، وأخذ كفنَه، وأخبرَ بأنَّه يموتُ فيه، ولمَّا وصلَ إليه مات سنة خمسٍ وسبعين وستِّ مئة ودُفنَ عندَ القرشي.

(*) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٨٧، طبقات الشافعية للسبكي ٨/ ١١٥، الوافي بالوفيات ٥/ ٣٥٣، البداية والنهاية ١٣/ ٢٧٣، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٥١، المنهل الصافي ١/ ٦٤، الأنس الجليل ٢/ ١٥٠.

(٤٥٧) إبراهيم بن أبي الدنيا(*)

إبراهيم بن علي بن عبد الغفار بن أبي الدنيا، الأندلسيُّ ثمَّ القِنائي الدَّارِ والوفاة.

كان من المَشهورين بالكرامات.

وبشَّر به الشَّيخُ عبد الرَّحيم القِنائي، فقال: يأتي بعدي رجلٌ من المَغرب، يكونُ له شأنٌ.

فقدِمَ فزارَ الجبَّانة، ثم أتى إلى مكانٍ، فوقفَ فيه، وغرسَ عُكَّازَهُ، وقال: هنا سمعتُ الأذانَ والإقامةَ، ثمَّ حجَّ ورجعَ فوجدَ النَّاسَ بنوا هناك رباطاً، فأقامَ به حتّى ماتَ بقِنا[1] سنةَ ستٍّ وخمسين وستٍّ مئةٍ، وقبرُه يُزار.

ودُفنت زوجتُهُ بقُربه. وقد جُرِّبَ أنَّه مَنْ وقفَ بين قبريهما ودَعا، استُجيبَ له.

* * *

(٤٥٨) أحمد بن الحُنْدُج(**)

أحمد بن الحُنْدُج بضمِّ الحاءِ، والدَّال المهملتين، وآخرُه جيمٌ، اليمني.

كان من كبار الصَّالحين، أهلِ الولاية والتَّمكين[2]، كراماتُه ظاهرة،

(*) الطالع السعيد ٥٩، طبقات الأولياء ٤١٦، حسن المحاضرة ١/٥١٩. وله ترجمة في الطبقات الصغرى ٤/٨٥.

(١) في المطبوع: بفنائه.

(**) طبقات الخواص ١٨٢، ١٨٣، وقد ذكره الشرجي في ترجمة الشيخ أبي بكر بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد الحندج، وقال: وكان ينبغي أن نكتب الترجمة باسمه لكونه أكبر، وأكثر كرامات، إلا أني لم أعرف اسم أبيه، ولا ينبغي أن نكتب ترجمة لاسمٍ واحدٍ بغير اسم أب. جامع كرامات الأولياء ١/٣١٦.

(٢) التمكين عند أهل الله: مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة. ومادام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين؛ لأنه يرتقي من حالٍ إلى حال، وينتقل من وصف إلى =

وأخبارُه سائرة، منها ما حكاه الشَّيخُ عليُّ ابنُ الغريب: أنَّه كان يُكثِرُ الاعتكافَ بمسجد مُعاذ[1]، فنزلَ ليلةً الوادي ليتوضَّأ، فإذا ببعضِ شيءٍ من السَّيل، ولم يكن أوانُ سيلٍ، فسمعَ أمامَ السَّيل قائلاً يقول: حُنْدُج حُنْدُج. يكرِّرُ ذلك، فتبعه فجاء السيل فسقى أرضَ الشَّيخ أحمد المذكور، ولم يزِدْ عليها، ولم ينقص عنها.

ومنها: أنَّ بعضَ ذُرِّيته كان إذا ضاقَ وقتُه، تقدَّمَ إلى قبره، فيَجِدُ عليه من الدَّراهم ما يسدُّ به حاجتَه.

وله غيرُ ذلك من الكرامات.

مات في القرنِ السَّابع.

* * *

(٤٥٩) أحمد بن مسعود(*)

أحمد بن مسعود بن شدَّاد المُقرئُ ، المَوصليُّ، كان عالِماً عابداً زاهداً، مُطرحاً للكلفة، مُلتحفاً بأثواب الورع والعِفَّة، وطريقُهُ حُمِدَتْ آثارُها، وتربيَتُهُ سارَتْ بالجميلِ أخبارُها.

أثنى عليه ابنُ عربي، وحكى عنه قال: أخبرني بالمَوصل سنة إحدى وستِّ مئةٍ، قال: رأيتُ المُصطفى في المنام، فقلتُ: ما تقولُ في الشَّطرنج؟ قال: حلال ـ وكان الرائي حنفياً ـ قال: فقلتُ: والنَّردُ؟ قال: حرام. قلتُ: ما تقولُ في الغِناء؟ قال: حلال. قلتُ: فالشَّبَّابة؟ قال: حرام. قلتُ: يارسول الله، ادعُ لي؛ فقد مسَّتْني حاجةٌ. قال: رزقَكَ اللهُ ألفَ دينار، كلُّ دينار أربعةُ دراهم.

قال: فانتبهتُ، فدعاني المَلِكُ النَّاصرُ صلاحُ الدِّين يوسُف بن أيوبَ في

= وصف، فإذا وصل واتصل فقد حصل التمكين. التوقيف على مهمات التعاريف ٢٠٧.

(١) مسجد معاذ: مسجد على رأس الوادي في زبيد. انظر طبقات الخواص ٨٧ في ترجمة علي بن محمد المعروف بابن الغريب.

(*) طبقات القراء ١/١٣٨، جامع كرامات الأولياء ١/٣٠٦.

شغلٍ، فلمَّا انصرفتُ أمَرَ لي بأربعةِ آلاف درهم، فما بِتُّ إلاَّ والدَّراهمُ التي عيَّنَها في دعائه عندي كاملة.

* * *

(٤٦٠) أبو أحمد الأندلسي (*)

العارِفُ الكبير، الوليُّ الشَّهير، ذو الخوارقِ الباهرة، والكراماتِ الظاهرة، منها ما حكاه أبو العبّاس الحرَّار ـ بمهملات ـ قال:

قصدتُ أنا وجماعةٌ زاويتَهُ، فرأينا خَلقاً عظيماً حولَه، فنظرَ إلينا، وقال: إذا جاءَ الصَّغيرُ إلى المُعلِّم، ولوحُه ممحوٌّ، كتبَه له، وإنْ كان مملوءاً فبالذي جاءَ يرجع، ومَنْ شرِبَ من مياهٍ مُختلفةٍ دخلَ مزاجَهُ التَّغيير.

وقال: وكان في جماعته أربعُ مئة شابٍّ في سنٍّ خمس عشرةَ سنة، كلُّهم مُكاشَفون.

وقال: وبعثَ إليَّ يوماً، فجئتُه، فوقفَ على رأسي، وبيده قَدُومٌ، فصارَ يَهدِمُ فيَّ، وأنا أشهَدُ أعضائي تتفرَّقُ على الأرض، حتّى وصلَ إلى كعبي، ثمَّ بناني عُضواً عضواً، من كعبي إلى دماغي، ثم قال: قد استغنيتَ، فسِرْ إلى بلدكَ، فانكشفَ ليَ العالمُ العُلويُّ كَشفاً بحيثُ لا ينحجِبُ عنِّي منه شيءٌ.

* * *

(٤٦١) أبو العبَّاس البصير (**)

صوفيٌّ معروفٌ عارف، يرفُلُ من التَّقوى في أبهى المَطارف.

أصلُه من المغرب، ثمَّ قدِمَ مصر فقطنها، وكان من أهلِ الكشفِ التَّامِّ،

(*) روض الرياحين ٤٧٤ (حكاية ٤٣٨)، رسالة صفي الدين بن أبي المنصور صفحة ٣ـ ٥ ضمن ترجمة أحمد الحرار منشورات المعهد الفرنسي. القاهرة ١٩٨٦ تحقيق ديني جريل، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٥٣.

(**) الكواكب السيارة ٣١٣ وما بعدها، حسن المحاضرة ١/ ٥١٧، تحفة الأحباب ٣٩٣، طبقات الشعراني ٢/ ٣، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٠٢. واسمه أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، ويعرف بابن غزالة.

والقبولِ العام، وهو رفيقُ ابن أبي العشائر على مشايخه، وكان كلٌّ منهما يُكاتبُ الآخر، فيرمي الورقةَ في الخليج، فتقفُ على سُلَّمِ زاويةِ الآخر.

وقدِمَ رجلٌ من تلامذته على الشَّيخِ عبد الرَّحيم القِنائي، فمدَّ الشَّيخُ يدَهُ ليأخذَ عليه العهدَ، فخرجت يَدٌ من المِحرابِ، فمنعته. فقال: رحِمَ اللهُ أخي أبا العبَّاس مع أولاده[1] حَيًّا وميتاً.

وقد أفردَ البُرهان الأبناسي[2] لترجمته كتاباً حافلاً سمَّاه «تلخيص الكوكبِ المُنير في مَناقب الشَّيخ أبي العبَّاس البصير»، قال فيه: إن من كراماته أنَّه لمَّا قَدِمَ مكَّةَ اجتمعَ بالشَّيخِ أبي الحجاج[3] الأقصُري، وجلسا مَجلساً بالحرم يتذاكران أحوالَ القوم. فقال الأقصري: هل لكَ في طوافِ أسبوعٍ؟ فقال أبو العبّاس: لله تعالى رجالٌ يُطَوِّفُ بيتَه بهم. فنظرَ أبو الحجَّاج وإذا بالكعبة طائفةً بهما.

قال الأبناسي: ولا يُنْكَرُ ذلك، فقد تضافرَت أخبارُ الصَّالحين على نظائرِ ذلك.

وهو مَدفونٌ بالقَرافة الصُّغرى، وقبرُه بها ظاهِرٌ، يقصده الزُّوَّارُ في كلِّ يومِ جمعةٍ.

* * *

---

(١) كذا في الأصول، وفي طبقات الشعراني ٢/ ٤، وجامع كرامات الأولياء نقلاً عن المناوي: يُغيِّرُ عليَّ أولادَه.

(٢) هو إبراهيم بن موسى بن أيوب، برهان الدين أبو إسحاق الأبناسي، ثم القاهري الشافعي، ولد بأبناس من قرى الوجه البحري بمصر، وانتقل إلى القاهرة شاباً فتفقه وسمع الحديث بها، وبمكة، والشام، وتصدى للإفتاء والتدريس بالأزهر، عين للقضاء فتوارى وأبى، وتوفي آيباً من الحج سنة ٨٠٢ للهجرة. الأعلام ١/ ٧٥.

(٣) في الأصول: أبو العباس، خطأ، وسيذكره المؤلف بعد سطرين باسمه الصحيح.

(٤٦٢) أبو العبَّاس المُرْسي(*)

واسمُه أحمد بن عمر الأنصاري المالكي، قطبُ الزَّمان، وقُدوةُ الأوان، وعلمُ الهداية، والمُشارُ إليه بالولاية، طلعَ من المغرب هلالاً بل بَدراً، ونزلَ إسكندريَّةَ فعاينَ أهلُها منه على البر بحراً.

كان وافرَ الزُّهد والعبادة، لائذاً بالمشيئة والإرادة، ذا معارفَ وأسرار، وأورادٍ وأذكار، ومواعظَ وأقوال، وكراماتٍ وأحوال، مُنفرداً عن النَّاس، مُعرضاً عمَّن سارَ وسادَ وساس.

يُلازمُ الخلوةَ والذِّكر، ويقطعُ أوقاتَه بالمُراقبة والفكر، نعم، وكان من أعاظمِ العارفين، وأكابرِ المحقِّقين.

ساسَ المُريدين سياسةً[1] طهَّرَ بها قلوبَهم، وربَّاهم تربيةً محا بها عيوبَهم.

وكان شيخُه الشَّاذلي يقولُ: عليكم به، فوالله، إنَّه ليأتيه البدويُّ يبولُ على ساقيه فلا يُمسي إلاَّ وقد أوصلَهُ إلى الله، وما من وليٍّ كان، أو هو كائنٌ إلاَّ أظهرَهُ اللهُ عليه، وعلى اسمِه،ونسبه، وحظِّه من الله.

وكان أكثر ما يتحدَّثُ في مجالسه في العقل الأكبر، والاسم الأعظم، وشُعبه الأربع، والأسماءِ، والحروفِ، وعلومِ الأسرار، ودوائرِ الأولياء، ومقامات الموقنين، والملائكةِ، وأمداد الأذكار، وعلومِ المبدأ، وشأنِ القبضة، وعلومِ الأفراد، وما سيكونُ يوم القيامة، ويتكلَّمُ في غير ذلك قليلاً.

ولمّا قَدِمَ إسكندريَّةَ من المغرب ضاقَ صدرُه حتّى ضعفَ عن حمله، فأتى

(*) الوافي بالوفيات ٧/ ٢٦٤، طبقات الأولياء ٤١٨، تاريخ ابن الفرات ٨/ ٥٧، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٧١، المنهل الصافي ٢/ ٤٣، طبقات الشعراني ٢/ ١٢، نيل الابتهاج ٦٤، نفح الطيب ٢/ ١٩٠، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣١٤، شجرة النور الزكية ١٨٧. وقد ألف ابن عطاء الله السكندري كتاب لطائف المنن في فضائل المرسي، والمرسي: نسبة إلى مرسية إحدى مدن الأندلس.

(١) في (ب): في سياسةٍ.

الشَّاذليّ قال: يا أبا العبّاس، آدمُ خلقهُ اللهُ بيده، وأسجدَ له ملائكته، وأسكنه جنَّته، وأنزلَه للأرضِ نزولَ كرامةٍ لا إهانةٍ، فإنَّه عَبَدَ اللهَ في الجنَّة بالتعريف[1]، وعَرَفَ ربَّهُ في الأرض بالتكليف، فما أنزلَهُ إليه ليُنقصَهُ بل ليُكملَهُ، ولقد أنزلَهُ إليها قبلَ أن يخلقهُ ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ما قال في الجنَّة، ولا في السَّماء، فما استحقَّ أن يكون خليفةً حتّى توفَّرتْ فيه العبوديَّتان، وأنتَ لكَ قسطٌ من آدم؛ بدايتُكَ في سماءِ الرُّوح، في جنَّةِ المعارف، فأُنزلْتَ إلى أرضِ النَّفس؛ لتعملَ بالتَّكليف، فإذا توفَّرَتْ فيكَ العبوديَّتان استحقيتَ أن تكونَ خليفةً. فكانَ كذلك، تولَّى القطبيَّةَ وذلك مُكاشفةٌ من شيخه له، فإنَّ القطبَ هو الخليفةُ في الأرض.

ومن كلامه:

ربَّما دخَلَ في طريقِ الرَّجلِ بعد وفاته أكثرُ ممّا دخلَ في حياته، فمادامَ بين ظهرِ النَّاسِ لا يُلقونَ إليه بالاً.

وقال: قالَ لي شيخي: ما صحبتُكَ إلاَّ لتكونَ أنتَ أنا، وأنا أنت، يا أبا العبّاس، فيكَ ما في الأولياء، وليسَ فيهم ما فيك.

وقال: لي أربعونَ سنةً ما حُجبتُ عن اللهِ طَرفةَ عَين.

وقال: ما صافحتُ بهذه اليَدِ إلاَّ رسول الله.

وقال أبو العبّاس الشَّاطر: المُرسي من ملوكِ الآخرة، ما من أسوان إلى الإسكندريَّة رجلٌ مثلُه.

وكان يقومُ لبعضِ العُصاةِ أحياناً لا لبعضِ المُطيعين، فسُئِلَ عن ذلك، فقال: ألمَحُ من بعضِ المُطيعينِ الكِبْرَ، ومن بعضِ العُصاةِ الذلَّةَ، فأُعاملُ كلاًّ بحسبِ ما في نفسه.

ومن كراماته التي انفردَ بها عن غالبِ الأولياءِ تَسليكُهُ لنحو ثلاثينَ قاضياً.

---

(١) في المطبوع: بالتصريف.

وكان يقولُ للقُرشي: ليسَ[1] الشَّأنُ أن تُسلِّكَ كلَّ يومٍ ألفاً من العوامّ، بل أن تُسلِّكَ فقيهاً واحداً في مئة عام.

ودخَلَ عليه شخصٌ وهو يقرِّرُ العلمَ، فزاحمَهُ في التَّقرير، فقال له: قرِّرْ أنتَ، فقرَّرَ، فرأى نفسَهُ على الشَّيخ، فقال له الشَّيخُ: اخرُجْ يا ممقوت. فسكتَ وسُلِبَ مِنْ كلِّ ما معه من القرآنِ والعلوم، وصارَ يَدورُ بأزقَّةِ البلد، فشفعَ فيه العرشي، فقال: ردَدْنا عليه الفاتحةَ والمعوَّذتَين ليُصلِّي بهما. وكان يحفظُ القرآنَ، وثمانيةَ عشرَ عِلماً، ولم يزَلْ مَسلوباً حتّى مات[2].

وقال: وليُّ اللهِ في حِرزٍ. تربيةُ الحقِّ كولدِ اللَّبوةِ في حجرها، أفتراها تاركةً ولدَها لمَنْ يغتالُه؟

وقال في حديث: «مَنْ عرفَ نفسَهُ فقد عَرفَ ربَّه»[3] معناه: مَنْ عرفَ نفسَهُ وعجزَها[4]، عرفَ ربَّه بعزَّته وقُدرته.

قال عن شيخه الشَّاذليّ: لو كُشِفَ للنَّاسِ عن نورِ المؤمنِ العاصي لطبقَ ما بين السَّماءِ والأرض، فكيفَ بالطَّائع؟!.

وقال له بعضُ الملوك: تمَنَّ عليَّ. فقال: كيف ولي عبدان مَلَكاكَ، وصِرتَ تحتَ حُكمهما؟! قال: ما هما؟ قال: الشَّهوةُ والحِرص، فكيف أطلبُ من عبدِ عبدي؟ فاستغفرَ، وقبَّلَ قدَمَهُ.

---

(١) في (ب): وكان يقول: ليس.
(٢) إلى هنا النقص في (أ).
(٣) قال العجلوني في كشف الخفا ٢/ ٢٦٢: قال ابن تيمية: موضوع، وقال النووي قبله: ليس بثابت، وقال أبو المظفر بن السمعاني في «القواطع»: إنه لا يعرف مرفوعاً، وإنما يُحكى عن يحيى بن معاذ الرازي - يعني من قوله - وقال ابن الغرس: لكن كتب الصوفية مشحونة به، يسوقونه مساق الحديث كالشيخ محيي الدين بن عربي وغيره، وللحافظ السيوطي فيه تأليف لطيف سمّاه: «القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه». وانظر صفحة ٢/ ٤٦٦ منه.
(٤) في (أ): من عرفها بذلها وعجزها.

وقال: إذا خرجَ الكلامُ من مأذونٍ له خرجَ وعليه طلاوةٌ وحلاوةٌ، وغيرُه يخرجُ مكسوفَ الأنوار.

وقال: قد يُطلِعُ اللهُ بعضَ الأولياء بحُكمِ إرثِ الأنبياء، فينطِقُ بالغَيب.

وقال: مَنْ أحبَّ الظُّهورَ فهو عبدُ الظُّهور، أو الخَفاءَ فهو عبدُ الخَفاء، ومَنْ كانَ عَبداً لله فسواءٌ عليه أظهرَه أم أخفاه.

وقال: طريقُنا هذا لا تُنسَبُ للمشارقة ولا للمغاربة، بل واحدٌ عن واحدٍ، إلى الحسن بن علي، وهو أوَّلُ الأقطاب.

وقال: إنَّما يلزمُ الرَّجلُ تعيينَ مشايخه، إذا كان طريقُهُ لبسَ الخرقةِ؛ لأنَّها روايةٌ، والرَّاويةُ يتعينُ حالُ سندها. وطريقُنا هدايةٌ: وقد يَجذبُ اللهُ العبدَ، فلا يجعل عليه مِنَّةً للأُستاذ، وقد يجمعُ شملَهُ برسولِه، فيكونُ آخِذاً عنه، وكفى به مِنَّةً.

وقال: لوِ أردتُ عددَ الأنفاسِ أن أقولَ: قال الله، لقلتُ. ولو أردت عدد الأنفاس أن أقول: قال رسول الله لقلت. ولو شِئتُ أن أقولَ على عددِ الأنفاسِ: قلتُ أنا، [لقلتُ][1]، لكنَّ الأدبَ أنَّ اللهَ إذا فتحَ على فقيرٍ بكلامٍ أن يقولَ: قال الشَّيخُ كذا، ويُوهِمُ السَّامعَ أنَّه كلامُ غيره.

وقال: واللهِ ما سارَ الأولياءُ، والأبدالُ إلى جبلِ قاف إلاَّ حتّى يلقوا مثلَنا يُرشدُهم.

وقال: الطَّيُّ قسمان؛ أحدُهما على الأرضِ فيُطوى للوليِّ من المشرقِ للمغرب، والثاني: وهو الطَّيُّ الأكبرُ أن تُطوى له أوصافُ النَّفسِ كلِّها.

وقال: لو كان الحقُّ تعالى يُرضيه خِلافُ السُّنَّة، كان التوجُّهُ في الصَّلاةِ إلى القطبِ الغَوثِ أوْلَى منه إلى الكعبة.

وقال: واللهِ ما كان اثنانِ من أهلِ هذا العلمِ في زمنٍ واحدٍ قطُّ إلاَّ واحِداً بعد واحدٍ إلى الحسنِ بن علي.

---

(١) ما بينهما مستدرك من طبقات الشعراني ٢/ ١٤.

وقال: منذُ دخلتُ على الشَّاذليِّ وهو يُقرأُ عليه «مواقف النفريِّ»[1] وقال لي: تكلَّم، أُعطيتَ لسانَه.

وقال: ما تكلَّمْتُ حتّى قال لي الشَّيخُ أبو الحسن: تكلَّمْ، فأُعطيتُ العِبارةَ من ذلك الوقت.

وقال: واللهِ لو عَلِمَ عُلماءُ العراقِ والشَّامِ ما عندي من العلومِ لأتوني ولو حَبْواً على وجوهِهم.

وقال: قد يُطْلِعُ اللهُ الوليَّ على معرفةِ سائرِ لغاتِ الخَلقِ، فيكونُ سُليمانيَّ المقام.

وقال: إذا كملَ الرَّجلُ نَطَقَ بجميعِ اللُّغاتِ.

وقال: نحنُ لا نُطالِعُ كلامَ أهلِ الطَّريقِ، لنستفيدَ ما ليس عندنا، بلْ لنرى ما أنْعَمَ اللهُ به علينا.

وقال: شاركنا الفقهاءَ فيما هم فيه، ولم يشاركونا فيما نحنُ فيه.

وأنكرَ عليه[2] قومٌ، وقالوا: ما تَمَّ عِلْمٌ إلاَّ بأيدي علماءِ الشَّريعة، فحضروه، فبُهِتُوا، وقالوا: هذا رجلٌ يغترِفُ من بحرٍ إلهيٍّ.

قال: لولا ضعفُ العقولِ لأُخبركم بما يكونُ من كرمِ اللهِ غداً.

وقال: إذا ضاقَ الوليُّ هلَكَ مَنْ يُؤذيه حالاً، وإذا اتَّسعَ تحمَّلَ أذى الثَّقَلين.

وقال: لحمُ الوليِّ مَسمومٌ، وإنْ لم يُؤاخذْكَ فإيَّاكَ ثم إيَّاك.

وقال: ما جَلَستُ للنَّاسِ حتّى هُدِّدْتُ بالسَّلبِ مِراراً. وقيلَ لي: إنْ لم تجلِسْ سلبناكَ ما وهبناكَ.

وقال: مَنِ اشتاقَ إلى لقاءِ ظالمٍ فهو ظالمٌ.

وقال: الهالِكُ بهذه الطَّائفةِ أكثرُ من النَّاجي بها.

---

(١) تقدم التعريف به، انظر صفحة ١٥٢ من هذا الجزء.

(٢) في (أ): وقال: قدم عليه.

وقال: لو حُجِبَ عنّي رسول الله طَرْفَةَ عَينٍ، ما عدَدْتُ نفسي من المسلمين.

وكان إذا رأى مُريداً دخَلَ في وِردِهِ بهواه أخرجَهُ منه. وإذا سَمِعَ جليسَهُ ينطِقُ باسمِ الله يُقرِّبُ فمَهُ من فيه، ويلتقِطُهُ غيرةً أن يبرُزَ في الهواء. ويقول: قلوبُنا أوْلى أن يكونَ الاسمُ فيها.

وكان إذا سمِعَ مَنْ يقولُ: اللَّيلةَ ليلةُ القَدْرِ، يقولُ: نحنُ بحمدِ اللهِ، أوقاتُنا كلُّها [ليلة][1] قَدْر.

وقالَتْ له امرأةٌ: عندنا قَمحٌ مُسَوِّسٌ، طحنَّاهُ فطُحِنَ السُّوسُ معه، ودشَشْنا[2] باقلا، فخرجَ السُّوسُ منه حَيًّا. فقال: يا هذه،صُحبَةُ الأكابرِ تُورِثُ السَّلامةَ.

ولم يضَعْ كتاباً ولا رسالةً قطُّ كشيخِهِ الشَّاذلي، ويقول: هذه علومٌ لا يحملُ فَهمَها عمومُ الخَلقِ، والكتابُ يقعُ في يدِ أهله وغيرهم، فكتُبنا أصحابُنا.

ومنْ كراماته: أنَّه دعاهُ رجلٌ إلى وليمةٍ يومَ الجمعة بعدَ الصَّلاةِ، فأجابَهُ وجاءَهُ أربعةٌ كلٌّ منهم يطلبُه لوليمةٍ في ذلك الوقت، فأجابَ الجميعَ، ثمَّ صلَّى الجمعةَ، وقعدَ بين الفقراءِ، ولم يذهبْ لأحدٍ. وإذا بكلٍّ من الخمسة[3] جاءَهُ يشكرُهُ على حُضورِهِ عندَهُ.

وقدَّمَ إليه رجلٌ طعاماً فيه شُبْهَةٌ يَمتحِنُهُ فردَّهُ، وقال: إن كان المُحاسبيُّ كان إذا مدَّ يدَهُ[4] إلى شُبْهَةٍ ضرَبَ عِرْقٌ بأُصبعه، فأنا في يَدي ستُّونَ عِرقاً تضرِبُ.

وكان ساكناً بخط المقسم بالقاهرة، وكلَّ ليلةٍ يأتي إسكندريَّةَ يَسمعُ ميعادَ الشَّاذلي، ثمّ يرجعُ القاهرةَ من ليلته.

---

(١) ما بينهما مستدرك من طبقات الشعراني ٢/ ١٦.
(٢) في (ب): ورششنا.
(٣) في (ب): وإذا بكلٍّ منهم.
(٤) كذا في الأصل، وفي طبقات الشعراني ٢/ ١٤: ... وقال: إنه كان للشيخ المحاسبي عرق في أصبعه يضرب إذا مدَّ يده....

وذكرَ النَّجمُ الأصفهاني: أنَّه خرجَ في طلبِ القطبِ، فخرجَ عليه القُطَّاعُ، فأمسكوه وأرادوا قتلَهُ، وبيَّتوهُ مَكتوفاً، فانقضَّ عليه رجلٌ من الجوِّ كانقضاضِ الباز، وقال: قُمْ، أنا مَطلوبُكَ. وحَلَّ كِتافَهُ، فإذا هو المُرسيُّ، وقال له: كم بينَ بلدةِ كذا وكذا من نهرٍ؟ قال: أربعةٌ. قال: والنَّهرُ الذي غرقتَ فيه، وقد كان عند قدومِهِ على الشَّيخِ خاضَ ذلك، وكادَ أن يغرقَ.

وقال لرجلٍ ـ قال لولده، وقد رآه يلعبُ مع الصِّبيان: اطلَعْ لا أطلعَكَ الله ـ: يا أبا الحسن، حسِّن خُلُقَكَ مع النَّاسِ، بقي من عُمركَ عامٌ. فماتَ بعدَ تمامِهِ.

وسافرَ إلى قُوص[1] ومعه خمسةٌ من أعيان جماعتِهِ، فقيلَ له فيه، قال: أدفنُ هؤلاء. فدفنَهُم.

وقَدِمَ أُشْمُون[2] على أبي عبد الله الحكيم، فقال: ادنُ. فدنا. فوضعَ يدَهُ خلفِ ظهره، وضَمَّهُ لصدرِهِ، وقال: جِئتُكَ مُودِّعاً، إنِّي إذا رجعتُ إسكندريَّةَ أبيتُ فيها ليلةً، ثمّ أدخلُ قَبري. فكان كذلك.

وخافَ أهلُ[3] إسكندريَّةَ هجومَ العدوِّ، فتقلَّدوا السِّلاحَ. فقال الشَّيخُ: مادمتُ بين أظهُرِكُم لا يدخُلُها. فلم يدخُلها إلاَّ بعد موته.

وتعسَّرَ على امرأةٍ الولادةُ، وأشرفَتْ على الموتِ، فوضِعَ على بطنِها طاقيةُ الشَّيخِ، فوضعَتْ حالاً.

ولبِسها إنسانٌ به حكَّةٌ، فذهبَتْ لوَقْتِها.

ولم يزلِ الشَّيخُ على حالِهِ، راقياً في درجِ كمالِهِ إلى أن حلَّ الأجَلُ، وحانَ الرَّحيلُ، فصارَ من رحمةِ ربِّهِ إلى خيرِ مقيل سنةَ سِتٍّ وثمانين وستِّ مئة بإسكندريَّة.

---

(١) قوص: مدينة عظيمة واسعة، قصبة صعيد مصر. معجم البلدان ٤/ ٤١٣.
(٢) أشمون: قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل، ذات بساتين، ونخل كثير. معجم البلدان ١/ ٢٠٠.
(٣) في (ب): وخافوا أهل.

(٤٦٣) أبو بكر بن يوسف المكّي المدني(*)

كان فقيهاً، عالماً، صوفيًّا كبيراً، ورعاً، زاهداً، راضياً بالكفاف مع علوِّ الهمَّةِ وشرَفِ النَّفسِ، من أعظمِ فقهاءِ زَبيد وصُلحائها.

وكان عارِفاً بالأدبِ والفقه والتَّصوُّفِ والطِّبِّ، وهو من كبار الحنفية، بل كان يُقرئُ في المذهبين، وله كراماتٌ منها: ما ذكره الجَنَدي[1]، قال:

أخبرني الثِّقةُ عنه أنَّه قال: رأيتُ في المنامِ القيامةَ قد قامت، وأُحضرَ الأئمَّةُ الأربعةُ بينَ يَدي اللهِ، فقال لهم الجَليلُ جَلَّ جلالُه: إنِّي أرسلتُ إليكم رَسولاً واحِداً بشريعةٍ واحدةٍ، فجعلتموها أربعاً، ردَّدَ ذلك ثلاثاً، فلم يُجِبْهُ أحدٌ، فقال أحمد: يا ربِّ، إنَّكَ قلتَ، وقولُكَ الحقُّ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]. فقال له الباري تعالى: تكلَّمْ.

فقال: يا ربُّ، مَنْ يشهدُ علينا؟ قال: الملائكةُ. قال: لنا فيهم قَدحٌ، وذلك أنَّكَ قلتَ، وقولُكَ الحقُّ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] فشهِدوا علينا قبلَ وجودِنا. فقال تعالى: جُلودُكم تَشهدُ عليكم. قال: يا ربُّ، كانتِ الجلودُ لا تنطِقُ في الدُّنيا، وهي اليومَ تنطِقُ مكلَّفةً، وشهادةُ المُكلَّفِ لا تصحُّ. فقال تعالى: أنا أشهدُ عليكم. فقال: يا ربُّ، حاكم وشاهد؟! فقال تعالى: اذهبوا فقد غفرتُ لكم.

قال الرَّاوي: فلم يُقِمْ الفقيهُ بعد هذه الرُّؤيا إلاَّ ثلاثةَ عشرَ يوماً، ومات سنةَ سبعٍ وتسعين وستِّ مئة.

* * *

(*) طبقات الخواص ١٧٢، جامع كرامات الأولياء ١/ ٥٢٩.

(١) الجندي: يوسف بن يعقوب، المعروف بالبهاء، أبو عبد الله، من قضاة اليمن توفي سنة ٧٢٣ هـ وله كتاب «السلوك في طبقات العلماء والملوك». معجم المؤلفين ١٣/ ٣٤٤.

(٤٦٤) أبو بكر بن قوام(*)

الإمامُ نجمُ الدِّين الصَّالحي البالِسيُّ، واسمُه محمد بن عمر، وإنَّما ذكرتُه بكنيته لأنَّه بها اشتهر.

وهو زاهدٌ، سارَ ذكرُه، واشتهرَ في الشَّامِ أمرُهُ، وعابِدٌ كَثُرَ صيامُه، وطالَ في اللَّيلِ قيامُه، كبيرُ القَدْرِ، واسِعُ الصَّدرِ، مقصودٌ بالزِّيارةِ، صاحبُ حالٍ وكرامةٍ، وكشفٍ وإشارةٍ، وله زاويةٌ، وأتباعٌ، ومناقبُ قامَ عليها الإجماعُ، وكراماتٌ وكرم، ومُريدون، وحشم.

شافعيُّ المذهبِ، أشعريُّ العقيدةِ، وكان فيه حسنُ الخُلُقِ وتواضع، وعليه وقارٌ، وعندَهُ تمسُّكٌ بأربابِ السُّنَّةِ والآثار، ولديه مهابةٌ، وعندَهُ تفرُّسٌ وإصابة، وصدقٌ وإخلاص، وقبولٌ عظيمٌ عند العامِّ والخاص، تُحبُّه القلوبُ وتميلُ إليه، وتترامى بالتودُّدِ والموالاةِ عليه.

وكان فيه جودٌ وكرم، وسماحٌ وسماعٌ له التهابٌ وضرم.

وله في اللَّيلِ تهجُّدٌ وعبادة، ومعاملةٌ وجدَ بها الحُسنى وزيادة. قَلَّ أن ترى العيونُ مثلَهُ في بابه، أو تُشاهدَ له عَديلاً في أنواعه وأضرابه.

حكى عن نفسه أنَّه كانت الأحوالُ تطرقُهُ في بدايته، فيخبر بها شيخَهُ، فيزجُره عن الكلام فيها، ويقولُ: لا تلتفتْ إليها. حتّى خرجَ يوماً لزيارةِ أُمِّه، فسمعَ صوتاً من جهةِ السَّماءِ، فرفعَ رأسَهُ، فإذا نورٌ كأنَّه سلسلةٌ مُتداخلٌ بعضُها في بعض، فالتفَّتْ على ظهره حتى أحسَّ ببردِها فيه، فأخبرَ شيخَهُ، فقال: الآن تكلَّمْ.

(*) ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٩٢، العبر ٥/ ٢٥٠، فوات الوفيات ١/ ٢٢٤، مرآة الجنان ٤/ ١٥٠، الوافي بالوفيات ١٠/ ٢٤٤، طبقات الأولياء ٤٨٦، الدارس في تاريخ المدارس ٢/ ٢٠٨، القلائد الجوهرية ١٩٨، شذرات الذهب ٥/ ٢٩٥، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٢٩. والبالسي نسبة لبالس بلدة بين حلب والرقة. معجم البلدان.

ثم صارَ بعد ذلك رأساً، وبَعُدَ صيتُهُ، وعَظُمَ أمرُهُ.

ووقفَ يوماً على حلب، وقال لجماعته: واللهِ، إنِّي لأعرفُ أهلَ اليمينِ من أهلِ الشِّمال منها، ولو شئتُ لسمَّيتُهم، لكن لا نكشفُ سِرَّ الحقِّ في الخَلْقِ.

وقال: وعزَّةِ المعبود، لقد أُعطيتُ حالاً، لو قلتُ لبغداد: كوني مكان مُرّاكش أو عكسَه كان.

وسُئِلَ وعندَهُ طبقٌ فيه فاكهةٌ: ما علامةُ الرَّجلِ المتمكِّن؟ قال: أن يُشيرَ بسرِّه إلى هذا الطَّبقِ، فيرقصُ جميعُ ما فيه، فرقصَ كذلك.

وقال لجماعته وهو معهم: إنِّي لأنظرُ إلى ساقِ العرشِ، كما أنظرُ إلى وجوهكم.

ومرَّ يوماً بالمقبرةِ فتغيَّر وجهُهُ واسترجعَ، فسُئِلَ عنه، فقال: جاءت أرواحُ الأمواتِ تُسلِّمُ عليَّ، وفيهم شابٌّ حسنُ الوجه، يقولُ: قُتِلْتُ ظُلماً، قتلَني رجُلانِ من أهل هذه القريةِ[1] وهما حاضران، فاعترفا.

وجاءَهُ رجلٌ، فقال: سُرِقَ جملي، وعليه حملٌ، وأنا ملهوفٌ، فسكتَ وأعرضَ عنه. فقال له بعضُ جماعته: أجِبْه. فقال: لمَّا قال جملي، رأيتُ رسَنَهُ بيده، فبرزَ من الغيبِ سيفٌ فقطعَه، فما بقي يرجع.

ومن كلامه:

الشَّيخُ مَنْ جمعَكَ في حضورِكَ، وحفِظَكَ في مَغيبِكَ، وهذَّبَكَ بأخلاقه، وأدَّبَكَ بإطراقه، وأنارَ باطِنَكَ بإشراقه.

ولم يزَلْ على حاله إلى أن استسقى وما به ظمأٌ، وخرَّ النَّجمُ من السَّماءِ سنةَ ثمانٍ وخمسين وستِّ مئة.

ودُفِنَ بقرية علم، ثمّ نُقِلَ ودُفن بقاسيون[2].

---

(١) في (ب): من هذه القرية.

(٢) في الأصول الخطية: ودُفن بالقرافة بقرب جبل، وفي المطبوع: مات بالقرافة بقرية علم. والمثبت من جامع كرامات الأولياء ١/ ١٣٢ وهو نقل عن المناوي. وهو ما يوافق ما جاء في مصادر ترجمته. قال الكتبي في فوات الوفيات ١/ ٢٢٥: =

(٤٦٥) أبو بكر بن علي بن الأهدل(*)

أبو بكر بن علي بن عمر ابن الأهدل اليمني، كان من كبارِ الصُّلحاء المتمكِّنين، أربابِ الكراماتِ والمُكاشفات، طال عمره حتّى زادَ على المئة.

ومن كراماته:

أنَّ جماعةً من جيرانهم في القرية كانوا يؤذونَ أولادَ الشَّيخ، وأولادَ أخيه، فيشكون إليه، فيقول لهم: اصبِروا، فإنَّهم يَفْنونَ عن قُربٍ، ولم يبقَ منهم إلاَّ من يخدمُكُم، فكان كذلك.

وكان يُخبرُ بأمورٍ لم يتخلَّفْ منها شيءٌ، ومنها أنَّه سافرَ فمرَّ بقريةٍ، فشكا أهلُها إليه قلَّةَ المطر، ولازموه، فقال لفقير: هل ترى سحاباً؟ قال: سحابةً بعيدةً كالتُّرس. قال: قِفْ في محلٍّ عالٍ، وقل لها: أجيبي الشَّيخَ، ففعل، فمازالت تَنتشِرُ حتّى ملأتِ الجوَّ، وأمطرَتْ مطراً عظيماً.

ومنها: أنَّ ولدَهُ خرجَ بعد موته إلى قبره يشكو له المَلِكَ الأفضل. قال الرَّاوي: فركَّبَ سهماً في قوسٍ من قبره، ثمّ رمى به جهةَ الأفضل، حتّى سَمِعَ الحاضرونَ طَنينَ السَّهمِ حين[1] انفصلَ عن القوسِ من القبر، فجاء الخبرُ بعد ذلك بموته.

ماتَ سنةَ سبع مئة.

* * *

= وتوفي بقرية علم سنة ٦٥٨ هـ ودفن بها، فأوصى أن يدفن في تابوت، وقال لابنه: يا بني، لابدَّ أن أنتقل إلى الأرض المقدسة، فنقل بعد اثنتي عشرة سنة إلى دمشق سنة سبعين ودفن بزاويته أسفل عقبة دمر.

(*) نشر المحاسن الغالية، طبقات الخواص ١٧٣، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٥٩.

(١) في الأصول: فحين. والمثبت من طبقات الخواص.

(٤٦٦) أبو العبَّاس الحرَّار[*]

أبو العبَّاس الحرَّار ـ بمهملات ـ المغربيُّ الإشْبيليُّ، عابدٌ مواردُهُ صافية، زاهدٌ في الدُّنيا بالجملة الكافية، تاركٌ لما في أيدي النَّاسِ، مُستضيءٌ من أنوارِ المعرفة بأنور[1] مقباس، ذو[2] كراماتٍ كثيرة، ووقائعَ شهيرة، وكان كبيرَ القَدْرِ، كثيرَ[3] السِّياحة.

قال: وردتُ من سياحتي على الشَّيخ أبي العبَّاس المَرِيْني، وكان كبيرَ القَدْرِ، فلمَّا قعدتُ، قال له رجلٌ: أيُّما أفضلُ، العقلُ أمِ الرُّوح ؟ فشاهدتُ الشَّيخَ أسرى بروحه وروحي معه حتّى دخلنا السَّماءَ الدُّنيا، فاشتغلتُ برؤية أملاكها وأنوارها، وغابَ الشَّيخُ عنِّي، فطلبتُ مُستقرًّا أستقِرُّ فيه، فلم أجِدْ، فنزلتُ، ووقفتُ، ونظرتُ إلى الشَّيخِ، فإذا هو مُستغرقٌ، ثم بعد لحظةٍ حضَرَ، فقال للسَّائلِ: لمّا أُسري بالمصطفى ﷺ صحِبَهُ جِبريلُ، فانتهى إلى حَدِّه، ووقفَ، وقال: ما مِنَّا إلاَّ وله مقامٌ معلوم، فتقدَّمَ المصطفى إلى مقامه، فكان جبريلُ روحاً ومحمَّدٌ ﷺ عقلاً، فأخذ العلمَ من مَعْدِنه ولم يأخُذْه تقليداً ولا معقولاً، وهذه عادةُ أربابِ المعارف والعُلومِ اللَّدنيَّة.

وقال: كنتُ وقتَ تجرُّدي بمصرَ أتردَّدُ إلى مسجدٍ قبالةَ مصنعِ الحفَّارين بطريقِ القَرَافةِ، أبيتُ فيه، وكنتُ أخرجُ ليلاً أمشي في الجبَّانةُ، فكُشِفَ لي أحوالُ أهلِ القبورِ المُنعَّمينَ والمُعذَّبينَ، فما رأيتُ أحسنَ من الجهة التي تلي قِبليَّ مسجدِ الفتحِ، أي ولذلك دُفن فيه.

(*) روح القدس ٩٣، ٩٤، ٩٥، روض الرياحين ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧ (حكاية رقم ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١)، الكواكب السيارة ١٥١، تحفة الأحباب ٢٧٢، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٠٠. واسمه أحمد بن أبي بكر التجيبي، وكان ينسج الحرير السقلاطوني فسُمِّي بالحرَّار. رسالة صفي الدين بن أبي المنصور ٣ـ ٢٧.

(١) في (أ) و (ب) والمطبوع: بأنوار.

(٢) في الأصول: ذا.

(٣) في (ف): وكان كثير.

وقال: مرضتُ مرَّةً ببلدي إشبيليَّةَ، فكنتُ مضطجعاً على ظهري، وإذا بطيورٍ كِبارٍ مُلوَّنَةٍ بأخضرَ وأبيضَ وأحمرَ ترفعُ أجنحتَها رفعةً واحدةً، وتضعُها وَضعاً واحداً، وأشخاصٍ على أيديهم أطباقٌ فيها تُحفٌ، فوقع لي أنَّها تحفةُ الموتِ، فاستقبلتُها وتشهَّدْتُ، فقال لي أحدُهم: ما جاءَ وقتُكَ، هذه تُحفةُ مؤمنٍ غيرِكَ جاءَ وقتُهُ.

وقال: كنتُ في سياحَتي أحتاجُ الاستجمارَ، فأخذتُ حجراً لأستجمِرَ به، فقال: سألتُكَ بالله لا تُنجِّسني. فتركتُهُ، وأخذتُ غيرَه، فقال كذلك، فتذكَّرتُ ما رتَّبَهُ الشَّارعُ في ذلك، فأخذتُ حجراً، وقلتُ: أمَرَني اللهُ أن أتطهَّرَ بكَ، وهو خَيرٌ لك.

وقال: تركتُ أخي بمكَّةَ، وقدمتُ مصرَ، ثمّ قَدِمَ، ففرحتُ به، فقال: أنا جائع. فقلتُ: ما أملِكُ شيئاً، ولا أتكلَّفُ ولا أسألُ، فما تمَّ كلامي حتّى دخلَ من الشُّبَّاكِ طائرٌ، وألقى لي قيراطاً[1]، فاشتريتُ به ما أكلَهُ.

* * *

(٤٦٧) أبو العبّاس بن عَريف[*]

صوفيٌّ، باعُهُ في التَّصوُّفِ طَويل، وعارِفٌ غيثُ تربيته يَنهمرُ ويَسيل، كان عالماً صالحاً ذا خوارقَ عاليات، وآياتٍ بيِّنات، منها أنَّه دخلَ عليه المسجدَ

---

(١) في (ب): درهماً.

(*) الصلة ١/ ٨١، بغية الملتمس ١٦٦، معجم ابن الأبار ١٥، المطرب ٩٠، المغرب ٢/ ٢١١، التشوف ١١٧، وفيات الأعيان ١/ ١٦٨، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١١١، العبر ٤/ ٩٨، مرآة الجنان ٣/ ٢٦٧، روض الرياحين ٥٣٤ (حكاية ٤٩٠)، الوافي بالوفيات ٨/ ١٣٣، طبقات الأولياء ٥٧٤، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٧٠، نيل الابتهاج ٥٨، نفح الطيب ٣/ ٢٢٩، شذرات الذهب ٤/ ١١٢، كشف الظنون ١٥٩١، ١٦٠٩، إيضاح المكنون ٢/ ٤٩٧، هدية العارفين ٢/ ٨٣، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٧٧ وانظر صفحة ٢٢٨ من هذا الجزء.

رجلٌ غريبٌ، قال له: أنتَ ابنُ العَريف ؟ قال: نعم. قال: رأيتُ فَساطيطَ صغار حولَ العرشِ، وعليهنَّ فُسطاطٌ عَظيم قد اكتنفَ الجميعَ. فقلتُ: لمن هذا الفسطاط ؟ فقيل: للفقيه أبي العبَّاس بن العريف، وهذه الصِّغار ؟ [فقيل:][1] لأصحابه. فتغيَّر الشَّيخُ عليه، وقال: ما حمَلَكَ على إتيانِكَ بهذه الرُّؤيا لرجلٍ مُذنبٍ مِثلي ؟ فلمَّا رأى تغيُّرَهُ، قال: هَوِّنْ عليكَ أيُّها الشَّيخُ، فلعلَّكَ قنعتَ من الله بيسيرٍ من الرِّزقِ، فقنعَ منكَ بالقليلِ من العمل. ثمَّ التفتَ فلم يَرَهُ، فالتفتَ لأصحابه، وقال: هذا أتاكم يُعرِّفكم فقرَه[2].

* * *

(٤٦٨) أبو بكر بن محمد بن ناصر الحميري[*]

كان فقيهاً، عارفاً، مُجتهداً، زاهداً، مُتقلِّلاً من الدُّنيا، شديدَ الورعِ، لا يأكلُ إلاَّ ما تيقَّنَ حِلَّه.

وكان ذا كراماتٍ منها ما حكاهُ الجَنَديُّ أنَّه كان إذا أقبلَ إلى المسجدِ، أنارَ المسجدُ، حتّى أنَّ المُطالِعَ في الكِتابِ يَجِدُ النُّورَ على كتابه، فيرفعُ رأسَهُ فيجده مُقبلاً.

أتاهُ رجلٌ وهو في حلقةِ تدريسه، فقال: رأيتُ فوقَ رأسِكَ حَماماتٍ مُجتمعاتٍ، وبينهنَّ طائرٌ مُتميِّزٌ عليهنَّ في الخِلْقَةِ والصُّورة، ثمّ نزلَ الطَّائرُ في الأرضِ فلمَّا فقدَتْهُ الحمامُ، أخذن[3] في التَّفرُّقِ. فقال: أنا الطَّائرُ، والحَمامُ أصحابي. ثمَّ استعدَّ للموتِ بالوصيَّةِ وغيرها. فمات عقِبَ ذلك سنةَ سِتٍّ وأربعين وستٍّ مئة.

* * *

---

(١) ما بينهما مستدرك من روض الرياحين ٥٣٤.
(٢) في روض الرياحين: فقركم.
(*) طبقات الخواص ١٨٢، جامع كرامات الأولياء ١/٢٥٦، وفي (ب): ناصر الدين.
(٣) في (ب): أخذت.

(٤٦٩) أبو بكر بن هُوارا البطائحي(*)

كان نَصلاً، تجرَّعَ منه الشَّيطانُ غصصاً لمّا تجرَّد، وأصلاً تفرَّعَ بالمحاسنِ، وبالمزايا تفرَّد.

وكان في ابتداءِ أمره من قُطَّاعِ الطَّريق، فيما هو يقطعُ الطَّريقَ إذْ سمعَ هاتِفاً باللَّيلِ يقولُ: أما آنَ للعاصي أن يتوبَ؟ فتابَ من وقته.

ثمَّ رأى في منامه الصدِّيقَ، فألبسَهُ ثَوباً، وطاقيَّةً فانتبه فوجدهما عليه.

وكان يقولُ: أخذتُ من ربِّي عزَّ وجلَّ عهداً ألاَّ يُعذِّبَ بالنَّارِ جسداً دخَلَ تُربتي. فيُقال: إنَّه ما دخلها أحدٌ بلحمٍ فأنضجَتْهُ النَّار.

ومن كلامه:

الخوفُ من اللهِ ألاَّ يأمَنَ العبدُ وقوعَ البطشِ به مع الأنفاس.

وقال: احتقارُ النَّاسِ مرضٌ عظيمٌ لا دواءَ له.

وقال: التَّصوُّفُ ذِكرٌ باجتماع، ووَجْدٌ باستماع، وعملٌ باتِّباع.

وقال: الجمعُ بالحقِّ تفرقةٌ عن غيره، والتَّفرقةُ من غيره جَمعٌ به.

ولم يزَلْ على حاله حتّى أصبحَ في كفنه مُدرجاً، ووجدَ له من سجن الدُّنيا وضيقها راحةً ومَخرجاً.

* * *

(*) قلائد الجواهر ٧٨، طبقات الشعراني ١/ ١٣٢، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٥٥.

قال في القلائد: هُوارا: بضم الهاء، والراء بين الألفين. وهو ليس من رجال الطبقة السابعة وذلك لخبر أورده الشعراني في طبقاته ١/ ١٣٣: كان يقول: أوتاد العراق ثمانية... وعبد القادر الجيلي. فقيل له: ومن عبد القادر؟ فقال: أعجمي شريف، يسكن بغداد، يكون ظهوره في القرن الخامس... فهو من رجال القرن قبل الخامس. وسيترجم له المؤلف ثانية في طبقاته الصغرى ٤/ ٩٨.

(٤٧٠) أبو العبَّاس البُوني(*)

زمزمُ الأسرارِ، ومعدِنُ الأنوارِ، صاحبُ الكراماتِ الظَّاهرة، والمقاماتِ الفاخرة، والسَّرائرِ الزَّاهرة، والبصائرِ الباهرة، والأحوالِ الصَّادقة، والأفعالِ الخارقة.

له اليَدُ البيضاءُ في أحكامِ الولاية، والباعُ المَديدُ في أحوالِ النِّهاية.

وهو أحَدُ مَنْ أظهرَهُ اللهُ في الوجود، وصرَّفَهُ في الكون، وأظهرَ على يَديه العجائبَ، وأطلعَهُ على الأسرار والغرائب، وقَلَبَ له الأعيانَ في عالم الحِسِّ والعيان، وأراهُ شَواهدَ المَلَكوت، وأطلعَهُ على لطائفِ الجَبَروت، وخَرَقَ له العادات، وأنطقَهُ بالمُغيَّبات، مع قلبٍ راسخٍ في المُجاهدَة، وعِلمٍ شامخٍ في المُشاهدة.

أحَدُ أركانِ هذا الشَّأن، ولسانُ البيانِ في وقته عِلماً وعملاً، وحالاً وقالاً، وزهداً وتحقيقاً، وورعاً وتدقيقاً، وتوكُّلاً وتمكيناً، ومهابَةً وجلالةً.

وكان مُتخلِّقاً بأسماءِ اللهِ الحُسنى. وقد قال في «الفتوحات»: التَّخلُّقُ بأخلاقِ اللهِ هو التَّصوُّف.

كان مُجابَ الدَّعوة.

(*) الكواكب السيارة ٢٦٨، كشف الظنون ٨٢، ٨٣، ١١٨، ٤٩٤، ٥٠٧، ٧٢٦، ٨٥٢، ٨٦٠، ٨٧٥، ٨٨٧، ٨٩٧، ١٠٤٥، ١٠٦٢، ١١٦١، ١٢٧٠، ١٣١٥، ١٤١١، ١٤٤٥، ١٤٦٥، ١٥٥١، ١٥٥٣، ١٥٦٦، ١٦٩٦، ١٧٢٠، ١٨٩١، ١٨٩٤، ١٩٠٤، ٢٠٤١، إيضاح المكنون ١/ ٣٧٥، ٤٣٠، و ٢/ ٦٨٩، هدية العارفين ١/ ٩٠، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٠٦، معجم المطبوعات لسركيس ٦٠٧، دائرة المعارف الإسلامية ٤/ ٣٥١ (بوني)، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/ ٤١٧.

واسمه أحمد بن علي بن يوسف البوني نسبة إلى بُونة بإفريقية، على الساحل، وهي اليوم عنابة في الجزائر.

وصَحِبَ خَلْقاً من أعيانِ مشايخِ المغربِ ومصر، وشهِدَ كثيراً من كراماتهم، وروى عنهم خوارِقَ من[1] نهاياتهم.

ومن كلامه:

أوّلُ أهلِ الأحوالِ بروزُ الأنوارِ التي تَطرقُ الأسرار، فإذا تحقَّقَ العبدُ بذلك حفظهُ اللهُ من وسواسِ الباطن، ومن شيطانِ الظَّاهر، من إنسٍ وجِنٍّ.

وقال: ما جرى على يعقوبَ ما جرى من مُفارقةِ يوسفَ، إلاَّ أنَّه سَكَنَ لقولِ بنيه: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢] فلمَّا اطمأنَّ إلى حِفظهم فرّقَ بينهما ليعلمَ أنَّه تعالى الحفيظُ، فلمَّا زالَ عن حِفظهم ردَّهُ اللهُ إلى حفظه فملَّكَهُ اللهُ البلادَ والعِباد.

وقال: حاسِبْ خواطِرَكَ أن تُبرزَ منها شيئاً في قوالبِ الحركات، إلاَّ ما كان من مُوافقةِ الشَّرعِ والحكمة.

وقال: لا بَقاءَ للعاداتِ مع هدمِ الآمال، ولا للهوى مع مُخالفةِ النَّفسِ، ولا للظُّلمةِ مع الذِّكر.

وقال: عليكَ بقتلِ النَّفسِ عن رذيلةِ الرِّياء، وحُبِّ الرِّياسة، وشهوةِ السُّمعة، فهو الدَّاءُ العُضال ومحض الظُّلمةِ والضَّلال.

وقال: إنَّ اللهَ لا يَصطفي بولايته عبداً حتّى لا يكونَ فيه مِثقالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ.

وقال: الذِّكرُ مع علاقةِ الباطن، واشتغالِ المحلِّ لا يُنتجُ إلاَّ ما كان مُناسباً له من النَّقص.

وقال: الحمدُ أقسامٌ: حَمدٌ على النِّعم، وهذه رُتبةُ العامَّةِ، وحَمدٌ على كلِّ حالٍ، وهو حَمدُ العارفين، وحَمدٌ لله على إلهامه الحمدَ، وهو حَمدُ الصِّدِّيقين.

وقال: العارِفُ لا مُشير ولا مُشار إليه، وإنَّما هو محوٌ في عينِ العدم، واصِلٌ في تقدُّمِ القِدم.

---

(١) في (أ): خوارق عادات من.

وقال: المُشاهدَةُ لا تصحُّ لمَنْ له طبعٌ[1] لازم، ولا خاطِرٌ قائم، ولا نفسٌ تعقلُ ذاتَها، ولا روحٌ تُدركُ صفاتها، ولا حقيقةٌ قلبيَّةٌ تدّعي رؤية أفعالها.

وقال: الولايةُ غايةُ الطَّالبين، وإليها انتهاءُ المُقرَّبين. فمَنْ بقي عليه مَساغٌ للخَوفِ والرَّجاءِ والقَبْضِ والبَسطِ، أو كان[2] مقهوراً تحتَ سُلطانِ الحالِ فليسَ بوليٍّ، بل صالح. وإنَّما هذه أطوارُ تكوينٍ، والتَّكوينُ لا يكونُ إلاَّ لمَنْ[3] بقي بينَهُ وبينَ عالمِ المُلكِ والملكوتِ نسبةٌ ظاهرةٌ، أو باطنة.

وقال: رأيتُ المُصطفى، فسألتُهُ عن أسماءِ الخَلوة فقال: على سبعةٍ: يا الله، يا حيّ، يا قيُّوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا نهايةَ النِّهايات، يا نورَ الأنوار، يا روحَ الأرواح.

وقال: إذا كَثُرَ عليكَ في الخلوةِ خاطِرُ الشَّهوة، فتوضَّأ، واذكُرْ يا هادي، ذِكراً قويًّا.

وقال: لكثرةِ الأفكارِ اذكُرْ بعد الوضوءِ: يا لطيف.

وقال: لشهوةِ الطَّعام؛ اذكُرْ بعد الوضوءِ: يا قويّ.

وقال: لضيقِ العيشِ اذكُرْ بعد الوضوء: يا فتَّاح.

وقال: ولكثرة الخَواطرِ النَّفسانيَّة، والخيالاتِ الشَّيطانيَّة: يا ذا القوَّةِ.

قال: إذا فاجأكَ أمرٌ، وجاءَكَ منه قلَقٌ فاذكُرْ: يا باسط.

وقال: إذا توجَّهْتَ لشيءٍ من أمورِ الدَّارَين اذكُرْ: يا قويُّ يا عزيز، يا عليمُ يا قدير، يا سميعُ يا بصير.

وقد أخَذَ عن خَلقٍ، وانتمى إليه جَمعٌ جَمٌّ، منهم المُرسي، وانتفعَ بكلامه أربابُ الرَّوائح والأذواق، وطارَتْ مؤلفاتُهُ في جميع الآفاق، وسارت بها الرُّكبانُ في سائرِ البلدان، وانتشرَتْ أخبارُها في الأقطار كانتشارِ ضوءِ الشَّمسِ

---

(١) في (ب): إلا لمن ليس له طبع.
(٢) في (ب): وكان.
(٣) في (ب): لا يكون لمن.

وسَطَ النَّهار، منها: «لطائف الإشارات» [1] و «نهاية القاصدين وغاية الواصلين» [2]، و «[تنزيل] [3] الأرواح في قوالب الأشباح»، و «أسرار الأدوار وتشكيل الأنوار»، و «مواقف الغايات في أسرار الرِّياضات» [4]، و «قبس الاهتداء إلى وقف السعادة ونجم الاقتداء إلى شرف الزيادة» [5]، و «اللَّمعة النُّورانيَّة في الأورادِ الرَّبَّانيَّة» [6]، و «البرقة اللاَّمعة والهيئة الجامعة» [7]، و «علم الاهتداء وأسرار الاقتداء» [8]، و «التَّوسُّلات الكتابيَّة والتوجُّهات الخطابيَّة» [9]، و «اللَّطائف» [10]، و «شمس المعارف» كبرى ووسطى وصغرى، وكتاب «ما فاه به اللِّسان ورسمه البنان على ألواح البيان في عالم العيان» [11]. وغير ذلك مما كمل وما لم يكمل.

* * *

---

(١) واسمه الكامل: لطائف الإشارات في أسرار الحروف العلويات. كشف الظنون ١٥٥١.

(٢) كذا في الأصول، وفي كشف الظنون ٢٠٤١: هدية القاصدين ونهاية الواصلين.

(٣) ما بين معقوفين مستدرك من كشف الظنون ٤٩٤.

(٤) قال حاجي خليفة في كشف الظنون ١٨٩١ عن الكتاب: بين فيه كيفية الرياضات، وترتيب أسرارها، ورتب أطوار الرياضات على ثلاثة أقسام: الأول: رياضات السالكين. الثاني: رياضات المريدين، الثالث: رياضات العارفين.

(٥) كذا في الأصل، وفي كشف الظنون ١٢١٥: قبس الاقتداء إلى وقف السعادة ونجم الاهتداء إلى شرف السيادة.

(٦) قال حاجي خليفة في كشف الظنون ١٥٦٦: ذكر في الكتاب دعوات الساعات فبدأ بيوم الأحد، وذكر دعاء كل ساعة، ثم ذكر يوم الإثنين ثم، وثم وهكذا وشرحها شرحاً مختصراً.

(٧) ذكرها صاحب كشف الظنون ٢٣٩ دون أن يذكر اسم مؤلفها.

(٨) كذا في الأصول، وفي كشف الظنون ١١٦١: علم الهدى وأسرار الاهتدا في فهم معنى سلوك أسماء الله الحسنى.

(٩) كذا في الأصول، وفي كشف الظنون: التوسلات الكتابية والتوجهات العطائية.

(١٠) له كتابان يبدأان بلفظ اللطائف، وهما: لطائف العوارف، واللطائف العشرة. انظر هدية العارفين ١/ ٩٠، ٩١.

(١١) كذا في الأصول، وفي كشف الظنون ١٤٤٥: فاه باللسان ورسمه بالبنان. . .

(٤٧١) أبو الحسن الشُّشْتَرِيُّ المغربيّ(*)

العارفُ الكبير، الصُّوفيُّ الشَّهير، إمامٌ تعيَّنَ في وقته، وتقدَّمَ بحُسنِ وصفه ونعته، وهو نسبة إلى شُشْتَر، قريةٌ من عمل آش بجزيرة الأندلس.

طلبَهُ سُلطانُ المغرب للقضاءِ، لِمَا اشتُهرَ من زهده[1] وسعة عِلمه، فوعدهم إلى غدٍ، ثمَّ حلَقَ لحيَتَهُ وحواجِبَه، وخضَّبَ أطرافَهُ بحِنَّاء، ولبِسَ ثِياباً مُعصفرَةً ومُزوَّقة، فأتوه بالبغلةِ فركبَها على هذه الحالة، ودخلَ للسُّلطان، فقال: لا حاجةَ لنا بمثلِ هذا. فخرجَ من وقته سائحاً يعملُ الزَّجلَ والموشَّحاتِ الرَّبَّانيَّة حتّى مات. كما أشارَ إلى ذلك في أوَّلِ ديوانه.

أخَذَ عن ابن سَبعين، وغيره.

وكان يُسمَّى عَروسَ المتجرِّدين، وهو من كبارِ أهلِ الوحدةِ المُطلقة. وله عِدَّةُ قصائد، منها قصيدَتُهُ المشهورةُ وهي من أُمَّهاتِ أوائلهم، أوَّلُها:

أرى طالباً منَّا الزِّيادةَ لا الحُسْنى   بفكرٍ رَمى سَهماً فعدَّى به عدنا

وهي تنيفُ على سبعينَ بيتاً، ومن نظمه أيضاً:

كشَفَ المحبوبُ عن قلبي الغَطَا   وتجلَّى جهرةً منِّي إلي

وجَلا عنِّي حِجاباً كُنتُهُ   وتَلاشى الكونُ يا صاحِ لدي

أيُّ سِرٍّ ما بدا إلاَّ لمَنْ   قد طَوى العقلَ مع الكَونينِ طَي

ورأى الأشياءَ شيئاً واحداً   ورأى الواحدَ فَرداً دونَ شي

(*) عنوان الدراية ٢٣٩، الإحاطة في أخبار غرناطة ٤/ ٢٠٥، لسان الميزان ٤/ ٢٤٠، نفح الطيب ٢/ ١٨٥، نيل الابتهاج ٢٠٢، طبقات الشاذلية ٦٣، شجرة النور الزكية ١٩٦، هدية العارفين ١/ ٧١١، ٧١٢، إيضاح المكنون ١/ ٥١٠، ٥٦٦، ٥٦٧، و٢/ ٩٩، ٥٣٥، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٧٨ واسمه علي بن عبد الله النميري.

(١) في المطبوع: في زهده.

ماتَ الشَّيخُ في هذا القرنِ، ودُفن بالقَرَافة[1]، وقبرُه بها ظاهرٌ يُزار.

* * *

(٤٧٢) أبو الفضل الشَّريف العبَّاسي(*)

كان وحيداً في وصفه[2]، فريداً في تواضعه وزهده ولطفه، حسن السِّيرة والأخلاق، كثيرَ الشَّفقة على أهل الإملاق. وكان من الأولياء المتمكِّنين المُكاشَفين.

أصلُهُ من دمشق، ثمّ سكنَ عدن من اليمن، ثمَّ تحوَّلَ إلى مكَّةَ، وبها مات.

ومن كراماته:

أنَّ السُّلطان المُظفَّر التمسَ من كافور النَّابلسيِّ أن يدلَّهُ على رجلٍ من الصَّالحين يَزوره، ويُلازمُه في بعضِ حوائجه، فدلَّه عليه، فجاءَ له في جماعةٍ مُختفياً ليلاً، فلمَّا دخلوا عليه كان أوَّلَ من وقعت يدُه في يَدِ السُّلطان فهزَّها، وقال: أنتَ السُّلطانُ، ارحَمْ مَنْ في الأرضِ يَرحمْكَ مَنْ في السَّماء، والحاجةُ التي في نفسِكَ تحصلُ عن قُرب. وكان مشغولَ القلبِ بفتحِ بعض الحصونِ فحصل.

وله من هذا القَبيلِ حكاياتٌ كثيرة.

* * *

---

(١) كذا في الأصول، وإنما مات بقرية بساحل البحر يقال لها الطينة، وحُملَ إلى دِمياط. انظر الإحاطة ٤/ ٢١٦، ونفح الطيب ٢/ ١٨٧.

(*) تاريخ ثغر عدن ٢٢٢، طبقات الخواص ١٨٩ (الشريف العيسي)، العقد الثمين ٨/ ٨٤، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٨٦.

(٢) في (ب): وضعه.

(٤٧٣) أبو السعود بن أبي العشائر(*)

أبو السُّعود بن أبي العشائر بن شعبان، شيخُ الخِرقة السُّعودية بالقاهرة المعزّية، أصلُه من قريةٍ بقُربِ واسط، ونشأَ بها، فلازمَ العبادة، ولازمَ على مُخالفةِ العادة، حتّى قهرَ هوى النَّفسِ وأطاق(١) عِنادَه، وغالبَ الشَّيطانَ إلى أن أصلحَ فسادَه، وبلغَ ما أَمَّ له وأمَّله، ورأسَ في طريقِ الصُّوفيَّة حتى زيَّنَه وجمَّلَه.

وكان الملكُ الظَّاهرُ يُعظِّمُهُ، وينزلُ إليه، ويحترمه، ويقعدُ على ركبيه بين يديه كالعبدِ المملوكِ مع كونه من أعظمِ السلوك.

ذكره المُنذريُّ في «معجم شيوخه» وأثنى عليه، وكان من أوسعِ الأولياء دائرةً في السُّلوك.

وله كراماتٌ وخوارقُ، وكلامٌ عالٍ في الحقائق، فمنه ما قال: المُريدُ الصَّادقُ في سلوكه كـابه قلبُه.

وقال: لا يَستقيمُ ظاهرٌ إلاَّ بباطن، كما لا يَسلمُ لأحدٍ باطنٌ إلاَّ بظاهر.

وقال: لا تأمنِ الغشَّ ممَّن يَغشُّ نفسَه، ولا يَنصحُكَ مَنْ لا ينصحُ نفسَه.

وقال: مَنْ ذكَّرَكَ بالدُّنيا ففرَّ منه، ومَنْ كان سبباً لغفلتِكَ عن ربِّكَ فأعرِضْ عنه.

وقال: صلاحُ القلبِ في التَّوحيدِ والصِّدقِ، وفسادُهُ في الشِّركِ والرِّياء، وعلامةُ التَّوحيد شهودُ واحدٍ ليس معه ثانٍ، مع عدمِ الخوفِ والرَّجاءِ إلاَّ منه.

(*) سير أعلام النبلاء ٢٣/١٤٨، طبقات الأولياء ٤٠٦، الكواكب السيارة ٣١٦، حسن المحاضرة ١/٥١٨، تحفة الأحباب ٣٩٦، طبقات السعراني ١/١٦٢، جامع كرامات الأولياء ١/٢٧٤. وفي الأصول: أبو السعرد بن شعبان بن أبي العشائر والمثبت من مصادر ترجمته.

(١) في (ب): وأطال.

وقال: مادامتِ النُّفوسُ باقيةً بأخلاقِها وصفاتها، فحركاتُ العبدِ تابعةٌ لخواطرها.

وقال: مُراقبةُ اللهِ مفتاحُ كلِّ سعادةٍ، وهي الرَّاحةُ المُختصرة، وبها يطهرُ القلبُ ويحصلُ الأُنس.

وقال: على السَّالكِ أن لا يشتغلَ بالكُليَّةِ بمقاومة نفسه، فمَنْ فعلَ ذلك أوقعته، كما أنَّ مَنْ أهملَها ركبَتْهُ، بل يخدعُها بأن يُعطيَها راحةً دون أخرى، ثم ينتقلُ إلى أقلَّ، ومَنْ قاومَها وصارَ خصمَها غلبَتْهُ، ومَنْ أخذَها بالخديعةِ ولم يتبعْ هواها تبعتهُ.

وقال: مَنْ خافَ أن يشمتَ به عدوُّه، فإنَّما هو لبقاءِ حُبِّ الدُّنيا في نفسه[1].

وقال: مَنْ أعرضَ الخَلقُ كلُّهم عنه فتغيَّرَ منه شعرةٌ واحدةٌ فهو واقفٌ معهم، مُشركٌ بربِّه.

وقال: مَنْ مالَ إليكَ لأجل نفعٍ فلا تَركَنْ إليه؛ فبئسَ الصَّاحب.

وقال: عليكَ بالاشتغال بالله، فإنْ لم تقدِرْ فاشتغل بما يُقرِّبُكَ إليه.

وقال: ما وصلَ الأولياءُ إلى ما وصلوا بالعمل، بل بالأدبِ في العمل.

وقال: الأصولُ التي يَبني عليها المُريدُ أساسَه أربعةٌ: شغلُ اللِّسان والقلبِ بالذِّكر، وجَبرُ القلبِ على مُوافقةِ الرَّبِّ، ومُخالفةُ النَّفسِ والهوى لأجله، وتصفيةُ اللُّقمة من الشُّبهة، وهي القطب.

وقال: كلُّ ما شغَلَ القلبَ عنِ الذِّكر فهو دُنيا، وكلُّ ما أوقفَهُ عن طلبِهِ فهو دُنيا، وكلُّ ما أنزلَ الهمَّ بالقلبِ فهو دُنيا، والأمرُ وراءَ ذلك كلِّه.

ماتَ سنةَ أربعٍ وأربعين وستِّ مئة، ودُفِنَ بالقَرَافة بسفحِ المُقطَّم.

* * *

---

(١) في (أ): من خاف أن يشمت به عدوه فإنما هو لبقاء نفسه، وقد أحبَّ الدنيا لنفسه.

(٤٧٤) أبو سعيد القصّاب(*)

كان عارفاً صاحبَ كرامات منها:

أنَّه كان أميرُ طَبَرستان يفتضُّ الأبكارَ سِفاحاً، فجاءت عجوزٌ فانيةٌ(١) إلى القصَّاب، وقالت: أغِثْني، قد أرسلَ هذا الظَّالمُ يأخُذُ ابنَتي يَفتضُّها. فقال: إنَّ الأحياءَ لم يبقَ فيهم مَنْ يُستجابُ له، اذهبي إلى المقابرِ تجدي هناك مَنْ يَقضي حاجتَكِ. فذهبت فلقيَتْ فيها شابًّا حَسَناً، فأخبرته، فقال: ارجعي إلى أبي سعيد فقولي له يدعو يُجاب. فقالت: الأحياءُ يَدلُّوني على الأموات، والأمواتُ يدلُّوني على الأحياء، وليس فيهم مَنْ يُغيثُني [فإلى أين أذهب ؟](٢). فقال: اذهبي إليه. فرجعَتْ له، فأخبرته، فأطرقَ حتّى عرق، وصاحَ صيحةً عظيمةً، فجاءَ الخبرُ بأنَّ الملكَ ركبَ إلى دار العجوز ليفتضَّ ابنتَها، فوقعَ فمات. فقيل للشَّيخ: لِمَ أحلْتَها على المقابرِ، ولم تَقضِ حاجتَها من أوَّلِ الأمر ؟ فقال: كرهتُ أن يُسفكَ دَمُه بدعوتي، فأحلتُها على أخي الخَضِر، فردَّها إليَّ ليُعرِّفَني جوازَ الدُّعاء عليه.

* * *

(٤٧٥) أبو الغيث بن جميل(**)

بحرُ الحقائق، مُوضحُ الدَّقائق، المُلقَّبُ شمسُ الشُّموس اليمني، عارفٌ تأرَّجَ الكونُ بعَرْفِه، وصوفيٌّ ظهرَتْ الأسرارُ على لسان كَشفه، منزِلُهُ محطُّ

(*) روض الرياحين ٣٦٠ (حكاية ٣١١)، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٧٦.

(١) في روض الرياحين: باكية.

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من روض الرياحين.

(**) مرآة الجنان ٤/ ١٢١، نشر المحاسن الغالية صفحة ٧٢، ٢٩٨، ٣٧٠ـ٣٧١، ٣٧٥، ٣٧٨ـ٣٧٩، ٣٩٨، روض الرياحين صفحة ٥٥، والحكايات رقم (٩١، ١٦٦، ٢٧٩، ٣٠٥، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٤٤٧، ٤٤٨)، طبقات الخواص ١٨٧، شذرات الذهب ٥/ ٢٥٦، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٨٣.

الرِّحال، ومَلجأُ أربابِ القال والحال، يَنثرُ على النَّاسِ جواهره الفاخرة، ويَزجرهم بمواعظه الباهرة.

أصلُه من قُطَّاع الطَّريق، فخرجَ لذلك ـع أصحابه، فقالوا: اصعَدْ هذه الشَّجرة، انظُرْ مَنْ يمرُّ في الطَّريق. فسمعَ قائلاً يقولُ:

يا صاحبَ العَين عليكَ العينُ.

فوقعَ ذلك من قلبه، فنزلَ مُنكسِرَ القلبِ صفيًّا[1] خاضعاً، وطرحَ سلاحَه وثيابَه، وهامَ على وجهه حتّى وصلَ إلى الشَّيخ علي بن أفلح بزَبيد، فأقامَ عندَه مدَّةً طويلةً حتّى ظهرَتْ عليه الكراماتُ، وتوالَت منه خوارِقُ العادات. منها: أنَّه خرجَ يحتطِبُ على حمارٍ للشَّيخِ، فجاءَ الأسَدُ فأكلَهُ. فقال: وعِزَّةِ سَيِّدي ما أحمِلُ حطَبي إلاَّ على ظهرك. فحملَهُ عليه حتّى بلغَ المدينة، فأنزلَهُ، وقال: إيَّاكَ أن تضرَّ أحداً حتّى تبلُغَ موضعَكَ.

فقال له الشَّيخُ: هذا البلدُ لا يسعُكَ، فاخرُجْ. فخرجَ إلى الشَّيخِ عليّ الأهدل، فأقامَ عندَهُ مُدَّةً، وانتفعَ به وتهذَّب.

وكان يقولُ: خرجتُ من ابن أفلح لؤلؤةً عجماء فثقبني الأهدل.

ثم طلعَ[2] بعد ذلك إلى الجبال السَّامية، وظهرَتْ له هناكَ أحوالٌ خارقة، ومالَ إليه جَمعٌ عظيمٌ، وكَثُرَت أتباعُه، وتواترت هناكَ كراماته.

فمنها: أنَّ بعضَ مُريديه رجعَ إلى بلاده فافتتنَ بامرأةٍ، ودخلَ معها إلى البيت، وقعدَ منها مقعدَ الرَّجلِ من المرأة، وإذا بقبقاب الشَّيخِ قد وقعَ في ظهره، فارتعدَ وقامَ وتاب.

ومنها: أنَّه أتَتْهُ امرأةٌ مُغنِّيةٌ طلبت منه التَّوبةَ، وصُحبةَ الفقراء. فقال لها: إنَّا نذبحكِ، أتصبرينَ على الذَّبحِ؟ قالت: نعم. فأمرَها أن تَسقي الماءَ للفقراء، فمكَثَتْ عندَهُ ستَّةَ أشهرٍ تحملُ الماءَ على ظهرها، وكانت من المُترفات

---

(١) في (ف): متقياً.

(٢) في (أ) والمطبوع: اطلع.

المُتنعِّمات، فقالت له: إنِّي اشتقتُ إلى ربِّي. فقال: يوم الخميس تلقينَ ربَّكِ. فماتَتْ فيه.

وجاءَهُ جَمعٌ من الفُقهاء يمتحنونه، فقال لهم: مَرحباً بعبيد عبدي. فاستعظموا ذلك وأنكروه، وحكوه للحضرمي[1] فقال: صَدَقَ، أنتم عَبيدُ الهوى، والهوى عبدُه.

ومنها: أنَّه كان أُميًّا، فيحضرُ مجلسَهُ أكابرُ الفقهاءِ، فيمتحنونَه بالمسائلِ الدَّقيقةِ، والفروعِ المُشكلةِ، فيُجيبُهم.

ومنها: أن فقراءَهُ اشتهوا لحماً، فقال: إلى يومِ كذا، وكان يومَ سوقٍ تأتيه القوافلُ، فلمَّا جاءَ اليومُ جاءَ الخبرُ أنَّ قُطَّاعَ الطَّريقِ أخذوا القافلةَ، ثمَّ جاءَهُ بعضُ القُطَّاعِ الحراميَّةِ بثورٍ، فقال الشَّيخُ للفقراء: كُلوا، فأحضروه وطبخوه[2]، فتنحَّى الفقهاءُ، فدعاهم للأكل، فقالوا: لا نأكلُ حَراماً. فلمَّا فرغوا من الأكلِ جاءَ رجلٌ للشَّيخِ، وقال: نذرتُ للفقراءِ ثَوراً، فأخذَهُ الحراميَّة. فقال: قد وصل.

وكان يُنكرُ السَّماع، ويُقاتِلُ مَنْ يتعاطاه، فقدِمَ بعضُ كبارِ المشايخِ على عزمِ أن يَدخلوا عليه قريتَهُ بالسَّماع، فخرجَ بأهلِ بلده لقتالهم، فقربوا منهم، وهم في حالِ السَّماع، فأخذَهُ حالٌ، وصارَ يَدورُ مثلهم، فعجِبَ أصحابُه وكلَّموه فيه، فقال: وعِزَّةِ مَنْ له العِزَّةُ، ما درتُ حتّى رأيتُ السَّماءَ دارت.

أثنى عليه اليافعي في «التاريخ» و «روض الرياحين» و «نشر المحاسن» وغيرها[3].

وقال: إنَّه صباغٌ يَصبغُ القلوبَ، وينقلُها من الصِّفاتِ الدَّنيَّةِ إلى الصِّفاتِ السَّنيَّة، وكراماته ومُكاشفاتُه لا تكادُ تُحصى، وله في الحقائقِ كلامٌ يَدلُّ على

---

(١) الحضرمي إسماعيل بن محمد.انظر نشر المحاسن الغالية ٢٩٨.
(٢) في (أ) والمطبوع: فطبخوه وأحضروه.
(٣) انظرها في مصادر ترجمته في صفحة ٣٦١.

معرفته وتمكّنه، ومنه قوله: الصُّوفيُّ مَنْ صَفى سِرُّه عن الكدر، وامتلأ قلبُه من العِبر، وانقطعَ إلى اللهِ عنِ البشر.

وقال الحضرمي: قد تمثَّلَتْ لي صورةُ الشَّيخ في اليقظة، وخاطبتني خِطاباً كثيراً. من جملته: ليدَعِ المُتصوِّفونَ تصوُّفَهُم إلاَّ مَنْ كان فيه أربعُ خِصال: أن يكونَ للهِ لا للنَّاسِ ولا لنفسه[1]، سالِكاً إلى الله طريقاً واحدة، وهي طريقُ مُخالفةِ النَّفسِ، مُتوجِّهاً إلى جهةٍ واحدةٍ وهي جهةُ ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

ثم قال: احذَرْ بُنيَّاتِ الطَّريق[2]؛ فإنَّهنَّ يلتمسن اللَّمحة والنَّظرة.

قال الحضرمي: وهي[3] الكراماتُ التي تعرضُ للسَّالِكِ في طريقه، متى لاحظها حُجِبَ عن مَقصوده.

ومن كلامه أيضاً: أهلُ الحضرةِ أربعةُ أقسام: رجلٌ خُوطِبَ فصارَ كلُّه أُذناً، ورجلٌ أُشْهِدَ فصارَ كلُّه عَيناً، ورجلٌ مُصْطَلَمٌ تحتَ أنوارِ التجلِّي، والرَّابعُ لِسانُ حالِ الشَّفاعةِ وهو أكملُ.

وكلامُه كثير.

ماتَ سنةَ إحدى وخمسين وستِّ مئة ودُفِنَ بقُربِ بيت عَطا باليمن، وتربتُهُ لا نظيرَ لها في بلادِ اليمن.

* * *

---

(١) كذا في الأصول، وفي طبقات الخواص ١٨٨: أن يكون لله لا له وللناس لا لنفسه.

(٢) بنيات الطريق: الطُّرق الصغار، تتشعب من الجادة، وهي الترهات. متن اللغة (بني) وفي (أ): ثنيات.

(٣) أي بنيات الطريق.

(٤٧٦) أبو عبد الله الفاسي(*)

أبو عبد الله محمد الفاسي المغربيُّ، الأوَّاه.

صَحِبَ أصحابَ الشَّيخ [أبي] مَدين.

وأغلظَ لبيبرس، وكريمِ الدِّين، وغيرِهما.

وكان له أحوالٌ وكرامات منها:

أنَّ ابنَ الحاجِّ رآه في طريقِ الحاجِّ وقال له: لِمَ ما يصيبك إلاَّ خيراً(١).

* * *

(٤٧٧) أبو الحجَّاج الأقْصُرِيُّ(**)

أبو الحجّاج يوسف بن عبد الرحيم الأقصُري، المَشهورُ بالأحوالِ والكراماتِ والخَوارقِ والعجائب، كانت طريقتُه في التَّصوُّفِ غريبةً، يأتي فيها بكلِّ عجيبة، حتّى قال بعضُهم: ما رأيتُ له في ذلك نظيراً، ولا توَهَّمْتُ أنَّ غيرَهُ من أهلِ الطَّريقِ، يكونُ على ما يأتي به قديراً.

وكان متجرِّداً دائماً.

قال زرُّوق: وَلِيَ القطبانيَّة.

أخذَ عنِ الشَّيخِ عبد الرزَّاق السَّكندري تلميذ أبي مَدين، وعنِ الشَّيخ حبيب العجَمي، والشَّيخ عبد الرَّحيم.

(*) طبقات الأولياء ٥١٧، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٨٠. وسيترجم له الشيخ مرّة أخرى في طبقاته الصغرى ٤/ ١٥٠. وهذه الترجمة ليست في (أ) ولا في (ب).

(١) في طبقات الأولياء ٥١٧: رآه طائراً... وقال: ثمَّ! ما يصيبك إلا خيراً.

(**) الطالع السعيد ٧٢٢، طبقات الأولياء ٤٨٠، حسن المحاضرة ١/ ٢٤٦، طبقات الشعراني ١/ ١٥٧، تاج العروس (قصر)، طبقات الشاذلية ٨٥، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٧٠، و٢/ ٢٩١، الأعلام. وسيترجم له المؤلف مرّة أخرى في طبقاته الصغرى ٤/ ١١٨.

وعنه أخذَ البرهانان[١] القادري والكبير، والشَّيخُ مُفرّج، والبَدرُ الدِّمشقي، والعليَّان الأُدْفَوي، وابنُ بدران، والشَّمسُ[٢] السفطي.

قال في «الطَّالع»[٣]: زعمَ أصحابُه أنَّه عُرِجَ به ليلةَ النِّصفِ [من شعبان] للسَّماء، وتلقَّى من ربِّه الأسماءَ، وجعلوا له مِعراجاً، ودعوا النَّاسَ لسماعِه [فجاؤوا] أفواجاً، وصارَ في الصَّعيدِ في كلِّ سنةٍ كالعيد.

وله بالعلمِ درايةٌ، ومعرفةٌ ورواية[٤].

ومن كراماته:

أنَّه أنكرَ عليه أميرٌ، فقال: تُنكرُ عليَّ وأنتَ رَقَّاصُ مغاني! ؟ فما ماتَ حتّى عُزِلَ، وصارَ رَقَّاصاً.

وقال: كلُّ ما رأيتموه يَطلبُ الطَّريقَ فدلُّوه علينا، فإنْ كان صادِقاً أوصلناه، أو كاذباً طردناه؛ لئلّا يتلفَ المُريدين.

وبلغَهُ أنَّ مُريداً يُريدُ قتلَ شيخه؛ ليرِثَ مقامَه، فأرسلَ إليه، وقال: إنْ قتلتَهُ يَغضبُ اللهُ عليكَ، فكيفَ ترِثُ مقامَه[٥] ؟ فتاب.

وقال: كنتُ في بدايَتي إذا رأيتُ مَقامي يَعلو مقامَ أحدٍ من إخواني، أقول: اللَّهُمَّ أعلِ مقامَهُ عليَّ.

وقيلَ له: مَنْ شَيْخُكَ في البداية ؟ قال: أبو جِعْران[٦]، وذلك أنِّي كنتُ ليلةً في الشّتاءِ، وإذا به يصعَدُ منارةَ السِّراج فيزلقُ، ويرجعُ لكونِها مَلساء، فعل ذلك سبع مئةِ مرَّة، وهو لا يَرجعُ حتّى صَعِدَ، فأخذتُ من ذلك ما أخذتُ.

---

(١) في (ب): والبرهان.
(٢) في الطالع السعيد ٧٢٣: شماس.
(٣) الطالع السعيد ٧٢٤. وما بين معقوفين مستدرك منه.
(٤) من قوله: أبي مدين، وعن الشيخ صفحة ٣٦٥ إلى هنا ليس في (أ) ولا في (ف).
(٥) في (ب): ترثه.
(٦) أبو جعران: الجُعَل: دويبة سوداء، صغيرة تألف المواضع الندية، وهي من الخنافس. وكنيته أبو جِعران. متن اللغة (جعل).

وقال: لا يَقدحُ عدمُ الاجتماعِ بالشَّيخِ في صحَّةِ الاقتداءِ به؛ فإنَّا نقتدي بالصَّحبِ والتَّابعين وما رأيناهم، وذلك لأنَّ صورةَ المُعتقدات إذا ظهرتْ لا يحتاجُ معها إلى صورةِ الأشخاص، بخلافِ عكسه، فإن اجتمعَ المعنيان فهو الكمالُ.

ماتَ في رجب سنة اثنتين وأربعين وستٍّ مئة، ودُفِنَ بناحية الأقْصُر بالصَّعيد وقبرُه هناك مَشهورٌ مقصودٌ بالزِّيارة.

ومناقبُهُ كثيرةٌ شهيرة لا تَكادُ تُحصى.

* * *

(٤٧٨) أبو القاسم بن منصور(*)

أبو القاسم بن منصور بن يحيى السَّكندريُّ القَبَّاري، زاهدٌ، أخلصَ في العملِ، واجتهدَ في قطعِ الأمل، ومالَ إلى العزلة، واستعدَّ للرِّحلة.

كان كثيرَ الورعِ والخضوع، غزيرَ الإخبات والخُشوع، مُباركَ الطَّلعةِ مَشهورَ الذِّكرِ بين الصُّوفيَّةِ والسمعة، يأمرُ بالمعروفِ واقتفاء آثاره، وله بستانٌ يَقتاتُ منه، ويُطعمُ الفُقراءَ من ثماره.

مات بإسكندريَّة سنةَ اثنتين وستِّين وستٍّ مئة عن خمسٍ وسبعين سنة.

* * *

(*) الذيل على الروضتين ٢٣١، العبر ٥/ ٢٧١، المشتبه ٢/ ٥٢٠، مرآة الجنان ٤/ ١٦٠، الوافي بالوفيات ٥/ ٧٦، و ٢٤/ ١٧٠، البداية والنهاية ١٣/ ٢٤٣، طبقات الأولياء ٣١٩، توضيح المشتبه ٧/ ١٦٦، ٢٤٧، تبصير المنتبه ٣/ ١١٥٥، حسن المحاضرة ١/ ٥٢٠، شذرات الذهب ٥/ ٣١٢، سماه أبو شامة محمد بن منصور، أما ابن الملقن في طبقات الأولياء فقال: محمد بن عيسى. وقد أفرد سيرته بالتأليف أحمد بن محمد بن منصور بن المنيّر وسمّى كتابه: «منح مولانا الباري في مناقب الشيخ أبي القاسم بن منصور بن يحيى المالكي الإسكندري القباري». إيضاح المكنون ٢/ ٥٧٧، كما أن للأستاذ محمد محمود زيتون كتاباً: القباري زاهد الإسكندرية.

(٤٧٩) أبو القاسم بن سُليمان الصبَّاغ الأُدْفُوي (*)

عابِدٌ مُتجرِّدٌ، وصوفيٌّ مُتفرِّدٌ، تفقَّه بالمجدِ القُشَيريّ، وعنه أخذَ العربيَّةَ، ونظمَ ونثر، وافتضَّ معاني لغوية وسَبَر[١].

وكان يُجيبُ عنِ المسائلِ الغامضة بالأجوبة الحامدة.

وسُئِلَ: أيجوزُ بيعُ الجيادِ من الخيل الأَعْوَجيَّة بلحومِ الإبل المَهْريَّة[٢]؟ فأجابَ: لا حرجَ على مَنْ يَقولُ أحلَّهُ اللهُ ورسولُه.

وسُئِلَ: أيجبُ في العَلَسِ[٣] زكاةٌ إذا بلغَتْ خمسةَ أوْسُقٍ أو أكثر منها؟ فأجابَ: إذا أشرفَ على ذلك الجُباةُ فرَّتْ وأعرضَتْ عنها، ونظمَهُ فقال:

يَعْمَى على المرءِ حتّى لا يَرَى عَلَساً ... في سَمْهَجٍ[٤] يَرْتَشِفْهُ يُورِثُ السَّقَما

فما لَهُ غيرُ نَحْضٍ[٥] الكلب إنْ تَلفتْ ... نَفْسٌ بحقٍّ وهذا مَذهَبُ الحُكَما

ومن نظمه:

قد فاتَني الوَصْلُ من حَبيبٍ ... واستبـدلَ القُـربَ بـالبعـادِ

(*) الطالع السعيد ٧٤٠، الوافي بالوفيات ١٤/ ١٢٥، طبقات الأولياء ٤٥٦، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٨٨. وفي الأصول الضياء تصحيف عن الصباغ الذي أجمعت مصادر ترجمته عليه. وسيترجم له المؤلف رحمه الله في طبقاته الصغرى ٤/ ١٧٧. وهذه الترجمة ليست في (أ) ولا في (ف).

(١) في المطبوع: واقتنص معان لغوية وسير.

(٢) جاء في الطالع السعيد ٧٤١:
الأعوجية: خيل منسوبة إلى أعوج، فحل كريم كان لبني هلال بن عامر.
المهرية: من نتاج إبل مهرة قبيلة من قضاعة.

(٣) العَلَسُ: جمع عَلَسة: دويبة شبيهة بالحَلَمة أو النملة. متن اللغة (علس) قال الدميري في حياة الحيوان الكبرى: العلس: هو القراد الضخم.

(٤) جاء في الطالع السعيد ٧٤٢:
السَّمهج: ماء اللبن الحلو الدَّسم.
الارتشاق: أن يشرب الجميع.

(٥) النَّحض: اللحم.

فــــلا لبِشْـــــرٍ ولا لهنــــدٍ ... ولا لِلُبْنَـــــى ولا سُعــــادِ

يَرجو رِضا من يُحِبُّ[1] عفواً ... ويَلطـــــفُ اللهُ بـــــالعبــــادِ

وله خوارقُ وأحوالٌ بوارق، منها:

أنَّه كان إذا رأى دُخانَ معصرةَ، قال: قَنْدُ[2] هذه كذا قنطار. والإِرْدَبَّ[3] السّمسم قال: هو كذا حبَّة.

ومنها: أنَّه توقَّفَ النِّيلُ، فنزلَ فبالَ فزادَ، كما أخبرَ بذلك كلِّه عن نفسه.

وقال: لمّا قَرُبَ التَّترُ طلعتُ على كومِ أُدْفُو[4] وكسرتهم.

وكان كثيراً الشطح.

مات سنة أربعٍ وتسعين وستٍّ مئة، ودُفِنَ برباطٍ له بأُدْفُو.

* * *

(٤٨٠) أبو يحيى بن شافع القِنائي[*]

صوفيٌّ، صنعتُهُ المعارف، وطافت به العوارف[5].

كان بحانوتٍ يتسبَّبُ فيه، فرآه الشَّيخُ أبو الحسن الصبَّاغ، فقال: هذا يَصلحُ للسَّلطنة، ويتزوَّجُ بنتَ الخليفةِ، فقام للوقتِ، وتركَ حانوتَهُ وتبعه، فأقامَ بخدمته مدَّةً، وتسلَّكَ بالشَّيخ، وتزوَّجَ بنتَ الخليفة.

وظهرَتْ له كراماتٌ، وخوارقُ باهراتٌ، منها:

---

(١) في الطالع السعيد، والوافي بالوفيات: نرجو... نحبُّ.

(٢) القند: عسل قصب السكر إذا جُمِّدَ. القاموس (قند).

(٣) الإردب: مكيال لأهل مصر يسع ٢٤ صاعاً. متن اللغة (اردب).

(٤) أُدْفُو: مدينة بصعيد مصر.

(*) الطالع السعيد ٧٤٣، طبقات الأولياء ٤٨٣، حسن المحاضرة ١/ ٢٤٧. وسيترجم له المؤلف مرة أخرى في طبقاته الصغرى ٤/ ١٩٢.

(٥) في المطبوع: وفاقت به. وظني أن العبارة قد أخذها المؤلف من الطالع السعيد ونصُّها: صحب الشيخ ابن الصباغ فصبغه بالمعارف، وأدخله الخلوة فطافت به العوارف.

أنَّه كان إذا غلبَهُ الحالُ، نزلَ في بركةٍ يَقفُ بها ليالي الشِّتاء إلى أن يزولَ، وكان يُسمعُ لمحلّه الذي يجلسُ فيه دويٌّ كدويِّ الرَّعدِ من كثرةِ الوارد.

ونظرَ مرَّةً إلى التَّقيِّ القُشيري(١)، والجلال(٢)، والضياء(٣) وهم أطفالٌ يلعبون، فقال: هؤلاء نجومٌ ظهروا، ونجمُ هذا أظهرُ. وأشارَ إلى التَّقيِّ.

ولمّا ماتَ شيخُهُ قُدِّمَ ولدُهُ للجُلوس، فأبى، وقال: أكذبُ على الله ؟! وأخذَ بيد أبي يحيى، فأجلسَهُ مكانَ أبيه فتسلَّكَ به جماعةٌ أجِلَّاءُ كأبي عبد الله الأُسواني(٤)، وأبي الطَّاهر إسماعيل المراغي(٥)، والبهاءُ الإخميمي، والتَّاج بن شعبان، وابنُ شيخه الزَّين(٦).

وكان يعملُ طعامَ المُلوكِ لفقرائه، ويُضيفُ بذلك من وردَ عليه من إخوانه.

ولم يزَلْ يُسابقُ حتّى انْدَرَجَ للآخرةِ مع السابقِ في يوم الجمعةِ تاسع شوَّال سنةَ تسعٍ(٧) وأربعين وستٍّ مئة.

* * *

(٤٨١) أحمد بن عمر بن محمد (*)

الشَّيخُ الإمام، أحدُ الأعلام، الزَّاهدُ الكبير الشَّان، قطبُ أهلِ الإسلام،

---

(١) التقي القشيري هو: محمد بن علي بن وهب. انظر الطالع السعيد ٥٧٦.
(٢) الجلال هو: أحمد بن عبد الرحمن بن محمد. انظر الطالع السعيد ٨٠.
(٣) الضياء هو: منتصر بن الحسن. انظر الطالع السعيد ٦٦٠.
(٤) هو محمد بن يحيى بن أبي بكر. الطالع السعيد ٦٤٠.
(٥) هو: إسماعيل بن عبد المحسن. انظر الطالع السعيد ٧٤٤.
(٦) هو زين الدين بن أبي الحسن الصباغ. انظر الطالع السعيد ٧٤٤.
(٧) في طبقات الأولياء، وحسن المحاضرة: سنة سبعٍ.
(*) سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١١١، العبر ٥/ ٧٣، مرآة الجنان ٤/ ٤٠، طبقات الإسنوي ٢/ ٣٥٥، طبقات السبكي ٨/ ٢٥، الوافي بالوفيات ٧/ ٢٦٣، شذرات الذهب ٥/ ٧٩، هدية العارفين ١/ ٩٠، تاج العروس (جنب) و (كبر)، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٧٥.

برهانُ الطَّريقة، ناشِرُ ألويةِ الحقيقة، نجمُ الدِّينِ الكُبْرَى[١] ـ كالعظمى ـ أبو الجَنَّاب ـ بفتح الجيم، وشدِّ النون ـ الصُّوفي، شيخُ خُوارِزْم.

كان إماماً فقيهاً، مُحدِّثاً مُفسِّراً صُوفيًّا، زاهداً عابداً مُسلِّكاً، شاعَ نبأُ[٢] علمِه، واهتدى العُلماءُ وأهلُ التَّصوُّفِ بضياءِ نجمه، طافَ البلاد، وسمعَ بها الحديثَ من السِّلفي وغيره، ثم استوطنَ خُوارِزْم، وصارَ شيخَ تلكَ النَّاحية، عظيمَ الجاه، وافِرَ الحرمة، لا يَخافُ في اللهِ لومةَ لائم.

قال ابن نقطة: هو شافعيُّ المذهب، إمامٌ في السُّنَّةِ، أخذَ الحديثَ عن جمعٍ. انتهى.

وذكر شيخُنا الشَّعراويُّ[٣]: أنَّه كان أُميًّا، وهو سبقُ قلم؛ فإنَّه من أئمَّةِ الشَّافعيَّة. كما ذكره السُّبكيُّ وغيرُه، ومن مشاهيرِ المُحدِّثين والمُفسِّرين في عصره.

قال ابنُ هلالة[٤]: جلستُ عندَهُ في الخَلوةِ مِراراً، فوجدتُ من بركته شيئاً عظيماً.

وقال ابنُ الحاجب: طافَ البلاد، وسمعَ الحديثَ على الحافظ السِّلفيِّ وغيره، وكان مَلجأً للغُرباء، عظيمَ الجاه، لا يَخافُ في اللهِ لومةَ لائمٍ. فسَّرَ القرآن في اثنتي عشرةَ مُجلَّدة.

---

(١) قال السبكي في طبقاته: . . . ومنهم من يمدُّ فيقول: الكبراء، جمع كبر. وقال اليافعي في مرآة الجنان ٤/ ٤١: كان أيّام صِباه شديد الذَّكاء، فطناً، لم يُلقِ مؤدبه إلى أقرانه في المكتب شيئاً من المشكلات إلا سبقهم بثاقب ذهنه، فلقبوه: الطامة الكبرى، ثم غلب عليه ذلك اللقب فحذفوا الطامة، ولقبوه بالكبرى.

(٢) في المطبوع: بناء.

(٣) ذكره الشعراوي في كتابيه: «المنن» و«الأجوبة المرضية» جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٧٥.

(٤) في الأصول: ابن هلال، وهو عبد العزيز بن هلالة، انظر سير أعلام النبلاء، وطبقات السبكي.

ومن مشايخه في الطَّريق الشَّيخُ عمَّار[1]، وعليه كان انتفاعه.

وأخذَ عنه جمعٌ كثيرون، منهم الإمامُ الرَّازي[2].

وكان شيخَ الخلوة في زمانه على الإطلاق.

وكان يقولُ: المُريدُ لا يَخلو من دَفينٍ مَذمومٍ في باطنه، والشَّيخُ لا يقدرُ على قلعِهِ إلاَّ بواسطةِ الخَلوة.

قال: ولمَّا دخلتُ الخلوةَ كان في قلبي نوعُ رياءٍ وسُمعةٍ، وطلبٍ لكلامِ أهلِ الطَّريقِ لأعظَ النَّاسَ في رؤوسِ المنابر، فأُعَدَّ من جملتهم، مع أنِّي لستُ منهم، فأُعطيتُ شيئاً من الكشفِ بقدرِ ما علمتُ به أنَّ الطَّريقَ صحيح، لكن كان بناءُ الخلوة فاسِداً لفسادِ غرضي ونيَّتي، فأخرجوني من الخلوةِ في الحادي عشرة، فبقيتُ خارجَها بقدرِ مازال عنِّي وجعها.

وكان لي كتبٌ وثياب، فقلتُ في نفسي: إن دخلتُ الخلوةَ كما دخلتُ أُخرِجْتُ كما أُخرِجْت، لكنْ أدخلُ مدخلَ صِدقٍ. فصفَّيتُ النيَّةَ ووقفتُ الكتبَ، ووهبتُ الثِّيابَ، وتصدَّقتُ بالدَّراهم، وتجرَّدْتُ، ونبذتُ الدُّنيا وراءَ ظهري، وجعلتُ القيامةَ بين يَدي، ووضعتُ الرُّوحَ بالكفِّ، وقلتُ: هاهي فخُذْها، فحصلَ الفتحُ[3]، وكان ما كان ممّا لستُ أذكره.

ووقعَ له أنَّه أدخلَ مُريداً الخَلوةَ، فوقعت يدُه فيها على ذكره، فتوقَّف الفتحُ عليه مُدَّةً، ثمّ فُتِحَ عليه، فلمَّا خرجَ أخبرَه الشَّيخُ باطِّلاعه على ذلك، ثمّ نهاهُ عنِ العودِ لمثله، وقال: أما علمتَ أنَّ مَنْ في الخلوةِ في حضرةِ اللهِ، ولذلك

---

(١) وهو عمار بن ياسر البدليسي، ومنه لبس الخرقة. مرآة الجنان ٤/ ٤١.

(٢) وهو فخر الدين الرازي صاحبُ التصانيف. انظر سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١١٢.

(٣) الفتح: ١ـ ما يفتح على العبد من الرزق دون كدٍّ أو عناء.

٢ـ الفتح المبين: ما يفتح على العبد في مقام الولاية وتجليات أنوار الأسماء الإلهية.

٣ـ الفتح المطلق: هو أعلى الفتوحات وأكملها، وهو ما يفتح على العبد من تجلّي الذات الأحدية، والاستغراق في عين الجمع بفناء الرسوم الخلقية.

انظر التوقيف على مهمات التعاريف: ٥٤٨.

يعملون له طعاماً وعرساً إذا خرجَ لأنَّه كان في الحضرة ؟ ثمّ قُدِّمَ فقال: كيف علمتُم، وإنَّما وقعَتْ يَدي على ذكري في الظَّلام ؟ قال: لو علمتُ أنَّه يَخفى عليَّ منكَ شعرةٌ واحدةٌ ما أدخلتُكَ أبداً.

وقال: كلُّ شيخٍ لم يُعطَ الاطِّلاعَ على حركاتِ مُريده، وسكناته ليس له أن يخلّي أحداً؛ لأنَّه مَحجوب.

وقال: النَّاسُ في عَمًى إلاَّ مَنْ كشفَ اللهُ عنه الغِطاء، والغِطاءُ ليس بشيءٍ خارجٍ عنهم، بل هو منهم، وهو ظلامُ وجودِهم، أطبقْ جفنَيكَ وانظُر ماذا ترى ؟ فإنْ لم ترَ شيئاً، فإنَّما هو لفرطِ قُربِ ظلامِ وجودِكَ منكَ، فإنْ أحبَبْتَ أن تُبصرَهُ قُدَّامَكَ فانقص[1] من وجودكَ شيئاً، وذلك بالمُجاهدةِ وهي بَذلُ الجهدِ في دفعِ الأغيار، وهي الوجودُ، والنَّفسُ، والشَّيطان.

وقال: السَّكينةُ تُجمعُ من ملائكةٍ تنزِلُ في القلب، يجدُ من وُرودهم راحةً وطمأنينةً، وتُؤخذُ منكَ حتّى لم يَبْقَ لكَ اختيار.

وقال: علامة حضورِ المُصطفى أن تجري الصَّلاةُ عليه على لسانِكَ بغيرِ اختيارٍ.

وقال: الخواطرُ الحقَّانيَّة هي العلمُ اللَّدُني، أو حكمٌ من أحكامه، فيرجعُ إلى الوجودِ ومعه العلمُ وهو الإلهام، ويَصيرُ كالخطِّ المكتوبِ على اللَّوحِ إذا تكاثفَ عليه غبارٌ، ثمّ أُزيلَ عنه، وظهرَ الخطُّ.

وقال: غبتُ مرَّةً فأبصرتُ المُصطفى ومعه عليٌّ، فبادرْتُ إلى عليٍّ فأخذتُ يدَهُ فصافحتُهُ، وأُلهمتُ كأنِّي سمعتُ في الخبرِ عنِ المُصطفى أنَّه قال: مَنْ صافحَ عليًّا دخلَ الجنَّة.

وقال عن الخرقاني: صعدتُ إلى العرشِ لأطوفَ به، فطفتُ به ألفَ طَوفةٍ، ورأيتُ حولَهُ قَوماً ساكنينَ مُطمئنّين، فعجبوا لسرعةِ طوافي، وما أعجبني طوافُهم، فقلتُ: مَنْ أنتُم ؟ وما هذه البُرودةُ في الطَّواف ؟ قالوا: نحنُ ملائكةٌ،

---

(١) في (ف): فاخفض، وفي المطبوع: فانقص.

والملائكةُ أنوارٌ، وهذا طبعُنا، وما نقدرُ أن نتجاوزَهُ، فمَنْ أنت ؟ وما هذه السُّرعةُ ؟ قلتُ: أنا آدميٌّ، وفيَّ نورٌ ونار، وهذه السُّرعةُ من نتائجِ نارِ الشَّوق، وأمَّا الملائكةُ فلا شهوةَ لها.

وقال: خاطرُ الشَّيطانِ قد يكونُ في العبادات، وأنواعِ الخيرات، وحُبِّ الكرامات، ولايزالُ مع المرءِ حتى يَخلُصَ، فإذا خلص فارقَهُ[1]، ولم يطمَعْ فيه.

وقال: خاطرُ الشَّيطانِ أصعبُ من خاطرِ النَّفسِ؛ فإنَّ خاطره ذو فنونٍ، وخاطرُ النَّفسِ واحد.

وقال: الشَّيطانُ بالغٌ في المكر والحيل، يأتي للإنسانِ من كلِّ طريقٍ إلاَّ من بابِ الإخلاص، فكُنْ مُخلصاً حتى في الإخلاصِ، فلا ترَ نفسَكَ مُخلصاً.

وقال: ربَّما يُوصلُ الحقُّ تعالى عبدَهُ إلى محلِّ القُربِ بواسطة الشَّيطانِ؛ فإنَّه يُلقي في قلبه حُبَّ العبادة بمراءاة الخلق، فإذا عبد الله لأجلِ التفاتِ الخلقِ إليه، والتفتوا إليه، ازدادَ رغبةً، فإذا استحلى ذلك غُمِسَ في بحر التعبُّدِ. والعبادةُ تأبى أن تكونَ إلاَّ للحقِّ، فيجدُ طعمَ لذَّةِ العبادةِ للحقِّ بواسطةِ الأذكارِ من العلومِ والأنوارِ والأسرار، فيُعرِضُ عنِ الخَلقِ، ويُقبلُ على الحقِّ.

وقال: كنتُ في خلوةٍ مُواظباً للذِّكر، فجاء اللَّعينُ وأكثرَ عليَّ الحِيَلَ ليُشوِّشَ الخَلوةَ والذِّكر، فظهرَ في يدي سيفُ الهِمَّةِ مكتوبٌ عليه من ذُبابته[2] إلى قبضته الله، الله، فكنتُ أتَّقي به[3] الخواطرَ الشَّاغلة عنِ الله، فخطرَ بقلبي أن أُصنِّفَ كتاباً في الخَلوةِ أُسمّيه «حِيَلُ المَريد[4] على المُريد» فقلتُ: لا يكونُ إلاَّ بإذنِ الشَّيخ، فشاورتُهُ بالغَيب، فسمعتُ كلامَه لصحَّةِ رابطةٍ بينَنا: أنَّ هذا خاطِرُ الشَّيطان، يُصانعُكَ في الخَلوةِ ليُشغِلَكَ عنِ الحقِّ فيخلطَ عليكَ، فانتبهتُ

---

(١) في المطبوع: متى يُخلِصَ، فإذا أخلص.
(٢) ذبابة السيف: حَدُّه الذي يضرب به. متن اللغة (ذبب).
(٣) في (أ): أنقي.
(٤) المَريد: الشيطان، جمعه مردة. متن اللغة (مرد).

وانتهيتُ. فإذا خطرَ بقلبكَ خاطِرٌ شاورِ الشَّيخَ واعمَلْ بقوله ما لم تصلْ إلى الذَّوقِ، فإذا وصلتَهُ ذُقتَ الخاطرَ فعرفتَهُ وميَّزتَهُ عن غيره.

وقال: معنى قولهم: سقطَ التَّكليفُ عنِ الخواصِّ. سقوطُ المَشقَّةِ، فيعبدونَهُ بلا مشقَّةٍ وكُلْفَةٍ، فإنَّ التَّكليفَ مأخوذٌ من الكُلْفَةِ.

وقال: الصَّلاةُ مُناجاةٌ، لكنْ مهما كان المُصلِّي مُوافقاً للشَّيطانِ مُخالِفاً للرَّحمن لا يجدُ لذَّةَ المُناجاة، بل تشقُّ عليه؛ فإنَّ مُناجاةَ المُخالف صعبةٌ شاقَّةٌ، فإن وافقَ الرَّحمن وعادى الشَّيطان، فالصلاةُ في حقِّه ألذُّ الأشياءِ؛ لمُناجاته للحبيب.

وقال: سببُ المُشاهدةِ فتحُ البصيرة بكشفِ الغِطاءِ عنها، وسببُ الذَّوقِ تبديلُ الوجود.

وقال: ما يجدُهُ العاميُّ في منامه بحسبِ قُوَّةِ وجوده الأدنى من نحو الطَّيران، ووصولِ البلادِ القاصية، ولا يحجبُهُ البُعدُ والمَشيُ على الماءِ، ودخول النَّارِ فلا يحترقُ يجده[1] السيَّار بين اليقظة والنَّوم؛ لضعفِ وجوده الأدنى الخسيس، وقوةِ وجوده الشَّريف النَّفيس، ثمّ يَقوى هذا الوجودُ فيقعُ الفعلُ في عالمِ الشَّهادةِ، فيطيرُ ويَمشي فوقَ الماء، ويدخلُ النَّارَ فلا تضرُّه، ويرى ويسمع، ويأخذُ ويأكل، ويصعدُ وينزل، ويتصرَّفُ بيدِ الهِمَّةِ، والحاضرُ معه محجوبٌ بالوجود، والكشفُ لا يحيقُ به.

وقال: المُجاهدُ إذا رَبطَ[2] ثغرَ الصِّدقِ والإخلاص ينزلُ عليه من الواردات الثِّقال كالجبال حتى يندقَّ إلى الأرض، فيسكنُ ولا يتحرَّكُ، ويبقى كذلك زماناً وهو حقيقة نورُ العقلِ الكبير.

وقال: الاستغراقُ في الذِّكرِ إنَّما يكونُ إذا احترقتِ الأجزاءُ الخبيثةُ، وبقيت الطِّيبةُ، وحينئذٍ يسمعُ ذكرَ الوجود، فيسمعُ من كلِّ جزءٍ ذكراً كأنَّه ينفخُ في

---

(١) في المطبوع: بحده.
(٢) في المطبوع: ربط.

بوقٍ، ويجدُ ضربَ الدَّبادب[١] والكوس[٢]، وللذِّكرِ سلطانٌ إذا نزلَ بدبادبه وكاساته وبوقه.

وقال: أوَّلُ فتحِ البصيرةِ من العين، ثمَّ من الوجه، ثمَّ من الصَّدر، ثمَّ من البَدنِ كلِّه، فيرى بكلِّ البَدنِ الكلَّ.

وقال: قالوا: الفقيرُ إذا لم يكنْ يُحيي ويُميتُ فليسَ بفقير.

وقال: ظهورُ الآياتِ في عالمِ الشَّهادةِ والغَيبِ يُورِثُ الإيقانَ والعِرفان.

وقال: الفناءُ فناءان: فناءٌ عنِ الصِّفاتِ في صفاتِ الحقِّ، وذلك الفناءُ في الفردانيَّة، وفناءٌ عن صفاته في ذاته وذلك الفناءُ في الوحدانيَّة.

وقال: العارفُ المُطلقُ هو اللهُ، وغيرُهُ مُتعارفٌ، ولا مقامَ إلاَّ وبعدَهُ أسنى منه.

وقال: السيَّارُ إنَّما يُوصَفُ بالولاية إذا أُوتيَ (كن).

وكلامُهُ كثيرٌ، استُشهِدَ بسيفِ التَّتارِ لمَّا نزلوا على خُوارِزْمَ سنةَ ثمان عشرة وستٍّ مئة.

خرجَ فيمن خرجَ، ومعه جماعةٌ من مُريديه، فقاتلوا على بابِ خُوارِزْمَ، فقُتِلوا جميعاً مُقبلينَ غيرَ مُدبرين.

وقولُ بعضِ النَّاسِ ببغداد غلطٌ فاحش.

ولمّا قيلَ له: إنَّ ملكَ التَّتارِ نزلَ على خُوارِزْمَ، فقال: ليدخُلها، ويضرب هذا العنقَ، وعنقَ فُلانٍ، وفُلانٍ، وثُلثَي أهلِ البلاد، جَفَّ القلمُ بما هو كائن.

* * *

---

(١) الدبادب: الطبول. متن اللغة (دبب).
(٢) الكوس: جمع كوسات: صنوج من النحاس شبه الترس الصغير، يُدقُّ بأحدها على الآخر، وهي دخيلة أيوبية. متن اللغة (كوس).

(٤٨٢) أحمد بن محمد(*)

الشَّيخُ الصَّالح أبو العبَّاس المُلثَّم، كان من أصحابِ الكراماتِ، والأحوالِ والمقاماتِ، ويُحكى عنه عجائبُ وغرائب.

وكان مُقيماً بمدينة قُوص، وله بها رباطٌ، وعُرِفَ بالمُلثَّم لأنَّه كان دائماً بلثامٍ، وكان من المشايخِ المُعمَّرين، بالغَ قومٌ حتّى قالوا: إنَّه من قومِ يُونُسَ عليه السَّلام.

وقال آخرون: صلَّى خلفَ الإمامِ الشَّافعي، وإنَّه رأى القاهرة أخصاصاً قبلَ بنائها.

وكان يدعو مَنْ لم يعرِفْهُ، ولا رآهُ قَطُّ باسمه واسمِ أبيه وجدِّه فلا يُخطئ.

وذُكرَ له رجلٌ أنَّه يُريدُ الحجَّ، فقال: القافلةُ التي تُريدُ السَّفرَ فيها تُؤخذُ، والمركبُ تغرقُ، فكان كذلك.

ومن أخصِّ النَّاسِ بصُحبته تلميذُهُ الشَّيخُ عبدُ الغافر بن نوح صاحبُ كتاب «الوَحيد في علم التَّوحيد». وحكى فيه كثيراً من كراماته.

ذُكرَ أنَّه من قوم يُونس، وأنَّه صلَّى خلفَ الشَّافعيِّ. فقال: ما أنا من قومِ يُونس، أنا شريفٌ حُسينيٌّ، وأمَّا الشَّافعيُّ فمتى مات؟ ما لَهُ كثير، نعم، صَلَّيتُ خلفَهُ[1].

وكان يحجُّ كلَّ سنةٍ وهو مكانه.

وحكى عنه صاحب «الوحيد»: أنّه كان عندَه يومَ جُمعةٍ، فقامَ فتوضَّأَ، فقال

(*) الطالع السعيد ١٣١، طبقات السبكي ٨/ ٣٥، تاريخ ابن الفرات ٧/ ١١، طبقات الأولياء ٤٢٠، حسن المحاضرة ١/ ٢٤٠، طبقات الشعراني ١/ ١٥٧، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٠٨.

(١) تتمة الخبر في الطالع السعيد ١٣٢: قال عبد الغفار: ... فأردت أن أحقق عليه، وقلتُ: صلَّيتَ خلفَ الإمام الشافعي محمد بن إدريس؟ فتبسَّم وقال: في النوم يا فتى، وهو يضحك.

له الشَّيخُ: إلى أين يا مُبارك؟ قال: إلى الجامع. قال: وحياتي، صَلَّيتُ الجُمعة، فخرجَ فوجدَ النَّاسَ قد صَلُّوا، وفاتَتْهُ الجُمعةُ، قال: ولعلَّ قولَ الشَّيخِ: صَلَّيْتُ من صفاته[1] البَدَليَّة؛ فإنَّهم يكونون في مكانٍ، وشِبْهُهُم في آخر، وقد يكونُ ذلك الكشفُ الصُّوري الذي ترتفعُ به الجدران ويبقى الاستطراق، فيُصلِّي كيفَ كان، ولا يحجبُهُ الاستطراق[2].

وقال له بعضُهم: أنتَ تقولُ فلانٌ يموتُ اليومَ الفُلاني، وهذه المركبُ فتغرق وأمثالُ ذلك فيقعُ، والأنبياءُ لا يقولون، ولا يُظهرون إلاَّ ما أُمروا به، مع كمالهم وقوَّتهم، ونورُ الأولياء، إنَّما هو رشحٌ من نورِ النبوَّة، فلِمَ تقولُ أنتَ هذا؟ فاستلقى على ظهره، وجعل يضحكُ، ويقول: وحياتي، ما هو باختياري.

ماتَ سنة اثنتين وسبعين وستِّ مئة. ودُفِنَ برباطه بقُوص بعد أن دُفن بالأقْصُر ثم حُوِّلَ، وعليه مشهدٌ مقصود بالبركة.

* * *

---

(١) في (أ): صفات.

(٢) قال الأُدفُوي في الطالع السعيد ١٣٢ بعد أن ساق الخبر: وهذه الحكاية ذكرتُها لغرابتها، وكيف يعقل أن الشخص الواحد يكون في الزمان الواحد في مكانين، يتكلَّم في هذا، ويُصلِّي في ذاك؟! ثم قال متمثلاً:

فقل لمن هام في حبِّه ... وكاد في قولٍ له يُصرَعُ
دعْ عنكَ قولاً قاله واتئد ... فالتَّيسُ مَنْ صدَّقَ ما يسمعُ

وحكى لي الشيخ الثقة أثيرُ الدين قال: كان الشيخ كريم الدين شيخ الخانقاه عند قاضي القضاة الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد، وخرج من عنده وقال: هذا الكريم مجنون، كان الساعة يبحث ويقرِّرُ أنه يكون الشخص في مكان وجسده في مكان آخر، ذا مجنون.

وفي الطائفة الصوفية جماعة تنبو ما تنكره بداهةُ العقول، وتُوجدُ ما تنفيه العاداتُ التي يُقضى باعتبار حكمها في شرع الرسول ﷺ، والإيمانُ بها عندي بدعةٌ وضلالة، أفضى إليها فَرْط الجهالة... انتهى كلام الأدفوي رحمه الله تعالى.

(٤٨٣) أحمد المُلَثَّم(*)

من أجِلاَّءِ مشايخِ مصر، قُصِدَ للزِّيارةِ من الأقطار، وتأدَّبَ علماءُ مصر بين يديه، وكان من بني مُلوكِ الشَّرق، ويُكاشفُ النَّاسَ بما في ضمائرهم، ويُخبرهم بأمورٍ آتية، ويقول: ما أتكلَّمُ إلاَّ بإذن ربِّي.

وكان إذا لم يجد ما يُعطيه للفقراء يتمنَّى في السُّوق، ثمَّ يتصدَّقُ على المحاويج بما يُعطاه.

وكان يدخلُ على حريم النَّاسِ، فلا يمنعونه، وأنكرَ عليه بعضُ الفقهاء، فقال: اشتغل بنفسِكَ، وتطَهَّرْ من زلاَّتكَ، فقد بقيَ من عُمركَ سبعةُ أيَّام، فماتَ في اليوم السابع.

وكتبَ بعضُ القُضاةِ مَحضراً في شأنه، ووضعوه بصندوقه، فمدَّ يدَهُ، فأخذَهُ منه، وقال: مَنْ أمكنَهُ مَدُّ يدِه للصُّندوق، ما تخشى أن يمُدَّ يدَهُ إلى إيمانِكَ فيأخذه من قلبك؟

وكان يقولُ: إذا امتلأ القلبُ بالنُّورِ دُكَّ كلُّ حجابٍ بين العبد وبين ربِّه.

ماتَ بمصر، ودُفنَ خارجَ باب الفتوح عند الحمصانيين.

واعلم أنِّي تبعتُ في الترجمة الأُولى السبكي في «طبقاته»[١] والأُدفُوي في «طالعه»[٢]، وعبد الغافر[٣] فإنَّهم ذكروه هكذا، وذُكِرَ أنَّه دُفنَ في قُوص، وفي

(*) انظر مصادر ترجمته التي تقدمت قبل صفحة: فهما واحد، وسيذكر هذا المؤلف رحمه الله في نهاية الترجمة. قال النبهاني في جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٠٩: والظاهر أنهما رجلان اتفقا في الاسم، وإلا فأين قوص في أقصى الصعيد؟ وأين الحسينية في مصر المحروسة؟! وهذا مما لا يجوز أن يقع فيه خلاف بين الشعراني والمُناوي وكلاهما من مصر، والله أعلم.

(١) ٨/ ٣٥.

(٢) صفحة ١٣١.

(٣) في كتابه الوحيد في علم التوحيد.

الثَّانية الشَّعراوي[1]، وذَكَرَ أنَّه دُفن بمصرَ خارجَ بابِ الفتوح فظننتُهما اثنين، ثمَّ غلبَ على ظنِّي أنَّهما واحدٌ، وهو المدفونُ بقُوص. وإنَّ الوهمَ من أحد المُترجِمين، وزَعْمُ أنَّه بمصر غلطٌ.

* * *

(٤٨٤) أحمد بن موسى(*)

أحمد بن موسى بن عُجيل اليَمني الفَقيهُ الكبير، الزَّاهدُ الشَّهير، المُجمعُ على إمامته وولايته وتفرُّده عن أقرانه، وتميُّزه بين أهل زمانه، كان عارفاً بالفقه والأُصول، والنَّحو والحديث والتَّصوُّفِ وغيرها، زاهداً عابداً ورعاً.

سُئِلَ عن سماعِ الصُّوفيَّةِ فقال: إن أُبحه فلستُ من أهله، وإن أُنكِرْهُ فقد سمعَهُ مَنْ هو خيرٌ منِّي.

وكان ذا كراماتٍ كثيرة تظهرُ عليه بغير قصدٍ، منها:

أنَّه حضر يوماً عند مَصروعٍ فقرأ عليه: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩] فصرخَ الشَّيطانُ، وقال: لا واللهِ، ثمَّ زالَ عنه، ولم يُعاوِدْهُ مدَّةَ حياته، فلمَّا ماتَ رجعَ عليه، وكان بعضُ جماعةِ الشَّيخ حاضراً، ففعلَ كما فعل، وقرأَ الآيةَ عليه، فضحكَ الشَّيطانُ منه، وقال: الآيةُ الآية، والرَّجلُ غيرُ الرَّجلِ. ولم يُفارِقْهُ.

ومنها: أنَّه جاءَهُ رجلٌ به سِلْعَةٌ[2] فقال: ادعُ اللهَ أنْ يُزيلَها عنِّي، وإلاَّ ما بقيتُ أُحسِنُ ظَنِّي بأحدٍ من الصَّالحين، فقال: لا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله،

---

(١) في طبقاته ١/ ١٥٧.

(*) مرآة الجنان ٤/ ٢٠٩، روض الرياحين ٣٢٩ (حكاية ٢٧٩) و ٣٤٠ (حكاية ٢٩٠)، العقود اللؤلؤية ١/ ٢٥٧، طبقات الخواص ١٣، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣١٢

(٢) السِّلعةُ: غدَّة في الجسد تتحرك إذا حرّكت، وتكون من حمّصة إلى بطِّيخة. القاموس (سلع).

ومسحَها بيده، وربطَها بخرقةٍ، وقال: لا تفتَحْها حتّى تصلَ منزلكَ، فحلَّها في الطَّريقِ، فلم يرَ لها أثراً.

ومنها: أنَّ جماعةً من الصَّالحين سمعوه يقرأُ في قبرِهِ سورةَ النُّور.

ماتَ سنةَ أربعٍ وثمانين وستِّ مئة[1]، وظهرَ عند غسله أنوارٌ ساطعةٌ، وأُمورٌ عجيبة منها: أنَّه لم يُرَ له حالَ غَسله عَورة.

* * *

(٤٨٥) أحمد بن علوان اليمني(*)

الصُّوفيُّ الكبير، إمامٌ وافرُ العلم، رافلٌ في ملابسِ الزُّهد والحلم، زائدُ السَّماح، سالكٌ طريقَ الصَّلاح.

كان أبوه يخدِمُ المُلوكَ فمات، فتوجَّه لبابِ السُّلطان ليخدمَ مكانه، فوقعَ في الطَّريقِ على كتفه طائرٌ أخضرُ، ومدَّ منقارَهُ إلى فمه، ففتحَ فاهُ، فصبَّ فيه شيئاً، فابتلعَهُ، فرجعَ فوراً، ولزِمَ الخلوةَ من حينه، واعتكفَ أربعينَ يوماً، ثمَّ خرجَ وقعدَ على صخرةٍ يذكرُ الله، فانفلقتِ الصَّخرةُ عن كفٍّ، وسمعَ قائلاً يقولُ: صافِحْ هذا؛ فإنَّه كَفُّ أبي بكر، فصافحَهُ، فسمعه يقول: نصَّبْتُكَ شيخاً، ثمَّ ألقى اللهُ له المحبَّةَ في قلوبِ العالم، وتبعَهُ خَلقٌ كثير.

وظهرت كراماتُهُ، وتواترَتْ مُكاشفاته.

وله كلامٌ حسنٌ في الحقائق، يتكلَّمُ فيها بلغاتٍ شتَّى مع كونه لا يُحسِنُ غير العربي، فسُئِلَ بعضُ أتباعه عن ذلك، فقال: كان روحُ الشَّيخِ مهبِطاً للأولياء، ولهم لغاتٌ يتكلَّمون بها على لسانِ الشَّيخ، فكان ينطقُ كما يقولون.

---

(١) ذكره اليافعي في وفيات سنة ٦٩٠، وكذلك الخزرجي في العقود اللؤلؤية، والزبيدي.

(*) مرآة الجنان ٤/ ٣٥٧، العقود اللؤلؤية ١/ ١٦٠، طبقات الخواص ١٩، طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن الورقة ٣٥، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٠٧.
وانظر ترجمة أحمد بن علوان في الطبقات الصغرى ٤/ ٢١٥، والحاشية عليه.

وقال: إذا كانتِ المحبَّةُ قديماً لم يُؤثِّر فيها اعتراضُ التبغُّض[1] حديثاً وعكسه، بدليلِ معصيةِ آدم وطاعة إبليس، فإنَّه لمّا أُهبِطَ إلى أرضِ شقوته من حصن تربيته[2] بمن فيه من ذوي نفوس ذرّيته عادت عليهم عوائدُ محبوبهم، فتنزَّلَ إلى سماءِ الدُّنيا شوقاً إلى تقرُّبهم، وحياءً من تعذيبهم.

ومن كلامه: العلمُ دعوةٌ، والعالمُ مُدَّعٍ، والعملُ شاهدٌ، فمَنْ ثبتت بيِّنةُ دعواه صحَّتْ للمؤمنين تقواه[3].

وله شعرٌ حسن.

مات سنةَ خمسٍ وستِّين وستِّ مئة.

* * *

(٤٨٦) أحمد بن الجعد الأبيني(*)

نسبةٌ إلى أَبيَن بلدةٌ باليمن.

من كبارِ مشايخِ الطَّريقةِ، ومشاهيرِ رجالِ الحقيقة. ذو السِّيرةِ المحمودة، والآثارِ الموجودة المشهودة.

وصَحِبَ الأهدلَ وغيرَهُ، واشتهرَ أمرُه، وانتشرَ ذِكرُه.

وأخذَ عنه جَمعٌ عظيم، وانتفعوا به، وكان كثير المُجاهدة لنفسه.

مرَّ يوماً بجملٍ ميِّتٍ، فنفرَ منه، فقال: يا نَفْسُ، هذه الجيفةُ أطيبُ منكِ، ودخلَ جوفَ الميتة، فمكثَ فيه ساعةً، ثم خرج، فصار يُشَمُّ منه ريحُ المسك.

واستأذنَ شيخَهُ في زيارةِ الكَثيبِ الأبيض، محلٌّ يذكرُ أنَّه موردُ الصَّالحين،

---

(١) في طبقات الخواص ٢٠: البغض.
(٢) في طبقات الخواص ٢٠: رتبته.
(٣) في طبقات الخواص ٢٠: فتواه.
(*) مرآة الجنان ٤/ ٣٥١، روض الرياحين ٣٣٥ (حكاية ٢٨٢) و ٥١٤ (حكاية ٤٧٢)، طبقات الخواص ٢١، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣١٥.

فلم يأذَنْ، وقال: أخشى أن تُسيء الأدبَ فيه. فخالف، وزارَهُ بغير علمه، فوجدَ رجلاً يُصلِّي الصُّبحَ، فاقتدى به فصلّيا، ثم أدخلَ الرَّجلُ رأسَهُ في دَلَقِهِ[١] حتّى ارتفعَتِ الشَّمسُ، فمدَّ الشَّيخُ يدَهُ، وحرَّكَ الدَّلَقَ فلم يجِدْ فيه أحداً، فلبِسَهُ ورجعَ لشيخه، فصارَ يجدُ كلَّ يومٍ ديناراً، فبقي كذلك سنةً، ثم قال له شيخُه: حُجَّ، وردَّ الوديعةَ لصاحبها، ما قُلْتُ لكَ ربَّما تُسيءُ الأدبَ؟ فلمَّا كان بعرفة، ظهر له صاحبُ الدَّلَقِ، فقال له: هاتِ الوديعةَ مع بقاءِ ما تجده حتّى ترجعَ.

ومن وقائعه أيضاً: أنَّه أتَتْهُ امرأةٌ، وقالت: ادعُ لي أن يَرزُقَني اللهُ ولداً ذكراً. فقال: ستُرزقين ذلك. فوضعت أُنثى. فقالت له فيه، فقال: واللهِ، ما قلتُ لكِ إلاَّ بعدَ ما مسستُ ذَكَرَهُ بيدي هذه، لكنَّ اللهَ أرادَ أن يُكذِّبَ هذه اللِّحية.

ومن غرائبه: أنَّه خرجَ لزيارةِ قبرِ هود عليه السَّلام، فوافقَ خروج الشَّيخ سعيد الحضرمي بجماعته، فساروا جميعاً، فعنَّ للشَّيخِ سعيد الرُّجوعُ، فرجع، ومضى صاحبُ التَّرجمة وزارَ، فلمَّا كان بعد مُدَّةٍ خرجَ كلٌّ منهما للزِّيارة بغير موعدٍ، فقال له صاحبُ التَّرجمة: سعيد، قد توجَّه عليك حقٌّ للفقراء برجوعكَ تلك المرَّة. قال: لا. قال: بلى، قُمْ وأنصِفْ من نفسك، فقال سعيد: من أقامنا أقعدناه، فقال أحمد: من أقعدنا ابتليناه. فأصابَ كلٌّ منهما ما قالَ صاحبُهُ حتّى ماتا.

قال اليافعيُّ[٢]: وهذه أحوالٌ تكلُّ في جنبِ قطعها السُّيوفُ القاطعة، وإنَّما يُقطعُ الحالانِ معاً إذا كانا متكافئين، وإلاَّ قَطَعَ القويُّ الضَّعيفَ. قال: وقد يقطعُ السَابقُ دون المسبوق، ثمَّ اعتذرَ عنهما، فقال: الجوابُ أنَّه إمَّا أنْ يكون المولى أذِنَ لكلٍّ منهما أن يؤدِّبَ الآخرَ بإشارةٍ مفهومةٍ عند ذوي الأحوالِ والمقامات ابتلاءً منه سُبحانَه، كما جرى لبني إسرائيل في قتلِ بعضهم بعضاً،

---

(١) الدَّلَق: ثوب متسع الأكمام، طويلها، مفتوح كتفيه بغير تفريج، سابل على القدمين، يلبسه القضاة في الدولة الأيوبية، ويحسن أن يطلق على ما يسمونه الروب، وهو لباس القضاة والمحامين. متن اللغة (دلق).

(٢) مرآة الجنان: ٤/ ٣٥٢، ٣٥٣.

وإمَّا أن يكونَ كلٌّ منهما مُفوَّضاً له في الحكم، مُتصرِّفاً في المملكة فأدَّاه اجتهادُه إلى أنَّ صاحبَهُ مُخطئٌ يستحقُّ التَّأديبَ.

ماتَ لبضعٍ وتسعين وستٍّ مئة.

* * *

(٤٨٧) أحمد بن محمد الطُّوسي(*)

أحمد بن محمد الطُّوسي اليمنيُّ المعروفُ بالشُّكيل، بالضم.

كان عالِماً عاملاً بالفقه خبيراً، وبالتَّصوُّفِ بصيراً، مُلازماً على التَّقوى بذكرِ اللهِ التي من عدمها فقد باءَ بخسران مُبين، ومَنْ لزمَها فقد جاءَ بسُلطانٍ متين.

وكان مُجابَ الدَّعوة.

وكراماتُهُ كثيرةٌ منها: أنَّه يُسمَعُ صوتُهُ من قبره كلَّ ليلةِ جُمعةٍ، يَقرأُ القرآن.

ماتَ سنةَ أربعٍ وخمسين وستٍّ مئة.

* * *

(٤٨٨) أحمد بن حسين الشَّيْبي المكِّي(**)

كان عابداً زاهداً، مُرابطاً مجاهداً، أخلاقُه لطيفة، ومواعظه مفيدة ظريفة، يتواضعُ لمن يلقاه، ويتنازلُ وهو في أعلى مرقاه، بارعُ الفضيلة، فارعُ الهضبة التي سمتْ عن كلِّ رذيلة.

(*) العقود اللؤلؤية ١/ ١٢٢، طبقات الخواص ٢٦، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٠٧. وفي الأصل: أحمد بن موسى، والمثبت من مصادر ترجمته فقد ذكرت اسمه: أحمد بن محمد بن سليمان بن أبي السعود.

(**) طبقات الخواص ٣٣، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣١٦، وسيترجم له المؤلف ثانية في طبقاته الصغرى ٤/ ٢٠١.

والشيبي نسبة إلى بني شيبة أهل مكة (طبقات الخواص).

له أحوالٌ صادقة، وكراماتٌ خارقة منها: أنَّه أرى الشَّيخَ أحمد بن مفرج[1] الكعبةَ وهو باليمن، ورأى القناديلَ والطَّائفين.

ومنها: أنَّ بعض جماعته مرض فاستغاثَ به بعد موته، فحضرَ عنده يقظةً، ومسحَ جسدَهُ، فبرىء فوراً، وجعلَ في يده سبحةً فمكثت عندَه سنين.

* * *

(٤٨٩) أحمد بن عبد الرَّحمن الحنبليّ(*)

أحمد بن عبد الرحمن الحنبليّ بن عبد المنعم، المعروفُ بابن نعمة المقدسي الحَنبلي، إمامٌ تقدَّمَ في جامعِ الزُّهد والورع، وتأخَّرَ عند مبادرةِ أهلِ الحِرصِ والطَّمع.

كان قويَّ الأوتاد، كثيرَ الخَلوةِ والأوراد، مُعرضاً عن عرضِ الدُّنيا، مُنفرداً في تعبير الرُّؤيا[2]، يأتي منه على طريق القوم بالغرائب، ويظهرُ من بحره أنواعُ العجائب.

سمعَ الحديثَ، ورواه، واستمرَّ في طاعةِ مَنْ لا إله سِواه.

وكانت وفاتُهُ بدمشق سنةَ سبعٍ وتسعين وستٍّ مئة عن سبعينَ سنةً.

* * *

---

(١) في طبقات الخواص: الفاضل بن مفرح.

(*) العبر ٣٠ (نص مستدرك على الجزء الخامس)، فوات الوفيات ١/ ٨٦، الوافي بالوفيات ٧/ ٤٨، أعيان العصر ١/ ٨٥ أ، البداية والنهاية ١٣/ ٣٥٣، ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٣٦، السلوك ١/ ٣/ ٨٥٠، شذرات الذهب ٥/ ٤٣٧.

(٢) له كتاب في هذا الفن سماه «البدر المنير في علم التعبير» كشف الظنون ١/ ٢٣١.

(٤٩٠) أحمد بن علي البدوي(*)

أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر البدويُّ الشَّريفُ الحَسيبُ النَّسيب.

أصلُهُ من بني برّي قبيلةٌ من عربِ الشَّام، ثمّ سكنَ والدُهُ المغربَ، فوُلِدَ له صاحبُ الترجمة بفاس سنةَ سِتٍّ وتسعين وخمسِ مئة، ونشأ بها، وحفِظَ القرآن، وقرأ شيئاً عن فقه الشَّافعي.

وحجَّ أبوه به وبإخوته سنةَ تسعٍ وستٍّ مئة، وأقاموا بمكَّةَ، وماتَ بها أبوه سنةَ سبعٍ وعشرين وستٍّ مئة، ودُفِنَ بالمُعلّى.

وعُرِفَ بالبدويِّ للزومِهِ اللِّثام، ولبِسَ لِثامَيْنِ، فلم يُفارقْهُما، ولم يتزوَّجْ قطُّ. واشتُهِرَ بالعطَّاب(١)؛ لكثرةِ عَطَبِ مَنْ يؤذيه، ثمّ لزِمَ الصَّمتَ فكان لا يتكلَّمُ إلاَّ بإشارةٍ. وتولَّهَ، فحصلَ له جمعية على الحقِّ، فاستغرقَ إلى الأبد، وكان عظيمَ الفُتوَّةِ.

(*) طبقات الأولياء ٤٢٢، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٣، حسن المحاضرة ١/ ٥٢١، طبقات الشعراني ١/ ١٨٣، شذرات الذهب ٥/ ٣٤٥، هدية العارفين ١/ ٩٨، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٠٩، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٤٦٥ (أحمد البدوي)، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/ ٤٣١.

وأفردت لترجمته كتب منها المخطوطة مثل: «الجواهر السنية في الكرامات والنسبة الأحمدية» لعبد الصمد زين الدين، وكتاب «النسبة العلوية في بيان حسن طريقة السادة الأحمدية» لعلي الحلبي، والكتب المطبوعة التي ترجمت له كثيرة منها: «النفحات الأحمدية والجواهر الصمدانية» لحسن رشيد المشهدي الخفاجي، و «حياة السيد البدوي» لإبراهيم أحمد نور الدين، وكتاب «السيد البدوي» لمحمد فهمي عبد اللطيف، وكتاب «السيد أحمد البدوي» للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور.

(١) قال فولرز في دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٤٦٥: ولقِّب بالعطَّاب: الفارس المقدام، ولم تفهم بعض المصادر هذا اللفظ المغربي، ويظهر أن لقبه أبا الفتيان معناه نفس معنى العطاب، وإن لم تشر المصادر إلى ذلك.

قال المتبولي: قال لي رسولُ الله: ما في أولياء مصر بعد محمد بن إدريس أكبرُ فُتوَّةً منه، ثم نفيسة، ثم شرف الدين الكردي، ثم المنوفي. انتهى.

وكان يمكثُ أربعينَ يوماً لا يأكلُ ولا يَشربُ ولا يَنامُ.

وأكثرُ أوقاته شاخصاً ببصره نحو السَّماء، وعيناه كالجمرتين، ثمّ سمعَ هاتفاً يقول ثلاثاً: قُمْ، واطلب مطلعَ الشَّمس، فإذا وصلتَهُ فاطلب مغرِبَها، وسِرْ إلى طندتا فيها مقامك أيُّها الفتى، فسارَ إلى العراقِ فتلقَّاه العارفان الكيلاني والرِّفاعي، فقالا: يا أحمد، مفاتيحُ العراقِ والهندِ واليمنِ، والمشرقِ والمغربِ بيدنا فاختَرْ أيُّها شِئتَ. فقال: لا آخُذُ المفتاح إلاَّ من الفَتَّاح.

ثمَّ رحلَ إلى مصرَ فتلقَّاهُ الظَّاهرُ بيبرس بعسكره، وأكرمه وعظَّمه، فدخلها سنةَ أربعٍ وثلاثين.

وكان من القومِ الذين تُسقى[1] بهم البلادُ وتسعد، وإذا قربوا من مكانٍ هربَ منها الشَّيطانُ للأبعد، وإذا باشروا المعاني كانوا أسعدَ النَّاسِ وأصعد، فأقامَ بطندتا على سطحِ دارٍ لا يُفارقُهُ ليلاً ولا نهاراً اثنتي عشرة سنة، فإذا عرضَ له الحالُ صاحَ صياحاً عظيماً.

وتبعه جمعٌ منهم عبد العال، وعبد المجيد، وكان عبد العال يأتيه بالرَّجلِ أو الطفل فينظر إليه نظرةً واحدةً فيملؤه مدداً، ويقولُ لعبد العال: اذهَبْ به إلى بلدِ أو محلِّ كذا، فلا يُمكن مُخالفتُه.

ولمّا دخلَ طندتا كان بها جمعٌ من الأولياء، فمنهم مَنْ خرجَ منها هيبةً له كالشَّيخِ حسن الإخنائي، فسكنَ إخْنا[2] حتّى مات، وضريحُهُ بها ظاهرٌ يُزار. ومنهم مَنْ مكثَ كالشَّيخِ سالم المغربي وسالَمَ الشَّيخَ البدوي فأقرَّه على حاله حتّى ماتَ بطندتا، وقبرُهُ بها مشهورٌ. ومنهم مَنْ أنكرَ عليه كصاحبِ الإيوان العظيم بطندتا المُسمَّى بوجه القمر. كان وليًّا كبيراً فثارَ به الحسدُ فسلبَه،

---

(١) في المطبوع: تشقى.

(٢) إخنا: مدينة قرب الإسكندرية. انظر معجم البلدان ١/ ١٢٤، والآن مركز مدينة طنطا.

ومحلُّه الآن بطندتا مأوى الكلاب، ليس فيه رائحةُ صلاحٍ ولا مَدَد.

وكان إذا لبسَ ثَوباً أو عمامةً لا يخلعُها لغسلٍ ولا غيره حتّى تَبلى فتُبدَّل.

وإذا أمرَ أحداً من أصحابه بالإقامةِ بمكانٍ لا يُمكنه مخالفته، فأمرَ والدَ الشَّيخِ إسماعيل الأنبابي[١]. واسمُه يوسف أن يُقيم بأنبوبة[٢]، وأبا طرطور أن يُقيمَ تجاه أنبوبة في البريَّة، وعبد الله الجيزي أن يُقيمَ بالبريَّة تجاه الجيزة.

وكان يعرفُ مَنْ هو من أولاده بالكشف، فلا يقبلُ إلاَّ مَنْ علمه منهم.

وكان لا يكشفُ اللِّثامَ عن وجهه. فقال له عبد المجيد: أرني وجهكَ، قال: كلُّ نظرةٍ برجلٍ. فقال: أرنيه ولو مُتُّ. فكشفَهُ، فماتَ حالاً.

وله كراماتٌ شهيرة منها: قصَّةُ المرأةِ التي أَسَرَ ولدَها الفرنجُ فلاذَتْ به، فأحضرَهُ في قيوده.

ومرَّ به رجلٌ يحملُ قربةَ لبنٍ، فأشارَ بأصبعه إليها، فانقدَّتْ، فخرجتْ منها حيَّةٌ انتفخت.

ماتَ سنةَ خمسٍ وسبعين وستٍّ مئة.

وأنكرَ عليه ابنُ اللَّبان، ووقع فيه، فسُلِبَ القرآنَ والعِلمَ، وصارَ يستغيثُ بالأولياء حتّى أغاثَهُ ياقوت العَرْشي، وشفعَ فيه، فردَّ ذلك عليه كما يأتي[٣].

وأنكرَ عليه الشَّيخُ خليفةُ الأبياري[٤]، وحطَّ على من يحضر مولده، فابتُليَ بحبَّةٍ فرعَتْ[٥] فمَهُ ولسانَه، فماتَ.

---

(١) قال الزركلي في الأعلام ٢/٢٣: قال السيد أحمد رافع الطهطاوي في كتابه «القول الإيجابي في ترجمة العلامة شمس الدين الأنبابي»: أنبابة بفتح الهمزة كما يقتضيه إطلاق صاحب القاموس، ونصَّ عليه الصاغاني خلافاً لما ذكره صاحب الخطط الجديدة التوفيقية من أنها بالكسر. اهـ.

(٢) أنبابة ويقال: أمبابة وأمبوبة.

(٣) انظر صفحة: ٣/١٠٤.

(٤) تحرفت في المطبوع إلى الأبنادي. قال الشعراني في طبقاته ١/١٨٧: ناحية أبيار بالغربية.

(٥) في المطبوع صحفت الجملة إلى: فابتلي بحية فلدغت.

وأرسلَ إليه ابنُ دقيق العيد عبد العزيز الديريني يمتحنه بمسائل فأجابَه عنها، وقال: هو ذكرها في كتاب «الشَّجرة»[1]، وكان كذلك.

ويُؤثر عنه شعرٌ لكنَّه مع كونه مَوزوناً غير معرب.

وقد جعلوا على قبره مقاماً.

واشتُهرَتْ كراماتُهُ، وكثُرَتْ النُّذورُ إليه، وعَظُمَ أمرُه.

واستخلفَ الشَّيخ عبد العال، فعُمِّرَ طويلاً إلى أن ماتَ سنةَ ثلاثٍ وثلاثين وسبعِ مئة.

واشتهرت أصحابُه بالسُّطوحيَّة[2]. وحدثَ لهم بعد مدَّةٍ عمل المولد، وصارَ يُقصدُ من بلادٍ بعيدة. وقامَ بعضُ العلماءِ والأمراء في إبطاله، فلم يتهيَّأ لهم ذلك إلاَّ في سنةٍ واحدةٍ. ذكره الحافظ ابن حجر.

ومن كراماته:

أنَّه شاورَهُ شيخُ مقامه على السَّفر بحضور الشَّيخِ عبد الوهَّاب الشَّعراوي، فقال له من القبر: سافر وتوكَّل على الله. قال الشَّيخ: هكذا سمعتُهُ بأذني.

قال[3]: وأخذ الشنَّاوي عليَّ العهدَ عند ضريحه، وسلَّمني إليه، فخرجَتْ يَدُه من الضَّريح، وقبضَتْ على يدي.

وقال[3]: نعم، ورأيتُهُ بمصرَ، فقال: زُرنا، ونطبخُ لك ملوخيَّة، فدخلتُ طندتا، فكلُّ مَنْ أضافَني فيها طبخَها. فلزمتُ حضورَ مولده، وأردتُ التخلُّفَ مرَّةً فرأيتُهُ بمصرَ، وبيده جريدةٌ خضراء، وقال: أما تذهب؟ قلتُ: بي وجع.

---

(١) كذا في الأصول، وفي طبقات الشعراني... وقال هذا الجواب مسطر في كتاب «الشجرة» دون نسبة الكتاب لابن دقيق العيد، فهذا الكتاب ليس من جملة مؤلفاته.

(٢) كان الشيخ البدوي يصعد إلى سطح معين وينظر إلى السماء، وقيل بأنه مكث ١٢ عاماً على هذا، وقد اعتاد تلاميذه المكث على السطح معه فسُمُّوا لذلك بالسطوحية، أو أصحاب السطح. انظر دائرة المعارف الإسلامية ١/٤٦٦.

(٣) طبقات الشعراوي ١/١٨٦.

قال: الوجعُ لا يمنعُ المُحبَّ، ورسم سبعين أسودَيْن عظيمين، وقال: لا تُفارقانه حتّى يحضرَ.

وتخلَّفَ عنه السَّرويُّ[1] فعاتبَهُ وقال: موضعٌ يَحضرُ فيه المصطفى والأولياءُ ما تَحضرُهُ ؟!

ومنها: أنَّ رجلاً عنده شعيرٌ، فطلبَ أميرُ طندتا ما يُعشِّي خيلَهُ به، فلم يجد، وقيل له على ذلك الرَّجلِ، فأتى للشَّيخ وهو يَرعدُ، فقال: قل لهم إنَّه قمحٌ، فقال ذلك، وفُتِحَ الحاصلُ فوجِدَ قمحاً[2] كما ذكر.

ومنها: أنَّه قال لرجلٍ: اخزِنْ في هذه السَّنة قمحاً، وأكثرْ منه، واقصد التَّوسعةَ على الفقراء؛ فإنَّه يَغلو غلاءً مُفرطاً، ففعل، وكان كذلك.

واجتمعَ به ابنُ دقيق العيد، فقال: إنَّكَ لا تُصلِّي، وما هذا سُننُ الصَّالحين. فقال: اسكت، وإلاَّ اغبرَّ دقيقُكَ، ودفعه، فإذا هو بجزيرةٍ مُتَّسعةٍ جداً، فضاقَ ذَرعُه حتّى كادَ يهلَكُ، فرأى الخَضِرَ، فقال: لا بأسَ عليكَ، إنَّ مثلَ البدويِّ لا يُعترَضُ عليه، اذهَبْ إلى هذه القُبَّةِ، وقف ببابها فإنَّه سيأتيكَ العصرَ ليُصلِّي بالنَّاسِ، فتعلَّقْ بأذياله؛ لعلَّ أن يَعفو. ففعلَ، فدفعه، فإذا هو ببابِ بيته.

وكراماتُهُ أشهرُ من أن تُذكر.

* * *

(٤٩١) إسماعيل بن محمد الحضرمي[*]

إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الحضرمي، نسبةً إلى حضرموت، قطبُ الدِّين، الإمامُ الكبير، العارفُ الشَّهير، قُدوةُ الفريقين، وعُمدةُ الطَّريقين، شيخُ

---

(١) محمد السروي بن أبي الحمائل سترد ترجمته في الطبقة العاشرة ص ٣ / ٤٤٣.

(٢) في (أ): فوجده قمح.

(*) مرآة الجنان ٤/ ١٧٥، ٣٦١، روض الرياحين ٥٥، ٢٤٤ (حكاية ١٦٥)، ٢٤٥ (حكاية ١٦٧) ٥٥٦، طبقات السبكي ٨/ ١٣٠، العقود اللؤلؤية ١/ ٢٠١، طبقات الخواص ٣٤، شذرات الذهب ٥/ ٣٦١، كشف الظنون ٧٤، ١٩١٢، هدية العارفين ١/ ٢١٣، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٥٥.

الشَّافعيَّةِ، ومُربِّي الصُّوفيّة، كان إماماً من الأئمَّةِ مذكوراً، وعَلَماً من أعلامِ الولاية مَشهوراً، وهو من بيتٍ مشهورٍ بالصَّلاحِ، مقصودٍ لليُمنِ والنَّجاح، أعلامُهُ للإرشادِ مَنصوبة، وبركاتُ أهله كالأهِلَّةِ مَرقومةٌ مَرقوبة.

وكان في بدايته يُؤثِرُ الخلوةَ، ثمّ تفقَّه، فبرَعَ وفاق، وسبقَ الأقرانَ والرِّفاق.

وله عِدَّةُ مؤلَّفاتٍ في عدَّةِ فنونٍ تدلُّ على تمكُّنه منها «شرح المهذب» و «مختصر مسلم» و «مختصر بهجة المجالس»[1] وفتاوى مُفيدة، وكلامٌ في التَّصوُّفِ يدلُّ على كمالِ معرفته.

انتفعَ به جمعٌ من الأعيان. ووليَ قضاءَ الأقضية، فأنكرَ المُنكرات، وأقامَ مواسِمَ الخَيرات، ثمَّ عزلَ نفسَهُ، وكتبَ للسُّلطانِ في شقفةٍ من خزفٍ: يا يوسف، كثرُ شاكوك، وقَلَّ شاكروك، فإمَّا عدلتَ وإمَّا انفصلتَ. فغضِبَ، فلم يلتفت إليه.

وله كراماتٌ، قال المَطَريُّ: كادت تبلغُ التواتر.

منها: أن ابنَ مُعطي[2] قيل له في النَّوم: اذهَبْ إلى الفقيه إسماعيل الحضرمي، واقرأ عليه النحو. فلمّا انتبَهَ تعجَّبَ؛ لكونِ الحضرميِّ لا يُحسنُه. ثمَّ قال: لابُدَّ من الامتثال. فدخلَ عليه، وعندَهُ جَمعٌ يقرؤونَ الفقهَ، فبمجرَّدِ رؤياهُ قال: أجزتُكَ بكُتبِ النَّحو. فصارَ لا يُطالِعُ شيئاً فيه إلاَّ عرفَهُ بغير شيخٍ.

ومنها: أنَّه قصدَ بلدَهُ زَبيد فكادتِ الشَّمسُ تغربُ، وهو بعيدٌ عنها، فخافَ أن تُغلقَ بابَها، فأشارَ إليها فوقفَتْ حتّى دخلَ المدينةَ.

وإليه أشارَ الإمامُ اليافعيُّ[3] بقوله:

---

(١) في مرآة الجنان: نفائس العرائس. قال صاحب طبقات الخواص ٣٤: له مختصر بهجة المجالس في ذكر معجزات النَّبي ﷺ.

(٢) في العقود اللؤلؤية ١/ ٢٠٢: محمد بن معطن، وفي طبقات الخواص: محمد بن معطي.

(٣) مرآة الجنان ٤/ ١٨١.

هو الحضرميُّ نَجلُ الوليِّ مُحمَّدٍ إمامُ الهُدى نَجْلُ الإمامِ المُمجَّدِ[1]
ومِنْ جَاهِهِ أومى إلى الشَّمسِ أن قفي فلـم تمـشِ حتّـى أَنـزلـوه بمَقصـدِ[2]

وحكى ذلك السُّبكيُّ[3] على وجهٍ آخر فقال: وممّا حُكِيَ من كراماته واستفاضَ، أنَّه قال لخادمه، وهو في سفرٍ: تقولُ للشَّمسِ تقف، حتّى نصلَ إلى المنزل. وكان في مكانٍ بعيدٍ، وقد قَرُبَ غُروبُها، فقال لها الخادمُ: قال لكِ الفقيه إسماعيل قِفي. فوقفَتْ حتّى بلغَ مكانَهُ. ثمَّ قال للخادم: ما تطلقُ ذلك المحبوس؟ فأمرَها الخادمُ بالغروبِ فغربَتْ، وأظلمَ اللَّيلُ في الحال.

ومنها: أنَّه زارَ مقبرةً هو والمحبُّ الطَّبريُّ، فقال للمُحبِّ: تؤمنُ بكلامِ الموتى؟ قال: نعم. قال: صاحبُ هذا القبر [يقول لي:][4] أنا من حشو الجنَّة.

ومنها: أنَّه زارَ مقبرةَ زَبيد، فبكى كثيراً، ثمَّ ضحكَ، فسُئِلَ، فقال: كُشِفَ لي فرأيتُهم يُعذَّبون، فشفعتُ فيهم، فشُفِّعْتُ، فقالت صاحبةُ[5] هذا القبر: وأنا معهم يا فقيه؟ قلتُ: مَنْ أنتِ؟ قالت: فلانة المغنّية. فضحكتُ، وقلتُ: وأنتِ.

ومنها: أنَّ بعضَ الصُّلحاءِ رأى المصطفى، فقال له: مَنْ قَبَّلَ قدمَ الحضرميِّ دخلَ الجنَّة. فبلغَ الحكميّ[6]، مُفتي زَبيد، فقصدَهُ ليُقبِّلها، فلمّا وقعَ بصرُهُ عليه مدَّ له رجليه[7]، وفي هذا القدرِ كفاية.

ورُفعت إليه فتيا فيها: هل يجوزُ قراءةُ كُتبِ الغزالي؟ فكتبَ: إنَّا لله وإنَّا

---

(١) في الأصل: نجل الإمام محمد، والمثبت من مرآة الجنان ٤/ ١٨١، و ٣٤٢.
(٢) في الأصل: أنزلوه بمقعد، والمثبت من مرآة الجنان ٤/ ١٨٢، و ٣٤٢.
(٣) طبقات السبكي ٨/ ١٣٠.
(٤) ما بين معقوفين مستدرك من روض الرياحين ٢٤٥، وطبقات الخواص.
(٥) في (ب): فقال صاحب.
(٦) هو أحمد بن سليمان الحكمي.
(٧) في (ب): رجله. وانظر الخبر في جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٥٦ مع زيادة فيه.

إليه راجعون، محمد بن عبد الله سيِّدُ الأنبياء، ومحمد بن إدريس سيِّدُ الأئمَّة، ومحمد بن محمد سيِّد المُصنِّفين.

وله كلامٌ في الحقائق، منه ما قال: البدارَ البدارَ، دَعِ التَّعلُّلَ؛ الطَّريقُ واضح، والبابُ مَفتوح، ليس عليه حجابٌ سِواكَ.

وقال: إنْ أحببتَ مُزاحمةَ الرِّجالِ فأعدى عدوِّكَ نفسُكَ، فخُذْ بقوائمها الأربع، وارمِ بها عجلاً إلى مذبَحِ القُربان، وامرُرْ بسكينِ عزمِكَ الماضيةِ على أوداجِها الطَّاغية، وأسلْ دَمَ الشَّهواتِ ودَعْها تضطربُ في دِمائها ولا تأخُذْكَ بها رأفةٌ في دينِ الله، عسى أن تكونَ من المُفلحين.

وقال: أوحى اللهُ إلى بعضِ الأنبياء: قل لعبادي أنا أشوقُ إليهم منهم إلى الماءِ البارد، أفلا يَشتاقونَ إليَّ؟ قل لعبادي: وإن كانت مغفرتي[1] أوسَعَ من ذنوبهم، أفلستُ أهلاً أن يُستحى منِّي؟!.

وقال: وُضِعَ الكونُ بين يَديَّ، وقيل لي: اختَرْ، فاخترتُ الآخرةَ على الدُّنيا، واخترتُ اللهَ عوضاً عنها وعن نفسي.

وقال: عليكَ بالعزوبِ عنِ الدُّنيا، ما قَلَّ وما كَثُر، فإنَّ القَليلَ سُمٌّ قاتل، ومَنْ أدخلَ فيها أنملةً غطسَ كلُّه.

وقال: حُبُّ الدُّنيا ما دخلَ قلباً إلاَّ أفسدَهُ، وبفسادِهِ يفسدُ جميعُ البدنِ.

وقال: رأيتُ المصطفى، فسألتُه: من الذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، قال: هم الدَّرسة. ثمَّ رأيتُهُ اللَّيلةَ الثَّانية، فسألتُهُ عن الدَّرسة؟ قال: درسةُ العلم. قلتُ: فدرسةُ القرآن؟ قال: أولئكَ أولياءُ الله.

وكان مع علوِّ حاله كثيرَ التَّزوُّجِ، بحيثُ قال لأولاده: لا تتزوَّجوا من نساءِ زَبيد إلاَّ بِكراً؛ فإنِّي أخشى أن تَقعوا ببعضِ مَنْ تزوَّجْتُ.

وقال: زهدتُ في كلِّ شيءٍ، إلاَّ المرأةَ الحسناء.

---

(١) في (أ): وإن كانت رحمتي.

وبالجملة فكراماتُه لا تُحصى بلغتِ التَّواتر.

واستمرَّ جائلاً في ميدانِ الإيمان إلى أن أُلحقَ بالصَّالحين من عبادِ الرَّحمن.

ماتَ في حدودِ سنةِ سِتٍّ أو سبعٍ وسبعين وسِتِّ مئة.

* * *

(٤٩٢) إسماعيل بن عبد الملك البغدادي(*)

كان في طريقِ التَّصوُّفِ ركنَ رئاسةٍ، وطودَ سيادةٍ وسياسة، حسنَ البشر دائمه، صحيحَ العقيدةِ، حافِظَ السرِّ كاتمه.

وله كراماتٌ منها ما في «تاريخ الجَنَديّ»: أنَّه قال للشَّيخِ يوسف الصُّدائي: تريدُ أن أُريكَ آيةً من آياتِ الله المُحجبة؟ قال: نعم. فمسحَ بيده على وجهِهِ، وقال: مُدَّ بصرَكَ إلى السَّماءِ، فرفعَ رأسَهُ، فرأى آيةَ الكُرسيِّ مكتوبةً بالنُّور، يَكادُ يَخطَفُ البصر، وأوَّلها بالمشرقِ وآخرها بالمغرب.

* * *

(*) طبقات الخواص ٤٠، تاريخ ثغر عدن ٥٣، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٥٥.

حرف الباء

(٤٩٣) بدير بن محمد(*)

بدير بن محمد بن يوسف، من ذريَّةِ الحُسين بن علي. كان عابداً زاهداً صُوفيًا عارفاً مُتمكِّناً، اعترفَ له بذلك أولياءُ زمنه، وأذعنوا له وقصدوه من الآفاق.

وله أحوالٌ عجيبة، وكراماتٌ غريبة منها: أنَّ الوحوشَ والسِّباعَ الضَّارية كانت تَزورُه في حياته، ثمَّ بعدَ مماته، فكانوا يأتونَ ضريحَهُ فيُمرِّغونَ وجوهَهم ببابه، وعلى أعتابه.

ماتَ سنةَ خمسين وستٍّ مئة، ودُفن بزاويته بوادي النُّسور على ثلاثةِ بُرودٍ من بيتِ المَقدس.

* * *

(٤٩٤) بكر بن عمر(**)

بكر بن عمر، أبو السجَّاد الفرساني اليمني، كان فقيهاً زاهداً ورعاً، ذا نصيبٍ وافرٍ من تألُّهٍ وعبادةٍ وتواضعٍ وقناعة، لم يعهدِ النَّاسُ منه إلاَّ زهداً وعفافاً، ولم يُباشرِ المشيخةَ إلاَّ ودخلَ المُريدونَ من تربيته جنَّاتٍ ألفافاً.

وله كراماتٌ منها: أنَّه كان إذا تغوَّطَ تبلعُ الأرضُ ما يخرجُ منه.

ماتَ في صدرِ هذا القرن.

(*) الأنس الجليل ٢/١٤٦ (بدر الدين)، جامع كرامات الأولياء ١/٣٦٥ (بدر).

(**) طبقات الخواص ٤٤، جامع كرامات الأولياء ١/٣٦٨.

حرف الجيم

(٤٩٥) جبريل بن عبد الرحمن الأَقْصُريّ(*)

شيخٌ مَشهورٌ بالكرامات، معروفٌ بالمُكاشفات.

صَحِبَ الشَّيخَ عبد الرَّحيم القِنائي، وظهرَتْ عليه بركتُهُ.

زارَ بعضُهم قبرَه، فوجدَ عنده أوساخاً، فقال: ما هذا يا سيِّدي؟ ما ينبغي أن يكونَ ذلك عند قبرك. ثمَّ عادَ لزيارته فوجدَ المكانَ في غايةِ النَّظافة.

وكان الشَّيخُ أبو الحجَّاج الأَقْصُري يُكثرُ زيارته.

وذكر له الشَّيخُ عبد الغفَّار[1] في «الوحيد» عدَّة كراماتٍ وخوارقَ.

ماتَ سنةَ خمسٍ وتسعين وسِتِّ مئة، وقيلَ وسبعِ مئة[2].

* * *

(٤٩٦) جوهر بن عبد الله(**)

كان رأساً في إخلاصه وصدقه، بارعاً في فهمه وخوفه، صاحبَ سُنَّةٍ واتِّباع، ولزومِ سلوكٍ ومُجانبة ابتداع، مُتواضعاً مع أصحابه ومن عداهم، حَريصاً على نفعِ المُريدينَ وتحصيل هداهم.

(*) الطالع السعيد ١٧٧، وسيترجم له المؤلف ثانية في الطبقات الصغرى ٤/ ٢٤٤.

(١) في الأصل: عبد الغافر، والمثبت من الطالع السعيد، انظر ترجمته ٣٢٣ عبد الغفار بن نوح.

(٢) في الطالع السعيد: وكانت وفاتُه سنة خمسٍ وتسعين وخمس مئة.

(**) مرآة الجنان ٤/ ٣٤٧، .روض الرياحين ٢٩٧ (حكاية ٢٤٠)، طبقات الخواص ٤٦، تاريخ ثغر عدن ٧١، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٨٥.

وكان مُقيماً في عدن. وأوَّل أمره أنَّه كان عبداً عتيقاً لبعضِ التجَّار، فكان يتجرَّدُ بحبِّ الصُّوفيَّة والفقراء، ويُكثِرُ مُجالستَهم، فلمَّا احتُضِرَ الشَّيخُ سعدُ الحدَّاد، قال له جماعتُهُ: مَنْ يكونُ بعدَكَ على السجَّادة ؟ فقال: مَنْ يقعُ على رأسه الطَّيرُ الأخضر في اليومِ الثَّالثِ من موتي. فاجتمعَ فيه الفقراءُ، وخَلقٌ كثير، وفيهم جوهر، فأقبلَ الطَّائرُ فوقعَ على جوهر، فقاموا إليه ليُقعدُوه مكانَه، فبكى وقال: أنا عاميٌّ، لا أصلحُ لذلك. قالوا: قد أقامَكَ الحقُّ فيه، وسيتولَّى عنايتكَ. فقال: إن كان ولا بُدَّ فأمهلوني ثلاثاً أسعى في ردِّ حقوقِ النَّاسِ، فأمهلوه. ثمَّ انتصبَ للمشيخةِ، فكانَ جوهراً كاسمه، وظهرَتْ له كراماتٌ، ولاحَ عليه للخيرِ إماراتٌ وعلامات.

ومن أخلاقه الشَّريفة: أنَّه أرسلَ إليه بعضُ النَّاسِ كتاباً يَشتمُهُ فيه، ويَطعنُ عليه، فلمَّا وقفَ عليه قال: صَدَقَ، أنا كما قال. وبكى وأرسلَ إليه هذا البيت:

إذا سُعِـدُوا أصحـابُنـا وشَقينـا   صَبَرْنا على حُكْمِ القَضَا ورَضينا

فلمَّا وصلَهُ الجوابُ ارتحلَ من بلاده إليه، وبكى، واستغفرَ، وصلحَ حالُه.

ولم يزَلْ على حاله حتّى غابَ نجمُهُ في الثَّرى، وسلَكَ الطَّريقَ التي لا يتخلَّفُ عنها أحدٌ من الوَرى.

* * *

حرف الحاء

(٤٩٧) الحسن ابن هود(*)

الحسن بن عليّ بن أمير المؤمنين أبي الحجّاج يوسف بدر الدين المغربي الأندلسي. نزيلُ دمشق المعروفُ بابنِ هُود.

كان فاضلاً قد تفنَّنَ، وزاهداً قد تسنَّنَ، عنده من علوم الأوائل فنون، وله طلبةٌ وتلامذةٌ وأتباعٌ ومُريديون، فيه انجماعٌ عنِ النَّاسِ وانقباض، وانفرادٌ وإعراضٌ عمَّا في هذه الدُّنيا من الأعراض، وكان لفكرته غائباً عن وجوده، ذاهلاً عن بُخله وجُوده، لا يُبالي بمُلكِ ولا يدري أيّة سلك، قد أطرحَ الحشمةَ، وذهلَ عمَّا يُنعّم جسمه، ونسيَ ما كان فيه من النِّعمةِ، يلبسُ قبعَ لبَّاد، يَنزلُ على عينيه، ويُغطِّي به حاجبيه.

ولم يزَلْ على حاله حتى برقَ بصرُه، وألجمَه عيُّه وحصره سنةَ سبع مئة.

وقد ذكره الذَّهبيُّ فقال: الشَّيخُ الزَّاهد الكبير أبو علي ابن هُود المرسي أحدُ الكبار في التَّصوُّفِ على طريقِ الوِحدة[1].

وكان أبوه نائبَ السَّلطنة بها عن الخليفة المتوكّل.

(*) العبر ٥/ ٣٩٧، فوات الوفيات ١/ ٣٤٥، الوافي بالوفيات ١٢/ ١٥٦، طبقات الأولياء ٤٢٨، القلائد الجوهرية ٢/ ٦٢٤، شذرات الذهب ٥/ ٤٤٦. وسيترجم له المؤلف مرة ثانية في طبقاته الصغرى ٤/ ٢٦٧ باسم الحسين بن علي.

(١) قال الذهبي في العبر ٥/ ٣٩٧: وابن هود الشيخ الزاهد حسن بن علي بن يوسف بن هود المرسي الصوفي الاتحادي الضال.

حصلَ له زُهدٌ مُفرطٌ، وفراغٌ عنِ الدُّنيا، فسافرَ وتركَ الحشمة.

وصحِبَ ابنَ سَبعين، واشتغلَ بالطبِّ والحِكمةِ، وقرعَ بابَ الصُّوفيَّة، وخلطَ هذا بهذا.

وكان غارقاً في الفكرِ، عديمَ اللَّذَّةِ، مُتواصلَ الأحزانِ، فيه انقباضٌ.

وكان اليهودُ يشتغلون عليه في كتاب «الدلالة»(١).

ثمَّ قال ـ أعني الذَّهبي ـ: قال شيخُنا عمادُ الدِّين الواسطي: قلتُ له: أُريدُ أن تُسْلِكَني. فقال: من أيِّ الطُّرق: المُوسَويَّة، أو العِيسويَّة، أو المُحمَّديَّة؟.

وكان يوضعُ في يده الجمرُ، فيقبضُ عليه وهو لاهٍ عنه، فإذا أحرقَهُ رجعَ إليه حِسُّه، فيُلقيه.

وقال ابن أبي حجلة: ابنُ هود شيخُ اليهود، عقدوا له العُقود، على ابنة العنقود، فأكلَ معهم وشربَ، ودخلَ في جُحر ضبٍّ خرب، فأتوا إليه واشتغلوا عليه، فانقلبَ أرضهم، وأسلمَ بعضهم.

وكان له في السُّلوك مَسلكٌ عجيب، ومذهبٌ غريب، لا يُبالي بما انتحل، ولا يُفرِّقُ بين المللِ والنِّحَل، فربَّما سلَّكَ المُسلمَ على مذهبِ اليهود، واليهود على ملَّة هُود وعاد وثمود، وربَّما أخذتْهُ سكتةٌ، واعترته بهتَةٌ فيقيم اليومَ واليومين، شاخِصَ العينين، لا يفوه بحرفٍ، ولا يُفرِّقُ بين المَظروفِ والظَّرف.

قال أبو حيّان: رأيتُهُ بمكَّة، وجالستُه، وكان يظهرُ منه الحضورُ مع من يكلّمه، ثم يظهرُ الغيبة، وكان يلبسُ نوعاً من الثِّيابِ لم يُعهد لبس مثله.

وكان يذكرُ: أنَّه يعرفُ من علوم الأوائل.

ومن كلامه:

لمَّا تجلَّى اللهُ لذاته بذاته عن ذاته على ذاته فتجسَّدَ ما تجسَّد، فكانَ الأوَّلُ

---

(١) اسم الكتاب «دلالة الحائرين» لموسى بن ميمون اليهودي. قال ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات ٤/١٧٦: وله كتاب الدلالة في أصول دينهم، وهو جيد إلى الغاية على قواعدهم.

عَرشاً، والثَّاني كرسيًّا، والثَّالثُ سَماءً، والرَّابعُ ناراً، والخامسُ هواءً، والسَّادسُ ماءً، والسَّابعُ أرضاً، وهذه حروفُ الكَون، وتجرَّدَ ما تجرَّد، فكان الأوَّلُ روحاً، والثَّاني عطاءً، والثَّالثُ بصراً، والرَّابعُ سمعاً، والخامسُ شَمًّا، والسَّادسُ ذَوقاً، والسَّابعُ لَمساً، وهذه معاني الكون. وتجرَّدَ ما تجسَّد، فكان الأوَّلُ على العكس مَعدناً، والثَّاني نباتاً، والثَّالثُ حيواناً، والرَّابعُ مَلَكاً، والخامسُ جِنًّا، والسَّادسُ إنساناً، والسَّابعُ سِرًّا، وهذه أسرارُ الكون.

وسُئِلَ أنَّ المصطفى كان عالماً بأنه لا إله إلا الله فما معنى آية ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]؟! فقال: معناه أنتَ تعلمُ بعلمِكَ المُقيَّدِ البَشري أنَّه لا إله إلاَّ الله، فاعلَمْ بعلمي المُطلق الإلهي الموجودُ الحقُّ، الجامعُ لصفاتِ الإلهيَّة المنعوتُ بنعوتِ الرُّبوبيَّة، المُنفردُ بالوجودِ الحقيقي.

وله شعرٌ كثير، وكلامٌ يَسير.

ماتَ سنةَ تسعٍ وتسعين وستٍّ مئة، ودُفِنَ بقاسيون، وكان مولِدُه سنةَ ثلاثٍ وثلاثين وسِتٍّ مئة بمرسية.

وكان والدُه متولِّياً نيابةً عن أخيه أميرِ المؤمنين المتوكِّل محمد بن يوسف بن هُود صاحبِ الأندلس، فلمَّا نشأَ هذا خلعَ زيَّ الحِشمةِ، ولبِسَ الصُّوفَ، وجعلَ على رأسه قبعَ صوفٍ عَسَلي، وتركَ بلادَهُ، وهاجرَ إلى دمشقَ فقطنَها حتّى مات.

* * *

(٤٩٨) الحسن بن الشيخ عبد الرحيم القِنائي(*)

من أكابرِ الصُّوفيَّةِ الفقهاء العلماء، ومن أربابِ الأحوالِ والكرامات.

حُكِيَ عنه في «الوَحيد» خوارِقُ عظيمة.

(*) الطالع السعيد ٢٠٣، طبقات الأولياء ٤٤٥، حسن المحاضرة ١/ ٢٤٥. وسيترجم له المؤلف في طبقاته الصغرى ٤/ ٢٦٣.

وله نظمٌ جيِّد، وأتباعٌ، وفقراء.

ماتَ سنةَ خمسٍ وخمسين وستِّ مئة، ودُفِنَ عندَ أبيه بقِنا.

* * *

(٤٩٩) علي بن الحسن الحَريري(*)

مقدَّمُ الطَّائفة الحريريَّة، صالحٌ يُهتدى بضيائه، ويُقتدى به وبإبائه، محمودُ السُّمعة، مُباركُ الطَّلعة، حَسنُ الأخلاق، كثيرُ السُّكونِ والإطراق، محترمٌ مُهاب، سالِكٌ طريقَ الصَّواب، كثيرُ العزلة، قلَّما يختلطُ بالنَّاس، نافرٌ عن مواطنِ الشَّكِّ والإلباس، مُنقطعٌ إلى تربةِ جدِّه بقريةِ بُسْر(١)، مُجتمعٌ بالحمدِ والشُّكر، في حالتي العُسرِ واليُسر.

شيخُ الطَّريقةِ وزعيمُهم، وساقيهم ونَديمُهم، حَسَنُ الخُلق، مَحبوباً إلى الخَلْق، له مكانةٌ عند الأكابر، وحرمةٌ عند أُولي السُّيوفِ والمحابر.

قد أتى بعجائبَ وكرامات، وظهرَ بأحوالٍ فيها للعقلِ غرامات.

وأصلُهُ من قرية بُسْر بحوران، أقامَ بدمشقَ مُدَّةً يعملُ صنعةَ الحرير، ثمَّ تركَ ذلك، وأقبلَ يعملُ الفقيري على الشَّيخِ المُغربل تلميذِ الشَّيخ رسلان الجَعْبَريّ التركماني، فاتَّبعَهُ طائفةٌ.

وأنشأَ زاويةً بدمشق، وأقبلَ عليه النَّاسُ.

وأنكرَ عليه ابنُ عبد السَّلام، وابنُ الصَّلاح، وابنُ الحاجب، وتكلَّموا فيه

(*) ذيل الروضتين ١٨٠، الحوادث الجامعة ٢٣٥، سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٢٤، العبر ٥/ ١٨٥، فوات الوفيات ٣/ ٦، مرآة الجنان ٤/ ١١٢، البداية والنهاية ١٣/ ١٧٣، النجوم الزاهرة ٦/ ٣٥٩، و ٣٦٠، شذرات الذهب ٥/ ٢٣١، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٧٤.

وفي الأصل الحسن بن علي خطأ، والمثبت من مصادر ترجمته، وسيترجم له المؤلف ثانية في هذه الطبقة صفحة ٤٦١.

(١) بسْر: اسم قرية من أعمال حوران. معجم البلدان ١/ ٤٢٠.

حتّى حُبِسَ بقلعة غرنا[1] مدَّة سنين، ثمّ أُطلِقَ، فخرجَ إلى بلدةِ بُسْر، فأقامَ بها طريقهم بالدُّفِّ والشَّبَّابة والرَّقصِ على العادة.

وقد نسبَهُ أهلُ الظَّاهر إلى عظائمَ، ورَموهُ بعدَّةِ قبائح[2].

وحكوا عنه: أنَّه قال لأصحابه: بايعوني على أنْ نموتَ يَهوداً، ونُحشَرَ إلى النَّار، حتّى لا يصحبَني أحدٌ لعلَّةٍ.

وسألَهُ رجلٌ: أيُّ الطُّرقِ أقرَبُ إلى اللهِ حتّى أسيرَ فيه؟ قال له: اتركِ السَّيرَ، وقد وصلتَ.

ومن كلامه:

معنى الحريَّة أنْ لا تملكَ شيئاً، ولا يملِكُكَ شيءٌ دونَ الله.

وقال وقد ذُكِرَ عندَهُ تصرُّفُ بعضِ الفقراءِ في الكون: الفقيرُ لا يخلو أن يكون مُمسكاً أو مُبذلاً، فإنْ كان مُمسكاً فليقدِّرْ أنَّ الكونَ مُلكه، وهو مُمسكٌ له، وإن كان مُبذلاً يُقدِّر أنَّه مُلكه وخرجَ عنه.

وقال: لي خاطِرٌ ما كَذبَ قطُّ، وما عملتُ قطُّ على تصديقه.

وقال: استولى عليَّ سُلطان الذِّكْرِ مرَّةً في بدايتي حتّى شغلَني عن مصالحي، وكان ذِكري: الله الله، فكنتُ أسمعُ جميعَ أعضائي تَذكرُ معي، وأقمتُ كذلك نحوِ شهرين لا أفترُ، فجفَّ لِساني ليلةً، ولم يبق لي حركةٌ سوى إنِّي أسمعُ ذِكْرَ أعضائي بسمعي، فانشقَّ الجِدارُ، وظهرَ منه نورٌ على صُورةِ الكوكبِ الدُّريِّ، فدخلَ في فمي بعد أن أضاءَ منه البيت، فوجدتُ له حلاوةً وبَرداً في جميع أعضائي، حتّى عمَّ كلَّ منبت شعري، فأقمتُ مدَّةً لا أحتاجُ إلى مأكولٍ، ولولا أنَّ خُدَّامَ البيمارستان بعد ما سُجنتُ عندهم ألجؤوني إلى الغذاءِ بالضَّرب ما احتجتُ بقيَّةَ عُمري إليه.

ولم يزل على حاله حتّى أُدرجَ الحريريُّ في قطنِ أكفانه، وأصبحَ والتُّرابُ

---

(١) كذا في الأصول، وفي الوافي بالوفيات ٣/ ٩، وتاريخ ابن كثير قلعة عزتا. ولعلها قلعة عرنة، مدينة جنوب دمشق، على سفح جبل الشيخ.

(٢) أجمعت المصادر على هذا خلا كتابنا والنبهاني في جامع كراماته.

مِلء أجفانه سنةَ خمسٍ وأربعين وستٍّ مئة بغيرِ مرضٍ، وقد بلغَ سبعاً وتسعين سنة.

وعنه أخذَ: ابنُ إسرائيل، وغيرُه.

وذُكِرَ أنَّه قُبِضَ جالساً مُستقبلَ القبلةِ ضاحكاً.

* * *

(٥٠٠) حسن الكردي(*)

شيخٌ صالحٌ زاهد، راقٍ في معارجِ المعارف صاعد، له حالٌ وكشف، وكوكبُ هُدًى تنزَّه عن الكسف، يقصدُهُ النَّاسُ بالزِّيارة، وتُومىء إليه الأصابعُ بالإشارة.

كان مُقيماً بظاهر دمشق، مُنجمعاً عنِ الأنام[1]، وقد أَلِفَ الخلوةَ وتعبَّدَ والنَّاسُ نِيام.

له حاكورةٌ يَزرعُ فيها الخضر، ويرتفق به، ويُطعمُ مَنْ حضر.

أقامَ على هذه الحالة سنين، واستراحَ من هموم الزَّوجةِ والبَنين.

ولم يزَلْ على حاله إلى أن أخَذَ من شَعْره واغتسل، وصلَّى ركعتين، وراحَ إلى ربِّه وانتقل سنة سبع مئة.

* * *

(٥٠١) الحسين بن علي بن عمر الحمْيَريُّ(**)

كان فقيهاً عارفاً، درَّس باليمن زماناً، وكان على ما يعانيه من ذلك مُعاناً، ثمّ غلبَ عليه النُّسكُ والتعبُّد، وصارَ يعِظُ النَّاسَ بعبارةٍ كأنَّها السُّكَّرُ المُذاب، أو

(*) البداية والنهاية ١٤/ ١٧.

(١) في (ب): عن الإمام.

(**) طبقات الخواص ٤٨، العقود اللؤلؤية ٢/ ٢٢١، جامع كرامات الأولياء ١/ ٤٠٣.

رشفُ الثَّنايا العِذاب، تَدخلُ الأُذنَ بلا إذنٍ لفصاحتها، ويَرشفُها الذِّهنُ لوقعها في القلوب ونصاعتها، لم يرَ النَّاسُ أفصحَ من عبارته، ولا أملحَ من إشارته.

وكان أيَّامَ تفقُّهه ترتَّبَ في بعض الدُّروس، فاتَّفقَ أنَّه باعَ شيئاً من مكيلته بدراهم، وصرَّها في ثوبه، ثمّ أراد أخذَ شيءٍ منها، ففتحَها فوجدَها كلَّها عقاربَ، ففزِعَ وطرحها، ولم يرجعْ للمدرسة.

وكان يقرأُ القرآنَ عند قبرِ والده، فإذا غلطَ ردَّ عليه من القبر.

ماتَ سنةَ ثمانين وستِّ مئة.

* * *

(٥٠٢) حمَّاد الدَّبَّاس(*)

حمّاد بن مسلم الدبَّاس البغدادي، كان من أحسنِ المشايخِ[١] سيرةً وصورة، كانت صفاتُ الخيرِ فيه محصورة، والمحاسنُ على ذاته موقوفة مقصورة، وكان له قدمٌ في الطريق راسخٌ وافر، وعزمٌ في التسليكِ مُتظافر، وتربية عقباها إلى النجاة والنجاح سافر، عظيم الهيبة على جماعته، ذا عَوْدٍ[٢] يتطوَّرُ لهم طوراً بعد طور.

أخذَ عن الجيلاني.

وعنه كثيرون، وانتهَتْ إليه رياسةُ الطَّريقِ، وتربيةُ المُريدين ببغداد وما حولَها.

(*) المنتظم ١٠/ ٢٢، الكامل ١٠/ ٦٧١، مرآة الزمان ٨/ ١٣٨، ٢٦٤، العبر ٤/ ٦٤، مرآة الجنان ٣/ ٢٤٢، الوافي بالوفيات ١٣/ ١٥٢، طبقات الشعراني ١/ ١٣٥، كتاب زيارت الشام ١١، كتاب الزيارات ٧٧، شذرات الذهب ٤/ ٧٣، جامع كرامات الأولياء ١/ ٤٠٩. وقد أجمعت المصادر على وفاته سنة ٥٢٥ فهو من رجال الطبقة السادسة. وسيترجم له المؤلف في طبقاته الصغرى ٤/ ٢٧٠.

(١) في (ب): أحسن الناس.

(٢) في (ب) والمطبوع: ذا غور.

ومن كلامه:

القلوبُ ثلاثةٌ: قَلبٌ يَطوفُ بالدُّنيا، وقلبٌ يَطوفُ بالآخرة، وقَلبٌ يَطوفُ بالله لا فيه؛ لأنَّ مَنْ طافَ فيه تزندَقَ.

وقال: أقرَبُ الطُّرقِ إلى اللهِ حُبُّه، ولا يصفو حُبُّه حتّى يَصيرَ المُحبُّ روحاً بلا نفسٍ، فإنَّ مَنْ له نفسٌ لم يذقْ من محبَّةِ اللهِ شيئاً.

وقال: إنْ وعدَكَ الحقُّ بشيءٍ فتوكَّل، وإن قَدَّرَ عليكَ بشيءٍ فاستسلم، وإن قال لك: اختَرْ، فقُلْ: فَوَّضْتُ أمري إليك، وإن قال: اطلُبْ. فقل: آمنتُ بالله وصدَّقْتُ. وإن قال: اعبُدني، فقل: وفِّقني. وإن قال: وحِّدني. فقل: اجذبني.

* * *

حرف الخاء

(٥٠٣) خليل الكردي[*]

خليل الكردي الأُمِّي، تحوَّل من بلده إلى نِشيل[١] فاستوطنَها، عارفٌ عَرْفُ أنبائه سما، وإمامٌ قدرُهُ جَلَّ وعلا.

كان إذا توجَّه لزيارةٍ ركِبَ عمامته، فتوجَّه مرَّةً لزيارة المُرسي ـ وهو بالأُشْمُون ـ[٢] فلمَّا أرادَ الانصراف من عنده استأذنَهُ وتركَ عمامتَهُ أدباً معه، وركبَ طاقيته عوضها، فحملته وسارت به لبلده، فتعجَّبَ الفقراءُ من ذلك. قال العارفُ المُرسي: لا تعجبوا، فإنَّ اللهَ أعطاه ركوبَها وعمرُه سبع سنين.

ومن كراماته:

أنَّ أمير نِشيل اشترى جاريةً وهمَّ بالبناءِ بها، فأرسلَ إليه: هي أُختُكَ. فبانَ الأمرُ كما قال.

ومنها: أنَّه بينما هو جالسٌ مع صحبه إذ جاءت حمامةٌ، فألقَتْ كتاباً على الشَّيخِ من إحدى جناحيها، فقرأه بعضُ صَحْبه، فإذا فيه: قد ماتَ بجبالِ

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي، وسيترجم له المؤلف ثانية في الطبقات الصغرى ٤/ ٢٨١. وهذه الترجمة ليست في (أ) ولا في (ف).

(١) نشيل: قرية قديمة اسمها الأصلي نشين القناطر، من أعمال الغربية في طنطا، والظاهر أنه كان عندها قناطر لحجز الماء على الترعة المارة بجوارها فنسب إليها. قاموس رمزي ٢/ ٢/ ١٠٩.

(٢) الأشمون قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل. معجم البلدان ١/ ٢٠٠.

الزَّيتونِ بالمغربِ بعضُ الفقراء، فتحضر لولايةِ غيرِه في هذه السَّاعة، فقال له الذي قرأه: يا سيِّدي أَبلعُهُ ؟ فبلعه، فرأى ما بين المشرق والمغرب واللَّوحَ والكُرسيَّ، فمسحَ الشَّيخُ صدرَهُ بيده، فحُجِبَ عن ذلك وقال: خَشيتُ عليكَ من الجنون.

ماتَ بنشيل القناطر ودُفن بزاويةٍ عُمِّرَتْ له.

* * *

حرف الدال

(٥٠٤) داود الأعزب(*)

صوفيٌّ بحرُه طامي، ونورُ حاله لا يُدركه مُقدَّمٌ ولا تالي، بَشَّرَ به قبلَ وجوده أبو الحجَّاج الأقْصُري، وقال: ليظهرنَّ داود الأعزب، يكون قطبَ الأرض، والقائمَ بالوقت.

ولمّا قدِمَ مصرَ اجتمعَ به الجَعْبَريُّ(١)، فسُئِلَ عنه فقال: ما أقولُ في سَبُعٍ من لم يلزمْ معه الأدبَ يفترسُه ! دخلتُ عليه فنسيتُ ما معي من العلوم.

ومن كلامه:

كرامةُ الوليِّ أن لا تُعْرَضَ أصحابُهُ على النَّارِ إلاَّ تحلَّةَ القسمِ ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١].

وقال: إذا قامَ الوليُّ من قبرِهِ أتتهُ خِلَعُ الرِّضا، ونُشِرَ قُدَّامه لواءٌ يملأُ ما بين المَشرقَين، ونادى جاويشُهُ بين يديه للمحشر.

وقال: إذا رأيتُم جاهَ الرَّجلِ قائماً بعد وفاته فاستدلُّوا به على نفعِه في الآخرة، وإن نقصَ فهو كمن تولَّى ضيعةً(٢) حَكَمَ بها، فلمَّا انصرفَ صارَ من جُملةِ الرَّعيَّةِ.

(*) الكواكب السائرة ١٨٦، تحفة الأحباب ٣٢، جامع كرامات الأولياء ٢/٦. والترجمة ليست في (أ).

(١) تقدمت ترجمته صفحة ٣٣١ من هذا الجزء.

(٢) في المطبوع تحرفت إلى: فهو سمعةٌ تولى صيغة.

ومن كراماته:

أنَّه استضافه إنسانٌ، فذبَحَ له رأسَ غنمٍ، وجاءَ له به، فقال: ارفَعْهُ. فتبيَّنَ أنَّ غنمَهُ اختلطتْ بغيرها[1]، فكانَ المذبوحُ من ذلك الغير.

ومنها: أنَّه استضافَتْهُ امرأةٌ، فنامَ على دكَّةٍ في بيتها، فنبعَ الماءُ من إحدى قوائمها حتّى صارَ كبركةِ ماء.

ومنها: أنَّه صنعَ له إنسانٌ طعاماً، وذبحَ له شاةً، فعلمَ والدُهُ، فحنقَ من ذلك، فلمّا جيء له، قال لأصحابه: اجمعوا العظمَ، ولا تكسِروا منه شيئاً. فلم يشعروا به إلاَّ وهي ترعى مع الغنم.

ووقعَ أنَّ بِكراً افتضَّت كرهاً، فزوَّجها أبوها، فعظُمَ على أمِّها ظهوره للزَّوج، فذهبت بها إلى الشَّيخِ، فلمَّا نظرَها، أسقطتْ ما في بطنها، وعادت عذراء كما كانت.

وجاءته امرأةٌ بولدٍ قد تعوَّجت يداه ورجلاه، وقالت: إنَّ والده يُنكرُه؛ لما نالَهُ ممّا ترى، فأحضرَ والده، وقال: إنْ برئَ من ذلك تستلحقُه؟ قال: نعم. فوضعَ يدَهُ على ذلك، فقامَ صحيحاً سليماً.

وقال: علامةُ المُريدِ الطَّيرانُ في الهواءِ، والمَشيُ على الماء، والإنفاقُ من الغيبِ، وكونُ الدُّنيا بين يديه كالقصعةِ يتصرَّفُ فيها كيفَ يشاءُ، ويرى ظاهرَها من باطنِها كالقِنديل.

قال: مددتُ رجلي يوماً فنُوديتُ: مَنْ يُجالس الملوكَ لا يُسيءُ الأدبَ.

وواقعَ ابنُ الحبشيَّةِ جاريةً له سوداء، فأتت ببنتٍ. فقال: إنْ قلتِ إنَّها منِّي قتلتُكِ. ودخلَ على الشَّيخِ، فقال: أرى بالبابِ جاريةً تشكو منكَ، اخترْ إمَّا الصَّلبَ وإمَّا الضربَ، فخرجَ من عنده لبيته، فضربَهُ أميرُ البلدِ كما قال.

* * *

---

(١) في المطبوع: فقال: أرنيه، فتيقن أن غنمه اختلطت بغيرها.

(٥٠٥) داود بن ماخلا السَّكندريُّ(*)

الأُمّي[١] المحمَّدي، عارفٌ فاحَ عَرْفُ أنبائه، وجليلٌ سما قَدرُ عليائه، يتكلَّمُ على طريقِ القوم، وفي بحرهم يُجيدُ السَّبحَ والعَوم، شيخُ الطَّريق في عصره، وانتهت إليه تربيةُ المُريدين بالنَّظر.

ومن الآخذين عنه: العارفُ محمد وفا[٢].

وأُعطي مقاماً عالياً في كشف البواطن.

وكان شرطيًّا ببيتِ والي إسكندريَّة، ويَجلسُ تجاه الوالي، فإذا أُتيَ بمتهومٍ فإن قبضَ لحيتَهُ وجذبَها إلى فوق فهو بريء، أو إلى صدرِهِ فلا[٣].

وله كلامٌ عالٍ فمنه ما قاله: كلَّما زادَ عِلمُ العبدِ زادَ افتقارُهُ، وعزَّ مطلبُهُ.

وقال: عالِمُ الظَّاهرِ كلَّما اتَّسعَ علمه اشتهر، وعالِمُ الباطن كلَّما اتَّسعَ علمُه خَفي.

وقال: لا تكُنْ هِمَّتُكَ من العبادةِ الثَّواب.

وقال: حاشا قلبُ العارفِ أن يُخبرَ عن غيرِ يقين.

(*) طبقات الأولياء ٥١٧، الدرر الكامنة ٢/ ١٠٠، بغية الوعاة ٢٤٦، طبقات الشعراني ١/ ٨٨، كشف الظنون ١/ ٤٨١، ٦٦١، ٨٩٠، نيل الابتهاج ١١٦، طبقات الشاذلية ١١١، روضات الجنات ٢٧٦، ٢٧٧، إيضاح المكنون ١/ ٥٥٧، ٥٦٩، و ٢/ ١٣٣، هدية العارفين ١/ ٣٦٠، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٨، شجرة النور الزكية ٢٠٤، معجم المؤلفين / ١٤٠.

وقد أجمعت المصادر على وفاته في القرن الثامن مع اختلاف بتحديد سنة الوفاة ٧١٥ أو ٧٣٢، فهو من رجال الطبقة الثامنة، واسمه داوٰد بن عمر بن إبراهيم ، وفي الأصول ابن باخلا، والمثبت من مصادر ترجمته.

(١) قال الشعراني: كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب. انظر مؤلفاته في كشف الظنون وإيضاح المكنون.

(٢) انظر ترجمته ومصادرها ٣/ ٩٧.

(٣) في (أ): فهو غير بريء.

قال: ربَّما كتبَ قلمُ مدد شيخكَ في قلبكَ شيئاً لم تفهَمْهُ إلاَّ بعد أزمانٍ[1]، فاحتفظ به.

وقال: إقبالُ القلبِ على الله خيرٌ من ملءِ الأرضِ عبادةً مع الإدبارِ عنه.

وقال: الذَّنبُ الأعظمُ الاعتمادُ على غير الله.

وقال: شهودُ الغافلِ سمٌّ قاتل.

وقال: الإنسانُ إن كان فارغاً من أعمالِ الدَّارين فهو كالجماد، أو مشغولاً بالمعصية دون الطَّاعة فكالشَّيطان، أو بالدُّنيا لا الآخرة فكالحيوان، أو بالله فكالملائكة، فانظُرْ درجةَ مَنْ تُريدُ اللُّحوقَ به.

وقال: مَنْ تكلَّفَ خلوصَ[2] عمله من الشَّوائب فقد تكلَّفَ شططاً، ومَنِ اعتمدَ على فضلِ الله ِحازَ الخيرَ بكلتا يديه.

وقال: ما من وقتٍ إلاَّ وله مددٌ جديدٌ يتلقَّاه كبراءُ الوقتِ في اللَّيلِ والنَّهار. والخلقُ غافلونَ كالبهائمِ، وإلى ذلك أشارَ خبر: «إنَّ لربِّكم في دهركُم نفحاتٍ»[3].

وقال: مَنْ أبدى من أسرارِ الله ما لا يليقُ، أو أفشى من العلمِ المكنونِ ما لا يُناسبُ عُوقِبَ بسُوءِ الظَّنِّ فيه.

---

(١) في (أ): أنات.
(٢) في (ب): خلوَّ.
(٣) روى الطبراني في الأوسط ٣/٤٠٨، و٧/١٣٥، وفي الكبير ١٩/٢٣٤ عن محمد بن مسلمة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لربكم من أيام دهركم نفحات فتعرّضوا لها، لعلّ أحدكم أن يصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبداً». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٢٣١: رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفهم، ومن عرفتهم وثقوا. وذكره الغزالي في الإحياء ١/١٨٦، و٣/٩، قال الحافظ العراقي: أخرجه الحكيم في النوادر، والطبراني. . ، ولابن عبد البر في «التمهيد» نحوه من كلام أنس، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الفرج» من كلام أبي هريرة، واختلف في إسناده.

وقال: على قدرِ ارتقاءِ[1] همَّتك في نيَّتكَ يكونُ ارتقاءُ درجتِكَ عند عالم سريرتك.

وقال: للوليِّ نُوران: نورُ عطفٍ ورحمةٍ يَجذبُ به أهلَ العناية، ونورُ قبضٍ وبُعْدٍ يدفعُ به أهلَ الغواية؛ لأنَّه بين دائرتي فضلٍ وعدلٍ، فإذا أقيمَ بالفضلِ ظهر فجذبَ فنفع[2]، أو بالعدلِ حجبَ فخفي فدفع، ولذلك أقبلَ عليه بعضٌ، وأدبرَ بعض.

وقال: من أعظمِ المواهبِ بعد الإيمانِ بالله وملائكته وكُتبه ورُسله، الإيمانُ بنورِ الولايةِ في خَلقه، سواءٌ ظهرَتْ في ذاتِ العبدِ أو غيره.

وقال: مَنْ صحَّتْ نسبتُه من رجلٍ كبيرٍ أحاطَ نورُه بسرِّه، فلا يدخلُ حضرةً من حضراتِ القُربِ إلاَّ وهو معه.

وقال: إذا نطقَ المحجوبُ بغرائبِ العلومِ، وعجائبِ الفهومِ، فلا يُستغرَبُ ذلك؛ فإنَّ مدَدَ الغيوبِ فَيَّاض.

وقال: إقبالُ القلبِ مع لا إله إلاَّ الله خَيرٌ من ملء الأرضِ عملاً مع الإعراضِ عنِ الله[3].

وقال: إقبالُ العبدِ[4] على الله حسنةٌ يُرجى ألاَّ يضرَّ معها ذنبٌ، وإعراضُهُ عنه سيِّئةٌ لا يكادُ ينفعُ معها حسنة.

وقال: إذا أكرمَ اللهُ عبداً طوى عنه شهودَ خصوصيَّته، وأقامَهُ في تحقيقِ عبوديَّته.

وقال: كلَّما قويتِ الظُّلمةُ في قلوبِ الخلقِ، نطقَتْ ألسنُ العارفينَ بصرائحِ الحقائقِ؛ لأمنها من ملاحظةِ النظَّار.

وقال: إن سكنتَ إلى ما نلتَ، فما نلتَ؛ لأنَّ العطاءَ يُحرِّكُ الأشواقَ إلى

---

(١) في (ب): ارتفاع.

(٢) في (ف): فيقع. وانظر طبقات الشعراني ١/١٨٨، ١٨٩.

(٣) تقدم هذا القول قبل قليل.

(٤) في (أ): إقبال القلب.

لقاءِ المُعطي، وإنْ نلتَ فهيّجكَ العطاءُ إلى المُعطي، فتلك بشارةٌ على وجودِ العطاء، ومن ثمَّ قالوا: ليس لله على كافرٍ نعمةٌ، إنَّما هي عليه[1] نقمة.

قال: من أعجبِ العجبِ مُحبٌّ وقفَ بغيرِ بابِ حبيبه.

وقال: ألحَّ على الكرامِ في السُّؤالِ وإن لم تكن أهلاً للعطاء؛ فإنَّ لهم أخلاقاً جميلة.

وقال: ما ذلَّ قطُّ قلبٌ لبارئه إلاَّ أفاده نوراً وخيراً.

وقال: ما وقفت همَّةُ مُريدٍ في سيرها إلى الله عند كونٍ قطُّ، إلاَّ ناداه مُنادي التَّحقيق: أنتَ وجود ما أنتَ واقف معه.

وقال: لا تجعَلْ مُستندَ إيمانكَ نتائجَ الفكرةِ البشريَّة، بل فرَّ من اللهِ إليه، واستعِذْ به منه، واطلُبْ ذلك من مدده.

وقال: ليسَ الرَّجلُ مَنْ يصفُ لك دواءً فتستعملُه، بل من داواكَ في حضرته.

وقال: لا تبغْ ذرَّةً من المحبَّةِ لله أو فيه بقناطيرَ من الأعمال. قال المصطفى: «المرءُ مع مَنْ أحبَّ»[2].

وقال: إذا أمركَ آمرُ العلمِ وزجرَكَ زاجرُه فائتمر لأمره، وقِفْ عند زجره، وإنْ كان مقامُكَ أعلى؛ أدباً مع الله، ووفاءً بحقِّ حكمته.

وقال: إنَّما ثبتَ البشرُ لسُلطان نورِ التَّجلِّي، وتدكْدَكَ الجبلُ[3] لأنَّ طينةَ البشرِ عُجنت من أصلٍ أصيلٍ، بخلاف الجبل.

وقال: لا يلزمُ من ذكرِ أوصافِ المعاملة الاتِّصافُ بها، لكنَّها من المُتَّصف بها أنفعُ لسامعها، فإنَّ غيرَهُ قصدُهُ مَدخول، ونَشرُ علمه مَعلول.

ذكرَه كلَّه في كتابه «عيون الحقائق».

---

(١) في (أ): إنما هي عليه.
(٢) تقدم تخريجه ١ / ٢٥٧.
(٣) إشارة لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

حرف الراء

(٥٠٦) رسلان الدمشقي(*)

من أكابرِ مشايخ الشام المجمع على جلالتهم، ومن جلَّة[1] أهل التصريف.

وله أحوالٌ معروفة، ومُكاشفاتٌ مشهورة، منها ما حكاه شيخُ الإسلام تقي الدِّين السُّبكي: أنَّه حضرَ سماعاً فيه رسلان، فأنشدَ القوَّالُ، فصارَ الشَّيخُ يثبُ في الهواء، ويدورُ فيه، ثم ينزلُ، فعلَ ذلك مراراً، ثمَّ لمَّا استقرَّ بالأرض استندَ إلى شجرةٍ يابسةٍ فاخضرَّ ورقُها للوقتِ وأثمرت.

وكان يقولُ: لا تأكلُ النَّارُ لحماً، دَخَلَ زاويتي، فدخلَ رجلٌ للصَّلاةِ بها ومعه لحمٌ نيء، فطبخه فلم ينضُجْ.

(*) سير أعلام النبلاء ٢٠/٣٧٩، العبر ٤/١٤٥، الوافي بالوفيات ٨/٣٤٥، قلائد الجواهر ٩٧، طبقات الشعراني ١/١٥٣، كتاب زيارات الشام ١٨، كتاب الزيارات ٤٩، كشف الظنون ١/٨٥٦، ٨٦٧، شذرات الذهب ٤/١٦٠، هدية العارفين ١/٣٦٧، منتخبات التواريخ ٤٧٣، جامع كرامات الأولياء ٢/١٢.

وقد أجمعت المصادر على وفاته في القرن السادس، قال الذهبي في السير: مات في حدود سنة خمسين وخمس مئة أو بعد ذلك، وقال الصفدي في الوافي بالوفيات: مات الشيخ رسلان سنة ستين وخمس مئة.

أما ما ذكره ابن العماد في الشذرات من أن وفاته سنة ٦٩٩ هـ فالذي أوقعه في هذا هو المناوي نفسه، فقد ذكر في آخر الترجمة أن وفاته قبل السبع مئة ومن المناوي نقل ترجمة الشيخ، وكذا وقع بنفس هذا الوهم الزركلي في الأعلام فقد ذكر أن وفاته ٦٩٩ هـ.

(١) في (ب): المجمع على جلالته، من أجلة.

ومن كلامه: قلبُ العارفِ لوحٌ منقوشٌ بأسرارِ الموجوداتِ، فهو يُدركُ حقائقَ تلك السُّطور، ولا تتحرَّكُ ذرَّةٌ حتّى يُعلمَهُ اللهُ بها.

وقال: الحِدَّةُ مأوى كلِّ شَرٍّ، والغضبُ يحوجُ إلى ذُلِّ الاعتذار.

وقال: مكارمُ الأخلاقِ العفو عند القُدرة، والتَّواضعُ عند الرِّفعة، والعطاءُ بغير مِنَّةٍ.

وقال: سببُ الغضبِ هجومُ ما تكرهُ النَّفسُ عليها ممَّن فوقَها، فتحدثُ السَّطوة والانتقام.

ماتَ بدمشق ودُفِنَ بها قبل السَّبعِ مئة[1].

* * *

(٥٠٧) رفاعة بن أحمد القِنائي[*]

رفاعة بن أحمد بن رفاعة القِنائيُّ الجُذامي، من أصحابِ الشَّيخ أبي الحسن ابن الصبَّاغ.

كان مشهوراً بالصَّلاح، ولزومِ طُرقِ النَّجاح، ذُكِرَ مع أربابِ المقامات، نُقِلتْ عنه غرائبُ كرامات.

قال في «الوحيد»: حكى لي الشَّيخُ أبو[2] الطَّاهر: أنَّ الشَّيخَ أبا[3] الحسن بن الصبَّاغ تحدَّثَ مع والي قُوص أنْ يعزلَ والي قِنا فامتنعَ، وكان رفاعةُ هذا حاضراً، فقال: يا سيِّدي، أقول؟ فقال: لا. ثمَّ خرجَ، وكان توجَّه إلى

---

(١) انظر ما ذكر في مصادر ترجمته آنفاً.

(*) الطالع السعيد ٢٤٥، الوافي بالوفيات ١٤/ ١٣٧، طبقات الأولياء ٤٣٢، حسن المحاضرة ٢٧١، وهذه الترجمة ليست في (أ) ولا في (ف)، وهو في الطبقات الصغرى ٤/ ٢٩٢.

(٢) في الأصل أبي،والمثبت من الطالع السعيد وهو أبو الطاهر إسماعيل بن إبراهيم بن جعفر.

(٣) في الأصل: أبي.

الوالي بذلك السَّبب، فلمَّا اجتمعَ الفُقراءُ بعد خُروجِهِ قالوا لرفاعة: ما كنتَ تُريدُ تقول؟ قال: الوالي لمَّا ردَّ كلامَ الشَّيخِ عُزِلَ في ساعته، فكان كذلك.

ماتَ في القرنِ السَّابع، ودُفنَ بالأعمال القوصيَّة.

* * *

(٥٠٨) ريحان بن عبد الله العدني(*)

العبدُ الحبشي، الوليُّ الكبير، كان متيَّماً عاشقاً، شربَ كأسَ الحُبِّ(١) دهاقاً، لا يزالُ يهيمُ من المحبَّةِ في كلِّ وادٍ، ولا يصدُّهُ عن ذلك أحدٌ من العوّاد.

وله كراماتٌ خارقة، وأحوالٌ صادقة، وكانت طريقتُه التخريب، يُظهِرُ الوَلَه، وربَّما كشفَ عورتَه.

ومن كراماته:

ما حكاه اليافعي عن بعضِ الثِّقات: أنَّه جرَّه من الطَّريق، وارتفعَ به في الهواء ارتفاعاً كثيراً، فبكى وقال: رُدَّني. فردَّه للأرضِ. وقال: أردتُ أفرِّجَكَ فأبَيْتَ.

ومنها: أنَّ بعضَ أهلِ عدن رآه يفعلُ بعضَ المُنكرات، فأنكرَ عليه، وقال: هذا الذي يدّعي الصَّلاح، يُقدمُ على هذا؟! فاحترقَ بيتُهُ بالنَّارِ تلك الليلة.

سقطَ من أصلِ جبلٍ فانكسرَ رأسُهُ، فماتَ قبل السبع مئة.

* * *

(*) روض الرياحين ٤٨٣ (حكاية ٤٤٤)، وصفحة ٥٦٠، طبقات الخواص ٥١، ٥٢، تاريخ ثغر عدن ١١٠، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٤.

(١) في (أ): يشربُ كأسَ المحب.

حرف الزاي

(٥٠٩) زهير بن هرماس الأُدْفُويُّ(*)

كان فاضلاً عارفاً، له خوارقُ منها:

أنَّه كان هو وأصحابُه في مكانٍ، ومقابلُهم جزيرةٌ بأُدْفُو فيها مغنيةٌ تغنّي في عرسٍ، فقال أصحابُه: نشتهي لو كانت عندنا، فاعتزلَ عنهم لحظةً لطيفةً، وإذا بالمُغنّيةِ جالسةً عندَهم، وبيدها الدُّفُّ تُغنّي، ثمّ سارتْ على البحر.

ماتَ في هذا القرن(١).

* * *

(*) الطالع السعيد ٢٥١، طبقات الأولياء ٤٣٤. وسيذكر المؤلف ترجمته في الطبقات الصغرى ٤/٣٠٠، وهذه الترجمة ليست في (أ) ولا في (ف)، اختلف في رسم اسم أبيه فقد أثبت صاحب الطالع السعيد: هوماس، وقال محقق الكتاب: في (أ): هرمان. وفي (ج) و (ز): هرماس، وأثبت صاحب طبقات الأولياء هرماس، وذكر في الحاشية أنه في نسخة هرماعض. وهو من رجال الطبقة السادسة، انظر الحاشية التالية.

(١) كذا في الأصول، وهو في طبقات الصغرى صفحة (٣٠٠): مات في القرن السادس وكذلك هو في الطالع السعيد، وطبقات الأولياء.

حرف السين المهملة

(٥١٠) سالم بن محمد العامري(*)

سالم بن محمد بن سالم العامريُّ اليَمني، كان رَفيعَ المجدِ، عالي القدرِ، كثيرَ التَّواضع، سليمَ الصَّدرِ.

أثنى الأكابرُ على فضله ولُطفه، وجَنى المُريدون ثمارَ الإحسانِ من تربيته وعطفه. وكان شريفَ النَّفسِ، عاليَ الهِمَّةِ، صاحبَ كراماتٍ وإفاداتٍ منها:

أنَّه ذكرَ أنَّ مَنْ خافَ من العطشِ فليقرأ الفاتحةَ سبعاً عند الصَّباح، ويتفلُ على يديه، ويمسحُ بها وجهَهُ، ويكونُ على الرِّيق؛ فإنَّه لا يظمأُ ذلك اليوم. ماتَ سنةَ ثلاثين وستِّ مئة.

* * *

(٥١١) سفيان بن عبد الله الأبيني(**)

كان فقيهاً عالماً، عارفاً زاهداً، برعَ في التَّصوُّفِ ومهرَ، وسارَ ذكرُه في الآفاقِ واشتَهر، اشتغلَ في بدايته بالعلمِ وجدَّ واجتهدَ فيه، حتّى سمعَ قائلاً يقول: إنْ أرَدْتَنا فاتركِ القَولين والوَجهين. فتركَ، واشتغلَ بالله حتى ظهرَتْ عليه علامةُ القبول.

(*) العقود اللؤلؤية ١/٥٢، طبقات الخواص ٥٣، تاريخ ثغر عدن ١١٨، شذرات الذهب ٥/١٣٦، جامع كرامات الأولياء ٢/٢٠.

(**) مرآة الجنان ٤/٣٤٨، روض الرياحين ٤٨٥ (حكاية ٤٤٦)، و ٤٩٧ (حكاية ٤٥٧)، طبقات الخواص ٥٦، تاريخ ثغر عدن ١٢٥، جامع كرامات الأولياء ٢/٢٧.

واشتُهر عنه كراماتٌ باهرة للعقول منها:

أنَّه كان بعدن يهوديٌّ من العمَّال، يقومُ المسلمون بين يديه، ويَمشونَ في ركابه، فبلغَ الشَّيخ، فجاءه، فوجده قاعداً على كرسيٍّ، فقال: قُلْ أشهدُ أن لا إله إلاَّ الله. فصاحَ اليهوديُّ بجُنْدِه، فلم يمكنُهم فعلُ شيءٍ، فكرَّرَ الأمرَ بالتشهُّدِ، وهو يَستغيثُ فلا يُغاثُ، فأخذَهُ وذبحَهُ، والنَّاسُ يَنظرون، ثمَّ عادَ للزَّاويةِ، فبلغَ والي البلدِ[1]، فركبَ في عسكرِهِ حتّى أتى بابَه[2]، فلم يمكن أحدٌ منهم أن يدخلَ، فعلِمَ متولِّي البلدِ أنَّه مَحميٌّ من اللهِ، وخافَ من السُّلطانِ، فاستشارَ العُقلاءَ، فقالوا: الأولياءُ ما لهم إلاَّ مَنْ هو منهم، وهنا وليٌّ اسمُه العايدي[3]، فاستعِنْ به عليه، فترامى عليه أن ينظرَ في أمره، ويقيمَ عنده حتّى يأتي جوابُ السُّلطانِ، فأجابَهُ، وجاءَ إلى سُفيان فشكرَ فعله، وخرجَ به يمشي حتّى بلغَ بابَ السِّجنِ، فقال للسجَّان: قيِّدْهُ واحبِسه. ففعلَ، فبقي في الحبسِ إن شاء تركَ القيدَ، وإنْ شاءَ طرحَه، فلمَّا جاءَ يومُ الجمعة رماه، ودخلَ الجامعَ فصلَّى بقُربِ الأمير، ثمّ قال: أُصلِّي على هؤلاء الموتى، وكبَّرَ أربعاً، ثمّ رجعَ إلى الحبسِ حتى أتى جوابُ السُّلطانِ بإطلاقه.

ومنها: أنَّه شفعَ عند ذميٍّ شفاعةً فلم يقبلْ، وكان بيده قلمٌ يَبريه، فقال: إنْ لم تفعلْ وإلاَّ أقُطُّ القلمَ، فقال: قُطَّه، فقطَّهُ، فسقطَتْ رأسُهُ تتدحرجُ[4].

ومنها: أنَّ بعضَ مُريديه دَنا من امرأة أجنبيَّة، وإذا بلطمةٍ وقعَتْ على عينيه، فعَمِيَ، فجاءَه باكياً. فقال: تَتوبُ؟ قال: نعم. قال: نردُّ بصرَكَ، لكن لا تموتُ إلاَّ أعمى. فأبصرَ، ثم عَمِيَ قبلَ موته بأيَّام.

ماتَ أواخرَ القرن.

---

(١) في (أ): ولي البلد.

(٢) في روض الرياحين ٤٨٦، وطبقات الخواص: باب الجامع.

(٣) في روض الرياحين ٤٨٦: يقال له العايدي، فأرسل إليه يتفضَّل يأتيك، واشْكُ إليه الحال، فأرسل إليه، فجاءه وشكا إليه ولزمه، فقال له: نعم إن شاء الله تعالى. ثم خرج العايدي من عنده، وجاء إلى الشيخ...

(٤) تقدمت مثل هذه القصة مع إبراهيم بن معضاد صفحة: ٣٣٢ من هذا الجزء.

(٥١٢) العفيف التِّلِمْساني [*]

سُليمان بن عليٍّ بن عبد الله بن يس العَفيف التِّلِمْساني، الذَّكيُّ الحاذق، المنطيقُ الخارق، تلميذُ القونوي[١]. ، صاحبُ «شرح الأسماء الحُسنى»[٢]، و «شرح منازل السائرين»[٣]، و «شرح مواقف النّفري»[٤]، و «شرح الفُصوص»، وصاحب كتاب «الخلوة» عمل فيه أربعين خلوةً، كلُّ خلوةٍ أربعونَ يوماً.

ماتَ سنةَ تسعين وستِّ مئة[٥].

أثنى عليه ابنُ سَبعين[٦] وفضَّلَهُ على شيخه القونوي، فإنَّه لما قدمَ شيخُه القونوي رسولاً إلى مصر اجتمعَ به ابنُ سبعين لمّا قدمَ من المغرب، وكان التِّلِمْساني مع شيخه القونوي، قالوا لابن سبعين: كيف وجدتَهُ؟ ـ يعني في علم التوحيد ـ فقال: إنَّه من المُحقِّقينَ، لكنْ معه شابٌّ أحذَقُ منه، وهو العفيف التِّلِمْساني.

(*) العبر ٥/٣٦٧، تالي كتاب وفيات الأعيان ٨٢، فوات الوفيات ٢/٧٢، مرآة الجنان ٤/٢١٦، الوافي بالوفيات ١٥/٤٠٨، البداية والنهاية ١٣/٣٢٦، النجوم الزاهرة ٨/٢٩، كشف الظنون ٢٦٦، ٨٠٢، ١٠٣٤، ١٢٦٤، ١٨٢٩، ١٨٩١، شذرات الذهب ٥/٤١٢، إيضاح المكنون ٢/٢٣٢، هدية العارفين ١/٤٠٠، أعيان الشيعة ٧/٣٠٨.

(١) محمد بن إسحاق القونوي، انظر ترجمته صفحة: ٥٥٢ من هذا الجزء.

(٢) كتاب ذكر فيه معاني الأسماء الإلهية الواردة في القرآن، فذكر الاسم ثم الآية التي وردت فيه، وذكر في كل اسم ما ذكره الإمام محمد البيهقي، والإمام أبي محمد الغزالي، والإمام أبي الحكم بن برجان الأندلسي، وما انفرد كل واحد منهم، وما اتفق عليه اثنان منهم، وذكر أشياء على لسان أهل التصوف. كشف الظنون ١٠٣٤.

(٣) تقدّم التعريف بهذا الكتاب صفحة: ١٨٤ من هذا الجزء.

(٤) محمد بن عبد الجبَّار النفري، المتوفى سنة ٣٥٤ هـ، تقدمت ترجمته صفحة ١٥٢ من هذا الجزء، مع التعريف بالكتاب.

(٥) في الأصول سنة خمس وسبعين وست مئة، والمثبت من مصادر ترجمته كلها.

(٦) عبد الحق بن سبعين، انظر ترجمته صفحة: ٤٤٠ من هذا الجزء.

وكان ـ أعني ـ التِّلِمْساني يقولُ: كان شيخي القديم متروِّضاً مُتفلسفاً، والآخرُ فَيلسوفاً مُتروِّضاً. يعني القونوي، فإنَّه أخذَ عنه، ولم يُدرك ابن عربي.

والعفيفُ هذا من عظماءِ الطَّائفة، القائلينَ بالوحدة المُطلقة.

ومَنْ كفَّرَ ابنَ عربي فهو إلى تكفيرِ هذا أسرعُ؛ لاعترافهم بأنَّه أحذَقُ منه ومن غيره من القائلين بذلك، حتّى قال بعضُهم: هو كبيرُهم الذي يُعلِّمُهم السِّحرَ.

وقال بعضُهم: هو لحمُ خنزيرٍ في صحنٍ صيني، وإنَّه يُدرِجُ السُّمَّ القاتلَ في كلامه لمَنْ لا فِطنةَ له بأساسِ قواعده.

ورَموهُ بعظائمَ من الأقوالِ والأفعال، وزعموا أنَّه كان على قدمِ شيخِ شيخه في أنَّه لا يُحرِّمُ فَرجاً، وأنَّ عنده أنَّ ما ثمَّ غيرَ ولا سوى بوجهٍ من الوجوه، وأنَّ العبدَ إنَّما يشهدُ السِّوى إذا كان محجوباً، فإذا انكشفَ حجابُهُ، ورأى أنَّ ما ثمَّ غيرَه تبيَّنَ له الأمرُ، ولهذا كان يقولُ: نِكاحُ الأُمِّ والبنتِ والأجنبيَّةِ شيءٌ واحدٌ، وإنَّما هؤلاءِ المحجوبونَ قالوا: حرامٌ علينا، فقلنا: حرامٌ عليكم.

وكان يقولُ: القرآنُ يُوصلُ إلى الجنَّةِ، وكلامُنا يُوصلُ إلى الله.

وذكرَ عنه أبو القاسم عمر المراغي الصُّوفي فيما حكاهُ عنه ابنُ حجر في «تاريخه»: أنَّه قرأَ عليه «المواقف النِّفريَّة» قال: فجاءَ موضعٌ يُخالفُ الشَّرعَ، فخالَفْتُهُ فيه، فقال: إنْ كنتَ تُريدُ أن تعرفَ علمَ القومِ فخُذِ الشَّرعَ والكتابَ والسُّنَّةَ ولُفَّها واطرَحْها. فانقطعتُ عنه من ذلك اليوم.

وذكروا أنَّه دخلَ على أبي حيَّان، فقال له: مَنْ أنتَ؟ قال: العفيفُ التِّلِمْسانيُّ، وجدِّي من قِبَلِ الأُمِّ ابنُ سبعين. فقال: أيْ واللهِ، عَريقٌ أنتَ في الإلهيَّة يا كلب يا ابن الكلب.

وأكثروا من نقلِ هذا الهذيانِ في شأنه، وشأنِ شيخه وشيخِ شيخه، ولم يثبت عنهم شيءٌ من ذلك بطريقٍ مُعتبرٍ بل نُقِلَ أنَّهم دَسُّوا في كُتبهم ما ليسَ منها، وأدرجوا في كلامهم ما لم يَقولوه[1].

---

(١) كيف هذا ؟! وقد قال عنه معاصره زماناً، ومجاوره مكاناً مؤرخ الإسلام الإمام =

والتَّعصُّبُ يصنعُ العجائب، نعم، هم قائلونَ بأنَّ واجبَ الوجودِ هو الوجودُ المُطلق، ومَبنى طريقهم على ذلك، وقد تكلَّمَ معهم في ذلك المُحقِّقُ التَّفتازاني والسيِّد الجرجاني، وأطنبا في الردِّ عليهم، لكنَّه ـ أعني السيِّد الشَّريف ـ في حاشية «شرح التجريد»[1] اضطربَ، وقد اعتذرَ حُجَّةُ الإسلامِ عمَّن أوهمَ كلامه الاتحادَ من القوم، فقال: إنَّهم لم يَروا في الوجودِ إلاَّ الواحدَ الحقَّ، وصارَ لهم ذلك حالاً ذوقيًّا، وانتفَتْ عنهم الكثرةُ بالكليَّة، واستغرقوا بالفردانيَّة المَحضة، واستغرقَتْ فيها عقولُهم، وصاروا كالمبهوتين، ولم يبقَ فيهم مُتَّسعٌ، فلم يكن عندهم إلاَّ اللهَ، فسَكِروا سُكراً وقعَ دونَ سُلطانِ عقولِهم[2]، فقال بعضُهم: أنا الحقُّ. وقال الآخرُ: سُبحاني، ما أعظمَ شأني. وقال الآخر: ما في الجُبَّةِ إلاَّ الله، وكلامُ العُشَّاقِ حالَ السُّكرِ يُطوى ولا يُحكى، فلمّا خَفَّ سُكرُهم، ورُدُّوا إلى سُلطانِ العقل الذي هو ميزانُ اللهِ في الأرض، عرفوا أنَّ ذلك لم يكنْ حقيقةَ الاتحاد، بل يُشبهه، كقولِ العاشقِ حالَ عشقه:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

ولا يَبعدُ أن يفجأَ الإنسانَ مرآةٌ، فينظر فيها، ولم يكن رآى المرآةَ قَطُّ، فيظنّ أنَّ صورتَه التي يراها في المرآةِ هي صورةُ المرآةِ مُتَّحدةً[3] بها، ويرى الخمرَ في الزُّجاج فيظنُّ أنَّ الخمرَ لونُ الزُّجاج، فإذا أَلِفَ ذلك ورسخَتْ قدمُهُ استهترَ، وقال[4]:

= الذهبي في العبر ٥/ ٣٦٧: أحد زنادقة الصوفية.

(١) كتاب تجريد الكلام لنصير الدين أبي جعفر محمد بن محمد الطوسي المتوفى سنة ٦٧٢ هـ، وهو على ستة مقاصد الأول: في الأمور العامة، والثاني في الجواهر والاعراض، والثالث: في إثبات الصانع وصفاته، الرابع: في النبوة، والخامس: في الإمامة، والسادس: في المعاد.. له شروح عدة، وعليه حاشية عظيمة للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، وقد اشتهر هذا الكتاب بين علماء الروم بحاشية التجريد، والتزموا تدريسه. كشف الظنون ٣٤٦.

(٢) في المطبوع: وقع سلطان عقولهم.

(٣) في (ب): متجسّدة.

(٤) البيتان للصاحب ابن عباد، الديوان صفحة: ١٧٦.

رقَّ الزُّجاجُ ورقَّتِ[1] الخَمرُ وتشابها فتَشاكَلَ الأمرُ
فكأنَّما خَمْرٌ ولا قَدَحٌ وكأنَّما قَدَحٌ ولا خَمْرُ

وهذه الحالةُ إذا عُلمت سُمِّيت بالإضافة إلى صاحبها فناءَ الفناء، لكونه فني عن نفسه وعن فنائه، ويُسمَّى هذا الحالُ بالإضافةِ إلى المُستغرق فيه بلسانِ المجاز اتِّحاداً، وبلسانِ الحقيقةِ توحيداً.

ومن كلامِ العارف التِّلِمْساني: التَّربيةُ بحسبِ كلِّ موجودٍ، إنَّما هي بقدرِ ما يحتاجُهُ، فمتى زادَتْ عن قدرِ حاجته انعكسَ معنى التربية إلى ضِدِّه، فتصيرُ زيادةُ التَّربيةِ عدمَ تربيةٍ في حقِّ ذلك المربوب.

وقال: قال أهلُ الله: إنَّ أهلَ الجحيم يَجري فيهم العذابُ مَدى علمه تعالى، ثمّ ينعَطِفُ[2] عليهم بالرَّحمةِ، فيُنعِّمُهم في النَّارِ بها، حتّى لو خُيِّروا لاختاروها على الجنَّة.

وقال: إن ظهرَتْ لكَ الوحدانيَّةُ، رأيتَ القادِرَ حيثُ القُدرة، فكلُّ فعلٍ رأيتَهُ من فاعلٍ طبيعيًا[3] كان الفعل، أو إراديًا جسمانيًا، أو روحانيًا، أو عقليًا، أو خياليًا، فتلكَ القُدرةُ قدرتُهُ تعالى، وهو حيثُ وُجِدَت قُدرتُه. فمَنْ عَرَفَ القَديرَ سُبحانَه هذه المعرفةَ سَلَّمَ لكلِّ قادرٍ، وعَذَرَ كلَّ عادلٍ وجائرٍ، ومن هذه الحقيقةِ قال السيِّدُ المسيحُ: مَنْ لطمكَ على خَدِّكَ فأدِرْ له الخَدَّ الآخر، ومَنْ سلَبَ رِداءَكَ فزِدْهُ قميصَكَ، ومَنْ سَخَّرَكَ ميلاً فامضِ معه ميلين. وكان بعضُهم إذا علقَ بمرقعته عودُ شجرةٍ، وقفَ معه حتّى يُحقِّقَ معنى هذا الشُّهود، ثم ينفصلُ بنسبةِ اسمِ آخرَ.

وقال: الذي يخصُّ النَّاطقَ بالوحدانيَّةِ في مقامِ التَّحقيق أن يَشهدَ ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، فإنْ ضعفتَ عن إدراكِ هذا فاعلَمْ أنَّه لا حولَ ولا قوَّة إلاَّ بالله.

---

(١) في الأصل: وراقت، والمثبت من الديوان، وانظر وفات الأعيان ٤/ ٢٣٠.
(٢) في (ب): يتعطّف.
(٣) في (ب): طيعياً.

وقال: العالمُ لا ينقصُ عن درجة العليم؛ فإنَّ علمه لا يكثرُ ويقلُّ لاستيعاب علمه، كلُّ معلوم[1] في كلِّ آنٍ لا ينقسم، وإنَّما المُبالغةُ للتَّنزُّلِ[2] إلى أفهام المحجوبين وعلى عادتهم.

وقال: إذا شهدتَ أنَّه لا علمَ إلاَّ لله، علمتَ أنَّ كلَّ شيءٍ عالمٌ، وعلمتَ أنَّ كلَّ علمٍ حَقٌّ، ولو فرضنا جاهلاً حكمَ بحُكمٍ ـ وهو جهلٌ عند المحجوبين ـ رآهُ العارِفُ عِلماً؛ لأنَّه قامَ بحقِّ المرتبةِ التي هو فيها لا يتجاوزها ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣]، فإذا رآهُ بعينِ حقٍّ في حضرةِ حقٍّ يكونُ الباطلُ فيها من جُملةِ الحقِّ، كما قلتُ:

لا تُنكرِ الباطلَ في طوره ... فإنَّه بعضُ كمالاتِه[3]
واعْطِهِ منكَ بمِقْداره ... حتَّى توفِّي حقَّ إثباته

وقال: الحكيمُ تعالى يُعطي كلَّ موجودٍ على قدرِ استعداده، فكمالُ حكمةِ كلِّ كاملٍ على قدرِ كمالِ استعداده ونقصه، فالاستعدادُ هو سرُّ القدر الإلهي.

وقال: الاستعدادُ قد يكون مُركَّباً من ذاتِ المُستعدِّ ومن عوارضِ وجوده وزمانه ومكانه، فالاستعدادُ هيئةٌ اجتماعيَّةٌ تحصلُ من مجموع ذلك.

وقال: المُسبِّبُ حيث الأسباب، وحيثُ رأيتَ القدرةَ، فثَمَّ القادرُ، فكمالُ الحكمةِ التي بها يُسمَّى الحكيمُ حكيماً فرعٌ عن القدرِ الجاري على وفقِ الاستعداد.

---

(١) في (أ): في كل معلوم.
(٢) في المطبوع: التنزل.
(٣) في الديوان ١/١٥٨:
لا تنكر الباطن في طوره ... فإنه بعضُ ظهوراته
قال محقق الديوان د. يوسف زيدان: في الأصل الباطل، وهي بذلك تخرج الأبيات عن مفهومها، وتخالف المقابلة الواردة في عجز البيت بين الباطن والظاهر...!.
وهذان البيتان لهما ثالث:
وأظهره في ذاتك مُستكملاً ... خشية أن تظهرَ في ذاته

وقال: كلُّ مَنْ حكمَ أو أحكم أو نالَ الحكمةَ فإنَّما نالَ صفةً من صفاتِ الحكيمِ سُبحانَه.

وقال: إذا رأيتَ الحِكمةَ فهناك الحَكيمُ الحقُّ، فلا تستوحِشْ واستأنِسْ؛ فإنَّكَ بحضرته.

وقال: مَنْ أرادَ تعظيمَ شعائرِ الله، فليُعظِّمْ الحِكمةَ حيثُ وجدَها، ويُحبَّ كلَّ مَنْ يُسمَّى حكيماً ولو بالاسم فقط.

وقال: الحقُّ تعالى لا يَظلمُ النَّاسَ شيئاً، فمَنْ كان استعدادُهُ للكمالِ ظهرَ كاملاً، ومن كان مُتوسِّطاً كان مُتوسِّطاً، أو متأخِّراً كان متأخِّراً ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤].

وقال: متى فرَّطتَ في العدلِ فإنَّكَ ظالمٌ، وبقدرِ ما أنتَ به ظالمٌ تُعاقب، جزاءً وِفاقاً.

وقال: العارِفُ ليست مَداركُهُ من النُّطق، وإن كان معدوداً من الصِّدق، بل من عينِ العيان، لا من الفكرِ ولا الوهمِ ولا الخيالِ التي هي مادَّةُ الأذهان.

وقال: رأسُ كلِّ شيءٍ ما منه يُغتذى، فكانَ عالمُ النَّباتِ مَقلوباً، وعالمُ الحيوانِ مَكبوباً، وعالمُ الإنسانِ مَنصوباً[1].

وقال: مَنْ لطفَ مزاجُهُ برياضةٍ أو خلوةٍ إذا سمعَ كلاماً يَكادُ ينزعِجُ له، يُشوِّشُ عليه الصَّوتُ الضَّعيفُ فضلاً عن القويّ، ويصيرُ النُّطقُ النَّفسيُّ عندَهُ في الظُّهورِ كالنُّطقِ الحِسِّي عند العامة.

وقال: في الحيوانات مَنْ يَنطِقُ بألسنةِ الأقوال، بأصواتٍ يَفهمُها بعضُهم.

وقال عن النَّفريِّ[2]: قال لي: إن عارضَكَ سِوى فاصرخْ إليَّ، فإن نصرتُكَ فنَمْ في نَصري، وإنْ أقمتُكَ في الصُّراخِ فنَمْ فيه، وإقامتي لكَ في الصُّراخ من نصري؛ وذلك لأنَّه إذا استمرَّ في الصُّراخِ خيرٌ له من أن ينقطعَ باليأسِ، فما أُقيم

---

(١) في الأصل: مقلوب... مكبوب... منصوب.

(٢) تقدمت ترجمته صفحة: ١٥٢ من هذا الجزء.

إلاَّ في خيرٍ، وإن انقطعَ باليأسِ فاستعدادُهُ بالحِرمانِ قتله.

وقال: معنى ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢] عند الطَّائفة: أنَّ حسابَهم من أنفُسهم، وحقيقتُهُ أنْ يمتازَ لكلِّ أحدٍ وجهُ الحقيقة، فيظهر له هل هو من قسطِ الباطل؟ فإنْ كانَ منه احتاجَ إلى السَّبكِ حتّى يُنشَّأَ نشأةً أُخرى مُلائمةً للحقيقة.

وقال: ليس الرَّجاءُ والخوفُ من أوصافِ الصُّوفيَّة؛ لأنَّ الرَّجاءَ طمعٌ، وهم يُطالبونَ أنفسَهم بمُفارقةِ الطَّمع، والخوفُ جُبنٌ وبخلٌ بالنَّفسِ أو المالِ، وذلك من سَفْسافِ الأخلاق.

وقال: التَّصوُّفُ تبديلُ الأخلاقِ المذمومةِ بالمحمودة.

وقال: سمعتُ ابنَ هود[1] يقولُ: إذا لم تدخل يدي في النَّارِ فلا أتألَّم، لم تثبت لي ولاية، ثم تعقَّبه بقولهم: إذا برقَتْ بارقةٌ من التَّحقيق لم يبقَ حالٌ ولا هِمَّةٌ.

وقال: قال النِّفَّري: أوقفَني على النَّارِ فرأيتُ جيمَ الجنَّةِ جيمَ[2] جهنَّم، وما به يُعذَّب عين ما به يُنعّم.

وقال: مَنْ علمَ أنَّ الحقَّ هو مالِكُ المُلكِ حقيقةً لا مجازاً لم يعترِضْ على المُلوكِ فيما تجري به أحكامُهم؛ فإنَّها أحكامُ اللهِ حقيقةً، ويَدُ اللهِ على قلبِ الملك، بل قلبُ الملك هو يَدُ اللهِ المُتصرِّفَةُ، تتصرَّفُ في الخواطر، ثمَّ ينقلها إلى الخلقِ بالظَّواهر، والعامَّةُ تَنسبُ ذلك التصرُّفَ للمَخلوق، والشَّاهدُ يَنسبُهُ للخالق، ولذا قالوا: مَنْ نظرَ إلى النَّاسِ بعينِ الحقيقةِ عذَرَهُم، ومَنْ نظرَهُم بعينِ الشَّريعةِ مقتَهُم، وسواءٌ كانَ الملكُ من ملَّةِ الهُدى أو الضَّلالةِ فإنَّ الهادي والمُضلَّ هو اللهُ.

وقال: الباري قادرٌ مُطلقٌ، فيلزمُ أنَّ القادرَ المُطلق مختارٌ، وغيرُ المُختار لا يكون قادراً، وغيرُ القادرِ لا يكونُ إلهاً.

وقال: القادرُ المُطلقُ قادرٌ على الظُّلمِ والعدلِ، فإذا تركَ الظُّلمَ مع قُدرته

(١) تقدمت ترجمته صفحة: ٤٢٦ من هذا الجزء.
(٢) في المطبوع: من جيم.

على فعله، وفَعَلَ العدلَ مع قُدرته على تَركه ثبتَ أنَّه مُختار.

وقال: القادرُ المُطلقُ له كلُّ شيءٍ، وليس عليه شيءٌ إلاَّ ما جعله على نفسه فضلاً أو عدلاً، فهو من بابٍ له، لا عليه.

وقال: القادرُ المُطلقُ له الأسماءُ الحُسنى على الإطلاق، فله إطلاقُ العلم، فلا يتعذَّرُ عليه علمُ جزئيةٍ ما، ولهذا ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] فلا يعلمُهُ من وجهٍ، ويجهلُهُ من وجه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤].

وقال: القادرُ المُطلقُ له الغِنى المُطلق، فليس عليه أن يخلِقَ لأجلِ نفسه؛ لأنَّه غَنيٌّ بذاته لا بفعله، وليس كالإنسانِ الذي تُوصلُهُ أفعالُهُ إلى غايته.

وقال: عِلمُ اللهِ أزليٌّ؛ لأنَّه صفةٌ ذاتيَّة، فأجزاءُ المكوِّنات على اختلاف اعتباراتها بكلِّ وجهٍ وصورةٍ قد أحاطَ العلمُ بها من قبل إيجادها، قبليَّة لا أوَّلَ لها، فالمُحدَثُ كلُّه قديمٌ في العلم، قِدَمُ معيَّةٍ لا تبعيَّةٍ، ومن هنا نشأَ غلطُ مَنْ قالَ بقِدَمِ العالَمِ، إذ القديمُ بالعِلمِ لا يكونُ قديماً بالوجود؛ لأنَّ العالَمَ في العلمِ معدومٌ من جهةِ الوجود، وإن كان موجوداً من جهة العلم، فلا معنًى للعلم إلاَّ الإحاطةُ بالمعلوم قبلَ وجوده ليوجد على ما في العلم، ولا يَحسُنُ أن يُقال: العالَمُ قَديمٌ، بل العلمُ به قديم.

وقال: الجزاءُ هو فعلُ المُستحقِّ رُدَّ عليه، فهو مَنسوبٌ إليه، كمَنْ نظرَ في مرآةٍ فهو الفاعلُ الأوَّلُ فيما فعله، وهو بفعله هذا قاضٍ عليه أو له.

وقال: إنَّ في الإخلاصِ لظفراً، فلو تفطَّنَ طالبُهُ لبلغَ بيسيرٍ قلبَ الأعيان، وتَسخيرَ الأكوان، وإنَّما أعزُّ[1] من ذلك أنْ يقهرَ هواه، ويتحقَّقَ له لقاءُ الله، إنَّ لقاءَ اللهِ عظيم، ما يفتحُ بابَ السَّبيلِ إلاَّ لمُتَّبعِ الدَّليل.

* * *

---

(١) في (ف): وإن أعزّ.

حرف الشين المعجمة

(٥١٣) شرف الدين السُّهروردي(*)

شرفُ الدِّين أبو الرُّوح(١) عيسى بن محمد بن محمد بن قراجا الصُّوفي السُّهْروردي، عارِفٌ واظبَ على حِفظِ الوَفا، واجتمعَ من الصُّوفيَّةِ بإخوانِ الصَّفا، وتكلَّمَ في الوعظِ والقريض، ورمى من الموسيقا بسهامٍ أصابَتْ أغراضَ القريض، كم شرحَ صَدراً ضيِّقاً بشعره! وردَّ قلباً شارداً بوعظه وزجره! وأطربَ الأسماعَ بصوتِ نغماته! وأحيا القلوبَ بهبوبِ نسماته!

وهو القائل:

بُشْراكَ يا سَعْدُ هذا الحيُّ قدْ بانا(٢) ... فخلِّهــا تستظِــلُّ الأُثْــلَ والبَــانــا

مَنازِلاً ما ورَدْنا طيْبَ مَورِدِها ... حتّى شَهِدْنا كُؤوسَ المَوتِ ألوانا

ماتَ سنةَ سبعٍ وعشرين وستِّ مئة(٣).

* * *

(*) أعيان العصر وأعوان النصر ٢/ ٣٢٤، الدرر الكامنة ٣/ ٢٠٩. الدليل الشافي ١/ ٥١٠. وكانت وفاته سنة ٧٢٩ هـ فهو من رجال الطبقة الثامنة، وسيذكره المؤلف في الطبقات الصغرى ٤/ ٣٤١، وهذه الترجمة ليست في (ف).

(١) في أعيان العصر، والدرر الكامنة: أبو الرضى.

(٢) في (ب): هذا الحمى قد بانا، وفي المطبوع: هذاك الحمى بانا.

(٣) كذا في الأصول، وفي الدرر الكامنة ٣/ ٢١٠: مات في ربيع الآخر سنة ٧٢٩.

(٥١٤) شُعيب أبو مَدْين اليمني(*)

شُعيب أبو مَدْين بن أحمد بن عمران العيَّاشي[١] اليمني، اسمُهُ محمد، ولقبُهُ شُعيب، فغلبَ عليه حتّى صارَ لا يُعرفُ إلاَّ به.

كان عالماً عاملاً، كثيرَ العزلة، وكان من صِباهُ قد تنسَّكَ، وبحبالِ الآخرةِ قد تمسَّكَ، وامتنعَ من دخولِ الحمَّام، وأعرضَ عن لذَّاتِ الدُّنيا، ورفضَ ما فيها من الحُطام، وأخذَ في قراءةِ الأحاديث النبويَّة، والاكتفاءِ لسيرة[٢] الصُّوفيَّةِ المَرضيَّة.

وله كراماتٌ منها: أنَّه لمَّا ماتَ وحُمِلَ إلى المقبرة، فأَذَّنَ المؤذِّنُ للصَّلاةِ، فثَقُلَ على حامليه حتّى عجزوا عن حمله، فوضعوا السَّريرَ، فلمَّا فرغَ المؤذِّنُ حرَّكوه فوجدوه خفيفاً كما كان، فتعجَّبوا من ذلك، وسألوا ولدَهُ، فقال: كان إذا أذَّنَ المؤذِّنُ قامَ على قدميه، فيُجيبُه من قيامٍ، ولا يجلسُ حتّى يفرغ.

وكان والدُه فقيهاً محقِّقاً عَمِيَ، فصارَ إذا سُئِلَ عن مسألةٍ يقولُ: في الكتابِ الفُلاني، فإذا لم يجدوها أخذَهُ وفتَّشَ بيده، فيقعُ على موضعِ الغرض.

ماتَ في حدودِ الخمسين وستِّ مئة[٣].

* * *

(*) طبقات الخواص ٥٩، جامع كرامات الأولياء ١/ ١١٧.

(١) في الأصول: العباسي، قال صاحب طبقات الخواص: العياشي بالمثناة من تحت المشددة، والشين المعجمة.

(٢) في المطبوع: بسيرة.

(٣) قال صاحب طبقات الخواص ٥٩، ٦٠، عن صاحب الترجمة ووالده أحمد: ولم أتحقق من تاريخ وفاته، غير أنهما كانا موجودين في حدود سنة خمس وست مئة.

حرف العين المهملة

(٥١٥) عبد الله باعباد(*)

عبد الله بن محمد باعباد الحضرمي، من أكبرِ مشايخِ حضرموت قدراً، وأعظمهم شُهرةً، وأعلاهم ذِكراً، عارِفٌ تبسَّمتْ أزهارُ نظمه، وترنَّمَتْ أطيارُ حذقه وفهمه.

لقيَ أبا الغيث بن جميل، وابنَ الجَعْد، وغيرهما من الأكابر.

وفُتحَ عليه بفتوحاتٍ كثيرةٍ حتّى شُهِرَ وذُكِرَ، وقُصِدَ للزِّيارة.

وله كلامٌ حسنٌ في التَّصوُّف.

وكان مُتباعداً عنِ الدُّنيا، كثيرَ الذَّمِّ لها.

وكان يَنهى أصحابَهُ عنِ الاحتباء(١) وقتَ الأذان، ويقولُ: هي حالةُ دعوةٍ إلى أداءِ أمرِ الله، فينبغي تركُ التمكُّنِ للجلوس.

وكان إذا أرادَ أن يُؤدِّبَ مُريدهُ ألزمَهُ زيادةً في وِرْدِه.

وكان يطرُقُه في خلواته حالٌ، ويعلوه نورٌ عظيمٌ يغيبُ شخصُه فيه.

ورأى بعضُهم نهراً(٢) يجري من قبَّةِ المُصطفى إلى قبرِه، ففُسِّرَ بأنَّه مَدَدٌ منه إليه.

(*) مرآة الجنان ٤/ ٣٥٥، طبقات الخواص ٧٠، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١١٤.
وفي المطبوع: أبو عباد.

(١) في الأصول: الأحباء، والمثبت من طبقات الخواص.

(٢) في (ب): بحراً.

وقال في مرضِ موته لجماعته: يا أولادي، ارتفعَتْ نفسي في المَلَكوتِ الأعلى، فلم أرَ لأحدٍ علينا فَضلاً إلاَّ النَّبيِّين والمُرسَلين، وأنشدَ:

أنا الذي في الوقتِ سِرٌّ[1] باطِنٌ وفي المَعالي ظاهِرٌ لا أختفي[2]

واستمرَّ فائزاً ببلوغِ الأرب، إلى أن خلا شخصُهُ وذهب، سنةَ سبعٍ وثمانين وستٍّ مئة.

* * *

(٥١٦) عبد الله البِلْتاجي[*]

تلميذُ الرِّفاعي، أصلُهُ عجميٌّ، ثمّ انتقلَ من بلده إلى بِلْتاج[3] فاستوطنَها.

كان إماماً في العُلومِ النَّقليَّة والكشفيَّة، صاحبَ تصرُّفٍ ونفسٍ طاهرةٍ وهِمَّةٍ عليَّة.

وكان من ابتداءِ أمره عنِ الدُّنيا بمعزلٍ، وإذا ضربَتْ له سُرادقَها لا يَعرجُ عليه ولا ينزل.

وله كراماتٌ منها: أنَّ الشَّيخَ يوسفَ العجميّ زارَهُ، فضاعَتْ حمارَتُهُ، فقال له: حمارَتي، وإلاَّ واللهِ ما أزوركَ بعدَ اليومِ، فطلعَ من القبرِ، وأتاهُ بها من البريَّةِ، وقال: إذا زُرتَنا قَيِّد حمارتَكَ.

ومنها: أنَّه مرَّ على رأسه رجلٌ طائرٌ في الهواء ولم يتوطَّأ له، فسُلِبَ حالاً،

---

(١) في المطبوع: سري.

(٢) في طبقات الخواص: لا يختفي.

(*) طبقات السبكي ٨/ ٢١٣ في ترجمة العزّ بن عبد السلام، طبقات الأولياء ٤٨٦ (أبو محمد)، وقد ذكره عبد العزيز الديريني في قصيدته اللامية. انظر طبقات الأولياء ٥٢٢، طبقات الشعراني ١/ ٢٠٢ (ضمن ترجمة أبي الفتح الواسطي) جامع كرامات الأولياء ٢/ ١١٠.

(٣) بلتاج قرية بالوجه البحري من مصر.

وسقطَ، وكادَ يتقطَّعُ، ثمّ صارَ شُرطيًّا عند حاكمِ كاشف المحلَّةِ حتّى مات.
فالزمِ الأدبَ تأمَنِ العطب.

ومنها: أنَّ أميرَ بلتاج لمَّا مسحَ طينَها[1]، أضافَ طينَ زاويةِ الشَّيخِ لدفتره، فبلغه وهو يُخمِّرُ في طينٍ لبناءِ جدارِ الزَّاوية، فطلعَ والمِسحةُ[2] في يده، وكلَّم الأميرَ فأغلظَ على الشَّيخِ، فمدَّ يده إلى حائطِ بيتِ السُّلطان، فانشقَّ الحائطُ، وخرجتِ اليَدُ من الحائطِ بمسحتها وقال للسُّلطان: اعزِلْ أميرَ بلتاج، وإلاَّ قتلتُكَ بهذه المِسحةِ. فعزلَهُ وأحضرَهُ في القيد. فلمّا جاءَ الأميرُ للشَّيخِ مُعتذراً فأقبلَ نحو بيتِ السُّلطان، وأشارَ بيده، فانشقَّ الجدارُ، وخرجت اليدُ بمسحتها للسُّلطان، وقال: قد عفوتُ عن أميرِ بلتاج، فولِّه، فولاَّه.

ولمّا قَدِمَ بلتاج من بلده نامَ ببعضِ المساجدِ، فحضرَ الإمامُ لصلاةِ المغرب، فنهرَ[3] الشَّيخَ وأقامَه، فسُلِبَ الإمامُ بحيثُ أنَّه لمّا أحرَمَ بالقومِ لم يُمكنْهُ النُّطق، فتحلَّلَ من الصَّلاةِ، وخرجَ في طلبِ الشَّيخِ حتّى لقيَهُ خارجَ البلدة على بركةِ ماءٍ، فمازال يتذلَّلُ له، ويُقبِّلُ قدمَهُ، فأعادَ له حالَهُ، فعاد كما كان.

ومن كلامه:

لا يَبلُغُ الرَّجلُ رُتبةَ الكمالِ حتّى يعلمَ جميعَ شرائعِ الأنبياءِ، ثمَّ يستخرجها من القرآن.

وقال: كلُّ فقيرٍ له فراشٌ للنَّومِ، فهو والبهائِمُ سواء.

وقال: مَنْ أكلَ من طعامِ النَّاسِ اسودَّ قلبُهُ، ولا يفي عمله بجلائه، والصَّادقُ الحازِمُ مَنْ أكلَ من عملِ يَده.

* * *

---

(١) في جامع كرامات الأولياء: مسح أرضها، وكلاهما بمعنى.
(٢) المسحة، فصيحها المِسحاة: مجرفة من حديد. وقد تحرفت في المطبوع إلى المسبحة.
(٣) في المطبوع: فنهر.

(٥١٧) عبد الله بن محمد الشَّعبي(*)

العارفُ النَّجيب، ذو الشَّأنِ الباهرِ البَاهي، والخطابِ الإلهي، والعطاءِ الوافرِ النَّصيب، أبو بكر المعروف بابن الخطيب.

كان عالماً عاملاً عارفاً، صاحبَ كمالاتٍ وكرامات، أصلُهُ من أَبْيَن، فنشأ بها، وقرأ القرآن، وأخذَ العلمَ عن الحَضرميِّ[1]، وغيره، وجدَّ واجتهدَ واستغرقَ في التعبُّد.

وظهرت له كراماتٌ باهرةٌ منها: أنَّه وهو شابٌّ جاورَ بالمدينةِ، وكان إذا احتاجَ يقترضُ من رجلٍ بالسُّوق، فإذا اجتمعَ عليه شيءٌ يقول [له الرَّجل]: جاءَني رسولُكَ بما عليكَ، ولم يكنْ أرسلَ شيئاً.

ومنها: أنَّ ابنَ سعيد النجَّار مرَّ بامرأةٍ فأعجبَتْهُ، فدَنا منها، فظهرَ له الشَّيخُ وهو في بلدٍ أخرى، فقال: هكذا تفعل ؟ فخرجَ هارباً.

ومنها: أنَّه كان حولَ مسجده بيوتٌ يُعمَلُ فيها الخمرُ، وعليها مالٌ للسُّلطان، فكَسَرَ أوانيها، وكان والي البلدِ شابًّا مُعجباً، فعجبَ، وآذاه، فأصابه تلك اللَّيلةِ قُوْلَنج[2]، أشرفَ به على التَّلفِ، فقيل له: استدرِكْ، وإلاَّ هلكتَ، فحُمِلَ، وطُرِحَ على بابِ الزَّاويةِ، فقال له: يا صبيُّ، تتوب ؟ فاستغفرَ، فمسحَ بدنَهُ بيده، فزالَ ما به فوراً.

وقال: قال لي الحقُّ: سَلْ، تُعطَ. فقلتُ: إذاً تكونُ العطيَّةُ ناقصةً؛ لأنَّ السَّائلَ في محلِّ النَّقصِ، لكنْ أعطني أنتَ. نقلهُ اليافعي.

ماتَ سنةَ سبعٍ وتسعين وستٍّ مئة.

(*) مرآة الجنان ٤/٣٥٦، روض الرياحين ٤٨٤ (حكاية ٤٤٤)، طبقات الخواص ٧٢، جامع كرامات الأولياء ٢/١١٥.

(١) إسماعيل بن محمد الحضرمي تقدمت ترجمته صفحة: ٣٩٠ من هذا الجزء.

(٢) القولنج: مرض معوي مؤلم، يعسر معه خروج الثفل والريح. متن اللغة (قولنج).

(٥١٨) عبد الحليم العماد(*)

عبد الحليم العِمادُ المغربيُّ، العابدُ الصَّالحُ، من أكابرِ شيوخِ ابنِ عربي، صوفيٌّ بناءُ فخره مُرتفع، وفناءُ وفده مُتَّسع، وفجرُهُ[1] مُتَّضح، وصدرُهُ بالذِّكرِ مُنشرح، وجوارحُهُ نيِّرة، وأوصافُهُ للعقول مُحيِّرة.

أصلُهُ من مدينة سَلاَ[2].

قال ابنُ عربي: كان شيخُنا هذا إذا رأى شخصاً راكباً، ذا إشارةٍ، يُعظِّمُهُ النَّاسُ، وينظرونَ إليه، يقولُ له ولهم: تُرابٌ راكبٌ على تُراب، ثم ينصرفُ ويُنشِدُ:

حتّى متى وإلى متى تَتَوانى ... أتَظُنُّ ذلك[3] كلَّه نسيانا

وكان الغالبُ عليه الوَلَهُ.

* * *

(٥١٩) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله اليمني(**)

عالمٌ حَسُنَ عملُه، وزاهدٌ قَصُرَ أمَلُه، وبَليغٌ لطُفَ كلامُه، وبارعٌ شرفَ مقامُه، أخبارُ فضله مأثورة، ومناقبُهُ بين أهلِ اليمنِ مشهورة.

(*) الفتوحات المكية.

(١) في (أ): وفخره.

(٢) سلا: مدينة بحرية ببلاد المغرب، بينها وبين مراكش على ساحل البحر تسع مراحل. انظر الروض المعطار ٣١٩.

(٣) في (أ): أتظن هذا.

(**) طبقات الخواص ٦٤، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٦٥.

قال الشرجي في طبقات الخواص ٦٥: وكانت وفاته سنة إحدى وثمانين وسبع مئة، فهو من رجال الطبقة الثامنة.

وكان عارفاً بالفقه والتَّفسير والتَّصوُّفِ والرقائقِ كـ «الإحياء»[1] وله الحظُّ الأوفرُ من الزُّهدِ والورع.

وكان لا يمسُّ شيئاً من الدُّنيا مع كثرةِ عياله، ويُنفقُ من الغيب، فيقبضُ من التُّرابِ، فيخرجُ بكفِّه قَدْرُ[2] مطلوبه عدداً ووزناً.

وأعطى ابنه مرَّةً قطعة حلوى من سقف البيت.

وكان يُكلِّمُ الموتى ويكلِّمونه.

وكان يُعرفُ بنقَّادِ الرِّجال[3].

وله خبرةٌ تامَّةٌ بطريقِ القوم.

صلَّى ركعتي الفجرِ، ثمّ نزلَ عن سريره، وجعلَ رِجْلَهُ في القُبقاب، ثمّ انحنى على سريره، ووضعَ جبهتَهُ عليه، فماتَ.

* * *

(٥٢٠) عبد الرَّحمن النُّويريُّ[*]

العارفُ الكبيرُ الشَّأن، كان عظيمَ المُجاهدةِ والتقشُّف، بالغُ الصِّيانةِ والتعفُّف، مُظهراً عَلَمَ عِلْمِ التَّصوُّف، المشهور، مُسويًّا في الحقِّ بين الأميرِ[4] والمأمور.

كان مُقيماً بمصرَ، وكان يغزو، فحَضَرَ الجهادَ بدِمْياط لمّا أخذَها الفرنجُ[5]، فاستُشهِدَ بأيديهم، ولمّا ضربَ الفِرنجيُّ عُنُقَهُ، وصارتِ الرَّأسُ

---

(١) جاء في طبقات الخواص ٦٤: وكان له اشتغال بكتب الرقائق كإحياء علوم الدين.

(٢) في (ب): بكفه من التراب قدر.

(٣) في طبقات الخواص: بنقاد الأولياء.

(*) روض الرياحين ٤٩٨ (حكاية ٤٥٧)، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٥٧. وسيترجم له المؤلف ثانية في طبقاته الصغرى ٤/ ٤١٤.

(٤) في (أ): بين الآمر.

(٥) واقعة دمياط: أخذت الفرنج دمياط في شعبان سنة ٦١٦ بعد حصار طويل، ثبت أهل البلد ثباتاً لم يُسمع بمثله، وكثر فيهم القتل والجراح والموت، وعدمت =

وحدَها، والجُثَّةُ وحدَها، قال له مُتهكِّماً به: يا قِسِّيسَ المُسلمين، أنتُم تقرؤون ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ففتحَ عينيه، وقال بصوتٍ قويٍّ عالٍ: نعم ﴿ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فأسلمَ النَّصرانيُّ، وصارَ يُسمَّى الشَّيخُ بعد ذلك الشَّهيدُ النَّاطق.

* * *

(٥٢١) عبد الرَّحمن بن أبي الخير(*)

عبد الرَّحمن بن أبي الخير بن جَبْر صُوفيٌّ ظهرَ شرفُهُ، وعلَتْ غُرفُه، وأنبأَ عن جوهَرِ كَلِمِه صدقُه، مع معرفةٍ تامَّةٍ بكُتبِ الغزاليِّ الفقهيَّةِ، كان يُقالُ له: فارسُ «الوسيط»(١) ورائض «البسيط»(٢).

وكان يقومُ اللَّيلَ كلَّه بالقرآن في ركعتين.

ولمّا احتُضِرَ جاءَهُ الشَّيخُ أحمد بن الجعد، وقال له: هذا وقتُ سفركَ إلى المقامِ العُلويِّ، وأُريدُ منكَ الصُّحبةَ، فماتا معاً(٣) في بضعٍ وأربعين وستِّ مئة.

= الأقوات حتى أكلوا الميتات، ووقع فيهم الوباء، فراسلوا الفرنج على أن يسلِّموا إليهم البلد، ويخرجوا منه بأموالهم وأهلهم، واجتمعوا وحلّفوهم على ذلك، فركبوا في المراكب وزحفوا في البرِّ والبحر، وفتح لهم أهل دمياط الأبواب، فدخلوا ورفعوا أعلامهم على السور، وغدروا بأهل دمياط، ووضعوا فيهم السيف قتلاً وأسراً، وباتوا تلك الليلة يفجرون بالنساء ويفتضّون البنات، وأخذوا المنبر والمصاحف ورؤوس القتلى، وبعثوا بها إلى الجزائر، وجعلوا الجامع كنيسة. انظر العبر ٥/ ٥٩، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٣٨.

(*) طبقات الخواص ٦٥، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٥٦.

(١) الوسيط المحيط بآثار البسيط: كتاب ألفه الغزالي ملخص من كتاب البسيط، وزاد فيه أموراً في «الإبانة» للفوراني. مؤلفات الغزالي ١٩.

(٢) البسيط في الفروع. كتاب ألفه الغزالي في فقه المذهب الشافعي. مؤلفات الغزالي ١٧.

(٣) كذا في الأصول، وتوفي الشيخ أحمد بن الجعد لبضع وتسعين وست مئة انظر ترجمته ٢/ ٣٨٢، والعبارة في طبقات الخواص تشير لوفاة الشيخ عبد الرحمن بن أبي الجعد فقط.

(٥٢٢) عبد الرَّحيم بن أحمد(*)

عبد الرَّحيم بن أحمد باوزير الحضرمي: من أفضلِ مشايخِ المتأخِّرين، وأكملهم تربيةً(١) للمُريدين، له مواعظُ مُحكمَةُ المباني، مُشتملَةٌ على جزالةِ الألفاظِ وبديعِ المعاني، وله في الطَّريقِ معرفةٌ تامَّةٌ وكلامٌ مشهورٌ، منه قوله:

القدرةُ حاملةٌ للكون، والكونُ بما فيه مُسخَّرٌ للقُدرة، والأمرُ بينهما مُنتظم.

وقال في وصفِ القوم: أخي، إنْ قرأتَ مكتوبَ سعدهم فـ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وإن نظرتَ منشورَ مجدهم فـ ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩]، وإن سألتَ عن مقامهم فـ ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: ٥٥]، وإن أردتَ وصفهم فـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ [الحديد: ١٠]، وإن كبر ما ظهر منهم فـ ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُۚ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وإن علمت نفسٌ ما أحضرت فـ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، إخواني، عليكم باتِّباعهم لعلَّكم تكونوا من أتباعهم، وسَلِّموا لهم تنالوا السَّعادةَ.

وكراماتُهُ مَشهورةٌ، ماتَ سنةَ سِتٍّ وعشرين وستٍّ مئة(٢).

* * *

(٥٢٣) عبد الرَّازق الكبير(**)

عبد الرَّازق الكبير(٣)، صوفيٌّ حالُهُ غزير، ونفحاتُ سِرِّه طافحةٌ على الكبيرِ

(*) طبقات الخواص ٦٦، وهو من رجال الطبقة التاسعة، فقد قال الشرجي: وكانت وفاته لنيفٍ وعشرين وثمان مئة.

(١) في الأصل: رتبة، والمثبت من طبقات الخواص.

(٢) كذا في الأصول، انظر مصادر ترجمته.

(**) لم أجد ترجمته في المصادر التي بين يدي. وسيترجم له المؤلف ثانية في الطبقات الصغرى ٤/ ٤٢٤. وهذه الترجمة ليست في (أ) ولا في (ف).

(٣) في المطبوع: عبد الرزاق.

والصَّغير، المسيري، نسبةً لمُنية مسير[١].

أخذَ الطَّريقَ عن القليبي، وتسلَّكَ على يده، وبه كان انتفاعُهُ، وسببُ أخذه عنه: أنَّه اجتمعَ بالبلتاجي ليأخذَ عنه الطَّريقَ، فقال: فتحُكَ على يدِ الشَّيخ عبد السَّلام، ووددْتُ لو كان على يدي شيءٌ. فقال: وأنَّى لي به؟ فأشارَ الشَّيخُ عبد الله بيده إلى قَليبٍ[٢]، فأراهُ إيَّاها، وقال: اذهَبْ إليه وأقرئه السَّلام. فمازال يمشي في ضوءِ أُصبعه حتى دخلَ قليب من ساعته، فقال له القليبي قبل أن يبلغَهُ السَّلامُ عليه: مرحباً بكَ، وبمَنْ أرسَلَكَ.

فوقفَ يوماً يوضِّئُ الشَّيخَ، فبينما الشَّيخُ يردُّ الماءَ على ذراعه، فحصلَ له اصطلام[٣] بحيثُ أنَّه لم يفقْ إلاَّ في مثلِ ذلك الوقت من ثاني يوم، فرأى الشَّيخَ عبد الرَّازق واقفاً بالإبريق، قال له: ما الوقتُ؟ قال: العصر من اليوم الثاني. قال: وأنتَ على حالِكَ ما برحتَ، فأقبلَ الشَّيخُ عليه بالتَّربية، والنَّظر إليه حتّى بلغَ درجةَ الكمال، وصارَ معدوداً من الرِّجال، وصارَ له عنده منزلةٌ، حتّى أنَّه كان للقليبي زوجةٌ تُؤذي عبد الرَّازق كثيراً، فآذَتْهُ يوماً، فقال: لا تتشوَّشْ منها يا عبد الرَّازق، فإنها ستتزوَّجُ رجلاً[٤]، وتأتيكَ من شدَّةِ الفقر، فأكرِمْها. فكان كذلك.

وزارَهُ بمنيةَ مسير شيخُهُ القليبي، والبلتاجي، والديريني، وضرغام، فلمَّا أرادُوا الخروجَ، قال البلتاجي للقليبي: جئنا له وهو مُوسر، فنرحلُ عنه وهو مُعسر؟! فقال القليبي: أُشهدُكم صرَّفتُهُ فيما صرَّفتني فيه المقادير. قال البلتاجي: من أخذَ من ماله دِرهماً، وكذا من ذُرِّيته أذهبَ اللهُ من ماله سبعين

---

(١) منية المسير: قرية قديمة، تقع في مركز كفر الشيخ بمحافظة الغربية بمصر. قاموس رمزي ٢/ ٢/ ١٤٦.

(٢) قليب تقع في مركز كفر الزيات من مديرية الغربية بمصر، وهي من القرى القديمة. انظر قاموس رمزي ٢/ ٢/ ١٢٦.

(٣) الاصطلام لغة: الاستئصال، وأصله من الصَّلم وهو القطع (القاموس).
واصطلاحاً: نعت ولهٍ، يرد على القلب تحت سلطان القهر.

(٤) في المطبوع: جلاداً.

درهماً. وقال الديريني: ضمنتُ له البركةَ ولذرِّيته، فلا تنكشفُ له سِماطاً.
وقال ضرغام: ضمنتُ له البركةَ في سماعه وسماعِ ذُرِّيته.

ومن كرامات عبد الرَّازق: أنَّه كان يمرُّ بالمُقعدِ فيقولُ له: قُمْ، فيقومُ ويَمشي أمامَهُ من غير عِلَّة.

وكان الأبدالُ يأتونَهُ للزِّيارةِ حتّى سُمِّيَ مسجدُهُ مسجد الأربعين.

وتشوَّشَ من حمَّالٍ، فقال: اقعد في بيتكَ. فلم يستطعْ أن يخرجَ من بيته إلى أن مات.

ومنها: أنَّه إذا توقَّفَ القارئُ في آيةٍ دخلَ لقبره فيتذكَّرُها.

ومنها: أنَّه ناداهُ شيخُهُ في بعض اللَّيالي: أنَّ ولدنا حضرَ بمجلسه بعضُ الفقراء، فعطَّلَ سماعَهُ، فأدرِكْهُ. فتوجَّه للبحيرة، وأخرجَ الفقيرَ من المجلسِ، وقال: إن عُدتَ لمثلها سلبتُكَ كلَّ ذلكَ في ساعةٍ واحدةٍ. ورجعَ لبلده في تلك السَّاعةِ.

ولم يزلْ على حاله راقياً درجاتِ كماله إلى أن أناخَ الحمام ببابِه[1].

* * *

---

(١) في (أ): أناخ الحمى ببابه.

(٥٢٤) عبد الحق ابن سَبْعين[*]

عبد الحقِّ بن إبراهيم بن نصر بن فتح بن سَبْعين، قطبُ الدِّين، أبو محمد الإشبيلي المُرْسي الرَّقُوطي[١] الأصل، الصُّوفيُّ المشهور.

درسَ العربيَّةَ والآدابَ بالأندلس، ثمّ انتقلَ إلى سَبْتة، وانتحلَ التَّصوُّفَ على قاعدة زهد الفلاسفة وتصوُّفهم، وعكفَ على مطالعة كتبهم[٢]، وجدَّ واجتهد.

وجالَ في بلادِ المغرب، ثمّ رحلَ إلى المشرق، وحجَّ حججاً كثيرة، وشاع ذِكرُه، وعَظُمَ صيتُه، وكثُرَتْ أتباعُهُ على رأي أهلِ الوحدةِ المُطلقة، وأملى عليهم كلاماً في العِرفان على رأي الاتِّحادية.

وصنَّفَ في ذلك أوضاعاً كثيرة، وتلقَّوها عنه، وبثُّوها في البلادِ شَرقاً وغَرباً.

وقد ترجمه ابنُ حبيب[٣]، فقال: صوفيٌّ، مُتفلسفٌ، مُتزهِّدٌ، مُتعبِّدٌ، مُتقشِّفٌ، يتكلَّمُ على طريقِ أصحابه، ويدخلُ البيتَ لكنْ من غير أبوابه، شاعَ

(*) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٦٠، عنوان الدراية ٢٣٧، العبر ٥/ ٢٩١، فوات الوفيات ٢/ ٢٥٣، مرآة الجنان ٤/ ١٧١، الوافي بالوفيات ١٨/ ٦٠، البداية والنهاية ١٣/ ٢٦١، الإحاطة في أخبار غرناطة ٤/ ٣١، العقد الثمين ٥/ ٣٢٦، لسان الميزان ٣/ ٣٩٢، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٣٢، طبقات الشعراني ١/ ٢٠٣، المنهل الصافي ٢/ ٢٨١، نفح الطيب ٢/ ١٩٦، شذرات الذهب ٥/ ٣٢٩، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ١٨٨، معجم المؤلفين ٥/ ٩٠، مقدمة رسائل ابن سبعين لعبد الرحمن بدوي.

أما عن اسمه ابن سبعين، فجاء في نفح الطيب ٢/ ١٩٦ أنه كان يكتب عن نفسه ابن ٥ يعني الدارة التي هي كالصفر، وهي في بعض طرق المغاربة في حسابهم سبعون، وشهر لذلك بابن داره.

(١) نسبة إلى رقوطة، بلدة أندلسية صغيرة.

(٢) في (أ) و(ف): كتبه.

(٣) هو محمد بن حبيب الحلبي توفي سنة ٧٧٩ هـ، وكتابه «درة الأسلاك في دولة الأتراك» ابتدأ فيه من سنة ٦٤٨ حتى ٧٧٨ هـ، والتزمَ رعاية السجع في كلامه. انظر نفح الطيب ٢/ ١٩٧.

أمرُهُ واشتهرَ ذكرُه، وله تصانيفُ وأتباع، وأقوالٌ تميلُ إليها بعضُ القلوبِ ويُنكرُها بعضُ الأسماع[1].

وذكر عنه أنَّه قال: أبو مَدين عبدُ عَمَلٍ، ونحنُ عَبيدُ حضرة.

وقال لأبي الحسن الشُّشْتَريِّ عندما لقيه، وقد سألَهُ عن وجهته، وأخبر بقصدِه الشَّيخَ أبا أحمد: إنْ كنتَ تُريدُ الجنَّةَ فشأنُكَ ومَنْ قصدتَ، وإن كنتَ تُريدُ ربَّ الجنَّةِ فهلُمَّ إلينا.

وأمَّا ما نُسِبَ إليه من آثار السِّيمياء[2] والتَّصريف فكثيرٌ جداً. ومن نظمه:

كم ذا تُمَوِّهُ بالشِّعبَيْنِ والعَلَمِ ... والأَمرُ أوضَحُ من نارٍ على عَلَمِ

أصبحتَ تسألُ عن نَجْدٍ وساكنها[3] ... وعن تِهامةَ هذا فعلُ مُتَّهمِ

في الحيِّ حيٌّ سوى ليلى فتسأله ... [عنها سؤالك وهمٌ جرَّ للعدم][4]

إلى آخر ما قال.

وقال البِسطامي: كان له سُلوكٌ عجيبٌ على طريقِ أهلِ الوحدة، وله في علمِ الحروفِ والأسماءِ اليَدُ الطُّولى. وألَّفَ تصانيفَ منها كتاب «الحروف الوضعيَّة في الصُّورِ الفلكيَّة» و «شرح كتاب إدريس عليه السَّلام» الذي وضعهُ في علمِ الحرف[5]، وهو نفيس، قال فيه: اعلمْ أنَّ الحروفَ خزانةُ الله، وفيها أسرارُهُ وأسماؤهُ، وعِلمُهُ وأمرُهُ وصفاتُهُ وقُدرتُهُ ومُرادُه، فإذا اطَّلَعْتَ على شيءٍ منها، فأنتَ من خزنَةِ اللهِ، فلا تُخبِرْ أحداً بما فيها من المستودعات، فمَنْ هتَكَ الأستارَ عُذِّبَ بالنَّارِ.

ومن وصاياه إلى تلامذته وأتباعه: عليكم بالاستقامةِ على الطَّريقِ، وقَدِّموا فرضَ الشَّريعةِ على الحقيقة، ولا تُفرِّقوا بينهما، فإنَّهما من الأسماءِ المُترادفةِ،

---

(١) كذا في الأصول، وفي نفح الطيب ٢/ ١٩٧: وتملّها الأسماع.
(٢) السيمياء تقدم تعريفها ٢/ ٧٤، وفي (أ): من أمر السيمياء.
(٣) في الإحاطة ٤/ ٣٧، ونفح الطيب ٢/ ٢٠٣: ظللت تسأل عن نجدٍ وأنت بها.
(٤) في الأصل بياض، وما بين معقوفتين مستدرك من الإحاطة ونفح الطيب.
(٥) انظر تعريفه: ٣/ ١٣٤.

واكفروا بالحقيقةِ التي في زمانكم هذا، وقولوا عليها وعلى أهلها اللَّعنة. انتهى.

وأغراضُ النَّاسِ مُتباينةٌ بعيدةٌ عن الاعتدالِ، فمنهم المرهق المكفّر، ومنهم المقلّد[1].

وممّا شُنِّعَ عليه به ما يقال إنَّه ذَكَرَ في كتابِ «البَدِّ»[2] أنَّ صاحبَ «الإرشاد»[3] إمامَ الحرمين إذا ذُكِرَ أبو جهلٍ وهامان فهو ثالثُ الرَّجلين.

وإنَّه قال في شأنِ الغزالي: إدراكُهُ في العلومِ أضعفُ من خيطِ العنكبوت.

فإنْ صحَّتْ نسبةُ ذلك إليه فهو من أعداء الشَّريعةِ المُطهَّرةِ بلا ريب[4].

وقد حُكيَ عن قاضي القُضاة ابن دقيق العيد أنَّه قال: جلستُ معه من ضَحوةٍ إلى قريبِ الظُّهر، وهو يَسردُ كلاماً تُعقلُ مُفرداتُه، ولا تُفهمُ مُركَّباتُه، واللهُ أعلمُ بسريرةِ حاله.

وقد أخذَ عن جماعةٍ منهم: الحرالي، والبوني.

ماتَ بمكَّةَ سنةَ بضعٍ وستِّين وستِّ مئة عن نحو خمسين سنة.

* * *

(٥٢٥) عبد السَّلام القليبي[*]

صوفيٌّ شرفُهُ شامخ، وعارفٌ طودُه راسخ، معدودٌ من الأعيان، متميِّزٌ على الأقران.

---

(١) تتمة العبارة في نفح الطيب ٢/ ١٩٦: ومنهم المقلّد المعظّم الموقّر.

(٢) كتابه هو: «بدّ العارف وعقيدة المحقق المقرب المكاشف وطريق المتبتل العاكف» هدية العارفين ١/ ٥٠٣. قال الصفدي في الوافي: وله كتاب «البدّ» يعني أنه لابد للعارف منه. وجاء في نفح الطيب ٢/ ١٩٩: «بدء العارف».

(٣) كتاب الإرشاد في الكلام لعبد الملك الجويني، إمام الحرمين، انظر كشف الظنون: ٦٨.

(٤) انظر ما قاله عن الغزالي ناقداً في مقدمة رسائل ابن سبعين صفحة: ١٤.

(*) المنهل الصافي ٧/ ٢٦٢، الدليل الشافي ١/ ٤١٢ (١٤١٨)، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٦٩، وسيترجم له المؤلف مرة أخرى في طبقاته الصغرى ٤/ ٤١٨.

أخذَ عنِ العارف: الرِّفاعي، وغيرُه.

ومن كراماته: أنَّه كان يعدي من بحر أبيار على حجرٍ إذا فقدَ المعدّية.

وكان ينزلُ بثيابه تحتَ الماءِ فيمشي في قعرِ البحرِ إلى البرِّ الآخرِ فلا تبتلُّ ثيابُه.

ودخلَ بلدةً، فاستضافته امرأةٌ، فعلِمَ زوجُها، فتشوَّشَ وهمَّ بضربها، فارتحلَ الشَّيخُ من عندها، وقال لها: قد أعطيتُكِ هذه البلدةَ أنتِ وأولادَكِ، فحلَّ بالزَّوجِ العطب، وماتَ، وماتت أولادُه، ولم يبقَ له أثرٌ، فتزوَّجَتْ بأميرِ البلد، وأتَتْ منه بولدٍ، وماتَ الأميرُ، وأعطى السُّلطانُ البلدَ لولدها، وماتَ الولدُ، فأقطعَها السُّلطانُ إيَّاها، كما قال الشَّيخُ.

ودخلَ عليه فقيرٌ، وقال: إنِّي مريضٌ. فأنزلَهُ عنده، وأمرَ جاريتَهُ أن تخدمه فعُوفيَ، فهَمَّ باجتماعه بجاريةِ الشَّيخ، وجاذبَها على ذلك، ففرَّتْ منه للشَّيخ، فقال: اكتميه وأنتِ حُرَّةٌ. وذهبَ الشَّيخُ إليه، فوجده انصرف، فتبعَهُ، فوجدَهُ ماشياً على البحرِ الذي بين قليب والنحارية[1]، فقال له: ما هذا، وذاك؟ فالتفتَ إليه، وقال: ما ينبغي لنا أن تخدمنا الجاريةُ، ونرتحلَ عنها من غيرِ مُكافاةٍ على ذلك بدون العتق.

وأهدى إليه تاجرٌ منديلاً، فدفعه لزوجته، فتمنَّتْ أنْ لو كانت زوجاً له بالقلبِ دون اللَّفظ، فطلَّقَها حالاً، ثمَّ تزوَّجتْ بالتَّاجر، فهاجَ بها حُبُّ الشَّيخِ، فترقَّبَتْ مُرورَهُ، فمرَّ يوماً، فخرجَتْ له مُسفرةَ الوجه، فلمَّا نظرَ لها خرَّتْ ميتة.

ووقعَ أنَّ أميرَ قليب بالَغَ في الفجورِ والفَساد، فنهاهُ الشَّيخُ، فأغلظَ له، وهدَّدَهُ، فتحرَّكَتْ ريحٌ مُظلمةٌ، فحملَتِ الأميرَ وجماعتَهُ ولم يوقف[2] لهم على خبرٍ ولا أثرٍ بعد ذلك.

---

(١) في المطبوع: النجارية. وفي المنهل الصافي: النحرارية، وفي نسخة (ف) من المنهل: النحريرية.

(٢) في (ب): يوقع.

ومن كلامه: مَنْ لم يقرأ كُتبَ الشَّريعةِ والخِلافِ العالي من المذاهب[1] لا يُقتدى به في الطَّريق.

* * *

(٥٢٦) عبد العزيز الدِّيْريني[*]

عبد العزيز بن أحمد الدِّيريني، عالمٌ عامل، وأديبٌ كامل، وعابدٌ يُمنُه شامل، وزاهدٌ يُشارُ إليه بالأنامل، كان حسنَ الأقوال، جميلَ الصِّفاتِ والأحوال، عَليَّ المقامات، جَليَّ الكرامات، له الأحوالُ المذكورة، والخوارقُ المشهورة.

أخذَ عن ابنِ عبد السَّلام وغيرِه ممَّن عاصره، وصَحِبَ ابن أبي الغنائم، وتخرَّجَ به، وتكلَّمَ على النَّاسِ، وغلَبَ عليه الميلُ إلى التَّصوُّف، واشتهرَ بذلك، ونظمَ «التنبيه»[2]، و «الوجيز»[3]، و «غريب القرآن»، و «السِّيرة

---

(١) في (أ): في المذاهب.

(*) طبقات السبكي ٨/١٩٩، الوافي بالوفيات ١٨/٤٦٨، طبقات الأولياء ٤٤٧، طبقات المفسرين للداودي ١٢٨، حسن المحاضرة ١/٤٢١، المنهل الصافي ٧/٢٦٩، طبقات الشعراني ١/٢٠٢، كشف الظنون ١٩٥، ٤٤٧، ٤٩٢، ٧٤٩، ٩٢٤، ١٠١٢، ١٠٣٤، ١١١٨، ١٣٨٩، ٢٠٠٣، شذرات الذهب ٥/٤٥٠، إيضاح المكنون ١/٦٠، و ٢/٤٩٤، ٦٠٤، هدية العارفين ١/٥٨٠، جامع كرامات الأولياء ٢/٧٢، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/٤٣٧.

والدِّيريني نسبة لديرين بلدة من الغربية، من الوجه البحري بمصر، وسيذكرها المؤلف في نهاية الترجمة.

(٢) كتاب التنبيه في فروع الشافعية لإبراهيم بن علي الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ هـ، وهو أحد الكتب الخمسة المشهورة المتداولة بين الشافعية. كشف الظنون ٤٨٩.

(٣) كتاب الوجيز في الفروع للإمام أبي حامد الغزالي، أخذه من «البسيط» و «الوسيط» له، وزاد فيه أموراً، وهو كتاب جليل عمدة في مذهب الشافعي. كشف الظنون ٢٠٠٢. قال الصفدي في الوافي ١٨/٤٦٩: نظم في قريب الخمسة آلاف بيت على حرف الراء.

النَّبويَّة»، وعملَ تفسيراً منظوماً في مجلَّدين[1].

وكان مُتقشِّفاً مُخشوشِناً، سليمَ الباطن، جميلَ الأخلاق.

لمّا دخلَ المحلَّةَ كانت عليه عمامةٌ مُتغيِّرةُ اللَّون، فظنَّها بعضُ النَّاسِ زرقاء، فقال له: تَشهَّدْ. فتشَهَّدَ، فنزعَ عِمامته، وقال: اذهَبْ للقاضي تُسلِمْ على يديه، فذهبَ معه، فلمَّا رآهُ القاضي قامَ إليه، وقبَّلَ يديه، وقال: ما هذا ؟ قال: قالوا لي تشهَّدْ، فتشهَّدْتُ، وقالوا: امضِ للقاضي، فجئتُ، فماذا ؟.

وكان مُقيماً بالرِّيف، ينتقلُ من بلدٍ إلى بلد، ويُقصدُ للزِّيارةِ من كلِّ قطر.

وكان كلُّ كتابٍ صنَّفَهُ في بلدٍ تركَهُ فيها، ولا يحملُه.

وطُلِبَ منه كرامةٌ فقال: وأيُّ كرامةٍ لعبد العزيز أعظمُ من أن الله يُمسكُ به الأرضَ ولم يخسفها به ؟ وقد استحقَّ ذلك، واللهِ، ما أرفعُ رجلي وأضعها على الأرض وأجدها ثابتة وفي عيني قطرة.

وكان يُحسنُ عِلمَ الكلام على مذهبِ الأشعري، ويُقرِّرُه أحسنَ تقريرٍ، وله فيه عدَّةُ قصائدَ وأراجيز، ومن تصانيفه كتاب «طهارةُ القلوب في ذِكرِ علاَّمِ الغُيوب»[2]، وهو حسنٌ، وكتاب «أنوارُ المعارف وأسرار العارف»[3] كلاهُما في التَّصوُّفِ، و «شرحُ الأسماء الحُسنى»[4]، و «الوسائل والرسائل» في التَّوحيد، وغير ذلك.

ومن كلامه:

إلهي، عرَّفتَنا بربوبيَّتِكَ، وغرَّقتَنا في بحارِ نعمتِكَ، ودعوتَنا إلى دارِ قُدسِكَ، ونعَّمْتَنا بذِكْرِكَ وأُنسِكَ، إلهي، إنَّ ظُلمةَ ذُنوبِنا لأنفُسنا قد عمَّتْ،

---

(١) سماه التيسير في علم التفسير، ضم أكثر من ٣٢٠٠ بيت من الرجز طبع في القاهرة سنة ١٣٠١ هـ. بروكلمان ٤/ ٤٣٨.

(٢) في هدية العارفين ١/ ٥٨١: طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب.

(٣) في المطبوع: وأسرار المعارف.

(٤) واسمه المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى طبع في القاهرة سنة ١٣٣٠ هـ. بروكلمان ٤/ ٤٣٨.

وبحار الغَفْلَةِ على قُلوبِنا قد طَمَّتْ، فالعَجْزُ شاملٌ، والحَصْرُ حاصلٌ، والتَّسليمُ أسلم، وأنتَ بالحالِ أعلم.

وله مناجاةٌ حِسان.

قال ابنُ حبيب[1]: ومؤلّفاتُهُ تدلُّ على إعانةٍ إلهيَّة.

ومن نظمه[2]:

تزوَّجتُ اثنتينِ لفرطِ جَهْلي ... عسى بزواجِهِنَّ تقَرُّ عَيني

فقلتُ أعيشُ بينهما خَروفاً ... أُنعَّمُ بين أكرمِ نعجتَيْنِ

فجاءَ الحالُ عكسَ الحالِ دوماً ... عذابٌ دائمٌ ببليَّتَيْنِ

رِضا هذي يُحرِّكُ سُخْطَ هذي ... فلا أخلو من إحدى السَّخطتَيْنِ

لهذي ليلةٌ ولتلكَ أُخرى ... نِقارٌ دائمٌ في اللَّيلتَيْنِ

إذا ما شئتَ أنْ تَحيا سعيداً ... من الخيراتِ مَملوءَ اليَديْنِ

فعِشْ عَزباً وإنْ لم تستطِعْهُ ... فواحدةٌ تَكفي عَسْكرَيْنِ[3]

ماتَ سنةَ أربعٍ وتسعين وستٍّ مئة، وقيل سنة تسعٍ وثمانين، وقيل تسعين، وقيل غير ذلك[4].

والدِّيريني نسبةٌ إلى ديرين بكسرِ الدَّال المُهملة، بلدةٌ بديارِ مصرَ من أعمالِ الغربيَّة.

* * *

---

(١) لعله في كتابه درة الأسلاك انظر الحاشية ٣ صفحة ٤٤٠ من هذا الجزء.

(٢) هذه الأبيات ليست من نظمه، ولعل العبارة: وكان ينشد متمثلاً، فالأبيات أوردها أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم المتوفى سنة ٣٥٦ هـ، في أماليه ٢/ ٣٥، مع اختلاف في الرواية.

(٣) من قوله: قال ابن حبيب إلى هنا ليس في (أ).

(٤) هناك اختلاف كبير في تاريخ وفاته. انظر شذرات الذهب ٥/ ٤٥٠.

(٥٢٧) عبد العزيز بن عبد السَّلام(*)

العلاَّمةُ، ذو الفنون، وحيدُ عصره، عزُّ الدين السُّلّميُّ الدِّمشقيُّ، ثمّ المصريُّ، شيخُ الشَّافعيَّة، وقُدوةُ الصُّوفيَّة، إمامٌ عِزُّه دائم، وطائرُ فضله حائم، وبحرُ كمالِ مَوجِه زاخر، وجوهرُ عُلومه فاخر.

كان وافرَ التقشُّفِ، تاركَ التَّكلُّفِ، حسَنَ الخُلقِ، مُهابَ المنظرِ، ناهياً عن المُنكر، عظيمَ الجدِّ والمُجاهدة.

احتلمَ في ليلةٍ شديدةِ البَردِ، فجاءَ إلى ماءٍ جامدٍ فكسرَهُ واغتسلَ، فكادَتْ روحُه تزهق. ثمّ احتلمَ(١) ففعلَ مثلَ ذلك، فأُغمي عليه، وكادَ يهلك، فسمعَ قائلاً يقولُ: لأُعوِّضَنَّكَ بها عزَّ الدُّنيا والآخرة.

هذا وقد بلغَ رُتبةَ الاجتهاد، وقُصِدَ للأخذِ عنه من أطرافِ البلاد.

له التَّصانيفُ المُفيدة، والمناقبُ التي يَبلى الزَّمانُ وهي جديدة.

درَّسَ بدمشقَ وبها خطب، ورَقِيَ بمصرَ عند سكنِهِ بها إلى أسمى الرُّتب، ولِيَ الحُكمَ بالدِّيارِ المصريَّة، وحازَ قَصَبَ السَّبقِ في ميدانِ طائفته العصريَّة.

أخذَ الفقه عن ابنِ عساكر، والأصولَ عنِ الآمِدي.

(*) ذيل الروضتين ٢١٦، ذيل مرآة الزمان ١/ ٥٠٥، تالي كتاب وفيات الأعيان ٩٥، العبر ٥/ ٢٦٠، مختصر دول الإسلام ٢/ ١٢٨، فوات الوفيات ٢/ ٣٥٠، مرآة الجنان ٤/ ١٥٣، الوافي بالوفيات ١٨/ ٥٢٠، البداية والنهاية ١٣/ ٢٣٥، تاريخ علماء بغداد ١٠٤، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٨، المنهل الصافي ٧/ ٢٨٦، مفتاح السعادة ٢/ ٢١٢، حسن المحاضرة ١/ ٣١٤، طبقات ابن هداية الله ٢٢٢، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٠٨، كشف الظنون ٩٢، ١١٦، ٢٢٠، ٢٦٠، ٣٩٩، ٤٣٨، ٤٥٣، ٨٨٣، ١٠٢٧، ١٠٨١، ١١٤٣، ١١٥٨، ١٢١٩، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٥٩٠، ١٧٨٠، ١٧٨٧، ١٨٥٥، ١٩٨٥، شذرات الذهب ٥/ ٣٠١، إيضاح المكنون ١/ ٨٤، ١٦٧، ٦٣١، هدية العارفين ١/ ٥٨٠.

(١) في (ب): ثم احتمل ثانية.

ورحلَ إلى بغداد، وكان يلبسُ قُبْعَ[1] لبَّادٍ، ويحضرُ به المواكبَ السُّلطانيَّة بلا عِمامة.

ومن مؤلَّفاته: «تفسير» مختصر في مُجلَّدٍ، و «القواعد الكبرى»[2]، و «الصغرى»، و «مجاز القرآن»[3] و «شجرة المعارف» و «شرح الأسماء الحسنى» و «مختصر النهاية» وليس كإمامته[4]، و «الجمعُ بين الحاوي والنهاية»، و «الفتاوى المَوصليَّة»، وغير ذلك.

وسمعَ الحديثَ من: ابنِ طَبَرْزَد، وغيره.

وعنه: الدِّمياطي، وابنُ دقيق العيد، وهو الذي لقَّبَهُ سُلطان العُلماء، والتَّاجُ الفِركاح[5]، والباجِيّ، وخلق.

وكان أولاً يُنكرُ على الصُّوفيَّة، ويقولُ: هل لنا طريقٌ غيرُ الكتابِ والسُّنَّةِ؟! فلمّا اجتمعَ بالشَّاذليِّ وذاقَ مذاهبهم، فقطعَ السِّلسلةَ الحديد بالكراسة، وصار يمدحهم، بل دخل في عدادهم.

وليَ خطابةَ دمشق، فلم يَلبَسِ السَّواد، ولا سجَعَ خطبةً، وتركَ الثَّناءَ على

---

(١) القبع: طاقية توضع تحت العمامة، أو الطربوش. المعجم المفصل بأسماء الملابس ٢٧٩. وفي الأصول: قبعاً لباداً.
(٢) كتاب في فروع الشافعية، وكثير منها مأخوذ من شعب الإيمان للحليمي. كشف الظنون ١٣٥٩، وقد طبع في دمشق تحت عنوان: قواعد الأحكام في مصالح الأنام.
(٣) جاء في حاشية طبقات السبكي ٨/ ٢٤٧: هو المطبوع بالأستانة باسم الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز. واسمه في هدية العارفين ١/ ٥٨٠: الإشارة والإيجاز في بعض أنواع المجاز. وقد اختصره السيوطي وسماه مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن. كشف الظنون ١٥٩٠.
(٤) في طبقات السبكي ٨/ ٢٤٨: دلَّت على قَدْره، وأشار الأستاذان المحققان أن هذه اللفظة في المطبوع القديم، وفي نسخه الخطية: ليس على قَدْره. وما في مخطوط السبكي يناسب المذكور هنا.
(٥) في طبقات السبكي ٨/ ٢٠٩: تاج الدين بن الفركاح.

الملوك، وأبطلَ صلاةَ الرَّغائب[1] ونصف شعبان، فكان بينه وبين ابن الصَّلاحِ بسبب ذلك ما كان.

وكتب له السُّلطانُ الأشرفُ موسى جواباً عن كتابٍ كتبه العزُّ إليه يطلبُ منه عقدَ مجلسٍ بسبب العقائد، وكان الأشرفُ مُتحاملاً عليه، مع خصومةِ الحنابلة، فكتبَ إليه العزُّ كتاباً في آخره. وبعد: فإنَّا نزعمُ أنَّنا من جُملةِ حزبِ الله [وأنصارِ دينه][2] وجُندِهِ، وكلُّ جُنديٍّ لا يُخاطرُ بنفسه فليس بجُنْديٍّ. وافتتحه بقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

---

(١) ذكر ابن الجوزي في كتابه «الموضوعات» ٢/ ١٢٤ صفة صلاة الرغائب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يصوم يوم الخميس أول خميس في رجب، ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة ـ يعني ليلة الجمعة ـ ثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرّة و ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ ثلاث مرات، و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ اثنتي عشرة مرة، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، فإذا فرغ من صلاته صلَّى عليَّ سبعين مرة، ثم يقول: اللَّهمَّ، صلِّ على محمد النبي الأمي وعلى آله، ثم يسجد، فيقول في سجوده: سُبُّوح قُدُّوس، ربُّ الملائكة والرُّوح سبعين مرة، ثم يرفع رأسه فيقول: رب اغفر لي وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت العزيز الأعظم سبعين مرة، ثم يسجدُ الثانية فيقول مثل ما قال في السجدة الأولى، ثم يسأل الله تعالى حاجته فإنها تقضى».

وكانت العوام تصليها جماعةً في المسجد وهم صيام، وقبل أن يُفطروا وهي عندهم أعظمُ وأجلُّ من صلاة التراويح. انظر ما قاله العز في إبطالها في طبقات السبكي ٨/ ٢٥١.

قال حاجي خليفة في كشف الظنون ١٠٨١: اختلق بعض الكذابين في القرن الثالث حديثاً في فضلها، ثم اشتهر في القرن الرابع، فممن نصَّ على فضلها أبو طالب المكي، وتبعه الغزالي معتمداً على الحديث الموضوع... وممن أنكرها النووي، وصنف الشيخ أبو شامة كتاباً في إبطالها، فأحسن، وسماه اللمع، ومنهم أبو بكر الطرطوشي، وابن دحية، وعبد العزيز بن عبد السلام خطيب جامع دمشق خطب في شهر رجب يوم الجمعة سنة ٦٣٧ وقال: واعلم أنها بدعة منكرة، ووضع جزءاً سماه الترغيب عن صلاة الرغائب حذر فيه من ركوب البدع.

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من طبقات السبكي ٨/ ٢٣٤.

ولمَّا سلَّمَ الملكُ الصَّالحُ إسماعيل قلعةَ صفد للفرنج، نالَ منه على المِنبرِ، ولم يدعُ له، فغضبَ السُّلطانُ، وعزلَهُ، وسجنَهُ، ثمّ أطلقهُ، فنزحَ[1] إلى مصرَ، هو وابنُ الحاجب، فولأه السُّلطانُ قضاءَ مصرَ، فتمكَّنَ من الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المُنكرِ أكثرَ، فشقَّ ذلك على حاشيةِ الملكِ فعزلَهُ.

ومن كلامه:

الشَّريعةُ كلُّها مصالح، إمّا بدرءِ مفاسد، أو بجلبِ مصالح، فإذا سمعتَ اللهَ تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٤] فتأمَّلْ وصيَّتَهُ بعد ندائه، فلا تجد إلاَّ خيراً يحثُّكَ عليه، أو شرًّا يزجرُكَ عنه، أو جمعاً بينهما.

وقال: من أدَلِّ دليلٍ على أنَّ القومَ قعدوا على أساسِ الشَّريعةِ، وقعدَ غيرُهم على الرُّسومِ ما يقعُ على أيديهم من الخوارقِ، ولا يقعُ شيءٌ منها من فقيهٍ إلاَّ سلَكَ طريقَهم.

وقال: كلامُ العارفِ ينبعُ من قعرِ قلبِ قليب قلبه، تَسوقُه جداولُ أفكاره إلى مصبٍّ لسانه، فيقعُ على مزارعِ المسامع، فإذا صادفَ أرضاً طيِّبَةً أنبتَتْ شجرةً طيِّبةً، تطلعُ أزهارَ الحِكَم وثمارَ العبر.

وقال: لا تصحَبْ إلاَّ مَنْ تجِدْ من أنفاسه عطريَّة نفحاتِ المعرفةِ وثمراتِ المحبَّةِ؛ فإنَّه من الأنفاسِ ما يكونُ نسيماً مُورِقاً، ومنها ما يكونُ سَموماً مُحرقاً[2].

وقال: إذا أرادَ سُلطانُ المحبَّةِ يصطفي لنفسه حبيباً بعثَ إليه بريدَ الإرادة، وجيَّشَ[3] في طلبه جيوشَ الرِّعاية، وجنَّدَ جنودَ العناية، فوافوه في باديةِ الطَّلبِ حائراً، وعلى أقدامِ سُلوكِ الأدبِ سائراً، لا يعرفُ جهةً، فيُشيرُ إليها، ولا لقيَّةً فيعوِّلُ عليها، فأخذَ بيده رفيقُ التَّوفيق، ودلَّ به دليلُ التَّحقيق.

وقال: العارفُ مَنْ فاحَ من طيبِ أنفاسه عَرْفُ المعرفةِ بالله، ولاحَ

---

(١) في (ب): فبرح.

(٢) في (ب): مسموماً مخرقاً.

(٣) في (ب) والمطبوع: جرَّد في طلبه.

لجلَّاسه[1] من أساريرِ وجهه نورُ الإيمان بالله، فكلامُهُ شفاء، ونظرُهُ نورٌ وضياء.

وقال: يا أهلَ السُّلوكِ إلى منازلِ الملوك، الطَّريقُ ضيِّقُ المجال[2]، لا يسلكُها إلاَّ فُحولُ الرِّجال، فمَنْ لا دليلَ له فهو ضالٌّ، ومَنْ لا مُسلكَ له فهو مع الجهَّال، ومَنْ لا مُربِّيَ له فهو من الأنذال، مَنْ لا تربيةَ له فدعواه مُحال، مَنْ لا شيخَ له فهو خائِبُ الآمال، مَنْ لا أدَبَ له فهو سقطٌ[3] من عين الكمال، من لا صدقَ له فضحته شواهدُ الأحوال، من لا همَّةَ له نزلَ عن رتبَ[4] العوال، من لا عزيمةَ له انقطعَ عنِ الأبطال، من لا عمَلَ له فعلمه نكال. واعجباه إلى بطَّالٍ يتطاوَلُ إلى منازلِ الأبطال، وهو من الأطفال، يَجولُ مجالَ الرِّجال.

وقال: إذا بُذِرَتْ حبَّةُ المحبَّةِ في أرضِ القلوبِ السَّليمةِ، رسخَتْ عُروقُها في أعماقِ السَّرائرِ المُستقيمة، ونسخَتْ أحكامُها القديمةُ ما كانَ من الأوصافِ والأخلاقِ الذَّميمة.

ومن كراماته:

أنَّه لمَّا ورَدَ الخبرُ بوصول التَّتار، رسمَ السُّلطان المُظفَّرُ قطز بالخروجِ بعد العيد، فطلعَ عليه وقال: ما تأخُّرُكَ[5]؟ قال: حتّى نهيِّىءَ أسيافاً. قال: لا، قُمْ. قال: فتضمنُ لي على اللهِ النَّصرَ؟ قال: نعم. فكان كما قال.

ولمّا وصلَ الفرنجُ إلى المنصورة لقتالِ المسلمين في مراكبَ عديدةٍ، والرِّيحُ أشرعت قُلوعَها، واستظهرَ العدوُّ، وضعفَتْ قُلوبُ المُسلمين، وكان الشَّيخُ معهم، فأشارِ بيده إلى الرِّيحِ، وقال: يا ريحُ، خُذيهم. عدَّةَ مرَّاتٍ، فعادَتْ على الفرنج، وكسرَتْ مراكبَهُم، وكان الفتحُ.

---

(١) في (أ): لجلسائه.
(٢) في (ب): الحال.
(٣) في (ب): فهو ساقط.
(٤) في (ب): رتبه.
(٥) في (أ): ما تأخَّر بك.

ومنها: أنَّ السُّلطانَ كلَّمَهُ مرَّةً بغِلظَةٍ فغضِبَ، وحملَ حوائجَهُ على حمارته، وأركبَ زوجتَهُ، ومشى خلفَهُم خارجاً من القاهرة، فلحقَهُ غالِبُ المُسلمين رجالاً ونساءً وصبياناً، فبلغَ السُّلطانَ الخبرُ، فقيل له: متى راحَ ذهبَ مُلكُكَ. فلحقَهُ وترضَّاهُ حتّى عاد.

ومنها: قَومتُهُ الكُبرى في أُمراءِ مصرَ، وقولُهُ لهم: أنتُم أرِقَّاءُ، يجري عليكم حُكم العبيد، فلم يستطِعْ أحدٌ منهم أن يُعارضَهُ، حتّى أنَّ نائبَ السَّلطنةِ استشاطَ غضباً، وقال: كيف يقولُ هذا، ونحنُ مُلوكُ الأرض؟ واللهِ لأضربَنَّهُ بسيفي هذا، وسَلَّ سيفَهُ، وركِبَ في محفلةٍ، وجاءَ للشَّيخِ والسَّيفُ مَسلولٌ، فدقَّ البابَ، فخرجَ ولدُهُ وعادَ فأخبرَهُ فما اكترثَ، ثمّ خرجَ كأنَّه قضاءُ اللهِ نزلَ على ذلك الأسد، فحين عاينَهُ يبسَتْ يَدُه، وسقطَ السَّيفُ فبكى، وسألَ الشَّيخَ أن يصفحَ عنه، فقال: بشرط، أنْ أنادي عليكم، وأبيعكم، وأصرفَ الثَّمنَ في المصالح، فنادى على أولئكَ الأُمراء[1] واحداً بعد واحدٍ، ولم يبِعْهم إلاَّ بالثَّمنِ البالغ، ولم ينتَطِحْ فيها عَنْزان، وهذا لم يقعْ نظيرُهُ لأحدٍ.

ومنها: أنَّه كان بينَه وبين رجلٍ[2] في الرِّيفِ صداقةٌ، فأرسلَ له هديةً فيها وعاءُ جبن، فانكسرَ في الطَّريقِ، فاشترى الرَّسولُ بدلَهُ من ذِمِّيٍّ، فلمَّا وصلتِ الهديَّةُ للشَّيخِ قبلَها إلاَّ الجُبن، قال: وهذا الذي حلبته يدُها نجسةٌ[3] بلحم خِنزير، ولم يَكُنْ عَلمَ الخبرَ.

وخرجَ يوماً إلى الدَّرسِ، وعليه قُبعُ لبَّادٍ، وقد نَسِيَ، فلبِسَ فردتَهُ مَقلوبَةً، فتبسَّمَ بعضُ الحاضرين، فتأمَّلَهُ الشَّيخُ، ولم يكترث وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ...﴾ [الأنعام: ٩١].

---

(١) في (ب): القوم الأمراء.

(٢) الرجل هو عبد الله البلتاجي الذي تقدمت ترجمته في هذه الطبقة. طبقات السبكي ٨/ ٢١٣.

(٣) في (أ): وهذا الذي انكسر التي حلبته. وفي المطبوع: هذه التي حلبته.. وفي طبقات السبكي ٨/ ٢١٣ قال للرسول: يا ولدي، ليش تفعل هذا؟ إن المرأة التي حلبت لبن هذا الجبن كانت يدها متنجسة بالخنزير.

وكان مع شدَّته فيه حسنُ محاضرةٍ بالنَّوادرِ والأشعارِ. وكان يحضرُ السَّماعَ ويرقصُ ويَتواجَدُ.

وكان يطعَنُ في ابن عربي، ويقولُ: زِنديقٌ. فقال له بعضُ أصحابه: أُريدُ أن تُريني القُطبَ، فأراه ابنَ عربي. فقال: أنتَ تَطعنُ فيه! فقال: لأصونَ ظاهِرَ الشَّرعِ.

قال اليافعي[1]: أخبرَني به غيرُ واحدٍ ما بين مَشهورٍ بالصَّلاح والفضلِ والعلم، ومعروفٍ بالدِّين والثِّقةِ والعدالة من أهل الشَّامِ ومصر[2].

ولمَّا مرضَ قال له السُّلطانُ: مَنْ في أولادِكَ يَصلحُ لوظائفكَ؟ قال: ليس فيهم مَنْ يصلحُ لشيءٍ منها.

وأفتى مرَّةً بشيءٍ، ثمّ ظهرَ له أنَّه أخطأَ، فنادى في مصرَ والقاهرة: مَنْ أفتى له فُلانٌ بكذا فلا يعملْ به؛ فإنَّه خطأٌ.

ووقعَ مرةً غَلاءٌ كثيرٌ، فصارتِ البساتينُ تُباعُ بشيءٍ قليل، فأعطَتْهُ زوجتُهُ حلياً ليشتري لها به بُستاناً، فتصدَّقَ بثمنه، فقالَتْ له: اشتريتَ لنا؟ قال: نعم، اشتريتُهُ في الجنَّةِ.

وكان مع فقره كثيرَ الصَّدقةِ، حتّى إذا لم يكن معه أعطى قُبْعَهُ.

وحَكى عنه ولدُهُ أنَّه قال: بينما أنا في بدايَتي بين النَّائمِ واليقظان وإلى اليقظةِ أقرب، وإذا بالنِّداءِ: أتدَّعي محبَّتَنا ولا تتَّصِف بصفاتنا، وتتخلَّق بأخلاقِنا؟.

وعُرِضَتْ عليَّ الأسماءُ الحُسنى، وقيل: أنا الرَّؤوفُ الرَّحيم، فكُنْ رؤوفاً رحيماً بكلِّ مَنْ قدرتَ على رحمته، أنا الغفَّارُ، فكن سَتَّاراً لعيوبِ النَّاسِ، وإيَّاكَ وإظهارَ عيوبِكَ وإعلانَ ذُنوبكَ؛ فإنَّ إعلانَ[3] العيوبِ مُسخطٌ لعلاَّمِ

---

(١) الإرشاد والتطريز ١٦٢.
(٢) انظر ما قاله الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسن الفاسي في رد هذه الحكاية في كتابه العقد الثمين ٢/ ١٨٣.
(٣) في (أ): فإن إظهار.

الغيوب، أنا الحليمُ[1]، فاحلُمْ على كلِّ مَنْ آذاكَ، وأنا اللَّطيفُ، فارفقْ بكلِّ مَنْ أُمرتَ بالرِّفقِ به، فإنِّي لطيفٌ بعبادي.

ماتَ بمصرَ سنةَ ستِّين وستِّ مئة، ودُفنَ بالقَرافة الكُبرى في آخرها.

* * *

(٥٢٨) عبد العزيز بن يحيى العتبي(*)

عبد العزيز بن يحيى بن علي بن عبد الرحمن العتبي. كان عابداً صالحاً، خاشعاً، ذا كراماتٍ منها:

أنَّه سمعَ بعضَ الرَّافضَةِ يذكرُ مناقبَ الصدِّيقِ ويسخرَ منه، فبلغَهُ ذلك، ودعا عليه، فجُذِمَ.

وجاءَهُ سارقٌ، فأخذَ بُردَةً له وهو في المسجد، فوجدَ البابَ مُغلقاً، فوضعَها وخرجَ فوجدَهُ مَفتوحاً، صنعَ ذلك مِراراً، فقال له الشَّيخُ: ما تُريدُ؟ فأخبرَهُ الخبرَ، فقال: دَعْها، وانصرف؛ فإنَّ صاحبَها يقومُ بها اللَّيلَ كلَّه منذُ كذا كذا سنة.

ومرَّ يوماً بالطَّريقِ فوجدَ امرأةً تصيحُ، فقال: ما لَكِ؟ فقالت: وَلدي سقطَ في هذه البئر. فوضعَ يدَهُ في البئرِ فارتفعَ الماءُ إليه، فتناولَ الولدَ بيده، فأخذَتْهُ أُمُّهُ.

وقال: لقيَ بعضُ الصَّالحينَ إبليسَ، فقال له: بِمَ تظفَرُ بابنِ آدمَ؟ فقال: إذا ظفرتُ منه بثلاث لم أطلُبْهُ بغيرها؛ إذا أُعجِبَ بنفسه، واستكثرَ عملَهُ، ونَسيَ ذَنْبَه.

ماتَ في صدرِ القرنِ السَّابعِ، ودُفِنَ بالقَرافَة.

* * *

---

(١) في (أ): أنا الحكيم.

(*) الكواكب السيارة ٢٦٠ (وجاء اسمه عبد الكريم)، تحفة الأحباب ٣٥٨ (واسمه فيه عبد العزيز بن عبد الكريم)، جامع كرامات الأولياء ٢٠/ ٧١.

(٥٢٩) عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي(*)

عبد العزيز بن أبي بكر القُرشي المَهدويُّ.

أخذَ عنِ الشَّيخِ أبي مَدين.

كان ذا اتِّصافٍ جميل، وعلمٍ جَليل، وحالٍ فَضيل. يقرأُ القرآنَ مع كونه أُميًّا.

أثنى عليه الأئمَّة، وأخذَ عنه الأكابر.

وكان يَلبَسُ مُرْقَعةً زِنَتُها تسعون رَطلاً، ويؤدِّبُ نفسَهُ بالمُجاهدةِ، حتّى إذا أنسَ منها الفُتورَ دخلَ البحرَ بمُرْقَعته، ولا يزالُ يُصلِّي حتّى تَجِفَّ عقوبةً لها.

وكان إذا دخلَ الخلوةَ واصلَ أربعينَ يوماً.

ومن كراماته:

أنَّ إمام المهديَّةِ[1] بلغَهُ مُواصلتُه[2]، فقال: إنْ ماتَ لم أُصَلِّ عليه؛ لأنَّه قاتلُ نَفسِه. فبلغَهُ، فقال: هو الذي يموتُ، وأنا أُصلِّي عليه. فكان كما قال.

ماتَ سنةَ واحدٍ وسبعين، ودُفنَ بمرسى[3].

* * *

(*) شجرة النور الزكية ١/ ١٦٩، كشف الظنون ١/ ٨٨٢ (في الرسالة القدسية للشيخ ابن عربي إلى وليه وأخيه ركن الدين الوثيق أبي محمد بن أبي بكر المهدوي نزيل تونس) وهي كتاب روح القدس أرسل رسالته إليه سنة ٦٠٠ للهجرة، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٧٢. وهذه الترجمة ليست في (أ) ولا في (ب) وسيترجم له المؤلف ثانية في الطبقات الصغرى ٤/ ٤٢١.

(١) المهدية: مدينة محدثة بساحل إفريقية (تونس)، بناها عبيد الله الشيعي، وسماها مهدية نسبة إلى نفسه، وبينها وبين القيروان ستون ميلاً، والبحر قد أحاط بها من جهاتها الثلاث. الروض المعطار ٥٦١.

(٢) المواصلة هو ألا يفطر يومين أو أيَّاماً. النهاية (وصل) وقد نهى النبيُّ ﷺ عنها.

(٣) جاء في حاشية شجرة النور ١/ ١٦٩: المرسى من أحواز تونس.

(٥٣٠) عبد الغفَّار بن عبد الكريم القزويني[*]

نجمُ الدِّين، الإمامُ الجَليل، الهُمامُ الذي لم يَسمحْ بمثله الدَّهر البَخيل، المُتمسِّكُ بأفنانِ عِزِّ العزلة، المُلازمُ على جدِّ القولِ التَّاركُ هزلَه، الشَّافعيُّ الكبير، صاحبُ «الحاوي الصغير»[1].

كان من أعاظمِ الأعلام، له اليَدُ الطُّولى في الفقه والتَّصوُّفِ والكلام.

بلغَ من حُسنِ الاختصارِ مَبلغاً صَيَّرَهُ بين مَنْ تقدَّمَ وتأخَّرَ كالشَّامة، ومن بلاغةِ العبارة ووجازةِ اللَّفظِ ما قَضوا له بأنَّه بين المؤلِّفينَ كريشِ الطَّاووس أو طوقِ الحمامة.

وكان مع ذلك من رؤوس الصُّلحاء، وساداتِ الأولياء.

قال النَّووي في «الأذكار»: صاحبُ كراماتٍ ظاهرة، وأحوالٍ باهرة، ومعارفَ مُتظاهرة.

فمن كراماته ما حكاه القطبُ الأَرْدَبيليُّ[2]: أنَّه اتَّفقَ حجُّ العارفِ شهابِ الدِّين السُّهْرَوَرْدِيّ، وكان القَزوينيُّ حاجًّا، ولم يكن يعرِفْهُ، فقال السُّهْرَوَرْدِيُّ لجماعته: أشُمُّ هنا رائحةَ رجلٍ كبيرٍ. ووصفَهُ، فكشفُوا خبرَهُ، فوافوه وهو يكتبُ في «الحاوي» وقد أضاء له نورٌ في اللَّيلِ يكتبُ عليه من غير سِراجٍ. فقالوا له: الشَّيخُ يطلُبكَ. فأتاه، فقال: ما تكتبُ؟ فقال: أُصنِّفُ هذا الكتاب. ووصفَ له «الحاوي». فقال له: أسرِعْ وعَجِّلْ. وأكَّدَ عليه، وألزمَهُ، ثمّ فارقَهُ.

(*) مرآة الجنان ٤/ ١٦٧، طبقات السبكي ٨/ ٢٧٧، طبقات الإسنوي ١/ ٤٥٢، الدرر الكامنة ٤/ ١٩ (ضمن ترجمة ابنه محمد)، كشف الظنون ٦٢٥، ١٥٤٣، شذرات الذهب ٥/ ٣٢٧، هدية العارفين ١/ ٥٨٧، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٨٥، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/ ٦٠.

(١) الحاوي الصغير في الفروع، وهو من الكتب المعتبرة بين الشافعية، وله الكثير من الشروح، كشف الظنون ٦٢٥. قال ابن حجر في الدرر في ترجمة ابنه محمد: وله صنف أبوه الحاوي، اختصره من الرافعي الكبير.

(٢) هو محمد بن أسفهيد. انظر طبقات السبكي ٨/ ٢٧٨.

فسُئِلَ الشَّيخُ عن ذلك، فقال: إنَّ أجَلَهُ قد دَنا، فأحببتُ أن يُفرغَهُ قبلَ موته، وكان كذلك، ماتَ عقبَ فراغه.

قال السُّبكيُّ[1]: وكان معروفاً بين أهلِ قزوين بأنَّه إذا كتبَ في ظُلمةِ اللَّيلِ تُضيءُ له أصابِعُهُ، فيكتبُ عليها.

ماتَ سنةَ خمسٍ وستِّين وستِّ مئة[2].

* * *

(٥٣١) عبد الكريم الرَّافعي[*]

عبد الكريم بن محمد القزويني إمامُ الأئمَّةِ الرَّافعي، أُستاذُ المُصنِّفين، عُمدةُ المُحقِّقين. كأنَّما كان الفقهُ ميتاً فأحياه وأنشرَه، وأقامَ عِمادَهُ بعد ما أماتَهُ الجَهلُ فأقبرَه، وكان ورعاً، زاهداً، عابداً، صالحاً، تقيًّا، مُراقباً لله، له السِّيرةُ المَرضيَّة، والطَّريقةُ الزكيَّة، والأحوالُ الظَّاهرة، والكراماتُ الباهرة. وناهيكَ بقول النَّوويِّ[3]: إمامُ الورعين الرَّافعي، من الأولياءِ المُتمكِّنين.

ومن كراماته:

أنَّه فقدَ في بعضِ الليالي ما يُسرجُهُ وقتَ التَّصنيف، فأضاءَتْ له شجرةُ عنبٍ في بيته.

---

(١) طبقاته: ٨/٢٧٨.

(٢) في مرآة الجنان لليافعي ٤/١٦٧، والشذرات ٥/٣٢٧: وفاته سنة ٦٦٨.

(*) تهذيب الأسماء واللغات ٢/٢٦٤، سير أعلام النبلاء ٢٢/٢٥٢، العبر ٥/٩٤، فوات الوفيات ٢/٣٧٦، مرآة الجنان ٤/٥٦، طبقات السبكي ٨/٢٨١، طبقات الإسنوي ١/٥٧١، الوافي بالوفيات ١٩/٩٢، النجوم الزاهرة ٦/٢٦٦، طبقات المفسرين للسيوطي ٢١، طبقات المفسرين للداودي ٢/٣٣٥، مفتاح السعادة ٢/١١٤ و٣٥٤، طبقات ابن هداية الله ٢١٨، شذرات الذهب ٥/١٠٨، هدية العارفين ١/٦٠٩، جامع كرامات الأولياء ٢/١٠٢، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/٥٨.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ٢/٢٦٥.

وكان إذا وعظَ أسالَ بوعظه الدُّموع، وإذا خَوَّفَ أفاضَ الدِّماءَ على الخُدودِ من الخُشوع.

كم عَلا ذروةَ المِنبرِ! واستقبلَ النَّاسَ فقالوا: هذا بدرٌ سما[1] في سماءٍ من العنبر، ليس للحَمامِ كأسجاعه[2] إذا غرَّدَت، ولا للفُصحاءِ كعبارته التي جمعَتْ أنواعَ البيانِ فتفرَّدَتْ.

ومن كلامه:

مَنِ ادَّعى العبوديَّةَ وله مُرادٌ باقٍ، فهو كاذِبٌ في دعواهُ، إنَّما تصحُّ العبوديَّةُ لمَنْ أفنى مُراداته وقامَ بمُرادِ سيِّده.

وقال: النَّاسُ في الرِّضا ثلاثةُ أقسامٍ:

قومٌ يَحسُّونَ البلاءَ ويكرهونَهُ لكن يَصبرونَ على حُكمه، ويتركونَ تدبيرهم حُبًّا لله؛ لأنَّ تدبيرَ العقلِ لا ينطبقُ على رسومِ المحبَّةِ والهوى. قال قائلُهم:

لن يَضبِطَ العقلُ إلاَّ ما يُدبِّرُهُ ... ولا ترى في الهوى للعَقْلِ تَدبيرا

كُنْ مُحسِناً أو مُسيئاً وابقَ لي أبداً ... وكُنْ لديَّ على الحالَينِ مَشْكورا

وقومٌ يَضمُّونَ إلى سكونِ الظَّاهرِ سُكونَ القلبِ بالاجتهادِ والرِّياضةِ، وإنْ أتى البلاءُ على أنفسهم بل يستعذبون بلاياهم[3]، ولذلك قال ذو النُّون المصري: الرَّجاءُ سُرورُ القلبِ بمُرِّ القضاءِ، وقالتْ رابعةُ: إنَّما يكونُ العبدُ راضياً بمُرِّ القضاءِ، إذا سَرَّتْهُ البليَّةُ كما سَرَّتْهُ النِّعمة.

---

(١) في (ب): بدا.

(٢) سجعت الحمامة: رددت صوتها وطرَّبت على جهة واحدة. وفي الأصول: كأشجاعه.

(٣) هما كلمتان من بيت، جاء في طبقات السبكي ٨/ ٢٨٧:

يستعذبونَ بلاياهم كأنَّهم ... لا ييأسونَ من الدُّنيا إذا قُتِلُوا

وقومٌ يتركونَ الاختيارَ، ويوافقونَ الأقدار، فلا يبقى لهم تلذُّذٌ ولا استعذابٌ ولا راحةٌ ولا عذاب[1].

ماتَ سنةَ ثلاثٍ وعشرين وسِتٍّ مئة.

* * *

(٥٣٢) عزَّاز البطائحي[*]

عزَّاز بن مستودع البطائحيُّ، العابدُ، الزَّاهد، أجمعَ المشايخُ على تعظيمه، وانتهت إليه الرِّئاسةُ في الطَّريق.

وكان يُكارِمُ الزَّائرينَ بأنواعِ الضِّيافةِ والحَلوى، ويُغدِقُ عليهم، فلا يَرونَ لمنِّه سلوى.

ومن كلامه:

إذا مازجتِ المحبَّةُ الأرواحَ طارَتْ، وإذا خالطَتِ العُقولَ أدهشَتْ، وإذا لامسَتِ الأفكارَ[2] حارَتْ.

وقال: مَنْ أنِسَ بالله أنِسَ به كلُّ شيءٍ، ومَنْ دخلَ حضرةَ اللهِ هابَهُ كلُّ شيءٍ، ومَنْ عَرَفَ اللهَ جهلَهُ كلُّ شيءٍ؛ لعظيمِ ما أُودِعَ فيه من الأسرار.

ماتَ بقُربِ السَّبعِ مئة.

* * *

---

(١) جاء في طبقات السبكي تكملة الخبر: قال أبو الشِّيص، وأحسن:

وقفَ الهوى حيثُ أنتِ فليس لي ... متـأخَّـرٌ عنـه ولا مُتقـدَّمُ
أجـدُ المـلامـةَ فـي هـواكِ لـذيـذةً ... حبًـا لـذكـرِكِ فَلْيَلُمْنـي اللُّـوَّمُ
أشبهتِ أعدائي فصرتُ أُحبُّهم ... إذ كـان حظِّـي منكِ حظِّي منهـمُ
وأهنتنـي فـأهنـتُ نفسـي عـامـداً ... مـا مـن يَهـونُ عليـكِ ممَّن يُكـرمُ

(*) قلائد الجواهر ٨٢، طبقات الشعراني ١/١٣٣، جامع كرامات الأولياء ٢/١٥١.

(٢) في طبقات الشعراني: وإذا لابست الأفكار.

(٥٣٣) علي بن حُميد ابن الصبَّاغ(*)

علي بن حُميد بن إسماعيل أبو الحسن بن الصبَّاغ القُوصي، شيخُ الدَّهر بلا مُنازع، وواحدُ عصرِه بغيرِ مُدافع، صاحبُ المعارفِ والعوارف، واللَّطائفِ والظَّرائف، والمناقبِ المأثورة، والكراماتِ المشهورة.

أخذَ عن: القِنائي.

وعنه: ابنُ شافع.

قال المُنذري[1]: كان حسنَ التَّربية للمُريدين، وانتفعَ به خلقٌ من السَّالكين.

ومن كلامه:

العقلُ القامع قَلَّ مَنْ يؤتاه.

وقال: يُرزَقُ العبدُ من اليَقينِ بقدرِ ما رُزِقَ من العقل.

وسُئِلَ عنِ التَّوحيدِ فقال: إثباتُ الذَّاتِ بنفي الجهة، وإثباتُ الصِّفاتِ بنفي التَّشبيه.

قال المُنذري[2]: وزرتُهُ في مرضِ موته، فسمعْتُهُ يقولُ: سألتُ: ما الذي بي؟ فقيل لي: ابتليناكَ بالفقرِ فلم تَشْكُ، وأفَضْنا عليكَ النِّعَمَ فلم تَشتغِلْ عَنَّا[3]، وما بقي إلاَّ مقام أهلِ الابتلاءِ لتكونَ حجَّةً على أهلِ البَلاء.

(*) التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٣٤٠، سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٥٨، العبر ٥/ ٤٢، دول الإسلام ٢/ ٨٧، الطالع السعيد ٣٨٣، الوافي بالوفيات ٢١/ ٧٧، مرآة الجنان ٤/ ٢٤، طبقات الأولياء ٤٥٢، النجوم الزاهرة ٦/ ٢١٥، حسن المحاضرة ١/ ٢٤٥، قلائد الجواهر ١٣٠، شذرات الذهب ٥/ ٥٢، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٦٣، وسيترجم له المؤلف مرة أخرى في الطبقات الصغرى ٤/ ١٢٣. وانظر الصفحة ٤٦٢ من هذا الجزء.

(١) التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٣٤٠.

(٢) الخبر في الطالع السعيد ٣٨٤ عن أبي الطاهر إسماعيل المنفلوطي في رسالته.

(٣) في الطالع السعيد: فلم تشغلك عنا.

ماتَ سنةَ اثنتي عشرة وستٍّ مئة ودُفنَ عند شيخِهِ عبد الرَّحيم القِنائي، والدُّعاءُ عندَ قبره مُستجاب.

* * *

(٥٣٤) علي الحريري البُسْري(*)

عليُّ بنُ الحسن بن منصور البُسْري ـ بضمِّ الموحَّدة، وسكون المهملة ـ أبو مُحمد الحَريري شيخُ الطَّائفةِ الحريرية بدمشق، كان معروفاً بالزُّهدِ والفضيلة، مَوصوفاً بسُلوكِ الطَّريقِ الجميلة.

وُلدَ سنةَ ثمانٍ وأربعين وخمسِ مئة. وماتَ أبوهُ وهو صغير، فعلَّمه عمُّه نَسجَ الحرير، فلزمَهُ دَيْنٌ، فحُبِسَ، فصلَّى بأهلِ السِّجنِ الصُّبحَ، وذكروا حتّى تعالى النَّهارُ، وبقي كلٌّ من يجيءُ إليه شيءٌ من أهله يرفعُه حتّى فرغوا من الذِّكرِ، جمعَ جميعَ ما حضرَ ومَدَّ سِماطاً، فأكلوا كلُّهم معاً، ولازالَ يفعلُ ذلك كلَّ يومٍ، ثمّ أمرهم بقضاءِ دَيْنِه ففعلوا، فأُطلِقَ، فسعى في خلاصِ أولئكَ من السِّجن، فأُطلِقوا فصاروا أتباعه، واخترعَ لهم ذِكراً، واظبوه، وأقامَ شِعارَ السَّماع، فاجتمعَ النَّاسُ عليه.

وقد نقلَ عنه ابنُ إسرائيل كراماتٍ كثيرةً، ومُكاشفاتٍ غزيرة.

وأثنى عليه أبو شامة الإمام في «ذيل تاريخه»[1].

لكن قال السَّيفُ ابنُ مجيد: إنَّه كان مُستخِفًّا بالصَّلاة، مُتهتِّكاً[2] في المحرَّمات. واللهُ أعلمُ بحقيقةِ الحال.

ماتَ سنةَ خمسٍ وأربعين وستِّ مئة.

* * *

(*) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في هذه الطبقة صفحة ٤٠١.

(١) في ذيل الروضتين ١٨٠ قدح وذم، وإفتاءٌ بقتله. وقد أورد الذهبي في السير ٢٣/ ٢٢٦ ثناء أبي شامة عليه، وكذلك في النجوم الزاهرة ٦/ ٣٦٠.

(٢) في (أ): منهمكاً.

(٥٣٥) عليّ بن الصبَّاغ القُوصيّ(*)

عليّ بن الصبَّاغ أبو الحسن القُوصي ثمّ السَّكندريُّ، تلميذُ الشَّيخِ عبد الرَّحيم القِنائي.

كان خطيباً مصقعاً، وصوفيًّا تركَ ربع التَّصوُّفِ بعده بَلقعاً، ثم أسالَ الدُّموعَ، وفضَّها على الخُدودِ من الخُشوع.

ومن كلامه:

ابكوا على قلوبكم المَحجوبةِ عن أسرار الله في خلقه.

ونزلَ[1] مرَّةً كنزاً فيه سبعةُ أرادب[2] ذهباً، فأخَذَ منه سبعةَ دنانير فقط، وقال: لم يُؤذَنْ لي في أكثر.

وكان لا يُمكِّنُ أحداً من المُردانِ يُقيمُ بزاويته، وينهى عن ذلك.

ومن كراماته:

أنَّ رجلاً أرادَ أن يَلوطَ بأمردَ عند قبره، فناداهُ الشَّيخُ من القبرِ: أما تَستحي؟ فأُغميَ عليه.

ماتَ سنةَ سبعٍ وثمانين وستٍّ مئة بإسكندرية.

* * *

(*) طبقات الشعراني ١/١٦١ (أبو الحسن بن الصائغ)، جامع كرامات الأولياء ٢/١٧٩. قال النبهاني: والظاهر أن هذا غير علي بن حميد بن الصباغ المتقدم (انظر صفحة ٤٦٠ من مجلدنا هذا) وإن اتفقا في عدّة أوصاف فقد اختلفا بالتاريخ واسم الأب.

(١) في (ب): وترك مرَّة، وفي (ف): ودخل مرَّة.

(٢) الإرْدَبُّ: كيل لأهل مصر يسع ٢٤ صاعاً بصاع النبي، وهو يختلف باختلاف البلدان وهو بين ١٧٩ ليتراً وبين ٢٨٢ ليتراً. متن اللغة (ردب).

(٥٣٦) علي المليجي (*)

عليٌّ المليجي من أَجَلِّ تلامذةِ ابن أبي العشائر، عالمٌ عارف، غيثُ تصوُّفه واكف.

وكان معاصراً للبدويّ، وكان يُعظِّمُهُ بحيثُ أنَّه إذا أرسلَ عبد العال في حاجةٍ إلى مصرَ، يقول: إذا وصلتَ إلى ناحية جمزور(١) اخلَعْ نعليكَ؛ فإنَّ ثمَّ خيامَ المليجي ضُربَت.

ومن كراماته:

أنَّه نزلَ بالشَّيخِ عبد العزيز الدِّيريني ضيفاً، فذبحَ له دجاجةً بغير إذنِ زوجته، فغضبَتْ، فبلغَهُ، فلمّا قُدِّمَتْ إليه، قال لها: قومي بإذنِ الله، فقامَتْ تجري، وقال: يَكفينا المَرَقُ.

وطلبَ البدويُّ رجلاً يبني عنده في مَقامه، وكان يَبني للمليجي فأبى، فسقطَتْ يَدُه، فجاءَ بها إلى المليجي، فبصقَ عليها، فالتصقَتْ، وأرسلَ للبدوي يقولُ: ليسَ الرَّجلُ مَنْ يفصِلُ، بل مَنْ يُوصل(٢).

وقال: الفقيرُ في حِجْرِ تربية الحقِّ، فإيّاكَ أنْ تُؤذي أحداً من الفقراء؛ فإنَّكَ تُحاربُ اللهَ.

وقال: إذا قَلَّتِ البركَةُ في رزقِكَ، فاعلم أنَّه من غفلتِكَ عنِ اللهِ.

* * *

(*) طبقات الشعراني ١/ ٢٠٢، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٧٣. وفي (أ) المليحي.

(١) جمزور: من القرى القديمة تابعة لمركز تلا، من أعمال الغربية، واسمها الأصلي زمزور، حرف إلى جمزور، وثم إلى جنزور وهو اسمها الحالي. قاموس رمزي ٢/ ٢/ ١٧٤، وفي (أ) والمطبوع: خرور.

(٢) في طبقات الشعراني ١/ ٢٠٢: أرسل يقول: أنت تقطع ونحن نوصل. يباسطه في الكلام.

(٥٣٧) علي بن أحمد الحَرالّي[*]

عليُّ بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن إبراهيم التُّجيبي، الإمامُ فخرُ الدِّين أبو الحسن الأندلسي الحَرّاليُّ[١] نسبةً إلى حرَّالة بلدةٌ من أعمالِ مُرْسية، بجائي الدَّار. عالمٌ زَهَرَ بدرُ كماله، وبهَرَ نورُ شمسِ جلاله[٢]، وصوفيٌّ رُفعَتْ رايةُ مجده، وتحلَّتْ محاسِنُ أهلِ الطَّريقِ بجواهرِ عقده.

وُلِدِ بمرَّاكش، واشتغلَ بالعلوم، وأخذَ العربية عن ابنِ خروف، والقُرطبي وتلك الطبقة.

وحجَّ ولقيَ العلماء، وجالَ في البلاد، ودخَلَ مصرَ، فأقامَ في بِلْبِيس مُدَّةً، ثمَّ سكنَ طرابلس.

وشاركَ في عِدَّةِ فنون حتّى صارَ يُقرىءُ أحَدَ عشرَ عِلماً.

وجدَّ واجتهدَ، بحيثُ أقامَ سنينَ يُجاهدُ نفسَهُ، حتّى استوى عندَهُ من يُعطيه ألفَ دينار ومَنْ يؤذيه أو يزري به.

وكان من العجائبِ في جُودةِ الذِّهنِ وفرطِ الذَّكاءِ، واستخراجِ الحقائق، حتّى وصفه صاحبُ «عنوان الدراية» بالعالم المطلق[٣].

(*) التكملة لابن الأبار ٦٨٧، عنوان الدراية ١٤٣، سير أعلام النبلاء ٤٧/٢٣، العبر ١٥٧/٥، ميزان الاعتدال ١١٤/٣، مرآة الجنان ١٠٠/٤، لسان الميزان ٢٠٤/٤، النجوم الزاهرة ٣١٧/٦، طبقات المفسرين للسيوطي ٢٢، طبقات المفسرين للداوودي ٣٨٦/١، نفح الطيب ١٨٧/٢، كشف الظنون ٨٩، ٢١٥، ١٠٦١، ١٠٨٢، ١٢٤١، ١٥٦٥، ١٧٦٨، شذرات الذهب ١٨٩/٥، نيل الابتهاج ٢٠١، تاج العروس (حرل)، إيضاح المكنون ٥٢٣/٢، ٦٥٠، هدية العارفين ٧٠٧/١، جامع كرامات الأولياء ١٧٣/٢.

(١) في (أ): الحراني تصحيف.

(٢) في (ب): جماله.

(٣) ذكر الغبريني في عنوان الدراية المطبوع صفحة ١٤٣ أنه أعلم الناس بعلم الأصول، وأصول الدين وأصول الفقه...

وله اليدُ الطُّولى في علمِ الحرفِ[1] حتى أنَّه حكى عن نفسه أنَّه فُتِحَ عليه به في عشرةِ أيّام، وسائرُ الحروفِ في ثلاثةِ أيّام، ولام ألف في سبعة بحيثُ استخرجَ منه وقتَ خروجِ الدجَّال، وطلوعِ الشَّمسِ من المغرب.

وكان إماماً في علمِ الكلامِ، ثمَّ أقامَ آخراً بحماة، وبها مات.

وكان ابنُ تيميَّة يحطُّ عليه على عادته، ويقولُ: هو فلسفيُّ التَّصوُّفِ، مُتكلِّمٌ في عقيدته.

وكان من أحلَمِ النَّاسِ بحيثُ يُضرَبُ به المَثَلُ، ولا يقدِرُ أحدٌ يغضبه.

وصنَّفَ تفسيراً ملأه بحقائقه ودقائق فكره، ونتائجِ قريحته، وأبدى فيه من مُناسبات الآياتِ والسُّورِ ما يُبهرُ العقولَ، وتحارُ فيه الفحول، وهو رأسُ مالِ البقاعيِّ[2]، ولولاه ما راحَ ولا جاءَ، ولكنَّه لم يتمَّ، ومن حيثُ وقفَ وقفَ حالُ البقاعيِّ في «مناسباته».

ومن تصانيفه التي قال في «العنوان»: إنها مصلحة للعلوم[3]: «فتحُ الباب المُقفل في فهم الكتاب المُنزل»[4]، وكتاب «العروة»[5]، وكتاب «التوشية» و «التوفية» و «إصلاح العمل لانقضاء الأجل»[6]، و «الاستقامة للنَّجاة يومَ

---

(١) انظر تعريفه: ٣/ ١٣٤.

(٢) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط البقاعي برهان الدين، مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية، سكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، توفي بدمشق سنة ٨٨٥ هـ وكتابه: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور بسبع مجلدات يعرف بمناسبات البقاعي أو تفسير البقاعي. الأعلام.

(٣) عبارة الغبريني في عنوان الدراية المطبوع ١٤٦: وأكثر كلامه إنما هو إصلاح العلم وحال العلماء...

(٤) ذكر في كشف الظنون ١٧٦٨، وإيضاح المكنون ٥٢٣ باسم: مفتاح الباب المغلق على فهم القرآن المنزل.

(٥) ذكر في إيضاح المكنون ٩٩: العروة بمفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل، ولم يذكر اسم مؤلفه.

(٦) ذكر في كشف الظنون ١٠٨٢ باسم صلاح العمل لانتظار الأجل.

القيامة» و «شرح السُّنَّة العليَّة» و «شرح الأسماء الحسنى» و «اللمعة»[1] و «شمس مطالع القلوب»[2] في علم الحرف و «شرح الموطّأ» و «الشفا» و «إرشادات المعالي» وغير ذلك.

وما من فَنٍّ شرعيٍّ إلاَّ وأَلَّفَ فيه.

وكان أُمَّةً في التَّصوُّفِ وعلومِ الحقائق، لا يلحقُهُ في ذلك لاحق.

وكان ابنُ حجر يغضُّ منه على عادته مع هذه الطائفة، وقال: كان الرَّجلُ فلسفيَّ التَّصوُّف، وأنكرَ عليه استخراجَ ما ذكر، وقال: ما علمَه رسولُ الله، وهؤلاء الجهلةُ يدَّعونَ معرفته! فعدَّهُ من الجهَلَة بعد وصفه له بالعلمِ المُفرط، وحُسنِ السَّمت، وجمومِ[3] الفضائل.

ومن كراماته:

أنَّه قال: إذا أذَّنَ المؤذِّنُ العصرَ أموتُ. فلمَّا أذَّنَ أجابَ المؤذِّنَ وماتَ عقبه.

ومن كلامه: إنَّ لله مواهبَ جعلَها أُصولاً للمكاسب، فمَنْ وهبَهُ عَقلاً يسَّر عليه السَّبيلَ، ومَنْ ركَّبَ فيه خرقاً نقصَ حظُّه من التَّحصيل.

وقال: إنَّ اللهَ إذا اختارَ داعياً أقامَ له مَنْ يُلقِّنُ عنه ويبيِّنُ.

وقال: مَنْ عرَفَ نفسَهُ عرَفَ ربَّه[4] ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

وقال: من حين بلغتُ ما فاتَتْني ليلةُ القَدْرِ.

وقال: قد علِمَ الأوَّلونَ والآخرونَ أنَّ فهمَ كتابِ اللهِ مُنحصِرٌ إلى فهم[5] عليٍّ رضي الله عنه، ومَنْ جَهِلَ ذلك فقد ضَلَّ عنِ البابِ[6] الَّذى من ورائه يرفعُ عن القلوبِ الحجاب.

---

(١) واسمه الكامل: لمعة الأنوار وبركة الأعمار. كشف الظنون ١٥٦٤.

(٢) تتمة اسمه وبدر طوالع الغيوب. كشف الظنون ١٠٦١.

(٣) في (ب): وجموح.

(٤) انظر صفحة ٢/ ٣٤٠.

(٥) في (ب): إلى علم.

(٦) إشارة إلى حديث المصطفى ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة =

وقال: إنَّ للقرآنِ عُلوًّا من الخطابِ يَعلو على قَوانينِ العلومِ عُلوَّ كلامِ اللهِ على كلامِ خَلقه.

وقال: الرُّبوبيَّةُ إقامةُ المَربوبِ لِمَا خُلِقَ له وأُريدَ له، فرَبُّ كلِّ شيءٍ مُقيمُه بحسبِ ما أبداه وجوده، فربُّ المؤمنِ ربّه وربّاه للإيمان، وربُّ الكافر ربّه وربّاه للكُفران، وربُّ محمَّدٍ ربّه وربّاه للحمدِ «أدَّبَني ربِّي فأحسنَ أدبي»[1].

وقال: كلُّ زائدٍ على الكفافِ فِتنةٌ، والمِلَّةُ الحَنفيَّةُ مَبنيَّةٌ على الاكتفاءِ باليسير من المأمورات، والمبالغة في الحمية من المنهيات؛ لكثرة مداخلِ الآفات منها على الخلق.

وقال: الحِمْيَةُ أصلُ الدَّواء، فمَنْ لم يحتَمِ عنِ المَنهيّاتِ لم ينفعه تداويه بالمأمورات.

وقال: أحبُّ العبادةِ إلى الله تركُ الدُّنيا، وحِميةُ النَّفسِ من هوى جاهها ومالها، «بل نبيًّا عبداً، أجوعُ يوماً وأشبعُ يوماً»[2]. و«من رغب عن سُنَّتي فليس منِّي»[3].

= فليأت الباب» رواه الحاكم في مستدركه ١/ ١٢٦، ورواه الترمذي ٥/ ٦٣٧، في المناقب بلفظ: «أنا دار الحكمة، وعلي بابها». وقد اختلف حول هذا الحديث بين مصحح ومحسن ومضعف، انظر ما قاله المؤلف في فيض القدير ٣/ ٤٦، والعجلوني في كشف الخفا ١/ ٢٠٣.

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير عن أبي سعد بن السمعاني في كتاب أدب الإملاء عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أدبني فأحسن تأديبي، ثم أمرني بمكارم الأخلاق، فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]»، وقد اختلف في درجة هذا الحديث انظر ما قاله المؤلف في فيض القدير ١/ ٢٢٤.

(٢) أخرج الإمام أحمد في «مسنده» ٥/ ٢٥٤، والترمذي في «سننه» ٤/ ٥٧٥ (٢٣٤٧) عن أبي أمامة عن النَّبي ﷺ قال: «عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكَّة ذهباً، قلت: لا يارب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً ـ وقال ثلاثاً أو نحو هذا ـ فإذا جعتُ تضرّعت إليكَ وذكرتك، وإذا شبعتُ شكرتُكَ وحمدتك» قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) أخرج البخاري ٩/ ١٠٤ (٥٠٦٣) في النكاح، باب الترغيب في النكاح، ومسلم =

وقال: الصَّلاةُ عَلَمُ الإيمانِ تكثرُ بقوَّتِهِ، وتقلُّ[1] بضعفه.

وقال: الصَّومُ إذلالُ النَّفسِ لله بإمساكها عن كلِّ ما تتشوَّقُ إليه نهاراً، وإنَّما فُرِضَ بالمدينةِ لأنَّهم لمَّا فرغوا من عداوةِ الأمثال والأغيار عادت الفتنةُ في النَّفسِ بالتَّبسُّطِ في الشَّهوات، وذلك لا يَليقُ بمؤمنٍ يُؤثِرُ الدِّينَ على الدُّنيا.

وقال: مَنْ صَلَّى وهو مُصرٌّ على معصيةٍ لم تزده صلاتُهُ من اللهِ إلاَّ بُعداً.

وقال: مَنْ سابقَ الإمامَ مُسِخَ قَلبُهُ قلبَ حمار[2].

وقال: ليس لذكرِ اللهِ وقتٌ إلاَّ كلَّ وقت، ومن كان لسانُهُ رطباً بذكرِ الله لقيَ اللهَ وليس عليه خطيئة، يضعُ الذِّكرُ عنهم أثقالَهم، فيأتونَ يومَ القيامةِ خفافاً.

وقال: ينبغي للعبدِ أن يستغفرَ اللهَ من جميعِ حسناته فضلاً عن سيِّئاته، ويتوبَ من نقضِ توبته؛ فإنَّ أفضلَ التَّوبةِ التَّوبةُ من التَّوبة.

وقال: من قارفَ معصيةَ الله بعد العصر، لم ينظرِ اللهُ إليه فيه؛ لأنَّها خاتمةُ النَّهار، ولا صلاةَ بعدَها، كما لا نبيَّ بعد صاحبِ وقتها.

وقال: أفضلُ الدِّين زهدُ القلبِ في جيفةِ الدُّنيا، وورعُ اليد فيما تتناولُ عند

= (١٤٠١) في النكاح، باب استحباب النكاح، والنسائي ٦/ ٦٠ في النكاح، باب النهي عن التبتل، عن أنس بن مالك قال: إن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، وقال بعضهم: أصوم، ولا أفطر، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟ لكني أُصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

(١) في (ب): يكثر بقوته، ويقلّ.

(٢) إشارة إلى قول رسول الله ﷺ: «أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه في ركوع أو سجود قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار» أخرجه البخاري ٢/ ١٨٢، في الأذان، باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام، ومسلم ٤٢٧ في الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود، وأبو داود ٦٢٣، والترمذي ٥٨٢، والنسائي ٢/ ٥٩٦.

الضرورة أو الحاجة، فمَنْ لا زُهدَ لقلبه، ولا ورَعَ ليده، فلا دينَ له، ولا يُبالي اللهُ في أيِّ أوديته أهلكَه.

وقال: إيَّاكَ وفضولَ المَطْعَم؛ فإنَّه يَسِمُ القلبَ بالقسوة، ويُبطئُ بالجوارحِ عن الطَّاعة، ويصمُّ الهِمَمَ عن سماعِ الموعظة.

وقال: ليس في الكلام من أمرِ الدُّنيا بعد صلاةِ الصُّبح إلى الإشراقِ رخصةٌ لأحدٍ من النَّاس، ولا يصلحُ إلاَّ للذِّكرِ.

وقال: أكثرُ ضلالِ الخلقِ إنَّما هو لاعتقادهم أنَّ عمارةَ الدُّنيا سببٌ للرِّزقِ، وأنَّ الحِرصَ سببٌ لتحصيله.

وقال: مَنْ عزَّ بغير اللهِ فعِزُّهُ ذُلٌّ.

وقال: إدامَةُ ذكرِ اللهِ تُورِثُ الصحَّة والهناء.

وقال: في الاستقامةِ راحةُ الدَّارين، وفي العِوَجِ شقاؤهما، وما للعمرِ إذا ذهبَ مُسترجعٌ، ولا للوقتِ إذا ضاقَ[1] مُستدركٌ.

وقال: أوَّلُ قدمٍ في الاستقامة العملُ على العبوديَّة، وهو أن يعملَ على أنَّه عبدٌ لا حُرٌّ؛ لأنَّه من أُمَّةِ نبيٍّ عبدٍ لا مَلِكٍ.

ماتَ بحماة[2] سنةَ سبعٍ أو ثمانٍ وثلاثين وستٍّ مئة، ثاني عشر شعبان.

وهو شيخُ البُوني.

* * *

---

(١) في (أ): ضاع.

(٢) في الأصل: بحلب، وهو خطأ، وقد ذكر المؤلف في أول الترجمة صفحة: ٤٦٥ أن وفاته بحماة، وكذا أجمعت الكتب التي ترجمت له على أن وفاته كانت بحماة.

(٥٣٨) علي أبو الحسن الشاذلي(*)

عليُّ أبو الحسن بن عبد الله[١] بن عبد الجبَّار السَّيد الشَّريف من ذرِّية محمد بن الحسن[٢] الشَّاذليُّ، زعيمُ الطَّائفةِ الشَّاذليَّة، نسبةً إلى شاذِلة قريةٌ بإفريقية

نشأ ببلده، فاشتغلَ بالعلومِ الشَّرعيَّة حتّى أتقنَها، وصارَ يُناظِرُ عليها مع كونه ضريراً، ثمَّ سَلَكَ منهاجَ التَّصوُّفِ، وجدَّ واجتهد، حتّى ظهرَ صلاحُهُ وخَيرُه، وطارَ في فضاءِ الفضائلِ طَيرُه، وحُمِدَ في طريقِ القومِ سراهُ وسَيرُه، نظَمَ فرقَّقَ ولطَّف، وتكلَّمَ على النَّاسِ فقرَّظَ الأسماعَ وشَنَّف، وطاف وجالَ، ولقي الرِّجال.

أخذَ عن: ابنِ مَشيش[٣]، وأبي سعيد الباجي.

قَدِمَ إلى إسكندريَّةَ من المغرب، وصارَ يُلازِمُ ثغرَها من الفجرِ إلى المغرب، وينتفعُ النَّاسُ بحديثه الحسنِ، وكلامه المُطرب.

وكان إذا ركبَ يَمشي أكابرُ الفقراءِ والدُّنيا حولَه، وتُنشَرُ الأعلامُ على

(*) تذكرة الحفاظ ٤/١٤٣٨، العبر ٥/٢٣٢، نكت الهميان ٢١٣، الوافي بالوفيات ٢١/٢١٤، طبقات الأولياء ٤٥٨، مرآة الجنان ٤/١٤٠، حسن المحاضرة ١/٥٢٠، طبقات الشعراني ٢/٤، طبقات الشاذلية ١٥، كشف الظنون ٤٠٤، ٦٦١، ٦٦٢، شذرات الذهب ٥/٢٧٨، هدية العارفين ١/٧٠٩، إيضاح المكنون ١/٥٥٩، ٢/٩٧، ٢٦٤، شجرة النور الزكية ١٨٦، جامع كرامات الأولياء ٢/١٧٥، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/٤٢٠، دائرة المعارف الإسلامية ١٣/٥٦، وهناك كتب ودراسات خاصة عنه مثل: لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن، وأبو الحسن الشاذلي للدكتور عبد الحليم محمود.

(١) في المطبوع: علي أبو الحسن بن عبد القادر، وهو مخالف لمصادر ترجمته.

(٢) قال الذهبي عن نسبه إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما: هذا نسب مجهول لا يصح ولا يثبت. انظر الوافي بالوفيات ٢١/٢١٥.

(٣) في (ف) و (ب): ابن بشيش، والمثبت مع ضبطه من مرآة الجنان ٤/١٤٠.

رأسِه، وتُضربُ الكوسات[1] بين يديه، ويأمرُ النَّقيبُ أن يُنادي أمامَه: مَنْ أرادَ القطبَ الغَوث فعليه بالشَّاذليِّ. ونوديَ في سِرِّه: يا علي، أنتَ الشَّاذلي.

وقال الحنفي: اطَّلعتُ على مقامِ الجَيلاني والشَّاذلي، فإذا مقامُ الشَّاذلي أرفَع.

ثمّ تحوَّلَ إلى الدِّيارِ المصريَّة، وأظهرَ فيها طريقتَهُ المَرضيَّة، ونشرَ سيرتَهُ السَّرية.

وكان يقرأُ «تفسير ابن عطيّة»[2] و «الشفا».

وأخذَ عنه: العِزُّ بن عبد السَّلام.

وله أحزابٌ محفوظة، وأحوالٌ بعينِ العنايةِ مَلحوظة.

قيل له: مَنْ شَيخُكَ؟ قال: أمَّا فيما مَضى فعبد السَّلام بن مَشيش، وأمَّا الآن فإنِّي أُسقى من عشرةِ أبحُرٍ: خمسةٌ سماوية، وخمسةٌ أرضية[3].

وحجَّ مِراراً، وماتَ قاصداً الحجَّ في طريقه، وورِثَ القطبانيَّة عن أبي الحجَّاج الأقصري.

قال ابنُ دقيق العيد: ما رأيتُ أعرفَ بالله منه، ومع ذلك آذوه وأخرجوه بجماعته من المغرب، وكتبوا إلى نائبِ إسكندرية: أنَّه يقدمُ عليكم مغربيٌّ زِنديق، وقد أخرجناه من بلادنا، فاحذروه. فدخلَ إسكندرية، فآذوه، فظهرَ له كراماتٌ أوجبَتِ اعتقادَه.

---

(١) الكوسات: مفردها كوس، دخيلة أيوبية، صنوج من النحاس شبه الترس الصغير يدقُّ بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص، والضارب بها كوسي. متن اللغة (كوس).

(٢) ابن عطية هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي، أبو محمد، مفسر، فقيه أندلسي، عارف بالأحكام والحديث، له شعر، ولي قضاء المرية، وكان يكثرُ الغزو في جيوش الملثمين، وتوفي بلورقه، له: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز في عشر مجلدات. توفي سنة ٥٤٢ هـ. الأعلام.

(٣) في طبقات الشعراني ٢/٦: أنا الآن لا أنتسب إلى أحدٍ بل أعوم في عشرة أبحر: محمد، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وجبريل، وميكائيل، وعزرائيل، وإسرافيل، والروح الأكبر.

ومن كلامه: كلُّ عِلمٍ تسبقُ إليكَ فيه الخواطرُ، وتَميلُ النَّفسُ إليه، وتلتذُّ به فارمِ به، وخُذْ بالكتابِ والسُّنَّة.

وقال: لولا لِجامُ الشَّريعةِ على لساني لأخبرتُكم بما يحدثُ في غدٍ وبعدَهُ إلى يومِ القيامة[1].

وقال: حسبُكَ من العلمِ العلمُ بالوحدانيَّة، ومن العملِ تأديةُ الفرضِ مع محبَّةِ اللهِ ورسوله، واعتقادِ الحقِّ للجماعة، فإنَّ «المرءَ مع مَنْ أحبَّ»[2] ولو قصَّرَ في العمل.

وقال: من علامةِ النِّفاقِ ثقلُ الذِّكرِ على اللِّسانِ، فتُبْ إلى الله يخفُّ الذِّكرُ على لسانك.

وقال: تنسَّكْتُ ببعضِ الجبال، فنُوديتُ في سِرِّي: مَنْ سكنَ خَوفٌ قلبَهُ[3] قَلَّ ما يُرفعُ له عملٌ، فضقتُ ذَرعاً، وأقمتُ على ذلك عاماً، فرأيتُ المصطفى ﷺ وهو يقولُ: يا مُبارك، أهلكتَ نفسَكَ، فرِّقْ بينَ سَكَنَ وخَطَرَ، فالمؤمنُ يَخطرُ به ولا يسكن. فسكَنَ ما بي.

وقال: قيل لي: ما الذي استفدتَ من طاعتي ومن معصيتي[4]؟ فقلتُ: استفدتُ من طاعتك العلمَ الزَّائد، والنُّورَ النَّافذ، ومن معصيتكَ الغمَّ والحُزنَ، والخوفَ والرَّجاء.

وقال: وصلتُ مع أصحابي مرَّةً المدينةَ، فنزلوا، وقالوا: نَستحي أن ندخُلَها على حمير، فأردتُ مُوافقتهم، فنُوديتُ: إنَّ اللهَ لا يُعذِّبُ راحلةً يصحبُها التَّواضع، ولكنْ يُعذِّبُ على تعبٍ يصحبُهُ التكبُّر.

وقال: ليست الطَّريقُ بالرَّهبانيَّة، ولا بأكلِ الشَّعيرِ والنّخالة، إنَّما هي بالصَّبرِ

---

(١) هذا القول ليس في (أ) ولا في المطبوع.

(٢) تقدم تخريجه صفحة: ١ / ٢٥٧.

(٣) في (ب): من سكن خوف الفقر قلبه.

(٤) في (ب): ومن معصيتك.

واليقينِ والهداية ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وقال: رأيتُ كأنّي أطوفُ الكعبةَ، وأُطالبُ نفسي بالإخلاص، فنُوديتُ: تُدندِنُ وأنا العليمُ الخبير، تعريفي يُغنيكَ عن علمِ الأوَّلينَ والآخِرين خَلا علمَ الرَّسولِ والنبيّين.

وقال: رأيتُ النَّبيَّ ونوحاً ومَلَكاً بين أيديهما يقولُ: لو عَلِمَ نوحٌ ما عَلِمَ محمد من قومه ما دعا عليهم بـ ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ﴾ [نوح: ٢٦]، ولو عَلِمَ محمَّدٌ ما عَلِمَ نوحٌ من قومه ما أمهلَهُم طَرفةَ عَينٍ، لكنْ عَلِمَ أنَّ في أصلابهم مَنْ يؤمنُ ويسعدُ بلقاءِ ربِّه، فقال: «اللَّهُمَّ، اغفِرْ لقومي؛ فإنَّهم لا يعلمون»[1].

وقال: قرأتُ ليلةً: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الجاثية: ١٨-١٩] فرأيتُ النَّبيَّ يقولُ: أنا ممَّن يعلمُ، ولا أُغني عنكَ من الله شيئاً.

وهممتُ بالدُّعاءِ على ظالم، فرأيتُ أُستاذي يقولُ: لم يشأِ اللهُ إهلاكَهُ، فلا تعجَلْ؛ فإنَّه من الشَّهوةِ الخفيةِ. ومَنْ أظلمُ ممَّن يُنازعُ مَولاه، ويَتَّبعُ شهوةَ نفسه وهواه؟.

وقال: رأيتُ النَّبي ﷺ فقال: طَهِّر ثيابَكَ من الدَّنَسِ تَحظَ بمدَدٍ من اللهِ في كلِّ نَفَسٍ. فقلتُ: ما ثيابي؟ قال: كساكَ اللهُ حِلَّةَ المعرفةِ والمحبَّةِ والتَّوحيدِ والإيمانِ والإسلام، فمَنْ عَرَفَ اللهَ صَغُرَ لديه كلُّ شيءٍ، ومَنْ أحَبَّهُ هانَ عليه كلُّ شيءٍ، ومَنْ آمنَ به أمِنَ كلَّ شيءٍ، ومَنْ أسلَمَ له قَلَّما يُنغِّصُهُ كلُّ شيء، وإنْ عصاه واعتذرَ إليه قَبِلَ عُذرَهُ.

وقال: قلتُ: إلهي، متى أكونُ عبداً شكوراً؟ فنُوديتُ: إذا لم ترَ في

---

(١) أخرج البخاري ١٢/٢٨٢ في استتابة المرتدين، باب إذا عرّض الذميُّ وغيره بسبِّ النَّبي ﷺ ولم يصرّح، ومسلم ١٧٩٢ في الجهاد، باب غزوة أحد عن ابن مسعود قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم، اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون».

الوجودِ مُنعماً عليكَ غيرَه[1]. قلتُ: فالنَّبيُّ والمَلَكُ والعالِمُ؟ قال: نعمةٌ منِّي عليكَ، فالنَّبيُّ يُبلِّغُكَ الشَّرائع، والعالِمُ بيَّنَها لكَ، والمَلَكُ به صلحتْ كلُّ الدُّنيا، واستقامَتْ لك عِبادتُك.

وقال: مَنْ أحبَّ أنْ لا يُعصى اللهُ في مملكته فقد أحبَّ أن لا تظهرَ معرفتُهُ ورحمتُه.

وقال: لا يشمُّ رائحةَ الولايةِ مَنْ لا يزهَدُ في الدُّنيا وأهلِها.

وقال: إذا افتقرتَ فسلِّم، وإذا ظُلِمتَ فاصبِرْ، واسكُنْ تحتَ جريانِ الأقدار؛ فإنَّها سحابةٌ سائرة.

وقال: من أدبِ مُجالسةِ الأكابرِ عدمُ التَّجسُّسِ على عقائدهم، ومن أدبِ مُجالسةِ العُلماءِ عدمُ تحدُّثهم بغير المنقول[2].

وقال[3]: خطرَ ببالي أنِّي لستُ بشيءٍ، فرأيتُ كأنِّي غُمستُ في بيتٍ من مسكٍ، فغرقتُ فيه حتى لم أجد له رائحة، فقيل لي: علامةُ المُريدِ فقدُ المزيدِ لعِظَمِ المَزيد.

وقال: رأيتُ الصِّدِّيقَ عند قراءة ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] فقال: صِلْ مَنْ يَبقى، واهجُرْ مَنْ يَفنى، تجلّ وتكرم. أيْ عنِ الفناءِ والبقاء.

وقال: رأيتُ أنِّي مع النَّبيِّين، فقلتُ: اللَّهُمَّ، اسلُكْ بي سبيلَهم مع العافيةِ ممَّا ابتليتَهُم؛ فإنَّهم أقوى. فقيل لي: قُلْ: وما قدَّرتَ علينا من شيءٍ فأيِّدْنا فيه كما أيَّدْتَهم.

وقال: هممتُ أنْ أختارَ القلَّةَ على الكثرة، فأمسكتُ خَوفَ سوءِ الأدب، فرأيتُ سُليمانَ على سَريره، وعسكرَهُ وقُدورَهُ وجِفانَهُ كما وصفَ الله،

---

(١) في (ف): منعماً غليك غيره، وفي المطبوع: منعماً عليه غيرك. والمثبت من (ب).

(٢) كذا في الأصول، وفي طبقات الشعراني ٢/٦: إذا جالست العلماء فلا تحدثهم إلا بالعلوم المنقولة...

(٣) من هنا وحتى الصفحة ٤٧٦ ليس في (أ).

فنُوديتُ: لا تختَرْ مع اللهِ شيئاً، وإن كان ولابدَّ فاختَرْ أن لا تختار، وفرَّ من ذلك المُختار، فإن اخترتَ فاخترِ العُبوديَّةَ اقتداءً بالمُصطفى، قُلْ: اللَّهُمَّ، وسِّعْ عليَّ رِزقي في دُنياي، ولا تحجبني بها عن أُخرايَ، واجعَلْ مقامي عندكَ دائماً بين يديك، وناظراً بكَ إليك، وأرني وجهكَ[1]، ووارني عن الرُّؤيةِ، وعن كلِّ شيءٍ دونَكَ، وارفعِ البَيْنَ بيني وبينكَ، يا مَنْ هو الأوَّلُ والآخِرُ، والظَّاهرُ والباطنُ، وهو بكلِّ شيءٍ عليم.

وقال: رأيتُ أنِّي بين يَدي العرشِ، فقلتُ: يا ربِّ. قال: لبَّيك. قلتُ: يا ربِّ. فاهتزَّ العرشُ، قلتُ: يا ربِّ. فاهتزَّ اللَّوحُ والقلم. قلتُ: أسألُكَ العصمةَ، وأعوذُ بكَ من دواعي النَّفسِ والهوى، والشَّهوةِ والشَّيطانِ والدُّنيا، فإنَّهُنَّ ليُسْقِطْنَ[2] من أعلى عِلّيين إلى أسفل سافلين في أسرعِ من لمحِ البصر، وأنتَ أعلمُ بذلك، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بك. فقيل لي: لك ذلك.

وقال: رأيتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: أربعٌ لا ينفعُ معهنَّ الفقه[3]: الفقرُ مع حُبِّ الدُّنيا، ونسيانُ الآخرة، وخوفُ الفقرِ، وخوفُ النَّاسِ[4].

وقال: أخسُّ النَّاسِ منزلةً مَنْ بخِلَ بالدُّنيا على مَنْ لا يستحقُّها، فكيف بمَنْ يستحقُّها ؟!.

وقال: رأيتُ أنِّي بالمحلِّ الأعلى، قلتُ: إلهي، أيُّ الأحوالِ أحبُّ إليكَ ؟ وأيُّ الأقوالِ أصدقُ لديكَ ؟ وأيُّ الأعمالِ أدَلُّ على محبَّتِكَ ؟ فقيل لي: الرِّضا بالمُشاهدة، ولا إله إلاَّ الله، وبُغضُ الدُّنيا، واليأسُ من أهلها.

وقال رجلٌ لي: بما فقتَ النَّاسَ، ولم أرَ لكَ كبيرَ عمل ؟ قلتُ: بواحدةٍ افترضَها اللهُ على رسوله، الإعراضُ عنكم وعن دُنياكم ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [النجم: ٢٩].

---

(١) تصحفت في المطبوع إلى: رحمتك.

(٢) في (ف): يسقطن.

(٣) في (أ) و (ب): لا ينفع معهن علم ولا عمل. وفي طبقات الشعراني ٢/٩: لا ينفع معهم علم.

(٤) سيرد هذا القول ثانية من أقوال الشاذلي صفحة: ٤٨١.

وقال: أتتني دنيا، ففرحتُ بها لأستعينَ وأُعين، وأقمتُ أجمعُ بينَ الشُّكرِ بالقلبِ، والحمدِ باللِّسان، فرأيتُ أُستاذي يقولُ: استعِذْ بالله من شرِّ الدُّنيا إذا أقبلت، وإذا أدبرت، وإذا أنفقت.

وقال: رأيتُ الصِّدِّيق يقولُ: علامةُ خروجِ الدُّنيا من القلبِ بَذلُها عند الوجود، ووجدانُ الرَّاحةِ عنها عند الفقد.

وقال: قيل لي: مَنْ كففتُ جوارحَهُ عن معصيتي زَيَّنْتُهُ بحِفظِ أمانَتي، وفتحتُ قلبَهُ بمشاهدتي، وأطلقتُ لسانَ سِرِّه لمناجاتي، ورفعتُ الحجابَ بينَهُ وبين صفاتي، وأشهدتُهُ معاني أرواحِ كلماتي، وزحزحتُهُ عنِ النَّار، وأدخلتُهُ جَنَّتي، وفازَ بقُربي، وصحبَتْهُ ملائكتي ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وصحبه بعضُ الفقراء، فلمَّا كثُرَ ما يسمعه منه من الخوارق اعتزله، فنُودي مكينُ الدِّين الأسمرُ في سرِّه: قد دعانا فلانٌ بستِّ دعوات، فإنْ أرادَ أن يُستجابَ له فليوالِ الشَّاذليَّ.

ودخلَ عليه المُرسي فقال: رأيتُ الكيلاني فقال: عرشيٌّ أنتَ أم كُرسيّ؟ فقلتُ: دَعْ عنكَ هذه؛ الطِّينةُ أرضيَّة، والنَّفسُ سمائيَّة، والقلبُ عرشيٌّ، والرُّوحُ كُرسيّ، والسِّرُّ مع الله ِبلا أين، والأمرُ ينزلُ فيما بين ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ [هود: ١٧].

قال المُرسي: قال لي عبدُ القادر النقَّاد: اطَّلعتُ على مقامِ الشَّاذليِّ فإذا هو عند العرش[١].

وقال: نحنُ لا نقيِّدُ على مُريدنا أنَّه لا يجتمعُ بغيرنا، بل نقولُ: إنْ وجدتَ منهلاً أعذبَ منَّا فعليكَ به.

وقال: وِرْدُ المُحبِّينَ المُحقِّقين إسقاطُ الهوى، ومحبَّةُ المَولى؛ فإنَّ المحبَّةَ أبَتْ أنْ تَستعملَ مُحبًّا لغيرِ محبوبه.

---

(١) إلى هنا ينتهي النقص في (أ) الذي بدأ صفحة ٤٧٤.

وقال: لكلِّ وقتٍ سَهمٌ من العبوديَّة، فإيَّاكَ أن تؤخِّرَ طاعةَ وقتٍ لوقتٍ، فتُعاقب بفَوتها، أو بفوتِ غيرِها أو مثلها، ولهذا قالوا: الوقتُ سيفٌ إنْ لم تقطَعْهُ قطعَك.

وقال: مَنْ أرادَ عِزَّ الدَّارَيْنِ فليُرِحْ من الدُّنيا قَلبَهُ وبدنَهُ.

وقال: ليس هذا الطَّريقُ بالرَّهبانيَّةِ وأكلِ الشَّعير، بل بالصَّبرِ والحضورِ مع الله.

وقال: مَنْ لم يزدَدْ بعلمه وعمله تَواضعاً للخلقِ فهو هالكٌ.

وقال: سُبحانَ مَنْ قطعَ عنه كثيراً من أهلِ الصَّلاحِ برؤيتهم صلاحَهم.

وقال: لا يُعطي الكرامةَ مَنْ طلبَها، ولا مَنْ حدَّثَ بها نفسَه.

وقال: رأيتُ كأنِّي واقفٌ بين يَدي الله، وهو يقولُ: لا تأمَنْ مَكري في شيءٍ، وإن أمَّنْتُكَ؛ فإنَّ علمي لا يُحيطُ به مُحيط.

وقال: لا تركَنْ إلى علمٍ، ولا عملٍ، ولا مددٍ، وكُنْ مع اللهِ باللهِ للهِ.

وقال: مَنْ أقبلَ على الخَلقِ قبلَ خُمودِ نارِ بشريَّته، سقطَ من عينِ رعايةِ الله، فاحذروا هذا الدَّاءَ العُضال الذي هلَكَ به كثيرٌ، فقنعوا بتقبيلِ العامّةِ أيديهم.

وقال: إذا طلبَ الوليُّ النُّصرةَ ممَّن ظلَمَهُ خرجَ عنِ الولايةِ، قال تعالى للمعصومِ الأكبر: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال: مِنْ أبغضِ الخَلقِ إلى الله تعالى، مَنْ تملَّقَ إليه بالطَّاعاتِ في الأسحارِ يطلبُ بذلك القُرْبَ من العباد.

وقال: إذا أرادَ اللهُ هوانَ عبدٍ سترَ عنه عيوبَهُ، وإذا أرادَ عِزَّهُ بصَّرَهُ بها ليتوبَ منها.

وقال: إذا تركَ العارفُ الذِّكرَ نَفَساً أو نَفَسَين عُوقِبَ بالبَيْن.

وقال: إذا ضَيَّقَ عليكَ المعيشةَ، فهو يريدُ أن يُواليكَ، فاصبِرْ ولا تضجَر.

وقال: لا يصلُ عبدٌ إلى حضرةِ الله ومعه شهوةٌ من شهواته، أو مشيئةٌ من مشيئاته(١).

---

(١) ليس هذا القول في (ب) ولا في المطبوع.

وقال: لا تختَرْ مع ربِّكَ شيئاً، واختَرْ أن لا تختارَ، وفرَّ من المُختار، ومن فرارك، ومن كلِّ شيءٍ إلى ربِّك ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨].

وقال: كلُّ ورعٍ لا يُثمرُ النُّورَ والمعرفةَ فلا ثمرَ له[١]، وكلُّ خطيئةٍ أعقبَها خَوفٌ وهربٌ إلى الله فلا وِزْرَ لها.

وقال: لا ترقَ قبلَ أن يُرقى بكَ، فتزلَّ قدمُكَ.

وقال: أشقى النَّاسِ مَنْ يُحبُّ أن يُعاملَهُ النَّاسُ بكلِّ ما يُريد، وهو لا يجدُ من نفسه بعضَ ما يُريد.

وقال المُرسي: جلتُ في المَلَكوتِ، فرأيتُ أبا مَدْين متعلِّقاً بساقِ العرش، قلتُ: ما علومُكَ؟ قال: واحدٌ وسبعون. قلتُ: ما مقامُكَ؟ قال: شرائعُ الخُلفاء، ورأسُ السَّبعةِ الأبدال. قلتُ: فما تقولُ في الشَّاذليِّ؟ قال: زادَ عليَّ بأربعينَ عِلماً، هو البحرُ الذي لا يُحاطُ به.

وقال: رأيتُ الخَضِرَ فقال: يا أبا الحسن، صحبَكَ اللهُ اللَّطيفُ الجميل، وكان لكَ صاحباً في المقامِ والرَّحيل.

ولمّا قَدِمَ الشَّاذليُّ إسكندريَّةَ وكان بها أبو الفتح الواسطي، فوقفَ بظاهرها، واستأذَنَهُ، فقال: طاقيةٌ لا تسَعُ رأسين. فماتَ أبو الفتح في تلك اللَّيلةِ. وذلك لأنَّ مَنْ دخلَ بلداً على فقيرٍ بغيرِ إذنه فمهما كان أحدُهما أعلى سلَبَهُ أو قتلَه، ولذلك نَدَبوا الاستئذانَ.

وقال: طالِبْ نفسَكَ بإكرامِكَ للنَّاسِ، ولا تُطالِبْهم بإكرامهم لكَ ﴿ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ [النساء: ٨٤].

وقال: أبلى اللهُ هذه الطائفةَ بالخلق، سيما أهل الجدال، قلَّ ما يَنشرحُ صدرُ أحدِهم للتَّصديقِ لوليٍّ مُعينٍ من معاصريه، يقولُ: نعلمُ أنَّ للهِ أولياءَ، لكن أين هم؟.

---

(١) في طبقات الشعراني ٢/ ٩: كل ورع لا يثمر لك العلم والنور فلا تعد له أجراً.

وقال: لكلِّ وليٍّ سِترٌ أو سُتور، فمنهم من سَتَرهُ بالأسباب، ومنهم مَنْ سترَهُ بظهورِ العِزَّةِ والسَّطوةِ والقهرِ على حسبِ ما يتجلَّى الحقُّ تعالى لقلبه. فيقولُ النَّاسُ: ما هذا بوليٍّ. وهو في هذه النَّفس؛ ذلك لأنَّ الحقَّ إذا تجلَّى في قلبِ عبدٍ بصفةِ القهرِ كان قهَّاراً، أو بصفةِ الانتقامِ كان مُنتقماً، أو بصفةِ الرَّحمةِ والشَّفقةِ كان رحيماً شفيقاً، وهكذا.

وقال: إن أردتَ أن لا يصدأَ لكَ قلبٌ، ولا يلحقَكَ هَمٌّ، ولا كَربٌ، ولا يبقى عليكَ ذَنبٌ، فأكثِرْ من قولِ الباقيات الصَّالحات[1].

وقال: إذا كثُرَتِ الخواطرُ والوسوسةُ[2]، فتوجَّه بقلبكَ لشيخِكَ، فإنْ لم يَزُلْ فإلى ربِّكَ، وقُلْ: سبحانَ المَلكِ الخلاَّق ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩].

وقال: إذا ثَقُلَ الذِّكرُ على اللِّسانِ أو اللَّغو، فذلك لكثرةِ الوِزرِ أو لكمونِ نفاقٍ، فتُبْ واعتصِمْ به لتُصلِحَ[3] حالَكَ.

وقال: إذا انتصرَ المُريدُ لنفسه وأجابَ عنها، علمنا أنَّه تعالى لم يؤهِّلْهُ لكونه من حضرته.

وقال: علامةُ صدقِ المُريدِ عدمُ طلبِ العوضِ من اللهِ على عبادته؛ فإنَّ عَبْدَ الأُجرةِ لا قيمةَ له، ولا يُمكنُهُ الدُّخولُ على الحرمِ، وبمُجرَّدِ أخذِ الأُجرةِ يُفارقُهُ سيِّدُه.

وقال: إذا غفَلَ مُريدٌ عنِ الذِّكرِ نَفَساً واحداً صارَ الشَّيطانُ قرينَهُ؛ إنَّه بالمِرصادِ لمَنْ أقبلَ على اللهِ، فيقفُ تجاه قلبِه، فإذا دخلَتْهُ الغفلةُ دَخَلَ، وإذا

---

(١) الباقيات الصالحات: اختلف العلماء فيهن. قال الجمهور: هي الكلمات المأثور فضلها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. تفسير القرطبي ١٠/ ٤١٤.

(٢) في (ب): أو الوسوسة.

(٣) في (ف): ليصلح.

دخلَهُ الذِّكرُ خرج. وإذا كان الشَّيطانُ يُدنِّسُ القلبَ بدخولِ مرَّةٍ في النَّهار، فكيف بقلبٍ باضَ فيه وفرَّخَ؟.

(١)وقال: المرأةُ الحسناءُ تُصيبُكَ في قلبك، والشَّوهاءُ في ظاهرِك، وما يُصيبُكَ في ظاهركَ أهونُ ممّا يُصيبُكَ في قلبكَ الذي هو محلُّ نظرِ الرَّبِّ.

وقال: لو أظهرَ العارِفُ كراماتِه، خيفَ أن يُعبدَ من دون الله(١).

وقال: كثيراً ما تتحوَّلُ الدُّنيا من يدِ المُريدِ أوَّلَ دخوله الطَّريقَ، فيقول في نفسه: ما كان لي حاجةٌ بالطَّريق، فينتقضُ عهدُهُ، فلا يُفلحُ أبداً.

وقال: كلُّ مُريدٍ ادّعى فتحَ عينِ بصيرته وعنده بقيةُ طمعٍ فيما بأيدي النَّاسِ فهو كاذبٌ.

وقال: كلُّ مُريدٍ أحبَّ الدُّنيا كرهَهُ اللهُ بقدرِ حُبِّه لها قلَّةً وكثرةً.

وقال: حيثُ أُطلِقَ نعيمُ الدُّنيا، فالمُرادُ به المالُ والطَّعامُ والكلامُ والمنامُ، فالمالُ يُطغي، والطَّعامُ يُقسِّي، والكلامُ يُلهي، والمنامُ يُنسي.

وقال: من أضَرِّ شيءٍ على المُريدِ إكثارُ العملِ الصَّالحِ ليُحمَدَ عليه، فلا يَزدادُ بكثرته إلاَّ طَرداً ومقتاً.

وقال: لا كبيرةَ عندنا أكبرُ من حُبِّ الدُّنيا، وإيثارِها على الآخرة، والمقامِ على الجهلِ بأحكامِ الدِّين.

وقال: إنْ أردتَ أن يكونَ الحقُّ تعالى راضياً عنكَ فتبرَّأ من نفسِكَ ومن حَوْلِكَ وقُوَّتِكَ إليه.

وقال: إذا أردتَ الصِّدقَ في القَولِ فأكثِرْ من قراءة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ [القدر: ١]، أو الإخلاص، فمن قراءةِ سُورته(٢)، أو تيسير الرِّزقِ فمن قراءة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، أو السَّلامةَ من الشَّرِّ فمن قراءة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١].

(١ـ١) ما بينهما ليس في (أ).

(٢) في طبقات الشعراني: وإن أردت الإخلاص في جميع أحوالك فأكثر من قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أو أردت تيسير...

وقال: أربعٌ لا ينفعُ معهنَّ عِلمٌ ولا عَمَلٌ: حُبُّ الدُّنيا، ونِسيانُ الآخرة، وخَوفُ الفقرِ، وخَوفُ النَّاسِ[1].

وقال: أدَلُّ الأعمالِ على حُبِّ اللهِ لكَ بغضُكَ للدُّنيا وأهلها مع مُوافقةِ الأوامر.

وقال: لا تُسرِفْ بتركِ الدُّنيا؛ فتغشاكَ ظلمتُها، وتحنُّ أعضاؤكَ إليها، فترجعُ لمعانقتها بعد الخروجِ عنها إمَّا بالهِمَّةِ، أو الفِكرِ، أو الإرادة.

وقال: خَصلةٌ واحدةٌ تُحبِطُ الأعمالَ ولا يتنبَّهُ لها غالِبُ النَّاسِ، سُخْطُ قضاءِ اللهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

وقال: خَصلتانِ لا يضرُّ معهما كثرةُ الذُّنوبِ: الرِّضا بالقضاء، والعفو عن العباد.

وقال: علامةُ هجرِ المعاصي عدمُ خطورها بالبال، فإنَّ حقيقةَ الهجرِ نسيانُ المَهجور.

وقال: مَنْ أساءَ الأدبَ في الطَّاعةِ عُوقِبَ بالحجاب. ومَنْ ركنَ إلى أحواله انقطعَ عنِ المَزيد. ومَنْ أفرطَ في القلقِ والاستعجالِ عُوقِبَ بخرابِ السِّرِّ.

وقال: مَنِ اعترضَ على أحوالِ الرِّجال لابُدَّ أن يموتَ قبلَ أجَلِه ثلاثَ موتات: موتٌ بالذُّلِّ، وموتٌ بالفقرِ، وموتٌ بالحاجة للناس مع عدمِ الرَّحمةِ له.

وقال: إنَّا لا نرى مع الحقِّ من الخلقِ أحداً، وإن كان ولابدَّ فكالهباءِ في الهواء، إن فتَّشته لم تجِدْه.

وقال: من النِّفاقِ التَّظاهرُ بالشَّيءِ، واللهُ يعلمُ من سريرتكَ غيرَه، ومن الشِّركِ الخفيِّ اتِّخاذُ الشُّفعاءِ دونه تعالى، ولن تخلُصَ من ذلك إلاَّ بجعلِ الوسائطِ طريقاً إلى الله من غير وقوفٍ معها

وقال: من سُوءِ الظَّنِّ باللهِ انتصارُ العبدِ في دواهيه بغيره.

(١) تقدم هذا القول صفحة: ٤٧٥.

وقال: مَنْ غَفَلَ عن تعهُّدِ قلبه اتَّخذَ دينَهُ هُزُواً ولَعِباً.

وقال: عِزُّ المُريدِ على قَدرِ تركِ هواه، فتاركُ نصفِ أهويته له نصفُ العزِّ، وكذا الثُّلُثِ، والرُّبعِ، وغيرها. فمَنْ طلبَ العِزَّ الكاملَ تركَ الكلَّ.

وقد أفردَ التَّاجُ ابن عطاء اللهِ مؤلفاً حافلاً لترجمته وكلامه[1].

ماتَ في رمضان بصحراءِ عَيْذاب[2] قاصداً للحجِّ، فدُفن هناك، وقيل بجُمَّيزة من الصَّعيد، وكان ماؤها أُجاجاً فعذبَ سنةَ سَتٍّ وخمسين وستٍّ مئة.

* * *

(٥٣٩) علي بن أحمد[*]

عليُّ بن أحمد ـ وقيل: محمد ـ بن جعفر، الشَّيخُ كمالُ الدِّين بن عبد الظَّاهر الهاشمي الجعفري القُوصي الإخميمي، عارفٌ، أشرقت شمسُ جماله، وأطرقت أعينُ السَّالكينَ هَيبةً لجلاله، وشهدَتِ المداركُ بما علمَتْ من علمه، وزهدَتِ الأسماعُ إلاَّ في سماعِ مواعظه وحكمه، جمعَ بين العلمِ والعبادة، والمُجاهدة والزَّهادة حتّى تحقَّقَتْ بركاتُهُ، وظهرَتْ كراماتُه.

رفضَ رئاسةَ أبيه وجدِّه، وجدَّ في الاجتهادِ، وعملَ بما علم ابتغاءَ مرضاةِ ربِّ العبادِ، فبلَّغَهُ المُراد، وصارَ له المُكاشفةُ والأحوال، والتَّكلُّمُ على الخواطر.

---

(١) كتاب ابن عطاء الله السكندري هو لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن. فهو لم يفرده بكتاب.

(٢) عيذاب بليدة على ضفة بحر القلزم (الأحمر) مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد، ومنها المجاز إلى جدة. معجم البلدان والروض المعطار ٤٢٣.

(*) الطالع السعيد ٣٩٢، طبقات السبكي ١٠/ ١٣٠، طبقات الإسنوي ٢/ ١٨٤، طبقات الأولياء ٤٦٠، الدرر الكامنة ٣/ ١١، حسن المحاضرة ١/ ٢٤١، طبقات الشعراني ١/ ١٥٩، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٧٩، وهو من رجال الطبقة الثامنة، فإن وفاته سنة ٧٠٠ أو ٧٠١.

وُلدَ بقُوص، ونشأ بها، وسمعَ الحديثَ من ابن بنت الجُمَّيزي[1] وغيره.

وتفقَّه على مذهبِ الشَّافعيِّ بوالدِ[2] ابن دقيق العيد، وأذِنَ له في التَّدريسِ وبرع.

وأخذَ التَّصوُّفَ عن أبي الحجَّاج الأقْصُري، والبُرهان الجَعْبري، وكان يَسمعُ وعظَهُ من مصرَ وهو بإخميم، كأنَّه قاعدٌ عنده لا يفوتهُ منه كلمةٌ واحدة.

وجدَّ واجتهدَ ولزِمَ الذِّكرَ، وقهرَ النَّفسَ حتّى أسفرَ له صُبحُ السَّعادة.

حكى أنَّه رأى مِرحاضاً ينزحُ بجنبِ[3] المسجدِ فتقذَّرَهُ، فألزمَ نفسَهُ بحملِهِ، فنازعَتْهُ نَفسُه؛ لكونه من بيتِ رئاسةٍ وأصالةٍ، فاستدْرَجَها حتّى حملَهُ نهاراً ومرَّ به على النَّاسِ، فظنُّوا أنَّ عقلَهُ اختلَّ.

وقد استوطنَ إخميم، وبنى بها رِباطاً، وعمَّتْ بركتُهُ على مُريديه، واشتهرَتْ كراماتُهُ، فمن ذلك:

أنَّ بعضَ مُريديه[4] لازَمَ الذِّكرَ مدَّةً حتّى ظنَّ أنَّه تأهَّل، فسافرَ لبلده، فرافقَ في المركبِ شابًّا نصرانيًّا جميلاً، فلمّا فارقَهُ تألَّمَ لفراقه، ثمَّ عادَ للشَّيخِ، فبمجرَّدِ رؤيته قال: أُناسٌ يظنُّونَ أنَّهم من الخواصِّ وهم من العوامّ. قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، و﴿من﴾ للتبعيض، ومعناه: أن لا ترفعَ شيئاً من بصركَ إلى شيءٍ من المعاصي.

ومن كراماته:

أنَّه كان إذا جاءَ ليدخلَ باباً فوجده مُغلقاً، دخلَ من شقوقه التي لا تسعُ نملةً.

---

(١) هو علي بن هبة الله بن سلامة الجُمَّيزي. انظر طبقات السبكي ٨/ ٣٠١، و ١٠/ ١٣١، والطالع السعيد ٨٠.
(٢) وهو تقي الدين. طبقات السبكي ١٠/ ١٣١.
(٣) في الطالع السعيد ٣٩٣، وطبقات السبكي ١٠/ ١٣١: مرحاضاً قد أُخرج ما فيه، ووضع بجانب.
(٤) هو علاء الدين بن أحمد الأُسفوني. كما صرح به صاحب الطالع السعيد ٣٩٤.

ولمَّا جاورَ مكَّةَ رأى الحجرَ الأسودَ خرجَ من محلِّه، وله يدان ورجلان ووجهٌ، فمشى ساعةً، ثمَّ عادَ لمكانه.

ومرَّ يوماً في الشَّارعِ بدارٍ وإذا بامرأةٍ جميلةٍ تُشرفُ من طاق، فوقفَ زماناً ينظرُ إليها، ثمَّ صاحَ وإذا بها نزلَتْ، وأتَتْ بالشَّهادتَين، وكانت نصرانيَّةً. فقال لمَنْ معه: نظرتُ إلى هذا الجمالِ الباهرِ، فقال: أنقِذْني من هذا الكُفرِ الظَّاهر، فتوجَّهتُ، فأسلمَتْ. فالشَّيخُ ما نظرَ إلى حُسنِ الصُّورةِ، بل إلى صورةِ الحُسنِ في حُسنِ الصُّورةِ. فمَنْ أرادَ أن يَنظرَ فلينظُرْ هكذا.

وحضرَ جَمعٌ كثيرٌ مجلسَهُ منهم الوالي(1)، فقرأ القارىءُ ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ . . . ﴾ الآية [الزمر: ٥٣]، فقال الشَّيخُ: أنا قلتُ: إنَّ الله غفرَ لكم أجمعين. فقال بعضُ مَنْ حضرَ في نفسه: والوالي قد غُفِرَ له؟ فالتفتَّ إليه وقال: الرَّحمةُ إذا جاءت جاءت كالسَّيلِ، لا تُبْقي حجراً ولا مَدراً ولا قذراً.

وكراماتُهُ كثيرةٌ، وكان لا يجلسُ إليه أحدٌ إلاَّ ويفيدُه فائدةً، أو يذكرُ هو وإيَّاهُ مجلساً، ثمَّ يقولُ: مَنْ لم يَصلُحْ لاستفادةِ العلومِ صَلُحَ للذِّكر.

وكان كيفيَّةُ ذكره: لا إله إلاَّ الله. يمدُّها، ثمّ يقولُ: الله، الله.

وحكى عن نفسه: أنَّه توجَّه، وسألَ في توجُّهه أن يُرزقَ عِلماً بغيرِ شَيخٍ، فنُوديَ: يا ابن عبد الظَّاهر، تُريدُ أن تعطِّلَ سُنَّتَنا في خَلقنا؟ فصارَ يُعفِّرُ وجهَهُ في التُّرابِ، ويستغفرُ ويبكي، حتّى يُغمى عليه، ثمّ يفيقُ، ويقولُ: الإقالةَ، الإقالةَ، العفوَ العفوَ.

وكان يحضرُ السَّماعَ ويقعُ له فيه أحوالٌ عجيبةٌ مع مُلازمةِ قانون الشَّريعةِ، والجمعِ بين العلمِ والعمل، وفيه يقولُ التَّاجُ الدِّشْناوي يمدحُهُ من قصيدةٍ:

ألاَ إنَّ للهِ الكمالَ(2) جميعَهُ ... وما لِسِواهُ منه حبَّةُ خَرْدَلِ

---

(1) هو محمد بن يوسف بن رمضان ابن والي الليل. الطالع السعيد ٣٩٥.

(2) في (أ): لله الجمال.

ماتَ سنةَ سبعِ مئة بإخميم، وقيل سنة إحدى وسبعِ مئة، وقيل غير ذلك.

* * *

(٥٤٠) علي بن وهب ابن دقيق العيد(*)

عليُّ بن وهب بن مُطيع بن أبي الطَّاعة مَجد الدِّين القُشيريُّ المَنفلوطيُّ ثمّ القُوصي، المعروفُ بابنِ دقيق العيد، والدُ الشَّيخ تقيِّ الدِّين الآتي(١) العالمُ العامل، الإمامُ الكاملُ. كان ممَّن جمعَ بين العلمِ والعبادة، والورعِ والزَّهادة، مع بذلِ الإحسان، وائتلافِ الخاصِّ والعام.

وُلدَ بمنفلوط في رمضان سنة إحدى وثمانين وخمسِ مئة، وبها نشأَ، فحفِظَ القرآن.

وأخذَ الحديثَ والأصول عنِ الحافظ ابن المُفَضَّل المقدسيّ، وبه تفقَّه في مذهب مالك، وعن البهاء ابن بنتِ الجُمَّيْزِيِّ وبه تفقَّه في مذهبِ الشَّافعيّ.

وحدَّثَ عن أبي روح(٢).

وأخذَ عنه الأكابرُ كالتَّقيِّ، والسرَّاج، والتَّاج(٣)، والبهاء القِفطي، والجلال الدِّشناوي، والمُحبُّ الطَّبري، والضِّياءُ الحُسيني(٤)، والنَّجيب بن

(*) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٢٠، الطالع السعيد ٤٢٤، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٦، العبر ٥/ ٢٨٦، الوافي بالوفيات ٢٢/ ٢٩٨، مرآة الجنان ٤/ ١٦٦، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٢٨، حسن المحاضرة ١/ ٢١٦، نيل الابتهاج ٢٠٣، شذرات الذهب ٥/ ٣٢٤، شجرة النور الزكية ١/ ١٨٩. وسيترجم له المؤلف ثانية في طبقاته الصغرى ٤/ ٤٧٠. وهذه الترجمة ليست في (أ) ولا في (ف).

(١) انظر ٣ / ٧٩.

(٢) في الأصول: أبي أروح، وهو المعز بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري، انظر الطالع السعيد ٤٢٥، والوافي بالوفيات ٢٢/ ٢٩٩.

(٣) هما أولاده تقي الدين، وسراج الدين موسى، وتاج الدين أحمد. انظر الطالع السعيد والوافي بالوفيات ٢٢/ ٣٠٢.

(٤) هو ضياء الدين جعفر بن محمد بن عبد الرحيم الحُسيني. الطالع السعيد ٤٣٣.

مُفلح[1]، والقاضي شمس الدِّين ابنِ قُدْس[2]، والسِّراج الأرمنتيّ[3]، والنَّجم بن ناشيء[4]، والحافظ ابن سليم[5]، والدِّمْياطي[6]، والبدر بن جماعة[7]، وأحمد بن عُبيد.

وطلبه لقُوص ابنُ هبة لمّا بنى مدرسته بإشارةِ ابنِ الصبَّاغ، فاستوطنَها، فعمَّتْ بركتُه، وانتشرَتْ حفدتُه، وأقامَ شعائرَ مذهبِ السُّنَّةِ بأُسلوبٍ حكيم، ووهّى مذهبَ الشِّيعة، وزالَ الرَّفضُ بعد أن فشا في ذلك الإقليم، وارتحلَ النَّاسُ من الأقطارِ لالتماسِ دُعائه حتّى من الأمصار.

ونابَ في الحكمِ بمنفلوط، وأسيوط، وغيرهما.

وكان كثيرَ التقشُّفِ والتقلُّلِ من الدُّنيا، كثيرَ التِّلاوةِ حتّى إنَّه ليقرأُ في اليومِ ختمتَيْنِ مع ما هو عليه من صيامِ الدَّهرِ، والتهجُّدِ، والإقراءِ والتَّصنيفِ.

وسببُ تسميةِ والده[8] بدقيق العيد: أنَّه مرَّ يومَ عيدٍ بطَيْلَسانٍ شديدِ البياض[9]، فقيل: كأنَّه دقيقُ العيد، فجرى عليه.

وكان والده هذا ذا علمٍ وكرامات.

وحكى تلميذُهُ البُرهانُ المالكيّ: أنَّه توجَّه معه لزيارة أبي الحجَّاج بالأُقْصُر، فدخلَها عشيَّةً، فقال: لا ندخُلُ على الفقراءِ ليلاً. ونزلَ في مكانٍ بجماعته،

---

(١) هو عثمان بن مفلح، ينعت بالنجيب. الطالع السعيد ٣٥٨.
(٢) في الأصول: ابن ورس، وهو أحمد بن محمد بن هبة الله. الطالع السعيد ١٣٥.
(٣) هو القاضي الفقيه سراج الدين يونس بن عبد المجيد الأرمنتي. الطالع السعيد ٧٢٩.
(٤) في الأصول: باشي، وهو القاضي نجم الدين أحمد بن ناشىء. الطالع السعيد ١٥٠.
(٥) هو منصور بن سليم. الطالع السعيد ٤٢٥، الوافي بالوفيات ٢٢/٢٩٩.
(٦) هو الحافظ عبد المؤمن الدمياطي. الطالع السعيد ٤٢٥، الوافي بالوفيات ٢٢/٢٩٩.
(٧) هو قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة. الطالع السعيد ٤٢٥.
(٨) كذا في الأصل، وفي الطالع السعيد: وسبب تسمية جدِّه.
(٩) في الطالع السعيد: أنه كان عليه يوم عيد طيلسان.

فلمّا كان جوفُ اللَّيلِ طُرِقَ البابُ [فخرجوا][1] فوجدوه أبا الحجَّاج، فقال: رأيتُ المُصطفى ﷺ، فقال لي: الفقيهُ أبو الحسن قَدِمَ وهو بمحلٍّ كذا، قُمْ فسلِّم عليه.

وكان صاحبُ التَّرجمةِ مالكيًّا، ويُقرىءُ المَذهبَيْن، ومع ذلك لم يتخرَّجْ عليه إلاَّ شافعيٌّ.

وأكثرَ من التَّحديثِ، وأقرأَ الأُصولَ، واختصر «المحصول» فأجادَ، ونظمَ ونثرَ وأفادَ، ومن نظمه:

وزهَّدَني في الشِّعرِ أنَّ سجيَّتي ... بما يَسْتَجيدُ النَّاسُ ليسَ تَجودُ
ويأبى لي الخِيْمُ الشَّريفُ رديَّهُ[2] ... فأطردُهُ عن خاطري وأذودُ

ومنه:

أقولُ لدهرٍ قد تناهى إساءةً ... إليَّ ولكن للأحبَّةِ أحْسَنا
ألا دُمْ على الإحسانِ فيمَنْ نحبُّهم ... فإنَّهُمُ الأَوْلى ودَعْ عنكَ أمْرَنا

ومن نثره إجازةٌ لابن المفضَّل[3]: أستخيرُ اللهَ في الإيرادِ والإصدار، وأعتصمُ به من آفتَي التَّقصيرِ والإكثار، وأستغفرُ اللهَ فيمَنْ فرَّطَ في الجهرِ والإسرار، وأقولُ: إنِّي ذاكرتُ فُلاناً ـ زَيَّنَهُ اللهُ بالتَّقوى، وحرسَهُ في السرِّ والنَّجوى ـ في فُنونٍ من العلومِ الشَّرعيَّةِ والنَّقليَّةِ، فألفيتُهُ يَرجعُ إلى معقولٍ صحيح، ومَنقولٍ صريح، واطِّلاعٍ على المُشكلات، واضطلاعٍ بحلِّ المُعضلات لاسيّما في فقه المذهب. فإنَّه أصبحَ فيه كالعَلَم المُذهَّب، وقامَ بعلمِ العربيَّةِ والتَّفسير، فصارَ فيهما العالِمَ النِّحرير. وقد أجبتُهُ إلى ما التمسَ، وإنْ كان غنيًّا بما[4] حصَّلَ واقتبسَ، فليُدرِّسْ مذهبَ الشَّافعيِّ لطالبيه، وليُجِبْ المُستفتي بقلمه وفيه، ثقةً بفضله الباهر، وورعِهِ الوافر، وفطرتِهِ الوقَّادة،

---

(١) ما بين معقوفين من الطالع السعيد ٤٣٥.
(٢) الخِيْم: الشيمة والطبيعة، والخُلُق والسَّجية والأصل. لسان العرب (خيم).
(٣) هو عمر بن عبد العزيز بن الحسين ابن المفضل. الطالع السعيد ٤٤٠.
(٤) في (أ): مما.

وألمعيَّته المُنقادة. واللهُ يَنفعني وإيَّاهُ بما علَّمناه، ويرفعَنا بذلك لديه فما القصدُ سواه.

وكان يُكثِرُ من التَّردُّدِ للوُلاةِ والقُضاةِ للشَّفاعةِ، حتّى إنَّ ولدَهُ الشَّيخَ تقيَّ الدين أخفى ثوبَهُ عنه ليمتنعَ من الذَّهاب، فجاءَهُ شخصٌ يستشفعُ به عند الوالي، فذهبَ معه إليه بلا ثوبٍ.

وكان شديدَ الرَّحمةِ حتّى إنَّه مرَّ على كلبةٍ ولدَتْ وماتَت، فحملَ جِراءَها في سجَادته لمنزله، ومازالَ يُطعمهم اللَّبنَ حتّى استغنوا.

وجيءَ بحضوره لناظرِ الدِّيوانِ برجلٍ في يومٍ بارد، قيل عنه: إنَّه امتنعَ من دفعِ المُكْس، فقال: عاقبوه. فقبَّلَ رُكبتَهُ وبَكى، وقال: لا تُعاقبوه في هذا البرد.

وذهبَ لبيتِ نصرانيٍّ مُسْتَوْفي البلدِ يَشفعُ في مَحْوِ ما على فقيرٍ في الدِّيوان[1].

ودخلَ عليه البدرُ بن جماعة، فوجدَ عليه ثوبَ جُنديٍّ، فسألَهُ، فقال: دخلَ عليَّ فقيرٌ بثوبٍ لا يُواري عورتَهُ، فدفعتُ ثوبي له، وجلستُ بملحفتي، فرآني جُنديٌّ، فدفعَ إليَّ الثَّوبَ، فلبستُه.

وحصلَ غَلاءٌ بقُوص، بحيث صارَ أهلُها لا يقتاتونَ إلاَّ بالبقول، فحلفَ لا يأكلُ إلاَّ ممّا يأكلون، فلم يتناول خُبزاً حتى زال ذلك.

وعطفَ على إنسانٍ، فقيل له: إنَّه رقيقُ الدِّيانةُ. فقال: كنتُ أشفقُ عليه الدُّنيا فالدِّينُ أوْلى.

وكان ذا بصيرةٍ نقَّادةٍ[2]، فمَنْ تفرَّسَ فيه أهليَّةَ الحكم وصلَه إليه، أو إمامةً، أو خدامةً، وإلاَّ أخذَ له راتباً.

وطلبَ طلبتُهُ من القِفطي أن يتفرَّجَ معهم، فلم يُجِبْ لكونه مشغولاً بتحقيق

---

(١) انظر الخبر كله في ٤/ ٤٧٢ الحاشية (١).

(٢) في المطبوع: نفاذة.

مسألةٍ. فوجدَ بيتَه ماءً ينبعُ، فخافَهُ، وكتبَ به للشَّيخ، فكتبَ له: هذا جزاءُ مَنْ ترفَّعَ على أقرانه[1].

وكان يقولُ: رُفِعَتْ عنِّي شهوةُ الأكلِ والمَلبسِ والجاه، فلا أُبالي ما أكلتُ وما لبستُ.

وكان مُستغرِقَ الفِكرِ في أمورِ الآخرة. اتَّفقَ ليلةً أنَّ جماعته سمعوا ملاهي، والشَّيخُ في البيت، فعجبوا، فلمَّا أصبحوا سُئِلَ عن ذلك، فقال: وكان عندهم شيء؟! ما شعرت.

ومع ذلك كان يحفظُ «زهرَ الآداب»[2] ويُحاضرُ منه.

وتذكَّرَ هو وأصحابُه جماعةً ممَّن ماتَ، فرأى تلك اللَّيلةَ قائلاً يُنشدُ:

أتعـدُّ كثـرةَ مَـنْ يَمـوتُ تعجُّبـاً وغداً لعَمْري سوفَ تحصلُ في العددْ

فماتَ بعد أيام ثالث عشر مُحرَّم، سنةَ سبعٍ وستِّين وستٍّ مئة، ودُفن بظاهرِ قُوص، وقبرُه مَشهورٌ يُقصدُ للزِّيارة.

* * *

(٥٤١) علي أبو الحسن البقال[*]

شيخُ ابنِ الفارض، صاحبُ الفتحِ الآلي، والعلمِ الوهبي.

كان يبيعُ البقول بحانوت بخطِّ بابِ الزُّهُومةِ[3] على باب المدرسة

---

(١) الخبر أتم وأوضح في الطالع السعيد ٤٣١.

(٢) الكتاب هو زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري توفي سنة ٤٥٣ مطبوع بأربعة أجزاء تحقيق زكي مبارك.

(*) نشرالمحاسن الغالية ١٩٠، حياة الحيوان للدميري ٢/ ٧٤ (الطائر)، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٧٢. مقدمة شرح ديوان ابن الفارض صفحة ٤ و ٥.

(٣) باب الزُّهومة من أبواب القصر الكبير الشرقي في القاهرة، وقيل له باب الزهومة لأن اللحوم وحوائج الطعام التي كانت تدخل إلى مطبخ القصر الذي للحوم إنما يدخل بها من هذا الباب، فقيل له باب الزهومة يعني باب الزفر. الخطط المقريزية ٢/ ٢٩٧.

السُّيوفيَّة[1]، يتستَّرُ بذلك حتى لا يعرفهُ أحدٌ، ويُظهرُ الجهلَ لئلا يعكفَ عليه النَّاس.

فمرَّ به يوماً ابنُ الفارض، فرآه يتوضَّأُ وضوءاً غيرَ مُرتَّبٍ، وهو لا يعرفُه، فقال له: أنتَ في هذا السِّنِّ في دارِ الإسلام وتتوضَّأُ وضوءاً باطلاً! فنظرَ إليه، وقال: لم أتوضَّأ إلاَّ وضوءاً مُرتَّباً، لكنَّكَ لا تُبصرُ، لو أبصرتَ أبصرتَ هكذا، وأخذَ بيده فأراه الكعبة. وقال: يا عمر، إنَّما يُفتَحُ عليكَ بالحجازِ لا بمصر، فأكبَّ على أقدامه يستغفرُ. ولمّا سافرَ وأقامَ بمكَّةَ سمعَ وهو بها البقَّال يناديه وهو بمصرَ: يا عمر، تعالَ إلى القاهرة، احضرْ وفاتي، فأتاه مُسرعاً في الوقت، فوجده مُحتضراً فقال له: يا عمر، ناولني تلك الدَّنانير. فناوله، فقال: جهِّزني بهذه، وافعل كذا وكذا، وأعطِ حَمَلَةَ نعشي إلى القرافة كلَّ واحدٍ ديناراً، واتركني على الأرضِ في هذه البقعة، ـ وأشارَ إليها تحت المسجد المعروف بالعارض[2] بقُربِ مَراكع مُوسى بسفح الجبل ـ وانتظِرْ قدومَ رجلٍ يهبطُ إليكَ من الجبل، وانتظر ما يفعلُ اللهُ بي.

فجهَّزَهُ كما قالَ، وطرحَهُ في البُقعةِ المُباركةِ كما أمَرَ، فهبطَ إليه رجلٌ من الجبلَ كالطَّائرِ المُسرع، فعرَّفَهُ بشخصه، كان يراهُ يُصفَعُ قفاهُ بالأسواق[3] وقال: يا عمر، تقدَّم فصلِّ، فصلَّى، ثمّ رأى طيوراً خضراء وبيضاء بين السَّماءِ والأرض يُصلُّونَ، ثمّ جاءَ منهم طيرٌ أخضرُ من عند رجليه فابتلعه، وارتفع، فطاروا جميعاً ولهم زجلٌ بالتَّسبيح حتّى غابوا عن العيون، فقال: يا عمرُ، لا تعجَبْ؛ «فإنَّ أرواحَ الشُّهداءِ في حواصلِ طيورٍ خُضرٍ»[4]، وأمّا شُهداءُ

---

(١) المدرسة السيوفية: مدرسة بالقاهرة، وهي من جملة دار الوزير المأمون البطائحي، أوقفها صلاح الدين على الحنفية، وعرفت بالمدرسة السيوفية لأن سوق السيوفيين كان حينئذ على بابها. الخطط المقريزية ٤/١٩٦.

(٢) العارض: مغارة في الجبل عرفت بأبي بكر محمد جد مسلم القاري، لأنه نقرها. الخطط المقريزية ٤/٣٣٦.

(٣) في (أ): يصفع بالأسواق.

(٤) حديث حسن صحيح رواه الترمذي (١٦٤١) في فضائل الجهاد، باب ما جاء في ثواب الشهداء عن كعب بن مالك رضي الله عنه.

المحبَّةِ فكلُّ أجسادهم في حواصلِ طيورٍ خُضرٍ. حكاه اليافعي في «كفاية المعتقد»[1] والدَّميري في «حياة الحيوان»[2]، وغيرهما.

* * *

(٥٤٢) عليٌّ البكَّاءُ المَقدسيُّ[*]

صوفيٌّ اشتهرَ صلاحُه وزهدُه، استوطنَ بزاوية الخليل.

وسببُ شُهرته بالبكَّاء: أنَّه صحِبَ رجُلاً من أربابِ الأحوال، وخرجَ معه من بغداد إلى بلدِهِ، على مسيرةِ سنةٍ منها، فوصلاها في ساعةٍ واحدةٍ، فقال له: لا تُفارِقْني؛ فإنِّي أموتُ في وقتِ كذا، فأشهدني.

فلمَّا جاءَ الوقتُ احتُضِرَ، وإذا هو قد استدارَ للشَّرق، فحوَّلَهُ للقِبلة، فعادَ كذلك، وتكرَّرَ ذلك. فقال للشَّيخِ عليّ: لا تتعَبْ لا يُمكنُ إلاَّ ذلك، ولا أموتُ إلاَّ كذلك. وصارَ يتكلَّمُ بكلامِ الرُّهبان، حتّى مات.

وكان بقُربه دَيرٌ، فحملَهُ إليه، فوجدَ بالدَّيرِ رجُلاً نصرانيًّا، ماتَ على الإسلام، فأخذَهُ منهم، ودفعَ لهم صاحبه.

ولم يزل يبكي وهو في وجَلٍ حتّى ماتَ سنةٍ سبعين وستٍّ مئة، ودُفنَ بزاويته بقُربِ الخَليل.

* * *

---

(١) نشر المحاسن الغالية الملقب بكفاية المعتقد، ونهاية المنتقد ١٩٠.

(٢) حياة الحيوان الكبرى للدميري ٢/ ٧٤.

(*) البداية والنهاية ١٣/ ٢٦٢، الأنس الجليل ٢/ ١٤٩، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٧٨. وهذه الترجمة ليست في (ف)، وسيترجم له المؤلف ثانية في طبقاته الصغرى ٤/ ٤٧٤.

(٥٤٣) شهابُ الدِّين السُّهروردي(*)

عمر بن محمد بن عَمُّويه[١]، الشَّيخُ شهابُ الدِّين السُّهْرَوَرْديُّ، شيخُ شيوخِ العارفين بالعراقِ على الإطلاق بالاستحقاق، صاحبُ «عوارف المعارف» أحيا رسمَ الصُّوفيَّة فسادَ بما شادَ وعَمَر، وهَمَى غمامُ فضله حتّى سقى رِياضَ[٢] الحقائق وهَمَر، وقسمَ فقهَهُ وتصوُّفَهُ، فهذا للفقهاءِ غِنًى وهذا للصُّوفيَّةِ سَمَر. وخالَفَ العادةَ لأنَّه جاءَ بستاناً في ورقه إلاَّ أن جميعه زهر وثمر، وأمَرَ ونهى في سُلطانِ فضله، فأذعَنَ أهلُ الطَّريقِ له، وقالوا: سَمْعاً وطاعةً لِمَا نَهى وأمَر.

وهو الأصيلُ الذي ثبتَ في بيتِ النَّجابَةِ رُكنُهُ، وتفرَّعَ في الدَّوحةِ السُّهْرَوَرْدِيَّةِ غُصْنُه.

كان رضي الله عنه إذا أيَّه بالنَّاسِ غَسَلَ دَرَنَ الذُّنوب، وذكرَ أهوالَ القيامة[٣]، وتحقَّقَ النَّاسُ أنَّ كلامَهُ رَوضٌ ومنبرُ وعظه غُصنٌ، وهو في أعلاهُ حمامةٌ.

وُلِدَ سنةَ تسعٍ وثلاثين وخمسٍ مئة بسُهْرَوَرْد، ونشأَ بها، ثمّ قَدِمَ بغداد،

(*) معجم البلدان ٣/ ٢٩٠ (سهرورد)، مرآة الزمان ٨/ ٦٧٩، التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٨٠، ذيل الروضتين ١٦٣، وفيات الأعيان ٣/ ٤٤٦، الحوادث الجامعة ٧٤، سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٧٣، العبر ٥/ ١٢٩، دول الإسلام ٢/ ١٠٣، مرآة الجنان ٤/ ٧٩، طبقات السبكي ٨/ ٣٣٨، طبقات الإسنوي ٢/ ٦٣، البداية والنهاية ١٣/ ١٣٨، طبقات الأولياء ٢٦٢، الفلاكة والمفلوكون ١٢٠، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٣، ٢٩٢، قلائد الجواهر ١١١، مفتاح السعادة ٢/ ٣٥٥، هدية العارفين ١/ ٧٨٥، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢١٩، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/ ٣٧٠.

(١) في الأصول: بن عمر، والمثبت من مصادر ترجمته، وتمام نسبه: عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه واسمه عبد الله. انظر مصادر ترجمته.

(٢) في (أ): حتى سار بأرض رياض.

(٣) في (أ): أهل القيامة.

أنَّ قراءةَ سورةِ البُروج في صلاة العصر أمانٌ من الدَّماميل.

وقد ترجمَهُ خلائقُ كثيرون، وأثنوا عليه منهم الحافظُ ابنُ حجر، فقال: كان رأسَ الصوفيَّةِ في زمانه.

وكان أهلُ الطَّريقِ يكتبونَ إليه من البلادِ فتاوى من جميع الأقطار يسألونه عن أحوالهم ومنازلاتهم، فممّا كَتَبَ إليه بعضُهم: إنْ تركتُ العملَ، أخلَدْتُ إلى البطالة، وإن عملتُ داخَلَني العُجْبُ، فأيُّهما أَوْلى؟ فأجابَهُ: اعمَلْ، واستغفرِ اللهَ من العُجْبِ.

وسُئِلَ عنِ الأكلِ الحَلالِ للصُّوفيَّة، فقال: ما لا يَذمُّه الشَّرعُ فهو حلالٌ، رحمةً من اللهِ على عباده، والاستقصاءُ في الحلالِ على قانونِ الورعِ الأعلى يُفضي إلى الحرجِ، وذلك مرفوعٌ، فالشَّرعُ هو الميزانُ المُستقيم.

واسْتُفتِيَ في السُّكنى في الرُّبُطِ التي بُنيَتْ من مالِ الولاةِ، فأجابَ: نعم يجوزُ للمُريدِ أن يسكنَها، والعَجَبُ من بعضِ المُتزهِّدَةِ[1] أنَّهم شاهدوا الأئمَّةَ المتبحِّرينَ في سائرِ البلادِ سكنوها، ومع ذلك يُنكرون.

* * *

(٥٤٤) عمر ابن الفارض(*)

عمر بن أبي الحسن عليِّ بن مُرشد بن عليٍّ، الحمويُّ الأصل، المصريُّ المَولد والدار والوفاة، أبو حفص، ويقال: أبو القاسم، المعروف بابن الفارض، ويُقال: المفرّض، المُلقَّبُ في جميعِ الآفاقِ بسُلطانِ المُحبِّين والعُشَّاق، المنعوتُ بين أهلِ الخلافِ والوِفاقِ بأنَّه سيِّدُ شُعراءِ عصره على

---

(١) في (أ): والعجب من هذه المُتنزِّهة والمتزهِّدة.

(*) التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٨٨، وفيات الأعيان ٣/ ٤٥٤، مختصر أبي الفداء ٣/ ١٦٤، سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٨، العبر ٥/ ١٢٩، ميزان الاعتدال ٣/ ٢١٤، مرآة الجنان ٤/ ٧٥، طبقات الأولياء ٤٦٤، البداية والنهاية ١٣/ ١٤٣، لسان الميزان ٤/ ٣١٧، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٨، حسن المحاضرة ١/ ٢٤٦، كشف الظنون ٢٦٥، ٢٦٧، ٧٣٥، ٧٦٧، ١٣٣٨، ١٣٤٩، شذرات الذهب ٥/ ١٤٩، =

فصحِبَ عَمَّه الشَّيخَ أبا النَّجيب عبد القاهر، فإنَّه كفِلَهُ لمّا قُتِلَ أبوه وهو جَنين[1].

وأخذَ عنِ الشَّيخِ عبدِ القادر الجيلاني، وغيره، وسمعَ الحديثَ من جماعةٍ.

وكان فقيهاً، شافعيًّا، عالِماً، صُوفيًّا، إماماً، ورعاً، زاهِداً، عارِفاً، شيخَ وقته في علم الحقيقة، وإليه المُنتهى في تربيةِ المُريدين، ودعا الخلقَ إلى الحقِّ، وتسليكِ طريقِ العبادة، والخلوة.

تسلَّكَ على عمِّه، وسلَكَ طريقَ الرِّياضةِ والمُجاهدة، وقرأَ أوّلاً الفقه، والخلافَ، والحديث، ثمّ انقطعَ ولازمَ الخلوة، وداومَ الصَّومَ، والذِّكرَ، والتعبُّدَ، ثمّ تكلَّمَ على النَّاسِ عندِ عُلوِّ سِنِّه، وقُصِدَ من الأقطار، وظهرت بركاتُ أنفاسه على خَلقٍ من العُصاة، فتابوا، ووصَلَ به خَلقٌ إلى الله، وصارَ له أصحابٌ كالنُّجوم، ورأى من الجاهِ والحُرمةِ عندَ الملوكِ ما لم يرَهُ أحد.

ثمَّ أضرَّ في آخرِ عُمره وأُقعد، ومع ذلك ما أخلَّ بالأورادِ، وداومَ الذِّكرَ وحضورَ الجُمعِ في محفَّةٍ، والمُضيَ إلى الحجِّ إلى أن دخلَ في عشر المئة، وكانت محفَّتُهُ على أعناقِ الرِّجالِ من العراقِ إلى البيتِ الحرام.

وناهيكَ بثناءِ العارِفِ ابنِ عربي عليه فإنَّه قال: المُشاهدةُ والكلامُ لا يجتمعانِ في غيرِ التَّجلِّي البَرزخيّ. قال: وهو كان مقامَ عمر شهاب الدِّين السُّهْرَوَرْديِّ الذي ماتَ ببغداد، فإنَّه رَوى لي عنه مَنْ أثِقُ بنقله من أصحابه، أنَّه قال باجتماعِ الرُّؤيةِ والكلام. قال: فمن هنا علمتُ أنَّ مشهدَهُ بَرزخيٌّ لابدَّ من ذلك، غيرُ ذلك لا يكون. انتهى.

وقال في موضع آخر: الحقُّ جَليسُ غَيبٍ عند كلِّ ذاكرٍ، فمَنْ غلبَ عليه مُشاهدةُ الخيالِ في حقِّ ربِّه من قوله: «كأنَّكَ تراه»[2] وهو استحضارٌ في خيال،

---

(١) جاء في سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٧٥ عن المترجم: قتل أبي بسهرورد ولي ستة أشهر.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه ١/ ١١٤ (٥٠) في الإيمان، باب سؤال جبريل النَّبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، ومسلم ٩ في الإيمان، باب بيان =

فمثلُ ذلك يجمعُ بين المُشاهدةِ والكلام، فإنَّ الجليسَ في ذلك الخيال مثلك لا من ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] قال: وهذا كان حال الشِّهاب ابن أخي أبي النَّجيب على ما نقلَ إليَّ الثِّقةُ عنه، إنَّ الإنسان يجمعُ بينهما، أين هذا الذَّوقُ من ذوقِ المحقِّقِ أبي العبَّاس البسياري من رجال الرِّسالة؟ حيث قال: ما التذَّ عاقِلٌ بمُشاهدةٍ قَطُّ؛ لأنَّ مُشاهدةَ الحقِّ فناءٌ لا لذَّةَ فيها. فافهم فإنَّه موضعُ غلطٍ لأكابرِ المُحقِّقين من أهل الله، قال: وقد أخبرنا عمّن رأيناه من أهلِ الله المُنتمين إلى الله، إنَّه يقولُ كقولِ الشَّهاب. انتهى.

ولمّا حجَّ آخرَ حجّاته، كان محفلٌ حَفِلٌ، بحيثُ كان معه نحو الألف من أهلِ العراق، فلمّا رأى ازدحامَ النَّاسِ عليه في المطاف، واقتداءهم[1] بأقواله وأفعاله، قال في سِرِّه: يا تُرى هل أنا عند الله كما يظنُّ هؤلاءِ فيَّ؟ وقد ذُكرتُ في حضرةِ الحبيب؟ فواجهه ابنُ الفارضِ مُخاطباً له بقوله:

لكَ البِشارَةُ فاخلَعْ ما عليكَ فَقَدْ ذُكِرْتَ ثمَّ على ما فيكَ من عِوَجِ[2]

فصرخَ وخلَعَ كلَّ ما عليه، وألقاهُ عليه، فخلعَ الحاضرونَ من المشايخِ والفقراءِ ما عليهم، وألقوه عليه، فكان أربع مئة خلعة. وعُلِمَ أنَّ ابنَ الفارضِ كان في الحضرة.

وله مؤلفاتٌ غريبةٌ في طريقِ القوم.

وله في علم الحروف كتابٌ حافلٌ على رأي أهل الأنوار. قال فيه: سمعتُ

= الإيمان والإسلام والإحسان، وأبو داود ٤٦٩٥ في السنة، باب في القدر، والنسائي ٨/ ١٠١ في الإيمان، باب صفة الإيمان والإسلام عن أبي هريرة، وأبي ذر: كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس فأتاه رجل فقال: ... قال: يارسول الله، ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإنك إن لم تره فإنه يراك».

(١) في المطبوع: واقتدائهم. والجملة في شرح ديوان ابن الفارض ١/ ١٠: فرأى كثرة ازدحام الناس عليه في الطواف بالبيت، والوقوف بعرفة، واقتدائهم.

(٢) ديوان ابن الفارض ١٤٧، من قصيدة مطلعها:

ما بين معترك الأحداق والمهج أنا القتيل بلا إثمٍ ولا حَرَجِ

الإطلاق، له النَّظمُ الذي يستخفُّ أهلَ الحلوم، والنَّثرُ الذي تغارُ منه النَّثْرَةُ[1] بل سائرُ النُّجوم.

قَدِمَ أبوه من حماة إلى مصر، فقطنَها، وصارَ يُثبتُ الفُروضَ للنِّساءِ على الرِّجال بين يدي الحكَّام، ثمّ وليَ نيابةَ الحُكم، فغلبَ عليه التلقيبُ بالفارض.

ثم ولد له بمصر صاحبُ التَّرجمةِ في ذي القعدة سنة ستٍّ وخمسين، أو ستين وخمس مئة[2]، فنشأ تحت كنف أبيه في عفافٍ وصيانة وعبادةٍ وديانة، بل زهدٍ وقناعة، وورعٍ أسدلَ عليه لباسَهُ وقِناعَه.

فلمَّا شبَّ وترعرع، اشتغل بفقه الشَّافعيَّة.

وأخذَ الحديثَ عن: الحافظ ابن عساكر.

وعنه: الحافظ المنذري، وغيره.

ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ وسلوكُ طريق الصُّوفيَّة، فتزهَّدَ وتجرَّدَ، وصارَ يستأذنُ أباه في السِّياحة، فيذهبُ، فيسيحُ في الجبل الثَّاني من المُقطَّم، ويأوي إلى بعض أوديته مرَّةً، وفي بعض المساجدِ المهجورةِ في خرابات القرافةِ مرَّةً، ثمّ يعودُ إلى والده، فيقيمُ عنده مدَّةً[3]، فيشتاقُ إلى التجرُّدِ، فيعودُ إلى الجبل، وهكذا حتى أَلِفَ الوحشَ وألفَهُ الوحشُ، فصارَ لا يفرُّ منه، ومع ذلك لم يُفتح عليه بشيءٍ، حتّى أخبرَهُ الشَّيخُ البقّال[4]: إنَّه إنَّما يُفتَحُ عليه بمكَّةَ، فخرجَ فوراً

= مفتاح السعادة ١/ ٢٠٠، إيضاح المكنون ١/ ١١٨، هدية العارفين ١/ ٧٨٦، طبقات الشاذلية ٦٩، روضات الجنات ٥٠٥، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢١٨، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣/ ٧٣. مقدمة شرح ديوان ابن الفارض لحسن البوريني، وعبد الغني النابلسي، وهناك كتب انفردت بترجمته مثل: ابن الفارض سلطان العاشقين للدكتور محمد مصطفى حلمي.

(١) النَّثْرَةُ: كوكبان بينهما قدر شبر، وفيها لَطْخُ بياض كأنه قطعة سحاب، وهي أنف الأسد. القاموس (نثر).

(٢) قال المنذري في التكملة ٣/ ٣٨٩: وسألته عن مولده، فقال: آخر الرابع من ذي القعدة سنة ستٍّ وسبعين. وكذا ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان وفاته.

(٣) في (ب): مرة.

(٤) انظر ترجمته صفحة ٢ / ٤٨٩.

في غيرِ أشهرِ الحجِّ، ذاهباً إلى مكَّةَ، فلم تزلِ الكعبةُ أمامه حتّى دخلَها، وانقطعَ بوادٍ بينه وبين مكَّةَ عشرُ ليالٍ ففُتِحَ عليه، فصارَ يذهبُ من ذلك الوادي - وصحبتُهُ أسَدٌ عظيمٌ - إلى مكَّةَ، فيُصلِّي بها الصَّلوات الخمس ويعودُ إلى محلِّه من يومه.

وأنشأ غالِبَ نظمه حالتئذ، وكان الأسدُ يُكلِّمُهُ ويسألهُ أن يركبَ عليه، فيأبى.

وأقام كذلك نحو خمسةَ عشر عاماً، ثم رجعَ إلى مصرَ، فأقامَ بقاعةِ الخطابةِ بالجامعِ الأزهر، وعكفَ عليه الأئمَّةُ، وقُصِدَ بالزِّيارةِ من الخاصِّ والعامِّ. حتّى إن الملِكَ الكاملَ كان ينزلُ لزيارته، وسألَهُ أن يعملَ له ضريحاً عند قبره[1] بالقُبَّةِ التي بناها على ضريحِ الإمامِ الشَّافعيِّ، فأبى.

وكان جميلاً نبيلاً، حسَنَ الهيئةِ والمَلبس، حسَنَ الصُّحبةِ والعشرة، رقيقَ الطَّبع، عَذبَ المَنهلِ والنَّبع، فَصيحَ العبارة، دقيقَ الإشارة، سَلِسَ القياد، بَديعَ الإصدارِ والإيراد، سخيًّا، جواداً.

توجَّه يوماً إلى جامعِ عَمرو، فلقيَهُ بعضُ المُكارية[2]، فقال: اركَبْ معي على الفُتوح، فركِبَ، فمرَّ به بعضُ الأمراءِ، فأعطاهُ مئة دينار، فدفعَها للمُكاريّ.

وكان أيَّامَ النِّيلِ يتردَّدُ إلى المسجدِ المعروفِ بالمُشتهى في الرَّوضة، ويُحبُّ مشاهدةَ البحرِ مساءً، فتوجَّه إليه يوماً، فسمعَ قَصَّاراً يقصر، ويقول[3]:

قَطَّعَ قَلبي هذا المُقطّع ... ما قال يصفو أو يتقطَّع[4]

فصرخَ وسقطَ، فغُميَ عليه، فصارَ يفيقُ، ويُردِّدُ ذلك، ويضطربُ ثمّ يُغمى عليه، وهكذا.

---

(١) كذا في الأصول، وفي مقدمة شرح الديوان ١/ ٤ و ١٠: عند قبر أمه.
(٢) المكاري: الذي يؤجر دابته. انظر متن اللغة (كري).
(٣) في مقدمة شرح الديوان ١/ ١١: يقصر ويضرب مقطعاً على حجر ويقول.
(٤) في الأصول: قال ما. والمثبت من مقدمة شرح ديوان ابن الفارض. ومعنى (ما قال): أي ما كان. وفي شذرات الذهب ٥/ ١٥٠: لا هو يصفو.

وكان يواصلُ أربعينيات[1]، فاشتهى هريسةً، فأحضرَها، ورفعَ لُقمةً إلى فيه، فانشقَّ الجِدارُ، وخرجَ شابٌّ جميلٌ، فقال: أُفٍّ عليك، فقال: إنْ أكلتُها. ثمّ طرَحَها وأدَّبَ نفسَهُ بزيادةِ عشرِ ليالٍ.

ورأى المُصطفى ﷺ في نومه، فقال له: إلى مَنْ تُنسَبُ؟ فقال: يارسول الله، إلى بني سعد، قبيلةِ حليمة. فقال: بل نسَبُكَ مُتَّصِلٌ بي. يعني نسبةَ محبَّةٍ وتبعيَّةٍ.

وقعَدَ يوماً ببابِ قاعةِ خطابةِ الجامعِ الأزهر، وحولَهُ جَمعٌ من المُجاورين، فجعلَ بعضُ العجمِ كلَّما ذكروا حالاً من أحوال الدُّنيا كالطشتخانة[2] يقول: هذا من زخمِ العجم[3]، ويُفخِّم، فأذَّنَ المؤذِّنون، ورفعوا أصواتَهم بالأذانِ جُملةً، فقالَ: هذا من زخمِ العرب، وصرخَ وتواجدَ هو والحاضرونَ، فصارت ضجَّةٌ عظيمةٌ.

ومرَّ برجلٍ ومعه بلالين ـ أي ميازر ـ[4] فدعا رجل: يا صاحب البلالين، فطربَ الشَّيخُ، وصاح، وبكى، وناح.

ومن خوارِقه العجيبة، وأحوالِه الغريبة: أنَّه رأى جملاً لسقَّاء، فكَلِفَ به وهام، وصارَ يأتيه كلَّ يومٍ ليراه، ويتَّقي[5] بأحماله شيئاً كثيراً.

وكان يشخصُ في بعض الأيَّام إلى الأسطوانةِ أو العمودِ الأُسبوعَ فأكثرَ، فلا يطرفُ بعينه.

وله من أمثالِ هذه الواقعاتِ كثير، وفي هذا القدرِ منه كفاية، وناهيك

---

(١) في مقدمة شرح الديوان ١/ ١٠: كان للشيخ أربعينيات متواصلة، لا يأكل ولا يشرب ولا ينام.

(٢) الطشت خانة: طشت البيت الذي يستعملونه في غسل الأيدي. مقدمة ديوان ابن الفارض ١/ ٩. وفي صبح الأعشى ٤/ ١٠: الطشت خاناه: بيت الطشت، وسميت بذلك لأن فيها يكون الطشت.

(٣) زخم العجم: أي من وضع العجم واصطلاحهم. انظر مقدمة الديوان ١/ ٩.

(٤) ميازر: جمع مئزر على التسهيل.

(٥) في (ب): ويسقي، وفي المطبوع: ويبقى بأجماله.

بديوانه الذي اعترفَ بحُسنِه المُوافِقُ والمُخالف، والمُعادي والمُحالف، سيما القصيدة التائيَّة[1]، وقد اعتنى بشرحها جَمعٌ من الأعيان كالسِّراج الهندي الحنفي[2]، والشَّمس البِساطي المالكي[3]، والجلال القَزويني الشَّافعي غير متعقبين ولا مبالين بقولِ المُنكرينِ الحسَّاد: شِعرُهُ يُنعَتُ بالاتحاد[4].

وكذا شرحها الفرغاني[5]، والقاشاني[6]، والقَيصري[7]، وغيرهم.

---

(١) التائية الكبرى، وعدد أبياتها نحو ٧٦٠ بيتاً، ومطلعها:

سَقتني حُمَيَّا الحُبِّ راحةُ مقلتي وكأسي مُحَيَّا مَنْ عَنِ الحُسنِ جَلَّتِ

روى ابن بنته عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وقال لي: يا عمر، ما سميت قصيدتك؟ فقلت: يارسول الله، سميتها لوائح الجَنان وروائح الجِنان. فقال: لا، بل سمها نظم السلوك.

قال حاجي خليفة في كشف الظنون ٢٦٥: في كل بيت صنائع لفظية، وبدائع شعرية من التجنيس، والترصيع، والاشتقاق وغيرها، وسلك طريق التغزل، وبيَّن فيه طريق السالك، لكن العلماء اختلفوا فيه وافترقوا فِرقاً، فمنهم من أفرطَ في مدحه، واشتغل بتوجيه كلامه، ومنهم من فرَّط وأفتى بكفره.

وله التائيَّةُ الصُّغرى، وعدد أبياتها ١٠٣ أبيات، ومطلعها:

نعم، بالصَّبا قلبي صبا لأحبَّتي فيا حبَّذا ذاك الشَّذا حين هَبَّتِ

(٢) هو القاضي سراج الدين أبو حفص، عمر بن إسحاق الهندي الحنفي، المتوفى سنة ٧٧٣ هـ. وكان ممن يتعصب له. كشف الظنون ١/٢٦٦.

(٣) هو محمد بن أحمد بن عثمان الطائي البساطي، أبو عبد الله، شمس الدين، فقيه مالكي من القضاة، ولد في بساط (من الغربية بمصر)، درَّس وناب في الحكم، تولَّى القضاء إلى أن مات سنة ٨٤٢ هـ. شرح التائية، وصرَّح بكفر ابن الفارض فيها. الأعلام، وكشف الظنون ٢٦٧.

(٤) كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب ينعق بالاتحاد. أفادنيه الدكتور بكري علاء الدين.

(٥) هو سعيد الدين، محمد بن أحمد الفرغاني المتوفى في حدود سنة ٧٠٠ هـ، تلميذ صدر الدين القونوي، وهو الشارح الأول للتائية الكبرى، شرحها فارسياً، ثم عربياً، وسماه: منتهى المدارك، طبع في استنبول ١٢٩٣ هـ في مجلدين. كشف الظنون ٢٦٥.

(٦) هو كمال الدين، عبد الرزاق بن جمال الدين أحمد المتوفى سنة ٧٣٠ هـ، سمى شرحه: كشف الوجوه الغر لمعاني نظم الدر، طبع بالقاهرة سنة ١٣١٠ هـ على هامش ديوان ابن الفارض. كشف الظنون ٢٦٦.

(٧) هو شرف الدين داود بن محمود القيصري المتوفى سنة ٧٥١ هـ، وهو من حذاق =

وعلى الخمرية[1] وغيرها عدَّةُ شُروحٍ.

وقال بعضُ أهلِ الرُّسوخ: إنَّ الدِّيوانَ كلَّه مَشروح.

وذَكَرَ بعضُ الأكابر: أن بعضَ أهلِ الظَّاهرِ في عصر الحافظ ابن حجر، كتب على التائيَّة شرحاً، وأرسلَهُ إلى بعضِ عُظماءِ الصُّوفيَّة[2]، ليُقرضه[3]، فأقام عندَهُ مُدَّة، ثمَّ كتبَ عليه عند إرساله إليه:

سارَتْ مُغرِّبةً وسِرْتُ مُشرِّقاً ... شَتَّانَ بين مُشَرِّقٍ ومُغرِّبِ

فقيل له في ذلك، فقال: مَولانا الشَّارِحُ اعتنى بإرجاعِ الضَّمائرِ والمُبتدأ والخبر، والجِناس والاستعارة، وما هنالك من اللُّغةِ والبَديع ومُرادُ النَّاظمِ وراءَ ذلك كلِّه.

وقد أثنى على ديوانه، حتّى مَنْ كان سيِّىء الاعتقاد، ومنهم ابن أبي حَجَلَة[4] الذي عزَّره السِّراجُ الهنديُّ بسبب الوقيعة فيه، فقال: هو من أرقِّ الدَّواوينِ شِعراً، وأنفسِها دُرًّا، برًّا وبحراً، وأسرعِها للقلوبِ جَرحاً، وأكثرها على الطّول نَوحاً. إذ هو صادرٌ عن نفثةِ مَصدور، وعاشقٍ مهجور، وقلبٍ بحَرِّ النَّوى مَكسور، والنَّاسُ يلهجونَ بقوافيه، وما أودعَ من القوى فيه، وكَثُرَ حتّى

= شرَّاحها، وأورد تحقيقات لطيفة لم يتعرّض الشارحون لها، ذُكر أن اسم هذا الشرح: كشف وجوه الغر لمعاني الدر.

(١) قصيدته الخمرية هي:

شربنا على ذِكْرِ الحبيبِ مُدامةً ... سكِرنا بها من قبل أن يُخلَقَ الكَرمُ

(٢) في (أ): عظماء صوفية الوقت.

(٣) في (ب): ليقره به.

(٤) هو أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد بن أبي حجلة، شهاب الدين التلمساني، عالم بالأدب، شاعر، من أهل تلمسان، سكن دمشق، وولي مشيخة الصوفية بصهريج منجك (بظاهر القاهرة) ومات فيها بالطاعون سنة ٧٧٦ هـ، كان حنفياً يميل إلى مذهب الحنابلة، ويكثر الحط على أهل الوحدة وخصوصاً ابن الفارض، وعارض جميع قصائده بقصائد نبوية وامتحن بسببه على يد السراج الهندي قاضي الحنفية، له أكثر من ثمانين مصنفاً. الدرر الكامنة ١/ ٣٢٩، والأعلام.

قَلَّ مَنْ لا رأى ديوانَهُ، أو طَنَّتْ بأُذنه قصائِدُهُ الطَّنَّانة.

وقال كمال الأُدْفُوي: وأحسنُهُ القصيدةُ الفائيةُ التي أوَّلها[١]:

قلبي يُحدِّثُني بأنَّكَ مُتْلِفي

واللاَّميَّةُ التي أوَّلها[٢]:

هو الحبُّ فاسلَمْ بالحَشا ما الهوى سَهْلُ

والكافيَّةُ التي أوَّلها[٣]:

تِهْ دَلالاً فأنتَ أهلٌ لذاكا

قال: وأما التَّائيَّةُ، فهي عند أهل العلم ـ يعني الظَّاهر ـ غيرُ مرضيَّةٍ مشعرةٌ بأمورٍ رديَّة.

وكان عَشَّاقاً، يَعشَقُ مُطلقَ الجمال، حتّى أنَّه عَشِقَ بعضَ الجِمالِ. بل زعمَ بعضُ الكِبارِ أنَّه عَشِقَ بَرْنِيَّةً[٤] في دُكَّانِ عَطَّار.

وذكر القُوصيُّ في «الوحيد»: أنَّه كان للشَّيخِ جَوارٍ بالبهنسا يذهبُ إليهنَّ، فتُغنِّينَ له بالدُّفِّ والشَّبَّابة، وهو يَرقُصُ ويتواجَدُ.

ولكلِّ قَومٍ مَشرب، ولكلِّ جماعةٍ مَطلَب، وليس سماعُ الفُسَّاق كسماعِ سُلطانِ العُشَّاق.

ولم يزل على حاله راقياً في سماء كماله، حتى احتُضِرَ فسألَ اللهَ أن يحضرَهُ في ذلك الهولِ العظيمِ جماعةٌ من الأولياء، فحضرَهُ جماعةٌ من الأولياء منهم البُرهان الجعبري. فقال فيما حكاه سبط صاحب الترجمة[٥]: رأيتُ الجنَّةَ مُثِّلَتْ

---

(١) عجز البيت: روحي فِداكَ عَرَفْتَ أم لم تَعْرِفِ.
(٢) عجز البيت: فما اختاره مُضنًى به وله عَقْلُ.
(٣) عجز البيت: وتحكَّمْ فالحُسْنُ قد أعطاكا.
(٤) البرنيَّة: إناء من خزف. متن اللغة (برن).
(٥) مقدمة شرح ديوان ابن الفارض ١/ ١٢.

له، فبَكى وتغيَّرَ لونُه، ثمّ قال:

إن كان منزلتي في الحبِّ عندَكُمُ   ما قد رأيتُ، فقد ضيَّعْتُ أيّامي

قال: فقلتُ له: يا سيِّدي، هذا مقامٌ كريم. فقال: يا إبراهيم، رابعةُ، وهي امرأةٌ، تقولُ: وعِزَّتِكَ، ما عبدتُكَ رَغبةً في جنَّتِكَ، بل لمحبَّتِكَ. وليس هذا ما قطعتُ عُمري في السُّلوكِ إليه. فسمعتُ قائلاً يقولُ له: فما تروم؟ قال:

أرومُ وقد طالَ المَدَى مِنْكَ نظرةً[1].

فتهلَّلَ وجهُهُ، وقضَى نحبَهُ، فقلتُ: إنَّه قد أُعطيَ مرامَه، انتهى.

وقد شنَّعَ عليه بذلك المُنكِرون، فقال بعضهم: لمَّا كُشِفَ له الغِطاءُ، وتحقَّقَ أنَّه هو غيرُ اللهِ، وأنَّه لا حلولَ ولا اتِّحاد قال ذلك.

وقالَ بعضهم: قاله لمّا حضرَهُ ملائكةُ العذابِ الأليم، أستغفرُ الله ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦] أما سمِعَ هذا المخذولُ القائلُ قولَ المصطفى: «إنَّ اللهَ عندَ لسانِ كلِّ قائلٍ»[2]؟ كيف والمُنكِرُ مُقِرٌّ بأنَّ سببَ قوله ذلك، إنَّما وقفَ عليه بالعيانِ لا بالبرهان وأهلُ الظَّاهرِ لا منهاجَ لهم في مُشاهدةِ هاتيكَ السَّرائر، فمن أين لهم أنَّه شاهدَ ملائكةَ العذاب؟ وأمّا البُرهانُ فإنَّه[3] من أعيانِ أهلِ الكشفِ والعيان، وقد أخبرَ عن مُعاينته ذلك، فما هذا التعصُّبُ المُوقعُ في خيالِ الخبال، الجارُّ إلى بلاءِ الوبال؟!.

والحاصلُ أنَّه اختُلِفَ في شأنِ صاحبِ التَّرجمةِ وابنِ عربي، والعَفيف التِلِمْساني، والقُونوي، وابن هُود، وابن سبعين، وتلميذه الشُّشْتَري، وابن مُظفر، والصفّار من الكفر إلى القطبانيَّة. وكَثُرَتْ التَّصانيف من الفريقين في هذه القضية.

---

(١) البيت من تائيته الصغرى، وعجزه: وكم من دماءٍ دون مَرمَاي طُلَّتِ.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ١٦٠ عن ابن عمر، وقال: غريب، لم نكتبه متصلاً مرفوعاً إلا من حديث وهيب، والخطيب في تاريخ بغداد ٩/ ٣٢٩، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٦٥. وذكره السيوطي في الجامع الصغير، ورمز له بالضعف. انظر فيض القدير ٢/ ٢٤٠.

(٣) في (ب): فإنه كان.

ولا أقولُ كما قال بعضُ الأعلام: سَلِّم لتسلم والسَّلام. بل أذهبُ إلى ما ذهبَ إليهِ بعضُهم أنَّه يجبُ اعتقادُهم وتعظيمُهم، ويَحرمُ النَّظرُ في كُتبهم على مَنْ لم يتأهَّل لتنزيلِ ما فيها من الشَّطحات على قوانين الشَّريعةِ المُطهَّرةِ. وقولُ بعضِ جهابذَةِ الفقه، والأثر: لا يُؤوَّلُ إلاَّ كلامُ المَعصومِ، غيرُ مُعتبرٍ وإن جلَّ قائلُهُ، كيف وهو رضي الله عنه قد ملأ كغيره كتبَهُ الفقهيَّةِ والحديثيَّةِ بتأويلِ النُّصوصِ والوجوه، واعتنى بالجمعِ بين الكلامَين المُتناقضَين، وتنزيلِ الخلافِ على حالَين، وقد وقعَ لجماعةٍ من الكبارِ الرُّجوعُ عنِ الإنكار.

حُكِيَ أنَّ الشَّمسَ بن عمارة المالكيّ كان يُنكِرُ، فتوجَّه لزيارةِ أخوة يوسف، فأجهدَهُ العطشُ، ولم يجدْ ماءً إلاَّ في قلَّةٍ على قبرِ الشَّيخِ، فرجع.

وكان العزُّ بن جماعة[1] يُنكر، فرأى في نومه جماعةً قد أُوقِفوا بين يَدي الشَّيخ، وقيلَ له: هؤلاء المُنكِرون. فقَطَعَ ألسنتَهُم، فانتبه مذعوراً، ورجع.

وقال لي فقيه عصره شيخُنا الرَّملي: إنَّ بعضَ المُنكِرين رأى أنَّ القيامةَ قامَت، ونُصِبَتْ أوانٍ في غايةِ الكبر، وأُغلِيَ فيها ماءٌ حتّى تطايرَ منه الشَّرر، وجيء بجماعة ضبائرَ ضبائر[2] فسُلِقُوا فيه حتّى تهرَّى اللَّحمُ والعظم، فقال: ما هؤلاء؟ قال[3]: الذين يُنكِرون على ابنِ عربي، وابنِ الفارض.

ولمَّا وصلَ شيخُ الإسلام محمد بن الياس[4] قاضي القضاة إلى مصر، صار

---

(١) هو عز الدين محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن جماعة، الكناني، الحموي ثم المصري، الشافعي، عالم بالأصول والجدل واللغة والبيان، أصله من حماة، ومولده في ينبع على شاطىء البحر الأحمر، انتقلَ إلى القاهرة وسكنها، وتتلمذ لابن خلدون، توفي بالطاعون سنة ٨١٩ هـ، كان مكثراً من التصنيف، جمعت أسماء كتبه في كراسين. الأعلام.

(٢) الضبائر: جماعات الناس في تفرقة. متن اللغة (ضبر).

(٣) في (ب): قالوا.

(٤) محمد بن الياس الحنفي الرومي، محيي الدين، المعروف بجوى زاده، قاضٍ تركي الأصل والمنشأ، عربي الآثار، ولي القضاء بمصر، فقضاء العساكر الأناضولية، ثم عيّن مُفتياً بالقسطنطينية، وأنكر على ابن عربي بعض أقواله، فعزله السلطان من الإفتاء، فاشتغل بالتدريس، وأعيد إلى القضاء في عساكر الروم=

ينالُ من الشَّيخِ، وتوعَّد زُوَّارَهُ، ومَنْ يُنشِدُ كلامَهُ يومَ الجُمعةِ عند قبرِه على العادة وتطلَّبَ «شرح المنهاج» للسُّبكي لكونه حطَّ فيه على الشَّيخ، ونقصه فابتُلِيَ بمرضٍ، فما شُفِيَ منه حتّى رجَعَ عن ذلك.

والحكايات في معنى ذلك كثيرة.

ماتَ سنةَ اثنتين وثلاثين وستٍّ مئة، ودُفِنَ بالقَرافة.

رُؤيَ في النَّومِ، فقيلَ له: لِمَ لا مدحتَ المُصطفى في ديوانك؟ فقال:

أرى كلَّ مَدحٍ في النَّبيِّ مُقصِّراً   وإنْ بالغَ المُثني عليه وأكثَرا
إذ اللهُ أثنى بالَّذي هو أهلُهُ   عليه فما مِقدارُ ما تَمْدَحُ الوَرَى

وبعضُ العوامِّ إذا سمعَ كلامَهُ يقولُ: باطِنُ كلامِهِ كلّه مَدحٌ في النَّبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلام، وغالِبُ كلامِهِ لا يصحُّ أن يُرادَ به ذلك(١).

* * *

(٥٤٥) عمر بن سعيد الهَمْداني(*)

عمر بن سعيد بن أبي السعود الهَمْداني. كان جامعاً بين طريقَي العلمِ والعمل، ذا أخلاقٍ كريمةٍ، وبركاتٍ عَميمَةٍ، قدمُهُ ثابت، وغَرسُ كرمِه وكراماته نابت.

له مُكاشفاتٌ منها ما قاله الجَنَدي: إنَّ تربتَهُ وتربَةَ الشَّيخِ زيدِ اليَفَاعيِّ(٢)، إذا وصلَ الزَّائرُ إلى أحديهما، وسألَ ذمَّته، وجدَ شعرةً بيضاء، فيأخذها فتُقضى حاجتُه، ولايزالُ بخيرٍ مادامتِ الذِّمَّةُ عندَه.

= ايلي فمات فيها سنة ٩٥٤ هـ. الأعلام.

(١) في (ب): لا يراد به ذلك.

(*) العقود اللؤلؤية ١/١٤٩، طبقات الخواص ١٠٠، جامع كرامات الأولياء ٢/٢١٩.

(٢) في الأصول: البقاعي، والمثبت من طبقات الخواص، وهو زيد بن عبد الله اليفاعي، نسبة إلى قرية يقال لها يفاعة، قريبة من مدينة الجَنَد. انظر طبقات الخواص ٥٢.

وقد انتهت إليه رئاسةُ الصُّوفيَّةِ في زمانه، واستمرَّ مُتصدِّياً للتَّربيةِ إلى أن دخلَ في ذِمَّةِ اللهِ وأمانِهِ سنةَ ثلاثٍ وستِّين وسِتِّ مئة، وقيل: اثنتين وثلاثين وستِّ مئة.

أثنى عليه ابنُ النجَّار في «تاريخه» كثيراً.

* * *

(٥٤٦) عمر بن عثمان الحَكَمي (*)

عمر بن عثمان الحَكَمي المعروف بزخم الدَّارَيْنِ، عارِفٌ وضحَ طريقُه، وانتفعَ به مُريدُهُ وصديقُه، من المشايخِ الكِبار، أصحابِ الكرامات والأحوال، صَوَّاماً قوَّاماً، كثيرَ الاعتكافِ والخلوة.

وكان يقولُ لجماعته: إذا خرجتُ من العكفةِ فلا تُباسطوني؛ فإنَّ ما خرجَ منِّي فهو هو، وكان إذا خرجَ منها لا يستطيعُ أحدٌ أن ينظُرَ إليه من النُّورِ والهَيبة.

وله كراماتٌ خارقةٌ منها:

أن بعض أولادِهِ شكا له من بعضِ الظَّلمةِ، فجاءَهُ الرَّجلُ بعد ثلاثةِ أيَّام يُسلِّمُ عليه، فلمَّا خرجَ، قال لجماعته: هذا؟ قالوا: نعم. قال: ما ظننتُ إلاَّ أنَّه مات، فماتَ قبلَ وصولِهِ لبيتِه.

ولم يزل الشَّيخُ على حاله راقياً في معارجِ كماله، حتَّى أدركَهُ الحمام، وبكى عليه أهلُ الإسلام.

* * *

(*) طبقات الخواص ١٠٢، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٢٠.

(٥٤٧) عمر بن أبي بكر الناشري(*)

عُمر بن أبي بكر بن عبد الرَّحمن النَّاشريُّ، بحرُ علمٍ زاخر، وجَوهرُ فَضلٍ فاخر، ورَوضُ وَعظٍ أنيق، ومَعْدِنُ تحريرٍ وتحقيق، كان بارِعاً في عِدَّةِ فنون، مُلازِماً للتَّقوى في الحركةِ والسُّكون.

تفقَّه بالحضرمي(١) وغيرِه.

وكان شيخُه يُحبُّه ويُثني عليه، وأوصاه بصلاةِ ركعتَين في جوفِ اللَّيل، ثمّ سألَهُ عنهما بعد مُدَّةٍ، فقال: ما تركتُهما ولا ليلةَ عُرسي. فقبَّلَ بين عَينَيه.

ولم يزَلْ قائماً بالإفادة والعِبادة، حتّى انقضى عُمْرُ عُمَرَ، واستوفى ما لَه من الحياة، فانقبرَ سنةَ سِتٍّ وسبعين وستِّ مئة.

* * *

(٥٤٨) عمر بن محمد الأسواني(**)

عمر بن محمد الأسواني المَولد، القَزويني المحتِد.

قرأ القرآنَ، ثمَّ تصوَّفَ، وأقام بالخانقاه(٢) بالقاهرة إمامَ الصُّوفيَّةِ بها.

وله نظمٌ وأدَبٌ، وكراماتٌ عاليةُ الرُّتَب، منها: أنَّ أُمَّهُ كُفَّ بصرُها، فتوجَّه من القاهرة لزيارتها إلى قُوص، فقالت له: يا بُنيّ، أشتهي أن أنظرَكَ كما كنتُ. فلمَّا كان اللَّيلُ توضَّأَ، وتوجَّه، ثمَّ قال: قُومي فصلِّي ركعتَين شُكراً للهِ، ففعلَتْ، فأبصرَتْ.

(*) طبقات الخواص ١٠٣.

(١) الفقيه إسماعيل بن محمد الحضرمي. طبقات الخواص.

(**) الطالع السعيد ٤٥٧. وسترد ترجمته في الطبقات الصغرى ٤/ ٤٩٤. وهذه الترجمة ليست في (أ) ولا في (ف).

(٢) الخانقاه: فارسي معرّب خانه كاه، بقعة يسكنها أهل الصلاح والعبادة، مستحدثة في المئة الرابعة للهجرة. متن اللغة (خنق).

وزارَةُ الأميرُ الشُّجاعيّ[1]، فأغلَقَ البابَ دونَهُ، فتوسَّلَ إليه ببعضِ أحِبَّتِهِ، فدخَلَ، فقال: ادعُ لي. قال: الدُّنيا حصلَتْ لك، والآخرةُ ما تجيءُ بدعائي، تَظلِمُ وتفعَلُ وتفعَلُ، ولم يَدْعُ له.

ماتَ بقُوص سنة سِتٍّ وثمانين وسِتٍّ مئة.

* * *

(٥٤٩) عمر بن محمد بن غُلَيْس (*)

كان من كبار العُبّاد، جميلَ الأوصافِ والمناقب، حسَنَ النَّظرِ في إصلاحِ العواقب.

يقال: إنَّه أوتيَ الاسمَ الأعظم.

قال الجَنَديُّ: سمعتُ بالنَّقلِ المُتواتر: أنَّه اجتمعَ وأخوه عليّ بمجلسٍ فتذاكَروا نِعَمَ اللهِ، إذ نزلَ عليهم من السَّماءِ ورقةٌ خضراءُ مكتوبٌ فيها: هذه براءَةٌ من الله لعمر وعلي ابنا غُلَيْس من النَّار. ذكرَهُ الحُبَيْشيُّ في كتاب «الاعتبار»[2] وقال: يقال إنَّ أحدَهُما هلَّلَ يومَ ولادته.

---

(١) هو علم الدين سنجر بن عبد الله الشُّجاعي المنصوري، كان من مماليك السلطان المنصور قلاوون، وترقى حتى ولي الوزارة في أوائل دولة الناصر، وساءت سيرته، وكثر ظلمه، فقتل عام ٦٩٣ هـ. عن حاشية الطالع السعيد ٢٣٣.

(*) طبقات الخواص ١٠٣، جامع كرامات الأولياء ٢/٢١٨. وقد ضبط اليافعي في روض الرياحين ٤٩٧ حكاية (٤٥٧) (غليس): بفتح العين المهملة، والباء الموحدة، وسكون اللام بينهما، وفي آخره سين مهملة. قال الشرجي في طبقاته: بضم الغين المعجمة، وفتح اللام، وسكون المثناة من تحت، ثم سين مهملة... ورأيت اليافعي ذكره ناقلاً عن رسالة ابن أبي منصور بفتح العين المهملة وبالباء الموحدة. وابن أبي منصور لم يضبطه بشيء، وأنا رأيته في رسالته، فما أدري من أين أخذ ذلك الإمام اليافعي، فالله أعلم أي الضبطين أصح، والذي وجدته بالعين المعجمة وبالمثناة في نسخ الجندي وكتاب الحبيشي. ا.هـ.

(٢) هو عبد الرحمن بن عمر الحبيشي، أبو محمد، قاض، من فقهاء الشافعيَّة في اليمن. توفي سنة ٧٨٠ هـ. طبقات الخواص ٦٥. له عدة مؤلفات منها الاعتبار =

ماتَ سنةَ بضع عشرة وستٍّ مئة.

وكان الشَّيخ عليّ[1] عظيمَ الشَّأنِ، وكان ببيتِ المقدس، فرأى نوراً مُمْتدًّا من السَّماءِ إلى قبّةٍ بالمسجد، فأتاها، فوجدَ بها امرأةً من الأولياء، والنُّورُ مُتَّصِلٌ بها، فطلبَ منها الأُخوَّةَ، فآخته، وسافرَ وتركَ عندَها إبريقَهُ، وإذا به يوماً تكسَّرَ، فصارَ شقَفاً بغيرِ فعلٍ، فأرِّخَ ذلك اليوم، وكان يومَ موته بعينه.

* * *

(٥٥٠) عمر بن محمد المعترض(*)

عمر بن محمد بن عمر المعترض، إمامٌ أضاءَ سِراجُ عِرفانه، وأغدقَتْ رِياضُ طوفانه، كبيرُ القدر، واسِعُ الصَّدر، صاحبُ أحوالٍ وكراماتٍ منها:

أنَّ رجُلاً من أتباعه كان عليه للدِّيوان ثلاثُ مئةِ دينار، وضُيِّقَ عليه، وهو عاجزٌ عنها، فلازمَهُ وقال: لا أعذركَ حتّى تقولَ: غلّقت. فقال: غلّقت، ففتَّشوا عن اسمه في الدِّيوان فوجدوه قد غلَّقَ بلا دَفْعٍ.

* * *

(٥٥١) عمر بن مبارك الجُعْفي(**)

كان عالِماً، واعظاً، صالحاً، مشهوراً، مُحبَّباً إلى النَّاسِ، جميلَ التَّودُّدِ والإيناس، له أحوالٌ عاليات، وكراماتٌ ساميات، منها:

= لذوي البصار. إيضاح المكنون ١/ ٩٧.

(١) روض الرياحين ٤٩٧ (حكاية ٤٥٧)، طبقات الخواص ١٠٤ (ضمن ترجمة أخيه عمر)، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٩٧.

(*) طبقات الخواص ١٠٥، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٢٠. والمعترض من كان كثير السعي في حوائج الناس، والتعرض لهم في الشفاعات، ويقال إنما سمي المعترض لتعرضه إلى الله تعالى في الشفاعات للناس (طبقات الخواص ١٢٧).

(**) طبقات الخواص ١٠٥، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٢٠.

أنَّه حجَّ، وزارَ المُصطفى، ومدحَهُ وصاحبَيه بقصيدةٍ، فلمَّا فرغَ أضافَهُ رجلٌ رافضيٌّ، وأغلقَ أبوابَهُ، وأتاه بسيفٍ، فقال: اخترْ؛ إمَّا قطعَ رأسِكَ، أو لسانِكَ الذي مدحتَ به الفاعلَيْنِ الصَّانعَيْنِ. وشَتَمَ وسَبَّ، فقطعَ لِسانَهُ، فأخذه وجاءَ به إلى القبرِ الشَّريف، وتضرَّعَ ونام، فرأى المُصطفى في النَّومِ، فأعادَهُ ـ فانتبه ـ كما كان[1].

واستمرَّ حَسَنَ السِّيرةِ، جميلَ الطَّريقةِ، إلى أن نُقِلَ من مجازِ دارِ الدُّنيا إلى الحقيقة.

* * *

(٥٥٢) عيسى بن إقبال الهِتَار[*]

عيسى بن إقبال المعروف بالهِتَّار ـ بكسر الهاء، وفوقيَّةٌ مُخفَّفة ـ أحدُ المشايخِ الكِبار، صوفيٌّ وافرُ الصَّلاح، سافِرُ الصَّباح، مُثابرٌ على النَّجاةِ والنَّجاح[2]. بَرَعَ في الفضائل، ومهَرَ في حلِّ مُشكلاتِ المسائل[3]، ووعظَ في المجالس. وأتى من دُرَرِ بحرِ صدرِه بالنَّفائس.

نعم، وكان صاحبَ أحوالٍ، ومقاماتٍ عوالٍ، ومُكاشفاتٍ باهرة، وكراماتٍ ظاهرة.

قيل: بلغَ في سياحته جبلَ قاف[4].

ومن كراماته:

أنَّه لمّا نزلَ الرَّمادُ على أهلِ اليمنِ، ودامَ ثلاثةَ أيّامٍ حتّى أظلَمَ الجوُّ في

---

(١) ذكر اليافعي في مرآة الجنان ٤/٣٥٦ هذه القصة عن الشيخ موسى بن عمر.

(*) مرآة الجنان ٤/٣٥٨، روض الرياحين ٣٦٥ (حكاية ٣١٧) و ٥١٤ (حكاية ٤٧٢)، طبقات الخواص ١٠٩، جامع كرامات الأولياء ٢/٢٢٦.

(٢) في (أ): والفلاح.

(٣) في (ب): المشكلات من المسائل.

(٤) انظر الحاشية رقم (١) صفحة ٢٣٩ من هذا الجزء.

الثَّالث، ونزَلَ رمادٌ أسودُ، فكُشِفَ لبعضِ أصحابِ العارفِ الجيلانيِّ أنَّه يُصيبُ أهلَ اليمنِ صاعقةٌ، فشفعَ فيهم، فقيل له: قد شفَعَ فيهم رجلٌ منهم يُقال له عيسى الهِتّار، وذلك سنة ستٍّ مئة.

ومنها: أنَّه أتَتْهُ امرأةٌ مُغنّيةٌ مشهورَةٌ بالفُجور لتزورَهُ، فوقَعَ نظَرُهُ عليها، فتابَتْ، وزوَّجَها لفقيرٍ، وعمِلَ الشَّيخُ وليمتَها عصيدةً، وجمَعَ الفقراءَ، ووضعها[1] بغيرِ إدامٍ، وقعَدَ ينتظرُ مَنْ يأتي به. وكان للمرأةِ صاحِبٌ من أُمراءِ الدَّولة، فأرسلَ بزُجاجتَيْنِ من خمرٍ، وقال للرَّسولِ مُستهزِئاً: قُلْ للشَّيخِ يجعلُ هذا إداماً. فأخذهما وصَبَّ من إحداهما سمناً، ومن الأُخرى عسلاً.

ماتَ سنةَ سِتٍّ وستٍّ مئة عن مئةٍ وستِّينَ سنة، وقيل: بل مئتين، وقيل: ثلاث مئة.

* * *

(٥٥٣) عيسى اليونيني(*)

عيسى بن أحمد بن إلياس اليونيني. زاهدٌ عابدٌ صَوَّامٌ، عارفٌ خائف قَوَّامٌ، مُنقطعُ القَرين، مُتمسِّكٌ بعُروةِ الدِّين المَتين، خشنُ[2] العيشِ في مأكله ومَلبسه، حسَنُ الخُلقِ في خلوته ومجلسه.

له كراماتٌ وأحوال، وأفعالٌ صالحةٌ وأقوال.

ماتَ ببعلبك، ودُفِنَ بزاويةٍ هناك سنةَ أربعٍ وخمسين وستٍّ مئة.

* * *

---

(١) في (أ): وصنعها.

(*) ذيل مرآة الزمان ١ / ٢٤، سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٩٩، العبر ٥/ ٢١٨، السلوك ١/ ٢/ ٤٠١، شذرات الذهب ٥/ ٢٦٦، واليونيني نسبة إلى يونين قرية ببعلبك، انظر البداية والنهاية ١٣/ ٩٣.

(٢) في (ب): حسن العيش.

(٥٥٤) عيسى بن حجَّاج العامري(*)

عيسى بن حجَّاج العامريُّ اليَمني، صاحبُ أحوالٍ وأقوال، وتربيةٍ وأفضال، شاعَ خبرُ وصفه، وهبَّ نسيمُ لطفه.

وكان يَسلكُ طريقَ ابنِ الفارض، ويستمطرُ ما يلوحُ في سمائه من العارض.

وله كلامٌ حسن مدوَّنٌ مُتداول منه قوله: بسم الله نقول، وبفضلِه نَصول، إنَّ مَنْ تركَ الهمَّ لأجلِ الله، أوجَبَ اللهُ له حياةَ قلبٍ يَصيرُ إكْسِيراً، لو وضَعَ منه ذرَّةً على الكونِ انقلبَ إبريزاً، فحينئذٍ تبرزُ الأرواحُ من أقفاصِ الأشباح، حتّى يكونَ النَّظرُ إلى وجهِهِ مُباح[١]، فيُحييه ويُحييها[٢]، وتُسبِّحه[٣] فيُطعمُها ويسقيها:

أبــداً تحــنُّ إليكُــمُ الأرواحُ ووصــالُكُـمْ رَيحـانُهـا والـرَّاحُ
وقلوبُ أهلِ ودادكم تَشْتاقُكُمْ وإلى لقاءِ جَمالكُم تَرْتاحُ[٤]

ومن كلامه:

بسم الله نقول: إنَّ مَنْ أدَّبَ نفسَهُ بتركِ الهَوى كان من العابدين. ومَنْ أدَّبَ عقلَهُ بمُتابعةِ المُصطفى كان من المُحبِّين. ومَنْ أدَّبَ رُوحَهُ بنظره إلى المَولى كان من الوالهين. ومَنْ أدَّبَ سِرَّ السِّرِّ في رِياضِ الرِّضا كان من المُقرَّبين. ومَنْ غرِقَ في حقيقةِ بحرِ الحقِّ كان من الوارثين، فحينئذٍ يَجتني ثِمارَ الكشفِ على لِباسِ[٥] الأُنس، بيدِ اللُّطفِ والعطفِ بلا زمانٍ ولا مكانٍ ولا عِلَّةٍ، وذلك عندَ اللاَّهوتِ البَريءِ عنِ النَّاسوتِ أزَلاً وأبداً، عَلِمَ ذلك مَنْ عَلِمَهُ، وجهِلَهُ مَنْ جهلَه، فأعْظَمَ اللهُ لكم الأجرَ فينا، وعصمَنا وإيَّاكُم بالصَّبرِ عَنَّا، ورحِمَنا وإيَّاكم

(*) العقود اللؤلؤية ١/ ١٦٧، طبقات الخواص ١١٠، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٢٧.

(١) كذا في الأصل مراعاة للسجع.

(٢) في المطبوع، وطبقات الخواص: فيجيبه ويجيبها.

(٣) في طبقات الخواص: وتستميحه.

(٤) البيتان للسهروردي، وقد تقدما ٢/ ٣١٢.

(٥) كذا في الأصول، وفي طبقات الخواص: على بساط.

من وجدانِنا، وألهمَنا وإيَّاكُم الشُّكرَ على فقدنا، والسَّلام، والحمدُ للهِ ربِّ التَّوفيق[١].

وقال: أمَّا بعد، فإنَّ الإيمانَ والتَّوكُّلَ جنةُ مَنْ لم يحزُنْهم الفزَعُ الأكبرُ يومَ القيامة، والرِّضا والتَّسليم مَقعدُ أهلِ الصِّدقِ عندَ ربِّهم، وهذا من عينِ مَعينِ تعيينِ معنى قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال: الإيمانُ يُوجِبُ الاستكانَةَ عندَ نزولِ الأحكامِ، والرِّضا بما جَرى به القضا يوجِبُ الوَفا عند قولهم لسيدهم: ﴿بلى﴾.

وقال: أمَّا بعد، فإنَّ الله العظيم بفضله العَميم، أوجَبَ على صاحبِ القلبِ السَّليم تَركَ ما له دُنيا وأُخرى، والقيامَ بما خُلِقَ له فَرضاً حقيقةً وشَرعاً، فمَنْ فَهِمَ ذَاقَ، ومَنْ ذاقَ اشتاقَ، ومَنِ اشتاقَ لَزِمَ الوِفاقَ، ومَنْ لَزِمَ الوِفاقَ لَحِقَ بخيرِ الرِّفاق، قد أوى إلى بساطِ الأُنس، ووقعَ في حظائرِ القُدس، يَجتني ثِمارَ الكشفِ بيدِ العَطفِ واللُّطف، قد ألْبَسَهُ الحقُّ حُلَلَ الأحَدِيَّةِ، وثبَّتَ قدَمَهُ في بَيداءِ[٢] السَّرمديَّةِ، فإن نطَقَ فباللهِ، وإنْ تحرَّكَ فبأمرِ اللهِ، وإنْ وقَفَ فمعَ اللهِ، فهو للهِ وباللهِ، ومعَ اللهِ و ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

ورُوِيَ: أنَّه أقامَ ثلاثينَ سنةً لا يشربُ ماءً، فقيل له: لو شربتَ منه شيئاً ليذهبَ عنكَ القالُ والقيل. قال: عزمتُ على ذلك مِراراً، ما يمنعني إلاَّ [أنِّي][٣] عقدتُ مع الشَّيخِ[٤] عَقداً أنا وجماعة، فأذِنَ لهم ولم يأذَنْ لي، وأُحبُّ أن ألقاهُ على ما فارقتُهُ عليه.

ماتَ سنةَ أربعٍ وستِّين وسِتِّ مئة.

* * *

---

(١) كذا في الأصول، وفي طبقات الخواص: وبه التوفيق.

(٢) في (أ): في ميدان.

(٣) ما بين معقوفين مستدرك من طبقات الخواص ١١١.

(٤) يعني شيخه أبا الغيث بن جميل.

(٥٥٥) محيي الدِّين ابن عربي(*)

محمد بن عليٍّ بن محمد الحاتِميُّ، الطَّائيُّ الأندلسيّ، العارِفُ الكبير محيي الدِّين بن عربي، ويُقالُ: ابن العربي[١]، وهو المعروف بالشَّيخِ الأكبر.

قال شيخُنا الشَّعراوي: ورأيتُهُ بخطِّه في كتاب «نسبة الخرقة»[٢].

كان مجموعَ الفضائل، مَطبوعَ الكرمِ والشَّمائل، قد فَضَّ له فضلُهُ خِتامَ كلِّ فَنٍّ، وبلَّ له وبلُه رياضَ ما شَرَدَ من العلومِ وعنّ، ونظمُهُ عُقودُ العقول، وفصوصُ الفصول. وحسبُكَ بقولِ زَرُّوق وغيره من الفحول، ذاكرين بعضَ فضلِهِ: هو أعرَفُ بكلِّ فَنٍّ من أهله.

(*) مرآة الزمان ٨/ ٧٣٦، ذيل الروضتين ١٧٠، التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٥٥٥، التكملة لكتاب الصلة ٢/ ٦٥٢، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١١٥، سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٨، العبر ٥/ ١٥٨، ميزان الاعتدال ٣/ ٦٥٩، المختصر المحتاج إليه ١/ ١٠٢، الوافي بالوفيات ٤/ ١٧٣، فوات الوفيات ٣/ ٤٣٥، مرآة الجنان ٤/ ١٠٠، عنوان الدراية ١٥٦، طبقات الأولياء ٤٦٩، البداية والنهاية ١٣/ ١٥٦، طبقات القراء ٢/ ٢٠٨، تبصير المنتبه ٣/ ٩٤٠، لسان الميزان ٥/ ٣١١، العقد الثمين ٢/ ١٦٠، النجوم الزاهرة ٦/ ٣٣٩، طبقات المفسرين للسيوطي ٢٨، مفتاح السعادة ١/ ٢٣٢، القلائد الجوهرية ٣٩٧، طبقات الشعراني ١/ ١٨٨، نفح الطيب ٢/ ١٦١، شذرات الذهب ٥/ ١٩٠، التاج المكلل للقنوجي ١٧٤، هدية العارفين ٢/ ١١٤، جامع كرامات الأولياء ١/ ١١٨، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/ ٣٧٧.

ولآسين بلاثيوس دراسة لحياته وقد ترجمها الدكتور عبد الرحمن بدوي. وانظر إلى ما كتبه الدكتور زكي مبارك عنه في كتابه التصوف الإسلامي ١/ ١٦٠، ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢٣١.

ومن كتب الأقدمين «تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي» للسيوطي، وكتاب للسخاوي.

(١) بالمغرب يعرف بابن العربي بالألف واللام، واصطلح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولام؛ فرقاً بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي. نفح الطيب ٢/ ١٧٥.

(٢) وهي رسالة في سلسلة نسب الخرقة الصوفية. انظر نسخها الخطية في مجلة مجمع اللغة العربية ٣٠/ ٤٠٦.

وإذا أُطلِقَ الشَّيخُ الأكبرُ في عُرفِ القومِ فهو المُراد.

وُلِدَ بمُرْسية سنةَ سِتِّين وخمسِ مئة، ونشأَ بها، وانتقلَ إلى إشبيليةَ سنةَ ثمانٍ وسبعين، ثمَّ ارتحَلَ وطافَ البلدان، فطرقَ بلادَ الشَّامِ والرُّومِ والمَشرق، ودخلَ بغداد، وحدَّثَ بها بشيءٍ من مُصنَّفاته.

وأخَذَ عنه بعضُ الحُفَّاظ، كذا ذكَرَهُ ابن النجَّار في «الذَّيل»[1].

وقال الحافظُ ابنُ حجر في «لسان الميزان»[2]، وهو ممَّن يحطُّ عليه، ويُسيءُ الاعتقادَ فيه: كان عارِفاً بالآثارِ والسُّنن، قَويَّ المُشاركةِ في العلوم، أخَذَ الحديثَ عن جَمعٍ، منهم ابن بشكوال، وكان يكتبُ الإنشاءَ لبعضِ ملوكِ المغرب، ثمّ تزهَّدَ وساحَ، ودخلَ الرُّومَ والحرمَين والشَّام، وله في كلِّ بلدٍ دخَلَها مآثر انتهى.

وقال بعضُهم: برزَ مُنفرِداً، مُؤثِراً للتخلِّي والانعزالِ عنِ النَّاسِ ما أمكنَهُ حتَّى إنَّه لم يكن يجتمعُ به إلاَّ الأفراد. ثمّ آثَرَ[3] التأليف، فبرزَتْ عنه مؤلَّفاتٌ لا نهايةَ لها[4]، تدلُّ على سعةِ باعه، وتبحُّرِه في العلوم الظَّاهرةِ والباطنة، وأنَّه بلَغَ مَبلَغَ الاجتهادِ في الاختراعِ والاستنباط، وتأسيسِ القواعد، والمعاقد التي لا يُدركُها ولا يُحيطُ بها إلاَّ مَنْ طالعَها بحقِّها.

---

(١) لم أجد هذا القول في المطبوع من المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار. ولعله في الأصل التام.

(٢) لم أجده في المطبوع من لسان الميزان في ترجمة ابن عربي ٥/ ٣١١.

(٣) في (ب): ثم أبرز.

(٤) إن مؤلفات ابن عربي من الكثرة بمكان، فقد فهرسها ابن عربي نفسه قبل موته بست سنوات، وقد قام بجمعها عثمان يحيى في مجلدين كبيرين باللغة الفرنسية، صدرا عن المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٦٤. وقد فهرسها كوركيس عواد في مجلة مجمع اللغة العربية ٣٠/ ٥١ و ٢٦٨، و ٣٩٥، وأما تعدادها فقد قال عواد في مجلة مجمع اللغة العربية ٣٠/ ٦٠: وكان قد ذكر لنا بعض المحبين لنا أنه قد ضبط لنا نحو أربعة آلاف مصنف. ولعل في هذا الرقم مبالغة، فقد جاء في نفح الطيب ٢/ ١٧٧ بأن صاحب الترجمة قد أجاز الملك المعظم أن يروي عنه مصنفاته، ومن جملتها كذا وكذا حتى عدَّ نيفاً وأربع مئة مصنف.

غيرَ أنَّه وقعَ له في تصانيفِ بعض تلك الكُتُبِ كلماتٌ كثيرةٌ أشكلَتْ ظواهِرُها، فكانت سَبباً لإعراضِ كثيرينَ ممَّن لم يُحسِنوا[1] به الظَّنَّ، ولم يَقولوا كما قالَ غيرُهم من الجهابذَةِ المُحقِّقين، والعُلماءِ العاملين، والأئمَّةِ الوارثين: إنَّ ما أوهمَتْهُ تلكَ الظَّواهرُ ليسَ هو المُرادَ، وإنَّما المُرادُ أُمورٌ اصطلحَ عليها متأخِّروا أهلِ الطَّريقِ غيرةً عليها حتَّى لا يَدَّعيها الكذَّابون، فاصطلحوا على الكنايةِ عنها بتلكَ الألفاظِ المُوهمَةِ خلافَ المُرادِ غيرَ مُبالينَ بذلك؛ لأنَّه لا يُمكنُ التَّعبيرُ عنها بغيرها.

وقد تفرَّقَ النَّاسُ في شأنِهِ شِيَعاً، وسَلَكوا في أمره طرائِقَ قِدَداً، فذهبَتْ طائفةٌ إلى أنَّه زِنديقٌ لا صِدِّيق، وذهبَ قَومٌ إلى أنَّه واسطَةُ عِقدِ الأولياءِ، ورئيسُ الأصفياءِ، وثارَ آخرونَ إلى اعتقادِ ولايته، وتحريم النَّظرِ في كُتبه[2]، وعَوَّلَ جَمعٌ على الوقفِ والتَّسليم قائلين: الاعتقادُ ضيعةٌ[3]، والانتقادُ حرمانٌ، وإمامُ هذه الطَّائفةِ شيخُ الإسلامِ النَّوويُّ، فإنَّه استُفتِيَ فيه، فكتبَ: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾ [البقرة: ١٣٤] الآية. وتبعَهُ على ذلك كثيرون، سالكينَ سبيلَ السَّلامةِ.

وقد حكى عن شيخه الغوريّ أنَّه سُئِلَ عنه، فقال: اختُلِفَ فيه من الكُفرِ إلى القطبانيَّةِ، والتَّسليمُ واجِبٌ، ومَنْ لم يَذُقْ ما ذاقَهُ القومُ، ويُجاهِدْ مُجاهداتهم لا يَسعُهُ من اللهِ الإنكارُ عليهم. والمُنكِرونَ عليه فريقان، فريقٌ قصَدَ بإنكاره تنفيرَ النَّاسِ عن مُطالعةِ كلامه لما اشتملَ عليه من المُشكلاتِ وعويصِ المُعضلات، فلم يَقصدوا بإنكارهم حَظًّا نفسانيًّا، بل سلامةَ النَّاسِ من السُّقوطِ في تلكَ الطَّامَّات، كما هو مُشاهَدٌ من حالِ كثيرٍ ممَّن اعتقدَ، وأكبَّ على مُطالعةِ كُتبِهِ، فوقعَ في الخطأ والخطل حتَّى ضَلَّ وأضلَّ.

---

(١) في (ف): كثيرين لم يحسنوا.
(٢) تحريم النظر في كتبه لمن لا يعرف مصطلحات القوم ومعانيهم التي تختلف عن المعاني المتعارف عليها. انظر القلائد الجوهرية ٢/ ٤٠٠.
(٣) في (أ) و (ف): الاعتقاد صيغة.

ولهذا بالَغَ ابن المقَّريّ في «روضه»[1] فحكمَ بكُفرِ مَنْ شَكَّ في كُفرِ طائفةِ ابنِ عربي، فحكمُهُ على طائفته بذلك يُشيرُ إلى أنَّه إنَّما قصَدَ التَّنفيرَ عن كُتبه، وأنَّ مَنْ لم يفهم كلامَهُ رُبَّما وقَعَ في الكُفرِ باعتقادِهِ خِلافَ المُراد.

وللقومِ اصطلاحاتٌ أرادوا بها معاني غير المعاني المُتعارفة، فمَنْ حَمَلَ ألفاظَهُم على معانيها المُتعارفة بين أهلِ العلم الظَّاهرِ رُبَّما كَفر كما قالَهُ الغزالي[2].

وقد حَكى الشَّيخُ الإمامُ ناصرُ الدِّين الطَّبلاوي: أنَّه دخَلَ القاهرةَ رجلٌ أعجمِيٌّ عليه لوائحُ العارِف، فكثُرَتْ أتباعُهُ جِدًّا، وألحُّوا عليه في قراءة «الفصوص» فامتنَعَ، فما زالوا يُلِحُّونَ ويبرمون حتّى وعدَهُم بعدَ الاستخارةِ مِراراً، بشرطِ ألاَّ يُقرئهم إيَّاهُ إلاَّ فيما وراءَ النِّيل من أرضِ الجيزة، وألاَّ يحضُرَ معهم غيرُهم، فقرَّرَهُ لهم هناكَ تقريراً بَديعاً بلسان الحقيقةِ المؤيِّدِ بالشَّريعة، ولَزِمَ ذلك مُدَّةً، ثمَّ انقطَعَ يومَ النَّوبةِ، فسألوهُ عنِ السَّببِ، فقال: نظرتُ اللَّيلةَ في الدَّرسِ فأشكَلَ عليَّ مَوضِعٌ منه، فكرَّرْتُ النَّظرَ، فرأيتُ الأمرَ[3] أشكَلَ، فتوجَّهتُ، وأخلصتُ إلى اللهِ في التوجُّه، ليكشِفَ لي ذلك، فكشَفَ لي، فرأيتُ الشَّيخَ في هذه المسألَةِ اختلَّ كَشفُهُ، فانتقَلَ نظَرُهُ، فأمسكتُ عن هذا الكتابِ بخُصوصِه.

وفريقٌ قصَدَ[4] بالإنكارِ عليه وعلى أتباعه الانتصارَ لحَظِّ نفسِهِ؛ لكونه وجَدَ قرينَهُ، وعصريَّهُ يُعتقَدُ[5] ويُنتصَرُ له، فحملَتْهُ حَميَّةُ الجاهليَّةِ على مُعاكسَتِهِ،

---

(١) الروض مختصر الروضة في الفروع للنووي تأليف اسماعيل بن أبي بكر المعروف بابن المقري اليمني. وانظر ٣/ ٣٧٠ الحاشية (٥).

(٢) القول في القلائد الجوهرية ١/ ٤٠٠ نقلاً عن السيوطي في رسالة تنبيه الغبي.

(٣) في (أ): فرأيت الموضع.

(٤) في (أ): قصده.

(٥) في الأصل: يعتقده.

فبالَغَ في خِذلانِه وخِذلانِ أتباعه ومُعتقِديه، وقد شُوهِدَ عودُ الخِذلانِ والخُمولِ على هذا الفريق، وعدمِ الانتفاعِ بعلومهم وتصانيفهم على حُسنِها.

وممَّن كان يعتقِدُهُ سُلطانُ العُلماءِ ابنُ عبدِ السَّلام، فإنَّه سُئِلَ عنه أوَّلاً فقال: شَيخُ سوءٍ كَذَّاب، لا يُحرِّمُ فَرجاً، ثمّ وصفَهُ بعد ذلك بالولايةِ بل بالقَطبانيَّةِ وتكرَّرَ ذلكَ منه.

وحُكِيَ عن اليافعيّ[1] أنَّه كان يطعنُ فيه، ويقول: هو زِنديق. فقال له بعضُ أصحابه يوماً: أُريدُ أن تُريني القطب؟ فقال: هو هذا. فقيل له: فأنتَ تطعنُ فيه! فقال: حتّى أصونَ ظاهِرَ الشَّرعِ.

ومنهم الزَّمَلْكانيُّ[2]، قال في كتابه المؤلَّف في النَّبيِّ والمَلَك: كان الشَّيخُ ابنُ عربي بحراً زاخِراً في المعارفِ الإلهيَّة.

ومنهم اليافعي في «إرشاده»[3]، وصفَهُ بالمعرفةِ والتَّحقيق، فقال: اجتمعَ الشَّيخانِ الإمامانِ، العارفانِ، المُحقِّقانِ، الرَّبَّانيَّانِ السُّهْرَوَرْدي وابنُ عربي، فأطرقَ كلٌّ منهما ساعةً ثمَّ افترقا من غيرِ كلامٍ، فقيلَ لابنِ عربي: ما تقولُ في السُّهْرَوَرْدي؟ قال: مَملوءٌ سُنَّةً من قرنِهِ[4] إلى قدمه.

وقيل للسُّهْرَوَرْديِّ: ما تقولُ فيه؟ قال: بحرُ الحقائق.

ومنهم قاضي القضاة الشَّمسُ البِساطي المالكي[5]، فإنَّه حضَرَ في مجلسٍ

---

(١) الإرشاد والتطريز ١٦٢، وانظر الحاشية (٢) صفحة ٤٥٣ من هذا الجزء.

(٢) هو محمد بن علي بن عبد الواحد الزملكاني، انتهت إليه رئاسة الشافعية في عصره، ولد وتعلم في دمشق، وولي القضاء في حلب، وطلب لقضاء مصر، فقصدها فتوفي في بلبيس سنة ٧٢٧ هـ.
وكتابه عمله في الكلام على الملك والنبي والصديق والشهيد سماه «تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى» ورجح فيه الملك على البشر محتجاً بكلام ابن عربي. فوات الوفيات ٣/ ٤٣٨، طبقات السبكي ٩/ ١٩١، الأعلام.

(٣) الإرشاد والتطريز ١٦١.

(٤) في (أ): من فرقه.

(٥) انظر الحاشية (٣) صفحة ٤٩٩ من هذا الجزء، وفي (أ): الباسطي.

فيه العلاءُ البُخاريّ[1]، فبالَغَ البُخاريُّ في ذَمِّه، وتكفيرِ مُعتقديه، فانتصرَ له البِساطيُّ وقال: إنَّما يُنكِرُ النَّاسُ عليه ظاهِرَ الألفاظِ التي يقولُها، وإلاَّ فكيفَ في كلامه ما يُنكرُ إذا حُمِلَ على مُراده، وضرب من التأويل ؟.

وكان من كلام البُخاري: الإنكارُ على مَنْ يعتقِدُ الوحدةَ المُطلقة. فقال البِسَاطي: أنتُم ما تعرِفونَ الوحدةَ المُطلقة. فاستشاطَ غَضَباً، وحَلَفَ إن لم يعزِلْهُ السُّلطانُ خرجَ من مصرَ، فعزَمَ السُّلطانُ على ذلك فما تَمَّ.

واستمرَّ البِسَاطيُّ في منصِبه بعد ذلك إحدى عشرة سنةً حتّى ماتَ، ولم يتَّفِقْ له عَزلٌ قَطُّ بعدَها.

ولمّا جَرَتْ كائنةُ البِقاعي، وعُقِدَتْ بسبَبِها المجالِسُ، وأجمَعَ أكثرُ أهلِ ذلك العصرِ على اعتقادِ ابنِ عربي، وتأويلِ كلامِه، أرادَ بعضُ النَّاسِ أن يُوقِدَ نارَ الفِتنةِ بين المُعتقدينَ والمُنكرين، وسَعى بذلك إلى السُّلطانِ، فأمَرَ بأخذِ خُطوطِ العُلماءِ، فامتنَعَ شيخُ الإسلامِ زكريّا السُّنَيكي[2] من الكتابةِ، خَوفَ الفِتنةِ، فتأثَّرَ منه المُعتقِدون، فخرَجَ من درسِهِ بجامعِ الأزهر، فلقيَهُ سيِّدي محمد الاصطنبولي المَجذوب الصَّاحي، فتعرَّضَ له وقال: يا زكريّا، نحنُ رفعناكَ من الأرضِ إلى السَّماء، ومع ذلك تتوقَّفُ في الكتابة! فاعتذَرَ الشَّيخُ، وبالَغَ، وكتَبَ، ثمَّ آلَ الأمرُ إلى نُصرةِ المُعتقِدين على المُنكِرين.

وأقوى ما احتجَّ به المُنكِرونَ أنَّه لا يُؤوَّلُ إلاَّ كلام المعصوم، ويردُّه قولُ الإمام النَّوويِّ في «بستان العارفين»[3] بعد نقله عن أبي الخير التيناتي واقعةً ظاهِرُها الإنكار: قد يتوهَّمُ مَنْ يتشبَّه بالفُقهاءِ ولا فِقهَ عندَهُ، أن يُنكِرَ هذا،

---

(١) في (أ): النجاري، وهو علاء الدين محمد البخاري، انظر القلائد الجوهرية ٣٩٩.

(٢) هو الشيخ زكريا بن محمد الأنصاري السنيكي، أبو يحيى، شيخ الإسلام، قاضٍ مفسر، من حفاظ الحديث، وُلد في سُنيكة بشرقية مصر، وتوفي سنة ٩٢٦ هـ.
في الأصول والمطبوع: السبكي، وانظر الحادث في الكواكب السائرة ١/ ٢٠٣ وكانت حول ابن الفارض، وبدائع الزهور لابن إياس ٢/ ١١٩ وما بعدها.

(٣) بستان العارفين: ١٤٢.

وهذه جهالَةٌ وغباوَةٌ، ومَنْ يتوهَّمُ ذلك فهو جسارَةٌ منه على إرسالِ الظُّنونِ في أولياءِ الرَّحمن، فليحذَرِ العاقِلُ من التعرُّضِ لشيءٍ من ذلك؛ بل حقُّه إذا لم يفهَمْ حِكَمَهُم المُستفادة ولطائفَهُم المُستجادَة أن يتفهَّمَها مِمَّن يعرِفُها، وربَّما رأيته[1] من هذا النَّوعِ ممَّن يتوهَّمُ فيه من لا تحقيق عندَهُ أنَّه مخالِفٌ ليس مُخالِفاً، بل يجبُ تأويلُ أفعالِ أولياءِ الله. إلى هنا كلامه.

وإذا وجَبَ تأويلُ أفعالهم، وجَبَ تأويلُ أقوالهم إذ لا فرقَ.

وكان المجدُ صاحبُ «القاموس» عظيمَ الاعتقادِ في ابنِ عربي، ويحملُ كلامَهُ على المحاملِ الحَسَنَة، وطرَّزَ شرحَهُ «للبخاري»[2] بكثيرٍ من كلامه.

وقد عَظُمَ انتشارُ كُتُبِه بأرضِ الرُّومِ[3]، فإنَّه أخبَرَ في بعضها بصفةِ جدِّ السُّلطانِ سُليمان، وفتحه لبلدهم[4] في وقت كذا، فكان كذلك[5]، فلذلك بنى على قبرِه قُبَّةً عظيمةً، وجعَلَ فيها طعاماً وخيراتٍ، حتى احتاجَ بعضُ المُنكرينَ عليه من الفُقهاء لدخولِها بعد ما كانوا يبولون ويروثونَ على قبره.

وأخبر الشَّعراوي[6] عن بعضِ إخوانه: أنَّه شاهدَ رجُلاً أتى ليلاً بنارٍ ليحرِقَ تابوتَهُ[7]، فخُسِفَ به، وغابَ بالأرضِ، فأُخبِرَ أهلُهُ، فحفَروا فوجدوا رأسَهُ،

---

(١) كذا في الأصول، وفي بستان العارفين: وكل شيء رأيته عن هذا.

(٢) واسم كتابه: منح الباري بالسيل الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري. انظر مقدمة القاموس المحيط.

(٣) قال ابن طولون في القلائد الجوهرية ٣٩٨ عن معتقدي ولايته: وهم غالب الأعاجم وجميع الأروام (وهم الترك)، وجماعة البواعنة بدمشق.. وقال عن الفرقة التي تعتقد ضلالته، وتعده مبتدعاً اتحادياً كافراً: وهم غالب فقهاء أبناء العرب، وجميع المحدثين.

(٤) العبارة في طبقات الشعراني أوضح: ذكر في بعض كتبه صفة السلطان جدّ السلطان سليمان بن عثمان الأول وفتحه القسطنطينية في الوقت الفلاني.

(٥) جاء في جامع كرامات الأولياء ١/١٩٩: وقد صحَّ عنه أنه ذكر في بعض كتبه الجفرية، وأظنّه «الشجرة النعمانية» هذه العبارة: إذا دخل السين في الشين ظهر قبر محيي الدين. وكان دخول السلطان سليم (س) إلى الشام (ش) سنة ٩٢٣ هـ.

(٦) الطبقات ١/١٨٨.

(٧) في (أ): قبّة تابوته.

فكُلَّما حَفَروا نزَلَ في الأرض، فعجزوا، فأهالوا عليه التُّرابَ.

وكان شيخُنا شيخُ الإسلام فقيه عصره الشَّمسُ الرَّمليّ يُوصي مَنْ يميلُ إليه من تلامذته بتعظيمِ ابنِ عربي واعتقادِهِ، وينقلُ ذلك عن أبيه.

وذكرَ الشَّيخُ شهابُ الدِّين بن حجر الهيتمي عن بعض مشايخه: أنَّه كان من المُنكرين، فمرِضَ واشتدَّ به ضيقُ النَّفَسِ حتّى منعَهُ الطَّعامَ والمنام، قال: فقلتُ له: هذا من الإنكارِ، فسبَّني، ثمَّ رجَعَ، وقال: لعلَّكَ صادِقٌ. فقلتُ له: إذن اعقِدِ التَّوبةَ عن الإنكارِ عليه، وأنتُم يحصلُ لكم[1] الشِّفاءُ فوراً. فقال: تُبتُ، ولا أعودُ، فشُفِيَ، وصارَ يأكُلُ ويشرَبُ وينامُ مُدَّةً. ثمَّ جاءَهُ رجلٌ من مُعتقِدي ابنِ عربي، فبحثَ معه في شأنه، فحملَهُ حنقُهُ منه على أنْ قال: اشهدوا عليَّ أنِّي باقٍ على الإنكار. فعادَ إليه المرضُ أشدَّ ما كان، إلى أن مات. وكان ألَّفَ كُتُباً فاقَتْ على جميعِ أهلِ عصره، فلم ينفعِ اللهُ بشيءٍ منها.

ومَنْ تأمَّلَ سيرةَ ابنِ عربي، وأخلاقَهُ الحَسَنة، وانسلاخَهُ من حُظوظِ نفسه، وتركَ العصبيَّةَ، حمَلَهُ ذلك على محبَّتِه واعتقاده.

وممّا وقعَ له: أنَّ رجُلاً من دمشق فرضَ على نفسه أن يلعَنَهُ كلَّ يومٍ عشرَ مرَّاتٍ، فماتَ، وحضرَ ابنُ عربي جنازتَهُ، ثمَّ رجَعَ فجلسَ ببيته، وتوجَّه للقبلةِ، فلمَّا جاءَ وقتُ الغداءِ، أُحضِرَ إليه فلم يأكُل، ولم يزَلْ على حاله إلى بعد العشاء، فالتفتَ مَسروراً، وطلبَ العشاءَ وأكل، فقيلَ له في ذلك، فقال: التزمتُ مع اللهِ، أن لا آكُلَ ولا أشربَ حتّى يغفِرَ لهذا الذي يلعنني، وذكرتُ له سبعينَ ألف لا إله إلاَّ الله، فغفَرَ له.

وقد أُذِيَ الشَّيخُ كثيراً في حياته وبعدَ مماته، بما لم يقعْ نظيرُهُ لغيره، وقد أخبَرَ هو عن نفسه، وذلك من غُرَرِ كراماته، فقد قال في «الفتوحات»: كنتُ نائماً في مقامِ إبراهيم، وإذ بقائلٍ من الأرواحِ ـ أرواح الملأ الأعلى ـ يقول لي عنِ الله: ادخُلْ مقامَ إبراهيم، إنَّه كان أوَّاهاً حَليماً[2]. فعلمتُ أنَّه لابُدَّ أن

---

(١) في (أ): وأنت يحصل لك.

(٢) إشارة لقوله عزّ وجل في سورة التوبة: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾.

يبتليني بكلامٍ في عرضي من قومٍ، فأُعامِلُهُمْ بالحلم. قال: فيكونُ أذًى كثيراً، فإنَّه جاء بـ ﴿حليم﴾ بصيغة المبالغة، ثمّ وصفَهُ بالأوّاه، وهو مَنْ يُكثِرُ من التأوُّهِ لما يُشاهدُ من جلالِ الله. انتهى.

وقال الصَّفي بن أبي المنصور[١]: جَمَعَ ابنُ عربي بين العلومِ الكسبيَّةِ والعلومِ الوهبيَّة. وكان غلَبَ عليه التَّوحيدُ عِلماً وخُلُقاً وحالاً[٢] لا يكترِثُ بالوجودِ مُقبِلاً كان أو مُعرِضاً.

وقال تلميذه الصَّدرُ القونوي الرُّومي: كان شيخُنا ابنُ عربي متمكِّناً من الاجتماعِ بروحِ مَنْ شاءَ من الأنبياءِ والأولياءِ الماضينَ على ثلاثةِ أنحاء: إنْ شاءَ استنزَلَ روحانيته في هذا العالم، وأدركَهُ مُتجسِّداً في صورةٍ مثاليَّةٍ شبيهَةٍ بصورته الحسِّيَّةِ العصريَّة[٣] التي كانت له في حياته الدُّنيا، وإن شاءَ أحضرَهُ في نومه، وإن شاءَ انسلخَ من هيكله واجتمعَ به.

وهو أكثرُ القومِ كلاماً في الطَّريق، فمن ذلك ما قال: ما ظهَرَ على العبدِ إلاَّ ما استقرَّ في باطنه، فما أثَّرَ فيه سِواه، فمَنْ فَهِمَ هذه الحِكمةَ وجعلَها مَشهودَةً أراحَ نفسَهُ من التَّعلُّقِ بغيره، وعَلِمَ أنَّه لا يُؤتَى عليه بخيرٍ ولا شرٍّ إلاَّ منه، وأقامَ العُذرَ لكلِّ موجود.

وقال: إنَّما كانَ العارِفُ لا يَرى في نومه ما يراهُ المُريدُ من الأنوارِ والأُمورِ الحَسَنة؛ لأنَّه لا ينامُ إلاَّ على الخوفِ، ورؤيةِ التَّقصيرِ والتَّفريطِ في حقِّ الحقِّ تباركَ وتعالى، والمُريدُ يَنامُ على رؤيةِ استحسانِ حاله، ورؤيةِ نتيجةِ أعماله، والنَّومُ تابعٌ للحِسِّ، ولذلك كان بعضُ العارفينَ يحنُّ إلى البداية.

وقال: إذا فتحَ عليكَ بالتصرُّفِ فأْتِ البيوتَ من أبوابِها، وإيَّاكَ بالفعلِ بالهِمَّةِ من غيرِ آلَةٍ، فانظُرْ إليه سُبحانَهُ كيف خَمَّرَ طينَةَ آدَمَ بيده[٤]، ثمَّ نفَخَ فيه

---

(١) وهو صفي الدين بن علي بن أبي منصور. وذلك في رسالته المحتوية على من رأى من سادات مشايخ عصره. انظر نفح الطيب ٢/ ١٦٨.

(٢) في الأصول: خلقاً وخلقاً، والمثبت من نفح الطيب: ٢/ ١٦٨.

(٣) في جامع كرامات الأولياء ١/ ١٢٠: العنصرية.

(٤) انظر حديث خلق الله آدم من طين لازب بيده في تفسير الطبري ١/ ٤٥٦ تحقيق =

الرُّوحَ، وعلَّمَهُ الأسماءَ، فأوجَدَ الأشياءَ على ترتيبٍ، ولو شاءَ لقال: كن، فكان.

وقال: إذا ترادفَتْ عليكَ الغفلات، وكثرَةُ النَّوم، فلا تسخَطْ، ولا تلتفِتْ لذلك؛ فإنَّ مَنْ نظَرَ الأسبابَ[1] مع الحقِّ أشرك. كُنْ مع اللهِ بما يُريدُ لا مع نفسِكَ بما تُريد، لكنْ لابُدَّ من الاستغفار.

وقال: علامَةُ الرَّاسِخِ أن يَزدادَ تمكُّناً عندَ سَلبه؛ لأنَّه مع الحقِّ بما أحبَّ لا مع نفسِه بما تُحِبُّ، فمَنْ وجَدَ اللَّذَّةَ في حالِ المعرفةِ دونَ السَّلبِ فهو مع نفسه غيبَةً وحُضوراً.

وقال: مَنْ صدَقَ في شيءٍ أو تعلَّقَتْ هِمَّتُهُ بحصولِه، كان له عاجِلاً أو آجِلاً، فإنْ لم يصِلْ إليه في الدُّنيا، فهو له في الآخرة، ومَنْ ماتَ قبلَ الفتحِ رُفِعَ إلى محلِّ هِمَّتِهِ.

وقال: مَنْ جَمَعَ بين النَّقيضَيْنِ، شَهِدَ الواحِدَ كثيراً، والكثيرَ واحداً في آنٍ واحدٍ بإدراكٍ واحدٍ، ولا نَعني بالجمعِ بين النَّقيضَيْنِ إلاَّ ما هو مُحالٌ في العقلِ من غيرِ تأويلٍ؛ لأنَّ طورَ الولايةِ يُخالِفُ ما قاله العُلماءُ الحاكمونَ بمُقتضى عُقولهم، واللهُ واسِعٌ عليم.

وقال: العارِفُ يعرِفُ ببصره ما لا يعرِفُهُ غيرُهُ ببصيرته[2]، ويعرِفُ ببصيرته ما لا يُدركُهُ أحَدٌ إلاَّ نادِراً، ومع ذلك فلا يأمَنُ على نفسِه من نفسِه، فكيفَ يأمَنُ على نفسِه من مَقدورِ ربِّه[3]؟ وهذا ممَّا قَطَعَ الظُّهورَ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢].

وقال: العلومُ مادامت في معادِنِها فهي واسعَةٌ مُطلقة، لا تَقبَلُ تغييراً ولا

= محمود شاكر حفظه الله تحت قوله: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ وفي تاريخ الطبري ١/ ٩٢.

(١) في (أ): إلى الأسباب.
(٢) في (ب): ما يعرفه غيره.
(٣) في (أ): مقدوراته.

تبديلاً، فإذا ظهرَتْ مُقيَّدَةً بالحروفِ دخلَها ما يَدخُلُ الكونَ من التَّغييرِ والتَّبديلِ واختلافِ العِبارات ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء ٨٢].

وقال: كلُّ مَنْ صَدَقَ في احترامِ الأُلوهيَّةِ واستحضرَها، وكانت مَشهودَةً له كان النَّصرُ الإلهيُّ معه غيرَةً إلهيَّةً أن يُغلَبَ مَنِ استنَدَ إلى الحقِّ ولو في زَعمه، ومن هنا كانتِ الغَلَبَةُ للمُشركينَ في بعضِ المواطنِ؛ لأنَّهم وَفُّوا آلهتَهُم حقَّ الحُرمَةِ لمَّا اعتقَدوا فيها الأُلوهيَّةَ. فإذا كان هذا النَّصرُ يقَعُ لمَنِ استندَ إلى الاسمِ، ولو وضعَ على غيرِ مُستحقِّه ممّا لا ينفَعُ، فكيف بالاستنادِ إلى الله؟ ولهذا قالوا: الصِّدقُ سَيفُ اللهِ.

وقال: لا يُنقِصُ العارفَ قولُهُ لتلميذه: خُذْ هذا العِلمَ الذي لا تجِدْهُ عند غيري ونحوَهُ ممّا فيه تزكيَةُ نفسه؛ لأنَّ قصدَهُ حثُّ المُتعلِّمِ على القَبولِ.

وقال: كلامُ العارفِ على صورَةِ السَّامِعِ بحسبِ قُوَّةِ استعدادِه وضَعفِه، وشبهتِهِ[1] القائمَةِ بباطنه.

وقال: كلُّ مَنْ ثَقُلَ عليكَ الجوابُ عن كلامه فلا تُجِبْه؛ فإنَّ وعاءَهُ ملآن لا يسَعُ الجواب.

وقال: مَنْ صَحَّ له قَدَمٌ في التَّوحيدِ انتفَتْ عنه الدَّعاوى من نحوِ رِياءٍ وإعجابٍ؛ فإنَّه يجِدُ جميعَ الصِّفاتِ المحمودَةِ للهِ لا له، والعبدُ لا يُعجَبُ بعملِ غيره، ولا بمتاعِ غيره.

وقال: مَنْ مَلكَتْهُ نَفسُهُ عُذِّبَ بنارِ التَّدبيرِ، ومَنْ مَلَّكَها للهِ عُذِّبَ بنارِ الاختبارِ، ومَنْ عجِزَ عنِ العجزِ أذاقَهُ اللهُ حلاوَةَ الإيمانِ، ولم يبقَ عندَهُ حِجاب.

وقال: مَنْ أدرَكَ من نفسه التَّغييرَ والتَّبديلَ في كلِّ نَفَسٍ فهو العالِمُ بقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

---

(١) في (أ): وسجيته.

وقال: من علامَةِ فَقْدِ النَّفسِ في حقِّ المُريدِ عَدَمُ شهوَتِهِ لشيءٍ من أمرِ الدَّارَيْنِ.

وقال: مَنْ طَلَبَ دليلاً على وحدانيَّةِ اللهِ تعالى، كان الحِمارُ أعرَفَ منه باللهِ.

وقال: الجاهِلُ لا يَرى جهلَهُ؛ لأنَّه في ظُلمته، والعالِمُ لا يَرى عِلمَهُ؛ لأنَّه في ضياءِ نوره، ولا يُرى شيءٌ إلاَّ بغيره. فالمرآةُ تُخبركَ بعيوبِ نفسِكَ[1] وتُصدِّقُها مع جهلِكَ بما أخبرَتْ، والعالِمُ يُخبرِكَ بعيوبِ نفسِكَ مع علمِكَ بما أخبرَكَ، وتُكذِّبُهُ ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

وقال: حُسْنُ الأدَبِ في الظَّاهرِ آيَةٌ حَسَنَةٌ في الباطنِ، فإيَّاكَ وسوءَ الظَّنِّ، والسَّلام.

وقال: كان المُصطفى يتواضَعُ لأكابرِ قُريشٍ؛ لأنَّ الأعزَّاءَ من الخلائقِ مظاهرُ العِزَّةِ الإلهيَّة، فكان يُقدِّمُهم على فُقراءِ الصُّفَّةِ ليوفِّيَ صِفَةَ الكبرياءِ حَقَّها، وهذا مقامٌ عالٍ، لكن فوقَهُ أعلى منه، وهو ما أمره به آخِراً بقوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ [الكهف: ٢٨] الآية، فأمرَهُ أن لا يشهدَهُ في شيءٍ دون شيءٍ.

وقال: معنى الفتحِ عندَهُم كَشفُ حِجابِ النَّفسِ أو القلبِ أو الرُّوحِ أو السِّرِّ لِمَا في الكتابِ والسُّنَّةِ.

قال: ورُبَّما فهِمَ أحدُهم من اللَّفظِ ضِدَّ ما قصدَهُ المُتكلِّمُ، سَمِعَ بعضُ عُلماءِ بغداد رجُلاً من شربةِ خَمرٍ يُنشِدُ:

إذا العُشرونَ من شَعبانَ وَلَّتْ   فواصِلْ شُربَ ليلِكَ بالنَّهارِ
ولا تَشْرَبْ بأقداحٍ صِغارٍ   فقد ضاقَ الزَّمانُ عنِ الصِّغارِ[2]

فهامَ على وجهِه في البريَّةِ حتّى ماتَ.

وقال: كثيراً ما يهبُّ في قلوبِ العارفينَ نَفَحاتٌ إلهيَّةٌ، فإنْ نَطَقوا بها جهلَهُم كُمَّلُ العارفين، وردَّها عليهم أصحابُ الأدِلَّةِ من أهلِ الظَّاهرِ، وغابَ

---

(١) في (أ): صورتك.
(٢) في (أ): فإن الوقت ضاق عن الصغار.

عن هؤلاءِ أنَّه تعالى كما أعطى أولياءَهُ الكراماتِ التي هي فَرعُ المعجزاتِ فلا بدعَ أن تنطِقَ ألسنتُهم بعباراتٍ تعجَزُ العُلماءُ عن فهمِها.

وقال: مَنْ لم يقُمْ بقلبه تصديقُ ما يسمعُهُ من كلامِ القَومِ، فلا يُجالِسْهُم؛ فإنَّ مُجالستَهُم بغيرِ تصديقٍ سُمٌّ قاتِلٌ.

وقال: شِدَّةُ القُربِ حِجابٌ، كما أنَّ غايَةَ البُعدِ حِجابٌ، وإذا كان الحقُّ أقرَبَ إلينا من حبلِ الوَريد، فأينَ السَّبعينَ ألفَ حِجاب[1] ؟.

وقال: لا تدخُلُ الشُّبهَةُ في المعارِفِ والأسرارِ الربَّانيَّةِ، وإنَّما محلُّها العلومُ النَّظريَّة.

وقال: نهايةُ العارفينَ منقولةٌ غيرُ معقولة، فما ثَمَّ عندَهُم إلاَّ بدايَةٌ وتنقضي أعمارُهُم، وهم مع اللهِ على أوَّلِ قَدم.

وقال: أقَلُّ النَّاسِ طمعاً مَنْ رَضِيَ بالدُّنيا، وأكثرُ منه طمعاً مَنْ لم يَرضَ بها، وطَلَبَ الآخرةَ، وأكثرُ منه طمعاً مَنْ طَلَبَ وجهَ اللهِ، وهنا أسرارٌ لا تُسطَّرُ في كتاب.

وقال: ليس عندَ العارفينَ خلوةٌ؛ لأنَّ الكونَ كلَّه مَعمورٌ حَيٌّ ناطِقٌ بتسبيحِ خالِقه، ومَنِ اتَّخذَ الخلوةَ استجلاءً للفراغِ الذي يجدُهُ تقويةً للاستعدادِ، فهو في حظِّ نفسه ما برح، وقد ذَمَّ اللهُ الذين يتسلَّلونَ على أمرٍ ليسوا له بأهل.

وقال: الحقُّ غَنيٌّ عنِ الدِّلالةِ عليه، ولولا غِناهُ لكانَ للدَّليلِ فَخرٌ على المَدلولِ.

وقال: كلُّ مَنْ آمَنَ بدليلٍ فلا وُثوقَ بإيمانه؛ لأنَّه نظريٌّ، فهو مُعرَّضٌ للقوادِحِ بخِلافِ الإيمانِ الضَّروريّ الذي يوجَدُ في القلبِ ولا يُمكنُ دَفعُهُ، وكلُّ

---

(١) روى ابن عاصم في السنة ٣٥٣ (٧٨٨)، وأبو يعلى في مسنده ١٣/ ٥٢٠ (٧٥٢٥) والطبراني في معجمه الكبير (٥٨٠٢) عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة، وما تسمع نفس شيئاً من حس تلك الحجب إلا زهقت نفسها» قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٧٩: فيه موسى بن عبيدة لا يحتج به.

عِلمٍ حصَلَ عن نَظَرٍ وفِكرٍ لا يَسلَمُ من دخولِ الشّبه ولا الحيرةِ فيه.

وقال: شَرطُ الكاملِ الإحسانُ إلى أعدائه وهم لا يشعرونَ، تخلُّقاً بأخلاقِ اللهِ؛ فإنَّه دائِمُ الإحسانِ إلى مَنْ سَمَّاهم أعداءه مع جهلِ الأعداءِ به.

وقال: شَرطُ الشَّيخِ أن يكونَ عِندَهُ جميعُ ما يحتاجُهُ المُريدُ في التَّربيةِ لا ظهورَ كرامةٍ ولا كشفَ باطنِ المُريد.

وقال: لا يعملُ للخلقِ في حركةٍ ولا سكونٍ إلاَّ بحُكمِ التَّبعيَّةِ للحقِّ؛ لأنَّه المُحرِّكُ للحركةِ الظَّاهرةِ بالحركةِ الخفيَّة.

وقال: ما من نَقمَةٍ إلاَّ وفيها رحمَةٌ، ألا تَرى أنَّه لولا قطعُ الأَكِلَةِ[1] هَلَكَ صاحِبُها؟.

وقال: الشَّفقَةُ على الخَلقِ أحَقُّ بالرِّعايةِ من الغيرةِ في الله؛ لأنَّ الغيرةَ لا أصلَ لها في الحقائقِ الثُّبوتيَّة؛ لأنَّها من الغيرية، ولا غيريةَ هناك[2]، ﴿ ۞وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ [الأنفال: ٦١]، ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، فجعَلَ القَصاصَ سيِّئةً، أي أنَّ ذلك الفعلَ سيِّئٌ مع كونه مَشروعاً، كلُّ ذلك تعظيماً لهذه النَّشأةِ التي تولَّى الحقُّ خَلقَها بيده، واستخلفَها في الأرضِ، وحرَّمَ على عِباده السَّعيَ في إتلافِها بغيرِ إذنه.

وقال: لو كان ما بأيدي الخَلقِ مُلْكَهُمْ ما حَجَرَ الحقُّ التَّصرُّفَ فيه، ولا حَدَّ لهم الحُدودَ، فكلُّ ما بأيديهم حتّى أفعالُهُم له.

وقال: الصُّوفيُّ مَنْ أسقَطَ الياءاتِ الثّلاث، فلا يقولُ: لي، ولا عندي، ولا مَتاعي. أي لا يُضيفُ لنفسه شيئاً.

وقال: الرُّوحُ إذا صَفَتْ من كَدَرِ الوقوفِ مع الطَّبعِ، التحقَتْ بعالمها المناسبِ لها، فأدركَتْ ما أدركَتْهُ الأرواحُ العُلا من عُلومِ المَلَكوتِ والأسرار، وانتقَشَ فيها كلُّ ما في العالَم من المعاني، وحصَّلَتْ من الغُيوبِ بحسَبِ الصِّنفِ الرُّوحانيِّ المُناسبِ لها؛ فإنَّ الأرواحَ وإن جمعَهُم أمرٌ واحدٌ، فلكلٍّ

---

(١) الأكلة: داء يأتكل منه العضو. متن اللغة (أكل).

(٢) في (أ): لأنها من الغيرة، ولا غيرة هناك.

رُوحِ مَقامٌ مَعلومٌ، فهُمْ على طبقاتٍ، منهم الكبير، والأكبرُ كجبريل، وإن كان من أكابرهم، فميكائيل أقربُ، ومنصبُهُ فوق منصبه، وإسرافيلُ أكبرُ من ميكائيل، وجبرائيل أكبرُ من إسماعيل.

وقال: العلمُ بوجودِ الصَّانعِ عندَ ظهورِ الصَّنعةِ للنَّاظرِ ضروريٌّ، وإن لم يعلَمْ حَقيقةَ الصَّانعِ ولا ماهيَّتَهُ، ومَنْ لم يعلم ما يجب ويجوز ويستحيل أن يكون عليه إلاَّ بعدَ نظرٍ فكريٍّ، فهذا مرضٌ لا طبَّ فيه.

وقال: المؤمنُ الصَّحيحُ الإيمانِ هو مَنْ يعبدُ اللهَ الذي وصفَهُ الشَّارِعُ، والمؤمنُ المريضُ الإيمانِ مَنْ يعبدُ اللهَ الذي دَلَّ عليه العقلُ لا غير، وقد نبَّهتُكَ على أمرٍ يتضمَّنُ عُذرَ كُلِّ مَنِ اعتذر.

وقال: المُضطرُّ هو الذي دعا ربَّه عن ظهرِ فقرٍ إليه، وما منعَ النَّاسَ الإجابةَ إلاَّ لكونهم يدعونَهُ عن ظهرِ غِنًى، لالتفاتهم إلى الأسباب، وهم لا يشعرون.

وقال: «الدُّعاءُ مُخُّ العبادة»[1]، وبالمخِّ تكونُ القُوَّةُ للأعضاءِ، فلذا تتقوَّى به عِبادَةُ العابدين.

وقال: لا يخلصُ المؤمنُ من معصيته بغيرِ أن تُخالِطَها طاعةٌ، فالمُخلِّطُ هو المؤمنُ العاصي؛ فإنَّه إذا عَصى في أمرٍ فهو مؤمنٌ بأنَّ ذلك معصيةٌ، والإيمانُ واجِبٌ فقد أتى واجِباً، فالمؤمنُ مأجورٌ في عينِ عِصيانه.

وقال: أرادَ رجلٌ من أهلِ القيروان الحجَّ، وتردَّدَ هل يمشي بحراً أو برًّا؟ ما ترجَّحَ شيءٌ عندَهُ، فقال: أسألُ أوَّلَ رجلٍ ألقاهُ، فأوَّلُ مَنْ لقيَهُ يَهوديٌّ، فحارَ في أمره، ثمَّ سألَهُ، فقال له: يا مُسلمُ، أليسَ اللهُ يقولُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢]؟ قَدِّمْ ما قدَّمَ اللهُ، وهذا هو الطَّريقُ، تبدأُ بما بدأَ اللهُ به، وتُقدِّمُ ما قدَّمَهُ، فمَنِ التزَمَ ذلك رأى في حركاته شيئاً كثيراً.

وقال: يَدورُ الفضاءُ في الجو من مقعَّر فلكِ القمر إلى الأرضِ ثلاثَ سنين،

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٣٦٨، في الدعوات باب رقم (٢)، وإسناده ضعيف، قال الترمذي: هذا حديث غريب.

وحينئذٍ ينزِلُ، فيعرِفُ الأولياءُ ذلك بحالَةٍ تُسمَّى فهم الفهم.

وقال: تحفَّظْ من لذَّاتِ الأحوالِ؛ فإنَّها سُمومٌ قاتلةٌ، وحُجُبٌ مانعةٌ.

وقال: لا تدخُلْ داراً لا تعرِفُها، فما من دارٍ إلاَّ وفيها مهاول ومهالك، قِفْ عند بابِ دارِكَ حتَّى يأخُذَ الحقُّ بيدكَ.

وقال: أماني النُّفوسِ تضادُّ الأُنس بالله؛ لأنَّه لا يُدرَكُ بالأمانيّ.

وقال: لا يغُرَّنَّكَ إمهالُهُ، فإنَّ بطشَهُ شَديدٌ، والشَّقيُّ مَنِ اتَّعَظَ بنفسه، ولا يغُرَّنَّكَ مَنْ خالَفَ فجُوزِيَ بإحسانِ المعارفِ، ووقَفَ في أحْسَنِ المواقفِ، وتجلَّتْ له المُشاهدَةُ، هذا كلُّه مَكرٌ به واستدراجٌ من حيثِ لا يعلمُ. قُلْ إذا احتجَّ عليكَ بنفسه:

ستعلَــمُ حيــنَ ينقشِــعُ الغُبــارُ   أبَغْـلٌ كـانَ تحتَـكَ أمْ حِمـارُ[1]

وقال: ليس للكُمَّلِ هِمَّةٌ تُؤثرُ في أحدٍ إذا همَّ؛ لأنَّ المعرفةَ لم تترك لهم هِمَّةً يتصرَّفونَ بها، وكُلَّما عَلَتِ المعرفةُ نقُصَ التَّصرُّفُ لتحقُّقِهم بمقامِ العبوديَّةِ، ونظرهم إلى أصلهم من الضَّعف.

وقال: لا يصحُّ لعبدٍ مقامُ المعرفةِ بالله وهو يَجهَلُ حُكماً واحِداً من شرائعِ الأنبياءِ، فمَنِ ادَّعى المعرفةَ، واستشكَلَ حُكماً واحِداً في الشَّريعةِ المُحمَّديَّةِ أو غيرها فهو كاذب.

وقال: أجمعَتِ الطَّائفةُ على أنَّ العِلمَ باللهِ عَينُ الجهلِ به تعالى.

وقال: إذا طلبتَ الطَّريقَ إلى الله من حيثُ ما شرعَهُ كان الحقُّ غايتَكَ، وإذا طلبتَهُ من حيثُ ما تُعطيكَ نفسُكَ من الصِّفاتِ والالتحاقِ بعالمها من التنزُّهِ عن الطَّبيعيِّ إليها كان غايَتُها اللُّحوقَ بعالَمِها الرُّوحانيِّ خاصَّةً، ومن ثمَّ تنشأُ شريعةُ الأرواحِ حتَّى يكونَ الحقُّ غايتَها. وقد أفردنا لهذه الطَّريقةِ خلوةً مُطلقَةً في جزءٍ يعملُ عليها المؤمنُ، فيزيدُ إيماناً، والكافرُ والمعطِّلُ والمُشرِكُ والمُنافقُ، فإذا

---

(١) في (ب) و (ف) والمطبوع:

سـوف تـرى إذا انجلـى الغبـار   أفــرس تحتــك أم حمــار

وَفَّى العملَ عليها وبها حصَلَ له العِلمُ بما الأمرُ عليه، ويكون ذلك سبَبَ إيمانه[1] بوجودِ اللهِ إن كان معطِّلاً، وبتوحيده إن كان مُشرِكاً، وبحصولِ إيمانه إن كان كافراً، وبإخلاصه إن كان مُنافِقاً، فمَنْ عَمِلَ بشروطِ تلكَ الخلوةِ أثمرَتْ له ما ذُكِرَ، وما سبقني إليها أحدٌ في عِلمي.

وقال: قد يقصدُ العبدُ مُناجاةَ ربِّه، وقد يأتيه الأمر بغتةً؛ فموسى ذهَبَ ليقتَبِسَ ناراً، فكلَّمَهُ ربُّهُ، ولم يكُنْ له قصدٌ لذلك.

وقال: ليس في الإمكانِ أبدعُ من هذا العالم لكماله في الدِّلالةِ عليه، واستيعابه ما نسبَ الحقُّ إلى نفسِه وإلى العالم، فقد انحصَرَ الأمرُ فيما وجدَ من العالم من جهةِ الحقائق.

وقال: إذا ذَكَرَ اللهَ الذَّاكِرُ، ولم يخشَعْ قَلبُهُ ولا خضَعَ عند ذِكْرِهِ إيَّاهُ لم يحترمِ الجنابَ الإلهيَّ، ولم يأتِ بما يليقُ به من التَّعظيمِ، وأوَّلُ ما تمقُتُه جوارِحُهُ وجميعُ أجزاءِ بَدنه.

وقال: أُمَّهاتُ الأسماءِ الإلهيَّةِ كلِّها التي عليها[2] يتوقَّفُ وجودُ العالمِ أربعةٌ لا غير: الحيُّ، العالمُ، المُريدُ، القادِرُ، وبهذه الأسماءِ ثبتَ كونُه إلهاً.

وقال: مَنْ يتعرَّضُ للفتحِ فلا يُفتَحُ له، يُجمعُ له إلى أن يموتَ، فيرى عند موته ما أُخفيَ له من قُرَّةِ أعيُنٍ، فيعلمُ عند ذلك أنَّه كان مُسافِراً إلى الله، ولم يشعر لكونه ما فُتِحَ له في حياته الأولى، ولا شاهدَ ما شاهدَ غيرُه من السَّائرينَ إلى الله.

وقال: الحقُّ سُبحانَهُ وتعالى لا يُقرِّبُ عبدَهُ إلاَّ ليمنحَهُ ويُعطيه، ثم يُبرزهُ إلى النَّاسِ قليلاً قليلاً لئلا يُبهِرَهُم نورُ ما أعطاه، لضعفِ عُيونِ بصائرِهم؛ رحمةً بالعامَّةِ.

وقال: العبدُ لا فخرَ له بأبيه بل بسيِّده، وإنِ افتخَرَ عَبدٌ بأبيه فإنَّما يفتخِرُ به من حيثُ أنَّه كان مُقرَّباً عندَ سيِّده؛ لأنَّه عَبدٌ مثلُه.

---

(١) في (ب): سبباً لإيمانه.
(٢) في (ب): التي هي عليها.

وقال: جميعُ حركاتِ الكونِ من جهةِ الحقيقةِ اضطراريَّةٌ مَجبورٌ فيها، وإن كان الاختيارُ في الكونِ موجوداً تعرّفه، لكن ثَمَّ عِلمٌ آخرُ علمنا به مَجبورٌ في اختياره، بل الحقائقُ تُعطي أن لا مُختارَ، لأنَّا رأينا الاختيارَ في المُختارِ اضطراريًّا، أي لابُدَّ أن يكونَ مُختاراً.

وقال: أخبرَني مَنْ أثِقُ به، قال: دخلتُ على رجلٍ فقيهٍ عالِمٍ مُتكلِّمٍ، فوجدتُهُ بمجلِسٍ فيه الخمرُ، وهو يشرَبُ، ففرغَ النَّبيذُ، فقيل له: انفذْ إلى فُلَانٍ يأتي بنبيذ. قال: لا، فإنِّي ما أصرَرْتُ على معصيةٍ قَطُّ، ولي بين الكاسَيْنِ تَوبَةٌ، ولا أنتظِرُه، فإذا حصَلَ بيدي أنظرُ هل يوفِّقني ربِّي فأتركُهُ، أو يخذلني فأشربُهُ. ثمَّ قال ـ أعني ابن عربي ـ: فهكذا العُلماء.

وقال: كلُّ روحٍ لا يُعطى رسالَةً فهو روحٌ، لا يُقالُ فيه ملك إلاَّ مجازاً كالأرواحِ المخلوقَةِ من أنفاسِ المؤمنين الذَّاكرين، يخلُقُ اللهُ من أنفاسهم أرواحاً يستغفرونَ اللهَ لصاحبِ الذِّكرِ إلى يوم القيامة، وكذا من أعمالهم المحمودةِ التي فيها أنفاسُهم، فهؤلاءِ أرواحٌ مُطهَّرَةٌ، فمَنْ أُرسِلَ منهم في أمرٍ سُمِّيَ مَلَكاً.

وقال: الأدَبُ الوقوفُ عن تفضيلِ البشرِ على المَلَكِ وعكسُهُ؛ لاختلافِ الجنسِ، فلا يُقالُ: الحمارُ أفضلُ من الفرسِ مَثَلاً، اللَّهُمَّ إلاَّ أن يرجِعَ التَّفاضُلُ إلى الأرواحِ فلا مَنْعَ؛ لأنَّ أرواحَ البشرِ ملائكةٌ، والمَلَكُ جُزءٌ من الإنسانِ، فالكلُّ من الجزءِ وعكسُه.

وقال: علومُ العقلِ المُستفادةُ من الفكرِ يَشوبُها تغييرٌ؛ لأنَّها بحسبِ مِزاجِ المُتفكِّرِ من العُقلاءِ؛ لأنَّه ينظرُ في موادَّ محسوسَةٍ كونيَّةٍ في الخيال، ولذلك تختلفُ مقالاتهم في شيءٍ واحد؛ بل تختلفُ مقالةُ الواحدِ في شيءٍ واحدٍ[1] لاختلافِ الأمزجةِ والتخليطِ والأمشاجِ التي في النَّشأةِ الأولى بخلافِ العِلمِ اللَّدنيِّ؛ فإنَّه خالِصٌ لم يشُبْهُ كَدَرٌ، لخلوصه من حكمِ المِزاجِ الطَّبيعيِّ.

وقال: ليسَ في مَقدورِ العبدِ مُراقبَةُ اللهِ في السِّرِّ والعَلَنِ مع الأنفاسِ، فالذي

---

(١) في (أ) و (ب): ولذلك تختلف، يقال إنهم في شيء واحد.

عليه بَذلُ الجُهدِ في الاستحضارِ.

وقال: إنَّما سُمِّيَتِ الشُّبهَةُ شُبهةً؛ لأنَّها تُشبهُ الحقَّ من وجهٍ.

وقال: اقتضَتِ الحِكمةُ الإلهيَّةُ عدَمَ اتِّفاقِ الخَلقِ على اعتقادِ وليٍّ من الأولياءِ والإذعانِ له لسرٍّ خَفيٍّ، هو أنَّه لو كان كلُّ الخَلقِ مُصدِّقينَ له فاتَهُ أجرُ الصَّبرِ على التَّكذيب، ولو كانوا كلُّهم مُكذِّبينَ له، فاتَهُ الشُّكرُ على تصديقِ المُصدِّقينَ له والمُقتفينَ لآثاره، فجعلَهُمُ الحقُّ قِسمين: مُعتقِداً ومُنتقِداً، ليتعبَّدَ لله فيمَنْ صدَّقَهُ بالشُّكرِ، وفيمَنْ كذَّبَهُ بالصَّبرِ.

وقال: مَنْ عوَّدَ نفسَهُ الكذِبَ على النَّاسِ، يستدرِجُهُ الطَّلَبُ حتّى يُكذِّبَ على اللهِ؛ فإنَّ الطَّبعَ سَرَّاق.

وقال: من شَرُفَتْ مرتبَتُهُ، وعَلَتْ منزلَتُهُ كَبُرَتْ صغيرَتُهُ، ومَنْ كان وَضيعَ المنزلَةِ، خَسيسَ المَرتبةِ صغُرَتْ كبيرتُهُ.

وقال: مَنْ لم يخطرُ له خاطِرُ الحُضورِ مع اللهِ إلاَّ في وقتِ قضاءِ الحاجةِ فهو خاطِرٌ شيطانيٌّ لا يعوَّلُ عليه.

وقال: ليس للأماكنِ أثَرٌ في حِجابِ القلبِ عن ربِّه، وإنَّما الأثَرُ الغفلةُ والجهل.

وقال: لا خيرَ في عِلمٍ لا يُعطي صاحبَهُ سعادةَ الأبدِ، ولا يُقدِّسُ حاملَهُ عن تأثيرِ الأمَدِ.

وقال: إذا وقَعَ التَّماثُلُ سقَطَ التَّفاضلُ.

وقال: تكليفُ ما لا يُطاقُ جائِزٌ عَقلاً، وقد عايَنَّا ذلك مُشاهدَةً ونَقلاً.

وقال: كلُّ ما أدَّى إلى نقصِ الألوهيَّةِ فهو مَردودٌ، ومَنْ جعَلَ في الوجودِ الحاضرِ ما ليس بمُرادِ اللهِ فهو عن المعرفةِ مَطرود، وبابُ التَّوحيدِ في وجهه مَسدود، وقد يُرادُ الأمرُ[1] ولا يُرادُ المأمورُ به على الصَّحيح، وهذا غايَةُ التَّصريح.

---

(١) في (أ): الآمر.

وقال: أصلُ الأعدادِ الواحد، فلا وجودَ لها إلاَّ به، وبه بقاؤها، فافهم.

وقال: الأدَبُ مع اللهِ أن لا تردَّ عليه ما أعطاكَ.

وقال: فتنةُ العلمِ أعظَمُ من فتنةِ المالِ، فإنَّ شرَفَ المالِ عارِضٌ لا تتعدَّاهُ أفواهُ النَّاسِ، للنَّفسِ منه صفةٌ، وشرفُ العلمِ حليةٌ تتحلَّى بها النَّفسُ، وفتنتُهُ أعظمُ، ولا زوالَ له عن صاحبه في حالِ فقره وغِناه ونوائبه، والمالُ يَزولُ عن صاحبه بنحو لِصٍّ أو حَرقٍ أو غَرَقٍ أو جائحَةٍ، والعلمُ منه في حصنٍ حَصينٍ، يلزمُ الإنسانَ حَيًّا وميتاً، ودُنيا وآخرة، وهو لكَ على كلِّ حالٍ، وإن كان عليكَ في وقتٍ فهو لكَ آخِرُ الأمرِ، وإنْ أصابَكَ آفَةٌ من جهتِهِ فلا تكترِثْ، فليس إلاَّ لشرفِهِ حيثُ لم يُعمل به، فإذا نجوتَ أخَذَ بكَ إلى منزلتِهِ، وهي معلومةٌ.

وقال: للصَّومِ شَرطٌ في طريقِ الله، وهو أنَّ الصَّائمَ إنَّما يُمسِكُ عنِ الأكلِ بالنَّهارِ ليأخُذَ ما يأكُلُه فيه فيتصدَّقَ به، فإن لم يفعل ذلك واستوفى في عشائه ما فاتَهُ بالنَّهارِ فما أمْسَكَ، وبهذا ينفصلُ[1] صومُ خواصِّ أهلِ اللهِ عن صَومِ العامَّةِ.

وقال: مَنْ لا عِلمَ له بأحديَّةِ خالِقه كثُرَتْ آلهتُهُ، وغابَ عن معرفته بنفسه، فجهِلَ ربَّه، فصارَ عبداً لكلِّ رَبٍّ، فهو محلٌّ لكلِّ ذَنبٍ.

وقال: الخيالُ تابعٌ للحِسِّ، ولهذا إذا احتلَمَ المُريد برؤيا عاقبَهُ شيخُهُ، ألا تَرى أنَّه ما احتلَمَ نبيٌّ قطُّ، ولا عارِفٌ، فإنَّ الاحتلامَ إنَّما هو من بقيَّةِ طبيعته في خياله، وهو كذب؛ فإنَّه يظنُّ أنَّه في الحِسِّ الظَّاهر، والورعُ تجنُّبُ الكَذب، فلو اجتنبَهُ في الحِسِّ أثَّرَ في خياله، فلم تكذب رؤيا قطُّ، فإذا رأيتُم وَرِعاً اغتسلَ فهو من مرضٍ طرأَ في مِزاجه، لا عن رؤيا، لا في حلالٍ ولا حرامٍ.

وقال: إذا رأى إنسانٌ إنساناً على مُخالفةِ حقٍّ مَشروعٍ، وفارقَهُ في لحظةٍ، ثمَّ رآهُ في اللَّحظةِ الأُخرى، وحَكَمَ عليه بالحالةِ الأُولى، فما وَفَّى الألوهيَّةَ حقَّها، ولا الأدَبَ مع اللهِ حقَّه، وكان قَرينَ إبليسَ، حَليفَ الخسرانِ، سيِّءَ

---

(١) في (أ): يتفضل.

الظَّنِّ باللهِ وبعباده، فباطِنُهُ مُظلِمٌ، وخُلُقُه سيِّئٌ، وورَعُهُ مَقتٌ عليه.

وقال: رجَّحَ أهلُ اللهِ ذِكرَ لفظةِ الله، الله، أو هو هو على الأذكارِ التي تُعطي النَّعتَ، ووجَدوا لها فوائِدَ، وصَدَقوا، وبه أقول[1].

وقال: إنَّ اللهَ ما وصَفَ بالكثرَةِ شيئاً إلاَّ الذِّكرَ، وما أمَرَ بالكثرَةِ من شيءٍ إلاَّ منه[2]، وما أتى[3] الذِّكرَ قَطُّ إلاَّ باسمِ اللهِ خاصَّةً مُعَرَّى عن التَّقييدِ، فقال: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٤١]، وما قال: بكذا، وقال: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ولم يقل: بكذا.

وقال: المُتولِّدُ عنِ الأضدادِ المُتنافرَةِ لابُدَّ فيه من المُنازعةِ مع ما في المُولّد من الأركان، فإنَّه مُولَّدٌ عن مُوَلَّدٍ من مُولَّدٍ عن فلكٍ، عن بُرجٍ، عن طبيعةٍ، عن نَفسٍ، فنحنُ في آخرِ الدَّرجاتِ.

وقال: مَنْ أفسَدَ شيئاً بعد ما أنشأهُ، جازَ أن يُعيدَهُ كما بدأَهُ.

وقال: مَنْ قدرَ على إمساكِ الطُّيورِ في الهواءِ وهي أجسامٌ، قدرَ على إمساكِ جميعِ الأجرام.

وقال: الأزَلُ نَعتٌ سَلبي، وهو نفيُ الأوَّليَّةِ.

وقال: إذا تجلَّى الحقُّ لسرِّ عبدٍ، ملَّكَهُ جميعَ الأسرار، وألحقَهُ بالأحرار.

وقال: مَنْ لم يعرِفْ حَقيقةَ نفسِهِ لم يصل إلى المعرفةِ، وكان بعيداً خَلفَ الحِجاب.

وقال: لا يصِلُ المُرتاضُ إلى ما يطلبُ من الذَّواتِ المارجيَّةِ إلاَّ أن يكونَ جِنِّيًا بالقُوَّةِ، ويبعدُ عنِ النَّاسِ بُعداً كُليًا، بحيثُ لا يعلمُ به غيرُ خادِمه، ولا يشغَلُ فِكرَهُ بغيرِ الأمرِ المَطلوب. فهذه شروطٌ اعرِفْها، واشكرِ الله.

وقال: تكبَّرْ على مَنْ تكبَّرَ على اللهِ، فهو تواضُعُكَ، ولا تتواضَعْ تحتَ

---

(١) انظر ٣/ ٢٤٨ الحاشية (أ).

(٢) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤١].

(٣) في (ب): وما أوتي.

كِبرياءِ المُتكبِّرين، وإن كنتَ تعلمُ أنَّه من الله، وأنَّ التكبُّرَ من صِفَته.

وقال: مَنْ طلبَهُ بالفكرِ وقوَّةِ الفعلِ[1] لم يحصل من المعرفةِ بالحقِّ على طائلٍ، كيف يطلُبُ مَنْ يقبَلُ المِثْلَ والنَّظيرَ مَنْ لا مِثْلَ له ولا نَظير ؟.

وقال: للمواطِنِ حكمٌ، وفعلُ الحقِّ بحسَبِ المواطِنِ، فإنَّه حكيمٌ.

وقال: الكلُّ خَلقُ اللهِ، ومُضافٌ إليه، فتعظيمُ خَلقِهِ تعظيمُهُ، فطُوبى لمَنْ رَحِمَ خَلقَهُ، ولا يلزمُ من رحمتِهم أن تُلقي إلى أعداءِ اللهِ بالمودَّةِ، ارحَمْهُمْ من حيثُ لا يعلمون.

وقال: مَنْ نظَرَ الخلقَ بعينِ الحقِّ رحمَهُم، ومَنْ نظَرَهُم بعينِ العلمِ مقتَهُم، ولله أمرٌ وإرادةٌ، فانظُرْ أيَّ الطَّريقينِ أنجَى لكَ فاسلُكْهُ[2].

وقال: إذا تجلَّتْ لقلبكَ العظمَةُ وقيَّدَتْكَ فلا تقِفْ عندَها، واهرُبْ إلى اللهِ؛ فإنَّها تُهلكُكَ.

وقال: لا يَهولَنَّكَ مَخلوقٌ، فمَنْ هالَهُ مَخلوقٌ أهلكَهُ.

وقال: مادامتِ الدُّنيا مَوجودَةٌ فالتَّعبُ مَوجودٌ في السَّعداءِ؛ فإنَّها دارُ السَّبكِ والتَّخليصِ.

وقال: كُلُّ مَنْ أحبَّكَ لكَ فاعتمِدْ على حُبِّه؛ فإنَّه الحُبُّ الصَّحيح، وحُبُّ اللهِ لخَلقِه بهذه المَثابَة.

وقال: عليكَ بأمرِ الحقِّ فاتَّبِعْهُ، ولا تغتَرَّ بأنَّكَ لا تَرى شيئاً إلاَّ تحتَ تصريفه وحُكمِ إرادته ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦] هذا لا يُنجيكَ فانظُرْ ذلك عَقداً، وتصرَّفْ بالأمر.

وقال: إنَّما كان العِلمُ حِجاباً؛ لأنَّه يطلبُ المعلومَ على حدِّ عِلمه، وما كلُّ مَعلومٍ يتصوَّرُ الطَّلب عليه.

وقال: لا تصحُّ المعرفةُ باللهِ حتَّى يتعرَّفَ إليه ويعرفهُ بظهورِه، فيُبصرُهُ من القلبِ عَينَ اليَقينِ بنورِ اليَقين.

---

(١) كذا في الأصل، ولعلّها: وقوّة العقل. أفادنيه الدكتور بكري علاء الدين.

(٢) في (ب): فامسكه.

وقال: الحقُّ لا يُقرِّبُ العبدَ إلاَّ على قدرِ تعلُّقِ هِمَّتِه به، فهِمَّتُهُ أنزلَتْهُ ذلك المنزِلَ، وهِمَّتُكَ خلقَها فيكَ عنايَةً منه بكَ، فعنايَتُهُ أنزلَتْكَ فلا شيءَ لكَ، فالكلُّ منه وإليه، وهو اللهُ لا إله إلاَّ هو.

وقال: للهِ تعالى الجودُ المُطلق، فمَنْ أتاهُ اصطفاه، ومَنْ أعرَضَ عنه دَعاه، فإنْ أجابَهُ تلقَّاه، وإن تمادَى به الإعراضُ حتّى يصِلَ إليه حين تَصيرُ الأُمورُ إليه وجَدَهُ مُعرِضاً عنه.

وقال: المُصلِّي والذَّاكِرُ يُخلَقُ له من ذِكْرِهِ وصلاتِهِ مَلَكٌ يستغفِرُ له إلى يومِ القيامة.

وقال: الإنسانُ قَلبُ الفلكِ وعُمدَتُهُ، ألا تَراهُ إذا زالَ وانتقَلَ من الدُّنيا خُرِبَتْ، وزالتِ الجِبالُ، وانشقَّتِ السَّماءُ، وانكدَرَتِ النُّجومُ.

وقال: إذا رأيتَ الفَتحَ يتوالى عليكَ في باطنِكَ فزِنْهُ بحالِكَ، واحفَظْ حُدودَ الشَّرعِ، فإنْ قامَ الوزنُ بالحقِّ فتلكَ الوارداتُ بشائرُ السَّعادات، وإلاَّ فاحذَرِ المَكرَ.

وقال: كلمة (هو) جمعت جميعَ قِوى الحُروفِ في عالَمِ الكلماتِ، فلهذا كانتِ الهويَّةُ أعظمَ الأشياءِ فعلاً.

وقال: قال أهلُ اللهِ: (بسم الله) مِنَّا في إيجادِ الأفعالِ بمنزِلَةِ (كُنْ) منه.

وقال: الذَّاكِرونَ أعلى الطَّوائِفِ؛ لأنَّه جَليسُهم.

وقال: أوصاني شَيخي أوَّلَ ما دخلتُ عليه قبلَ أن أراهُ، فقلتُ: أوصِني قبلَ أن تَراني، فأحفَظُ وصيَّتَكَ، فلا تنظرُ إليَّ حتّى تَرى خِلعتَها عليَّ. فقال: هذه نعمةٌ عاليةٌ، سُدَّ البابَ واقطَعِ الأسبابَ، وجالِسِ الوَهَّابَ، يُكلِّمكَ بدونِ حِجاب. فعملتُ على وصيَّتِه حتّى رأيتُ بركتَها، ثمَّ جِئتُهُ، فرأى خِلعتَها عليَّ، فقال: هكذا هكذا، وإلاَّ فلا لا، ثمَّ قال: امحُ ما كتبتَ، وانسَ ما حفِظتَ، واجهَلْ ما علمتَ، وكُنْ هكذا معه على كلِّ حالٍ.

وقال: رُبَّ حجَّةٍ تأتي على مُهجةٍ[1]، وفرصةٍ تُؤدِّي إلى غُصَّةٍ، وإيَّاكَ واللِّجاجَ؛ فإنَّه يُوغِرُ القلبَ، ويُنتِجُ الحربَ. عيٌّ تسلَمُ به خَيرٌ من نُطقٍ تَندَمُ عليه، فاقتصِرْ من الكلامِ على ما يُقيمُ حُجَّتَكَ ويُبلِّغُكَ حاجتَكَ، وإيَّاكَ والفُضولَ؛ فإنَّه يزِلُّ القَدمَ، ويُورِثُ النَّدَمَ، عِيٌّ يزري بكَ خَيرٌ من براعَةٍ تأتي عليكَ.

وقال: ليسَ النَّطِقُ مَنْ كلَّمَكَ بصوتِهِ وحرفِه، بل مَنْ كانَ في قُوَّتِهِ أن يوصِلَ إليكَ ما عندَهُ من المعاني.

وقال: فُرِّقَ بين ولدِ الدِّينِ وولدِ الطِّينِ في الميراثِ، الدِّينُ للعلمِ، والطِّينُ للمالِ.

وقال: أبوكَ مَنْ أنفَقَ عليكَ، فإن أنفقتَ عليه فأنتَ أبوه.

وقال: صورَةُ الإنسانِ بعدَ مَوتِه يَنبوعُ أحوالِه في الدُّنيا، فكُنْ على أحسَنِ الحالاتِ[2]، تكُنْ على أحسَنِ الصُّوَرِ.

وقال: مَنْ جَنى وعلِمَ أنَّ الحقَّ غَفَّارٌ غُفِرَ له، ومَنْ لم يجنِ ولم يعلَمْ أنَّه غَفَّارٌ فقد جَنى.

وقال: الصِّدقُ صِفَةٌ جامعَةٌ للشَّرفِ، عليه دلَّتِ المُعجزاتُ كلُّها، فالزَمِ الصِّدقَ أيُّها السَّالِكُ، تَرى العجَبَ العُجاب، أُخْلُ مع الحقِّ على قدَمِ الصِّدقِ أُسبوعاً بل أقلَّ لولا أن أتألَّى على اللهِ لحلفتُ إنَّه يجعلُ الطَّيرَ تُظِلُّكَ والوحشَ تُصلِّي خلفَكَ، ويخرجُ منكَ نورٌ يُضيءُ منه المشرقُ والمغرب.

وقال: لكَ ظاهِرٌ إلى الخَلْقِ، وباطِنٌ إلى الحقِّ، فمتى ظهرَ الحقُّ على ظاهرِكَ سقطَتْ حُرمَتُكَ عندَ الخَلْقِ، وفيها سعادتُكَ، وإذا خرجَ العبدُ من عندِ الحقِّ خُدِمَ وعُظِّمَ، وإذا دخلَ إليه جُهِلَ وما احتُرِمَ إلاَّ عندَ الخواصِّ.

وقال: القُربُ من الحقِّ بحسَبِ تقديسِ الذَّاتِ وتزكيتِها، ولا يختصُّ بذلك

---

(١) في (ب): صحة، وفي المطبوع: بهجة.
(٢) في (ب): الأحوال.

ذَكَرٌ دون أُنثى، بل هو فَضلُ اللهِ يؤتيه مَنْ يشاءُ. وقد كَمُلَ من النِّساءِ مريمُ وآسية[1].

وقال: الفرحُ من صفاتِ المؤمنين، لانتظارهم لما آمنوا به، فإذا لَقوهُ فَرِحوا، «للصَّائم فَرحتان»[2]، والعارِفونَ لا يَجوزُ عليهم الفرَحُ مع المعرفةِ، بل لو جازَ عليه الغمُّ لاغتمُّوا إذا سمِعوا: «رُدُّوهُم إلى قُصورِهم»[3] ولا فرحَ للمُشاهدَةِ؛ لاستيلاءِ العظَمَةِ؛ فإنَّها تمنعُ من الحركةِ، والفرحُ حركةٌ، فعليهم هَيبَةٌ وسَكينَة.

وقال: إذا عَمَّ الفسادُ البرَّ والبحرَ فارفَعْ هِمَّتَكَ عنِ الأرضِ، واجعَلْها سماويَّةً عُلويَّةً حذَرَ الهلاك.

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه ٦/ ٤٤٦ (٣٤١١) في الأنبياء، باب ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون..﴾، ومسلم ٢٤٣١، في فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، والترمذي ١٨٣٥ في الأطعمة، باب ما جاء في فضل الثريد عن علي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون». قال ابن حجر في فتح الباري ٦/ ٤٤٧: واستدل بهذا الحصر على أنهما نبيتان، لأن أكمل النوع الإنساني الأنبياء، ثم الأولياء والصديقون والشهداء... أو المراد من تقدّم زمانه ﷺ.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه ١٣/ ٤٦٤ (٧٤٩٢) في التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾، ومسلم ١١٥١ في الصيام، باب حفظ اللسان، والموطأ ١/ ٣١٠ في الصيام، باب جامع الصيام، وأبو داود (٢٣٦٣)، والترمذي ٧٦٤، والنسائي ٤/ ١٦٥، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: الصوم لي، وأنا أجزي به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي، والصوم جنة، وللصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربّه».

(٣) وذلك أن أهل الجنة يرون ربهم ويحدثهم ويحدثونه، ثم يقول لهم تبارك وتعالى: «قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم» رواه الترمذي ٢٥٤٩ في صفة أهل الجنة، باب ما جاء في سوق الجنة. ولعل: «ردوهم إلى قصورهم» رواية أخرى للحديث لم أجدها في المصادر التي بين يدي.

وقال: الابتلاءُ مَقرونٌ بالدَّعوى، لا تَدَّعِ[1] فتُبْتَلَ، ولا تُطالِبْ فتُطالَبْ.

وقال في ذبحِ القرابين: هو إتلافُ أرواحٍ عن تدبيرِ أجسامٍ حيوانيَّةٍ لتتغذَّى بها أجسامٌ إنسانيَّةٌ، فتنظرُ أرواحُها إليها حين تفريقها فتدبِّرُها إنسانيةً بعدما كانت تُدبِّرُها إبلاً أو بقراً أو غنماً. قال: وهذا لا يفطنُ له إلاَّ مَنْ نَوَّرَ اللهُ بصيرتَهُ من أهلِ اللهِ.

وقال: نُفوسُنا من حيثُ هي من الملائكَةِ الذينَ مقامُهم تدبيرُ هذه الأجسامِ العُنصريَّة، وجُعِلَتْ هذه الأجسامُ الطَّبيعيَّةُ حِجاباً دونَنا عن إدراكنا إيَّاها.

وقال: حُصولُ المَطلوبِ أو اليأسِ من تحصيله بَدْءُ السَّكينَةِ فيما يطلبُ، ولهذا قيل:

إنَّمـا أجــزَعُ فيمـا أتَّقـي ... فـإذا حَـلَّ فمـا لـي والجـزع

وكـذا أطْمَـعُ فيمـا أبتغـي ... فـإذا فـاتَ فمـا لـي والطَّمـع

وقال: كان بعضُ رجالِ اللهِ يقولُ: جعلَكَ اللهُ مُحدِّثاً صوفيًّا، ولا جعلَكَ صُوفيًّا مُحدِّثاً، فإنَّ الغالِبَ أن يكونَ بحُكمِ الأصلِ المُتقدِّمِ إلاَّ أن يعصمَ اللهُ، فمعرفةُ المكانِ الذي لنا من الأنبياءِ يجبُ علينا العلمُ به، لئلاَّ نكونَ ممَّن لُبِّسَ عليه في ذلك.

وقال: ملائكَةُ التَّدبيرِ همُ الأرواحُ المُدبِّرةُ أجسامَ العالِمِ[2] المركّب، وهي المُدبِّرةُ هي النُّفوسُ[3] النَّاطقةُ.

وقال: خلَقَ اللهُ الدُّنيا، وما نظرَ إليها، ففنيَتْ؛ لأنَّ نظَرَ الباقي ثمرَتُهُ البقاءُ[4]، فما وقعَ الإعراضُ عنِ الدُّنيا لهوانِها، كيف وهي منزلُ الخُلفاءِ؟ بل لمَّا كان من الفناءِ والبقاءِ، والإنسانُ هنا خليفةٌ، وفي الآخرةِ إنسانٌ لا غير.

وقال: ينبغي للعبدِ التأدُّبَ بآدابِ الحقِّ، فإذا رأى فُحشاً كنّى به، ولا

---

(١) في الأصل: تدعي.
(٢) في (أ): أجسام العالم.
(٣) في المطبوع: في النفوس.
(٤) في (ف) والمطبوع: ثمرته الفناء.

يُسمِّيه، وقوله «أَنِكْتَها ؟»[1] حالَةُ ضَرورَةٍ.

وقال: مَنْ طلَبَ السَّلطنَةَ على الخَلقِ ملأَ اللهُ قلبَهُ شُغلاً، ولا يعرِفُ قَدْرَه، وإن أُعطيها نفذَ فيها صفرَ اليَدين، وقد عَرَفَ قَدْرَه.

وقال: أنصَحُكَ إذا رأيتَ مَنْ يقولُ لكَ: أنا الحقُّ. فقُلْ له: أنتَ بالحقِّ، فإنَّه يُغني ولابدَّ.

وقال: إنِ ادَّعيتَ الوَصلَ، وجمعَ الشَّملِ، أخافُ عليكَ أن يكونَ جمعكَ بكَ لا به، لأنَّكَ إنْ طلبتَهُ لعِلَّةٍ فإنَّما وصلتَ لغرضِكَ منه، وإن طلبتَهُ له وتحقَّقْتَ بهذا المقامِ فأنتَ الواصِلُ إليه حَقًّا.

وقال: الأولياءُ على عددِ الأنبياءِ، فلابُدَّ أن يكونَ في كلِّ عصرٍ مئةُ ألفِ وَليٍّ، وأربعةٌ وعشرونَ ألفاً، لا يَزيدونَ ولا يَنقصون. لكلِّ نبيٍّ وليٌّ.

قال: احذَرْ هذا الطَّريقَ، فإنَّ أكثرَ الخوارجِ إنَّما خرَجوا منه، وما هو إلاَّ طريقُ الهُلْكِ أو المُلْكِ مَنْ حقَّقَ عِلمه وعملَه وحالَه نالَ عِزَّ الأبدِ، ومَنْ فارقَ التَّحقيقَ فيه هلَكَ وما نفذ.

وقال في رسالةٍ كتبَها إلى الإمامِ الرَّازي[2]: اعلَمْ يا أخي، أنَّ الرَّجلَ

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه ١٢/ ١٣٥ (٦٨٢٤) في الحدود، باب هل يقول الإمام للمقرِّ: لعلك لمست، ومسلم ١٦٩١ في الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، والترمذي ١٤٢٨، في الحدود، باب ما جاء في درء الحد، وأبو داود ٤٤٢٨ في الحدود، باب رجم ماعز. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لمّا أتى ماعز بن مالك النبيَّ ﷺ قال له: «لعلَّكَ قبَّلْتَ، أو غمزتَ، أو نظرتَ ؟» قال: لا، يارسول الله. قال: «أَنِكْتَها ؟» لا يكني، قال: فعند ذلك أمر برجمه.

وإنما كان تصريح رسول الله ﷺ بهذا اللفظ الذي كان يتحاشى عن التكلم به في جميع حالاته، ولم يسمع منه إلا في هذا الموطن لتبيان حقيقة الحال والحاجة الملحة له، فإن تحصيل الإفهام في هذا الموضع أولى من مراعاة مجرد الأدب، إذ أنه يتعلق بإقامة حدٍّ من حدود الله.

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسن البكري، أبو عبد الله، الفخر الرازي، الإمام المفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليه نسبته، توفي في هراة سنة ٦٠٦ هـ، =

لا يكمُلُ في مقامِ العلمِ حتّى يكونَ عِلمُهُ عنِ اللهِ بلا واسطَةٍ من نَقْلٍ أو شيخٍ، فإنَّ من علمه مُستفاد من ذلك، فما برحَ عنِ الأخذِ من المُحدثات، وذلك مَعلولٌ عندَ أهلِ اللهِ، ومَنْ قَطَعَ عُمرَهُ في معرفةِ المُحدثاتِ وتفاصيلها فإنَّه[1] حظُّه من ربِّه؛ لأنَّ العلومَ المتعلِّقةَ بالمُحدثاتِ يُفني الرَّجلُ عُمرَهُ فيها، ولا يبلغُ حقيقتَها، ولو سلكتَ على يدِ شَيخٍ من أهلِ اللهِ، أوصلَكَ إلى حضرةِ شُهودِ الحقِّ، فتأخذ منه العلمَ من طريقِ الإلهامِ الصَّحيحِ بلا تعبٍ[2] ولا سهرٍ، كما أخذَهُ الخَضِرُ. فلا علمَ إلاَّ ما كان من كشفٍ وشهودٍ لا عن نظرٍ وفِكرٍ.

وحكى عنه، أي عن الفخر الرَّازي: أنَّ السُّلطانَ حبسَهُ، وعزَمَ على قتله، وما له شَفيعٌ عندَه، قال: فطمعتُ أن أجمعَ هَمِّي على اللهِ في أمري أن يُخلِّصَني لمَّا انقطعَتِ الأسبابُ، وحصلَ اليأسُ من كلِّ ما سِواهُ، فما خَلُصَ لي ذلك لما يَرِدُ من الشُّبه النَّظريَّةِ في إثباتِ اللهِ الذي ربَطْتُ مُعتقَدي به، إلى أن جمعتُ هِمَّتي كُلِّيَتي على الإلهِ الذي يعتقِدُه العامَّةُ، ورميتُ من نفسي نظري وأدلَّتي، ولم أجِدْ في نفسي شُبهةً تقدَحُ عندي فيه، وأخلصتُ إليه، ودعوتُهُ، فما أصبحتُ إلاَّ وقد فرَّجَ اللهُ عَنِّي.

وقال: الرِّياضةُ عند المُحقِّقينَ إنَّما هي لتحسينِ الأخلاقِ، وعند الحُكماءِ لصفاءِ المحلِّ، وعلى كلٍّ فليس هما بفتحٍ، ولا يُنتجانه أصلاً، وإنَّما يأتي الفتحُ من عندِ اللهِ، ولو كان له سبَبٌ يُنتجُهُ كانَ مُكتسباً، وإنَّما جُعِلَ الذِّكرُ عادةً لئلاّ يروحَ الوقتُ[3] بغيرِ عبادَةٍ، ويتعيَّنُ على الذَّاكرِ أن لا يقصدَ بذكرِهِ حضرةً مَخصوصَةً أصلاً، بل يتركُ الحقَّ يختارُ له من خزائنِ غَيبِه مما يقتضيه جُودُهُ وإحسانُه.

= وله الكثير من المؤلفات منها: مفاتيح الغيب في تفسير القرآن، وشرح قسم الإلهيات من الإشارات لابن سينا، ومناقب الشافعي. الأعلام.

(١) في المطبوع: فاته.

(٢) في (ب): بلا واسطة تعب.

(٣) في المطبوع: القلب.

وقال: الإيمانُ نورٌ شعشعانيٌّ[1] مَمزوجٌ بنورِ الإسلام، فإنَّه ليس بوحدته استقلالٌ، فإنِ امتزَجَ بنورِ الإسلامِ أعطى الكشفَ والمُطالعةَ، فعَلِمَ من الغيوبِ على قدره، حتّى يرتقيَ إلى مقامِ الإحسانِ.

وقال: ظُنونُ الوليِّ مُصيبَةٌ، فإن كُشِفَ له من خلفِ حجابِ الجسدِ، فيجِدُ الشَّيءَ نفسَهُ، ولا يعرفُ من أين جاء.

وقال: صاحِبُ النَّشأةِ المُعتدلَةِ لا تَكْذِبُ خواطِرُهُ أبداً، فإن كذبَتْ فلِعارِضٍ، ومن هذه النشأةِ كانت الكهنة، فإذا كان لصاحبها قَدَمُ سعادةٍ بحيثُ يصلُ إلى الكُليَّةِ أخَذَ عنها أخذاً صحيحاً، واستشرفَ على الغيبِ، ورأى هو العالَمَ في قُوَّةِ النَّفسِ.

وقال: الخاطِرُ الأوَّلُ ربَّانيٌّ، لا يُخطىءُ أصلاً إلاَّ لعارِضٍ، فمَنْ فاتَهُ معرِفَةُ الخاطرِ الأوَّلِ، وليس عندَهُ تصفيةٌ خلقيَّةٌ فلا رائحةَ له من علمِ الغيب، ولا يُعتمَدُ على حديثِ النَّفسِ؛ فإنَّه أمانيّ.

وقال: احذَروا الأحوال؛ فإنَّها سَمومٌ قاتلة، وحُجُبٌ مانعة، فإنَّ العلمَ يستعبدُكَ له، وهو المطلوبُ مِنَّا، والحالُ إمَّا أن يُسوِّدَكَ على أبناءِ جنسِكَ، لانقيادِهم لما قهرتَهُم به من الوصفِ الرَّبَّانيِّ، وإمَّا يلذِّذَكَ بذاتِكَ، وصاحِبُ اللذَّةِ مَحجوبٌ بها، ممنوعٌ عنِ المُشاهدة.

وقال: كم ماشٍ على الأرض، والأرضُ تلعَنُهُ! كم شاهِدٍ عليها وهي لا تقبَلُهُ! كم داعٍ لا يتعدَّى كلامُهُ لسانَهُ! كم من عدوٍّ بَغيضٍ في الصَّلواتِ والمساجد! كم من وليٍّ حَبيبٍ في البيعِ والكنائس! يعملُ هذا في حقِّ هذا، وهو يحسَبُ أنَّه يعملُ لنفسه. حقَّتِ الكلمةُ ووقعتِ الحكمةُ، ونفذَ الأمرُ، فلا نقصَ ولا مَزيد. وبالنَّردِ كان اللَّعِبُ لا بالشَّطرنجِ. قاصمَةُ الظَّهر، وقارعَةُ الدَّهر، حكمٌ نفذ لا رادَّ لأمره، ولا مُعَقِّبَ لحُكمه. انقطعَتِ الرِّقابُ، سُقطَ من الأيدي، تلاشَتِ

---

(١) في (أ): شعشاني.

الأعمالُ، طاحَتِ المعارِفُ، أهلكَ الكونُ السَّلخ والخلع، يَسلخُ من هذا، ويخلعُ على هذا، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وقال: إذا أردتَ أن لا تخافَ أحداً فلا تُخِفْ أحداً، تأمنُ من كلِّ شيءٍ، ويأمَنُكَ كلُّ شيءٍ.

مررتُ في سفري في زمنِ جاهليَّتي مع والدي في بَرِّيةٍ، وإذا حُمُرُ وَحشٍ تَرعى، وكنتُ مُولَعاً بالصَّيدِ، وكان غِلماني بعيداً، فجعلتُ في قلبي أن لا أُوذي أحداً منها، فوصلتُها، ودخلتُ بينَها، وربَّما مَرَّ سِنانُ الرُّمحِ بسَنام بعضِها فما رفعَتْ رؤوسَها حتّى جزتُها، ثمّ أعقبَني الغلمانُ فنفرَتْ أمامَهم، فما علمتُ سببَهُ، حتّى دخلتُ طريقَ اللهِ، فعلمتُ أنَّه سرى الأمانُ الذي في نفسي لهم في نفوسهم.

فكفَّ عن ظُلمِكَ، واعدِلْ في حُكمِكَ، يَنصُرُكَ الحقُّ، ويُطيعُكَ الخَلقُ، وتَصفو لك النِّعَمُ، وترتفِعُ عنكَ التُّهَمُ، فيَطيبُ عَيشُكَ، ويسكُنُ جأشُكَ، وتملِكُ القُلوبَ، وتأمَنُ مُحاربَةَ الأعداءِ، والسَّلام.

ماتَ بدمشقَ في ربيع سنة سِتٍّ وثلاثين وستٍّ مئة، ودُفِنَ بالصَّالحيَّةِ بتُربةِ ابن سُراقة[1].

قال البِسْطاميُّ[2]: وعنه أخذَ ابنُ الفارض والقونوي.

* * *

(١) كذا في الأصول، إنما دفن بتربة ابن الزكي قاضي القضاة، القلائد الجوهرية ٦٤. أما ابن سراقة فهو ابن عربي نفسه عرف بهذا الاسم في الأندلس. عنوان الدراية ١٥٦، نفح الطيب ٣/ ١٨٠.

(٢) عبد الرحمن بن علي البسطامي الحنفي، زين الدين، فاضل، متصوف، مؤرخ، كاتب، مترسل، له كتب منها: مناهج التوسل في مباهج الترسل، والفواتح المسكية في الفواتح المكية، حاول فيه مجاراة ابن عربي في الفتوحات، لم يتمه. توفي في بروسة سنة ٨٥٨ للهجرة. الأعلام.

(٥٥٦) محمد السَّنهوري[*]

محمد بن هارون السَّنهوري، إمامٌ جَليل، وصوفيٌّ نبيل، فاقَ القران، وساوى مَنْ تقدَّمَ من فُضلاءِ الزَّمان، حتّى سارَ بذكرِ أحوالِه الرُّكْبان.

استوطَنَ سَنهور[1]، وبنى له زاوية، وقبرُه بها مشهور.

كان محبًّا للسَّماع، ويعملُ المواعيد المؤثِّرة في الأسماع. سُئِلَ عنِ السَّماع، فقال: أباحَهُ مَنْ لا ينبغي لنا الاعتراضُ عليه، وأنكرَهُ مَنْ يُرجَعُ في الفتوى الشَّرعيَّةِ إليه، فسالِكُهُ على خطر؛ لأنَّه حالٌ مُبهم، فمَنْ أمكَنَهُ فليفعَلْ، وإلاَّ فالرجوعُ إلى العلماءِ أسلَم.

وقال: مَنْ لم يطَّلِعْ على بعضِ الغَيبِ، فليبْكِ على قُلوبٍ حُجِبَتْ عنِ اللهِ.

وقيلَ له: إنَّ بالوعَةَ الفسقيَّةِ استدَّتْ من الاستعمال، فنخَسَها برجله، وقال: نفذت للبحرِ الملح، فمن ذلك لو صُبَّ فيها بحارٌ لم يظهر له أثر.

ومع عُلوِّ مَقامِه، مَرَّ على فقيرٍ رَثٍّ، ومعه أصحابُهُ، فسلَّمَ عليه، فلم يُلْقِ له بالاً، فأخذَهُ منه في نفسه شيءٌ، فتفرَّقَ بمُجرَّدِ ذلك عنه أصحابُهُ، فعلِمَ أنَّ ذلكَ الفقيرَ سلبَهُ، فرجَعَ إليه فلم يجده. فمازالَ ينتقِلُ من بَلدةٍ إلى أُخرى، إلى أن وجدَهُ خادِمَ قَرَّادٍ، وهو في داخِلِ حلقَتِهِ بالرُّميلة بمصر، يفعلُ الأفاعيلَ المُضحكةَ للنَّاسِ، فلمَّا أبصرَهُ، قال: ابنُ هارون! ابنُ هارون! أيشٍ على الفقراءِ من ابنِ هارون؟ فكشَفَ رأسَهُ، وأكبَّ على قدمَيه، وقال: أتوبُ، ولا أعودُ لمثلها. فأخذَ عِمامتَهُ، ووضعَها على رأسِه، وأمرَّ بيده على صدره، وقال: أعطيناكَ ما كان معكَ وزيادة، ولولا فُتوَّةُ الفُقراءِ لجعلتُكَ عِبرَةً. فإذا هو كما كان وزيادة.

(*) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في الصفحة ٢٨٠ من هذا الجزء.

(١) سنهور: بليدة بين الإسكندرية ودمياط.

ومن كراماتِ ابنِ هارون: أنَّه كان إذا مرَّ به والدُ البرهان[1] الدُّسوقي، يقولُ: في ظهرِ هذا وليٌّ يبلغُ صيتُهُ المَشرقَين.

وكُشِفَ له أنَّه ينزِلُ على بلدةِ سَنهور صاعقَةٌ تحرِقُها، فاغتَمَّ، وحاولَ دفعَهُ، فذبَحَ ثلاثينَ بقرةً، وطبخَها، ومَدَّها سِماطاً بزاويته، وقال لنقبائه: لا تمنعوا منها أحداً يأكلُ أو يحملُ، فأكَلَ النَّاسُ، وحَمَلوا، فجاءَ رجلٌ أشعَثَ أغبَرَ، مَكشوفَ العَورةِ، فأطعموه كثيراً، فلم يشبع، وقال: أطعموني، فأخرجوه بغيرِ علمِ الشَّيخ، فلمَّا عَلِمَ بادَرَ، وخرَجَ بأهله من البلد، فنزلَتِ الصَّاعقَةُ عليها، فأحرقَتِ النَّاسَ في أسواقهم وبيوتهم أجمعين. فقال لنقبائه: ما الذي فعلتُموه؟ رجلٌ يُريدُ حَملَ البلاءِ عن بلدكم بأكلةٍ منعتُموه.

فهي خَرابٌ إلى الآن، وعَمَروا غيرَها، وكانت مدينةً عظيمةً.

* * *

(٥٥٧) محمد المُرْشِدِي[*]

محمد بن عبد الله المُرْشِدي، الشَّيخُ الكبير، الوليُّ الشَّهير، عارِفٌ وافرُ العِرفان، مُثمِرُ الأفنان.

كان فقيهاً شافعيًّا، له كراماتٌ وأحوال، وخوارِقُ عظيمةٌ على ممرِّ السِّنينِ والأحوال.

ومن كراماته: أنَّ كلَّ مَنْ ورَدَ عليه يأتيه بما يشتهيه في خاطره من الأطعمة،

---

(١) في (ب): إذا مر به المرشدي والد.

(*) دول الإسلام ٢/ ١٨٩، العبر ٦/ ١٩٨، الوافي بالوفيات ٣/ ٣٧٢، مرآة الجنان ٤/ ٢٩٢، طبقات السبكي ٩/ ١٥٤، البداية والنهاية ١٤/ ١٧٩، طبقات الأولياء ٥٦٨، الدرر الكامنة ٣/ ٤٦٢، السلوك للمقريزي ٢/ ٢/ ٤٢٧، النجوم الزاهرة ٩/ ٣١٣، شذرات الذهب ٦/ ١١٦، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٤٠، الخطط التوفيقية ١٦/ ٨٢.

وهو من رجال الطبقة الثامنة، وسيترجم له المؤلف رحمه الله مرة ثانية ٣/ ٦٩، وثالثة في طبقاته الصغرى ٤/ ٥٤٥.

ويُقدِّمُهُ بين يَديه، وقد اشتُهِرَ هذا عنه وشاع، وامتلأتْ به النَّواحي والبِقاع، ولو ورَدَ عليه ألفُ نَفسٍ فما دونَها وجاؤوه في أيِّ وقتٍ كان من غيرِ هديَّةٍ يهدونَها، وجَدوا عندَهُ ما يَكفيهم، ويَكفي دوابَّهم، وشيوخَهم وشبابَهم.

ولم يكن يقبلُ لأحدٍ شيئاً البتَّة.

ولم يزل على حالِهِ إلى أنْ درَجَ إلى خالقه على السَّداد، وسكَنَ لحدَهُ إلى يومِ المعادِ في رمضان سنةَ سبعٍ وثلاثين وستِّ مئة[1] عن نحو سِتِّين سنة. ودُفِنَ ببلده مُنية مُرْشِد بقُربِ فوة.

* * *

(٥٥٨) محمد بن خليل[*]

الإمامُ رَضيُّ الدِّينِ المكِّيُّ، عالِمٌ صوفيُّ الأخلاق، كَثيرُ الخَوفِ والإشفاق، جَزيلُ الدِّيانَة، ممنوحٌ بالإعانة، مُجتمعٌ بالأمانةُ والصَّلاح، مُرتفِعٌ على تواضعه إلى سماءِ السَّماح.

صاحِبُ معارِفَ وفُنون، وأذكارٍ تأرَّجَتْ بها أرجاءُ الصَّفا والحَجُون[2]، كم له من سعيٍ في الخيرِ ثابتِ الأساس! كم له من طَوافٍ بأوَّلِ بَيتٍ وُضِعَ للنَّاس! وكم، وكم، ومَنْ مَدَحَهُ فوقَ ذلك فما تعدَّى ولا ظلَم.

ماتَ سنةَ سِتٍّ وتسعين وستِّ مئة.

* * *

---

(١) أجمعت مصادر ترجمته أن وفاته كانت سنة سبع وثلاثين وسبع مئة.

(*) العبر (نص مستدرك) ٢٨، الوافي بالوفيات ٢/ ٢٦٤، العقد الثمين ١/ ٤٢٨، و ٢/ ٥٩، النجوم الزاهرة ٨/ ١١١، شذرات الذهب ٥/ ٤٣٧.

(٢) الحجون: جبل بأعلى مكة، عند مدافن أهلها.

(٥٥٩) محمد بن أبي الصيف(*)

محمد بن إسماعيل بن أبي الصَّيف، المشهورُ بالعلمِ والصَّلاح، والتَّصوُّفِ والفَلاح، كان لايزالُ في خيرٍ يُقدِّمُه، وشَرٍّ يهدِمُه، لَطيفُ الذَّات، حَسَنُ المَنظر، كامِلُ الصِّفات، مَرضيَّةٌ سيرَتُهُ وأحوالُه، رَشيدَةٌ أقوالُهُ وأفعالُه.

أصلُهُ منْ زَبيد، ثمّ سكَنَ مكَّةَ، ونشرَ بها العلم.

وله عِدَّةُ مؤلَّفاتٍ في الحديثِ، والرَّقائق عليها آثارُ النُّور، وله كتابٌ سمَّاه «الميمون» جمَعَ فيه الأخبارَ الواردَةَ في فضلِ اليمنِ وأهله. ومؤلَّفٌ في فضائلِ رجب وشعبان ورمضان.

ولم يكن له نَظيرٌ في وقته، حتّى كان يُقالُ له: شَيخُ الحَرَمَين.

وكان على طريقَةٍ حَسَنَةٍ، وسيرَةٍ جميلةٍ.

وأخَذَ عنه كثيرونَ، واشتهرَ اسمُه.

ومن كلامه:

إذا كانتِ الغاياتُ لا تُدرَك، فالقَليلُ منها لا يُترَك، وإذا كان الغالِبُ في هذا الزَّمانِ أن لا تنالَ درجة المُتقدِّمين، فلا سبيلَ إلى النُّزولِ إلى درجةِ الغافلين.

ماتَ سنةَ سِتٍّ وسِتِّ مئة[1].

(*) الكامل في التاريخ ١٢/ ١٢٤، التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٢٦٤، و ٣/ ٩٠، طبقات السبكي ٨/ ٤٦، طبقات الإسنوي ٢/ ١٤٤، العقد الثمين ١/ ٤١٥، طبقات الخواص ١٤١، كشف الظنون ١٢٧٨، ١٩١٩، هدية العارفين ٢/ ١٠٨، الرسالة المستطرفة ١٠٣.

(١) كذا في الأصول، قال تقي الدين الفاسي في العقد الثمين ١/ ٤١٥ بعد أن ذكر وفاته سنة تسع وست مئة: هكذا ذكر وفاته المنذري في التكملة، وذكره أيضاً في المتوفين سنة تسع عشرة وست مئة، وتبعه على ذلك الذهبي في تاريخ الإسلام، وهذا عجيب منه، وأعجب من ذلك ما ذكره الإسناني في أنه توفي سنة سبع عشرة، والصواب أنه توفي سنة تسع وست مئة.

(٥٦٠) محمد بن أبي حبرة(*)

محمد بن أبي حبرة بموحَّدَةٍ تحتيَّة، صوفيٌّ رَفيعُ القَدر، عالي الهِمَّة، شَريفُ النَّفس، واسِعُ الصَّدر، مَديدُ الخُطوة، له حُرمةٌ بين الأولياء وسطوة.

وكان مَعمورَ الباطن، مَقبوضَ الظَّاهر، مُعظِّماً للشَّريعةِ وأهلِها.

وأنكَروا عليه رؤيةَ المُصطفى يَقظةً، وعقَدوا له مَجلساً، وآذوه، فانعزَلَ في بيته لا يَخرجُ إلاَّ للجُمعةِ عَشرَ سنين.

ومن كلامه:

لا يَفهم عنكَ إلاَّ مَنْ أشرقَ فيه ما أشرقَ فيكَ.

وقال: لمّا كان العُلماءُ والأولياءُ ورَثَةَ الرُّسُلِ والأنبياء، لَزِمَ حُصولُ فتراتٍ بين عالمٍ وعالم، ووليٍّ وولي، فإذا اندرسَتْ طريقةُ الدَّاعي أتى بعد زمنٍ مَنْ يُجدِّدُها، ولمّا كان يحصلُ في فتراتِ الأنبياءِ عِبادةُ الأصنامِ يحصلُ في فتراتِ أتباعهم عبادةُ الأهوية، وتبديلُ الأفعالِ بالأقوالِ وغير ذلك.

وقال: لو قدرتُ أقتلُ مَنْ يقول: لا مَوجودَ إلاَّ الله، لفعلتُ، كيف يقولُ مَنْ يَبولُ ويتغوَّطُ ويتألَّمُ لقرصَةِ بَرغوثٍ: أنا الحقُّ ؟!.

وقال: لو تدبَّرَ الفقيهُ معنى ما يقرره[1] احترقَ بأنوارِ القرآن، وهامَ على وجهه كالحَيران.

وقال: ثلاثَةٌ لا يُفلِحونَ غالباً: خادِمُ الشَّيخ، وولَدُه، وزوجتُه.

ماتَ في حُدودِ السَّبعمئة.

(*) طبقات الشعراني ١/١٦٠ (بن أبي جمرة)، جامع كرامات الأولياء ١/١٣٦، و ١٧١. قال الشعراني في طبقاته: وهو غير عبد الله بن أبي جمرة وكأني به هو هو ولا دليل إلا تشابه الاسم وتاريخ الوفاة ومكانها، انظر ترجمة أبي محمد عبد الله بن أبي جمرة في طبقات الأولياء ٤٣٩، الكواكب السيارة ٣١٩، تحفة الأحباب ٣٩٨، حسن المحاضرة ١/٢٤٩، نيل الابتهاج ١٤٠.

(١) في (أ): يقدره.

(٥٦١) محمد بن أبي بكر الحَكَمي(*)

صوفيٌّ ضاعَ نَشرُه، وظهَرَ بين الأنامِ ذِكرُه، منزلَتُهُ رفيعة، ورَوضاتُ غُرفاته(١) مُريعة.

وكان من أكبرِ مشايخِ اليمن، وكان في بدايته نجّاراً لكنَّه يتعبَّدُ، وفُتِحَ عليه، فخرجَ عن ولده، وتركَ صنعتَهُ، فاشتُهرَ ذِكرُه، وبَعُدَ صيتُه وظهرَتْ كراماتُهُ، ومنها: أنَّه جاءَ إلى موضعِ كثيرِ الشَّجرِ، فقال لشجرةٍ: اعوَجِّي، فاعوَجَّ شجَرُ ذلك المكانِ كلِّه، وصارَ يُعمَلُ منه آلةُ الحرثِ للنَّاس.

ومنها ما ذكره اليافعي(٢) أنَّه جاءَ بعضُهم(٣) إلى الحَكَمي ليصحبَهُ بعد موته، فخرجَ إليه من القبرِ وأخَذَ عليه العهد.

ومنها: أنَّ بعضَ الفُقهاءِ كان يُنكِرُ عليه السَّماعَ، فقال للمُنكِرِ حالَ السَّماعِ: يا فَقيه، ارفَعْ رأسَكَ، فرفَعَ، فرأى الملائكَةَ تَدورُ في الهواء.

وقال اليافعيُّ: أخبَرَني بعضُ الأولياءِ، أنَّه جاءَ إلى قبره، فخرَجَ إليه منه مَشدودَ الوسطِ، فسألَهُ عن شدِّه، فقال: نحنُ بعدُ في الطَّلبِ، مَنْ ظَنَّ أنَّه وصلَ فقد كَذَب، لأنَّه لا يُوصل إلاَّ إلى محدود، واللهُ تعالى مُنزَّهٌ عنِ النِّهاياتِ والحُدود.

وكان أُميًّا، لا يقرأُ ولا يكتبُ، فغابَ الفقيهُ محمد البَجَليُّ(٤) يَوماً عن درسه، فقعَدَ ودرَّسَ مكانَه.

(*) روض الرياحين ٢٤٤ (حكاية ١٦٦)، ٣٢٩ (حكاية ٢٧٩)، ٣٤١ (حكاية ٢٩١)، الإرشاد والتطريز ١٤٩، مرآة الجنان ٤/ ٣٦٠، طبقات الخواص ١١٤، شذرات الذهب ٥/ ٧٧، جامع كرامات الأولياء ١/ ١١٧، وفي الأصول: بن أبي كبر، والمثبت من مصادر ترجمته.

(١) في (أ) و (ف): عرفانه.

(٢) روض الرياحين ٢٤٤.

(٣) في (ب) و (ف): أن جاء، وفي المطبوع: أن بعضهم جاء.

(٤) هو محمد بن الحسين البجلي، وترجمته سترد صفحة ٥٥٠.

وتكلَّمَ الحَكَميُّ والبَجَليُّ يَوماً في الفقهاءِ والفُقراءِ، أيُّهُما خَير ؟ فقال الحَكَميُّ للبَجَليِّ: نادِ لي فَقيهاً وفَقيراً؛ لأُبيِّنَ لكَ حالَهُما. فأحضرَهُما، فلمَّا جاءَ الفقيهُ، قال له الشَّيخُ: في نَفسي منكَ شيءٌ. قال: وأنا في نَفسي منكَ أشياء. ثمّ قال للفقير: في نَفسي منكَ شيءٌ. قال: يا سيِّدي، أنا أستغفرُ الله. وقال: يكفيكَ من الفرقِ بينَهُما أنَّ الفقيرَ يجلِسُ في آخرِ المجلسِ مَسروراً بذلك، ولو جلسَ هناكَ الفقيهُ ضاقَتْ عليه الدُّنيا.

ماتَ سنةَ سبعَ عشرةَ وستِّ مئة.

* * *

(٥٦٢) محمد الإخميمي(*)

محمد بن الحسن الإخميمي، عارفٌ لاح ضياؤه، وفاحَ في مجالسِ الخَيرِ ثناؤه، حَسَنُ الأوصاف، مُتوشِّحاً بأوصافِ الزُّهدِ والعَفاف.

وصَفَهُ بعضُ أهلِ التَّمكين بأنَّه من أكابرِ العارفين.

صاحِبُ كراماتٍ ظاهِرة، وأحوالٍ فاخِرة، وأنفاسٍ طاهِرة.

ومن كراماته:

أنَّه رأى المُصطفى في النَّوم، فناولَهُ رَغيفاً، فأكلَ بعضَهُ بين يَديه، وجعلَ بعضَهُ إلى جانبه، فانتبَه، فوجدَهُ بجانبه.

ومن كلامه:

أطلعَني اللهُ على حقائقِ أذكارِ الأشياءِ، حتّى رأيتُ الأشجارَ والأحجارَ مُختلفةَ الأذكار.

* * *

(*) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٧١، العبر ٥/ ٣٥٠، مرآة الجنان ٤/ ٢٠١، البداية والنهاية ١٣/ ٣٠٦، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٦٨، شذرات الذهب ٥/ ٣٨٩، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٦٢.

(٥٦٣) محمد البَجَلي (*)

محمد بن حسن البَجَلي، إمامٌ عارف، وصُوفيٌّ جَمُّ اللَّطائف، حَسَنُ الأخلاق، طَيِّبُ الأعراق، تبلَّجَتْ به الطَّرائق، وتأرَّجَتْ بذِكرِه أرجاءُ[1] الزَّوايا والخَوانِق.

وكان جامِعاً بين الشَّريعةِ والحَقيقة، سالِكاً في ذلك أحسَنَ طَريقة.

صاحِبُ آياتٍ وإفادات، وكراماتٍ ومُكاشفات، وله في الحقائقِ مُؤلَّفٌ سَمَّاهُ «اللُّباب».

ومن كلامه:

لولا وجودُ خَواصِّ اللهِ مع عَوامِّ اللهِ فيما هم فيه من المعاصي، لعجَّلَ اللهُ عقوبَةَ مَنْ عَصاه ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، تفضَّلَ على العامِّ بوجودِ الخاصِّ، ليكونَ سبباً لتأجيلِ العقوبة، ورُبَّما كان سبباً لصفحِها، بل لتبديلِها حَسَنات.

وقال: هِمَّةٌ تَحولُ حَولَ العرشِ، وهِمَّةٌ تَحولُ حَولَ الحشِّ[2]، ومَنْ كانت هِمَّتُهُ ما يدخُلُ كانت قيمَتُهُ ما يخرُجُ.

وسُئِلَ عنِ السَّماعِ وما فيه من صوتِ الجلاجل، فقال: واللهِ ما أسمعُها تقولُ إلاَّ الله، الله، الله.

ماتَ سنةَ إحدى وعشرين وستِّ مئة.

* * *

(*) روض الرياحين ٣٤١ (حكاية ٢٩١)، مرآة الجنان ٤/ ٣٦٠، طبقات الخواص ١١٦، إيضاح المكنون ٢/ ٣٩٩، هدية العارفين ٢/ ١١١، جامع كرامات الأولياء ١/ ١١٨.

(١) في (ب): بذكره الحقائق أرجاء.

(٢) لعلَّها: تجول. والحشُّ: مثلثة الحاء، المخرج، بيت الخلاء.

(٥٦٤) محمد القِنائي(*)

محمد بن الحَسَن بن عبد الرَّحيم القِنائي، العالِمُ العامل، الوَرِعُ الزَّاهد، جمَعَ بين العلمِ والعِبادة، والورَعِ والزَّهادَة.

جمَعَ الحديث، وتفقَّه على مذهبِ مالك، وكان يُقرئ مذهبَ الشَّافعيّ.

وانتفَعَ به خَلقٌ، وكان ساقِطَ الدَّعوى، كثيرَ الخَلوةِ والعزلة، صائمَ الدَّهر، قائمَ اللَّيل.

يُنقَلُ عنه كراماتٍ، وتُؤثَرُ عنه مُكاشفات منها: أنَّ رجُلاً باعَ كتاباً بثلاثينَ دِرهماً، ثمَّ حضرَ مجلسَهُ، وتكلَّمَ في الزُّهدِ، فقال: ما ينبغي لفقيرٍ أن يتكلَّمَ في الزُّهدِ وعندَهُ ثَلاثونَ دِرهماً ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢].

ونزلَ بَلداً فطلَبَ جماعَتُهُ الخُبزَ والجُبنَ والشَّعيرَ في السُّوق، فلم يَجِدوه، فعادوا فأخبَروه، فأخرَجَ دِرهماً وأعطاهُ لواحِدٍ، وقال: رُحْ من هنا، واعطِفْ من كذا إلى مكانٍ كذا تجِدِ الخُبزَ، وأعطى آخَرَ دِرهماً، وقال: توجَّه إلى كذا تجِدِ الجُبنَ، وآخَرَ دِرهماً وقال: امضِ إلى كذا تجِدِ الشَّعيرَ. فكان كذلك. ثمَّ مكَثوا إلى العشاءِ وقدَّموا له ذلك، فقال: لا تعجلوا، السَّاعةَ يأتيكمُ الطَّعامُ، وإذ بغلمانٍ أحضَروا طعاماً، واعتذروا بعدمِ العلمِ بقُدومهم.

وكان يأمُرُ الحشائشَ فتُخبرُهُ بما فيها من المنافع.

ماتَ سنةَ اثنتين وتسعين وستِّ مئة، ودُفِنَ بقِنا.

* * *

(*) الطالع السعيد ٥٠٧، الوافي بالوفيات ٢/ ٣٧١، طبقات الأولياء ٤٤٦، تاريخ ابن الفرات ٨/ ١٦٤، حسن المحاضرة ١/ ٢٣٧، الخطط التوفيقية ١٤/ ١٢٤. وهذه الترجمة ليست في (ف).

(٥٦٥) محمد بن سُليمان الشَّاطبي(*)

زاهِدٌ مَعروف، عِلمُهُ على جهاتِ البرِّ مَوقوف، وعابِدٌ مَشهور، عَلَمُ أحوالِهِ وكراماتِهِ مَنشور، يُقصَدُ بالزِّيارة، ويُتبرَّكُ بما له من الإشارة.

أقامَ بالإسكندريَّةِ مُجاوِراً لبحرِها، واستمرَّ حتّى لقى اللهَ مُجاهِداً مُرابِطاً على ثغرِها سنةَ اثنتَين وسبعين وستِّ مئة. و «الإيمان نصفان: نصف شكر ونصف صبر» كما في الحديث[1].

* * *

(٥٦٦) صدر الدِّين القُونَوي(**)

محمد بن إسحاق بن محمد الرُّومي، الصُّوفيُّ العابد، العارِفُ الكبير، الإمامُ الشَّهير، صَدْرُ الدِّين القُونَوي، أَجَلُّ تلامذَةِ ابنِ عربي، كان عارِفاً عَلِيَّ المَقام، مُتكلِّماً بما تقصرُ عنه الأفهام، وهو شَيخُ أهلِ الوحدةِ بقُونيَة وما والاها.

(*) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٧٢، العبر ٥/ ٣٠٠، الوافي بالوفيات ٣/ ١٢٨، طبقات القراء ٢/ ١٤٩، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٤٣، حسن المحاضرة ١/ ٥٢١، طبقات المفسرين للداوودي ٢/ ١٤٥، هدية العارفين ٢/ ١٢٩، نفح الطيب ٢/ ١٤٠.

(١) رواه الخرائطي في فضيلة الشكر، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ١٢٣، والديلمي في مسند الفردوس ١/ ١١١ عن أنس، قال المؤلف رحمه الله في فيض القدير ٣/ ١٨٩: وفيه يزيد الرقاشي، قال الذهبي، وغيره: متروك.

(**) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٩١، طبقات السبكي ٨/ ٤٥، الوافي بالوفيات ٢/ ٢٠٠، طبقات الأولياء ٤٦٧، مفتاح السعادة ٢/ ٢١١، ٤٥١، طبقات الشعراني ١/ ٢٠٣، كشف الظنون ١٢٠، ٤٥٥، ٥٣٧، ٨٨٩، ٩٠٠، ١٠٣٤، ١٠٣٨، ١٢٨٨، ١٤٩٠، ١٧٥٨، ١٧٦٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، إيضاح المكنون ١/ ٣٣٥، ٢/ ٤١، ٥٢٣، ٥٩٨، هدية العارفين ٢/ ١٣٠، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٣٣، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/ ٤٢٧.

والقونوي نسبة إلى قونية أعظم مدن الإسلام ببلاد الروم. وهي شمال حلب وفيها ضريح العارف الشاعر جلال الدين الرومي.

كان يَسلُكُ طَريقَ شيخِه الحاتميِّ في جميعِ أحوالِه ومقالاتِه التي تفرَّدَ بها، وهي أجودُ ما يعرِفُه، وخَيرُ دِينارٍ يُخرِجُهُ من كيسِ معاليمِهِ ويَصرِفُه.

وكان ذا حَظٍّ عندَ الأكابرِ مَوفور، وقبولٍ تامٍّ كلُّ ذَنبٍ[1] معه عندَهُم مَغفور.

وله تَصانيفُ في السُّلوكِ منها «شرح التجلِّيات»، وله تَفسيرٌ شهيرٌ وكتاب «النَّفحات الإلهيَّة»[2]، و «النصوص[3] في فكِّ الفُصوصِ» ، و «مفتاح غيب الجمع والوجود»[4]، وغير ذلك.

وحكى عن نَفسه قال: قد اجتهَدَ شَيخي العارِفُ ابنُ عربي أن يُشرِّفَني ويوصلَني إلى المرتبَةِ التي يتجلَّى فيها الحقُّ تعالى للطَّالبِ بالتجليَّاتِ البَرقيَّةِ في حياته فما أمكنَهُ، فزرتُ قبرَهُ بعدَ موته، ورجعتُ، فبينا أنا أمشي في الفضاءِ بينَ عَدن وترسوس[5] في يومٍ صائفٍ، والزُّهورُ يُحرِّكُها نَسيمُ الصَّبا، فنظرتُ إليها وتفكَّرتُ في قُدرةِ اللهِ تعالى وكبريائه وجلاله، فشغفَني حُبُّ الرَّحمنِ حتّى كدتُ أغيبُ عنِ الأكوانِ، فتمثَّلَ لي رُوحُ الشَّيخِ ابنِ عربي في أحسنِ صورةٍ، كأنَّه نورٌ صِرفٌ، فقال: يا محتار[6]، انظر إليَّ. وإذا بالحقِّ جَلَّ وعَلا تجلَّى لي بالتجلّي البَرقي من المشرقِ[7] الذَّاتي، فغِبتُ منِّي به فيه على قَدرِ لَمحِ البصرِ، ثمَّ أفقتُ

---

(١) في (ف): لكل ذنب.

(٢) قال القونوي عن كتابه: وبعد، فلما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات من رحمته ألا فتعرضوا لها...» وأنا أذكرها بجملتها. كشف الظنون ١٩٦٧، انظر النسخ الخطية له في تاريخ بروكلمان ٤/٤٢٨.

(٣) اسم الكتاب: النصوص في تحقيق الطور المخصوص. كشف الظنون ١٩٥٦، وجاء اسم الكتاب في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/٤٢٨: النصوص في تحقيق الطور المخطوط، أو النصوص في بحر التحقيق وجواهر الفصوص.

(٤) كلمة (الوجود) مستدركة من كشف الظنون ١٧٦٨.

(٥) كذا في الأصول، وفي المطبوع: طرسوس. وفي جامع كرامات الأولياء، وكلامه نقل عن المناوي: عند ترسوس.

(٦) في (أ): يا مختار.

(٧) في كرامات الأولياء: من الشرف.

حالاً، وإذا بالشَّيخِ الأكبرِ بينَ يَديَّ، فسلَّمَ سَلامَ المُواصلةِ بعدَ الفرقة، وعانقَني مُعانقةَ مُشتاقٍ، وقال: الحمدُ لله الذي رفعَ الحِجاب، وواصلَ الأحباب، وما خيَّبَ القصدَ والاجتهاد، والسَّلام.

ومن كلامه:

كُنْ فرادنيَّ المقصدِ لكمالِ عُبوديَّتِكَ التي خلقَكَ الحقُّ لها؛ فإنِّي رأيتُ عندَكَ أمراً زائِداً على هذه الوحدة في التوجُّه، فالزَّائدُ عِلَّةٌ.

وقال: الحلالُ التَّامُّ كلُّ ما لا ضرَرَ فيه من حيثُ مزاجه، ولا تعلَّقَ به حَدٌّ لأحدٍ يستلزِمُ توجُّهَ نفسِه إليه، فإنَّ لتوجهاتِ النُّفوسِ إلى الأشياءِ خواصَّ رديَّةً، تَسري في بدنِ الإنسانِ المُباشرِ لذلك الشَّيءِ أكلاً أو لباساً أو مَسكناً أو غيرها من التصرُّف.

وقال: الملابسُ إذا فُصِّلَتْ وخِيطَتْ في وقتٍ رديءٍ اتَّصلَ بها خواصُّ رَديَّة، وكذا ما وردَ التنبيهُ عليه في الشَّرعِ من شؤمِ المرأةِ والفرسِ والدَّارِ[1]، وشهِدَ بصحَّتِهِ التجاربُ المكرَّرة، فإنَّ ذلك يؤثِّرُ في بواطنِ أكثرِ النَّاسِ، بل وفي ظواهرهم خواصُّ مُضِرَّةٌ تتعدَّى إلى نفسِهِ وأخلاقِهِ وصفاتِه، فيحدثُ بسببها للقلوبِ والأرواحِ تلويثاتٌ هي من قسمِ النَّجاساتِ المعنويَّة.

وقال: كما أنَّ طهارةَ القلوبِ والأرواحِ من الكُدوراتِ البشريَّةِ والأحكامِ الإمكانيَّةِ، يوجِبُ مَزيدَ الرِّزقِ المعنويّ، وقَبولَ العطايا الإلهيَّةِ، ووفورَ الحظِّ منها، فكذا الطَّهارةُ الظَّاهرةُ الصُّوريَّةُ تستلزِمُ مَزيدَ الرِّزقِ الحِسِّي، ومَنْ جمَعَ بين الطَّهارتَيْنِ فازَ بالرِّزقَيْن.

وقال: صورُ الأعمالِ أعراضٌ، جواهِرُها مقاصِدُ العمَّالِ وعُلومُهم واعتقاداتُهُم ومتعلَّقاتُ هِمَمِهم.

---

(١) روى البخاري في الأدب المفرد (٩١٨) باب الشؤم في الفرس، وأبو داود في سننه ٣٩٢٤، في الطب، باب في الطيرة، عن سعد بن أبي وقاص، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا هامة، ولا عدوى، ولا طيرة، وإن تكن الطيرة في شيء ففي الفرس، والمرأة، والدار».

وقال: الكُرسيُّ هو أرضُ الجنَّةِ، وسقفُها العرش.

وقال: إذا كملت المُضادةُ وقَعَ القتلُ؛ لأنَّ الضِّدَّ يطلبُ إزالةَ ضِدِّه.

وقال: لا رَيبَ عندَ المُحقِّقينَ بالتَّجربةِ المُكرَّرةِ، والعلمِ المُحقَّقِ، أنَّ الآلامَ النَّفسانيَّةَ تُخمِدُ وَهجَ القِوى الطبيعيَّة، وتُنعِشُ القِوى الرُّوحانيَّة الموجبة لتنويرِ الباطن، فلذلك جعلَ المصطفى الصَّبرَ يُثمِرُ الضِّياء[1].

وقال: ليسَ في الوجودِ وقفةٌ لأحدٍ، الإنسانُ[2] سائرٌ إلى المرتبةِ التي قدَّرَ الحقُّ أنَّها غايته من مراتبِ الشَّقاءِ، ومراتبِ السَّعادة.

وقال: مُسمّى الإنسان بالتَّعريفِ العامِّ عبارةٌ عن مجموعِ جسمه الطَّبيعيِّ، ونَفسِهِ الحيوانيَّة، ورُوحه المجرَّد المدبّر لهيكله، فكلُّ فعلٍ صدَرَ عنه من حيثُ جُملته المذكورة، فلكلٍّ من الثَّلاثةِ فيه دخلٌ.

وقال: الغَيبُ لا يعلَمُهُ إلاَّ الله، لكنْ قد يُعلَمُ بتعريفِ اللهِ تعالى وإعلامه.

وقال: مَنْ ثبتَتِ المُناسبةُ بينَهُ وبينَ الكُمَّلِ من أرواحِ الأنبياءِ والأولياءِ اجتمعَ بهم متى شاءَ يقظةً ومَناماً، وقد رأيتُ شيخَنا ابنَ عربي مِراراً، كذلك وقعَ له مِراراً.

ماتَ بقُونيَة سنةَ اثنتين وسبعين وستِّ مئة، وكان شافعيًّا.

وقد أفحَشَ ابنُ أبي حَجَلَةَ[3] في سَبِّه، واللهُ حَسيبُه، حيثُ قال: كَلبُ الرُّوم، وتلميذُ ابن عربي المذموم، زوَّجَه أُمَّه، وخالفَ باتِّباعه الأُمَّة، فجحَدَ النِّعمة، وزعَمَ أنَّه يُبرئ الأكْمَهَ بالحِكمة، فزادَ عليه بالسَّفَهِ وتنزيلِ

---

(١) عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبحان الله والحمد لله تملأان ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء» هو جزء من حديث طويل رواه مسلم (٢٢٣) في الطهارة، باب فضل الوضوء، والترمذي ٣٥١٢ في الدعوات، باب رقم ٩١، والنسائي ٥/٥ في الزكاة، باب وجوب الزكاة، وابن ماجه ٢٧٠ في الطهارة، باب الوضوء شطر الإيمان.

(٢) في (أ): لأجذل إنسان، وفي (ف): لاحدّل إنسان.

(٣) ابن أبي حجلة تقدم التعريف به صفحة ٥٠٠ الحاشية (٤) من هذا الجزء.

الحادة[1] على قواعدِ الفلسفة، فضلَّ وأضلَّ، وحلَّ المَربوطَ، وربطَ المُنحلّ، وإليه تُنسَبُ الطَّائفةُ الإسحاقيَّةُ سُحقاً لهم، ومن تصانيفه «الفكوك»[2] الكثير الشُّكوك، و «النصوص»[3] التي خالفَ بها النَّصَّ، واطلع[4] بشرحها على كلِّ عَينٍ أقبحَ فصّ، فازدادَ بها مع عمى البصيرة عَمى البَصر، وفتح بـ «مفتاح غيب الجمع» باب شَرّ، فهو مثلُ شيخه السَّفيه، وأقلُّ من أن يُكثرَ الكلامُ فيه. إلى هنا كلامُه.

وقد قامتِ عليه القيامة، وعزَّرَهُ بسببِ هذه القضيَّةِ السِّراجُ الهندي قاضي قُضاةِ الحنفيَّة.

* * *

(٥٦٧) محمد الضِّجاعي[*]

محمد بن يوسف الضِّجاعي اليمني المعروف بالضَّرير، لكونه وُلِدَ مَطموسَ العَينَين لا شقَّ لهما.

كان صوفيًا فاضِلاً، سالِكاً طريقَهُ الجميلة، مالكاً أزِمَّةَ المعرفةِ والفَضيلة.

شَيخٌ أُشيرَ إليه بالبَنان، وعدَّ من عيونِ الأعيان، انتفَعَ به خَلقٌ كثير، وتخرَّجَ به جَمعٌ من الأعلام.

وله كراماتٌ منها: أنَّه حَفِظَ «الهداية»[5] للحنفيَّةِ بسماعٍ واحدٍ.

---

(١) في (أ): الجادة.

(٢) فكوك النصوص في مستندات حكم الفصوص، والكتاب حل لمشكلات فصوص الحكم. انظر كشف الظنون ١٢٨٨، وهدية العارفين ٢/ ١٣٠.

(٣) تقدم التعريف بالكتاب في الصفحة ٥٥٣ الحاشية (٣) من هذا الجزء.

(٤) في (أ): واطلح.

(*) طبقات الخواص ١٢٣، جامع كرامات الأولياء ١/ ١١٧. والضِّجاعي نسبة إلى ضجاع قرية قرب زبيد في اليمن.

(٥) الهداية في الفروع لبرهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي المتوفى سنة ٥٩٣، والكتاب شرح على متن له سماه بداية المبتدي، والكتاب وإن كان شرحاً =

ومنها: أنَّ الشِّهابَ بنَ عُجيل رأى المصطفى ﷺ فقال له: إن أردْتَ أن يُفتَحَ عليكَ فابتلِعْ من تُرابِ قبرِ الضَّرير شيئاً على الرِّيق. ففعَلَ، فظهرَتْ عليه بركَتُهُ.

ماتَ بعد الستِّ مئة.

(٥٦٨) قمر الدولة(*)

محمد الملقب قمر الدولة، من أتباعِ الشَّيخِ البدوي.

أصلُهُ من مماليكِ السُّلطانِ النَّاصر محمد بن قلاوون، أرسلَهُ في بعثٍ، ثمَّ رجَعَ من سفره فاجتازَ بطندتا في وقتِ حَرٍّ شَديدٍ، فدخَلَ للاستراحةِ، فأُخبِرَ بأنَّ البدويّ مريض، فدخَلَ إليه يزُورُه. وكان في غيبة عبد العال ورفقته، فوجدَ عند البدويِّ بطيخةً، شرِبَ ماءَها، ثمّ استقاءَه فيها، فشرِبَه فقال له البدويّ: أنتَ قمرُ الدَّولة. فجُذِبَ وخرَجَ من عنده، فأُخبِرَ عبدُ العال بذلك، فتبِعَهُ ليسلِبَهُ، فرَمَحَ فرَسُهُ حتّى وقعَ في بئرٍ بقُربِ التُّربة[1] النَّفاضة، وطلَعَ من البئرِ الذي بناحية نفيا[2]، وعبدُ العال ينتظرُهُ عند البئرِ الذي نزلَ فيه، فجاءَهُ الخبرُ بأنَّه طلَعَ من تلك البئر، فأيِسَ منه، فأقامَ بنفيا تظهرُ منه الكراماتُ والخوارِقُ حتّى مات.

ودُفِنَ بها وعُلِّقَ قَوسُهُ وجُعبَتُه وسَيفُهُ عندَ ضَريحه.

* * *

= إلا أن فيه غوامض وأسراراً لذا كثر شراحه على مدار الأيام. انظر كشف الظنون ٢٠٣١.

(*) طبقات الشعراني ١/ ١٨٥ (ضمن ترجمة أحمد البدوي)، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٧٠.

(١) في مصادر الترجمة: بقرب كوم التربة النفاضة.

(٢) ناحية نفيا مركز طنطا بمحافظة الغربية في مصر.

(٥٦٩) محمد الصَّريفي (*)

محمد بن عبد الله الصَّريفي المعروفُ عند أهلِ عدن بصاحبِ النَّخلة، كان عارِفاً ربَّانيًّا مُربِّياً ذا رِفعةٍ زائدةٍ ومنزلَةٍ صاعدة، صاحِبَ أحوالٍ وكرامات. انتفَعَ به خَلقٌ كثير.

وكان يتستَّرُ فيُكبِّرُ عِمامتَهُ ويُطيلُ أكمامَه.

قال اليافعيّ: وهذا مذهبُ الملامتيّة، أعني إخفاءَ الطَّاعةِ وإظهارَ الرَّغبةِ في المُباح.

وله كلامٌ حَسَنٌ في السُّلوكِ، فمنه ما قال: بالجدِّ والاجتهادِ تُدرَكُ غايَةُ المُراد، وبالعزماتِ الصِّحاح يُشرِقُ صَباحُ الفَلاح، وما حصلَتِ الأمانيُّ بالتَّواني، وما ظفَرَ بالأملِ مَنِ استوطَنَ فِراشَ الكَسَل. فإيَّاكَ أن تقولَ: إن قُدِّرَ شيءٌ وصل، وإن كان في الغيبِ مقضيٌّ حَصَل. فبالحركاتِ تكونُ البَرَكات. وبالهزِّ يسقُطُ الثَّمَر. وأُمُّ العجزِ أبداً عقيم.

وغالِبُ كلامه على هذا المنوالِ العظيم.

ماتَ في حدودِ السَّبعِ مئة.

* * *

(٥٧٠) محمد بن عيسى الزيلعي (**)

صوفيٌّ واضِحُ الدَّلائل، حَسَنُ الخُلُقِ لَطيفُ الشَّمائل.

وله كراماتٌ خارقةٌ ومُكاشفاتٌ صادقةٌ منها: أنَّ ولدَهُ لعِبَ مع النَّاسِ في دعوةٍ بسيفٍ كعادةِ أهلِ البادية، فأصابَ عَينَ رجلٍ فقلعَها، فوضعَها الشَّيخُ مكانَها، وبصَقَ عليها، فعادَتْ كما كانت.

(*) طبقات الخواص ١٢٤. والصريفي نسبة إلى قبيلة من قبائل عك بن عدنان.

(**) طبقات الخواص ١٢٩، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٤٤، و ١٦٢، وانظر الترجمة ٤/ ٢٤٧، و٢٤٨.

ومنها: أنَّه لمّا بَنى مسجِدَه سقَطَ بعضُ البَنَّائين على عُنُقه، فانكسَرَ، فأتوه به، فتفَلَ عليه، فاستقامَ وعاش.

ومنها: أنَّه كان إذا لازمَهُ النَّاسُ للمطرِ سُقوا فوراً.

* * *

(٥٧١) محمد بن عبد الله الدِّهني (*)

محمد بن عبد الله الدِّهْني ـ نسبةً إلى دِهْنَة بكسر الدَّال، قَبيلةٌ معروفةٌ باليمنِ ـ صوفيٌّ عَظُمَ شَرَفُه، وعارِفٌ عَلَتْ في جنَّةِ الوَرَعِ غُرَفُه.

وكان في بدايته يَختَلي في بعضِ الجبال. قال: وقعَتْ علينا أزمةٌ شديدةٌ حتّى أشرَفَ العِيالُ على الهَلاك، فذهبنا إلى تاجرٍ وسألناهُ أشياءَ، فامتنَعَ، فذكرتُ حديثاً كنتُ سمعتُهُ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «ما بين طُلوعِ الفجرِ وطلوعِ الشَّمسِ ساعةٌ تُشبه ساعاتِ الجنَّةِ، لا يُرَدُّ فيها الدُّعاءُ»، فقلتُ لأولادي: اقبلوا بنا على الدُّعاءِ في هذه السَّاعة، فدعَونا سبعةَ أيَّامٍ، ففي السَّابعِ ذهبتُ أغتسِلُ بجنبِ جِدارٍ، وإذا بشقِّ الجدارِ انكشَفَ عن مثاقيلَ كثيرةٍ، فغطَّيتُ وجهي، وقلتُ: يا ربِّ، لا أُريدُ هذا، إنَّما أُريدُ سَدَّ فاقَةٍ، ثمّ كشفتُ وجهي وقد تغطَّتِ المثاقيلُ. ثمّ جاءَنا ذلك التاجرُ بألفِ درهم. وقال: رأيتُ المصطفى في النَّومِ، وقال: أقرِضْه ألفاً. قال الفقيه أحمد بن موسى بن عُجيل: فطلبتُ الحديثَ المذكور، فوجدتُهُ في «الأربعين الآجرّية»[1].

* * *

(*) طبقات الخواص ١٣٠، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٥٤، وفيه أن وفاته سنة ٧٨٧ نقلاً عن الشرجي في طبقات الخواص، ولم يرد هذا في المطبوع من الطبقات.

(١) الأربعين الآجرية للشيخ أبي بكر الآجري محمد بن الحسين، المتوفى بمكة سنة ٣٦٠ هجرية، ولم أجده في النسخة المطبوعة تحقيق بدر البدر، مكتبة المعلا الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٨ـ١٩٨٧.

(٥٧٢) مرزوق الصَّريفي (*)

مرزوق بن حسن الصَّريفي اليمني، كان ذا كراماتٍ ومُكاشفات، صاحِبَ تربيةٍ، انتفعَ به النَّاسُ، وكان أُميًّا حصلَتْ له عنايَةٌ ربَّانيّة، وفُتِحَ عليه بفُتوحٍ وهبيّة، وكان يتكلَّمُ مع العُلماءِ في علمهم، كما اتَّفقَ لغيره من أهلِ العناية.

وله كراماتٌ كثيرة، منها: أنَّ بعضَ أولادِهِ كان له على رجلٍ دَينٌ، فطالبَهُ فشَكا المَديونُ للشَّيخ، ولم يكن له علمٌ بذلك، فطلَبَ ولده، وقال له: صارَ لك مالٌ ودَيْن ؟! أنتَ لا تصلُحُ للحياة، فوقَعَ الولدُ مَيتاً بالمجلس.

وهذا نَظيرُ قصَّةِ الشَّيخ أبي مَدين، أنَّه كان له ولدٌ صغيرٌ قعَدَ يلعبُ عندَهُ، فاشتغَلَ قلبُهُ به، فلمَّا رأى أنَّه افتُتِنَ به، وشغلَهُ[1] عنِ اللهِ، نظَرَ إليه فماتَ فوراً.

ومنها: أنَّ بعضَ الكبراءِ بَنى مَسجِداً، ثمَّ لمّا أرادَ[2] نَصبَ المحراب، اختلفوا في تحديده، وطالَ النِّزاعُ، والشَّيخُ حاضر، فقال: القبلة هنا، فلم يقبلوا منه، فقال: القبلةُ هكذا، وهذه الكعبة، فرآها الحاضرون.

ومنها: أنَّ بعضَ الأُمراءِ ماتَ ابنُ عمِّه[3]، فضربَ على قبرِهِ خيمةً على عادةِ [أهل][4] الدَّولةِ، وصارَ يَبيتُ بها، فرأى جماعةً من الملائكةِ جاؤوا بجملٍ من نار، وعليه محمَلٌ من نار، وأخرجوه من القبر، وأرادوا وضعَهُ فيه، وهو يصرخُ، فخرجَ الشَّيخُ مرزوق من قبره، وقال: اتركوه. فقالوا: قد أُمرنا

(*) طبقات الخواص ١٥٣، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٥٠.

(١) في (أ): واشتغل، وفي طبقات الخواص: واشتغل قلبه.

(٢) في (أ): أرادوا.

(٣) كذا في الأصول، وفي طبقات الخواص ١٥٤، وهو الأقرب للصواب: مات رجل من الأمراء يقال له أزدمر، وكان أستاذ دار الملك المظفر ابن رسول، وقبره إلى جنب قبر الشيخ مرزوق، فضرب ابنُ عمه على قبره...

(٤) ما بين معقوفين مستدرك من طبقات الخواص.

بذلك. قال: قد شفَّعَني فيه ربِّي، وفيمَنْ قُبِرَ عندي، فتركوه.

وكراماتُهُ كثيرة.

ماتَ سنةَ سبعَ عشرة[1] وستٍّ مئة.

* * *

(٥٧٣) مفرج بن موفق الدَّماميني[*]

كان عبداً حبشيًا، اصطفاهُ اللهِ لولايته.

أقامَ ستَّةَ أشهرٍ لا يأكلُ ولا يشربُ، فضربَهُ سيِّدُه، فلم يؤثِّر[2].

ومن كراماته:

أنَّه أُحضِرَ عندَهُ فِراخٌ مشويَّةٌ، فقال لها: طيري. فطارَتْ.

وعَمِيَ في آخرِ عُمره.

ومن كلامه:

مَنْ تكلَّمَ في شيءٍ لا يصِلُ إليه عِلمُه كان كلامُهُ فِتنةً لسامعه.

ماتَ سنةَ ثمانٍ وتسعين وستٍّ مئة.

* * *

---

(١) في طبقات الخواص: سنة تسع عشرة.

(*) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها في الصفحة ٣٠٩ من هذا الجزء وسيترجم له ثالثة في الطبقات الصغرى ٤/٦٠٣.

(٢) في طبقات الأولياء: فلم يتأثر.

(٥٧٤) منصور البطائحي[*]

صوفيٌّ نيِّرُ الوَجه، حَسَنُ الأخلاق، ذو سيرةٍ سارَتْ فعطَّرَتْ بأرجها أرجاءَ الآفاق.

قال الشَّيخُ الرِّفاعيّ[١]: كان من أكابرِ الأولياء، وأربابِ الأحوال، أخَذَ عن خَلقٍ، وانتفَعَ به كثيرون.

ومن كلامه:

مَنْ عَرَفَ الدُّنيا زَهِدَ فيها، ومَنْ عَرَفَ اللهَ آثَرَ رِضاهُ على هَواه، ومَنْ لم يعرِفْ نفسَهُ فهو في أعظمِ غُرور.

وقال: ما ابتَلى اللهُ عَبداً ببلاءٍ أشدَّ من الغفلةِ عنه. وإذا أَحَبَّ عَبداً قادَهُ إلى حضرته يقظةً أو مناماً[٢].

وقال: كلَّما ارتفعَتْ منزلَةُ القلبِ كانتِ العقوبَةُ والمُؤاخذَةُ إليه أسرَع.

وقال: الصَّبرُ زادُ المُضطرين، والرِّضا درجةُ العارِفين.

وقال: كلُّ شيءٍ لا يكونُ عَوناً لك على تركِ الدُّنيا فهو عليك.

وقال: مَنِ اغترَّ بصفاءِ العبوديَّةِ داخَلَهُ نِسيانُ الرُّبوبيَّة.

وقال: الأُنسُ باللهِ استبشارُ القلبِ بالقُربِ منه، ومَنْ سكَنَ إلى ربِّه دونَ حَظِّ نفسه سلَّمَهُ من الاستدراج.

ولمّا احتُضِرَ قالت زوجَتُه له: أوصِ بالمشيخةِ لولدك. قال: هي لأحمد ابن

(*) قلائد الجوهر ٨٣، طبقات الشعراني ١/١٣٤، جامع كرامات الأولياء ٢/٢٦٨.

(١) أحمد الرفاعي، وهو ابن أخت منصور. انظر طبقات الشعراني.

(٢) في طبقات الشعراني: ما ابتلى الله عبداً بشيء أشد من الغفلة عنه والفترة، وإذا أحب الله عبداً أعاذه من الغفلة والمنام.

أختي. فأبرمَتْ عليه[١]. فقال لولده وابن أخته: أحضرا لي بنخيلٍ[٢] كثير، فأتاهُ ابنُ أخته بلا شيءٍ، فقال له: لِمَ لم تأتِ به[٣]؟ قال: وجدتُهُ كلَّه يُسبِّحُ الله، فهِبتُ أن أقطَعَ ما يُسبِّحُه. فعلمَتْ زوجتُهُ بأنَّ الأمرَ ليس بالتشهِّي، بل وَعدٌ من اللهِ تعالى.

* * *

---

(١) في قلائد الجواهر، وطبقات الشعراني: فكررت عليه القول.

(٢) كذا في الأصول، وفي قلائد الجواهر وطبقات الشعراني: أتياني بنجيل. والنَّجيل: ضرب من دقِّ الحمص، أو خير الحمص وألينه على السائمة. متن اللغة (نجل).

(٣) في (أ): لم لا تأت به.

حرف الياء المثناة تحت

(٥٧٥) يوسف البقّال(*)

يوسف [بن علي](١) بن أحمد البقَّال البغدادي، عَفيفُ الدِّين الحنبلي، كان عالِماً، صالِحاً، وَرِعاً، زاهِداً، اعتنى بهذا الشَّأنِ أتمَّ عناية، واشتهرَ في الأقطارِ بالمعرفةِ والدِّراية(٢).

أخَذَ عنه الأئمَّةُ وفُضلاءُ الأُمَّةِ، وقُصِدَ من أطرافِ الأرض، وقامَ بنقلِ التَّصوُّفِ والفَرض.

وله تصانيفُ في السُّلوك(٣).

قال: كنتُ بمصرَ في واقعةِ بغداد(٤)، فبلغَني أمرُها، فأنكرتُ بقلبي، وقلتُ: يا ربِّ، كيف هذا، وفيهم أطفالٌ، ومَنْ لا ذنبَ له ؟ فرأيتُ كتاباً فيه:

دَعِ الاعتراضَ فما الأمرُ لك ... ولا الحُكمُ في حركاتِ الفَلَك

فـلا تسـألِ اللهَ عـن فعلِـهِ ... فمَنْ خاضَ لجَّةَ بحرٍ هَلَك

ماتَ سنةَ ثمانٍ وستِّين وستِّ مئة.

(*) الحوادث الجامعة ٣٦٠، ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٨٠، البداية والنهاية ١٣/ ٢٥٣، كشف الظنون ٩٩٩، هدية العارفين ٢/ ٥٥٥، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٩٣.

(١) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر ترجمته.

(٢) في (ب): والديانة.

(٣) المصنف المذكور في مصادر ترجمته هو سلوك الخواص مختصر. كشف الظنون.

(٤) واقعة بغداد عندما أخذت التتار بغداد، وقتلوا أكثر أهلها والخليفة، وانقضت الدولة العباسية وذلك سنة ٦٥٦ هـ.

(٥٧٦) يحيى بن شرف النووي(*)

شَيخُ الإسلام، نادرةُ الزُّهَّادِ الفخام، المجتهدُ في الصِّيامِ والقِيام، خِتامُ المتأخِّرين، وحُجَّةُ اللهِ على عباده المؤمنين.

كان يحيى سيِّداً وحَصوراً(1)، ولَيثاً على النَّفسِ هَصوراً، لم يُبالِ بخرابِ الدُّنيا إذا صير دينه ربعاً معموراً. له الزُّهدُ والقناعة، ومتابعةُ السَّلفِ من أهلِ السُّنَّةِ والجماعة، والمُصابرةُ على أنواعِ الخَير، لا يَصرفُ ساعةً في غيرِ طاعة، هذا مع التفنُّنِ في أنواعِ العلومِ فِقهاً وحديثاً وتصوُّفاً ولغةً وغيرها.

وُلِدَ في المحرَّم سنةَ إحدى وثلاثين وستِّ مئة، ونشأَ في سِترٍ وصيانة. ولمَّا بلَغَ سِنَّ التَّمييز صارَ يرى نوراً.

وكان الصِّبيانُ يُكرِهونَهُ على اللَّعبِ، فيهرب منهم.

وكان بدمشقَ رجلٌ صالحٌ اسمُهُ ياسين بن عبد الله المغربي المراكشي، له دُكَّانٌ بظاهرِ بابِ الجابية، وكان صاحبَ كَشفٍ وكرامات، فمرَّ بنوى فرأى النَّوويَّ، وهو صَبيٌّ، فتفرَّسَ فيه النَّجابة، وحثَّه على حفظِ القرآنِ والعلم. فكان النَّوويُّ بعد ذلك يَزورُه، ويتأدَّبُ معه، وأخَذَ عنه الطَّريق.

وذكَرَ الذَّهبيُّ أنَّه قتلَهُ بالحالِ لأمرٍ ثمّ ندِمَ، واستبعدَ ذلك ابنُ شُهبة وغيره،

(*) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٨٣، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٠، العبر ٥/ ٣١٢، مرآة الزمان ٤/ ١٨٢، طبقات السبكي ٨/ ٣٩٥، البداية والنهاية ١٣/ ٢٧٨، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٨، الدارس في تاريخ المدارس ١/ ٢٤، مفتاح السعادة ١/ ٣٩٨، ٢/ ١٧، طبقات ابن هداية ٢٢٥، هدية العارفين ٢/ ٥٢٤، شذرات الذهب ٥/ ٣٥٤، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٨٤، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/ ٦٤، معجم المؤلفين ١٣/ ٢٠٢، ومن الكتب التي أفردت عنه: مناقب الإمام النووي لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، والإمام النووي لعلي الطنطاوي.

(1) الحصور: من لا يأتي النساء عفة وزهداً، وهو القادر عليهن. متن اللغة (حصر)، ومات النووي ولم يتزوج.

وقال: يبعدُ أن يقعَ من النَّوويِّ ما يُوجِبُ تغيُّرَ الوليِّ عليه حتّى يقتُلَه، ويبعدُ من الوليِّ قَتلُ مثلِ النَّوويّ.

ولمّا بلَغَ نحوَ عشرينَ سنةً قَدِمَ دمشقَ واستمرَّ بالمدرسةِ الرَّواحيَّة[1]، حتّى ماتَ، وحجَّ مرَّتَين.

وكان يُقرئُ كلَّ يومٍ اثني عشر درساً، وانتصَبَ للتَّصنيف، فكانَ لا ينامُ اللَّيلَ، ويكتبُ حتّى تكلَّ يَدُهُ ويعجَز، فيضعُ القلمَ ثمّ يُنشد:

لئن كان هذا الدَّمعُ يَجري صَبابَةً ... على غيرِ سَلمى فهو دَمْعٌ مُضَيَّعُ

واستمرَّ على هذا، حتّى هجمَتْ عليه المنيَّةُ قبلَ بلوغِ الخمسين.

وصرَّحَ بعضُ أهلِ الكشفِ بأنَّه لم يمُتْ حتّى تقطَّب.

وذكَرَ الشَّيخُ الصَّالح أبو القاسم المريّ أنَّه رأى في النَّومِ راياتٍ كثيرةً، ونَوبَةً تُضرَب، فقال: ما هذا؟ قيل: اللَّيلةَ تقطَّبَ النَّوويُّ، فجاءَهُ يُخبرُه، فوجدَ حولَهُ جماعةً، فنهضَ حتّى لقيَهُ قبلَ وصولِه إليهم فاستكتمَهُ.

وكان يُضرَبُ به المثلُ في شِدَّةِ الوَرَع.

وذكر اليافعيُّ في «روضه»[2]: أنَّ سارِقاً خطَفَ عِمامَةَ النَّوويِّ وهربَ، فصارَ يعدو خَلفَهُ ويقولُ: مَلَّكْتُكَ إيَّاها، قُلْ قَبِلْت.

وظهرَتْ له كراماتٌ كثيرةٌ من سماعِ الهاتف، وفتحِ البابِ المُقفلِ، وغير ذلك كانشقاقِ الحائطِ لَيلاً، وخُروجِ شَخصٍ له حسَن الصُّورة، وكلامهُ معه في مصالحِ الدَّارَين، واجتماعِهُ بالأولياء.

ومن قوَّةِ يَقينه مُلازمَتُهُ لحيَّةٍ عظيمةٍ في بيته بالرَّواحيَّة، وتخرُجُ إليه، فيضعُ لها لُباباً تأكُلُه، وأحوالُهُ كثيرة.

---

(١) أنشأها زكي الدين، أبو القاسم، هبة الله بن محمد الأنصاري المعروف بابن رواحة، اشتهر بذلك لأنه ينسب إلى أبي عبد الله الحسين بن عبد الله بن رواحة من جهة أمه. منادمة الأطلال ١٠٢.

(٢) روض الرياحين ٥٢٥ (حكاية ٤٨٨).

وكان من الدِّينِ بمكانِ الرَّأسِ من الجسد، ظهَرَ له العلمُ فشمَّرَ إليه، ونظرَ إلى الخَيرات، فأفرغت عليه. إذا ذكَرَ الصُّلحاءَ ذكَرَهُم بتعظيمٍ وتوقيرٍ واحترامٍ، وسوَّدَهُم، وكثَّرَ كراماتهم ومناقبَهم.

وشاهدتُ بخطِّ الوليِّ العراقي، أنَّه شاهدَ بخطِّ التَّاجِ السُّبكي أنَّ بعضَهم قال للنَّوويِّ، وقد جَرى ذِكرُ المقدسيِّ وكيلِ بيتِ المالِ وظُلمِهِ: يا سيِّدي، يقولونَ: إنَّ المقدسيَّ فَقيهٌ جيِّدٌ. فقال: أما علمتَ أنَّ الفقهَ مع قليلِ الدِّينِ كالسَّيفِ مع قاطعَ الطَّريق.

ومن كراماته:

ما حكاهُ ابنُ الوردي عن ابن النَّقيب أنَّه دخَلَ عليه، فقال له: أهلاً بقاضي القُضاة، اجلِسْ يا مُدرِّسَ الشَّافعيَّة. فوَلِيَهُما بعد ذلك.

ومنها ما حكاهُ عن البارزي أنَّه رأى النَّوويَّ في النَّومِ، فقال له: ما تختارُ في صومِ الدَّهرِ؟ قال: فيه اثنا عشر قَولاً للعُلماء. فلمّا انتبه تتبَّعَ ذلك حَولاً كاملاً، فوجدَ الأمرَ كذلك.

وعادَ العارِفَ القدوةَ أبا الحسن المُقيمَ بدمشق، وكان مَريضاً بمرضِ النِّقْرِس(1)، فجلَسَ عندَهُ، وشرَعَ يتكلَّمُ في الصَّبرِ، فلمَّا تكلَّمَ ذهبَ الألمُ قليلاً قليلاً، فما قامَ من عنده حتّى زالَ الكلُّ.

وكان يقولُ بحُرمةِ النَّظرِ إلى الأمردِ، ولو بلا شهوةٍ. فامتحنَهُ بعضُ المُرْدِ، وصَعِدَ إلى أعلى خلوته، وأكبَّ على رأسه ينظرُ إليه، فرفَعَ رأسَهُ، فبمجرَّدِ وقوعِ بصره عليه سقَطَ لحمُ وجه الأمرد.

ومناقبُهُ كثيرةٌ مُفردَةٌ بعِدَّةِ تآليف.

ماتَ سنةَ ستٍّ وسبعين وستِّ مئة، ودُفِنَ بنَوى.

* * *

---

(1) النقرس: مرض ووجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين. متن اللغة (نقرس).

(٥٧٧) يونس بن يوسف(*)

يُونس ين يُوسف بن مُساعد الشَّيباني، شَيخُ الفقراءِ اليونسية(١).

كان صوفيًا، صالِحاً، زاهِداً، متورِّعاً(٢)، عابِداً، نورُهُ باهِر، ويُمنُهُ ظاهِر، وكان مَجذوباً، لا شَيخَ له.

وله كراماتٌ منها: أنَّه كان مُسافِراً في قافلةٍ بين سِنْجار(٣) وعانَة(٤)، والطَّريقُ مَخوفٌ، فلم يقدر أحدٌ ينامُ لشدَّةِ الخَوفِ، ونامَ الشَّيخُ نَومَ الآمنين. فلمَّا انتبَهَ سُئِلَ عن ذلك، فقال: واللهِ، ما نمتُ حتّى جاءَ إسماعيل بنُ إبراهيم عليهما الصلاة والسَّلام، وتدرَّكَ(٥) القافلةَ، فلم يحصل لأحدٍ ضررٌ بعد ذلك.

ومنها: أنَّ بعضَ جماعته عزَمَ على السَّفرِ إلى نَصيبين، فقال له الشَّيخُ: إذا دخلتَ البلدَ اشترِ لأُمِّ مُساعدٍ كَفَناً ـ يعني أمَّ ولده ـ وكانت في غايةِ الصحَّة،

(*) وفيات الأعيان ٧/ ٢٥٦، سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٧٨، العبر ٥/ ٧٧، مرآة الجنان ٤/ ٤٦، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١٤، طبقات الأولياء ٤٩٠، الدارس في تاريخ المدارس ٢/ ٢١٣، شذرات الذهب ٥/ ٨٧، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٩٦، الخطط التوفيقية ٦/ ٤٥.

(١) قال الذهبي في العبر: الطائفة اليونسية أُولي الشطح وقلة العقل وكثرة الجهل، أبعد الله شرهم.

(٢) في (ب): منوراً.

(٣) سنجار: مدينة في نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. معجم البلدان.

(٤) عانة: بلد بين الرقة وهيت، يعد من أعمال الجزيرة، مشرف على الفرات. معجم البلدان.

(٥) تدرّك القافلة: أشرف عليها وحماها، وفي وفيات الأعيان، والدارس: وتدرّك القفل. جاء في حاشية طبقات الأولياء: التدرك: اصطلاح صوفي ظهر في الأدب الصوفي والشعبي أواخر القرون الوسطى، والمدركين بالكون، أو المتدركين به هم الذين يقومون بالإشراف على شؤون الكون، وهم جزء من حكومة أهل الباطن التي يقوم على رأسها الغوث، ولها قضاء يفصل في شؤون الكون كله هي محكمة أهل الباطن، والسيدة زينب بنت علي كرم الله وجهه ورضي الله عنها هي صاحبة الشورى.

فقال: وما بها حتّى نشتريَ لها الكفنَ ؟ قال: ما يضرُّ. فلمّا عادَ وجدَها ماتَتْ في ذلك اليوم.

وله غيرُ ذلك من الأحوالِ والكرامات.

ماتَ سنةَ تسعَ عشرةَ وستِّ مئة عن نحوِ تسعينَ سنة.

* * *

(٥٧٨) يوسف المُكْدِش(*)

يوسف بن أبي بكر المُكْدِش اليَمني، كان من كبارِ الصَّالحينَ الأولياء، أهلِ التَّمكينِ والاصطِفاء، له أحوالٌ صادقة، وكراماتٌ خارقة.

وكان زاهِداً كثيرَ التَّواضعِ والشَّفقةِ على الفقراء، يأتونَهُ فيُدخِلُ يدَهُ بين بطنه وثَوبه، فيُفرِّقُ عليهم الدَّراهم(١)، ولم يكن معه شيءٌ، وإنَّما كان يأخذُ من الغَيب، ويُوهم أنَّ في ثوبه دراهم.

ومن كراماته أيضاً: أنَّه كان تزوَّجَ في غير قريته، فماتَ عندَهم، فأرادَ أولادُهُ حملَهُ ودفنَهُ بقريته، فمنعَهُم أهلُ ذلك البلد، وقالوا: لا يُدفَنُ إلاَّ عندَنا للتبرُّكِ به. وحصَلَ بين الفريقين فِتنَةٌ عظيمة، وكان في الحضرةِ بعضُ الصَّالحين، فقال له: أين تُحِبُّ أن تُدفَن ؟ فقال: بين آبائي. فحُمِلَ ودُفِنَ معهم.

ومنها أنَّه كان بينَهُ وبين الحضرميِّ مودَّةٌ، فكان إذا مرَّ بتلكَ القريةِ التي دُفنَ بها لا يَزوره، فاتَّفقَ أنَّه زارَهُ مرَّةً، فسلَّمَ عليه، فردَّ عليه السَّلام، وقال: مرحباً بكَ يا جافي، فلم يقطَعْ زيارتَهُ بعد ذلك.

وكان كلُّ مَنْ قصدَ قبرَهُ في حاجةٍ ولازمَهُ قُضيَت.

* * *

(*) طبقات الخواص ١٦٨، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٩٥.

(١) في (ب): الدنانير.

(٥٧٩) يوسف الأشكل(*)

يوسف بن عليٍّ الأشكل اليَمني، كان من أكابرِ الصَّالحين، حسَنَ السِّيرة، جَميلَ السُّلوك، معظَّماً عندَ الأكابرِ والمُلوك.

له كراماتٌ ومُكاشفات، وأصلُهُ من قريةِ النَّاشريّة. خرَجَ مُتجرِّداً للعبادةِ، فأقامَ مدَّةً في كهفٍ من جبلِ الظَّاهرِ بناحيةِ نبهان[١]، فأُقحِطَ أهلُ تلكَ النَّاحية، وتطاوَلَ القحطُ بهم، فسألوه الدُّعاءَ، فدَعا، فأُمطِروا سريعاً فأخصَبوا، فانتقَلَ إلى ناحيةٍ ثمّ ناحيةٍ، وكلُّ جهةٍ يحصلُ له فيها ذلك، حتّى استقرَّ في موضعٍ، فزرَعَ فيه، فطالبَهُ أميرُ تلكَ الجهةِ بالخَراج، فلم يدفَعْ، فحبسَه. فكان يُرى يصلِّي مع الجماعةِ، فشدَّدَ الأميرُ على الموكَّلين بالسِّجن[٢]، فصاروا يقعدونَ معه على السَّرير، ولم يَروه يفارقهم أصلاً، ويوجدُ وقتَ الصَّلاةِ في الجامع، فأطلقَهُ الأميرُ وعرَفَ قَدْرَه.

ثمّ تتابعتْ كراماتُهُ بعد ذلك.

وكان له ولدٌ اسمُهُ عليّ[٣]، أخَذَ عنِ الحضرميّ، وغيره.

وله كراماتٌ أيضاً منها: أنَّ ابنَ أُختِه[٤] كان يخدمُ الدَّولة، فغضِبَ عليه السُّلطانُ، وأمَرَ بشنقه، فجاءت أُمُّه إلى أخيها، وبكَتْ، فقال: لا تَخافي، ما تشرقُ الشَّمسُ غداً إلاَّ وهو مُقبِلٌ من هذه الجهة، على فرسٍ أحمر. فكان كذلك. وأخبَرَ بأنَّ السُّلطان طلبَهُ تلكَ اللَّيلةَ، وقال له: دخلَ عليَّ رجلٌ من

(*) طبقات الخواص ١٦٩، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٩٥.

(١) كذا في الأصول، وفي طبقات الخواص: المعروف بظاهر نبهان.

(٢) كذا في الأصول، وفي طبقات الخواص: فشدد عليه، وأمر من يلازمه في موضعه، ويمنعه عن الخروج. فهو لم يودع السجن.

(٣) طبقات الخواص ١٦٩، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٨١.

(٤) وهو أحمد بن عمر الأجحف، انظر طبقات الخواص.

الكُوَّةِ، ومعه شُعلةُ نارٍ، وقال: إن تغيَّرْتَ على فُلانٍ ما فيه إلاَّ روحكَ. فقلتُ: مَنْ أنتَ ؟ قال: يوسف الأشكل.

وكان ولدُهُ محمد[1] من كبارِ الأولياءِ أيضاً.

رأى والدُهُ إبليسَ، فقال له: يا فقيه، ولدُكَ محمد ما لي به طاقةٌ، ولا أحضُرُ مَجلساً يحضُره.

وتأخَّرَ المطرُ عنِ النَّاسِ في فصلِ الخريفِ، فلازموه، فقال: ما ثَمَّ خَريفٌ ولا شِتاء، ولكن سيقعُ مطرٌ في الرَّبيع، ويكونُ مع النَّاسِ بعضُ دخن. فكان كما قال.

وكان ابنُ المُكْدِش[2] يقول: ما رأيتُ في الأولياءِ كمحمد بن عليٍّ الأشكل. قلتُ له: أُحِبُّ أن تُريني كرامَةً. قال: انظُرْ. فنظرتُ إلى أُصبعيه في أحديهما نارٌ والأُخرى ماء[3]. فقال: رأيتَ ؟ قلتُ: نعم. فقبضَ أُصبعيه.

وبَنو الأشكل بيتُ عِلمٍ وصَلاحٍ، ومن متأخِّريهم محمد بن أبي بكر[4] تفقَّه وتصوَّفَ، وجمَعَ كراماتِهم في مُجلَّدٍ حافل.

* * *

(٥٨٠) يوسف المُعْتِب[*]

يُوسف بن عُمر المُعْتِب بسكونِ المهملة[5]، وكسرِ المثنّاة الفوقيّة.

كان من كبارِ مشايخِ الصُّوفيَّة، عابداً، زاهداً، صوَّاماً، قَوَّاماً، وكان أُميًّا،

---

(١) هو محمد بن علي بن يوسف، انظر ترجمته في طبقات الخواص ١٦٩، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٥٤.

(٢) هو محمد بن إسماعيل المكدش، طبقات الخواص ١٦٩.

(٣) في (ب): والأخرى تفور ماء.

(٤) كانت وفاته لبضع وعشرين وثمان مئة. طبقات الخواص ١٧٠.

(*) طبقات الخواص ١٧٠، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٩٥، وذكر أن وفاته سنة ٨٢٧ هـ فهو من رجال الطبقة التاسعة.

(٥) في طبقات الخواص: بضم الميم، وسكون العين المهملة.

ومع ذلك صاحبَ كراماتٍ ومُكاشفاتٍ، منها: أنَّه عارضَهُ بعضُ الأمراءِ[1] في مسموحٍ له، فتقدَّمَ إلى قبرِ الشَّيخِ عليٍّ الأهدل، وشَكا إليه ولازمَهُ، فأخذَتْهُ سِنَةٌ خَفيفةٌ، فرأى الشَّيخَ، وهو يقولُ له: اقرأ عليهم سورةَ الحشر، قال: فقلتُ له: يا سيِّدي، ما أحفظُها. قال: أنا أُعلمكها. ثمَّ أقرأنيها إلى قوله ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢]، قال: فسمعتُ الشَّيخَ أبا زكريّا ولدَ الشَّيخِ عليٍّ، وقبرُهُ عند قبرِ أبيه، يقولُ: يا أَبَتِ هو يُهلِكُهم ؟ فقال الشَّيخُ: وما لهم به ؟ فكفاهُ اللهُ شرَّ ذلك الأمير، وعُزِلَ، ولم يُعارضه بعد ذلك أحدٌ.

ومنها: أنَّه كُشِفَ له عن حربِ الشَّيخِ أبي القاسم الجبيلي مع مشايخِ[2] بني فيروز، ورآهم وهم يقتتلونَ ببلدٍ أُخرى، فأخبرَ النَّاسَ بما رأى، فورَدَ الخبرُ كما ذكرَهُ. قال: ولمَّا رأيتُ الشَّيخَ الجبيلي سقَطَ، ارتفَعَ منه نورٌ ملأَ ما بين السَّماءِ والأرض.

وكان الشَّيخُ الجبيلي ظهَرَ في قريةِ عطاء[3]، وحصَلَ له قَبولٌ، وتبِعَهُ ناسٌ كثير، فحصَلَ بينه وبين مشايخِ بني فيروز منافسةٌ أدَّتْ إلى الحربِ، وقتلِ الجبيلي.

وبنو المُعْتِب هؤلاءِ قَومٌ أخيارٌ صالحون، كان جدُّهم من أصحابِ الشَّيخِ عليّ الأهدل، وكان رجُلاً صالِحاً أُميًّا، وغالِبُ ذُرِّيته أُميُّون.

* * *

---

(١) في (ب): الأكابر.

(٢) في (أ): المشايخ.

(٣) في طبقات الخواص: بيت عطاء.